شرح البردة البوصيرية

الشرح المتوسط

تصنيف

الشيخ عبد الرحمن بن محمد

المعروف بابن مقلاش الوهراني

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد مرزاق

المجلد الثاني

دار ابن حزم

مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث

الثعالبي

شرح

البردة البوصيرية

الشرح المتوسط

(٢)

شرح

البردة البوصيرية

الشرح المتوسط

تصنيف

الشيخ عبد الرحمن بن محمد

المعروف بابن مقلاش الوهراني

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد مرزاق



المجلد الثاني

مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ISBN 978-9953-81-808-5

مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث

04، شارع الهواء الجميل، باش جراح، الجزائر

النقال: 24 56 74 72 213 00 الثابت: 11 90 02 17 00213

Thaalibi2000@yahoo.fr

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

67 ـ قَالَ:

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ ... بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ[1]

شرح: (**الْكَهَنَةُ**): الَّذِينَ كَانُوا فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ، رَأْسُهُمْ سَطِيحٌ وَيُنُوبَانُ. وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا وَقَعَ لِسَطِيحٍ حِينَ مَرَّ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَفَسَّرَ لَهُ رُؤْيَا الْمُوبَذَانِ. وَكَانَ يُنُوبَانُ يُخْبِرُ الْقَوْمَ بِأُمُورٍ وَيُجْرِيهَا اللهُ ﷻ عَلَى وَفْقِ مَا يُخْبِرُهُمْ بِهِ. فَلَمَّا ظَهَرَ مَا ظَهَرَ مِنْ رَجْمِ الْكَوَاكِبِ مَرُّوا إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ مَوْلُوداً يَتَزَيَّدُ بِمَكَّةَ، يَكُونُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ. وَقَدْ قَدَّمْتُ مَا حَكَاهُ حَسَّانُ مِنْ أَنَّ اللَّيْلَةَ [الَّتِي][2] تَزَيَّدَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ طَلَعَ يَهُودِيٌّ عَلَى أَطَمَةٍ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَا، اللَّيْلَةَ ظَهَرَ نَجْمُ صَاحِبِ الْخِتَانِ. يَعْنِي مُحَمَّداً ﷺ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُمُ اسْتَشَارُوا يُنُوبَانَ فِي قَتْلِ هٰذَا الْمَوْلُودِ الَّذِي تَزَيَّدَ بِمَكَّةَ، وَأَنْ يَدُلَّهُمْ عَلَى حِيلَةٍ تُوصِلُهُمْ إِلَى ذٰلِكَ، [155]// فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَشْتَغِلُوا بِغَيْرِ هٰذَا فَإِنَّهُ مِمَّا لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ؛ إِذْ قَدْ أَخْبَرَتِ الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ بِسُؤْدَدِهِ وَرِفْعَتِهِ، وَأَنَّ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ مِمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ لَا حِيلَةَ لأَحَدٍ فِيهِ، وَلَا يَصِلُ إِلَى تَبْدِيلِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ»[3].

وَقَصَدَ النَّاظِمُ بِهٰذَا الْبَيْتِ زِيَادَةَ التَّشْنِيعِ عَلَيْهِمْ فِي مُكَابَرَتِهِمْ، وَعِنَادِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ بَعْدَ ظُهُورِ الآيَاتِ، وَبَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُمْ مَنْ كَانَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى قَوْلِهِ وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ.

وَقَوْلُهُ: (**بِأَنَّ دِينَهُمُ**) فِي إِضَافَةِ الدِّينِ إِلَيْهِمْ إِشْعَارٌ بِخَسَاسَتِهِ، وَلِذٰلِكَ وَصَفَهُ بِالْمُعْوَجِّ وَهٰذَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ**

---

(1) الديوان: 195.

(2) في الأصل: «الذي»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) ينظر: سيرة ابن هشام: 1/ 204، دلائل النبوة للبيهقي: 2/ 24، ولأبي نعيم: 1/ 95، شرح المواهب: 1/ 179، الخصائص: 1/ 33.

يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: 89].

وَبَيْتُ النَّاظِمِ هُنَا إِنَّمَا تَصَدَّى فِيهِ إِلَى الإِخْبَارِ عَنْ كَاهِنِهِمْ أَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمْ زَائِلٌ مُضْمَحِلٌّ، وَقَصْدُهُ أَنْ يَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى مَعْنًى آخَرَ، وَهُوَ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْقُبْحِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالْبَقَاءُ عَلَى الدِّينِ الْمُعْوَجِّ بَعْدَ أَنْ أُعْلِمُوا بِاعْوِجَاجِهِ وَعَدَمِ بَقَائِهِ، فَهُوَ نَوْعٌ يُسَمَّى بِـ (الاسْتِطْرَادِ): وَهُوَ أَنْ يَرَى الشَّاعِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ وَصْفَ شَيْءٍ وَهُوَ إِنَّما يُرِيدُ غَيْرَهُ؛ فَإِنْ قَطَعَ، أَوْ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ، فَذٰلِكَ اسْتِطْرَادٌ، فَإِنْ تَمَادَى فَذٰلِكَ خُرُوجٌ. وَأَكْثَرُ النَّاسِ يُسَمُّونَ الْجَمِيعَ اسْتِطْرَاداً، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْبَيْتَ هُنَا مِنَ الْخُرُوجِ. وَمِنَ الاسْتِطْرَادِ الصَّحِيحِ قَوْلُ السَّمَوْأَلِ[1]: (طويل)

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً   إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا   وَتَكْرَهُهُ [آجَالُهُمْ][2] فَتَطُولُ

وَمِنْ أَبْدَعِ الاسْتِطْرَادِ قَوْلُ دِعْبِلَ بْنِ عَلِيٍّ[3]: (طويل)

(1) هو السموأل بن عُرَيْضِ بن عادياء الأزي اليهودي، شاعر جاهلي من أهل خيبر، (ت/ نحو 65ق.هـ). ترجمته في: (طبقات ابن سلام: 1/ 279، الأغاني: 22/ 108 ـ 113، الاشتقاق: 436، الأعلام: 3/ 204، والبيتان في ديوان السموأل: 91، وديوان عروة بن الورد: 91، وروايتهما في الديوان: 91، وأمالي القالي: 1/ 269، والأغاني: 5/ 319 و6/ 315 ـ 322، والتذكرة السعدية: 37، «إنا لقوم»، وفي العمدة: 1/ 628 «نحن أناس»، وفي تحرير التحبير: 132، وكفاية الطالب: 176، «إنا أناس»، السمط: 1/ 596، عامر وسلول: قبيلتان. عامر: بطن من سعد بن عمرو بن خزاعة بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقاء من غسان من الأزد. وسلول: بطن من خزاعة من الأزد وهم بنو سلول بن كعب بن عمرو. ينظر: (الاشتقاق: 276، جمهرة أنساب العرب: 224 ـ 226، نهاية الأرب: 2/ 318).

(2) في الأصل: «آجالنا» والثابت في جميع الروايات ما أثبتناه.

(3) هو دعبل بن علي الخزاعي، شاعر عباسي مطبوع، كان متشيعا، (ت/ نحو 246هـ). ترجمته في: (الشعر والشعراء: 2/ 849، طبقات ابن المعتز: 264، الأعلام: 3/ 18). =

خَلِيلَيَّ مِنْ كَعْبٍ أَعِينَا أَخَاكُمَا   عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينُ[1]
وَلَا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قَزْعَةَ إِنَّهُ   مَخَافَةَ أَنْ يُرْجَى قِرَاهُ ضَنِينُ
إِذَا جِئْتَهُ فَهِيَ حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ   فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ

فَتَصَدَّى أَوَّلاً لِلتَّحْضِيضِ عَلَى إِعَانَةِ أَخِ الْقَوْمِ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ بِهَجْوِ ابْنِ قَزْعَةَ، وَهُوَ نَوْعٌ بَدِيعٌ سَلَكَهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ.

وَ(**الدِّينُ**): لَهُ مَحَامِلُ: يَكُونُ بِمَعْنَى: الإِسْلَامِ، وَبِمَعْنَى: الْعَادَةِ، وَبِمَعْنَى: الْجَزَاءِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا ذُكِرَ.

وَ(**الْمُعْوَجُّ**): [غَيْرُ الْمُسْتَقِيمِ][2]. يُقَالُ: عَوِجَ الإِنْسَانُ عَوَجاً: إِذَا سَاءَتْ خُلُقُهُ. وَعَوِجَ الشَّيْءُ: إِذَا خَالَفَ الاسْتِوَاءَ. وَأَمَّا عَاجَ الشَّيْءَ عَوْجاً فَمَعْنَاهُ: عَطَفَهُ. وَعَاجَ عَلَيْهِ: عَطَفَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ. وَعُجْتُ عَلَيْهِ عَيْجاً، أَيْ: عَوَّلْتُ. وَمَا أَعُوجُ بِكَلَامِهِ، وَلَا أَعِيجُ، أَيْ: مَا أُبَالِيهِ. وَمَا عُجْتُ بِالشَّيْءِ، أَيْ: مَا انْتَفَعْتُ بِهِ. هٰذِهِ مَادَّةُ الْكَلِمَةِ. وَأَمَّا (**مُعْوَجٌّ**) كَمَا قَالَ النَّاظِمُ: فَاسْمُ فَاعِلٍ مِنْ قَوْلِكَ:

= والأبيات في شعر دعبل بن علي الخزاعي ضمن القسم الرابع مع الشعر الذي نسب له وليس له: ص355، وقال في العمدة: 1/ 629: «... ويروى لبشار وهو أصح...»، وهما في ديوان بشار: 220 ـ 221 يهجو عبد الله بن قزعة، وفي البيت رواية: «إن الكريم يعين»..

(1) في الديوان: 221، الكامل: 2/ 4، زهر الآداب: 4/ 1087، حلية المحاضرة: 1/ 64، المنزع البديع: 460، العمدة: 1/ 629، الحماسة المغربية: 2/ 1382. رواية: «نداه حزين»، وفي الطبقات: «فلا تبخلا»، في عيون الأخبار: 1/ 89 «إذا جئته في العرف أغلق»، وفي العمدة: 1/ 629، وعنوان المرقصات: «إذا جئته في الفرط». ابن منقذ: 61 «إذا جئته في الحق»، السمط: 225، زهر الآداب: 4/ 1087. الشريشي: «حاجة سد»، وفي الوفيات: «وفي الحي». وكعب: هو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ينظر: (الاشتقاق: 293 ـ 296، جمهرة أنساب العرب: 288). وابن قزعة: هو عبد الله بن قزعة بن المغيرة، أخ الملولي المتكلم صاحب النظام. الضنين: البخيل.

(2) في الأصل: «الغير مستقيم».

اعْوَجَّ الرُّمْحُ فَهُوَ مُعْوَجٌّ. وَالأَصْلُ مُعْوَجِجٌ، فَصَيَّرَهُ النَّقْلُ وَالإِدْغَامُ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. وَمَا عَوَّجَهُ الْغَيْرُ: مُعَوَّجٌ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ.

وَقَوْلُهُ: **(لَمْ يَقُم)**، أَيْ: لَمْ يَدُمْ، وَلَمْ يَنْهَضْ. يُقَالُ: قَامَ إِلَى الشَّيْءِ قَوْماً وَقِيَاماً: نَهَضَ. وَقَامَ بِكَ الأَمْرُ مُقَاماً، أَيْ: اكْتَفَيْتَ بِهِ. وَقَامَ: ضِدُّ قَعَدَ. وَقَامَ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ: جَزَاهُمْ بِفِعْلِهِمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

وَالعَامِلُ فِي **(بِأَنَّ)** **(أَخْبَرَ)**، فَهُوَ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ، وَ**(الْمُعْوَجّ)**: مِنْ زِيَادَةِ النَّاظِمِ، زَادَهُ لِمَا فُهِمَ مِنْ قَصْدِ الْكَاهِنِ، وَلِمَا عُلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ كَانَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، فَإِنَّ الْكَاهِنَ إِنَّمَا أَخْبَرَهُمْ بِانْقِرَاضِهِ وَعَدَمِ دَوَامِهِ. وَلَمَّا رَأَى النَّاظِمُ أَنَّ الْكَاهِنَ سَمَّاهُ بِأَنَّهُ دِينٌ، فَوَصَفَهُ النَّاظِمُ بِـ **(الْمُعْوَجِّ)** تَحَامِياً مِنْ إِبْقَاءِ لَفْظِ الدِّينِ عَلَيْهِ مُطْلَقاً. فَإِنَّهُ مَثَلاً لَوْ قَالَ: [156]// بِأَنَّ دِينَهُمْ لَمْ يَقُمِ، قَدْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى شَرِيعَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ إِلَّا أَنَّهَا تُنْسَخُ، فَأَرَادَ النَّاظِمُ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ حَقِيقَتِهِ أَنَّهُ مُعْوَجٌّ لَمْ يَكُنْ شَرِيعَةً لأَحَدٍ. أَوْ يُقَالُ: إِنَّ الْكَاهِنَ كَانَ أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى شَيْءٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ، فَجَاءَ النَّاظِمُ بِكَلَامِ الْكَاهِنِ مُسْتَوْفًى. لَكِنْ إِنْ كَانَ الْكَاهِنُ اسْتَنَدَ إِلَى عِلْمٍ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا عَلِمَ وَإِلَّا فَمَا يَرْجِعُ إِلَى مَا قَرَّرَهُ الأَنْبِيَاءُ لأُمَمِهِمْ، وَمَا أَحْدَثُوهُ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ، لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِعِلْمٍ يُسْتَنَدُ فِيهِ إِلَيْهِ، وَلَا يَلْحَقُ كَاهِنٌ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، وَالْكُهَّانُ إِنَّمَا كَانَتِ الشَّيَاطِينُ تُلْقِي إِلَيْهِمْ بَعْضَ مَا كَانُوا يَسْتَرِقُونَهُ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ فَيَزِيدُونَ فِيهِ كَذِباً، فَيَلُوحُ بَعْضُ مَا وَافَقَ الْمَسْمُوعَ، وَمَا خَرَجَ عَنْهُ لَا يُصَدَّقُ لَهُمْ فِي شَيْءٍ.



68 ـ قَالَ:

وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ[1]

شرح: هَذَا تَشْنِيعٌ ثَانٍ عَلَيْهِمْ، وَإِعْلَامٌ بِغَبَاوَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ **(عَمُوا وَصَمُّوا)**. وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: أَبَعْدَ إِخْبَارِ مَنْ كَانُوا يَثِقُونَ بِقَوْلِهِ، وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا الآثَارَ السَّمَاوِيَّةَ، عَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ، وَخُتِمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ.

وَ**(الشُّهُبُ)**: بِضَمِّ الْهَاءِ جَمْعُ شِهَابٍ، فِي الْكَوْكَبِيَّةِ وَالنَّارِيَّةِ. وَأَمَّا بِسُكُونِ الْهَاءِ: فَجَمْعُ أَشْهَبٍ، مِنَ الْخَيْلِ أَوْ غَيْرِهَا، فَوَافَقَ انْقِضَاضُ الشُّهُبِ سُقُوطَ الأَصْنَامِ، فَالشُّهُبُ تَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ وَالأَصْنَامُ تَسْقُطُ، حَتَّى كَانَ بَيْنَهُمَا رَبْطٌ.

وَرِوَايَةُ: **(وَفْق)** عَلَى مَا مَرَّ. وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ: **(إِثْرَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ)** كَانَ انْقِضَاضُ الأَصْنَامِ سَبَقَ فَانْقَضَّتِ الشُّهُبُ إِثْرَهَا.

وَ**(الأَرْضِ)**: هُنَا هَلِ الْمُرَادُ بِهَا كُلُّ أَرْضٍ بِهَا صَنَمٌ حَتَّى تَدْخُلَ أَصْنَامُ مَكَّةَ، وَأَصْنَامُ الْمُشْرِكِينَ فِي غَيْرِ مَكَّةَ، وَأَصْنَامُ الأَعْجَامِ، وَهُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ، لَكِنَّ سُقُوطَهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِعْلَامٌ بِقُدُومِهِ ﷺ، وَإِظْهَارٌ لِشَرَفِ مَوْلِدِهِ السَّعِيدِ؟. وَهَلِ اسْتَقَرَّتْ بَعْدَ الْمَوْلِدِ حَتَّى بُعِثَ ﷺ؟ فَإِنَّهُ جَاءَ أَنَّهُ ﷺ: «لَمَّا أَنْ دَخَلَ مَكَّةَ، وَكَانَ فِي يَدِهِ قَضِيبٌ، فَكَانَ مَا أَشَارَ عَلَى صَنَمٍ إِلَّا خَرَّ مُنْكَبّاً عَلَى وَجْهِهِ»[2].

وَقَوْلُهُ: **(وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا)** بِنَصْبِ **(بَعْدَ)**: عَطْفٌ عَلَى مَوْضِعِ **(بَعْدِ)**

---

(1) الديوان: 195.

(2) البخاري: 11/ 46، و16/ 135، الترمذي: 4/ 365، ابن حبان: 7/ 542 و8/ 157، أبو نعيم: 2/ 519 ـ 520، فتح الباري: 9/ 77، مجمع الزوائد: 6/ 176، الخصائص: 2/ 81.

الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّ لَهَا لَفْظٌ وَمَحلٌّ، فَلَفْظُهَا مَخْفُوضٌ بِـ **(مِنْ)** وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ مَعْنَى ظَرْفِيَّتِهَا، فَيَكُونُ مَوْضِعُهَا مَوْضِعَ نَصْبٍ.

وَ**(مَا)** مِنْ قَوْلِهِ: **(بَعْدَ مَا)**: مَصْدَرِيَّةٌ، أَيْ: بَعْدَ مُعَايَنَتِهِمْ لِمَا رَأَوْا.

وَ**(الأُفُقِ)**: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ **(مَا)** مَوْصُولَةً، بِمَعْنَى الَّذِي، وَلَيْسَ بِمُتَمَكِّنٍ وَإِنْ مَالَ إِلَيْهِ بَعْضُ الأَصْحَابِ.

وَاحْتِجَاجُهُ بِأَنَّ **(مِنْ)** فِي قَوْلِهِ: **(مِنْ شُهُبٍ)** لِبَيَانِ الْجِنْسِ، وَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ مُبْهَمٌ عَدَا **(مَا)** فَهُوَ الْجِنْسُ الْمُبَيَّنُ بِـ **(مِنْ)** إِمَّا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يُجِيزُ زِيَادَتَهَا فِي الْمُوجَبِ؛ فَقَدْ يَتَمَشَّى مَعَ كَوْنِ **(مَا)** مَصْدَرِيَّةً. وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ فَيَتَلَحَّحُ صَرْفُهَا إِلَى الْمَوْصُولَةِ، أَوْ إِلَى النَّكِرَةِ الْمَوْصُوفَةِ. وَالْعَائِدُ عَلَى الْمَوْصُولَةِ ضَمِيرُ النَّصْبِ الْمَحْذُوفِ، وَنَاصِبُهُ هُوَ الصِّلَةُ، وَإِلَّا فَهُوَ الصِّفَةُ، وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى عَائِدٍ. وَيَزِيدُ تَرْجِيحَ مَوْصُولِيَّتِهَا التَّنَاسُبُ مَعَ **(مَا)** الثَّانِيَةِ، فَإِنَّ **(مَا)** مِنْ قَوْلِهِ: **(وَفْقَ مَا فِي الأَرْضِ)** لَا يَتَأَتَّى كَوْنُهَا مَصْدَرِيَّةً، وَالتَّنَاسُبُ فِي كَلَامِهِمْ مَطْلُوبٌ، وَ**(مِنْ)** لِبَيَانِهَا أَيْضاً.

وَ**(مُنْقَضَّةٍ)**: يَجُوزُ خَفْضُهُ عَلَى النَّعْتِيَّةِ لِـ **(شُهُبٍ)**، **[157]**// وَهُوَ مَحْمَلٌ صَحِيحٌ، لَكِنَّ انْقِضَاضَ تِلْكَ الشُّهُبِ هَلْ كَانَ بَعْدَ مُعَايَنَتِهِمْ، أَوْ كَانَتْ مُنْقَضَّةً وَلَمَّا عَايَنُوا عَايَنُوا شُهُباً مُنْقَضَّةً لَا يَدْرُونَ أَيَّ وَقْتٍ انْقَضَّتْ؟ وَنَصْبُهَا ضَعِيفٌ، إِذْ لَا تَكْمُلُ فِيهِ شُرُوطُ الْحَالِ، إِذْ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ مَعْرِفَةٍ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ مَعْرِفَةٍ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ الْمَذْكُورَةِ؛ لَكِنْ يَجُوزُ نَصْبُهَا عَلَى الْقَطْعِ عَلَى مَذْهَبِ الْكِسَائِيِّ[1]، وَيُفِيدُ إِذْ ذَاكَ مَا يُفِيدُ أَنْ لَوْ وَقَعَ حَالاً مِنْ تَعَلُّقِ الْمُعَايَنَةِ بِالشُّهُبِ حَالَةَ انْقِضَاضِهَا.

---

(1) هو علي بن حمزة الكسائي، مؤدب ولد الرشيد، من أئمة اللغة والنحو والقراءة، جعله الزبيدي في الطبقة الثانية من النحويين الكوفيين. (ت189هـ). ترجمته في: (طبقات النحويين واللغويين: 128 ـ 130، الأعلام: 5/ 93).

سَرْدُ أَثَرٍ: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ[1] قَالَ: «حَدَّثَتْنِي أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ أَنَّهَا شَهِدَتْ وِلَادَةَ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ الزُّهْرِيَّةِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ وَلَدَتْهُ لَيْلاً ـ: فَمَا شَيْءٌ أَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا نُوِّرَ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى النُّجُومِ تَدْنُو حَتَّى أَنِّي لأَقُولُ تَقَعُ عَلَيَّ»[2]. وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ الْعَظِيمُ رَجْمَ الشَّيَاطِينِ بِالشُّهُبِ فِي قَوْلِهِ حِكَايَةً عَنْهُمْ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾ [الجن: 8]. وَفِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: 9]. وَمَا ذٰلِكَ إِلَّا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَطَعَ الشَّيَاطِينَ عَنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ لِيَقْطَعَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُلْقُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ، وَالأُمُورِ الْمُغَيَّبَةِ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ بِوَاسِطَةِ وَحْيِهِ سُبْحَانَهُ.

وَ**(الصَّنَمُ)**: هُوَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ عُودٍ، أَوْ نُحَاسٍ. وَقِيلَ: إِنَّ أَصْلَهَا مِنْ حِينِ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ، فَرَفَعُوا حِجَارَةً عَلَى جِهَةِ التَّبَرُّكِ بِهَا وَالتَّعْظِيمِ، فَانْفَرَدَ كُلُّ رَجُلٍ بِحَجَرٍ؛ ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ آلَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَنْ تَغَالَوْا فِي ذٰلِكَ حَتَّى صَارُوا يَسْجُدُونَ لَهَا. ثُمَّ شَاعَ ذٰلِكَ فِيهِمْ حَتَّى صَارَ كُلٌّ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ صَنَماً مِمَّا شَاءَ عَلَى قَدْرِ مَا يَشْتَهِيهِ، وَعَلَى قَدْرِ وَجْدِهِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَصْنَعُهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْنَعُهُ مِنْ فِضَّةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْنَعُهُ مِنْ نُحَاسٍ.

فَإِنْ قِيلَ: ظَاهِرُ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ أَنَّ الأَصْنَامَ كَانَتِ الشُّهُبُ تَقَعُ عَلَيْهَا، وَعَلَى عَدَدِهَا؛ وَالَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّ الْجِنَّ أَخْبَرُوا أَنَّهَا كَانَتْ رَصَداً لَهُمْ لَا لِلأَصْنَامِ؟

وَالْجَوَابُ: إِنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا كَانَتْ مُعَدَّةً لِلْجِنِّ، وَأَنَّهَا كَانَتْ تَرْمِيهِمْ

---

(1) هو عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان بن ثقيف، صحابي من أهل الطائف. (ت/نحو51هـ). ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 5/ 372، الإصابة: 5443، الأعلام: 4/ 207).

(2) سيرة ابن هشام: 1/ 159 ـ 160، دلائل أبي نعيم: 1/ 135، الخصائص: 1/ 45، مجمع الزوائد: 8/ 230، السيرة الحلبية: 1/ 91 ـ 93.

بِالشُّعَلِ، أَنْ لَا تَخِرَّ الأَصْنَامُ عِنْدَ رَمْيِ الْجَانِّ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْجَانُّ الْهَارِبَةُ تَأْوِي إِلَى حَيْثُ الأَصْنَامُ، فَأَعَدَّ إِلَى كُلِّ فِرْقَةٍ تَأْوِي إِلَى الأَصْنَامِ مَا يَحْرِقُهَا، وَيُنَكِّسُ مَا أَوَوْا إِلَيْهِ مِنْهَا. وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ: «أَنَّ الْعَرَبَ لَمَّا رَأَوْا رَجْمَ النُّجُومِ دَهَشَتْ، وَمَرَّتْ إِلَى رَجُلٍ كَانَ عِنْدَهُمْ مُعَدّاً لِبَيَانِ مَا يَشْكُلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الأُمُورِ، سَأَلُوهُ عَنْ هٰذَا الْحَادِثِ، فَقَالَ لَهُمْ: اتْرُكُونِي إِلَى بَعْدِ هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَأُجِيبُكُمْ. فَسَهِرَ يَنْظُرُ، فَإِذَا بِهِ يَرَى ذٰلِكَ، حَتَّى لَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ لَهُمْ: مَا كُنْتُ أَخَافُ إِلَّا أَنْ يَحْدُثَ حَادِثٌ بِسُقُوطِ السَّمَاوَاتِ وَتَبْدِيلِ هَيَاكِلِهَا، فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ وَجَدْتُ الثَّوَابِتَ مِنَ النُّجُومِ مَا اخْتَلَّ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا سَقَطَ مِنْهَا شَيْءٌ، فَمَا هٰذَا إِلَّا أَمْرٌ حَجَبَ اللهُ بِهِ عَنْ مُسْتَرِقِي السَّمْعِ مَا كَانُوا يَتَعَهَّدُونَ مِنَ الاسْتِرَاقِ»[1].

وَفِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ أَوَّلَ الْعَرَبِ فَزِعَ لِرَمْيِ النُّجُومِ حِينَ رُمِيَ بِهَا حَيٌّ مِنْ ثَقِيفٍ، جَاؤُوا إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ[2] قَالُوا لَهُ: يَا عَمْرُو، أَلَمْ تَرَ مَا حَدَثَ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْقَذْفِ بِهٰذِهِ النُّجُومِ؟ قَالَ: بَلَى، فَانْظُرُوا، فَإِنْ كَانَتْ مَعَالِمُ النُّجُومِ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَتُعْرَفُ بِهَا الأَنْوَاءُ مِنَ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ لِمَا يُصْلِحُ النَّاسَ فِي مَعَايِشِهِمْ هِيَ الَّتِي يُرْمَ بِهَا، فَذٰلِكَ وَاللهِ طَيُّ الدُّنْيَا وَهَلَاكُ هٰذَا الْخَلْقِ الَّذِي فِيهَا. وَإِنْ كَانَتْ نُجُوماً غَيْرَهَا وَهِيَ ثَابِتَةٌ عَلَى حَالِهَا فَهُوَ لِأَمْرٍ أَرَادَهُ اللهُ»[3].

---

(1) ينظر: سيرة ابن هشام: 1/ 204 ـ 206، دلائل أبي نعيم: 1/ 225 ـ 228، الخصائص: 1/ 110 ـ 112، السيرة الحلبية: 1/ 335.

(2) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري، اشتهر في الجاهلية، وشهد بدراً مشركاً، ثم أسلم وحضر بئر معونة فأسر، مات بالمدينة في خلافة معاوية، وله عشرون حديثاً. (ت55هـ). ترجمته في: (تاريخ الطبري: 3/ 31، الإصابة: 5767، الأعلام: 4/ 73).

(3) سيرة ابن هشام: 1/ 206 ـ 207، دلائل النبوة لأبي نعيم: 1/ 225، وللبيهقي: 1/ 114، الخصائص: 1/ 111، فتح الباري: 10/ 297، السيرة الحلبية: 1/ 335 ـ 336.

69 ـ قال:

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ مُنْهَزِمٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ[1]

شرح: [158]// يُرْوَى: **(عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ)**. وَيُرْوَى: **(عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ)**. وَجَاءَ بِحَرْفِ الْغَايَةِ مُبَيِّناً لِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بَعْدَ أَنْ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ رَصَداً، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ فَرُّوا مُنْهَزِمِينَ يَقْفُو مُنْهَزِمٌ مُنْهَزِماً، وَتَشَتَّتُوا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ الَّذِي كَانُوا يَتَوَصَّلُونَ مِنْهُ إِلَى أَخْبَارِ السَّمَاءِ، وَهُوَ مَجْرَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُوحَى إِلَيْهِمْ بِمَا يُبَلِّغُونَ.

وَمَعْنَى **(يَقْفُو)**: يَتَّبِعُ قَفَا الْهَارِبِ. تَقُولُ: قَفَوْتُ الرَّجُلَ، أَيْ: صِرْتُ مُتَّبِعاً لَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَأَثَرُهُ دَلِيلٌ عَلَى قُرْبِ مُتَّبِعٍ مِنْ مُتَّبَعٍ.

وَ**(الْمُنْهَزِمُ)**: الْمَغْلُوبُ الْمَقْهُورُ الْمَطْرُودُ عَنْ قَصْدِهِ. وَأَصْلُ الْهَزْمِ فِي اللُّغَةِ: الْكَسْرُ وَالصَّرْفُ. تَقُولُ: هَزَمْتُ الشَّيْءَ هَزْماً: كَسَرْتُهُ. وَهَزَمْتُ الْجَمْعَ فِي الْحَرْبِ: صَرَفْتُهُمْ. وَصَرَفَهُمْ: هُوَ أَيْضاً كَسَرَهُمْ. حَتَّى إِنَّ الْعَامَّةَ إِنَّمَا يَسْتَعْمِلُونَ الْهَزْمَ وَالْكَسْرَ، فَيَقُولُونَ: كَسَرَ بَنُو فُلَانٍ بَنِي فُلَانٍ وَهَزَمُوهُمْ. وَهَزَمَتِ الرَّحِمُ هَزْماً: مَا لَمْ تَقْبَلِ الْوَلَدَ لِعَارِضٍ فِيهَا.

وَتَعَلَّقَتِ الْغَايَةُ بِـ **(مُنْقَضَّةٍ)**، أَيْ: دَامَ الانْقِضَاضُ حَتَّى غَدَوْا. وَيَتَأَتَّى تَعَلُّقُهَا بِـ **(عَايَنُوا)**. وَالأَوَّلُ أَقْعَدُ.

وَلَيْسَ فِي ذِكْرِ **(مُنْهَزِمٍ إِثْرَ مُنْهَزِمٍ)** مَا يُوهِنُ الْقَصْدَ مِنْ أَنْ يُقَالَ: الْمُنْهَزِمُونَ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاظِمُ إِلَّا اثْنَيْنِ، لأَنَّ الْمَقْصَدَ أَنَّ الأَمْرَ ضَاقَ بِالشَّيَاطِينِ حَتَّى فَرُّوا يَقْفُو بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا مِنَ الْخَوْفِ انْتِشَاراً حَتَّى يَمُرَّ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِهِ لَمَّا أُحِيطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

---

(1) الديوان: 195 برواية: «عن طريق الوحي...».

فَإِنْ قِيلَ: أَمَّا مُعَايَنَةُ أَهْلِ الشِّرْكِ وَغَيْرِهِمُ انْقِضَاضَ الرُّجُومِ فَوَاضِحٌ، وَمِنْ أَيْنَ أَدْرَكُوا أَنَّ ذٰلِكَ كَانَ رَجْماً لِلشَّيَاطِينِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ النَّاظِمَ إِنَّمَا أَخْبَرَ بِأَنَّهُ رَجْمٌ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ، وَأَمَّا حَالُ أَهْلِ الدِّينِ الْمُعْوَجِّ فَقَدْ أَدْرَكُوا ذٰلِكَ بِمَا تَعَطَّلَ عَنِ الْكَهَنَةِ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ مِنْ بَعْدِ الرَّجْمِ.

وَفِي الْبَيْتِ دَلِيلٌ عَلَى مَا رَكَّبَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَوَاتِ الشَّيَاطِينِ [مِنَ][1] الْقُوَى بِحَيْثُ يَخْتَرِقُونَ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ.

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّيَاطِينَ تَفْهَمُ أَصْوَاتَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ مَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ لَا يَنْتَفِعُ بِسَمَاعِ مَا يَقُولُونَ، وَلَا يَجِدُ مَا يُلْقِيهِ لِلْكَهَنَةِ. وَهَلْ لِسَانُ الْجِنِّ فِي مَا بَيْنَهُمْ بِاللِّسَانِ الَّذِي تَتَكَلَّمُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، أَوْ أَنَّهُمْ يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ وَأَلْسِنَتُهُمْ فِي مَا بَيْنَهُمْ بِلُغَةٍ خَاصَّةٍ [بِهِمْ][2]، إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْ فَهْمِهِمْ مَا تَقُولُهُ الْمَلَائِكَةُ اتِّحَادُ أَلْسِنَتِهِمْ؟

وَفِي الْبَيْتِ: التِّكْرَارُ، وَهُوَ مِنَ الْمَحْمُودِ، إِذِ الْمُنْهَزِمُ الْمَتْبُوعُ غَيْرُ الْمُنْهَزِمِ التَّابِعِ. وَهَلْ يُكْتَفَى بِهٰذَا الْقَدْرِ فِي بَابِ التَّجْنِيسِ؟ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ، وَإِنْ رَكَنَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ، إِذْ لَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَكَانَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 251]، وَكَذَا: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[3].

وَهُنَا **نُكْتَةٌ**: وَهُوَ أَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّ الشُّهُبَ كَانَتْ تَنْقَضُّ عَلَى

(1) لا توجد لفظة «من» في الأصل ولعل الأنسب للمعنى إثباتها.
(2) في الأصل: «به» ولعل الأنسب ما أثبتناه لأن الضمير يعود على الجن.
(3) سبق تخريجه ص172.

الْجِنِّ، وَظَاهِرُ كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ قَوْلِهِ: «تَرْمِي الْجِنَّ بِالشُّعَلِ»، أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَرْمِي الْجِنَّ بِالشُّعَلِ، فَالشُّهُبُ إِذَنِ: الْمَلَائِكَةُ تَرْمِي بِهَا الْجَانَّ.

وَفِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونُ فِي هٰذِهِ النُّجُومِ الَّتِي [يُرْمَى][1] بِهَا؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ كُنَّا نَقُولُ حِينَ رَأَيْنَاهَا: مَاتَ مَلِكٌ، أَوْ وُلِدَ مَوْلُودٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ كَذٰلِكَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ إِذَا قَضَى فِي خَلْقِهِ أَمْراً سَمِعَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ فَسَبَّحُوا فَسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ، فَلَا يَزَالُ التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسَبِّحُوا، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مِمَّ سَبَّحْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا مَنْ فَوْقَنَا سَبَّحَ فَسَبَّحْنَا، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَلَا تَسْأَلُونَ؟ فَيَسْأَلُونَ فَيَقُولُ لَهُمْ: [قَضَى اللهُ فِي خَلْقِهِ][2] كَذَا وَكَذَا، فَيَهْبِطُ ذٰلِكَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَتَسْمَعُهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُونَ ذٰلِكَ. لَكِنْ قَذَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ الشَّيَاطِينَ بِهٰذِهِ النُّجُومِ فَانْقَطَعَتِ الْكَهَانَةُ»[3].



(1) طمست العبارة في الأصل وصحت من: سيرة ابن هشام: 1/ 207، السيرة الحلبية: 1/ 339.
(2) في الأصل: «ترمى».
(3) مسلم: 4/ 1750، ابن حبان: 13/ 499، الترمذي: 5/ 362، أحمد: 1/ 218، السنن الكبرى: 6/ 374، وفي الحديث عدة ألفاظ. ينظر: الخصائص: 1/ 112، السيرة الحلبية: 1/ 339.

70 ـ قَالَ:

كَأَنَّهُمْ هَرَباً أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ ... أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي[1]

[159]// **شرح: (أَبْرَهَةُ)**: عَامِلٌ مِنْ عُمَّالِ الْحَبَشِيِّ. وَ(**أَبْرَهَةُ**) بِكَلَامِ الْفُرْسِ: أَبْيَضَ. وَيُقَالُ لَهُ: الأَشْرَمُ، وَهُوَ أَبُو يَكْسُومَ[2]، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِرَسْمِ هَدْمِ بَيْتِ اللهِ ﷻ، وَهُوَ صَاحِبُ الْفِيلِ الْمَذْكُورِ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ.

وَ(**الأَبْطَالُ**): جَمْعُ بَطَلٍ، وَالْبَطَلُ: هُوَ الْفَارِسُ الشُّجَاعُ. وَشَبَّهَ النَّاظِمُ الشَّيَاطِينَ فِي فِرَارِهِمْ مِنَ الشُّهُبِ بِأَبْطَالِ أَبْرَهَةَ حِينَ فَرُّوا مِنْ حِجَارَةِ السِّجِّيلِ الَّتِي كَانَتِ الطَّيْرُ تَرْمِيهِمْ بِهَا، أَوْ بِأَفْرَادِ عَسْكَرِ هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ الَّذِينَ فَرُّوا حِينَ رَمَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحَصَى مِنْ كَفَّيْهِ، وَهُمَا الرَّاحَتَانِ اللَّتَانِ قَالَ النَّاظِمُ: (**مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي**).

وَذَكَرَ النَّاظِمُ هُنَا (**الأَبْطَالَ**) وَهُوَ أَدْخَلُ فِي الْمُعْجِزَةِ، لَا كَمَا قَالَ الْغَيْرُ: «إِنَّهُ لَوْ قَالَ: (أَتْبَاعُ أَبْرَهَةَ) لَكَانَ أَدْخَلَ». وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ (**الأَبْطَالَ**) أَدْخَلُ، لأَنَّ الشُّجْعَانَ لَا يُقْلِعُهُمْ عَنْ مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ وَيَفِرُّونَ فِرَاراً شَدِيداً إِلَّا الأُمُورُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ، الَّتِي لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى مُلَاقَاتِهَا.

وَأَبْرَهَةُ بْنُ الصَّبَاحِ لَعَنَهُ اللهُ لَمَّا جَاءَ يَهْدِمُ الْكَعْبَةَ جَاءَ فِي عَامِ تَزَيَّدَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَقَدْ جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[3] رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: «تَزَيَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفِيلِ»[4].

---

(1) الديوان: 195.

(2) في سيرة ابن هشام: 1/ 61 «يكسوم بن أبرهة»، وفي دلائل أبي نعيم: 1/ 144 «أكشوم بن الصباح».

(3) سبقت ترجمته: ص349.

(4) الترمذي: 3623، الحاكم: 2/ 603، ابن إسحاق في السيرة: 1/ 159، مجمع =

قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ[1] رحمه الله: «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْيَوْمَ الَّذِي حَبَسَ اللهُ ﷻ فِيهِ الْفِيلَ عَنْ وَطْءِ الْحَرَمِ وَأَهْلَكَ الَّذِينَ جَاؤُوا بِهِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (يَوْمَ الْفِيلِ) عَامَ الْفِيلِ».

وَكَانَ أَصْلُ إِتْيَانِهِ لأَرْضِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ بَنَوْا بَيْتاً [نبيا][2] فَأَمَّنُوهَا، جَعَلُوا فِيهِ ذَخَائِرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَعَزَمُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ كَنِيسَةً يَجْتَمِعُونَ بِهَا، وَيَتَدَيَّنُونَ بِأَدْيَانِهِمُ الْبَاطِلَةِ فِيهِ؛ فَنَصَّبُوا فِيهِ أَصْنَامَهُمْ، وَاتَّخَذُوهُ مَعْبَداً يُحَاكُونَ بِهِ الْكَعْبَةَ. فَمَرَّ عَرَبِيٌّ بِبَيْتِهِمْ وَغَاطَ فِيهِ، فَحَرَّكَ ذَلِكَ فِيهِمْ حَرَكَتَهُمُ الْمَشْؤُومَةَ عَلَيْهِمْ. فَأَقْسَمَ رَئِيسُهُمْ بِمَا يَعْظُمُ مِنْ أَصْنَامِهِمْ لَيَمُرَّنَّ إِلَى كَعْبَتِهِمْ، وَلَيُخَرِّبَنَّهَا. وَعَزَمَ عَلَى هَدْمِهَا. فَتَحَرَّكَ صَوْبَ الْحِجَازِ، فَتَنَاصَرَتِ الْعَرَبُ، وَطَلَبُوا عَلَى حِمَايَةِ الْكَعْبَةِ. فَاسْتَعْجَلَتْ طَوَائِفُ مِنَ الْعَرَبِ، فَتَلَقَّوْا عَسْكَرَهُمْ، وَتَقَاتَلُوا مَعَهُمْ. فَأَفْسَدَهُمْ أَبُو يَكْسُومَ. وَأَخَذَ مِنْهُمْ ـ وَسِيطاً ـ عَمْرو[3] بْنَ نُفَيْلٍ، أَحَدَ عُقَلَاءِ الْعَرَبِ، وَكَأَنَّهُ مَنَّ عَلَيْهِ بِإِبْقَائِهِ مَعَهُ. وَعَزَمَ عَلَى اسْتِخْلَاصِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَنْ يُبَصِّرَهُ بِبِلَادِ الْعَرَبِ. وَجَاءَ حَتَّى كَانَ بِمَقْرُبَةٍ مِنَ الْكَعْبَةِ، فَأَغَارَتْ قَوْمُهُ عَلَى مَالٍ لأَهْلِ مَكَّةَ، وَأَخَذُوا لَهُمْ إِبِلاً، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا أَخَذُوا فِيهَا إِبِلاً لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَنَزَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَيْهِ. فَلَمَّا وَصَلَ أَدْرَكَتْ أَبْرَهَةَ مِنْهُ هَيْبَةٌ عَظِيمَةٌ، فَهَشَّ لَهُ، وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَكْبَرَهُ، وَعَظَّمَهُ. وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا أَظْهَرَ مِنْ تَعْظِيمِهِ أَنْ عَزَمَ أَنْ يُطْلِعَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، ثُمَّ خَشِيَ عَنَتَ قَوْمِهِ إِيَّاهُ، فَنَزَلَ عَنِ السَّرِيرِ، وَجَلَسَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ [160]// عَلَى أَرْضٍ وَاحِدَةٍ، وَفِرَاشٍ وَاحِدٍ. فَقَالَ تُرْجُمَانُ أَبِي يَكْسُومَ

= الزوائد: 1/ 196، السيرة الحلبية: 1/ 86 ـ 128، طبقات ابن سعد: 1/ 101.

(1) هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد رشد الأندلسي، أبو الوليد الفيلسوف، من أهل قرطبة، له حوالي خمسين مصنفاً. اتهمه خصومه بالزندقة ونفاه المنصور إلى مراكش وأحرق كتبه. (ت595هـ). ترجمته في: (التكملة: 1/ 269، قضاة الأندلس: 111، المعجب: 242، طبقات الأطباء: 2/ 75، الأعلام: 5/ 318).

(2) كلمة هكذا في الأصل لم أتبين معناها.

(3) في الأصل: «عمر» والصواب ما أثبتناه.

لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ: مَا لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لِلتُّرْجُمَانِ: أَخَذَ قَوْمُكَ لِي إِبِلاً وَجِئْتُ بِسَبَبِهَا. فَأَخْبَرَ بِذٰلِكَ التُّرْجُمَانُ أَبَا يَكْسُومَ. فَقَالَ أَبُو يَكْسُومَ: سَقَطَ مِنْ قَلْبِي، لِكَوْنِهِ اشْتَغَلَ بِالشَّفَاعَةِ فِي إِبِلِهِ وَتَرَكَ الْكَعْبَةَ الَّتِي هِيَ مُتَعَبَّدُهُمْ، وَلَمْ يَسْأَلْنِي الْكَفَّ عَنْهَا. فَأَخْبَرَ التُّرْجُمَانُ بِذٰلِكَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: أَخْبِرْهُ أَنَّ الإِبِلَ لِي، وَأَرَدْتُ أَنْ أَحْمِيَ إِبِلِي، وَأَمَّا الْبَيْتُ فَلَهَا رَبٌّ يَحْمِيهِ، وَمَا لأَحَدٍ عَلَيْهَا بِرَبِّهَا[1] مِنْ سَبِيلٍ. فَأَخْبَرَ التُّرْجُمَانُ بِذٰلِكَ أَبْرَهَةَ، فَصَرَفَ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِبِلَهُ. وَأَطْلَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِبِلَهُ، وَلَمَّا بَلَغَ قَوْمَهُ أَمَرَهُمْ بِالطُّلُوعِ إِلَى الْجِبَالِ، وَوَقَفَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَعِكْرِمَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَارْتَجَزَ هُنَالِكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ فِي بَعْضِ مَا ارْتَجَزَ بِهِ:

لَا هُمَّ إِنَّ الْمَرْءَ يَمْنَـ	ـعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رِحَالَكْ[2]
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ	وَمِحَالُهُمْ كَيْداً مِحَالَكْ
وَانْصُرْ عَلَى آلِ الصَّلِيبِ	وَعَابِدِيهِ الْيَوْمَ آلَكْ

فَبَعَثَ أَبْرَهَةُ قَوْمَهُ، وَبَعَثَ مَعَهُمُ الْفِيلَ، فِيلَ النَّجَاشِيِّ الْمَعْرُوفِ بِمَحْمُودٍ. فَلَمَّا وَصَلَ ذَا الْغَمِيسِ[3] حَبَسَ اللهُ الْفِيلَ عَنِ النُّهُوضِ إِلَى الْكَعْبَةِ؛ فَكَانَ إِذَا ضَرَبُوهُ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ أَبَى، وَإِذَا تَرَكُوهُ انْفَتَلَ وَتَوَجَّهَ رَاجِعاً إِلَى جِهَتِهِ الَّتِي جَاءَ مِنْهَا. وَقِيلَ: إِنَّ [عَمْرَو][4] بْنَ نُفَيْلٍ جَاءَ إِلَى أُذُنِ الْفِيلِ وَقَالَ لَهُ: مَحْمُودُ،

---

(1) كلمة هكذا في الأصل لم أتبين معناها، ولعلها «على قربها».

(2) الرجز في: دلائل النبوة لأبي نعيم: 1/ 146، والخصائص: 1/ 43 برواية: «حلالك»، السيرة الحلبية: 1/ 100، سيرة ابن هشام: 1/ 51، رواية: «عدو». وينظر: سبيل الهدى والرشاد: 1/ 245، وإتحاف الورى: 1/ 42، قال ابن هشام: 1/ 51. «. . . زاد الواقدي: إن كنت تاركهم وقبيـ × لتنا فأمر ما بدا لك» قال: هذا ما صح له منها، الكامل: 1/ 444، تاريخ الطبري: 2/ 135، الفصوص: 2/ 470.

(3) ذا الغميس: في سيرة ابن هشام «المغمس»: موضع بطريق الطائف على ثلثي فرسخ من مكة. ينظر: معجم البلدان: 4/ 214.

(4) في الأصل: «عمر».

أَتَعْمَدُ إِلَى بَيْتِ اللهِ؟ فَتَقَاعَسَ، وَامْتَنَعَ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ»[1].

وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ: «أَنَّ هٰذَا وَقَعَ لَهُمْ فِي سَنَةٍ أُولَى، فَرَجَعُوا عَنِ الْبَيْتِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِعَامَيْنِ خَرَجَ مِنَ الْعَرَبِ حَيٌّ قَدِمُوا عَلَى أَبْرَهَةَ، فَعَجَّزُوهُ فِي إِرْسَالِ مَنْ أَرْسَلَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَأَمَرُوهُ أَنْ يَبْعَثَ الثَّانِيَةَ. فَبَعَثَ الأَسْوَدَ بْنَ مَقْصُودٍ[2] بِكَتِيبَةٍ عَظِيمَةٍ، مَعَهَا الْفِيلُ، حَتَّى إِذَا دَخَلُوا مِنَ الْحَرَمِ، وَنَظَرُوا إِلَيْهِ، بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِهِ طَيْراً أَبَابِيلَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ»[3]. وَ(الأَبَابِيلُ): أَفْوَاجٌ مِنَ الطَّيْرِ، وَلَهَا خَرَاطِيمٌ كَخَرَاطِيمِ الطَّيْرِ، وَأَكُفٌّ كَأَكُفِّ الْكِلَابِ، وَأَنْيَابٌ كَأَنْيَابِ السِّبَاعِ.

وَيُقَالُ: قَدِمَ الْفِيلُ مَكَّةَ يَوْمَ الأَحَدِ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنَ الْمُحَرَّمِ. وَكَانَ أَوَّلُ الْمُحَرَّمِ تِلْكَ السَّنَةِ الْجُمُعَةَ سَنَةَ ثَمَانِ مِائَةٍ وَاثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ. وَوُلِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي تِلْكَ السَّنَةِ يَوْمَ قُدُومِ الْفِيلِ بِخَمْسِينَ يَوْماً. قَالَ النَّقَّاشُ: «كَانَ مَوْلِدُهُ ﷺ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ». وَذَكَرَ غَيْرُ النَّقَّاشِ: «إِنَّهُ لِتِسْعٍ. وَقِيلَ: لِعَشْرٍ. وَقِيلَ: لإِحْدَى عَشَرَ. وَقِيلَ: لاثْنَيْ عَشْرَةَ خَلَوْنَ مِنْهُ». وَعَلَيْهِ مُعَوَّلُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ فِي إِقَامَةِ مَوْلِدِهِ السَّعِيدِ. قَالَ النَّقَّاشُ: «وَكَانَ السَّابِعُ مِنْ دِيمَاهْ مِنْ شُهُورِ الرُّومِ يَوْمَ الْعِشْرِينَ مِنْ نِيسَانَ، وَكَانَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ».

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ[4] بِإِسْنَادِهِ [161]// : «فَأَقْبَلَتْ طَيْرٌ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ كُلِّ طَيْرٍ

---

(1) طبقات ابن سعد: 1/ 90، أبو نعيم: 1/ 144، البيهقي: 1/ 108 ـ 122، الخصائص: 1/ 43، السيرة الحلبية: 1/ 97 ـ 99.

(2) هو الأسود بن مقصود بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن عمرو بن علة بن خالد بن مدمج. سيرة ابن هشام: 1/ 58.

(3) ينظر: (طبقات ابن سعد: 1/ 91، ابن هشام: 1/ 52 ـ 53)، أبو نعيم: 1/ 49، إتحاف الورى: 1/ 42، الخصائص: 1/ 43، السيرة الحلبية: 1/ 99).

(4) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني، أبو عبد الله الواقدي من أقدم المؤرخين ومن حفاظ الحديث. (ت207هـ). ترجمته في: (تاريخ بغداد: 3/ 213، =

ثَلاثَةُ أَحْجَارٍ: حَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ، وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ؛ فَقَذَفَتِ الْحِجَارَةَ عَلَيْهِمْ، مَا يُصِيبُ الْحَجَرُ شَيْئاً إِلَّا هَشَّمَهُ وَإِلَّا نَقَطَ ذٰلِكَ الْمَوْضِعَ. وَكَانَ ذٰلِكَ أَوَّلَ الْجُدَرِيِّ، وَالْحَصْبَاءِ، وَالأَشْجَارِ الْمُرَّةِ. وَبَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ سَيْلاً يُذْهِبُهُمْ إِلَى الْبَحْرِ فَأَلْقَاهُمْ فِيهِ. وَوَلَّى أَبْرَهَةُ وَمَنْ مَعَهُ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ، وَصَارَ يَسْقُطُ مِنْهُ عُضْوٌ بَعْدَ عُضْوٍ، وَهَلَكَتِ الْفِيلَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ إِلَّا مَحْمُودَ، فِيلَ النَّجَاشِيِّ الَّذِي لَمْ يَتَعَمَّدِ الْحَرَمَ لَمْ يَهْلِكْ، وَسَلِمَ دُونَ سِوَاهُ مِنَ الْفِيلَةِ، وَكَانَتْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ فِيلاً»[1]. وَذَكَرَ غَيْرُ النَّقَّاشِ: «إِنَّ أَبْرَهَةَ لَمَّا فَرَّ بِنَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ كَانَ يَسْقُطُ عُضْواً عُضْواً، وَتَبِعَ مَنْ مَعَهُ طُيُورٌ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ، أَسْقَطَتْ عَلَيْهِمُ الطُّيُورُ الْحِجَارَةَ، فَأُصِيبُوا بِهَا، حَتَّى عَايَنَ أَهْلُهُمْ مَا هُلِكَ بِهِ قَوْمُهُمْ مِنْ صُنْعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

قَوْلُهُ: (**كَأَنَّهُمْ هَرَباً**): وَإِنْ هَرَبُوا مَا نَفَعَهُمُ الْهَرَبُ.

وَالْحِجَارَةُ الَّتِي كَانَتْ تُصِيبُهُمْ مِنْ طِينٍ. وَقِيلَ: مِنْ حَجَرٍ إِلَّا أَنَّهَا مُلَطَّخَةٌ بِالطِّينِ وَهُوَ السِّجِّيلُ، وَكَانَتْ صَغِيرَةَ الْجُرْمِ عَلَى قَدْرِ الْعَدَسِ.

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**كَأَنَّهُمْ هَرَباً أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ**)، فِيهِ عَكْسُ التَّشْبِيهِ، وَهُوَ نَوْعٌ بَدِيعٌ عِنْدَ الْبَيَانِيِّينَ: «وَهُوَ أَنْ يُشَبَّهَ الأَقْوَى بِالأَضْعَفِ لِيُعْلِمَكَ بِمَا كَانَ فِي الأَضْعَفِ مِنْ شِدَّةِ مَا حَلَّ بِهِ حَتَّى صَارَ بِحَيْثُ يُشَبَّهُ بِهِ الأَقْوَى، كَقَوْلِكَ فِي مَنْ فَرَّ مِنْ مُصِيبَةٍ فِرَاراً جَارِفاً لِلْعَادَةِ: «الْغَزَالُ صَارَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ أَعْرَجَ»؛ كَأَنَّكَ تَقُولُ: فَرَّ فِرَاراً لَا يَقْوَى الْغَزَالُ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ هُنَا: وَأُخْبِرُكَ بِمَنْ هَرَبَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مَا حَلَّ بِالشَّيَاطِينِ مِنَ الذُّعْرِ أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ.

= وفيات الأعيان: 1/ 506، عيون الأثر: 1/ 17، تذكرة الحفاظ: 1/ 317، الأعلام: 6/ 311).

(1) مغازي الواقدي: 148، ابن هشام: 1/ 52 ـ 54، أبو نعيم: 1/ 149، الخصائص: 1/ 43.

(2) الخصائص: 1/ 43، الدر المنظم: 108.

وَيَحْتَمِلُ وَجْهاً آخَرَ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: كَأَنَّهُمْ فِي هَرَبِهِمْ وَقَعَ بِقُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ مِنْ رَجْمِ الشَّيَاطِينِ إِيَّاهُمْ مَا وَقَعَ بِقُلُوبِ أَبْطَالِ أَبْرَهَةَ مِمَّا حَلَّ بِهِمْ مِنْ رَجْمِ الطَّيْرِ إِيَّاهُمْ بِالْحِجَارَةِ. لَكِنَّ الْوَجْهَ الأَوَّلَ أَظْهَرُ لأَنَّ مَحَلَّ التَّشْبِيهِ الْهَرَبُ. وَ(**هَرَباً**): مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ، أَيْ: كَأَنَّ هَرَبَهُمْ هَرَبُ أَبْطَالِ أَبْرَهَةَ. وَيَصِحُّ نَصْبُهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ: فَكَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ الْهَرَبِ أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هٰذَا تَسَاوِي سُرْعَةِ الْهَرَبِ؛ إِذْ شَبَّهَهُمْ فِي رُجُوعِهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مَمْلُوئِينَ ذُعْراً وَخَوْفاً أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ. وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هٰذَا الْوَجْهِ قَوْلُهُ: (**أَوْ عَسْكَرٍ بِالْحَصَى**)، فَإِنَّ فِي قُلُوبِ الْعَسْكَرِ الَّذِي رَمَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحَصَى فِي وَاقِعَةِ حُنَيْنٍ[1] مِنَ الذُّعْرِ أَعْظَمُ مِمَّا وَقَعَ بِالشَّيَاطِينِ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ سُرْعَةِ الْهُرُوبِ مَا كَانَ لَهُمْ، إِذِ امْتَلأَتْ عُيُونُهُمْ بِالْحَصَى وَكَانَ الْكَافِرُ يُدْخِلُ رَأْسَهُ فِي شَجَرَةٍ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْهُ الْمُؤْمِنُ وَيَأْسِرَهُ، أَوْ يَقْتُلَهُ.

وَشَبَّهَ النَّاظِمُ وَأَفَادَ بِإِعْلَامِ الْخَلْقِ بِمُعْجِزَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ: وَاقِعَةَ أَبْرَهَةَ، وَوَاقِعَةَ هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ. وَكَذٰلِكَ وَقَعَ بِقُرَيْشٍ [162]// يَوْمَ الْخَنْدَقِ[2] وَبِمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ؛ إِذْ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ رِيحاً قَلَبَ أَخْبِيَتَهُمْ.

وَ(**الْحَصَى**): صِغَارُ [الأَحْجَارِ][3] الْمَشُوبَةِ بِالتُّرَابِ.

وَفِي الْبَيْتِ: (مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ)، إِذْ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ وَقَائِعَ مُتَنَاسِبَةٍ فِي حُكْمٍ

---

(1) حنين: اسم موضع قريب من الطائف، وواقعة حنين يقال لها: غزوة هوازن وغزوة أوطاس نسبة إلى الموضع الذي كانت به سنة 8هـ. ينظر: ابن هشام: 2/ 442، الروض الأنف: 4/ 120، السيرة الحلبية: 3/ 61.

(2) الخندق: هو المحفور حول المدينة من جهة الغرب. وغزوة الخندق بعد أحد بسنة ويقال لها: غزوة الأحزاب. ينظر: ابن هشام: 2/ 214، السيرة الحلبية: 2/ 628، الروض المعطار: 221، معجم البلدان: 2/ 392.

(3) في الأصل: «الحجار» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

وَاحِدٍ. وَفِيهِ: (الِاسْتِتْبَاعُ): وَهُوَ الْمَدْحُ بِشَيْءٍ يَلْزَمُ مِنْهُ الْمَدْحُ بِشَيْءٍ آخَرَ، أَوِ الذَّمُّ؛ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: (طويل)

نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ   لَهُنِّئْتَ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ[1]

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ: (كامل)

سَمْحُ الْبَدِيهَةِ لَيْسَ يُمْسِكُ أَصْلَهُ   فَكَأَنَّمَا أَلْفَاظُهُ مِنْ مَالِهِ[2]

مَدَحَهُ بِذَلَاقَةِ الْمَنْطِقِ عَلَى وَجْهِ اسْتَتْبَعَ السَّمَاحَةَ. وَقَالَ ابْنُ الرُّومِي فِي الذَّمِّ: (سريع)

نُهْكَتُهَا تَفْتُلُ جُلَّاسَهَا   لِقُرْبِ مَخْشَاهَا مِنَ الأَمْعَاءِ[3]

هَجَاهَا بِالْبَخَرِ عَلَى وَجْهِ اسْتَتْبَعَ ذَمَّهَا بِالْقِصَرِ. وَقَالَ شَاعِرٌ آخَرُ: (رمل)

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ   يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ[4]

مَدَحَهُ بِالْكَرَمِ وَاسْتَتْبَعَ بِالْمَدْحِ بِالزَّعَامَةِ، وَذٰلِكَ بِأَنَّهُ قَالَ: الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى قَتْلِ أَعَادِيهِ خَشْيَةَ أَنْ يَقْطَعَ مَا تَعَوَّدَ الذِّئَابُ مِنْ إِحْسَانِهِ؛ إِنَّهُ إِذَا أَخَذَ فِي قِتَالٍ فَرِحَتِ الذِّئَابُ، وَرَجَتْ حُصُولَ عَادَتِهَا مِنْ شِبَعِهَا مِنْ لُحُومِ الأَعَادِي الَّتِي عَوَّدَهَا أَكْلَهَا؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: هُوَ مُتَمَكِّنٌ مِنْ قَتْلِ أَعَادِيهِ بِحَيْثُ يَكْفِي فِي بَعْثِهِ عَلَى قَتْلِهِمْ غَرَضُهُ فِي إِشْبَاعِ الذِّئَابِ مِنْ لُحُومِهِمْ. وَكَذَا اسْتَتْبَعَ النَّاظِمُ مَدْحَ الْمَوْلِدِ بِمَا وَقَعَ بِالشَّيَاطِينِ بِوَقَائِعَ؛ إِذْ تُشْبِهُهَا فِي خَرْقِ الْعَادَةِ بِصُنْعِ اللهِ سُبْحَانَهُ، إِظْهَاراً لِعِظَمِ الْمَوْلِدِ وَعِظَمِ دَارِ صَاحِبِ الْمَوْلِدِ.

وَجَمْعُهُ بَيْنَ هٰذِهِ الْمُتَنَاسِبَاتِ هُوَ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ. وَلِلشُّعَرَاءِ فِيهِ أَبْيَاتٌ

---

(1) الديوان: 1/ 277.

(2) سبق تخريجه: ص261.

(3) الديوان: 1/ 173 «المفسا».

(4) البيت للمتنبي في ديوانه: 1/ 262 يمدح بدرا بن عمار ارتجالاً.

حَسَنَةٌ؛ مِنْهَا قَوْلُ [الشَّاعِرِ، وَهُوَ ابْنُ الْخَشَّابِ[1]، فِي الْمُسْتَضِيءِ[2]][3]: (كامل)

وَرَدَ الْوَرَى سَلْسَالَ جُودِكَ فَارْتَوَوْا   وَوَقَفْتُ دُونَ الْوِرْدِ وَقْفَةَ حَائِمِ[4]

ظَمْآنَ أَطْلُبُ خِفَّةً مِنْ زَحْمَةٍ   وَالْوِرْدُ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَزَاحُمِ

جَمَعَ بَيْنَ مُتَنَاسِبَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَمَا تَصَدَّى أَوَّلاً إِلَّا لِوَصْفِ الْمَاءِ. وَقَوْلُ الآخَرِ: (طويل)

عَلَى عَاتِقَيْ مِنْ سَاعِدَيْهَا حَمَائِلُ   وَفِي خِصْرِهَا مِنْ سَاعِدَيَّ وِشَاحُ[5]

جَمَعَ بَيْنَ الْعَاتِقِ وَالْحَمَائِلِ، وَكَذَا بَيْنَ الْخِصْرِ وَالْوِشَاحِ. وَكَذَا بَيْتُ الْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ[6] آخِرُ أَبْيَاتٍ ذَكَرَهَا فِي جَارِيَةٍ لَهُ حَيْثُ قَالَ: (طويل)

وَنَائِمَةٍ قَبَّلْتُهَا فَتَنَبَّهَتْ   فَقَالَتْ: تَعَالَوْا اطْلُبُوا اللِّصَّ بِالْحَدِّ[7]

---

(1) ابن الخشاب: هو عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب النحوي. ترجمته في: (بغية الوعاة 2/ 29، طبقات الحنابلة: 1/ 320).

(2) هو المستضيء بأمر الله الحسن أبو محمد بن المنجد بالله. ترجمته في: تاريخ الخلفاء: 707، المصباح المضيء في خلافة المستضيء: 98.

(3) العبارة في الأصل: (. . . وهو ابن الخشاب في كتابه المسمى بالمستضيء. لم أجد لابن الخشاب هذا كتاباً بهذا الاسم. والعبارة على ما أثبتناه في: المعاهد: 2/ 235، أنوار الربيع: 3/ 127، طراز الحلة: 389، التبيان: 351.

(4) البيتان في: ذيل طبقات الحنابلة: 2/ 235، ومقدمة المرتجل: 9، المعاهد: 2/ 235، أنوار الربيع: 3/ 127، طراز الحلة: 389، التبيان: 351.

(5) البيت لابن الزقاق البلنسي وهو في ديوانه: 129، وجريدة القصر: 3/ 66، نفح الطيب: 2/ 637، و4/ 298، ونسبه العمري في المسالك: 1/ 68 إلى عبد الله بن غالب الرصافي.

(6) هو القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي، الفقيه المالكي، الأديب الشاعر. (ت422هـ). ترجمته في: (الديباج: 159، المرقبة العليا: 40، الفوات: 2/ 44، وفيات الأعيان: 3/ 219، أنوار التجلي: 1/ 313).

(7) الذخيرة: 5/ 518 برواية: «على المذنب الجاني»، وفيات الأعيان: 3/ 220 برواية: «عن أثيم ظلامة» و«على كبد الجاني»، الوفيات: 2/ 49، شذرات الذهب: 3/ 224، محاضرات السيوطي: 2/ 449.

فَقُلْتُ لَهَا: إِنِّي قَدْ فَدَيْتُكِ غَاصِبٌ ... وَمَا حَكَمُوا فِي غَاصِبٍ بِسِوَى الرَّدِّ

خُذِيهَا وَحُطِّي عَنْ أَسِيرٍ ظُلَامَةً ... وَإِنْ كُنْتِ لَمْ تَرْضَيْ مَأْلُفاً عَلَى الْعَدِّ

فَقَالَتْ: قِصَاصٌ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ ... عَلَى السَّارِقِ الْجَانِي أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ

فَبَاتَتْ يَمِينِي وَهْيَ هَمْيَانُ خِصْرِهَا ... وَبَاتَتْ شِمَالِي وَهْيَ وَاسِطَةُ الْعِقْدِ

فَانْظُرْ جَمْعَهُ بَيْنَ هٰذِهِ الْمُتَنَاسِبَاتِ.



71 - قَالَ:

نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا ... نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ[1]

شرح: لَوْلَا مَا تَعَلَّقَ بِهَذَا النَّبْذِ مِنْ تَحْدِيدِ تَشْبِيهِ، وَذِكْرِ تَسْبِيحٍ، لَكَانَ ذِكْرُهُ مِنَ الْحَشْوِ أَلَا تَرَى أَنَّ (**النَّبْذَ**) هُوَ الرَّمْيُ وَالطَّرْحُ، وَهُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ: (**مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي**)، لَكِنَّ قَوْلَهُ: (**رُمِي**) لَا يَتَضَمَّنُ النَّظِيرَ، فَذَكَرَ وَاقِعَةَ يُونُس[2] وَأَفَادَ تَارِيخَ الْوَاقِعَتَيْنِ؛ إِذْ تَسْبِيحُ الْحَصَى بِكَفَّيْهِ ﷺ بَعْدَ وَاقِعَةِ الرَّجْمِ [163]// بِالنُّجُومِ، وَرَمْيِ أَهْلِ أَبْرَهَةَ بِالْحِجَارَةِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ تَسْبِيحُ الْحَصَى فِي كَفِّهِ لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ وَإِنَّمَا كَانَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ. وَتَسْبِيحُ الْحَصَى فِي يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً حِينَ أَخَذَهُ لِرَمْيِهِ عَلَى هَوَازِنَ. وَسَبَّحَ فِي يَدَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى: حِينَ رَمَى بِهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ. وَحِينَ سَبَّحَ فِي يَدَيْهِ نَاوَلَهُ أَبَا بَكْرٍ، فَسَبَّحَ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، وَقِيلَ: وَفِي كَفِّ عُمَرَ رضي الله عنه. وَالتَّسْبِيحُ حَسَّنَ ذِكْرَ بَطْنِ الرَّاحَتَيْنِ لِلنَّاظِمِ. وَحَدِيثُ تَسْبِيحِ الْحَصَى جَاءَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ كَفّاً مِنَ الْحَصَى فَسَبَّحَ فِي كَفِّهِ حَتَّى سَمِعْنَا التَّسْبِيحَ، ثُمَّ صَبَّهُنَّ فِي كَفِّ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّحْنَ، ثُمَّ فِي أَيْدِينَا فَمَا سَبَّحْنَ»[3]. وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ[4] إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ «أَنَّهُنَّ سَبَّحْنَ فِي كَفِّ عُمَرَ»[5]. وَقَصْدُ النَّاظِمِ هُنَا أَنْ يَذْكُرَ هَزْمَ الْعَسْكَرِ بِالْحَصَى، فَاسْتَتْبَعَ بِمَدْحٍ آخَرَ وَهُوَ التَّسْبِيحُ، فَذَكَرَ مُعْجِزَتَيْنِ: هَزِيمَةَ الْقَوْمِ، وَتَسْبِيحَ الْحَصَى.

---

(1) الديوان: 195.

(2) هو نبي الله يونس بن متى. ينظر: تفسير الطبري: 23/ 3، قصص الأنبياء لابن كثير: 254.

(3) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار من كنانة، أبو ذر الغفاري، من كبار الصحابة، روى 281 حديثاً، وفي اسمه واسم أبيه خلاف. ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 4/ 161، الحلية: 1/ 156، الصفوة: 1/ 238، الإصابة: 2/ 60، الأعلام: 140).

(4) دلائل النبوة لأبي نعيم: 2/ 431، البيهقي: 8/ 299، فتح الباري: 7/ 403.

(5) نفسه.

فَإِنْ قِيلَ: النَّاظِمُ يَتَكَلَّمُ فِي مُعْجِزَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا وَجْهُ ذِكْرِ وَاقِعَةِ يُونُسَ؟

قُلْتُ: إِنَّمَا جَلَبَ وَاقِعَةَ يُونُسَ تَوْطِئَةً لِذِكْرِ مُعْجِزَةٍ يَذْكُرُهَا بَعْدَ وَاقِعَةِ يُونُسَ، لأَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّ يُونُسَ أَخْدَمَهُ اللهُ شَجَرَةَ الْيَقْطِينِ[1] بِأَمْرِهِ جَلَّ وَعَلَا أَنْ تَسْتُرَهُ بَعْدَ نَبْذِهِ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ فَكَانَتْ فِي حَقِّهِ مُعْجِزَةً وَإِكْرَاماً لَهُ؛ فَقَالَ النَّاظِمُ: فَإِنْ كَانَ وَقَدْ خَصَّ اللهُ يُونُسَ بِإِخْدَامِ الشَّجَرِ لَكِنْ بِأَمْرِ اللهِ فَقَدْ أَخْدَمَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ الأَشْجَارَ، وَجَعَلَهَا مُمْتَثِلَةً لأَمْرِهِ ﷺ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مُعْظَمَ مَا جَاءَ مِنَ الشَّجَرِ امْتِثَالاً لأَمْرِ مَنْ خَدَمَتْهُ، إِذْ فِيهِ خَرْقُ الْعَادَةِ، إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِ الْبَشَرِ. وَأَمَّا إِنْبَاتُ الشَّجَرِ بِأَمْرِ اللهِ وَإِنْ كَانَا فِيهِ مِنْ خَرْقِ الْعَوَائِدِ كَوْنُهُ أَمَرَهَا فَنَبَتَتْ، لَكِنَّ ذَلِكَ كَأَمْرِهِ الْمُزْنَ بِالنُّزُولِ وَالصَّوَاعِقَ وَغَيْرَهَا، بِخِلَافِ أَنَّ الآدَمِيَّ يَأْمُرُ بِنَفْسِهِ وَقَصْدِهِ، وَأَمْرِهِ جَمَاداً بِالطَّاعَةِ فَيَخْلُقُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْمَأْمُورِ إِدْرَاكاً حَتَّى يُجِيبَ دَعْوَةَ مَنْ أَمَرَهُ بِطَاعَتِهِ فِي مَا قَصَدَ. وَهَذَا مِنَ النَّاظِمِ غَوْصٌ عَظِيمٌ، وَدِقَّةُ نَظَرٍ؛ وَإِلَّا فَمَا وَجْهُ جَلْبِ يُونُسَ بَعْدُ فِي مُعْجِزَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟. وَوَاقِعَةُ يُونُسَ طَوِيلَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ. وَقَدْ بَسَطْنَاهَا فِي «**شَرْحٍ مِنْ شُرُوحَاتِنَا عَلَى الْبُرْدَةِ**» بَسْطاً كُلِّياً، فَلْيَطَّلِعْ عَلَيْهِ مَنْ أَرَادَ الاطِّلَاعَ عَلَى وَاقِعَتِهِ.

وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَمَى الْمُشْرِكِينَ بِالْحَصَى بَعْدَ أَنْ سَبَّحَ فِي كَفِّهِ رَمْياً كَرَمْيِ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا أَنَّ كِلَا الرَّمْيَيْنِ مُعْجِزَةٌ، إِذِ الرَّمْيُ كُلُّهُ مِنَ اللهِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17].

وَسُمِّيَ يُونُسُ الْمُسَبِّحَ مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأْسُ الْمُسَبِّحِينَ، لِكَوْنِ

(1) اليقطين: كل شجر لا يقوم على ساق، وفي التهذيب: اليقطين هو القرع. ل/ قطن.

يُونُسَ وَصَفَهُ اللهُ بِالتَّسْبِيحِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِـ (**الْمُلْتَقِمِ**)، وَلَمَّا كَانَ التَّسْبِيحُ الْمَنْسُوبُ لِيُونُسَ فِي مَكَانٍ خَارِجٍ عَنْ أَمْكِنَةِ الْمُسَبِّحِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قَرِينَةٌ تَصْرِفُهُ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ سَكَتَ عَنِ الْمَنْعُوتِ وَذَكَرَ النَّعْتَ اكْتِفَاءً بِالْقَرِينَةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَعْيِينِهِ أَنَّهُ هُوَ الْمَنْعُوتُ بِهَذَا النَّعْتِ.

[164]// وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاظِمُ نَبْذَ يُونُسَ وَإِنَّمَا قَالَ: (**نَبْذَ الْمُسَبِّحِ**) إِشَارَةً إِلَى أَنَّ تَسْبِيحَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ كَانَ سَبَبَ نَبْذِهِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْ بَطْنِهِ، مَعَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ الْحُوتَ أَنَّ يُونُسَ فِي بَطْنِهِ [لَابِثٌ][1]، أَوْ أَنَّ بَطْنَهُ لَهُ وِعَاءٌ لَا أَنَّ يُونُسَ لَهُ غَذَاءٌ. وَأَوْقَعَ التَّشْبِيهَ بِغَيْرِ آلَةٍ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِهِ، وَقَدْ أَسْلَفْنَا مَا فِيهِ لِلْبَيَانِيِّينَ قَبْلُ.

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: (**بِبَطْنِهِمَا**) رَاجِعٌ لِلرَّاحَتَيْنِ. وَأَفْرَدَ الْبَطْنَ وَهُمَا بَطْنَانِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ: «**قَطَعْتُ رُؤُوسَ الْكَبْشَيْنِ**»، لِوُرُودِهِ فِي إِضَافَةِ الْجَمْعِ إِلَى الْمُثَنَّى قِيَاساً؛ وَمِنْهُ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: 4]، وَإِنَّمَا (**بِبَطْنِهِمَا**) مِنْ بَابِ: (طويل)

فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[2]

وَهُوَ أَقَلُّ مِنْ بَابِ: «**قَطَعْتُ رُؤُوسَ الْكَبْشَيْنِ**». وَقَدْ جَاءَ فِي الْفَصِيحِ فِي الشَّيْئَيْنِ إِذَا كَانَ فِي مَعْنَى الشَّيْءِ الْوَاحِدِ أَنْ يُفْرَدَ الضَّمِيرُ لَهُمَا؛ وَمِنْهُ: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [التوبة: 34]، مَعَ أَنَّ السَّابِقَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ. وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا النَّمَطِ فِي الْكَلَامِ الْفَصِيحِ، فَالْجَمْعُ الْمُضَافُ إِلَى الْمُثَنَّى أَفْصَحُ مِنَ التَّثْنِيَةِ، وَالتَّثْنِيَةُ أَفْصَحُ مِنَ الإِفْرَادِ مَا لَمْ يَكُونَا فِي مَعْنَى الشَّيْءِ الْوَاحِدِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ:

(1) في الأصل: «لابثا»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) البيت لعلقمة بن عبدة في ديوانه: 40، صدره: «به جيف الحسرى فأما عظامها». عظامها فبيض: أي أكلت السباع والطير ما عليها من اللحم فتعرت وبدا وضحها. جلدها فصليب: أي يابس لأنه ملقى بالفلاة لم يدبغ. الصليب: الودك، أي: زال رطباً لاحماء الشمس عليه.

﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: 62]، لَمَّا كَانَتْ طَاعَةُ الرَّسُولِ طَاعَةً للهِ، وَمَا يُرْضِيهِ يُرْضِيهِ حَسُنَ الإِفْرَادُ.

وَ(**نَبْذاً**): مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ (**الْحَصَى**)، كَقَوْلِهِ: أَتَيْتُهُ رَكْضاً.

وَالضَّمِيرُ فِي: (**بِهِ**) عَائِدٌ عَلَى (**الْحَصَى**).

وَالْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ الَّذِي هُوَ (**بَعْدَ**) الْمَصْدَرُ.

وَبَاءُ (**بِبَطْنِهِمَا**) ظَرْفِيَّةٌ.

وَ(**نَبْذَ الْمُسَبِّحِ**) مَصْدَرٌ نَوْعِيٌّ دَالٌّ عَلَى هَيْئَةِ النَّبْذِ، وَفِيهِ دِلَالَةٌ عَلَى التَّشْبِيهِ.

وَ(**مِنْ**) فِي (**مِنْ أَحْشَاءِ**) لابْتِدَاءِ الْغَايَةِ.

وَ(**مُلْتَقِمِ**) اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْتَقَمَ.

وَ(**الأَحْشَاءُ**): جَمْعٌ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَ: (**وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ**)[1]. وَتَعَلَّقَ (**مِنْ أَحْشَاءِ**) بِـ (**نَبْذَ**) لَا بِـ (**الْمُلْتَقِمِ**)، إِذْ لَا يَتَأَتَّى أَنْ يَكُونَ الْتَقَمَهُ مِنْ أَحْشَائِهِ.



(1) الديوان: 192.

72 ـ قَالَ:

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ طَائِعَةً ... تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ[1]

شرح: هَذِهِ الْمُنَاسَبَةُ هِيَ الَّتِي حَمَلَتِ النَّاظِمَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمُسَبِّحِ، لأَنَّهُ لَمَّا نَبَتَتْ عَلَيْهِ شَجَرَةُ الْيَقْطِينِ عَرَّضَ بِذِكْرِهِ لِيُعْلِمَكَ أَنَّ الَّذِي أَنْبَتَ عَلَيْهِ الشَّجَرَةَ أَخْدَمَ نَبِيَّنَا ﷺ الأَشْجَارَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ: «لَمَّا مَرَّ بِنَفَرٍ لَا مَا يَسْتَتِرُ بِهِ فِيهِ لِقَضَاءِ حَاجَةٍ أَخَذَ يَجْرِفُ شَجَرَتَيْنِ، فَتَبِعَتَاهُ، وَظَلَّلَتَا عَلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ صَرَفَهُمَا، فَرَجَعَتَا عَلَى مَا كَانَتَا عَلَيْهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ»[2]. وَكَذَا لَقِيَهُ أَعْرَابِيٌّ لَمْ يَكُنْ آمَنَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي مَا يَنْفَعُكَ؟ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَأَنِّي رَسُولُهُ. قَالَ الأَعْرَابِيُّ: ادْعُ لِي تِلْكَ الشَّجَرَةَ، فَإِنْ أَطَاعَتْكَ آمَنْتُ بِكَ، فَدَعَاهَا، فَجَاءَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ خَدّاً، وَتَتَمَطَّطُ فِي عُرُوقِهَا حَتَّى وَصَلَتْهُ. فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَعِدْهَا إِلَى مَكَانِهَا، فَأَمَرَهَا بِالرُّجُوعِ، فَرَجَعَتْ، فَآمَنَ بِهِ»[3]. وَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْذِرْنِي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ، قَالَ: «إِنَّمَا السُّجُودُ للهِ لَوْ أَذِنْتُ لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»[4].

وَنِعْمَ مَا عَمِلَ النَّاظِمُ فِي جَمْعِهِ (**الأَشْجَارُ**)، إِذْ قَدْ تَعَدَّدَتْ فِي الطَّاعَةِ إِلَيْهِ، وَإِجَابَتِهَا إِيَّاهُ كُلَّمَا دَعَاهَا إِلَيْهِ. وَلَوْلَا أَنَّ النَّاظِمَ جَاءَ بِمَسْأَلَةِ يُونُسَ عَلَى سَبِيلِ التَّوْطِئَةِ لِذِكْرِ مُعْجِزَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لاقْتَضَى اللَّفْظُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ

(1) الديوان: 195 برواية: «ساجدة».

(2) رواه مسلم: 4/ 2306 عن جابر، ورواه أبو نعيم: 2/ 394 بلفظ: «النخلات»، ابن حبان: 8/ 158، الشفا: 1/ 264.

(3) الترمذي: 5/ 245، ابن ماجه: 2/ 1306، الهيتمي: 8/ 292، الشفا: 1/ 263.

(4) الترمذي: 2/ 314، ابن ماجه: 1/ 595، أحمد: 4/ 381، المستدرك: 4/ 172، أبو نعيم: 2/ 379، البيهقي: 7/ 291 ـ 292، الشفا: 1/ 263، الجامع الصغير: 2/ 437، الخصائص: 2/ 255.

لِيُونُسَ؛ لَكِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ لِصَاحِبِ الْمُعْجِزَاتِ الْمَسْرُودَةِ الذِّكْرِ، وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي ذَلِكَ، وَلِأَنَّ النَّاظِمَ جَمَعَ الْأَشْجَارَ، وَيُونُسُ إِنَّمَا أَنْبَتَ اللهُ عَلَيْهِ شَجَرَةً وَاحِدَةً، [165]// وَلَوْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِالذِّكْرِ يُونُسَ، وَالضَّمِيرُ لَهُ، لَمَا كَانَ لِذِكْرِ مُعْجِزَتِهِ فِي هَذَا الْمَحَلِّ مَحَلٌّ.

وَقَوْلُهُ: (**طَائِعَةً**)، أَيْ: خَلَقَ اللهُ لَهَا عَقْلاً تُجِيبُ بِهِ دَعْوَتَهُ. وَيُرْوَى: (**سَاجِدَةً**)، وَ(**طَائِعَةً**) أَلْيَقُ بِالْمَحَلِّ.

وَقَوْلُهُ: (**تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمٍ**) يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الَّذِي كَانَ لَهَا السَّاقُ لَا الْقَدَمُ. وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى مَوْضِعِ الْإِعْجَازِ، إِذِ الْمَشْيُ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ لَهُ الْقَدَمُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ أَوْ مَا قَامَ مَقَامَ الْقَدَمِ كَأَخْفَافِ ذَوَاتِ الْأَخْفَافِ وَأَظْلَافِ ذَوَاتِ الْأَظْلَافِ.

وَالْمُنَاسَبَةُ فِي ذِكْرِ الشَّجَرِ أَنَّ النَّاظِمَ لَمَّا ذَكَرَ مَا أَخْدَمَ اللهُ إِظْهَاراً لِعِنَايَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ [غَيْرِ الْعَاقِلَةِ][1] كَالْفِيلِ وَالطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ، ثُمَّ جَلَبَ مُعْجِزَةَ الْحَصَى وَهُوَ مِنَ الْجَمَادَاتِ جَلَبَ الشَّجَرَةَ وَجَمْعَهَا، لِأَنَّ لِلْأَشْجَارِ خِدْمَةً لَهُ، مِنْهَا: شَجَرَةُ الْأَعْرَابِيِّ، وَالشَّجَرَتَيْنِ اللَّتَيْنِ دَعَاهُمَا فَظَلَّلَتَا عَلَيْهِ، وَشَجَرَةُ الْغَارِ، حِينَ دَخَلَهُ مع أَبِي بَكْرٍ انْضَمَتْ شَجَرَةٌ وَسَدَّتْ بَابَ الْغَارِ، وَهِيَ شَجَرَةٌ يُقَالُ لَهَا: الدَّالَّةُ[2]، مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ.

«وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ غَلْيُونَ[3] حَدِيثَ شَجَرَةِ الْأَعْرَابِيِّ بِسَنَدٍ مُتَّصِلٍ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﵄ وَذَكَرَ فِيهِ حَدِيثَ الْأَعْرَابِيِّ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ»[4].

(1) في الأصل: «الغير عاقلة».
(2) طمس في الأصل، والعبارة مكررة.
(3) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غليون الخولاني القرطبي ولد سنة 418، وتوفي سنة (508هـ). شيخ فاضل، مسند الأندلس. ترجمته في: (النجوم الزاهرة: 5/ 209، شذرات الذهب: 4/ 21 ـ 22، سير النبلاء: 19/ 296).
(4) الحديث في: المستدرك: 4/ 190، الأحاديث المختارة: 6/ 214، مجمع الزوائد: =

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ حَدِيثُ الشَّجَرَتَيْنِ قَالَ: «قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَلْ تُعَيِّنُ لِي مَكَاناً لِحَاجَةِ رَسُولِ اللهِ؟ قُلْتُ: إِنَّ الْوَادِيَ مَا فِيهِ مَوْضِعٌ بِالنَّاسِ. فَقَالَ: هَلْ تَرَى مِنْ نَخْلٍ أَوْ حِجَارَةٍ؟ قُلْتُ: أَرَى نَخْلَاتٍ مُتَقَارِبَاتٍ. قَالَ: انْطَلِقْ لَهُنَّ»[1].

وَفِي حَدِيثِ أُسَامَةَ: «إِنَّ أُسَامَةَ مَرَّ إِلَى النَّخْلَتَيْنِ، وَإِلَى الْحِجَارَةِ، وَأَخْبَرَهُنَّ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرِيدُ قَضَاءَ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ. قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّخْلَاتِ يَتَقَارَبْنَ حَتَّى اجْتَمَعْنَ، وَالْحِجَارَةَ يَتَعَاقَدْنَ حَتَّى صِرْنَ رُكَاماً خَلْفَهُنَّ. فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُلْ لَهُنَّ يَفْتَرِقْنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُنَّ يَتَفَرَّقْنَ، وَالْحِجَارَةَ يَفْتَرِقْنَ حَتَّى عُدْنَ إِلَى مَوَاضِعِهِنَّ»[2].

وَفِي الْبَابِ عَنْ يَعْلَى[3] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[4]. وَفِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ[5] انْفِرَاجُ السِّدْرَةِ حِينَ عَرَضَتْ لِرَاحِلَتِهِ[6]. وَفِي حَدِيثِ أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا: هَلْ لَكَ فِي آيَةٍ أُرِيكَهَا؟ فَأَمَرَهُ بِدُعَاءِ شَجَرَةٍ، فَدَعَاهَا،

= 10/ 252، مصباح الزجاجة: 4/ 188، الشفا: 1/ 268.
(1) مسلم: 4/ 2306، أبو نعيم: 2/ 393. قال في الهامش: أخرجه أبو يعلى والبيهقي بسند حسنه ابن حجر في المطالب العالية. أحمد: 4/ 170، البيهقي: 6/ 8، الخصائص: 2/ 202، الشفا: 1/ 264.
(2) نفسه.
(3) هو يعلى بن مرة بن وهب بن جابر الثقفي، ويقال العامري، واسم أمه سيابة ويدعى بها، ويكنى أبا المرازم، شهد الحديبية وخيبر والفتح وحنين والطائف. ترجمته في: (الاستيعاب: 4/ 1587، أسد الغابة: 4/ 479).
(4) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، صحابي جليل من الأكابر فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ وصاحب سره، ولي بيت المال بالكوفة، وقدم المدينة في خلافة سيدنا عثمان ﵁ وبها توفي. ترجمته في: (غاية النهاية: 1/ 458، الحلية: 1/ 294، الصفوة: 1/ 154، الأعلام: 4/ 134).
(5) غزوة الطائف كانت سنة (8هـ) بعد حنين. ينظر: سيرة ابن هشام: 2/ 478.
(6) ينظر الشفا: 1/ 78.

فَجَاءَتْهُ تَخُدُّ الأَرْضَ، تَجُرُّ عُرُوقَهَا، وَشَهِدَتْ لَهُ بِالرِّسَالَةِ وَأَمَرَهَا بِالرُّجُوعِ فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، وَلَمْ يَكُنْ طَلَبَ الآيَةَ لِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا طَلَبَهَا لِلْقَوْمِ[1].

وَمَعْنَى (**سَاجِدَةً**) عَلَى الرِّوَايَةِ كَ (**طَائِعَةً**) لأَنَّ السُّجُودَ فِي اللُّغَةِ الْخُضُوعُ وَالتَّوَاضُعُ.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ مُتَنَاسِبَيْنِ هُنَا: السَّاقِ وَالْقَدَمِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ تَشْجِيرِ مَحَلِّ الْمُعْجِزَةِ وَالْعُضْوَانِ مَعاً مِمَّا يُعْطِيَانِ مُرَاعَاةَ النَّظِيرِ، جَمْعُهُمَا مُثْبَتَيْنِ، أَوْ مَنْفِيَّيْنِ أَوْ أَحَدُهُمَا مُثْبَتٌ وَالآخَرُ مَنْفِيٌّ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (كامل)

مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَسْرِهِ فَنَهَارُهُ ... فِي وَجْهِهِ وَظَلامُهُ فِي شَعْرِهِ[2]

فَجَمَعَ بَيْنَ الظُّلْمَةِ وَالضِّيَاءِ. وَهَذَا الْمَعْنَى عَمِلَ بَعْضُ الأَصْحَابِ فِي بَيْتِ تَوْشِيحٍ حَيْثُ قَالَ:

فَتَّانَةٌ سَلَّتْ مِنْ لَحْظِهَا سَيْفَ الْحَوَرْ
تَبْرِي إِذَا عَلَتْ مِنْ رَشْفِهَا خَلْفَ الضَّرَرْ
كَمْ عُقْدَةٍ حُلَّتْ لِنَاسِكٍ مَهْمَا نَظَرْ
وَبَاتَ فِي وَسْوَاسٍ مِنْ وَجْهِهَا وَالشَّعَرْ
يَتِيهُ فِي جَبَلٍ بَيْنَ الدُّجَى وَالْقَمَرْ



(1) ابن حبان: 8/ 158، الدارمي: 1/ 22، المستدرك: 4/ 172، الشفا: 1/ 578، الدر المنثور: 2/ 154، مجمع الزوائد: 8/ 292، مسند أبي يعلى: 10/ 34، المعجم الكبير: 12/ 431، أخبار مكة: 4/ 23.

(2) في الأصل: "أشعره" البيت منسوب لأبي أحمد بن سنان الخفاجي في: رفع الحجب المستورة: 1/ 81. وهو في ديوانه: 130. قاله في غلام يرمي من قوس النشاب.

73 ـ قَالَ:

كَأَنَّمَا سَطَّرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ ... فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِالْقَلَمِ[1]

شرح: الرِّوَايَةُ الْكَثْرَى: (**بِالْقَلَمِ**). وَفِيهِ رِوَايَةٌ (**بِاللَّقَمِ**)، وَ(**اللَّقَمُ**)[2]: هُوَ الطَّرِيقُ، كَأَنَّهُ ﷺ تَخَيَّلَ أَنَّ مُرُورَ الشَّجَرَةِ فِي الأَرْضِ عَلَى خَطِّ السَّوَاءِ أَحْدَثَتْ سَطْراً مُسْتَوِياً عَلَى لَوْحِ الأَرْضِ وَلَمَّا كَانَتْ فُرُوعُهَا تَخُدُّ يَمِيناً وَشِمَالاً أُخْدُوداً خَارِجَةً عَنْ خَطَّةِ السَّوَاءِ شَبَّهَهَا بِالْحُرُوفِ النَّائِيَةِ عَنِ السَّطْرِ وَالنَّازِلَةِ عَنْهُ.

وَالرِّوَايَةُ فِي (**سَطَّرَتْ**) بِشَدِّ الطَّاءِ. وَفِيهِ رِوَايَةٌ بِتَخْفِيفِ الطَّاءِ. فَعَلَى رِوَايَةِ التَّشْدِيدِ: كَأَنَّهَا أَحْدَثَتْ بِمُرُورِهَا عَلَى بَسِيطِ الأَرْضِ سَطْراً. وَعَلَى رِوَايَةِ التَّخْفِيفِ: كَأَنَّمَا كَتَبَتْ، لأَنَّ (**سَطَرَ**) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مُخَفَّفاً، بِمَعْنَى: كَتَبَ، تَقُولُ: سَطَرْتُ الْكِتَابَ سَطْراً، أَيْ: كَتَبْتُهُ كَتْباً.

فَ (**سَطْراً**) فِي كَلَامِ النَّاظِمِ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَراً لِـ (**سَطَرَ**) الْمُخَفَّفِ الطَّاءِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولَ (**سَطَّرَتْ**) الْمُشَدَّدِ الطَّاءِ، وَيَكُونُ السَّطْرُ عِبَارَةً عَنِ الْخَطِّ الْمُسْتَطِيلِ عَلَى الاسْتِقَامَةِ لِوَضْعِ حُرُوفِ الْخَطِّ عَلَيْهِ إِنْ أَخَذْنَاهُ بِالْعُرْفِ الْعَامِّ ـ وَهُوَ وَضْعُ حُرُوفِ الْخَطِّ عَلَى السَّطْرِ ـ يَبْعُدُ تَفْسِيرُ (**سَطَّرَتْ**) بِمَعْنَى: كَتَبَتْ، وَإِنْ أَخَذْنَاهُ. وَإِذَا جَعَلْنَا كَتَبَتْ بِمَعْنَى: خَرَقَتِ الأَرْضَ، حَسُنَ تَفْسِيرُ (**سَطَّرَتْ**) بِـ (كَتَبَتْ)، أَيْ: كَأَنَّمَا كَتَبَتْ سَطْراً لأَجْلِ مَا خَرَقَتْ مِنَ الأَرْضِ فِي مَشْيِهَا، لأَنَّ (كَتَبَ) يَكُونُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى: (خَرَقَ). وَلِـ (كَتَبَ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَحَامِلُ

(1) الديوان: 195 برواية: «من بديع الخط في اللقم».

(2) في اللسان: «اللقم: وسط الطريق، وأنشد ابن بري للكميت:

«وعبد الرحيم جماح الأمور ... إليه انتهى اللقم المحمل»

وعن كراع: لقم الطريق ولُقَمه: متنه ووسطه.

كَثِيرَةٌ. انْظر ابْنَ الْقُوطِيَّةِ[1] فِي «**أَفْعَالِهِ**»[2] الَّتِي وَضَعَ.

وَ(**بَدِيعِ الْخَطِّ**): عَجِيبُهُ، أَوْ الْمُحْدَثُ، لأَنَّ أَبْدَعَ بِمَعْنَى: اخْتَرَعَ، وَبِمَعْنَى: حَسَّنَ وَجَوَّدَ؛ وَهُوَ بِحَسَبِ تَفْسِيرَيْ (كَتَبَ)، وَكَوْنَ الْخَطِّ بَدِيعاً لِكَوْنِهِ لَمْ يُعْهَدْ مِنَ الْجَامِدَاتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَالْخَطُّ نَفْسُ الأُخْدُودِ الَّتِي يُحْدِثُ الْحَارِثُ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ عُرْفاً وَاسْتِعْمَالاً.

قُلْتُ: لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بِدْعاً، لأَنَّ شَقَّ الأَرْضِ مَعْهُودٌ، لَكِنْ قَدْ يُقَالُ: شَقَّ بِغَيْرِ آلَةٍ غَيْرُ مَعْهُودٍ، فَيَكُونُ مِنْ هُنَا كَانَ بِدْعاً.

وَفِي الْبَيْتِ: الاسْتِعَارَةُ، وَالتَّوْرِيَةُ، وَتَضَمَّنَ تَشْبِيهَاتٍ مُتَعَدِّدَةً. وَأَحْسَنَ فِي اسْتِعَارَاتِهِ، فَجَعَلَ الْفُرُوعَ أَقْلاماً، وَالْمُسْتَوِيَ سَطْراً، وَآثَارَ أُخْدُودِ الْمُنْحَرِفَاتِ عَنِ الاسْتِوَاءِ حُرُوفاً، وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَحَدِ الْمَأْخَذَيْنِ.

وَفِيهِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، إِذْ جَمَعَ مِنَ الْمُتَنَاسِبَاتِ عِدَّةً.

وَ(**مَا**) فِي قَوْلِهِ: (**مَا كَتَبَتْ**): يَصِحُّ كَوْنُهَا مَوْصُولَةً إِنْ جُعِلَ (**سَطْراً**) عَلَى مَا عُرِفَ. وَإِنْ جَعَلْنَا (**سَطَّرَتْ**) بِمَعْنَى: كَتَبَتْ، فَالأَحْسَنُ كَوْنُهَا مَصْدَرِيَّةً. وَيَصِحُّ كَوْنُهَا مَوْصُولَةً [إِنْ][3] جُعِلَ (**مِنْ**) فِي قَوْلِهِ: (**مِنْ بَدِيعِ**) لِبَيَانِ الْجِنْسِ، وَلَا مُبْهَمَ فِي مَا تَقَدَّمَ إِلَّا (**مَا**)، وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ فِي الْمَصْدَرِيَّةِ. وَإِنْ جَعَلْنَا (**سَطَّرَتْ**): كَتَبَتْ، وَسَطْراً: هُوَ ظَرْفُ الْكَتْبِ، كَانَ تَجْنِيساً.

وَالْبَاءُ فِي (**بِالْقَلَمِ**) لِلاسْتِعَانَةِ. وَعَلَى رِوَايَةِ (**بِاللَّقَمِ**) ظَرْفِيَّةٌ بِمَعْنَى: (فِي).

---

(1) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسي، أبو بكر، المعروف بابن القوطية، من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب، أصله من إشبيلية، مولده ووفاته بقرطبة، له كتاب الأفعال والمقصور والممدود، تاريخ فتح الأندلس. ترجمته في: (وفيات الأعيان: 1/ 512، بغية الوعاة: 1/ 84، مرآة الجنان: 2/ 389، الأعلام: 6/ 312).

(2) اسم الكتاب كاملاً: «بنية الأفعال»، مشهور بـ «أفعال ابن القوطية». ينظر: الأفعال: 69، أفعال السرقسطي: 2/ 151، ابن القطاع: 3/ 75.

(3) لا توجد «إن» في الأصل والأنسب إثباتها.

74 ـ قَالَ:

مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً ... تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِ[1]

شرح: يَجُوزُ خَفْضُ لَامِ (**مِثْل**) عَلَى الْبَدَلِيَّةِ مِنْ (**بَدِيعِ**). وَيَجُوزُ نَصْبُهُ عَلَى أَنَّهُ نَعْتٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ. وَلَيْسَ بِزَائِدٍ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ. وَوَجْهُ الْبَدَلِ مِنْ (**بَدِيعِ**) لَمَّا كَانَ مُرُورُ الأَشْجَارِ غَيْرَ مَعْهُودٍ، وَكَذَلِكَ سَيْرُ انغمامةِ لإِظْلَالِ الْبَشَرِ غَيْرَ مَعْهُودٍ. [167]// وَيَتَّجِهُ عَلَى زِيَادَةِ (**مِثْل**) كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ ذَهَبَ، كَزِيَادَةِ الْكَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، أَيْ: لَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ. وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ حُذَّاقِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ كَلَاماً دَقِيقاً رَقِيقاً يَضِيقُ الْمَحَلُّ عَنْهُ، لِتَجَاذُبِ هَذَا الْمَجْمُوعِ الْغَثَّ وَالسَّمِينَ.

وَ(**الْغَمَامَةِ**): السَّحَابَةُ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: مَجِيءُ الأَشْجَارِ لِخِدْمَتِهِ كَمَجِيءِ السَّحَابَةِ.

وَمَعْنَى (**أَنَّى سَارَ سَائِرَةً**): هَذَا هُوَ خَرْقُ الْعَادَةِ، وَلأَجْلِ ذَلِكَ جَلَبَ ذِكْرَهَا، إِذْ كَانَتْ تَسِيرُ حَيْثُ مَا سَارَ ﷺ تُظِلُّهُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ. فَإِنْ قُرِئَ (**مِثْل**) بِالرَّفْعِ قَوِيَ وَجْهُ زِيَادَةِ (**مِثْل**)، وَتَكُونُ الْجُمْلَةُ خَبَرَهُ. وَلَوْ حَذَفَهَا كَانَ التَّقْدِيرُ: الْغَمَامَةُ أَنَّى سَارَ سَائِرَةٌ، وَيُصَحِّحُ إِذْ ذَاكَ الزِّيَادَةَ لِحَاقُ تَاءِ التَّأْنِيثِ فِي الصِّفَةِ وَالْفِعْلِ. لَا يُقَالُ: لَمَّا أُضِيفَ (**مِثْل**) إِلَى الْمُؤَنَّثِ اكْتَسَبَ التَّأْنِيثَ، لأَنَّ ذَلِكَ لَا يَسُوغُ إِلَّا فِي مَا يَكُونُ الْمُضَافُ جُزْءاً مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَوْ مُنَزَّلاً مَنْزِلَتَهُ؛ كَقَوْلِهِ: (كامل)

---

(1) الديوان: 195.

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ[1] تَضَعْضَعَتْ   سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ[2]

فَالسُّورُ جُزْءٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَذَا قَوْلُ الآخَرِ: (طويل)

وَتَشْرَقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ عَلِمْتَهُ   كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[3]

وَقَدْ نَصَّ الإِمَامُ سِيبَوَيْهِ[4] عَلَى قَصْرِهِ عَلَى مَا هُوَ كَذَلِكَ، أَعْنِي: أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ مُنَزَّلاً مَنْزِلَةَ الْجُزْءِ، أَوْ جُزْءاً حَقِيقِيّاً. وَقَوْلُهُ: **(أَنَّى سَارَ)**: **(أَنَّى)** هُنَا ظَرْفُ مَكَانٍ، بِمَعْنَى: أَيْنَ سَارَ سَارَتْ مَعَهُ. وَ**(سَارَ)** مِنَ السَّيْرِ.

وَقَدْ أَظَلَّتْهُ الْغَمَامَةُ ﷺ فِي أَمَاكِنَ شَتَّى. وَمَسْأَلَةُ الْغَمَامَةِ وَإِنْ كَانَتْ كَمُعْجِزَةِ الشَّجَرَةِ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ دَعَاهَا فَجَاءَتْ، وَالْغَمَامَةَ بُعِثَتْ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ دُعَاءٍ وَلَا سُؤَالٍ، وَلِذَلِكَ كَانَ الإِتْيَانُ بِهَا بَعْدَ مُعْجِزَةِ الشَّجَرَةِ أَوْلَى؛ إِذْ لَوْ قُدِّمَ أَمْرُ الْغَمَامَةِ، لَكِنَّ إِتْيَانَ الشَّجَرَةِ مِنْ بَابِ أَحْرَى، إِذْ يُقَالُ: إِذَا كَانَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ مَا لَمْ يَسْأَلْهُ، فَكَيْفَ مَا يَطْلُبُهُ وَيَسْأَلُهُ؟ وَالأَمَاكِنُ الَّتِي أَظَلَّتْهُ الْغَمَامَةُ فِيهَا: مِنْهَا «سَفْرَتُهُ بِمَالِ خَدِيجَةَ قَبْلَ تَزَوُّجِهِ إِيَّاهَا حِينَ

---

(1) هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي أبو عبد الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم وهو ابن 12 سنة، شهد المشاهد، قتل غيلة يوم الجمل. ترجمته في: (الحلية: 1/ 89، الصفوة: 1/ 132، تهذيب ابن عساكر: 5/ 355، الأعلام: 3/ 43).

(2) البيت لجرير وهو في ديوانه: 295 برواية: «تواضعت»، وهو من الأبيات الشواهد، ينظر: مجاز القرآن: 2/ 163، سيبويه: 1/ 19 - 25، الخصائص: 2/ 418، تفسير الطبري: 1/ 145، ونسبه القرطبي: 1/ 465 لزيد الخيل (توفي في خلافة عمر ﷺ)، وفي سمط اللآلئ: 1/ 379 منسوب للفرزدق، وهو لجرير كما ذكرنا، الجمهرة: 2/ 339، مقاييس اللغة: 2/ 183، التنبيه: 1/ 183، اللسان والتاج/ سور.

(3) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس في هجاء عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان، وهو في ديوانه: 173 برواية: «قد أدعته»، وفيه رواية: «قد أزعته»، وهو من الأبيات الشواهد، ينظر: المقتضب: 4/ 197، سيبويه: 1/ 26، معاني القرآن: 2/ 328، الخصائص: 2/ 417، معجم شواهد العربية: 1/ 368، ولفظ (كما) في البيت مكرر في الأصل.

(4) كتاب سيبويه: 1/ 51 - 402.

وَجَّهَتْ مَعَهُ عَبْدَهَا [مَيْسَرَةَ][1]، وَكَانَ يَرَى الْغَمَامَةَ تُظِلُّهُ. وَلَمَّا وَصَلَ مَعَ الرُّفْقَةِ إِلَى صَوْمَعَةِ الرَّاهِبِ رَأَى الرَّاهِبُ - وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ - الأَشْجَارَ تَسْجُدُ إِلَيْهِ، وَالْغَمَامَةَ تُظِلُّهُ. وَكَانَ لَا يَهْبِطُ لأَحَدٍ فَهَبَطَ؛ إِذْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ بِزَمَنِ بَعْثِ نَبِيِّ ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَسَأَلَ الْقَوْمَ عَنْ ذَلِكَ الشَّابِّ الَّذِي بَقِيَ مَعَ رَحْلِهِ، قَالُوا: مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَ: وَمَا اسْمُهُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ. ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ جَاءَ فَوَجَدَ النَّاسَ أَخَذُوا أَمَاكِنَهُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَلَمْ يَبْقَ مَوْضِعٌ ظَلِيلٌ، فَجَلَسَ ﷺ فِي مَكَانٍ لَا ظِلَّ فِيهِ، فَانْفَتَلَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ إِلَيْهِ، وَأَظَلَّتْهُ. وَأَظَلَّتْهُ أَيْضاً غَمَامَةٌ فِي حَالِ طُفُولَتِهِ، وَرَأَتْ حَلِيمَةُ ذَلِكَ»[2].

وَقَوْلُهُ: **(تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ)**، هَذِهِ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، وَتَصِحُّ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ أَنْ لَوْ وَقَعَ فِيهِ مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولاً مِنْ أَجْلِهِ لَكَانَ مَفْعُولاً مِنْ أَجْلِهِ. وَيُسَمَّى مَا يَكُونُ مِثْلَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَأْخَذَ عِلَّةٍ، وَمَا يُشْبِهُهُ يُسَمُّونَهُ مَأْخَذَ الْعِلَلِ. وَمَعْنَى **(تَقِيهِ)**، أَيْ: تَصِيرُ لَهُ وِقَايَةً مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ. وَ**(الْوَطِيسُ)**: هُنَا اسْتِعَارَةٌ، وَهُوَ فِي الأَصْلِ اسْمٌ لِلتَّنُّورِ الَّذِي تُوقَدُ فِيهِ النَّارُ. وَأَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِحَمْيِ الْوَطِيسِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَقَوْلُهُ: **(حَمِ)**، يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ نَعْتاً، وَهُوَ بِنَفْسِهِ اسْمٌ مُشْتَقٌّ. وَيَصِحُّ كَوْنُهُ فِعْلَ مَاضٍ.

وَحَرْفُ الْعَطْفِ [168]// مِنْ أَوَائِلِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ: وَكَأَنَّ الأَصْلَ: وَجَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ طَائِعَةً وَالْغَمَامَةُ. وَلَوْ قِيلَ: إِنَّ الْخَبَرَ مَحْذُوفٌ، وَتَقْدِيرُهُ: وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ الْغَمَامَةُ. وَالابْتِدَاءُ فِيهَا أَحْسَنُ.

---

(1) في الأصل: «ياسر»، والثابت في سيرة ابن هشام: 2/ 188، ودلائل أبي نعيم: 1/ 122 وغيرها أن اسم الغلام «ميسرة» وليس ياسر.

(2) تنظر في: الترمذي: 5/ 250، طبقات ابن سعد: 1/ 76 - 99، ابن هشام: 2/ 188، أبو نعيم: 1/ 172/ 174، البيهقي: 1/ 245، الخصائص: 1/ 91 - 94، السيرة الحلبية: 1/ 124، كشف الخفاء: 1/ 157.

وَيَصِحُّ كَوْنُ قَوْلِهِ: (**تَقِيهِ**) جَوَاباً لِسُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، كَأَنَّ سَائِلاً قَالَ: وَلِمَ تَسِيرُ الْغَمَامَةُ حَيْثُ سَارَ؟ فَقَالَ: تَقِيهِ حَرَّ الشَّمْسِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: (**سَائِرَةٌ**) مَرْفُوعٌ، وَهُوَ خَبَرٌ عَنْ (**مِثْلَ**)، إِذْ هُوَ زَائِدٌ، وَالتَّقْدِيرُ: وَالْغَمَامَةُ سَائِرَةٌ حَيْثُ سَارَ. وَيَصِحُّ نَصْبُ (**سَائِرَةً**) عَلَى الْحَالِ، وَتَكُونُ مُؤَكِّدَةً، إِذْ تَقْدِيرُهُ تَسِيرُ أَنَّى سَارَ. فَأَفَادَتِ الْحَالُ مَا أَفَادَ الْفِعْلُ قَبْلَهَا، وَهُوَ شَأْنُ الْحَالِ الْمُؤَكِّدَةِ.

وَ(**تَقِيهِ**): أَيْضاً فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْغَمَامَةِ.

وَ(**حَرَّ**): مَفْعُولٌ ثَانٍ لِـ (**تَقِيهِ**)، لأَنَّهُ يَطْلُبُ مَفْعُولَيْنِ.

وَ(**الْوَطِيسُ**): مَصْدَرُ وَطِسَ يَطِسُ وَطِيساً. وَ(الْوَطْسُ) بِسُكُونِ الطَّاءِ: ضَرْبُ الْبَعِيرِ بِخُفِّهِ الأَرْضَ لِشَوْكَةٍ عَلِقَتْ بِهِ، أَوْ نَحْوِهَا.



75 ـ قَالَ:

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ[1]

شرح: الْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ وَاضِحَةٌ، لأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ وَاقِعَةَ الْجِنِّ، وَأَبْرَهَةَ وَقِصَّةَ هَوَازِنَ، وَذَيَّلَ عَلَى إِجَابَةِ الأَشْجَارِ، وَشَبَّهَ إِجَابَتَهَا بِخِدْمَةِ الْغَمَامَةِ إِيَّاهُ بِظِلِّهَا، أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: كَمَا سُخِّرَتْ لَهُ الْجَمَادَاتُ الأَرْضِيَّةُ سُخِّرَتْ لَهُ الْجَمَادَاتُ السَّمَاوِيَّةُ، مَعَ مَا هَمَّ إِلَيْهِ مِنَ التَّعْرِيفِ بِجَلَالَةِ قَدْرِ الْمَمْدُوحِ، فَذَكَرَ الْغَمَامَةَ وَأَتْبَعَهَا بِذِكْرِ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ؛ وَكَانَ ذِكْرُ الْقَمَرِ مُتَأَخِّراً عَنْ ذِكْرِ الْغَمَامَةِ، لأَنَّ الْغَمَامَةَ كَانَتْ تَأْتِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهُ إِيَّاهَا أَحَدٌ، وَلَا سَأَلَهَا هُوَ لِنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْقَمَرُ فَإِنَّهُ آيَةٌ سَأَلَهَا مِنْهُ كُفَّارُ مَكَّةَ عَلَى جِهَةِ التَّعْجِيزِ.

وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ نَصَّ اللهُ ﷻ عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝﴾ [القمر: 1]. وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ كُلُّهُمْ عَلَى وُقُوعِهِ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[2] رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةٌ أَسْفَلَهُ»[3]؛ «وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ بَعَثُوا إِلَى حَبِيبٍ وَقَالُواْ لَهُ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَحْضُرَ لِتُقِيمَ حُجَّةً عَلَى مُحَمَّدٍ فِي مَا هُوَ يَدْعُو إِلَيْهِ. فَنَزَلَ حَبِيبٌ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَذْكُرُ أَنَّ اللهَ بَعَثَكَ رَسُولاً فَأَرِنَا آيَةً، فَإِمَّا أَنْ نَتَّبِعَكَ وَنَعْلَمَ مِنْهَا صِدْقَكَ، أَوْ يَظْهَرَ لَنَا عَجْزُكَ.

---

(1) الديوان: 195.

(2) هو سعيد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، صحابي جليل، ت بالمدينة/ 74هـ. ترجمته في: (الحلية: 1/ 369، الصفوة: 1/ 291).

(3) البخاري: 15/ 89 و18/ 117، مسلم: 4/ 2158، الترمذي: 5/ 71، ابن حبان: 14/ 420، المستدرك: 2/ 513، أحمد: 1/ 377، المعجم الكبير: 10/ 74. وفي الحديث لفظ: فلقتين وفرقتين وشقتين.

فَسأَلَ حَبِيبٌ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ وَكَانَ الْوَقْتُ لَيسَ وَقْتَ إِقْمَارِهِ. فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْتَظِرُ مَا يَأْتِيهِ بِهِ الْوَحْيُ وَإِذَا بِجِبْرِيلَ عليه السلام نَزَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، سَلْ مِنَ الْقَمَرِ مَا شِئْتَ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَهُ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ قَبْلَ مَبْعَثِكَ بِكَذَا وَكَذَا سَنَةً. فَصَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْجَبَلِ وَنَادَى بِالْقَمَرِ، فَأَطْلَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ، فَأَمَرَهُ بِالانْشِقَاقِ، فَطَلَعَ مُقْمِراً وَانْشَقَّ، فَآمَنَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ»[1].

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا حِكْمَةُ النَّاظِمِ أَنَّهُ أَقْسَمَ بِالْقَمَرِ وَلَمْ يُقْسِمْ بِالشَّمْسِ وَهِيَ ذَاتُ النُّورِ الأَصْلِيِّ، وَالْقَمَرُ أَصْغَرُ مِنْهَا، وَنُورُهُ دُونَ نُورِهَا، وَقِيلَ: إِنَّ نُورَهُ مُسْتَفَادٌ مِنْ نُورِهَا؟

قُلْتُ: إِنَّمَا أَقْسَمَ بِالْقَمَرِ لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَ قَلْبِهِ ﷺ وَبَيْنَهُ، إِذْ قَلْبُهُ ﷺ شُقَّ، وَهُوَ مُعْجِزَةٌ وَشُقَّ الْقَمَرُ، وَانْشِقَاقُهُ مُعْجِزَةٌ، وَكِلاهُمَا انْشِقَاقٌ عَلَى جِهَةِ التَّعْظِيمِ. الثَّانِيَةُ: كَوْنُ الْقَمَرِ مَحَلَّ ضِيَاءِ الشَّمْسِ، وَالْقَلْبِ مَحَلَّ ضِيَاءِ الرُّوحِ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الثَّانِيَةُ لَيْسَتْ بِقَاصِرَةٍ [169]// عَلَى الْمَمْدُوحِ، لَكِنَّ الشَّبَهَ مَوْجُودٌ. وَأَيْضاً فَإِنَّ الْقَمَرَ يُدْرِكُ بِهِ أُمُوراً خَفِيَّةً فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مَعَ أَنَّ اللَّيْلَ مَحَلُّ تَرَاكُمِ الظُّلَمِ، فَإِنَّهُ إِذَا طَلَعَ مَحَاهَا، وَكَشَفَ كُلَّ مَا كَانَ خَفِياً. وَالْقَلْبُ يُدْرِكُ بِهِ الأُمُورَ الْخَفِيَّةَ فِي غَيَابَاتِ الْجِسْمِ بِنُورِ الْعَقْلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا يُدْرَكُ بِالشَّمْسِ أَكْثَرُ مِمَّا يُدْرَكُ بِالْقَمَرِ، إِذِ الشَّمْسُ آيَةُ النَّهَارِ وَهِيَ ثَابِتَةٌ وَبِهَا تُذْهَبُ ظُلُمَاتُ اللَّيْلِ، وَالْقَمَرُ قَدْ تُدْرِكُهُ الْغَيْبُوبَةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَجْزَاءِ اللَّيْلِ، فَمُنَاسَبَتُهَا لِلْقَلْبِ أَشَدُّ، بِدَلِيلِ أَنَّ قَلْبَ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ التَّشْبِيهُ نُورٌ أَذْهَبَ اللهُ بِهِ ظَلَامَ الْكُفْرِ، وَاسْتَرْسَلَ اسْتِرْسَالاً فِي مَجْمُوعِ أَجْزَاءِ أُمَّتِهِ كَمَا اسْتَرْسَلَ ضِيَاءُ الشَّمْسِ فِي مَجْمُوعِ أَجْزَاءِ النَّهَارِ، وَأَنَّ ضِيَاءَهَا بَعْدَ ظُهُورِهِ لَا يَظْهَرُ مَعَهُ ضِيَاءُ كَوْكَبٍ، وَالْقَمَرُ تَبْقَى مَعَهُ الْكَوَاكِبُ، وَقَدْ يَغِيبُ وَيَبْقَى ضِيَاءُ

(1) الشفا: 1/ 543، أبو نعيم: 1/ 279، البيهقي: 1/ 278، الخصائص: 1/ 125.

الْكَوَاكِبِ، وَالشَّمْسُ أَكْبَرُ النَّيِّرَاتِ كَمَا أَنَّ قَلْبَ الْمَمْدُوحِ أَكْبَرُ الْقُلُوبِ وَأَكْثَرُهَا نُوراً.

قُلْتُ: لَا شَكَّ أَنَّ الْقَمَرَ خُصَّ هُنَا بِنِسْبَةِ الانْشِقَاقِ مَعَ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ. وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ مُسَاوَاتُهُ لِمَا نَاسَبَهُ فِي بَعْضِ الأَشْيَاءِ. وَلَمْ يَكْتَفِ النَّاظِمُ بِالتَّمْثِيلِ بِالْقَمَرِ اسْتِغْنَاءً عَنِ الشَّمْسِ، بَلْ قَدْ أَتَى بِهَا فِي مَحَلٍّ آخَرَ، فَإِنَّهُ جَلَبَهَا فِي مَوْضِعَيْنِ: الْمَوْضِعُ الأَوَّلُ: حَيْثُ قَالَ:

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ[1]

فَلَمَّا عَبَّرَ عَنْ نَفْسِ ذَاتِهِ جَعَلَهُ شَمْساً. وَمَا قَالَ فِي الْقَمَرِ إِلَّا أَنَّهُ أَقْسَمَ بِهِ لِلْمُنَاسَبَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَقَالَ أَيْضاً فِي كَثْرَةِ ظُهُورِهِ وَخَفَاءِ نُورِهِ عَمَّنْ طَمَسَ اللهُ بَصِيرَتَهُ:

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ[2]

وَلِذَلِكَ كَانَ قَصْدُ النَّاظِمِ مُجَرَّدَ الاشْتِقَاقِ.

وَقَدْ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: (**وَالْبَدْرُ فِي شَرَفٍ**)[3]، لِحِكْمَةٍ أُخْرَى، وَهُوَ أَنَّهُ يَطْلُعُ فِي وَقْتِ الظُّلْمَةِ وَهُوَ فِي أَكْمَلِ هَيْئَةٍ فَيُذْهِبُهَا. وَلَا يَعْدُو مَعَ حُسْنِهِ وَشَرَفِهِ عَلَى أَحَدٍ بَحْرُ أَشِعَّتِهِ. وَلأَنَّهُ فِي شَرَفِهِ وَكَمَالِهِ بِمَحْضَرِ نُجُومِهِ، وَأَصْحَابُهُ ﷺ نُجُومٌ؛ لأَنَّهُ قَالَ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»[4]، فَمَثَّلَ بِالشَّمْسِ حِينَ ظُهُورِهَا، وَبِالْقَمَرِ مَعَ حُضُورِهِ مَعَ نُجُومِهِ وَعَدَمِ نُفُورِ الرَّائِينَ

(1) الديوان: 194، ص230.
(2) الديوان: 193، ص217.
(3) الديوان: 194.
(4) جامع بيان العلم: 2/ 91، المنتخب لابن قدامة: 10/ 199، مجمع الزوائد: 10/ 157، الشفا: 2/ 56، فتح الباري: 4/ 70، كشف الخفاء: 1/ 147، تلخيص الحبير: 4/ 190، خلاصة البدر المنير: 2/ 431، تحفة الطالب: 1/ 212، الإحكام للآمدي: 4/ 198.

مِنْ حَرِّهِ. وَقَدِ اسْتَوْفَى الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ. فَمَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَيْهِ فَلْيَقِفْ(1).

وَ(**أَقْسَمْتُ**): لَفْظُهُ مَاضٍ وَهُوَ إِنْشَاءٌ.

وَالضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِاللَّامِ عَائِدٌ عَلَى الْقَمَرِ.

وَ(**مِنْ**) [فِي](2) قَوْلِهِ: (**مِنْ قَلْبِهِ**) عَائِدٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَ(**نِسْبَةً**): اسْمُ (**إِنَّ**).

وَ(**إِنَّ**) هَذِهِ جَاءَ بِهَا النَّاظِمُ لِلتَّعْلِيلِ وَلَيْسَتْ بِجَوَابٍ لِلْقَسَمِ.

وَقَوْلُهُ: (**مِنْ قَلْبِهِ**): لأَنَّهُ مَحَلُّ السِّرِّ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الْقَسَمِ بِالْقَمَرِ. وَأَمَّا لَوْ قَالَ: مِنْ حُسْنِهِ لَوَرَدَ عَلَيْهِ الاعْتِرَاضُ بِتَرْكِ الشَّمْسِ، وَقَدْ أَجَبْنَا عَنْهُ.

وَقَدْ خَفِيَ مَعْنَى الْمُنَاسَبَةِ عَنْ بَعْضِهِمْ حَتَّى قَالَ: «لَمْ يَظْهَرْ لِي فِيهِ مَعْنًى، وَلَمْ يَتَّضِحْ لِي فِيهِ وَجْهٌ». وَهِيَ سَهْوَةٌ وَقَعَتْ لِمَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْ وُجُوهَ النِّسْبَةِ الَّتِي بَيْنَ الْقَمَرِ وَالْقَلْبِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «إِنَّمَا قَالَ: (الْمُنْشَقّ)، تَنْبِيهاً عَلَى انْشِقَاقِهِ **[170]**// عَلَى وَجْهِ الْمُعْجِزَةِ»؛ وَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ، مَعَ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ بِهِ وَقَعَتِ الْمُنَاسَبَةُ.

وَمَنْ حَمَلَ (**أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ**) عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لَا إِنْشَاءٌ فَبَعِيدٌ. وَإِنَّمَا هُوَ إِنْشَاءٌ، وَجَوَابُهُ فِي مَا بَعْدَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (**مَا سَامَنِي الدَّهْرُ**). وَالْجُمَلُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ الْقَسَمِ وَالْجَوَابِ جُمَلٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ وَلَيْسَتْ كُلُّهَا، وَإِنَّمَا مِنْهَا مَا هُوَ مُقْسَمٌ بِهِ مَعْطُوفٌ عَلَى الْمُقْسَمِ بِهِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ خَبَرٌ مَحْضٌ دَخَلَ عَلَى سَبِيلِ دُخُولِ الْجُمَلِ الاعْتِرَاضِيَّاتِ.

وَقَوْلُهُ: (**مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ**)، أَيْ: إِنِّي بَارٌّ فِي يَمِينِي هَذِهِ أَنَّ بَيْنَ الْقَمَرِ

---

(1) ينظر: الشفا: 1/ 540.

(2) حرف: «في» لا يوجد في الأصل، ولعله سقط.

وَقَلْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نِسْبَةً. هَذَا عَلَى رَأْيِ مَنْ يَجْعَلُ (**إِنَّ**) جَوَابَ هَذَا الْقَسَمِ. وَأَمَّا عَلَى أَنَّ (**مَا سَامَنِي**) هُوَ الْجَوَابُ، فَمَعْنَاهُ: أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ يَمِيناً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ أَنِّي مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً إِلَّا وَنِلْتُ مَا أَرَدْتُ، عَلَى مَا سَيَأْتِي(1)، وَهُوَ التَّحْقِيقُ. وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ جَوَابَ غَيْرِهِ، وَإِلَّا تَنْقَطِعُ الْمُنَاسَبَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ آخِذٌ. وَإِنَّمَا قُلْنَا: لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ خَبَراً لأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى وُقُوعِ الْكَذِبِ فِي أَخْبَارِهِ، إِذْ لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ قَسَمٌ.

وَفِي الْبَيْتِ: نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّرْدِيدِ، وَحَقِيقَةُ التَّرْدِيدِ: «أَنْ يَأْتِيَ الشَّاعِرُ بِلَفْظَةٍ مُعَلَّقَةٍ بِمَعْنًى ثُمَّ يُرَدِّدَهَا بِعَيْنِهَا مُعَلَّقَةً بِمَعْنًى آخَرَ فِي الْبَيْتِ، نَفْسِهِ أَوْ فِي قِسْمٍ مِنْهُ»؛ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ زُهَيْرٍ: (بسيط)

مَنْ يَلْقَ يَوْماً عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِماً ... يَلْقَ السَّمَاحَةَ وَالنَّدَى خُلُقَا(2)

فَعَلَّقَ (يَلْقَ) بِـ (هَرِمٍ) ثُمَّ عَلَّقَهَا بِـ (السَّمَاحَةِ). وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: (طويل)

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَهَا ... وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ(3)

وَالتَّرْدِيدُ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرٌ، فَإِنَّ قَوْلَ النَّاظِمِ: (**أَقْسَمْتُ**) عَلَّقَهُ بِغَيْرِ مَا عَلَّقَ بِهِ الْقَسَمَ فِي (**مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ**)؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (سريع)

وَلَا خَلَوْتُ الدَّهْرَ مِنْ حَاسِدٍ ... وَإِنَّمَا الْفَاضِلُ مَنْ يُحْسَدُ(4)

وَلَوْ كَانَ اللَّفْظَانِ مُخْتَلِفَي الْمَعْنَى لَكَانَ تَجْنِيساً. وَلَا فَرْقَ عِنْدَ أَرْبَابِ عِلْمِ الْبَيَانِ بَيْنَ التَّرْدِيدِ وَالتَّجْنِيسِ؛ إِلَّا أَنَّ التَّجْنِيسَ يَتَّفِقُ لَفْظُ الْكَلِمِ وَيَخْتَلِفُ

---

(1) ينظر: ص339.

(2) سبق تخريجه: ص59.

(3) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو في ديوانه: 30، برواية والمنايا يلنه × ولو نال... وفي المعلقات: 195 «إن يرق أسباب»، أشعار الشعراء الستة: 110 «... يلقها × ولو رمى...»، كفاية الطالب: 139، العمدة: 1/ 567، الطراز: 2/ 214.

(4) البيت غير منسوب في: رفع الحجب: 1/ 37.

مَعْنَاهَا، وَالتَّرْدِيدُ يَتَّفِقُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى، فَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى مُتَّحِداً كَانَ تَرْدِيداً»[1].

وَفِي الْبَيْتِ أَيْضاً: الإِرْصَادُ، «فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ قَافِيَةَ الْقَصِيدَةِ، وَسَمِعَ مِنْ آخِرِ الْعَجُزِ (**مَبْرُورَةً**)، عَلِمَ أَنَّ التَّمَامَ (**الْقَسَم**). وَيُقَالُ لَهُ التَّسْهِيمُ عِنْدَ جَمَاعَةٍ كَابْنِ رَشِيقٍ وَغَيْرِهِ.. وَالإِرْصَادُ مِنْ تَسْمِيَةِ الْمَشَارِقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي هَذَا الشَّأْنِ»[2].

وَفِيهِ أَيْضاً: الاسْتِطْرَادُ: «وَهُوَ أَنْ يَرَى الشَّاعِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ وَصْفَ شَيْءٍ وَهُوَ يُرِيدُ غَيْرَهُ. فَإِنْ تَأَمَّلْتَ هَذَا وَجَدْتَهُ فِي بَيْتِ النَّاظِمِ، فَإِنَّهُ اخْتَارَ الْقَسَمَ بِالْقَمَرِ، لَا لِذَاتِ الْقَمَرِ، بَلْ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى انْشِقَاقِ قَلْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ نَفْسِهِ، وَهُوَ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ السَّمَوْأَلِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالاسْتِطْرَادِ: (طويل)

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً ... إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ[3]

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا ... وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ»[4]



(1) الكلام عن الترديد مكرر هنا. ينظر العمدة: 1/ 566 و611.
(2) ينظر: العمدة: 1/ 618.
(3) سبق تخريجهما: ص386.
(4) الكلام في: العمدة: 1/ 628.

76 ـ قَالَ:

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ ... وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِ[1]

شرح: [171]// قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ (**مَا حَوَى الْغَارُ**) مَعْطُوفٌ عَلَى (**بِالْقَمَرِ**)، أَيْ: أُقْسِمُ بِالْقَمَرِ وَبِمَا حَوَى الْغَارُ، وَهِيَ مُعْجِزَةٌ أُخْرَى كَبِيرَةٌ. وَشَأْنُ الْغَارِ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40]، أَيْ: مَعَنَا بِالْحِفْظِ وَالرِّعَايَةِ. وَ(**الْغَارُ**): فِي الْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ بِثَوْرٍ[2]. وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِمَا فِي الآيَةِ.

وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللهَ ﷻ أَذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ؛ قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: «أَتَانَا رَسُولُ اللهِ وَفِي الْبَيْتِ أَبِي وَأَنَا وَأُخْتِي أَسْمَاءُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي: أَخْرِجْ مَنْ مَعَكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ. وَقَالَ فِي «**جَامِعِ الْبُخَارِيِّ**»: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، لِأَنَّهَا عَائِشَةُ ﵄ كَانَ أَبُوهَا أَنْكَحَهُ إِيَّاهَا. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ أَعَدَّ رَاحِلَتَيْنِ، فَقَدَّمَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إِحْدَاهُمَا، فَلَمْ يَقْبَلْهَا ﷺ مَجَّاناً، بَلْ قَالَ لَهُ: بِالثَّمَنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: بِالثَّمَنِ يَا رَسُولَ اللهِ. فَرَكِبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ»[3].

وَهُنَا سُؤَالٌ حَسَنٌ: وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: حَالُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعْرُوفٌ، وَقَدْ أَنْفَقَ فِي مَحَبَّتِهِ أَمْوَالاً طَائِلَةً، فَمَا وَجْهُ عَدَمِ قَبُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الرَّاحِلَةَ مِنْهُ بِغَيْرِ ثَمَنٍ، مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ لِأَبِي بَكْرٍ بِإِنْفَاقِ الْمَالِ؟

(1) الديوان: 195.
(2) ثور: جبل خلف مكة على طريق اليمن، وفيه الغار المعروف بثور ويقال له: أطحل. ينظر: معجم البلدان: 2/ 86.
(3) البخاري: 15/ 116 ـ 117، و16/ 22 ـ 23، ابن حبان: 8/ 62.

فَأَجَابَ عَنْهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ حِينَ أُورِدَ عَلَيْهِ وَقِيلَ لَهُ: قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي أَهْلٍ وَمَالٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»[1]. وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ حِينَ بَنَى بِعَائِشَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَكَبْشاً، فَلَمْ يَأْبَ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ الْمَسْؤُولُ رضي الله عنه: «إِنَّمَا امْتَنَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قَبُولِ الرَّاحِلَةِ إِلَّا بِالثَّمَنِ لِتَكُونَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، رَغْبَةً مِنْهُ عليه السلام فِي اسْتِكْمَالِ فَضْلِ الْهِجْرَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَنْ تَكُونَ الْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ عَلَى أَكْمَلِ أَحْوَالِهِمَا»، وَهُوَ جَوَابٌ حَسَنٌ.

وَهَذِهِ النَّاقَةُ الَّتِي ابْتَاعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَبِي بَكْرٍ هِيَ النَّاقَةُ الْجَدْعَاءُ مِنْ نُوقِهِ عليه السلام «وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَادَاهُ ثَبِيرٌ[2]. اهْبِطْ عَنِّي فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُقْتَلَ عَلَى ظَهْرِي فَأُعَذَّبَ. فَنَادَاهُ حِرَاءُ: إِلَيَّ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ»[3]. وَجَاءَ أَنَّ جَبَلَ الْغَارِ ـ وَهُوَ ثَوْرٌ ـ نَادَاهُ.

وَذَكَرَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ[4] فِي كِتَابِ «**الدَّلَائِلِ**»: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ الْغَارَ وَأَبُو بَكْرٍ مَعَهُ أَنْبَتَ اللهُ عَلَى فَمِ الْغَارِ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا: الدَّالَّةُ[5]،

---

(1) البخاري: 2/ 129 ـ 130، مسلم: 4/ 189، ابن حبان: 9/ 5، الترمذي: 5/ 607، مجمع الزوائد: 9/ 45، ابن أبي شيبة: 7/ 202، أحمد: 1/ 270.

(2) ثبير: جبل بالمزدلفة في طريق مكة. ينظر: معجم البلدان: 2/ 33، تهذيب الأسماء: 3/ 43.

(3) ينظر: الأنوار المحمدية: 175.

(4) هو قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي أبو محمد، عالم بالحديث واللغة، قيل: إنه أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس، (ت302هـ). ترجمته في: (نفح الطيب: 1/ 346، فهرست ابن خليفة: 191، الأعلام: 5/ 174). واسم الكتاب كاملاً: «الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل»، وهو مخطوط بالخزانة العامة أوقاف 197 قيد التحقيق. ينظر: كشف الظنون: 1/ 760. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 1976، الأعلام: 5/ 174.

(5) الدالة أو الراءة: قال أبو حنيفة: من أغلات الشجر، وتكون مثل قامة الإنسان، ولها زهر أبيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه كالقطن، وأنشد: «ترى ودك الشريف على لحاهم × كمثل الراء لبده الصقيع».

وَهِيَ مَعْرُوفَةُ الْجِنْسِ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ، حَجَبَتِ الْغَارَ عَنْ أَعْيُنِ الْكُفَّارِ. وَالدَّالَّةُ لَهَا زَهْرٌ أَبْيَضُ. وَأَمَرَ اللهُ الْعَنْكَبُوتَ فَنَسَجَتْ عَلَيْهِ. وَأَرْسَلَ حَمَامَتَيْنِ وَحْشِيَّتَيْنِ وَقَعَتَا عَلَى وَجْهِ الْغَارِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا صَدَّ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْغَارِ، وَأَنَّ نَسْلَ الْحَمَامَتَيْنِ هُوَ الْمَعْرُوفُ بِحَمَامِ الْحَرَمِ. وَكَانَ السَّابِقَ فِي الدُّخُولِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ فِي الْغَارِ مَا يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ، فَأَلْقَى فِي الْغَارِ حَجَراً فَأَلْقَمَهُ عَقِبَهُ لِئَلَّا يَخْرُجَ مِنْهُ حَيَوَانٌ مُؤْذِي»[1]. وَفِي الصَّحِيحِ: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُمَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ **[172]**// نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَرَآنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[2].

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا خَفِيَ عَنْهُمُ الْأَثَرُ جَاؤُوا بِالْقَافَةِ، فَصَارُوا يَطُوفُونَ، وَيَقْفُونَ الْأَثَرَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ، فَحِينَ رَأَى أَبُو بَكْرٍ الْقَافَةَ اشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: إِنْ قُتِلْتُ أَنَا فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ قُتِلْتَ أَنْتَ هَلَكَتِ الْأُمَّةُ. فَعِنْدَهَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا»[3]. وَكَانَ حُزْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا عَلَى نَفْسِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحْزَنْ»، وَلَمْ يَقُلْ: «لَا تَخَفْ»، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: 40]؛ فَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ بِـ (السَّكِينَةِ) عَائِدٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَالضَّمِيرُ الْمَخْفُوضُ بِـ (عَلَى) عَائِدٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ. وَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ فِي: (أَيَّدَهُ) عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَ(الْجُنُودُ) الْمَذْكُورَةُ فِي الْآيَةِ هِيَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ فِي الْغَارِ، بَشَّرُوهُ بِالْأَمْنِ وَالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ، فَزَالَ الْخَوْفُ وَذَهَبَ الرَّوْعُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «الضَّمِيرَانِ مَعاً عَائِدَانِ عَلَى

---

(1) الدلائل: 189.

(2) البخاري: 14/ 202، مسلم: 4/ 1854، الترمذي: 4/ 342، ابن حبان: 8/ 62، 9/ 10.

(3) البخاري: 14/ 202، مسلم: 4/ 2309، ابن حبان: 8/ 65، و9/ 10 ـ 11، البغوي: 13/ 367 ـ 368.

رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ تَبَعٌ لَهُ»[1]. وَفِي مُصْحَفِ حَفْصَةَ[2]: ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِمَا﴾.

وَقَدْ كَانَ ظَهَرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ النَّصْرِ مَا وَقَعَ لِسُرَاقَةَ[3] حِينَ تَبِعَهُمَا وَغَرِقَتْ فَرَسُهُ وَتَبِعَهَا دُخَانٌ. وَلَمَّا رَجَعَ سُرَاقَةُ لَامَهُ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ. وَكَانَ سُرَاقَةُ [شَاعِراً][4] فَأَنْشَدَهُ: (طويل)

أَبَا حَكَمٍ وَاللهِ لَوْ كُنْتَ شَاهِداً   لأَمْرِ جَوَادِي إِذْ تَسِيخُ قَوَائِمُهُ[5]

عَلِمْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنَّ مُحَمَّداً   رَسُولٌ بِبُرْهَانٍ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهُ

عَلَيْكَ بِكَفِّ الْقَوْمِ عَنِّي فَإِنَّنِي   أَرَى أَمْرَهُ يَوْماً سَتَبْدُو مَعَالِمُهُ

بِأَمْرٍ يَوَدُّ النَّاسُ فِيهِ بِأَسْرِهِمْ   فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ طُرّاً يُسَالِمُه

وَعَادَ الأَمْرُ عَلَى سُرَاقَةَ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ. وَقَدْ حَلَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِتَاجِ كِسْرَى وَسِوَارِيهِ[6] وَمِنْطَقَتِهِ. وَقَالَ عُمَرُ حِينَ حَلَّاهُ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي

(1) ينظر: تفسير الطبري: 6/ 137، القرطبي: 7/ 148، الألوسي: 5/ 98، القاسمي: 8/ 218، الرازي 8/ 64 ـ 70.

(2) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج الرسول ﷺ بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي، (ت45هـ) بالمدينة. ترجمتها في: (طبقات ابن سعد: 8/ 81، أسد الغابة: 7/ 65، الاستيعاب: 4/ 1811، سير النبلاء: 2/ 227).

(3) هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تميم بن مدلج، المدلجي الكناني، يكنى أبا سفيان، (ت24هـ). ترجمته في: (الاشتقاق: 306، الاستيعاب: 2/ 581 ـ 582، أسد الغابة: 2/ 180 ـ 181).

(4) في الأصل: «شاعر»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(5) في أسد الغابة: 2/ 181 والاستيعاب: 2/ 582، ونهاية الأرب: 16/ 335، والاكتفاء: 1/ 454 برواية: «تسوخ»، في دلائل أبي نعيم: 2/ 337:

«عجبت ولم تشكك   نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه»

و«أرى يوماً ما ستبدو معالمه»، وفي الحماسة المغربية: 1/ 83 ـ 84 «علمت ولم أشكك» و«يكف الناس عني» و«بجمعهم»، وباقي الروايات: «بأسرهم»، إتحاف الورى: 1/ 389 «بأمر تود النفس فيه بأنها»، وفي اللسان: تسوخ وتسيخ: تدخل وتغيب، الروض: 2/ 233، أبو نعيم: 2/ 337.

(6) السوار والسوار: من الحلي، ومنه قوله تعالى: ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾. و﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾، وقيل: القلب من الفضة يسمى سوارا. ل/سور.

سَلَبَ هَذَا كِسْرَى وَحَلَّاهُ أَعْرَابِياً مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ[1]»[2]. وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ عُمَرُ لأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بَشَّرَ بِهَا سُرَاقَةَ حِينَ أَسْلَمَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْهِ بِلَادَ كِسْرَى وَيُغْنِمُهُ مُلْكَهُ، فَاسْتَبْعَدَ ذَلِكَ سُرَاقَةُ فِي نَفْسِهِ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ حُلِيَّهُ سَيُجْعَلُ عَلَيْهِ. فَعَلَ ذَلِكَ عُمَرُ تَحْقِيقاً لِلْوَعْدِ وَإِنْ كَانَ أَعْرَابِياً قُحّاً؛ وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُعِزُّ بِالإِسْلَامِ أَهْلَهُ، وَيُسْبِغُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ نِعَمَهُ وَفَضْلَهُ. وَكَانَ فِي خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْغَارِ حَدِيثٌ طَوِيلٌ. وَقِصَّةُ أُمِّ مَعْبَدٍ. وَذَلِكَ كُلُّهُ مَبْسُوطٌ فِي كُتُبِ أَرْبَابِ السِّيَرِ.

فصل: وَالْحِكْمَةُ فِي خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ مَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ لأَبِي بَكْرٍ مِنْ خِدْمَةِ الْحَيَوَانَاتِ لِرَسُولِهِ وَالْجَمَادَاتِ، وَمَا قُدِّرَ لَهُ مِنْ سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِزِّ أَهْلِهَا بِهِ، وَهِدَايَةِ قَوْمٍ وَضَلَالِ آخَرِينَ، وَلِيَكُونَ دُخُولُهُ لِلْغَارِ سُنَّةً لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ، أَنْ يَتَوَارَى، وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي عَقِيدَتِهِ لِئَلَّا يُقَالَ: لَوْ آمَنَ بِالْقَدَرِ مَا فَرَّ، وَالْمَقْضِيُّ كَائِنٌ. فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عليه السلام [لِتَقْتَدِيَ][3] أُمَّتُهُ بِالتَّحَصُّنِ مِنَ الأَعْدَاءِ، فَإِنَّهُ فِرَارٌ إِلَى اللهِ، وَلَا يَكُونُ فِي فِعْلِهِ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ الْيَقِينِ.

وَكَانَ مُقَامُهُمَا فِي الْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَقَدْ عَطِشَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْغَارِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَهُ: [173]//: «الْتَفِتْ إِلَى جَانِبِ الْغَارِ، فَالْتَفَتَ فَوَجَدَ مَاءً يَسِيلُ، فَشَرِبَ مِنْهُ، فَمَا رَأَى قَطُّ أَعْذَبَ مِنْهُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْمَاءَ عَجِيبٌ. قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ مَلَكاً مُوَكَّلاً بِنَهَرِ الْكَوْثَرِ أَنْ يُنَفِّسَ لَكَ مِنْهُ فَهُوَ مِنْ مَاءِ الْكَوْثَرِ»[4].

(1) بنو مذلج بطن من كنانة وكان لهم علم بالقيافة، ينظر: الاشتقاق: 195، نهاية الأرب: للقلقشندي: 373، معجم قبائل العرب: 5/ 195.

(2) تنظر القصة في: الكامل: 2/ 105، أسد الغابة: 2/ 180، الاستيعاب: 2/ 582، الروض: 233، زاد المعاد: 1/ 55، السيرة الحلبية: 2/ 220.

(3) في الأصل: «ليقتدي» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(4) الخصائص للسيوطي: 1/ 187.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ الأَغْرْنَاطِيُّ[1] فِي «رِحْلَتِهِ»: «إِنَّ طُولَ الْغَارِ الَّذِي اخْتَفَى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شِبْراً، وَطُولَ فَمِهِ الضَّيِّقِ خَمْسَةُ أَشْبَارٍ، وَسَعَتَهُ وَارْتِفَاعَهُ مِنَ الأَرْضِ مِقْدَارُ شِبْرٍ فِي الْوَسَطِ مِنْهُ، وَفِي جَانِبَيْهِ ثُلُثَا شِبْرٍ، وَعَلَى الْوَسَطِ مِنْهُ يَكُونُ الدُّخُولُ، وَسِعَةَ الْبَابِ الثَّانِي الْمُتَّسِعِ مَدْخَلُهُ خَمْسَةُ أَشْبَارٍ أَيْضاً، لأَنَّ لَهُ بَابَانِ، وَالْجَبَلَ الَّذِي فِيهِ الْغَارُ الْمَذْكُورُ هُوَ فِي الْجِهَةِ الْيَمَانِيَةِ مِنْ مَكَّةَ، عَلَى مِقْدَارِ فَرْسَخٍ مِنْهَا. صَحَّ مِنْ «**رِحْلَةِ ابْنِ جُبَيْرٍ**»[2].

وَاشْتِقَاقُ (**الْغَارِ**) مِنَ الْغَوْرِ، لِكَوْنِهِ غَائِراً فِي الأَرْضِ.

وَقَوْلُهُ: (**وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ**): يُرْوَى بِفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ الْيَاءِ سُكُوناً حَيّاً، وَيُرْوَى (**مِنْ خَيْرٍ**) بِكَسْرِ الْخَاءِ وَسُكُونِ الْيَاءِ سُكُوناً مَيِّتاً. فَعَلَى الأَوَّلِ: الْخَيْرُ ضِدُّ الشَّرِّ؛ وَفِي مَا كَانَ فِي الْغَارِ مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ ﷻ خَيْرٌ عَظِيمٌ: مِنْ نُزُولِ السَّكِينَةِ وَإِذْهَابِ الرَّوْعِ وَالْخَوْفِ بِالتَّأْيِيدِ بِالْمَلَائِكَةِ. وَمِنَ الْخَيْرِ خِدْمَةُ الْحَيَوَانَاتِ وَالشَّجَرِ، وَكَفُّ أَبْصَارِ الْكُفَّارِ عَنِ النَّظَرِ، وَصَرْفُ قُلُوبِهِمْ عَنْ كَشْفِ دَاخِلِ الْغَارِ.

وَ(**الْكَرَمُ**): تَكَرُّمُ أَبِي بَكْرٍ بِنَفْسِهِ فِي دُخُولِهِ أَوَّلاً وَسَدِّ جُحْرٍ فِيهِ بِعَقِبِ رِجْلِهِ.

وَرِوَايَةُ (**خِيرٍ**) بِكَسْرِ الْخَاءِ: يَجُوزُ أَنْ [يَكُونَ][3] جَمْعَ (خَيْرٍ) بِفَتْحِهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ (خَيِّرٍ) بِفَتْحِهَا وَكَسْرِ الْيَاءِ وَشَدِّهَا، وَيَكُونُ الْجَمْعُ عَلَى

(1) هو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي الغرناطي أبو الحسين، رحالة أديب، صاحب الرحلة المشهورة، (ت614هـ). ترجمته في: (نفح الطيب: 1/ 515، الإحاطة: 2/ 168، جذوة الاقتباس: 172، زاد المسافر: 72، الأعلام: 5/ 320).

(2) رحلة ابن جبير: 93، ولا يوجد هذا النص بكل هذا التفصيل في الكتاب. مستفاد الرحلة والاغتراب: 253 ـ 256.

(3) لا توجد لفظة «يكون» في الأصل ولعل الأنسب إثباتها.

جِهَةِ التَّعْظِيمِ، أَوْ لِكَوْنِ مَعَهُمَا فِي الْغَارِ مَلَائِكَةٌ، فَجَمَعَ بِحَسَبِ وُجُودِ الْجَمِيعِ.

وَ(**مَا**) مِنْ قَوْلِهِ: (**وَمَا حَوَى**): مَوْصُولَةٌ، وَالْوَاوُ قَبْلَهَا لِعَطْفِ مُقْسَمٍ بِهِ عَلَى مُقْسَمٍ بِهِ، فَتَكَوَّنَ الْعَطْفُ عَلَى الْقَمَرِ. وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ لِلْقَسَمِ؛ وَهَذَا الَّذِي ارْتَضَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ. وَالْجُمْلَةُ صِلَتُهَا. وَالْعَائِدُ مَحذُوفٌ، أَيْ: حَوَاهُ.

وَ(**كُلُّ طَرْفٍ**): يَصِحُّ كَوْنُهُ مَرْفُوعاً، أَيْ: وَالْحَالَةُ هَذِهِ. وَيَصِحُّ كَوْنُهُ مَخْفُوضاً، وَكَأَنَّهُ أَقْسَمَ أَيْضاً بِمَحَلِّ الْمُعْجِزَةِ، وَهُوَ كَوْنُ عُيُونِ الْكُفَّارِ عَمِيَتْ. وَلَمْ يَكُنِ الْقَسَمُ بِأَعْيُنِ الْكُفَّارِ وَإِنَّمَا الْقَسَمُ بِرَبٍّ صَرَفَ أَعْيُنَ الْكُفَّارِ وَفَعَلَ بِهَا مَا هُوَ بِالأَعْيُنِ الْعُمْيِ.

وَقَوْلُهُ: (**عَمِ**): يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِعْلاً مَاضِياً.

وَفِي الْبَيْتِ: (الإِدْمَاجُ)[1]: «وَهُوَ أَنْ يُضَمِّنَ كَلَاماً سَبَقَ لِوَصْفٍ وَصْفاً آخَرَ، وَهُوَ أَخَصُّ مِنَ الأَوَّلِ أَوْ أَعَمُّ». قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: (وافر)

أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي ... أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا[2]

فَضَمَّنَ وَصْفَ اللَّيْلِ بِالطُّولِ لِلشِّكَايَةِ مِنَ الدَّهْرِ. وَقَالَ ابْنُ نُبَاتَةَ[3]: (طويل)

(1) بحثه في: الصناعتين تحت اسم المضاعف: 477، بديع بن منقذ: 58 تحت اسم التعليق والإدماج، الطراز: 3/ 157، بلوغ الأرب: 302، تحرير التحبير: 449، الإيضاح: 515، نهاية الأرب: 7/ 164، حسن التوسل: 82، المصباح: 122، أنوار الربيع: 806، خزانة ابن حجة: 1/ 484.

(2) البيت من قصيدة يمدح فيها علي بن يسار بن مكرم التميمي، وهو في الديوان: 1/ 267، ومن شواهد التفريع في: كفاية الطالب: 197، والمنزع البديع: 469، العمدة: 1/ 635، تحرير التحبير: 3/ 445، تقريب المعاهد: 411، المصباح: 124.

(3) هو عبد العزيز بن محمد بن عمر بن نباتة التميمي السعدي أبو نصر من شعراء سيف الدولة بن حمدان، اتصل بابن العميد في الري ومدحه، (ت405هـ) ببغداد. ترجمته في: (تاريخ بغداد: 10/ 416، وفيات الأعيان: 1/ 295، مفتاح السعادة: 1/ 178، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 136، الأعلام: 4/ 24). والبيت في: الديوان: 331، وفي المعاهد: 3/ 137 برواية: «فهل من حليم أودع الحلم عنده».

وَلَا بُدَّ لِي مِنْ خَصْلَةٍ فِي وِصَالِهِ   فَمَنْ لِي بِخِلٍّ أُودِعُ الْحِلْمَ عِنْدَه

فَضَمَّنَ الْغَزَلَ الْفَخْرَ بِكَوْنِهِ حَلِيماً. وَضَمَّنَ الْفَخْرَ شِكَايَةَ الإِخْوَانِ بِقَوْلِهِ: (فَمَنْ لِي بِخِلٍّ). وَاللَّطِيفُ فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَعْزِمْ عَلَى مُفَارَقَةِ الْحِلْمِ.

وَمِنْ هَذَا الأُسْلُوبِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [البقرة: 233]. [174]// سِيقَتْ لإِثْبَاتِ النَّفَقَةِ، وَتَضَمَّنَتْ أَنَّ النَّسَبَ يَنْتَمِي إِلَى الآبَاءِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ»[1]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، سِيقَتْ لإِثْبَاتِ مِنَّةِ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ، وَفِيهَا أَنَّ أَقَلَّ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ. وَفِي هَذِهِ الآيَاتِ: إِنَّ الْكَلَامَ سِيقَ لِلْقَسَمِ، ثُمَّ اسْتَتْبَعَ الْمُعْجِزَةَ الْعُظْمَى وَهُوَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ. وَكَذَلِكَ سِيقَ **(مَا حَوَى الْغَارُ)** لِلْقَسَمِ، ثُمَّ اسْتَتْبَعَ عَمَى كُلِّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ.

وَ**(مِنْ)** فِي قَوْلِهِ: **(مِنَ الْكُفَّارِ)**: لِبَيَانِ الْجِنْسِ.



(1) ابن ماجه: 2/ 769، ابن حبان: 1/ 316، كشف الخفاء: 1/ 239.

77 ـ قَالَ:

فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا   وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ[1]

شرح: أَرَادَ بِالصِّدْقِ النَّبِيَّ ﷺ. وَالشَّيْءُ إِذَا كَانَ قَائِماً بِذَاتِ شَيْءٍ سُمِّيَ ذَلِكَ الشَّيْءُ بِهِ فَسَمَّاهُ النَّاظِمُ صِدْقاً، لأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِهِ؛ وَالْمَلْزُومُ قَدْ يُسَمَّى بِاسْمِ اللَّازِمِ. وَتَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ الْمَصْدَرِ تَنْزِيلٌ لَهُ مَنْزِلَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ، وَمُبَالَغَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28]، نَزَّلَهُمْ مَنْزِلَةَ عَيْنِ النَّجِسِ مُبَالَغَةً فِي إِبْعَادِهِمْ. وَكَانُوا يَدْعُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِالصَّادِقِ الأَمِينِ حَتَّى كَانَ غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْعَثَهُ اللهُ؛ فَوَجَبَ عَلَى النَّاظِمِ وَغَيْرِهِ أَنْ يُسَمِّيَهُ بِاسْمِ الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِذَاتِهِ مُبَالَغَةً فِي ذَلِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى إِضْمَارٍ، أَيْ: فَذُو الصِّدْقِ، أَيْ: صَاحِبُهُ، أَعْنِي: الَّذِي اشْتُهِرَ بِهِ حَتَّى صَارَ كَالاسْمِ الْعَلَمِ عَلَيْهِ. وَالصِّدْقُ أَعْظَمُ شُعَبِ الإِيمَانِ. وَقَدْ قِيلَ: «أَقَلُّ أَهْلِ الْكَرَامَاتِ الصَّادِقُونَ». وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]. قَالَ الشَّاعِرُ: (سريع)

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ   أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدْ[2]

وَابْغِ رِضَى اللهِ فَأَغْبَى الْوَرَى   مَنْ أَسْخَطَ الْمَوْلَى وَأَرْضَى الْعَبِيدْ

وَعَنَى النَّاظِمُ بِـ **(الصِّدِّيقِ)**: أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه. وَ**(الْغَارُ)** هُوَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَفَيَا فِيهِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَ(فِعِّيلٌ) بِنْيَتُهُ مُبَالَغَةً، أَيْ: كَثِيرُ الصِّدْقِ حَتَّى صَارَ الصِّدْقُ لَهُ شِعَاراً، وَسُمِّيَ صِدِّيقاً لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْكُهُولِ، وَعَلِيٌّ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الشَّبَابِ، وَخَدِيجَةُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ. «وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الإِسْرَاءِ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِوُصُولِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ،

(1) الديوان: 195.

(2) البيتان بدون نسبة في: روضة الفصاحة: 235، شرح مقامات الحريري: 205.

فَسَأَلُوا مِنْهُ أَنْ يَصِفَهُ لَهُمْ، فَأَمَرَ اللهُ جِبْرِيلَ أَنْ يَكْشِفَ لَهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَكَانَ ﷺ يَذْكُرُ لَهُمْ أَمَارَاتِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِمَا رَأَى فِي طَرِيقِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ [إِبِلاً](1) مُحَمَّلَةً يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَزْرَقُ تَرِدُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ. فَكَانُوا يَتَرَقَّبُونَ طُلُوعَ الشَّمْسِ، فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مَا قَالَ قَائِلُهُمْ: هَا الشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: هَا الْجَمَلُ الأَزْرَقُ قَدْ قَدِمَ. فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ قَالَ ﷺ: إِنَّ اللهَ أَسْرَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَأَسْرَعُوا إِلَى تَكْذِيبِهِ، وَأَتَوْا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ وَقَالُوا لَهُ: أَمَا رَأَيْتَ مَا قَالَ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالُوا: ذَكَرَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، فَقَالَ: أَوَقَالَهَا مُحَمَّدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: وَاللهِ إِنَّهُ لَلصَّادِقُ فِي مَا قَالَ»(2). وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ ﷺ: «أَنَّهُ نَصَرَهُ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ، وَأَنِسَهُ حِينَ أَفْرَدَهُ النَّاسُ، وَصَدَّقَهُ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ»(3). وَحَدُّ الصِّدْقِ: التَّحْقِيقُ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ وَالأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ، وَهُوَ الأَصْلُ. وَحُقَّ لأَبِي بَكْرٍ أَنْ يُقَالَ لَهُ: صِدِّيقاً. وَقَدْ قَالَ: «لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِيناً»(4)، فَاسْتَوَى ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ فِي الإِيمَانِ.

[175]// وَقَوْلُهُ: (**فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ**): أَوْقَعَ الظَّاهِرَ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ، إِذْ كَانَ الأَصْلُ أَنْ يَقُولَ: فَالصِّدْقُ فِيهِ. وَهَذَا التَّكْرِيرُ فِي لَفْظِ الْغَارِ تَتْمِيمٌ لِذِكْرِ مُعْجِزَتِهِ، إِذْ تَضَمَّنَ هَذَا الْبَيْتُ وُقُوفَهُمْ عَلَى الْغَارِ، وَاعْتِنَاءَهُمْ بِالْبَحْثِ هَلْ هُوَ عَامِرٌ أَوْ خَالٍ؟ ثُمَّ ضَرَبَ اللهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ وَقَالُوا: مَا بِالْغَارِ أَحَدٌ.

وَ«لِلتَّكْرَارِ مَوَاضِعُ يَحْسُنُ فِيهَا وَمَوَاضِعُ يَقْبُحُ فِيهَا، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ التَّكْرَارُ فِي الأَلْفَاظِ دُونَ الْمَعَانِي، وَهُوَ فِي الْمَعَانِي دُونَ الأَلْفَاظِ أَقَلُّ، فَإِذَا تَكَرَّرَ اللَّفْظُ

(1) لا توجد كلمة «إبلا» في الأصل وهي ثابتة في جميع روايات الخبر.
(2) البخاري: 15/ 99، الخصائص: 1/ 176، ابن هشام: 1/ 399.
(3) الرياض النضرة: 1/ 245.
(4) في حاشية السندي: 1245 الكلام لسيدنا علي كرم الله وجهه.

وَالْمَعْنَى جَمِيعاً فَذَلِكَ الْخِذْلَانُ بِعَيْنِهِ. وَلَا يَجِبُ لِلشَّاعِرِ أَنْ يُكَرِّرَ اسْماً إِلَّا عَلَى جِهَةِ النَّسَقِ(1) وَالاسْتِعْذَابِ إِنْ كَانَ فِي تَغَزُّلٍ أَوْ نَسِيبٍ كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ، وَلَمْ يَتَخَلَّصْ أَحَدٌ تَخَلُّصَهُ عَلَى مَا ذَكَرَ الإِمَامُ عَبْدُ الْكَرِيمِ(2)، وَلَا سَلِمَ سَلَامَتَهُ فِي هَذَا الْبَابِ. قَالَ: (طويل)

دِيَارٌ لِسَلْمَى غَائِبَاتٌ بِذِي خَالٍ ... أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ(3)
وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا ... بِرَأْسِ الْخُزَامَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ
وَتَحْسِبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلَا ... مِنَ الْوَحْشِ أَوْ بَيْضاً بِمَيْثَاءَ مِحْلَالِ
لَيَالِيَ سَلْمَى إِذْ تُرِيكَ مُنَصَّباً ... وَجِيداً كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِمِعْطَالِ

وَكَقَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ: (طويل)

أَلَا لَيْتَ لُبْنَى لَمْ تَكُنْ لِيَ خُلَّةً ... وَلَمْ تَلْقَنِي لُبْنَى وَلَمْ أَدْرِ مَا هِيَا(4)

وَقَدْ يَكُونُ عَلَى طَرِيقِ التَّنْوِيهِ وَالإِشَادَةِ إِنْ كَانَ فِي مَدْحٍ، كَقَوْلِ أَبِي الأَسَدِ(5) وَتُعْزَى [لِحَمْزَةَ(6) فِي فَيْضٍ(7)](8): (طويل)

(1) في الأصل: «النسق».
(2) يقصد عبد الكريم النهشلي، سبقت ترجمته ص108.
(3) سبق تخريجها: ص56.
(4) البيت في شعره: 231، الأغاني: 9/ 200، العمدة: 2/ 683.
(5) هو أبو الأسد نباتة بن عبد الله الجماني نسبة إلى جمان وهو حي من تميم من أهل الدينور، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية. ترجمته في: (الأغاني: 14/ 125 - 136، طبقات ابن المعتز: 348، الشعر والشعراء: 1/ 72).
(6) هو حمزة بن بيض الحنفي الكوفي، شاعر كوفي خليع، كان منقطعاً للمهلب بن أبي صفرة، (ت116هـ). ترجمته في: (الأغاني: 16/ 143 - 163، إرشاد الأريب: 9/ 280 - 289).
(7) هو الفيض بن صالح، وزير المهدي عزل زمن هارون الرشيد. ينظر: (الأغاني: 14: 1/ 128، الوزراء والكتاب: 123).
(8) العبارة في العمدة: 2/ 684: «... لحمزة بن بيض».

وَلَائِمَةٍ لَا شَكَّ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى   فَقُلْتُ لَهَا: لَنْ يَقْدَحَ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ[1]
أَرَادَتْ لِتُثْنِي الْفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى   وَمَنْ ذَا الَّذِي يُثْنِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ   مَوَاقِعُ مَاءِ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
كَأَنَّ وُفُودَ الْفَيْضِ حِينَ تَحَمَّلُوا   إِلَى الْفَيْضِ لَاقَوْا عِنْدَهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

فَتَكْرِيرُ اسْمِ الْمَمْدُوحِ هَا هُنَا تَنْوِيهٌ وَإِشَادَةٌ بِذِكْرِهِ، وَتَفْخِيمٌ لَهُ فِي الْقُلُوبِ وَالأَسْمَاعِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْخَنْسَاءِ[2]: (بسيط)

وَإِنَّ صَخْراً لَوَالِينَا وَسَيِّدُنَا   وَإِنَّ صَخْراً إِذَا نَشْتُوا لَنَحَّارُ
وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ   كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وَقَدْ يَأْتِي التَّكْرَارُ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: (طويل)

إِلَى كَمْ وَكَمْ أَشْيَاءَ مِنْكُمْ تُرِيبُنِي   أُغَمِّضُ عَنْهَا لَسْتُ عَنْهَا بِذِي عَمَى[3]

وَأَمَّا مَنْ أَتَى بِهِ فِي غَيْرِ وَاجِبٍ أَوْ يَزِيدُ عَلَى الْحَدِّ فَلَيْسَ بِالْحَسَنِ»[4].

وَتَكْرَارُ الْغَارِ عِنْدَ النَّاظِمِ هُنَا مِنَ التَّكْرَارِ الْجَائِزِ بَلْ وَالْحَسَنِ، لأَنَّهُ أَفَادَ تَتْمِيمَ بَيَانِ الْمُعْجِزَةِ. وَبَعْضُ النَّاسِ تُسَمِّيهِ: التَّبْدِيلَ، وَجَعَلَ مِنْهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: 17]. فَقَوْلُهُ: «**وَهَلْ يُجَازَى**» تَحْسِينٌ وَتَعْمِيمٌ لِمَا قَبْلَهُ.

---

(1) الأبيات في: الشعر والشعراء: 1/ 72، الأمالي: 1/ 239، معاني العسكري: 1/ 30 ـ 63، كفاية الطالب: 208، العمدة: 2/ 684، السمط: 1/ 545، سرح العيون: 2/ 5، تحفة المجالس: 182، الأغاني: 14/ 128، الوزراء والكتاب: 123.

(2) هي تماضر بنت عمرو، شاعرة مخضرمة، (ت24هـ). ترجمتها في: (ط ابن سلام: 1/ 210، الشعر والشعراء: 1/ 343، الأغاني: 15/ 61 ـ 80، الأعلام: 2/ 69). والبيتان في: الديوان: 51، وفي زهر الآداب: 4/ 997 ـ 998، والخزانة: 1/ 433 «لمولانا»، وفي الخزانة: 1/ 433 لحامينا»، في التنبيهات: 335 برواية: «أغر أبلج تأتم الهداة به». ينظر: الأغاني: 9/ 430، الكامل: 4/ 47، المعاهد: 1/ 116، الحماسة المغربية: 2/ 811.

(3) البيت في: كفاية الطالب: 209، العمدة: 2/ 685 من شواهد التكرار، غير منسوب.

(4) النص في العمدة: باب التكرار: 2/ 683 ـ 685.

وَقَدْ يَأْتِي التَّكْرَارُ لِدَفْعِ تَوَهُّمٍ يَعْرِضُ فِي الْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (كامل)

لَا يَحْتَمِي بِالْجَيْشِ كَلَّا بَلْ بِهِ   وَبِبَأْسِهِ الْجَيْشُ الْعَرَمْرَمُ يَحْتَمِي[1]

فَإِنَّهُ لَمَّا نَهَى عَنْ أَنْ يَحْتَمِي بِالْجَيْشِ فَيَتَوَهَّمَ أَنْ لَيْسَ بَعْدَ الْجَيْشِ لِلاحْتِمَاءِ بِهِ مَرْمًى فَقَالَ: بَلِ الْجَيْشُ الْعَرَمْرَمُ يَحْتَمِي بِهَذَا الْمَمْدُوحِ، فَهُوَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ (الْعَرَمْرَمُ)؛ لأَنَّهُ يَقُولُ: وَالْجَيْشُ قَدْ يَكُونُ بِحَيْثُ لَا يُوصَفُ بِـ (الْعَرَمْرَم)، ثُمَّ إِنَّ الْجَيْشَ الْعَرَمْرَمَ **[176]**// حِمَايَتُهُ بِهَذَا الْمَمْدُوحِ فَمَا بَالُكَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْجُيُوشِ.

وَفِي الْبَيْتِ: التَّجْنِيسُ [وَ][2] الْجَمْعُ. أَمَّا الْجَمْعُ: فَإِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالصِّدِّيقِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ اخْتِفَاؤُهُمَا فِي الْغَارِ. وَالتَّجْنِيسُ فِيهِ وَاضِحٌ. وَالْجَمْعُ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَفِي أَشْعَارِ الْمُوَلَّدِينَ. وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْهُ كَثِيرٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: 163، وآل عمران: 190] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَقَدْ جَمَعَ تِلْكَ الْمُتَعَدِّدَاتِ فِي الآيَاتِ.

وَيَظْهَرُ أَنَّ فِي هَذَا الْجَمْعِ مَعْنًى آخَرَ: فَإِنَّهُ قَسَّمَ بَعْدَ الْجَمْعِ، فَإِنَّهُ قَالَ: (**[وَهُمْ][3] يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ**)، لَكِنْ لَا يَتِمُّ إِلَّا إِنْ جَعَلْنَا الْجَمْعَ فِي غَيْرِ الاجْتِمَاعِ فِي الْغَارِ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، فَقَدْ وَقَعَ التَّقْسِيمُ: فِرْقَةٌ اخْتَفَتْ فِي الْغَارِ وَفِرْقَةٌ تَفْحَصُ عَنْ مَحَلِّ اخْتِفَائِهَا.

وَقَوْلُهُ: (**لَمْ يَرِمَا**): كَأَنَّهُ حَشْوٌ، مَا أَفَادَ إِلَّا أَنَّهُ أَقَامَ بِهِ وَزْنَ صَدْرِ الْبَيْتِ.

وَمَعْنَى (**لَمْ يَرِمَا**): لَمْ يَبْرَحَا؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (وافر)

لِمَنْ طَلَلٌ بِرَامَةَ لَا يَرِيمُ   عَفَا وَخِلَالُهُ حُقُبٌ قَدِيمُ[4]

---

(1) البيت لأبي الحسن حازم القرطاجني في: ديوانه: 105، التبيان: 234.

(2) في الأصل: «في» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) في الأصل: «وهو» والصواب ما أثبتناه عن الديوان.

(4) البيت لزهير بن أبي سلمى سبق تخريجه ص48.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (**وَمَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ**)، أَيْ: مِنْ أَحَدٍ، وَهُوَ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مَنْفِياً مَقْرُوناً بِـ (مِنْ) الاسْتِغْرَاقِيَةِ الزَّائِدَةِ.

وَ(**أَحَدٍ**): قَدْ سُمِعَ لَهُ الْجَمْعُ كَآحَادٍ. وَأَمَّا (**أَرِمٍ**): فَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ جَمْعٌ. وَأَمَّا (آرَامٌ): فَجَمْعُ رِيمٍ. قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ: (طويل)

تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ[1]

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: (**وَهُمْ يَقُولُونَ**): يَعْنِي: أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ وَأَصْحَابَهُ.

وَ(**مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ**): هُوَ الْمَقُولُ، فَهُوَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِوُقُوعِ الْقَوْلِ عَلَيْهِ. وَ(**مَا بِالْغَارِ**): خَبَرٌ عَنْ (**أَرِمٍ**) الْمَرْفُوعِ مَعْنًى، الْمَخْفُوضِ لَفْظاً. وَالْجَارِي عَلَى مَذْهَبِ الأَخْفَشِ كَوْنُهُ فَاعِلاً بِالْمَجْرُورِ لأَنَّهُ فِي مَوْضِعِ الْمُسْنَدِ لَهُ عَلَى مَذْهَبِهِ.



(1) الديوان: 8 «الأرآم». أشعار الشعراء الستة 29 «الآرام»، وهي الظباء الخالصة البياض، جمهرة أشعار العرب: 1/ 246 «ترى بعر الصيران»، وهي البقرة الوحشية، والعرصة: الساحة، والقيعان: هي المواضع التي يستنقع فيها الماء، وروى هذا البيت أبو عبيدة وقال الأصمعي: هو منحول لا يعرف، وقال: الأعراب يرونه فيها، وعلق النحاس عليه بقوله: الصحيح أنه منحول».

78 ـ قَالَ:

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ[1]

شرح: فَاعِلُ (**ظَنَّ**) عَائِدٌ عَلَى الْكَفَرَةِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا النَّبِيَّ ﷺ. وَالظَّنُّ هَا هُنَا بِمَعْنَى: الْيَقِينِ فِي مُعْتَقَدِهِمْ، لأَنَّهُ لَوْ كَانَ الَّذِي هُوَ تَرَدُّدٌ بَيْنَ مُعْتَقَدَيْنِ لأَحَدِهِمَا مَزِيَّةٌ عَلَى الآخَرِ لَمَا تَرَكُوا الْكَشْفَ عَنِ الْوَهْمِ، وَهُوَ الطَّرَفُ الْمَرْجُوحُ. وَلَا شَكَّ أَنَّ وَاقِعَةَ الْحَمَامِ مَعَ الْكَفَرَةِ تَكَادُ أَنْ تُوَرِّثَ الْقَطْعَ بِخُلُوِّ الْغَارِ عِنْدَهُمْ، لأَنَّ الْحَمَامَ لَمَّا جَثَا عِنْدَ بَابِ الْغَارِ، وَفَرَّ لِصِرْفَةِ الْقَوْمِ، وَصَارَ يَحُومُ حَوَمَانَ الْمَذْعُورِ الْخَائِفِ مَعَ كَوْنِهِ حَمَاماً وَحْشِياً لَا يُبْقِي شَكّاً فِي قَلْبِ رَائِيهِ أَنَّهُ لَا عِمَارَةَ مَعَهُ؛ لَكِنْ مَعَ التَّجْوِيزِ الْعَقْلِيِّ يَتَأَتَّى أَنْ يَكُونَ [هُوَ][2] الَّذِي أَوْرَثَ غَلَبَةَ الظَّنِّ.

وَكَانَ فِي الْغَارِ مُعْجِزَاتٌ كَثِيرَةٌ: يُفْهَمُ مِنْهَا مِنْ كَلَامِ النَّاظِمِ: حَوْمُ الْحَمَامِ، وَنَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ، وَصَرْفُ قُلُوبِهِمْ عَنِ اسْتِقْصَاءِ الْغَارِ وَاسْتِبْرَائِهِ وَلَوْ بِالتَّوَهُّمِ. وَسَكَتَ عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي سَدَّتْ فَمَ الْغَارِ: وَهِيَ الدَّالَّةُ، وَقَدْ قَدَّمْنَا بَيَانَ جِنْسِهَا وَصِفَةَ زَهْرِهَا.

وَالْفِعْلَانِ إِنْ أَعْمَلْنَاهُمَا لَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمَا عَاطِلاً عَنْ عَمَلٍ. وَلَا شَيْءَ مِنَ الْحَمَامِ وَالْعَنْكَبُوتِ مُشَارِكاً لِصَاحِبِهِ فِي عَامِلٍ وَلَا مَعْطُوفاً عَلَيْهِ. وَإِنْ جَعَلْنَا (**ظَنُّوا**) الثَّانِي حَشْواً كَانَ الأَصْلُ: ظَنُّوا الْحَمَامَ وَالْعَنْكَبُوتَ لَمْ يَفْعَلَا مَا فَعَلَا.

وَفِيهِ: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ، لأَنَّ (**لَمْ تَحُمِ**) خَبَرُ (**الْحَمَامَ**) الَّذِي صَارَ مَفْعُولاً أَوَّلاً لِـ (**ظَنُّوا**)، فَيَصِيرُ (**لَمْ تَحُمِ**) فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي. وَ(**الْعَنْكَبُوتَ**):

(1) الديوان: 195.

(2) لا يوجد لفظ «هو» في الأصل ولعل الأنسب للمعنى إثباته.

إمَا مَفْعُولُ الظَّنِّ الثَّانِي، وَ(**لَمْ تَنْسُجْ**) مَفْعُولٌ ثَانٍ لِـ (**ظَنُّوا**) الثَّانِي. فَظَنُّوا الْحَمَامَ لَمْ يَحُم، وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ لَمْ تَنْسُج؛ لَكِنَّ لَفَّهُ مَقْلُوبٌ [177]// وَهُوَ أَرْجَحُ نَوْعَي اللَّفِّ وَالنَّشْرِ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا فَضْلٌ وَاحِدٌ. وَأَمَّا إِعْطَاءُ الأَوَّلِ لِلأَوَّلِ وَالثَّانِي [لِلثَّانِي](1) فِيهِ فَضْلَانِ، وَمَهْمَا قَلَّ الْفَضْلُ حَسُنَ اللَّفُّ، وَكِلاهُمَا وَارِدٌ فِي الْفَصِيحِ؛ فَـ (**لَمْ تَحُم**) وَلَوْ تَأَخَّرَ هُوَ مَفْعُولُ الظَّنِّ الأَوَّلِ، فَأَعْطَى الطَّرَفَ لِلطَّرَفِ، وَ(**لَمْ تَنْسُجْ**) لِلظَّنِّ الثَّانِي، فَأَعْطَى الْوَسَطَ لِلْوَسَطِ. وَظَاهِرُ قَوْلِ النَّاظِمِ أَنَّ كَوْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ مِمَّا حَصَلَ فِي مُعْتَقَدِ الْمُشْرِكِينَ، لأَنَّ قَوْلَهُ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَمَجَازُهُ: ظَنُّوا الْحَمَامَ لَمْ تَحُمْ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ لَمْ تَنْسُجْ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ؛ فَكَوْنُهُ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ مِنْ مُعْتَقَدِهِمْ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، إِذْ كَانَ عِنْدَهُمْ مَعَ شِرْكِهِمْ أَنَّهُ الصَّادِقُ الأَمِينُ؛ وَمَنْ شُهِدَ لَهُ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ غَلَبَ عَلَيْهِ اسْماً دُونَ سِوَاهُ كَانَ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ النَّاظِمِ جَلَبَهُ تَعْظِيماً لِنَبِيِّهِ، وَإِخْبَاراً عَنْ صِفَتِهِ الَّتِي تَحَقَّقَ بِهَا اعْتِقَادُهُ، أَوْ امْتَلأَ بِهَا صَدْرُهُ وَفُؤَادُهُ؟

قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ كَمَا قُلْتَ، فَإِنَّ الآخَرَ مِمَّا لَا يُنْكَرُ مِنَ اعْتِقَادِ الْقَوْمِ فِيهِ، لَكِنَّهُمْ حَمَلَهُمْ جَهْلُهُمْ وَطَلَبُهُمُ الرِّئَاسَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ عَلَى إِخْمَادِ نُورٍ أَظْهَرَهُ اللهُ: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(2)﴾ [الصف: 8]. وَهَذَا [الَّذِي](3) قُلْنَا يَظْهَرُ مِنَ الْبَيْتِ يَظْهَرُ مِنَ الآيَةِ، وَأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَا أُوتِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ النُّورِ هُوَ نُورُ اللهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ، وَلَكِنْ كَانُوا يُرِيدُونَ إِطْفَاءَهُ حَسَداً وَمُعَانَدَةً بِالْبَاطِلِ. وَيَدُلُّكَ عَلَيْهِ مَا قَالَ صَاحِبُ أَبُو جَهْلٍ الْوَلِيدُ بْنُ

(1) لا توجد لفظة «للثاني» في الأصل، ولعلها سقطت.
(2) وفي الأصل: «المشركون» والصواب ما أثبتناه.
(3) في الأصل: «الذين» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

الْمُغِيرَةِ(1) حِينَ تَقَوَّلَ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ لَهُ: «يَا أَبَا الْحَكَمِ، وَاللهِ إِنِّي أَعْرَفُ النَّاسِ بِالشِّعْرِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِشِعْرٍ، وَأَعْرَفُهُمْ بِكَلَامِ الْمَجَانِينِ، وَاللهِ لَا يَسْتَطِيعُ عَلَى النُّطْقِ بِذَلِكَ صَاحِبُ عَقْلٍ سَلِيمٍ فَكَيْفَ بِمَجْنُونٍ، حَتَّى قَالَ أَبُو جَهْلٍ: كَأَنَّكَ صَبَوْتَ إِلَى مُحَمَّدٍ. فَقَالَ لَهُ: لَا وَاللهِ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمْتُ بِعَيْنِ الْحَقِّ»(2).

فَإِنْ قُلْتَ: (**خَيْرُ الْبَرِيئَةِ**) تَضَمَّنَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: مَا قَدَّمْنَاهُ مِنَ التَّعْظِيمِ الَّذِي شَمِلَهُ مُعْتَقَدُ الْفَرِيقَيْنِ: الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، أَوْ ذَلِكَ مِنْ تَعْظِيمِ النَّاظِمِ. وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّهُ أَوْقَعَ الظَّاهِرَ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ، لأَنَّ وَجْهَ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ: ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَيْهِ لَم تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُم، لَكِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لإِقَامَةِ الْوَزْنِ.

فَإِنْ قِيلَ: هَذَا مَحَلُّ إِيقَاعِ الظَّاهِرِ مَوْقِعِ الْمُضْمِرِ لأَنَّهُ لَوْ قَالَ: (**عَلَيْهِ**) وَفِي الْغَارِ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ، فَتَعَيَّنَ الإِتْيَانُ بِالظَّاهِرِ لِصَلَاحِيَةِ الضَّمِيرِ أَنْ لَوْ جَاءَ بِهِ لِوَاحِدٍ لَا بِعَيْنِهِ؛ لَكِنْ يُقَالُ: لَوْ قَالَ: (لَمْ تَنْسُجْ عَلَيْهِمَا)، فَتَعَيَّنَ أَنَّ تِلْكَ الْمَفْسَدَةَ ذَهَبَتْ بِتَثْنِيَةِ الضَّمِيرِ.

قُلْتُ: لَوْ قَالَ ذَلِكَ فَأَيْنَ تَخْصِيصُ صَاحِبِ الْمُعْجِزَةِ؟ فَحَسُنَ الإِتْيَانُ بِالظَّاهِرِ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْمُشْرِكِينَ حِينَ ذَكَرَ قَوْلَهُمْ: (**مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ**)، فَلَمَّا قَالَ: (**يَقُولُونَ**) كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: (**وَظَنُّوا**).

قُلْتُ: اسْتِئْنَافُ الْجُمْلَةِ أَحْسَنُ، لأَنَّ قَوْلَهُمْ مُسَبَّبٌ عَنِ الْجُمْلَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ،

(1) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد شمس، زعيم قرشي، أدرك الإسلام وهو شيخ مسن ولم يسلم، مات قبل الهجرة بثلاثة أشهر. ترجمته في: (الكامل: 2/ 26، تاريخ اليعقوبي: 1/ 215، المحبر: 161، الأعلام: 8/ 122).
(2) ابن هشام: 1/ 270، أبو نعيم: 1/ 232، ابن كثير: 1/ 498، الخصائص: 1/ 113 ـ 114.

إِذْ لَوْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ الْحَمَامَ لَمْ تَحُمْ عَلَى مُجَاوِرٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، وَلَا فِي وُسْعِ الْعَنْكَبُوتِ أَنْ تَفْرُغَ مِنْ نَسْجِ حَوْكِهَا فِي الْحَالِ لَمَا قَالُوا: مَا هُنَا أَحَدٌ. وَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا فَالسَّبَبُ سَابِقٌ بِالْوَضْعِ الأَوَّلِ، وَلَوْ عَطَفَ لَكَانَ نَقْضاً لأَصْلِهِ، فَإِنَّ الْعَطْفَ يَقْضِي بِكَوْنِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ سَابِقاً عَنِ الْمَعْطُوفِ فِي الْوُجُودِ. وَإِنْ كَانَ يَرِدُ مَعَ الْوَاوِ شَيْءٌ مِنَ الاحْتِمَالِ، لَكِنْ قَدْ قِيلَ بِالتَّرْتِيبِ فِيهَا، فَكَانَ الاسْتِئْنَافُ أَقْطَعَ لِتِلْكَ الْعِلَّةِ اللاَّزِمَةِ مِنْ عَطْفِ الْجُمْلَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْكَلَامِ الْفَصِيحِ تَأْخِيرُ الْجُمْلَةِ الْمُعَلَّلِ بِهَا عَنِ الْجُمْلَةِ **[178]**// الْمُعَلَّلَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: 3] [إِلَى آخِرِ الآيَةِ][1]، عَلَّلَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: 3]، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ حَرْفُ عَطْفٍ لِمَا قَرَّرْنَاهُ، لأَنَّهَا جُمْلَةٌ عَلَّلَ بِهَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهَا. وَمِنْ حُسْنِ التَّعْلِيلِ الْمُتَأَخِّرِ عَنِ الْمُعَلَّلِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (خفيف)

نَحِّ نَفْسَكَ عَنِ الْقَبِيحِ وَصُنْهَا ... وَتَوَقَّ الرِّيَا وَلَا تَأْتَمِنْهَا

إِنَّمَا جِئْتَهَا بِخَدْعٍ وَمَكْرٍ ... ثُمَّ أَدْخَلْتَهَا لِتَخْرُجَ مِنْهَا

فَقَدْ عَلَّلَ مَضْمُونَ الْبَيْتِ الأَوَّلِ بِمَا تَضَمَّنَهُ الْبَيْتُ الثَّانِي، وَلَمْ يَأْتِ عَقِبَ الْبَيْتِ الأَوَّلِ بِالْبَيْتِ الثَّانِي مَعْطُوفاً لأَجْلِ مَا بَيَّنَّاهُ مِنْ عَدَمِ جَوَازِ عَطْفِ التَّعْلِيلِ عَلَى مُعَلَّلِهِ.

وَلْتَعْلَمْ أَنَّ (الظَّنَّ) جَاءَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى مَعَانٍ شَتَّى: يَكُونُ بِمَعْنَى الْيَقِينِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 46]، أَيْ: يَتَيَقَّنُونَ ذَلِكَ. وَبِمَعْنَى الْعِلْمِ: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 46]، وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ. وَيَكُونُ بِمَعْنَى الشَّكِّ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: 78]. أَيْ: يَشُكُّونَ. وَيَكُونُ بِمَعْنَى: الْكَذِبِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ

---

(1) العبارة مكررة في الأصل هكذا «إلى آخرها».

السَّوْءِ﴾ [الفتح: 6]، ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: 154] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: 116، ويونس: 66، والنجم: 23 و28]. وَيَكُونُ بِمَعْنَى: الرَّجَاءِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس: 60]. وَيَكُونُ بِمَعْنَى: الْخَوْفِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾[1] [آل عمران: 154]، أَيْ: يَخَافُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ اللهِ مَا كَانَ صَرَّحَ بِهِ أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ مُحَمَّداً قُتِلَ. وَيَكُونُ بِمَعْنَى: التَّوَهُّمِ: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] [الإسراء: 52]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: 5]. وَقَدْ جَلَبَ هَذَا التَّقْسِيمَ الشَّيْخُ إِسْحَاقُ[3] فِي كِتَابِهِ «**النَّصَائِحِ**» لَهُ، وَإِسْحَاقُ التُّجَيْبِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، وَكِتَابُهُ الْمُسَمَّى: بِـ«**كِتَابُ النَّصَائِحِ**» كِتَابٌ جَلِيلٌ»[4].

وَ(**الْحَمَامُ**): يُطْلَقُ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَى كُلِّ ذِي طَوْقٍ مِثْلَ الْفَاخِتِ وَالْقُمَارِي[5]. وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ، مُفْرَدُهُ حَمَامَةٌ، وَيُجْمَعُ عَلَى حَمَائِمَ. وَأَمَّا (**الْعَنْكَبُوتُ**): فَجَمْعُهَا عَنَاكِبُ. وَلِلْحَمَامِ خِدْمَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَكَرَّرَتْ، فَإِنَّهُ فِي يَوْمِ مَكَّةَ ظَلَّلَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ جَمَاعَةٌ، وَخَدَمَتْهُ يَوْمَ الْغَارِ.

وَفِي الْكَلَامِ مَجْرُورٌ آخَرُ مَحْذُوفٌ، لأَنَّ (**تَحُمْ**) تَطْلُبُهُ، وَ(**تَنْسُجْ**) تَطْلُبُهُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ التَّنَازُعِ فَيَجْرِي عَلَى حُكْمِهِ.

---

(1) وفي الأصل: «ويظنون».

(2) وفي الأصل: «ويظنون».

(3) هو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن ميسرة التجيبي العتابي الطليطلي، نزيل قرطبة وشيخ المالكية بها، (ت352 أو 354هـ)، وقيل: (316هـ). ترجمته في: (تاريخ علماء الأندلس: 1/ 72، جذوة الاقتباس: 168، بغية الوعاة: 235، الديباج: 1/ 296).

(4) ينظر: فهرسة ابن خير: 252.

(5) في اللسان: الفختة: واحدة الفاخت وهي ضرب من الحمام المطوق مشتقة من الفخت وهو ظل القمر، وفختت الفاختة: صوتت. القمري طائر يشبه الحمام القمر البيض، وقال الجوهري: وقمر إما أن يكون جمع أقمر مثل أحمر وحمر، وإما أن يكون جمع قمري مثل رومي وروم، والأنثى من القماري قمرية والجمع قماري غير مصروف.

79 ـ قَالَ:

وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ[1]

شرح: لَمَّا أَخْبَرَ النَّاظِمُ بِكَلَامِهِ الْعَذْبِ الْعَجِيبِ عَنْ عَجِيبِ صُنْعِ اللهِ سُبْحَانَهُ مَعَ نَبِيِّهِ وَإِخْدَامِهِ إِيَّاهُ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَات، وَكَفَّ عَنْهُ أَبْصَارَ الْعِدَاةِ، أَعْلَمَ وَأَخْبَرَ أَنَّ صَوْنَهُ إِيَّاهُ لَا بِالْغَارِ وَلَا بِالأَسْبَابِ الضَّعِيفَةِ، بَلْ بِحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ؛ وَإِنَّمَا كَانَتِ الأَسْبَابُ الضَّعِيفَةُ زَائِدَةً فِي قَدْرِ نَبِيِّهِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ، لِيُظْهِرَ لأَبِي بَكْرٍ كَيْفَ تَخْدُمُهُ الْجَمَادَاتُ وَالْحَيَوَانَاتُ [غَيْرُ الْعَاقِلَةِ][2]. وَكَانَ ذَلِكَ لِسَبْقِيَةِ مُقْتَضَى الإِرَادَةِ الْقَدِيمَةِ حَتَّى أَنَّهَا لَوْ سَبَقَتِ الإِرَادَةَ بِإِضَافَةِ مَنِ اسْتَمْسَكَ بِدِرْعٍ مُضَاعَفٍ أَوْ بِذِي جِبَالٍ مَانِعَةٍ، لَمَا عَصَمَتْهُ مِنْ إِصَابَةِ الْمَقْضِيِّ. فَجُثُوُّ الْحَمَامِ وَنَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ مَعَ الْعِصْمَةِ السَّابِقَةِ فِي الأَزَلِ أَنْفَعُ مِنَ التَّحَصُّنِ بِالدُّرُوعِ الْمُضَاعَفَةِ وَالْجِبَالِ الْحَصِينَةِ مَعَ سَبْقِيَةِ الإِرَادَةِ بِعَدَمِ مَنَعَتِهِ مِنَ الْمُصِيبِ.

وَ(**الْوِقَايَةُ**): الْمَنَعَةُ. تَقُولُ: وَقَى اللهُ فُلَاناً الضُّرَّ، أَيْ: مَنَعَهُ مِنْهُ.

وَ(**الدُّرُوعُ الْمُضَاعَفَةُ**): الَّتِي تُنْسَجُ مُزْدَوِجَةً، حَلَقَتَان فِي حَلَقَتَيْنِ، وَهِيَ أَمْنَعُ الدُّرُوعِ وَأَحْصَنُهَا. وَالدِّرْعُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مُؤَنَّثَةٌ، وَقَلَّ التَّذْكِيرُ [**179**]//. «وَالْوَاسِعَةُ مِنَ الدُّرُوعِ تُسَمَّى: **زَغْفَةً**[3]. وَمِنَ الدُّرُوعِ: **النَّثْرَةُ، والنَّثْلَةُ، وَالْفَضْفَاضَةُ**. وَالدِّرْعُ التَّاقَّةُ يُقَالُ لَهَا: **لَامَّةٌ**. فَإِذَا كَانَتْ لَيِّنَةً فَهِيَ: **حَدْبَاءُ وَدِلَاصٌ**. وَالْبَيْضَاءُ مِنَ الدُّرُوعِ تُسَمَّى. **مَاذِيَّةٌ**. وَتُسَمَّى الْمُحْكَمَةُ الصُّلْبَةُ: **قَضَّاءُ، وحَصْدَاءُ**. وَالطَّوِيلَةُ الذَّيْلِ: [**دَائِلاً**]. وَالْمَثْقُوبَةُ: **مُسْرَدَةٌ، ومَسْرُودَةٌ**.

(1) الديوان: 195.

(2) في الأصل: «الغير عاقلة».

(3) في فقه اللغة: 255 «زغفة»، في الأصل: «دائل، شليل».

وَمَنْسُوجَةٌ: **مَوْضُونَةٌ وَجَدْلَاءُ** وَمَجْدُولَةٌ. وَتُسَمَّى الْقَصِيرَةُ: [**شَلِيلاً**]»[1].

فَقَوْلُهُ: (**مُضَاعَفَةٍ**) نَعْتٌ لِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: مِنْ دُرُوعٍ مُضَاعَفَةٍ.

وَ(**مِنَ الدُّرُوعِ**): فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلدُّرُوعِ الْمَحْذُوفَةِ. وَ(**مِنْ**) فِيهَا لِبَيَانِ الْجِنْسِ. وَيَصِحُّ كَوْنُهَا لِلتَّبْعِيضِ، أَيْ: مِنْ بَعْضِ الدُّرُوعِ.

وَ(**الأُطُمِ**): جَمْعُ أَطَمَةٍ، وَهِيَ الْهَيَاكِلُ الْمَبْنِيَّةُ الْمُسَطَّحَةُ الْعَالِيَةُ. وَفِي الْمُتَقَدِّمِ عَنْ حَسَّانَ أَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ ابْنَ عَشَرَةَ أَعْوَامٍ فهي اللَّيْلَةِ الَّتِي تَزَيَّدَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ يَهُودِيٌّ عَلَى أَطَمَةٍ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَا اللَّيْلَةَ طَلَعَ نَجْمُ صَاحِبِ الْخِتَانِ»[2]؛ وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: (طويل)

وَتَيْمَاءَ[3] لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ ... وَلَا أُطُماً إِلَّا مَشِيداً بِجَنْدَلِ[4]

قَالَ صَاحِبُ «**الْمُنَظَّمِ**»: «الأُطُمُ: كُلُّ بَيْتٍ مُرَبَّعٍ مُسَطَّحٍ. وَهُوَ مُفْرَدٌ، وَجَمْعُهُ آطَامٌ. وَهُوَ أُطُمٌ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ. أَمَّا الأَطَمُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ: فَهُوَ الْغَضَبُ. وَيُقَالُ فِي الْغَضَبِ بِالطَّاءِ وَالضَّادِ. وَ[الأُطُومُ][5]: سَمَكَةٌ غَلِيظَةُ الْجِلْدِ، [تُخْصَفُ][6] بِهَا النِّعَالُ، أَيْ: بِجُلُودِهَا. وَالأَطِيمُ: شَحْمٌ وَلَحْمٌ يُقْطَعُ وَيُطْبَخُ. وَالأَطَامُ عَلَى وَزْنِ أَجَاجٍ: حَبْسُ الْبَطْنِ. يُقَالُ أَطِمَ فَهُوَ مَأْطُومٌ: إِذَا احْتَبَسَ بَوْلُهُ. وَالأَطَائِمُ: جَمْعُ أَطِيمَةٍ، وَهُوَ مَوْقِدُ النَّارِ»[7].

(1) فقه اللغة: 255 ـ 256.

(2) سبق تخريجه: ص385.

(3) تيماء: من أمهات القرى على ليال من المدينة. ينظر: معجم ما استعجم: 1/ 329 ـ 330، الروض المعطار: 146.

(4) الديوان: 25، جمهرة أشعار العرب: 1/ 273 برواية: «أجما».

(5) في المجرد في غريب كلام العرب لكراع النمل: 157 «الأطوم» وكذا في اللسان/ أطم.

(6) في الأصل: «يخصف».

(7) الكلام في: المجرد: 157.

وَمفْعُولُ (**أَغْنَتْ**) مَحذُوفٌ لِلعِلْمِ بِهِ، أَيْ: أَغْنَتَ النبيَّ ﷺ. وَالْحَذْفُ لِسِيَاقِ الْكَلامِ كَثِيرٌ وَهُوَ إِمَّا حَذْفُ اقْتِصَارٍ أَوْ حَذْفُ اخْتِصَارٍ؛ فَحَذْفُ الاقْتِصَارِ يَكُونُ لِدَلِيلٍ وَلِغَيْرِ دَلِيلٍ، وَحَذْفُ الاخْتِصَارِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِدَلِيلٍ؛ فَفِي بَابِ ظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا لَا يَجُوزُ حَذْفُ الاقْتِصَارِ وَيَجُوزُ حَذْفُ الاخْتِصَارِ. وَبَابُ كَسَا وَأَخَوَاتِهِ يَجُوزُ الأَمْرَانِ. وَلَوْلَا لِحَاقُ التَّاءِ لِـ (**أَغْنَتْ**) وَكَانَ مَا تَحْتَهُ فِعْلاً مَاضِياً لَمَا احْتِيجَ إِلَى حَذْفِ مَفْعُولٍ، وَلَكَانَ الْفِعْلُ مِمَّا يُطْلَبُ فِيهِ مُجَرَّدُ ثُبُوتِ صُورَةِ الْفِعْلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، أَيْ: هَلْ يَسْتَوِي مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ. وَبِخِلَافِ مَا كَانَ فِعْلُهُ مُهَيَّأً لِطَلَبِ مَا يَقْتَضِيهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 6]، أَيْ: لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ غَيْرُ مُخْلِفٍ وَعْدَهُ.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، إِذْ جَمَعَ نَظِيرَيْنِ: (**الدُّرُوعِ**) وَ(**الأُطُمِ**) فِي الْحُكْمِ الْوَاحِدِ وَهُوَ التَّحَصُّنُ.

وَكَذَلِكَ فِيهِ: الْجَمْعُ. أَمَّا مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ: فَلِلْجَمْعِ بَيْنَ الْمُتَنَاسِبَيْنِ، وَأَمَّا الْجَمْعُ: فَلِمُجَرَّدِ جَمْعِ الْمُتَعَدِّدِ فِي الْحُكْمِ الْوَاحِدِ، إِذْ أَغْنَتْ وِقَايَةُ اللهِ عَنْهُمَا مَعاً.

وَفِي الْبَيْتِ: التَّفَاخُرُ بِالاسْتِغْنَاءِ الْمَوْهُوبِ لِنَبِيِّنَا ﷺ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

(طويل)

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا مُسْتَعَارٌ لِزِينَةٍ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهْ[1]

مَعْنَى: مَا السِّرُّ فِي السَّيْفِ إِنَّمَا السِّرُّ فِي الْفَعَّالِ بِهِ. وَمَا السِّرُّ فِي الدِّرْعِ وَلَا فِي الأُطُمِ وَإِنَّمَا السِّرُّ فِي حِفْظِ اللهِ وَرِعَايَتِهِ.

(1) البيت لأبي عبادة البحتري يمدح الفتح بن خاقان، وهو في ديوانه: 3/ 1612، عيون الأخبار: 1/ 129، الحماسة المغربية: 1/ 417 برواية «بزغاد»، ولم أعثر على رواية «مستعار»، ونسب البيت في السمط: 1/ 246 للمتنبي ولا يوجد في ديوانه.

وَ(**وِقَايَةُ**): مُبْتَدَأٌ. وَ(**أَغْنَتْ**): فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، لَكِنَّ أَجْزَاءَ الْجُمْلَةِ طَلَّابَةٌ لِلْعَمَلِ فِي مَعْمُولَاتِهَا، وَلِذَلِكَ طَالَتِ الْجُمْلَةُ، فَقَدْ طَالَتْ هُنَا حَتَّى طَلَبَ (**أَغْنَى عَنْ مُضَاعَفَةٍ**)، وَطَلَبَتْ (**مُضَاعَفَةٍ**) [مَا][1] يُبَيِّنُ جِنْسَهَا، وَطُولِبَتِ الْجُمْلَةُ الْمَقْرُونَةُ بِـ (**مِنَ**) الْبَيَانِيَّةِ إِلَى [180]// مَعْطُوفٍ مُشَارِكٍ فِي الْحُكْمِ، وَطَلَبَ الْمَعْطُوفُ مَا يُبَيِّنُهُ فَطَالَ لِذَلِكَ الأَمْرُ.

وَ(**الأُطُمُ**) وَإِنْ أُعِدَّتْ لِلتَّحَصُّنِ بِهَا الصَّرْحُ أَحْصَنُ مِنْهَا، وَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالصَّرْحِ - وَإِنْ كَانَ أَحْصَنُ مِنْ بَعْضِ الأُطُمِ - إِلَّا احْتِيَاجُهُ لِقَافِيَةِ الْمِيمِ، وَلِعُمُومِ الأُطُمِ؛ لأَنَّ التَّحَصُّنَ يَكُونُ بِالْعَالِ مِنْهَا وَبِغَيْرِ الْعَالِ.

وَ(**الْمَشِيدُ**): يَقَعُ عَلَى الْمُسْتَطِيلِ وَغَيْرِ الْمُسْتَطِيلِ. وَ(الْمَشِيدُ): الْمُلَبَّسُ بِالْجِيَّارِ، أَوْ الْجِبْصِ أَوْ بِالطِّينِ، فَكُلُّ بِنَاءٍ مُلَبَّسٍ فَهُوَ مَشِيدٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: 45].



(1) في الأصل: «عما».

80 ـ قَالَ:

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ   إلاَّ وَنِلْتُ جِوَاراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ(1)

شرح: هَذَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ الأَوَّلِ، وَمَا بَعْدَهُ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِ. وَ(**سَامَ**): لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ يَكُونُ بِمَعْنَى: سَأَلَ عَنْ ثَمَنِ السِّلْعَةِ يُرِيدُ شِرَاءَهَا. يُقَالُ: سَامَ السِّلْعَةَ سَوْماً؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

لَقَدْ هَزَلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا   كِلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ(2)

وَمُضَارِعُهُ فِي الْحَدِيثِ: «لَا يَسُومُ أَحَدٌ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ»(3). وَيَكُونُ بِمَعْنَى: أَرَادَ بِغَيْرِهِ سُوءاً قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: 49، وإبراهيم: 6]، أَيْ: يُرِيدُونَهُ بِكُمْ، أَوْ يُولُونَكُمْ إِيَّاهُ.

وَمَعْنَى مَا فِي الْبَيْتِ: مَا وَالَانِي مِنَ الدَّهْرِ سُوءٌ وَاسْتَجَرْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَظَهَرَ لِي بَرَكَةُ اسْتِجَارَتِي بِهِ. وَالْمُرَادُ بِالدَّهْرِ هُنَا: اللَّيَالِي وَالأَيَّامَ. وَقَدْ يُتَجَوَّزُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَيُعْنَى بِهَا الشَّيْطَانُ. وَمِنْهُ مَا أَنْشَدَهُ صاحِبُ «**الْمَعَارِفِ**»(4) لِلشَّيْخِ أَبِي يَزِيدَ(5): (طويل)

---

(1) الديوان: 195.

(2) البيت يجري مجرى المثل وهو في: البديعيات: 100، الكشكول: 2/ 319 مع أبيات لأحمد بن علي بن الحسين المؤدب المعروف بالقالي (ت488هـ).

تصدر للتدريس كل مهوس   بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا   ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها   كلاها وحتى سامها كل مفلس

(3) تخريجه: في السنن الكبرى: 5/ 345، فيض القدير: 4/ 159.

(4) هو كتاب «عوارف المعارف» لشهاب الدين السهروردي. ينظر: ص103.

(5) هو الشيخ أبي يزيد البسطامي، طيفور بن شروسان البسطامي، أحد كبار الصوفية. ترجمته في: (ط الصوفية: 7/ 6 ـ 47، الحلية: 10/ 33 ـ 42، طبقات الأولياء: 245 ـ 398، سير النبلاء: 13/ 49).

تَسَتَّرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ   فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِيَا(1)

فَلَوْ تَسْأَلِ الأَيَّامَ مَا اسْمِي مَا دَرَتْ   وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِيَا

عَبَّرَ بِـ (**الدَّهْر**) عَنِ الشَّيْطَانِ، وَعَبَّرَ عَنْ وَسَاوِسِهِ وَنَزَعَاتِهِ بِـ (**الأَيَّامِ**). وَأَمَّا مَا فِي الْحَدِيثِ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ»(2) الْحَدِيثُ، فَهُوَ حَدِيثٌ وَرَدَ عَلَى سَبَبٍ: وَذَلِكَ أَنَّ جَهَلَةَ الْعَرَبِ كَانُوا يَقُولُونَ: فَعَلَ الدَّهْرُ بِنَا كَذَا وَكَذَا، وَكَانُوا يَسُبُّونَهُ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ سَبِّهِ لاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْفَعَّالَ هُوَ الدَّهْرُ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْفَعَّالَ إِنَّمَا هُوَ اللهُ ﷻ. وَقَدْ تَغَالَتِ الشُّعَرَاءُ فِي إِسْنَادِ الأَفْعَالِ إِلَى الدَّهْرِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا لابْنِ دُرَيْدٍ فِي مَقْصُورَتِهِ: (رجز)

يَا دَهْرُ إِنْ لَمْ تَكُ عُتْبَى فَاتَّئِدْ   فَإِنَّ إِرْوَادَكَ وَالْعُتْبَى سُوَا(3)

فَصَارَ يَلُومُ الدَّهْرَ عَلَى ضِيقِ حَالٍ وَقَعَ بِهِ، ثُمَّ قَالَ مَا هُوَ أَشْنَعُ: (رجز)

مَارَسْتَ مَنْ لَوْ هَوَتِ الأَفْلَاكُ مِنْ   جَوَانِبِ الْجَوِّ عَلَيْهِ مَا شَكَى(4)

فَابْتَلَاهُ اللهُ ﷻ بِفَالِجٍ حَتَّى كَانَ يَتَشَكَّى مِنْ ذُبَابَةٍ إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ. وَمِنْ جُمْلَةِ أَبْيَاتِهِ: (رجز)

لَا تَحْسِبَنْ يَا دَهْرُ أَنِّي ضَارِعٌ   لِنَكْبَةٍ تُعْرِقُنِي عَرْقَ الْمُدَى(5)

---

(1) البيتان لأبي نواس سبق تخريجهما: ص19.

(2) البخاري في الأدب: 22/ 41، مسلم: 4/ 1862 ـ 1863، أحمد: 2/ 395 ـ 461 ـ 499، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: 8/ 71: «رواه الطبراني في الأوسط»، كشف الخفاء: 2/ 476، الديلمي في الفردوس: 5/ 10، السيوطي في جمع الجوامع: 1/ 891.

(3) سبق تخريجه: ص314.

(4) سبق تخريجه: ص314.

(5) الديوان: 117، شرح المقصورة: 28، القرطبي: 9/ 253. الضارع: الدليل الخاضع. النكبة: المصيبة والشدة. تعرقني: تزيل لحمي عن عظمي من قولهم: عرقت العظم أعرق عرقا: إذا أكلت ما عليه من لحم. المدى: السكاكين واحدتها مدية. يقول: إنه مع ما وصلت إليه حالته لا يذل ولا يلين ولا يخضع.

غَفَرَ اللهُ لَنَا وَلَهُ. وَقَدْ عَبَّرَتِ الْعَرَبُ أَيْضاً بِالدَّهْرِ عَنِ النَّازِلَةِ تَقَعُ بِالْقَوْمِ، فَيَقُولُونَ: دَهْرُ بَنِي فُلَانٍ شَدِيدٌ، أَيْ حَالُهُمْ فِي شِدَّةٍ. وَقَالَ [عَمْرُو] بْنُ قَمِيئَةَ[1]: (طويل)

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى   فَمَا بَالُ مَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِ[2]
فَلَوْ أَنَّهَا نَبْلٌ إِذَنْ لَاتَّقَيْتُهَا   وَلَكِنَّنِي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ

وَهَذَا كُلُّهُ إِنْ صَدَرَ مِنْ أَهْلِ [الأَدَبِ][3] الإِسْلَامِيِّينَ لَا يَعْتَقِدُونَ بِهِ زَيْغاً وَلَا ضَلَالاً، وَإِنَّمَا يُعَبِّرُونَ بِهِ عَنْ شِدَّةٍ تَقَعُ بِهِمْ فِي الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، وَالتَّرْكُ عَنِ التَّعْبِيرِ بِذَلِكَ أَحْسَنُ.

وَلَوْ قُرِأَ الْبَيْتُ (**مَا سَامَنِي الدَّهْرَ ضَيْمٌ**) بِنَصْبِ (**الدَّهْرَ**) وَضَمِّ (**ضَيْمٌ**) لَكَانَ أَحْسَنَ وَأَسْلَمَ لِلْمُؤَلِّفِ وَلِقَارِئِهَا؛ وَيَكُونُ نَصْبُ (**الدَّهْرَ**) عَلَى الظَّرْفِيَّةِ. وَ(**ضَيْمٌ**) هُوَ الْفَاعِلُ.

وَاخْتُلِفَ فِي مِقْدَارِ الدَّهْرِ، فَقِيلَ: مُدَّةُ [181]// بَقَاءِ الدُّنْيَا. وَقِيلَ: دَهْرُ كُلِّ قَوْمٍ زَمَانُهُمْ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَخِلَافُ الْفُقَهَاءِ فِي مَنْ نَذَرَ أَنْ يَصُومَ الدَّهْرَ خِلَافٌ مَبْسُوطٌ فِي كُتُبِ الْقَوْمِ.

إِذَا حَمَلْنَا كَلَامَ النَّاظِمِ عَلَى كَوْنِ (**الدَّهْرَ**) ظَرْفاً مَنْصُوباً فَلَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ

(1) في الأصل (عمر) والصواب عمرو من بني ضبعة بن قيس بن ثعلبة، وهو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك ويكنى بن كعب قديم جاهلي له شعر جيد. ترجمته في: (المعمرون: 89، المؤتلف: 168، الشعر والشعراء: 1/ 386، الأغاني: 16/ 158 ـ 160، الخزانة: 2/ 248).

(2) في المقاييس: 2/ 306، معجم المرزباني: 200، والمعمرون: 119، وديوان الشعر العربي: 1/ 44، الخزانة: 2/ 250 بلفظ: «تكيف بمن»، في الشعر والشعراء: 1/ 376، والقرطبي: 16/ 172. «فلو أنني أرمى بنبل» وفيك رواية تقيتها»، وفي مجموعة المعاني بلفظ «رأيتها»، ونسبها للبيد، الخزانة: 2/ 250.

(3) في الأصل: «من أهل الأب» ولعل الصواب «الأدب».

شَيْءٌ. وَإِذَا حَمَلْنَاهُ عَلَى تَجَوُّزٍ بِإِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى (**الدَّهْرَ**) فَتَحَقَّقَ قَطْعاً أَنَّ مَنْ تَجَوَّزَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي إِسْنَادِ شَيْءٍ مِنَ الأَفْعَالِ إِلَى الدَّهْرِ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ الْمَجَازَ وَاللهُ أَعْلَمُ. وَالصَّوَابُ عِنْدِي: قِرَاءَةُ (**الدَّهْرَ**) مَنْصُوباً، وَهُوَ أَخْلَصُ لِقَارِئِهِ وَلِلنَّاظِمِ. وَإِذَا جَعَلْنَا (**الضَّيْمَ**) فَاعِلاً بِـ (**سَامَ**) كَانَ مِنْ بَابِ «أَنْبَتَتِ الأَرْضُ النَّبَاتَ» وَمَعْنَاهُ: مَا تَوَجَّهَ قَبْلِي مِنْ مَا سَبَقَ أَنْ يَقَعَ بِي مِنَ الضَّيْمِ وَاسْتَجَرْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَظَهَرَ لِي سِرُّ الاسْتِجَارَةِ. وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِمَّا يُبَدِّلُ الْمَقْدُورَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِمَّا عُلِّقَ فِي الأَزَلِ بِسَبَبِ الاسْتِجَارَةِ بِالنَّبِيِّ ﷺ. وَإِشَارَةُ النَّاظِمِ إِلَى مَا كَانَ أَصَابَهُ، وَاسْتَجَارَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَتَوَسَّلَ بِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ فَعُوفِيَ. وَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّ صَرْفَ الضَّيْمِ عَنْهُ مَهْمَا اسْتَجَارَ مُتَكَرِّرٌ.

وَ(**الْجِوَارُ**): بِكَسْرِ الْجِيمِ، مِنَ الْمُجَاوَرَةِ، لأَنَّهُ مَصْدَرُ فَاعَلَ، وَمَصْدَرُ فَاعَلَ: الْفِعَالُ وَالْمُفَاعَلَةُ؛ قَالَ ابْنُ يَعْمُرَ[1]: (الكامل)

إِذْ لَا تَرَى شِكْلاً يَكُونُ كَشِكْلِنَا   حُسْناً وَيَجْمَعُنَا هُنَاكَ جِوَارُ

وَ(**الْجُوَارُ**) بِضَمِّ الْجِيمِ: الصَّوْتُ الْعَالِي. وَأَمَّا (**الْجَوَارِ**) بِفَتْحِ الْجِيمِ: فَجَمْعُ جَارِيَةٍ، فَإِنَّهَا تُجْمَعُ عَلَى جَوَارٍ وَجَوَارِي.

وَفِي الْبَيْتِ: الْعَكْسُ وَالتَّبْدِيلُ، لأَنَّ فِي صَدْرِهِ الاسْتِجَارَةُ وَالضَّيْمُ عَلَى تَرْتِيبٍ وَعَكْسٍ فِي الْعَجُزِ، فَقَدَّمَ فِيهِ مَا أَخَّرَ وَأَخَّرَ مَا قَدَّمَ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْقَلْبُ، لأَنَّ (**مَا سَامَ**) تُقْرَأُ مِنْ يَمِينِ الْكَلِمَةِ وَشِمَالِهَا، كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ: «دَامَ عَلَى الْعِمَادِ». وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ رَجُلٍ غَيْرِ الْحَرِيرِيِّ خَطَرَ عَلَى قَاضٍ فَقَالَ لَهُ الْكَلِمَةَ، فَأَجَابَ الْقَاضِي بِقَوْلِهِ: «سِرْ فَلَا كَبَا بِكَ الْفَرَسُ»، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ فِي التَّحِيَّةِ وَالرَّدِّ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

(1) هو لقيط بن يعمر شاعر جاهلي مقل. ينظر: الأغاني: 22/ 357. والبيت للعباس بن الأحنف في: شعره: 98.

وَ(**مَا**): مِنْ قَوْلِهِ: (**مَا سَامَنِي**)، نَافِيَةٌ.

وَ(**إِلَّا**): لِتَحْقِيقِ الْمُتَّصِلِ وَتَمْحِيقِ الْمُنْفَصِلِ عَلَى طَرِيقَةِ الْعِرَاقِيِّينَ. وَعِنْدَ عَوَامِّنَا نَقْصٌ لِلنَّفْيِ. وَيَؤُولُ بِالتَّأَمُّلِ إِلَى الْعِبَارَةِ الأُولَى، وَاللهُ أَعْلَمُ.



81 ـ قال:

وَلَا الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ[1]

شرح: هَذَا عَطْفٌ عَلَى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْقَسَمُ، وَهُوَ فِي مَعْنَى التَّفْسِيرِ، لأَنَّ الاحْتِيَاجَ الدُّنْيَوِيَّ وَالأُخْرَوِيَّ ضَيْمٌ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَا سَامَهُ شَيْءٌ مِنَ النَّوْعَيْنِ وَاسْتَجَارَ بِهِ ﷺ إِلَّا كُفِيَ هَمَّ مَا سَامَهُ. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ (**الضَّيْمَ**) الأَوَّلَ مَا يَعْرِضُ لَهُ مِنَ الأَوْصَامِ[2] وَالأَوْصَابِ[3] الْبَدَنِيَةِ عَلَى مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ إِشَارَةٌ لِمَا مَنَحَهُ اللهُ مِنْ إِعَادَةِ صِحَّةِ بَدَنِهِ بَعْدَ سَقَمِهِ.

وَ(**غِنَى الدَّارَيْنِ**): كَفَافُ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا، وَالْهِدَايَةُ لِلطَّاعَةِ الْمَوْعُودِ عَلَيْهَا بِالثَّوَابِ فَيَنْدَفِعُ التَّكْرَارُ، وَتَكُونُ كُلُّ جُمْلَةٍ أَفَادَتْ مَعْنًى غَيْرَ الْمَعْنَى الَّذِي أَفَادَتْهُ الأُخْرَى، وَهُوَ أَوْلَى.

وَ(**الالْتِمَاسُ**): طَلَبٌ يَصْحَبُهُ الْخُضُوعُ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ النُّحَاةِ قَالَ: «الأَمْرُ إِذَا كَانَ مِنَ الأَدْنَى إِلَى الأَعْلَى كَانَ طَلَباً وَخُضُوعاً، وَمِنَ الأَعْلَى إِلَى الأَدْنَى كَانَ أَمْراً، وَمِنَ الْمُتَسَاوِينَ الْتِمَاساً». وَلَا يَنْهَضُ هُنَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَلَباً، وَيَصْحَبُهُ الْخُضُوعُ، لأَنَّ طَلَبَهُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ جِهَةِ بَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ تَذَلُّلٍ وَانْكِسَارٍ وَخُضُوعٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ. [182]// وَقَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى: الْبَحْثِ عَنْ تَحْصِيلِ شَيْءٍ مَا مِنْ غَيْرِ خُضُوعٍ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ»[4]. أَيْ: اطْلُبْ، أَوِ ابْحَثْ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لأَنْ يَكُونَ الطَّلَبُ

---

(1) الديوان: 195، وفي الأصل رواية: ونلت.

(2) الأوصام: جمع وصم وهو العيب في كل شيء.

(3) الأوصاب: الأسقام، والصوب: شدة التعب، وفيه: «فيه عذاب واصب»، أي: دائم ثابت.

(4) البخاري: 19/ 70.. الترمذي: 2/ 291، النسائي: 6/ 92، أبو داود: 2/ 236، الموطأ: 968.

عَلَى جِهَةِ الْخُضوعِ. وَقَدْ يَقَعُ (**اللَّمْسُ**) مَوْقِعَهُ؛ قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الَّذِينَ رَمَتْهُمُ الشُّهُبُ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: 8][1] أيْ: طَلَبْنَا اسْتِرَاقَ السَّمْعِ مِنْهَا. وَيَأْتِي (**اللَّمْسُ**) بِمَعْنَى: الْمَسِّ؛ وَمِنْهُ: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: 7]. وَأَمَّا (**الالْتِمَاسُ**) بِمَعْنَى الطَّلَبِ فَكَثِيرٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: 13]. وَجَاءَ النَّاظِمُ بِالْفِعْلِ الْمَزِيدِ فِيهِ لأَنَّ (لَمَسَ) لَيْسَ فِي أُصُولِهِ زِيَادَةٌ. بِخِلَافِ (الْتَمَسَ). وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لأَنَّ غَيْرَهُ مِمَّا فِي مَعْنَاهُ فِيهِ اشْتِرَاكٌ، بِخِلَافِ (الْتَمَسَ) لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَعْنَى الطَّلَبِ فَلَا اشْتِرَاكَ فِيهِ.

وَ(**الْغِنَى**): مَقْصُورٌ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ الاحْتِيَاجِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا؛ إِنَّهُ طَلَبَ مِنَ اللهِ ﷻ أَنْ يُغْنِيَهُ عَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ، وَقَدْ فَعَلَ. أَمَّا فِي جَسَدِهِ: فَقَدْ حَارَ فِيهِ الأَطِبَّاءُ، وَأَغْنَاهُ اللهُ عَنْهُمْ وَعَافَاهُ مِنْ غَيْرِ مُعَانَاةِ طَبِيبٍ. وَأَمَّا عَنْ خِدْمَةِ الْخَلْقِ كُلِّهِم: فَقَدْ أَقْلَعَ عَنْ ذَلِكَ، وَأَدْرَكَهُ النَّدَمُ عَلَى مَا أَسْلَفَ مِنْ خِدْمَتِهِمْ، حَسْبَمَا يَذْكُرُهُ بَعْدُ عِنْدَ التَّخَلُّصِ فِي آخِرِ الْقَصِيدَةِ. وَأَمَّا احْتِيَاجُ الْعَبْدِ إِلَى خَالِقِهِ مَعَ اسْتِغْنَائِهِ عَنِ الْخَلْقِ: فَهُوَ عَيْنُ الْغِنَى، إِذِ الْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهُمْ فُقَرَاءُ إِلَى اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15].

وَ(**الْيَدُ**) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ تَرِدُ وَالْمُرَادُ بِهَا: الْجَارِحَةُ. وَتَرِدُ وَالْمُرَادُ بِهَا: النِّعْمَةُ. وَتَرِدُ وَالْمُرَادُ بِهَا: الْقُدْرَةُ. وَتَرِدُ وَالْمُرَادُ بِهَا: الْجَاهُ وَالْعِنَايَةُ. وَ(**الْيَدُ**) هَا هُنَا تَحْتَمِلُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا النِّعْمَةَ الَّتِي يُجْرِي اللهُ ﷻ عَلَى مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِحُرْمَةِ نَبِيِّهِ. وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ (**الْيَدُ**) هَا هُنَا بِمَعْنَى: الْعِنَايَةِ، وَتَكُونُ (**مِنْ**) بِمَعْنَى: عَلَى، أَيْ: عَلَى عِنَايَتِهِ وَجَاهِهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «فَتَحَ اللهُ لِي عَلَى يَدِ فُلَانٍ»، أَيْ: بِجَاهِهِ وَعِنَايَتِهِ، أَوْ بِرَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا حَصَلَ لَهُ غِنَى الدُّنْيَا، وَمِنْ أَيْنَ تَوَصَّلَ إِلَى غِنَى الآخِرَةِ؟

(1) وفي الأصل: «إنا لمسنا..».

قُلْتُ: لَمَّا يُسِّرَ لِلطَّاعَةِ، وَقُضِيَتْ حَاجَتُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ بِجَاهِ مَنْ تَوَسَّلَ بِجَاهِهِ ﷺ، اسْتَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ حَوَائِجَ الأُخْرَى مَقْضِيَّةٌ، لأَنَّ الطَّاعَةَ مَفَاتِحُ الْجَنَّةِ.

وَ(**الاسْتِلَامُ**) فِي اللُّغَةِ: التَّقْبِيلُ؛ وَمِنْهُ اسْتِلَامُ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ[1]. وَأَرَادَ: مَا الْتَمَسْتُ الْغِنَى إِلَّا بَاشَرْتُهُ مِنْ خَيْرِ [مُسْتَلَمٍ][2].

وَ(**النَّدَى**): هُوَ الْعَطَاءُ الْجَزِيلُ. وَاسْتَعْمَلَ (الاسْتِلَام) هُنَا لِمَا فِي لَفْظِهِ مِنَ الْبَرَكَةِ. وَنُونُ (**النَّدَى**) مَفْتُوحٌ، وَهُوَ مَقْصُورٌ، وَهُوَ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْكُرَمَاءِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (طويل)

سَأَلْتُ النَّدَى هَلْ أَنْتَ حُرٌّ؟ فَقَالَ: لَا ، … وَلَكِنَّنِي عَبْدٌ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ[3]

فَقُلْتُ: شِرَاءً. قَالَ: لَا بَلْ إِرَاثَةً … تُوَارَثُ عَنْ وَالِدٍ بَعْدَ وَالِدِ

وَقَوْلُهُ: (**مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمٍ**)، أَيْ: مِنْ خَيْرِ مُسْتَلِمٍ مِنْهُ. وَإِنْ جَعَلْنَاهُ مِنِ (اسْتَلَمَ) مُتَعَدِّياً بِنَفْسِهِ لَا تُضْمِرُ إِذْ ذَاكَ مَجْرُوراً. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِـ (اسْتَلَمْتُ) أَنَّهُ بَاشَرَ ذَلِكَ الاسْتِغْنَاءَ بِاللهِ عَنْ غَيْرِهِ، فَحَصَلَ لَهُ الاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْخَلْقِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْقَطْعُ بِحُصُولِ غِنَى الآخِرَةِ؛ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ كَلَامُهُ بَعْدُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَلَوْ قَطَعَ بِحُصُولِهِ مَا اسْتَشْعَرَ بِقَنَطِ النَّفْسِ، وَصَارَ يُرَجِّيهَا. وَالْغَنَاءُ الَّذِي حَصَلَ لَهُ لَا يُنَاقِضُ مَا يَأْتِي فِي قَوْلِهِ: (**وَلَمْ أُرِدْ** [183]// **زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي قَطَفَتْ**)[4]، كَأَنَّهُ يَقُولُ: الْغِنَى الَّذِي حَصَلَ لِي هُوَ عَدَمُ الاحْتِيَاجِ إِلَى الْخَلْقِ، وَالاكْتِفَاءِ بِالْخَالِقِ.

(1) الحجر الأسود: هو الذي في الجدار في الركن الشمالي لبيت الله الحرام. ينظر: معجم البلدان: 2/ 224.

(2) في الأصل: «مستلزم»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) في الأصل: «توارث وفي». البيتان في: العقد: 1/ 226 «توارثني عن»، البديع: 236 «توارثني من» و«لكني مولى»، رسائل الثعالبي: 200، بهجة المجالس: 89.

(4) الديوان: 195.

وَ(**زَهْرَةَ الدُّنْيَا**): حُطَامُهَا الَّذِي يُبَاهِي بِهِ أَهْلُ الدُّنْيَا، فَلَا تَعَارُضَ، فَزُهْدُهُ فِيهَا غِنًى.

وَ(**اسْتَلَمَ**) وَ(**الْتَمَسَ**) مِنْ تَصَرُّفِ الْكَلِمَةِ بِالتَّصَرُّفِ الأَكْبَرِ؛ فَإِنَّ (**الْتَمَسْتُ**) كَلِمَةٌ سُدَاسِيَةٌ تَقْبَلُ مِنْ وُجُوهِ التَحَوُّلِ وُجُوهاً كَثِيرَةً، أَلَا تَرَى أَنَّ (مِنْ) يَقْبَلُ وَجْهَيْنِ، وَيَقْبَلُ (زَيْدٌ) سِتَّةَ أَوْجُهٍ فَإِنَّكَ تَضْرِبُ عَدَدَ حُرُوفِ (زَيْدٍ) فِي وَجْهَيْ (مِنْ). وَ(جَعْفَرٌ) أَرْبَعَةُ أَحْرُفٍ فِي سِتَّةِ وُجُوهِ (زَيْدٍ) فَيَقْبَلُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ وَجْهاً. وَ(سَفَرْجَلٌ) خَمْسَةُ أَحْرُفٍ فِي أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ. وَكَذَلِكَ مَا تَزِيدُ [شَيئاً][1] إِلَّا وَعَمِلْتَ بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ.



(1) في الأصل: «شيء».

82 - قَالَ:

لَا تُنْكِرُوا الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ ... قَلْباً إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ[1]

شرح: مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْ كَلَامَ النَّاظِمِ كُلَّ التَّأَمُّلِ يَقُولُ: لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ لأَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ نَمَطٍ وَهَذَا مِنْ نَمَطٍ آخَرَ، إِذْ شَتَّانَ مَا بَيْنَ قَوْلِهِ: (**مَا سَامَنِي الدَّهْرُ**) وَالْبَيْتُ بَعْدَهُ وَبَيْنَ (**لَا تُنْكِرُوا الْوَحْيَ**). وَإِذَا تَثَبَّتَ النَّاظِرُ فِي كَلَامِ النَّاظِمِ ظَهَرَ لَهُ التَّنَاسُبُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ بِمُعْجِزَةِ الانْشِقَاقِ، وَكَانَتْ بِمَكَّةَ فِي مَبَادِي دَعْوَاهُ النُّبُوءَةَ ﷺ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ لَهُ فِي مَبَادِي أَمْرِهِ الْوَحْيُ فِي النَّوْمِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا ظَهَرَتْ كَأَنَّهَا فَلَقُ الصُّبْحِ، فَشَاعَ مِنْ أَمْرِهِ ﷺ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فِي النَّوْمِ. وَتَلَقَّى أَمْرَهُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ السَّابِقِينَ كَأَبِي بَكْرٍ وَخَدِيجَةَ وَعَلِيٍّ وَتَوَابِعِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِالْقَبُولِ. وَكَانَ يَظْهَرُ لَهُمْ مَا يَقُولُهُ ﷺ. وَكَانَ مَنْ خَتَمَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ بِالْكُفْرِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً يُنَاقِضُ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ ﷺ، وَيَطْعَنُ فِي دَعَاوِيهِ.

وَ[كَانُوا][2] يَقُولُونَ حِينَ يُخْبِرُ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ فِي النَّوْمِ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ: أَحْوَالُ النَّائِمِ لَا [تُسْتَغْرَبُ][3]، فَإِنَّ خَرْقَ الْعَادَاتِ فِي النَّوْمِ عَامَّةٌ، إِذْ قَدْ يَرَى النَّائِمُ أَنَّهُ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ، وَيَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، وَيُعَايِنُ الأُمُورَ الَّتِي لَا يَتَأَتَّى أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ مَقْدُورِهِ فِي حَالِ يَقَظَتِهِ عَادَةً، فَلَا مَزِيَّةَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَدٍ، فَمَا مَزِيَّةُ مُحَمَّدٍ عَلَى غَيْرِهِ فِي هَذَا حَتَّى يَدَّعِيَ النُّبُوءَةَ بِمَا هُوَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْبَشَرِ؟ فَأَخَذَ النَّاظِمُ يَرُدُّ عَلَى الْمُلْحِدَةِ، وَيَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ؛ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: مَا

(1) الديوان: 195.
(2) في الأصل: «كان».
(3) في الأصل: «يستغرق».

قَرَّرْتُمْ مِنْ خَرْقِ الْعَادَاتِ فِي النَّوْمِ لِكَثِيرٍ مِنَ الْبَشَرِ نَقُولُ بِمُوجِبِهِ وَلَا يَتَنَاوَلُ مَحَلَّ النِّزَاعِ، لِأَنَّا نَقُولُ: خَوَارِقُ الْعَادَاتِ الَّتِي ذَكَرَ عَامَّةٌ لَا دَلِيلَ فِيهَا عَلَى وَحْيٍ، فَإِنَّ مَنْ أَصَابَهُ ذَلِكَ وَرَآهُ لَا دَلِيلَ فِيهَا، لِأَنَّهَا صَدَرَتْ عَمَّنْ خَرَجَ بِنَوْمِهِ عَنْ عَالَمِ الْحِسِّ لِاسْتِغْرَاقِ النَّوْمِ رَأْسَهُ وَعَيْنَيْهِ وَقَلْبَهُ، لِأَنَّ أَبْخِرَةَ الْأَغْذِيَةِ إِذَا نَضِجَتْ بِالْمَعِدَةِ، وَأَثَارَتْ أَبْخِرَةً، صَعِدَتْ بِقُدْرَةِ اللهِ ﷻ إِلَى الدِّمَاغِ، وَتَنْعَكِسُ عَلَى الْعَيْنَيْنِ؛ فَيَكُونُ فِي الرَّأْسِ سِنَةً، وَفِي الْعَيْنَيْنِ نُعَاساً، وَفِي الْقَلْبِ نَوْماً. وَيَتَأَتَّى فِي الْحَالَةِ النَّوْمِيَّةِ خَيَالَاتٌ: مِنْهَا مَا يَكُونُ مِنْ جِهَةِ حَدِيثِ النَّفْسِ. وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنْ جِهَةِ الْأَخْلَاطِ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَى النَّائِمِ. وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنْ إِلْقَاءِ الشَّيَاطِينِ. وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنْ قِبَلِ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

[184]// وَأَمَّا مَا يَرَاهُ هُوَ فِي حَالِ النَّوْمِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الَّذِي قَدَّمْنَاهُ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُلْحِدَةِ بَاهَتُّمْ فِي إِنْكَارِكُمُ النُّبُوءَةَ؛ رَأَيْتُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ فَقُلْتُمْ: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، فَظَهَرَتْ عَلَيْكُمُ الْأَدِلَّةُ الْقَاطِعَةُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِ ﷺ؛ إِذْ كَذَّبَتْكُمُ الرِّفَاقُ وَالسُّفَّارُ، إِذْ شَهِدَتْ أَنَّهَا عَايَنَتِ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، وَتَبَيَّنَ كَذِبُكُمْ وَحَسَدُكُمْ.

وَكَذَلِكَ كُفْرُكُمْ وَتَكْذِيبُكُمْ بِقَوْلِكُمْ: إِنَّ مَا يَرَاهُ فِي النَّوْمِ لَا حُجَّةَ فِيهِ. فَإِنَّا نَقُولُ: إِنَّمَا يَرِدُ مَا قُلْتُمْ فِي حَقِّ مَنْ يَسْتَغْرِقُ النَّوْمُ قَلْبَهُ، وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ؛ فَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حَالِ نَوْمِ عَيْنَيْهِ إِنَّمَا هُوَ فِي حَالِ يَقَظَةِ قَلْبِهِ، فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ نَوْمٌ. وَهَذَا يَرُدُّ إِيرَادَكُمُ الْفَاسِدَ، وَقَوْلَكُمُ الَّذِي لَا يَرِدُ إِلَّا عَلَى رَأْيِ مَنْ هُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ. وَلِهَذَا التَّقْرِيرِ أَشَارَ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ: **(فَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ)**، فَهِيَ إِشَارَةُ تَعْظِيمٍ وَتَفْخِيمٍ لِهَذَا الشَّأْنِ الْخَارِقِ لِلْعَادَةِ. وَهُوَ الْإِيحَاءُ إِلَيْهِ فِي نَوْمِهِ لِيَقَظَةِ قَلْبِهِ.

وَلِلْوَحْيِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَحَامِلُ: يَكُونُ بِمَعْنَى: الْإِبَانَةِ عَمَّا فِي النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ مُشَافَهَةٍ عَلَى أَيِّ مَعْنًى وَقَعَتْ: مِنْ إِيمَاءٍ، أَوْ رِسَالَةٍ، أَوْ إِشَارَةٍ، أَوْ

مُكَاتَبَةٍ. تَقُولُ: أَوْحَيْتُ إِلَى فُلَانٍ، أَيْ: أَشَرْتُ إِلَيْهِ، أَوْ كَلَّمْتُهُ بِكَلَامٍ خَفِيٍّ، أَوْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ، أَوْ أَلْهَمْتُهُ. وَتَقُولُ: أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، أَيْ: أَلْهَمَهُ وَمِنْهُ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: 68]. وَيَكُونُ بِمَعْنَى: التَّسْخِيرِ. تَقُولُ: أَوْحَى إِلَى فُلَانٍ، أَيْ: سَخَّرَهُ. وَأَوْحَى إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، أَيْ: أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51] الآية. وَقَالَ تَعَالَى فِي الْوَحْيِ بِمَعْنَى؛ الإِشَارَةِ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11]. وَقَالَ فِي الْمَسْمُوعِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: 4 و5]. وَفِي وَحْيِ الْمَنَامِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7]. وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «الرُّؤْيَى الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوءَةِ»[1]. وَمِنَ الْوَحْيِ بِمَعْنَى: الْكِتَابَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (بسيط)

مَا هَيَّجَ الشَّوْقَ مِنْ أَطْلَالٍ دَارِسَةٍ ... أَضْحَتْ خَلَاءً كَخَطٍّ خَطَّهُ الْوَاحِي[2]

وَبِمَعْنَى: الإِشَارَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

وَيُوحِي اللهُ بِالْلَّحَاظِ سَلَامَهَا ... مَخَافَةَ وَاشٍ حَاضِرٍ وَرَقِيبِ[3]

وَوَحْيُ الإِشَارَةِ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ. وَوَحْيُ الْمَنَامِ كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ فِيهِ ﷺ كَمَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي الْيَقَظَةِ.

وَقَدْ سَلَكَ بَعْضُ الأَصْحَابِ فِي الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ مَسْلَكاً دَقِيقاً، لِأَنَّ النَّاظِمَ لَمَّا قَالَ: **(وَلَا الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ)** الْبَيْتَ،

(1) البخاري: 24/ 100 ـ 101، مسلم: 4/ 1774، ابن ماجه: 3914، الموطأ: 819، البغوي: 12/ 213، الديلمي: 2/ 278، العجلوني: 1/ 526. وفي الحديث ألفاظ عدة.

(2) رواية البيت في اللسان/خلع: «ما هيج الشوق من أطلال × أضحت قفاراً كوحي الواحي».

(3) اللّحاظ: النظر بمؤخر العين مما يلي الصدغ. ل/لحظ.

اسْتَشْعَرَ سُؤَالاً، وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: وَكَيْفَ تَسْأَلُ النَّدَى أَوِ الغِنَى مِنْ يَدِ مَنْ غَابَتْ عَيْنُهُ بِوَفَاتِهِ؟ فَحَادَ عَنِ التَّصْرِيحِ بِأَنْ يَقُولَ: هُوَ ﷺ يَسْمَعُ مَنْ يَسْأَلُهُ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ وَلَوْ غَابَ عَنْ أَعْيُنِنَا شَخْصُهُ فَلَمْ تغب عَنْهُ ﷺ أَحْوَالُنَا، لأَنَّ لَهُ خَصَائِصَ خُصَّ بِهَا ﷺ. فَعَرَّضَ بِقَوْلِهِ: (**لَا تُنْكِرُوا الْوَحْيَ [مِنْ]**[1] **رُؤْيَاهُ**) لِغَرَضٍ عَظِيمٍ، لأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ كَانَتْ أَحْوَالُهُ فِي الدُّنْيَا خَارِقَةَ الْعَادَاتِ فَكَيْفَ فِي غَيْرِ حَالِ الدُّنْيَا؟ فَإِنَّ لِرُوحِهِ خَصَائِصَ لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِهِ مِنَ الأَرْوَاحِ، لأَنَّ الدُّنْيَوِيَّةَ مَوْتٌ بِنَفْسِهَا وَبَعْدَ الْوَفَاةِ يَقَظَةٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا اسْتَيْقَظُوا»[2]. وَإِذَا كَانَ مَنْ مَاتَ مِنَ النَّاسِ يَسْتَيْقِظُ [185]// فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ نَائِماً فِي حَيَاتِهِ وَلَا بَعْدَ وَفَاتِهِ؟ وَهَذَا مَسْلَكٌ بَدِيعٌ، حَسَنٌ فِي التَّدْقِيقِ، جَارٍ عَلَى مَنْهَجِ التَّحْقِيقِ.

وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ عَلَى أَنَّ رُؤَى الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، قَالَ ﷺ: «رُؤَى الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ»[3]. وَقَالَ: «تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»[4]. وَقَالَ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ تَنَامُ أَعْيُنُنَا وَلَا تَنَامُ قُلُوبُنَا»[5] وَلِهَذَا أَشَارَ النَّاظِمُ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: الْوَحْيُ شَرْطُهُ وُجُودُ عَقْلِ الْمُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ ﷺ لَمْ يَنَمْ لَهُ قَلْبٌ فَلَمْ يُفْقَدْ لَهُ عَقْلٌ لَا فِي الْيَقَظَةِ وَلَا فِي الْمَنَامِ. وَقَصَدَ تَأْكِيدَ الْخَبَرِ، فَقَدَّمَ قَوْلَهُ: (**لَا تُنْكِرُوا الْوَحْيَ**) رَدّاً لِلْمُلْحِدَةِ. وَأَكَّدَ الْخَبَرَ بِـ(**إِنَّ**) فَقَالَ: (**إِنَّ لَهُ قَلْباً**)، فَإِنَّ الْخَبَرَ الَّذِي تَتَشَوَّفُ نُفُوسُ السَّامِعِينَ إِلَيْهِ وَتَنْشَطُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ جَدِيرٌ بِأَنْ يُلْقَى إِلَيْهِ مُؤَكَّداً، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: (خفيف)

(1) في الأصل: «عن»، وما أثبتناه عن الديوان.
(2) سبق تخريجه: ص291.
(3) البخاري: 2/ 138 ـ 139، الترمذي: 5/ 283، الديلمي: 2/ 272، إتحاف السادة المتقين: 6/ 320، تذكرة الموضوعات: 131، كنز العمال: 44426، مجمع الزوائد: 8/ 156، كشف الخفاء: 1/ 518.
(4) البخاري: 14/ 147 ـ 148 و6202 بلفظ: «أن عيني تنمان ولا ينام قلبي»، ابن حبان: 8/ 100 ـ 101، الموطأ: 109، أبو داود: 1/ 52.
(5) سبق تخريجه: ص291.

بَكْرًا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ ... إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ[1]

لأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: (بَكْرًا) تَشَوَّفَتِ النُّفُوسُ إِلَى فَائِدَةِ التَّبْكِيرِ، فَجَاءَ بِالْفَائِدَةِ مُؤَكَّدَةَ الْخَبَرِ بِـ(إِنَّ).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى الرُّؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»[2].

وَقَوْلُهُ: (**إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ**)[3]، وَلِلشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ تَقْسِيمَاتٌ: أَنْ يَكُونَ الْفِعْلَانِ مَاضِيَيْنِ، أَوْ مُضَارِعَيْنِ، أَوْ مُتَخَالِفَيْنِ. وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى إِنَّمَا يَأْتِيَانِ عَلَى جِهَتَيْنِ: الْجِهَةُ الأُولَى: جِهَةٌ يَطْلُبُ فِيهَا الشَّرْطُ الْجَزَاءَ وَيَتْبَعُهُ. وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ مُنَافِراً لَهُ فِي الظَّاهِرِ حَتَّى يُظَنَّ بِهِمَا أَنَّهُمَا لَا يَتَوَارَدَانِ عَلَى مَحَلٍّ. فَمِنَ الأَوَّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي دَلِيلِ التَّمَانُعِ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22]، فَإِنَّ تَعَدُّدَ الآلِهَةِ يَنْشَأُ عَنْهُ الْفَسَادُ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: 91]. وَمِنَ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: 154]. فَإِنَّ النُّفُوسَ تَتَخَيَّلُ أَنَّ تَأَخُّرَهُمْ عَنِ الْحَرْبِ وَبَقَاءَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ مَانِعٌ لَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ.

وَالْقَضِيَّةُ الشَّرْطِيَّةُ فِي الْجِهَةِ الأُولَى تَتْمِيمُ لُزُومِيَّةٍ، وَفِي الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ غَائِيَّةٌ. وَمِنَ الْغَائِيَّةِ قَوْلُ النَّاظِمِ: (**إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ**)[4]، لأَنَّ الْحَاصِلَ فِي الأَوْهَامِ أَنَّ مَنْ نَامَتْ عَيْنَاهُ نَامَ قَلْبُهُ. وَفِي هَذَا الْمَهْيَعِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُبَالَغَةِ: فَإِنَّهُ وَصَفَهُ ﷺ بِوَصْفٍ مُخَالِفٍ لِعَادَةِ الْبَشَرِ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ، لَكِنَّ هَذَا

(1) سبق تخريجه: ص93.
(2) البخاري: 1/ 31، و24/ 94، مسلم: 1/ 139، الترمذي: 5/ 257، أحمد: 6/ 153، أبو نعيم: 1/ 145، ابن هشام: 1/ 151.
(3) الديوان: 195.
(4) الديوان: 195.

وَإِنْ خَرَجَ عَنْ عَادَةِ الْبَشَرِ بِمَا رَبَطَهُ اللهُ بِحِكْمَتِهِ أَنَّ مَهْمَا وُجِدَ نَوْمُ الْعَيْنِ وُجِدَ نَوْمُ الْقَلْبِ، لَا يَخْرُجُ عَنِ الإِمْكَانِ الْعَقْلِيِّ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ عَادَةً أَنْ يَكُونَ مُسْتَحِيلاً عَقْلاً، وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِمَّا لَا يَسْتَحِيلُ عَقْلاً - مَعَ أَنَّ مَقَامَ النُّبُوءَةِ مَقَامُ خَرْقِ الْعَادَاتِ - جَاءَ بِهِ النَّاظِمُ دَلِيلاً عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاهُ. وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الإِغْرَاقِ عِنْدَ قَوْمٍ.

وَالرِّوَايَةُ (**لَا تُنْكِرُوا**). وَفِيهِ: (**لَا تُنْكِرْ**) عَلَى خِطَابِ وَاحِدٍ مُقَدَّرٍ.

وَالضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِاللَّامِ عَائِدٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَفَاعِلُ (**يَنَمِ**) يَعُودُ عَلَى (**الْقَلْبِ**).

وَ(**مِنْ**) فِي قَوْلِهِ: (**مِنْ رُؤْيَاهُ**) لِبَيَانِ الْجِنْسِ.

وَ(**إِذَا**): مِنَ الْمَحْمُولِ عَلَى (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ، وَلَا تَعْمَلُ، وَسُمِعَ الْعَمَلُ بِهَا فِي نَادِرِ كَلَامٍ، وَهِيَ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ لَا تَلِي إِلَّا الْفِعْلَ ظَاهِراً أَوْ مُقَدَّراً عَلَى اللُّزُومِ. وَيَجُوزُ إِيلَاؤُهُمَا الأَسْمَاءَ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، وَلَا تَنْفَكُّ عَنِ الإِضَافَةِ بِوَجْهٍ، وَلِذَلِكَ بُنِيَتْ لِشِدَّةِ افْتِقَارِهَا[1].



(1) ينظر سيبويه: 4/ 232.

83 - قَالَ: [186]//

فَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ ... فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ[1]

شرح: لَمَّا أَخْبَرَ النَّاظِمُ عَنْ نَوْمِ الأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ لَا يَسْتَغْرِقُ قُلُوبَهُمْ أَشَارَ بِأَنَّ تِلْكَ الصِّفَةَ إِنَّمَا تَكُونُ حِينَ بُلُوغِهِمُ الأَشُدَّ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ النُّبُوءَةِ؛ فَالإِشَارَةُ [إِذَنْ][2] إِنَّمَا هِيَ لِلْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا النَّوْمُ مَقْصُوراً عَلَى الْعَيْنَيْنِ، وَإِنْ كَانَ بَادِئَ الأَمْرِ أَنَّهَا صِفَةٌ مُقَارِنَةٌ لِوُجُودِ ذَوَاتِهِمْ. وَيَدُلُّ عَلَى مَا قَصَدَهُ النَّاظِمُ قَوْلُهُ ﷺ: «رُؤَى الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ»[3]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِالرُّؤَى الَّتِي تَقَعُ بَعْدَ بُلُوغِ الأَشُدِّ؛ لأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَضَمَّنَ حُكْماً مُعَلَّقاً عَلَى وَصْفِ النُّبُوءَةِ، وَتَعْلِيقُ الْحُكْمِ عَلَى الْوَصْفِ الْمُنَاسِبِ الْمُشْعِرِ بِعِلِّيَّةِ ذَلِكَ الْوَصْفِ لِذَلِكَ الْحُكْمِ، وَالْمَعْلُولُ لَا يَسْبِقُ عِلَّتَهُ.

وَأَيْضاً فَإِنَّ هَذِهِ الرُّؤَى كُلَّهَا وَحْيٌ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْوَحْيُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ قَابِلاً لِلْوَحْيِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيّاً لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَحْيٌ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ رُؤَى الْوَحْيِ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الرَّائِي قَابِلاً لِلنُّبُوءَةِ. وَأَيْضاً فَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ الْمُتَقَدِّمِ أَنَّهُ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ»[4]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ قَبْلَ بِدَايَةِ النُّبُوءَةِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي كَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا خَرَجَتْ كَفَلَقِ الصُّبْحِ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ إِشَارَةَ النَّاظِمِ إِلَى مَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ: (**لَا تُنْكِرُوا**)، وَمَعْنَاهُ: إِنَّ رُؤْيَاهُ إِنَّمَا كَانَتْ وَحْياً حِينَ بُلُوغِهِ مَحَلَّ النُّبُوءَةِ.

(1) الديوان: 195.

(2) في الأصل: «إذا».

(3) سبق تخريجه: ص460.

(4) سبق تخريجه: ص460.

وَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: **(مِنْ نُبُوَّتِهِ)** زَائِدٌ، وَإِنْ كَانَ مُوجَباً فَهُوَ فِي قُوَّةِ كَلَامٍ مَنْفِيٍّ تَقْدِيرُهُ: مَا كَانَ النَّوْمُ مَنْفِياً عَنْ قَلْبِهِ إِلَّا عِنْدَ بُلُوغِ نُبُوَّتِهِ؛ لِأَنَّ (بَلَغ) يَتَعَدَّى إِلَى مَحَلِّ الْبَلَاغِ، وَبُلُوغُهُ الْأَشُدَّ مَحَلٌّ لِذَلِكَ، وَلَا يَقْتَصِرُ بِالزِّيَادَةِ هُنَا عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ، بَلْ تَكُونُ جَائِزَةً عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ لِمَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ أَنَّ قُوَّتَهُ ـ وَإِنْ كَانَ مُوجِباً ـ قُوَّةُ كَلَامٍ مَنْفِيٍّ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي تَحْقِيقِ الِاسْتِدْلَالِ؛ لِأَنَّ الشِّعْرَ مَحَلُّ التَّسَامُحِ فِي مَا وَقَعَ الِاتِّفَاقُ عَلَى مَنْعِهِ فِي السَّعَةِ، فَكَيْفَ بِمَا يَكُونُ فِي الشِّعْرِ؟ مَعَ وُجُودِ مَذْهَبِ إِمَامٍ كَبِيرٍ بِإِجَازَتِهِ مُتَأَوِّلاً كَثِيراً مِنْ آيِ الْقُرْآنِ عَلَى ذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: 31، ونوح: 4].

وَقَدْ كَانَ ﷺ يُفَسِّرُ كَثِيراً مِنَ الرُّؤَى لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ. وَهُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ النُّبُوءَةِ. فَإِذَا كَانَ غَيْرُهُ يُفَسِّرُهَا أَحْرَى هُوَ. كَمَا فَسَّرَ رُؤْيَاهُ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى أُحُدٍ[1]. وَرَأَى أَيْضاً أَنَّهُ تُذْبَحُ بَقَرٌ، فَفَسَّرَهَا بِقَتْلَى[2]. وَرُؤْيَا ظُلَّةٍ[3]. رُؤْيَا الرَّائِي الَّتِي فَسَّرَهَا أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ: أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ: أَصَبْتَ فِي بَعْضٍ وَأَخْطَأْتَ فِي بَعْضٍ»[4]. فَقَدْ مَكَّنَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الِاطِّلَاعِ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا مَنَعَ مِنْهُ الْغَيْرَ.

وَقَوْلُهُ: **(فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ)**: وَقَدْ تَوَقَّفَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ هُنَا وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ: وَلَوْ كَانَ لَهُ رُؤَى فِي حُلْمٍ فَلَيْسَ حُلْمُهُ كَحُلْمِ غَيْرِهِ، حَتَّى جَلَبَ بَيْتَ الْخَنْسَاءِ يُحَسِّنُ لَهُ هَذَا الْمَأْخَذَ حِينَ قَالَتْ: (وافر)

---

(1) البخاري: 24/ 131 ـ 133، مسلم: 4/ 1779، ابن ماجه: 2/ 1292.

(2) البخاري: 24/ 131 ـ 133، مسلم: 4/ 1779، ابن ماجه: 2/ 1292.

(3) الظلة: السحابة التي لها ظل. ينظر: البخاري: 6/ 2582، مسلم: 4/ 1778، ابن حبان: 1/ 315، الترمذي: 4/ 542.

(4) البخاري: 24/ 137 ـ 138، مسلم: 4/ 1777 ـ 1778، أبو داود: 3/ 226 و4/ 207، الترمذي: 3/ 371، ابن ماجه: 2/ 1289 ـ 1290، الدارمي: 2/ 128 ـ 129، ابن حبان: 1/ 161 ـ 162، ابن أبي شيبة: 2/ 120، أحمد: 1/ 231.

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي   عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي[1]

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ   أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْهُمْ بِالتَّأَسِّي

وَإِنْ كَانَ كَلَامُهُ يَلُوحُ [187]// وَلَكِنَّ حَمْلَهُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمَحْمَلِ أَحْسَنُ.

وَكَلَامُ النَّاظِمِ فِيهِ: مِنْ بَابِ (نَفْيِ الشَّيْءِ بِإِيجَابِهِ): وَهُوَ نَوْعٌ بَدِيعٌ عِنْدَ الْبَيَانِيِّينَ.

وَفِيهِ: مِنَ الْمُبَالَغَةِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الْكَلَامِ؛ وَإِذَا تَأَمَّلْتَهُ وَجَدْتَهُ نَفْياً فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ كَانَ إِيجَاباً فِي الظَّاهِرِ، كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

(طويل)

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ   إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا[2]

فَلَمْ يُرِدْ: أَنَّ لَهُ مَنَاراً لَا يُهْتَدَى بِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ: لَا مَنَارَ لَهُ فِيهِ فَيُهْتَدَى بِذَلِكَ الْمَنَارِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرٍ: (طويل)

بِأَرْضٍ خَلَاءٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا   عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرِ[3]

---

(1) البيتان في الديوان: 87 ـ 88، وفي زهر الآداب: 4/ 999، ونهاية الأرب: 5/ 179 برواية: «أسلي»، وفي الكامل: 1/ 14، وأنيس الجلساء: 82، وتحرير التحبير: 2/ 248، وح البصرية: 2/ 174، و ح المغربية: 2/ 712، ونزهة الأبصار: 252 برواية: «أعزي»، الخاطريات: 49.

(2) البيت في الديوان: 66، وفي: أمالي المرتضى: 1/ 288، العمدة: 2/ 695، نهاية الأرب: 7/ 163، المنزع البديع: 300، تحرير التحبير: 3/ 377 برواية: «النباطي». وفي: المثل السائر: 2/ 249، أساس البلاغة: 468. ح/البصرية: 1/ 161 برواية: «على الديافي»، وفي: الشعر والشعراء: 1/ 105، وح/البصرية: 1/ 161 برواية: «على ظهر عادي تحاربه القطا × إذا سلفه العود الديافي جرجراً. واللاحب: الطريق المسلوك. سافه: شمه. والعود: الجمل المسن. والنباطي: نسبة إلى النبط. وجرجر: أرغى وأزبد وصوت.

(3) لا يوجد البيت في ديوان زهير، وهو من شواهد نفي الشيء بإيجابه في: كفاية الطالب: 195، والعمدة: 2/ 696، والوصيد: الفناء.

فَأَثْبَتَ لَهَا فِي اللَّفْظِ وَصِيداً، وَإِنَّمَا أَرَادَ: لَيْسَ لَهَا وَصِيدٌ فَيُسَدُّ عَلَيَّ.
وَيَلْحَقُ بِهِ قَوْلُ [الزُّبَيْرِ][1] بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: (طويل)

صَبَحْتُ بِهِمْ طَلْقاً يُرَاحُ إِلَى النَّدَى ... إِذَا مَا انْتَشَى لَمْ تَحْتَضِرْهُ مَفَاقِرُه[2]
ضَعِيفاً بِجَنْبِ الْكَأْسِ قَبْضُ بَنَانِهَا ... كَلِيلاً عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظَافِرُه

فَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّهُ يَخْمِشُ وَجْهَ النَّدِيمِ إِلَّا أَنَّ أَظَافِرَهُ كَلِيلَةٌ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّهُ لَا يُظْفِرُ وَجْهَ النَّدِيمِ وَلَا يَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: **(لَمْ تَحْتَضِرْهُ مَفَاقِرُه)**، أَيْ: لَيْسَ لَهُ مَفَاقِرُ فَتَحْتَضِرُهُ. وَقَالَ أَبُو كَبِيرٍ الْهُذَلِيُّ يَصِفُ هَضَبَةً: (كامل)

وَعَلَوْتُ مُرْتَقِباً عَلَى مَرْهُوبَةٍ ... حَصْبَاءَ لَيْسَ رَقِيبُهَا فِي مَثْمَلِ[3]
عَيْطَاءَ مُعْنِقَةٍ، يَكُونُ أَنِيسُهَا ... وُرْقُ الْحَمَامِ، جَمِيمُهَا لَمْ يُؤْكَلِ

يُرِيدُ: أَنْ لَيْسَ لَهَا جَمِيمٌ فَيُؤْكَلُ. وَالْحَصْبَاءُ: الَّتِي لَا تُنْبِتُ[4].

وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: 273]، أَيْ: لَا يَسْأَلُونَ الْبَتَّةَ، إِذْ لَا إِلْحَافَ لَهُمْ.

---

(1) في الأصل: «الوليد» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) البيتان في: العمدة: 2/ 696 «ضعيفاً بجنب»، تحرير التحبير: 378 «ضعيف يحث»، نهاية الأرب: 7/ 163 «صحبت» ولعله تحريف. وصحبت: أتيت صباح أو سقيت الصبوح. والطلق: السخي. انتشى: سكر. المفاقر: الواهي والهموم. (ل/ صبح/ فقر).

(3) البيتان في: شرح أشعار الهذليين: 3/ 1077 برواية: «وعلوت مرتبئاً»، وفي العمدة: 2/ 696 برواية: «علوت مرتقبا»، والمرتقب: من ارتقب المكان إذا أشرف عليه وعلا، وهو المنظرة في أعلى الجبل أو الحصن. ومرتبئا: أي كنت ربيئة القوم، أي: طليعتهم وعينهم، ولا يكون إلا على جبل أو شرف. والمرهوبة: التي يرهب أن يرقى فيها. حصاء: ليس فيها نبات. والمثمل: الملجأ، وفي العمدة: 2/ 696 «حصاء». وعيطاء: طويلة العنق. المعنقة: الطويلة. ورق الحمام: جمع ورقاء وهي حمامة في لونها بياض إلى سواد. جميعها لم يؤكل: أي لا يرقى فيها راق ولا راع.

(4) النص في العمدة: 2/ 697. وفيه: «حصاء».

وَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا فَمَعْنَى قَوْلِ النَّاظِمِ: **(فَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ)**: وَلَا حَالٌ حُلِمَ لَهُ فَيُنْكِرُ عَلَيْهِ حَالَ الْمُحْتَلِمِينَ؛ وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْمَعْنَى، وَأَسْلَمُ مِمَّا يَرِدُ عَلَى السَّائِلِ لِمَا بَدَأْنَا بِهِ، لِأَنَّ النَّاظِمَ قَدْ ذَمَّ الْحُلْمَ فِي قَصِيدَتِهِ وَقَالَ:

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ ... قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ[1]

وَاللهُ ﷻ يَقُولُ حِكَايَةً عَنْ قَوْمٍ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [يوسف: 44]. وَمَا بَالُنَا نُثْبِتُ لَهُ الْحُلْمَ، بَلْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَالُ مُحْتَلِمٍ الْبَتَّةَ.

وَالضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِـ **(فِي)** فِي قَوْلِهِ: **(فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ)**: رَاجِعٌ لِلْوَقْتِ، أَيْ: لَمَّا كَانَ الْوَقْتُ وَقْتَ اسْتِحَالَةِ الْحُلْمِ عَلَيْهِ فِيهِ، فَكَيْفَ لِمُنْكِرٍ أَنْ يُنْكِرَ حَالاً لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِي زَمَنِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ فِي النَّوْمِ الْعَيْنِيِّ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَصْحَابِ: «إِنَّ النَّاظِمَ اسْتَعَارَ هُنَا اسْتِعَارَةً حَسَنَةً، فَجَعَلَ لِلنُّبُوَّةِ بُلُوغاً، فَشَبَّهَهُ بِبُلُوغِ الرَّجُلِ وَالْبَعِيرِ [...][2] إِذَا ادَّعَى الِاحْتِلَامَ يُنْكِرُ عَلَيْهِ، لَوِ ادَّعَاهُ الْبَالِغُ لَا وَجْهَ لِانْكَارِهِ، وَلَا وَجْهَ لِإِنْكَارِ الْوَجْهِ فِي النَّوْمِ عَلَى مَنْ بَلَغَ مَحَلَّ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ فَلَيْسَ مَا يَرَاهُ كَمَنْ يَرَاهُ هُوَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، لَكِنَّ الْوَجْهَ الثَّانِيَ أَبْلَغُ وَأَحْسَنُ. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ النَّاظِمَ جَاءَ بِهِ عَلَى تَقْدِيرِ سُؤَالٍ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: لَمَّا كَانَتِ الرُّؤَى مُعَرَّضَةً لِلتَّأْوِيلِ، وَالْوَحْيُ [...][3] قَالَ النَّاظِمُ: ذَلِكَ فِي حَقِّ النَّائِمِ [...][4].



---

(1) الديوان: 193.

(2) طمس لبعض كلمات لحق يمين الورقة 187 من الأصل.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

84 ـ قَالَ:

تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ   وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ[1]

شرح: جَاءَ النَّاظِمُ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى جِهَةِ تَعْظِيمِ الرَّبِّ، وَتَنْزِيهاً لَهُ عَنْ قَوْلِ الْمُبْطِلِينَ وَتَقْرِيراً لِمَا وَهَبَ اللهُ نَبِيَّهُ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَامْتِنَانِهِ [بِالنُّبُوءَةِ][2]، وَإِظْهَارِ الْمُعْجِزَاتِ عَلَيْهِ. وَهِيَ كَلِمَةٌ ـ أَعْنِي **(تَبَارَكَ)** ـ تُسْتَعْمَلُ كَثِيراً عِنْدَ التَّعَجُّبِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ لِلْمُؤَلِّفِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي سَرَدَ، وَبَيَّنَ مَا يُوجِبُ اسْتِعْمَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. وَكَذَا يَتَعَجَّبُ أَيْضاً مِنْ مُنْكِرِي شَيْءٍ مِنْهَا ـ مَعَ شِدَّةِ ظُهُورِهَا ـ، وَمِنْ قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ: إِنَّ النُّبُوءَةَ تُنَالُ بِكَثْرَةِ الْخِدْمَةِ وَتَكَسُّبِهَا الْإِنْسَانَ. وَهَذَا مِنْ صَرِيحِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ الْكَبِيرِ تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوّاً كَبِيراً. وَإِلَيْهِمْ أَشَارَ النَّاظِمُ مُتَعَجِّباً مِنْ قَوْلِهِمْ، وَمُتَبَرِّءاً مِنْهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ طَائِفَةً لَعَنَهُمُ اللهُ [188]// قَالُوا: إِدْرَاكُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ بِالنُّورِ الْإِلَهِيِّ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ عِنْدَ تَطْهِيرِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ لَا بِالسَّمَاعِ الْمُجَرَّدِ. قَالُوا: وَكَيْفِيَّةُ الْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ بِالْمُجَاهَدَةِ؛ وَذَلِكَ بِمَحْوِ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ مِنَ الْقَلْبِ وَتَطْهِيرِهِ مِنْ جَمِيعِهَا، وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ بِكُنْهِ الْهِمَّةِ وَاسْتِغْرَاقِ الْقَلْبِ بِذِكْرِهِ حَتَّى يَغِيبَ عَنْ شُعُورِهِ بِالْحَوَاسِّ، بَلْ عَنْ شُهُودِهِ بِنَفْسِهِ. فَإِذَا تَخَلَّصَ الْقَلْبُ عَنْ حِجَابِ الرَّانِ، وَاسْتَغْرَقَهُ ذِكْرُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْعَقْلِ. وَهُوَ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ وُجُودِ نِسْبَةٍ إِلَى الْمَعْقُولَاتِ وَالْقُوَّةِ الْعَاقِلَةِ نِسْبَةَ الشَّيْءِ إِلَى الْمُبْصَرَاتِ وَالْقُوَّةِ الْبَاصِرَةِ؛ فَعِنْدَ قُوَّةِ إِشْرَاقِهِ عَلَيْهِ حَالَةَ الِاسْتِغْرَاقِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَاشْتِغَالِ ذِكْرِ الْحَوَاسِّ عَنْهُ يَتَّصِلُ بِاللَّوْحِ

(1) الديوان: 196.
(2) في الأصل: «بالنبوية» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

الْمَحْفُوظِ، وَيَتَّضِحُ مَا فِيهِ فِي الْقَلْبِ، فَيَنْعَكِسُ مَا فِي اللَّوْحِ فِي الْقَلْبِ، فَتَثْبُتُ فِيهِ تِلْكَ الْحَقَائِقُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ.

قَالُوا: وَعَلَى قَدْرِ قُوَّةِ الشَّخْصِ وَاسْتِعْدَادِهِ، وَقُوَّةِ قَبُولِهِ تَكُونُ شِدَّةُ اتِّصَالِهِ، وَنُورُ عِلْمِهِ بِمَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ. قَالُوا: وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الِاتِّصَالِ مَوْجُودٌ بِالْقُوَّةِ مِنْ جَوْهَرِ الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ مِنْ جُمْلَةِ الْبَشَرِ. فَالنُّبُوءَةُ إِذَنْ: عَمَلُ الْخَلْقِ، وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى اللهِ. وَيُسَمَّى بِاعْتِبَارِ دَعْوَتِهِ رَسُولاً. وَيُسَمَّى مَا يَنْكَشِفُ لَهُ شَرِيعَةً. وَتُسَمَّى حَالُهُ مُعْجِزَةً. فَإِنْ لَمْ يَشْتَغِلْ [بِدَعْوَةِ][1] الْخَلْقِ سُمِّيَ وَلِيّاً وَحَالَتُهُ كَرَامَةً. وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الدَّعْوَةُ: إِمَّا لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ قَائِمَةُ الْعَيْنِ، أَو لِأَنَّ لَهَا شَرَائِطَ لَا تُوجَدُ فِي هَذَا الْوَلِيِّ؛ وَهِيَ إِرْسَالُ الْعُلُومِ إِلَى الْقُلُوبِ بِالِاطِّلَاعِ عَلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمُدَاوَمَةِ عَلَيْهَا بِحُكْمِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَهَذَا كُلُّهُ خِلَافُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ، بَلِ النُّبُوءَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ كَرَامَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَكْرَمَ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَنِعْمَةٌ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَخَصَّ بِهَا مَنِ اصْطَفَى مِنْ خَلْقِهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا اخْتِيَارٌ، وَلَا لِأَحَدٍ عَلَى اكْتِسَابِهَا اقْتِدَارٌ، بَلْ هِيَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ الْمُبْطِلِينَ مَبْنِيٌّ عَلَى مَذَاهِبِ الْفَلَاسِفَةِ الَّتِي لَا [تَثْبُتُ][2] فِي هَذَا الْمَعْنَى حَقِيقَةً، إِذْ قَالُوا: الْعِلَّةُ تُوجِبُ مَعْلُولَهَا عِنْدَ وُجُودِ شُرُوطِهَا وَالْعَزْوِ عَنِ الْمَوَانِعِ. وَزَعَمُوا أَنَّ مَا قَرَّرُوهُ هِيَ شُرُوطٌ وَالْحَالُ بِبَعْضِ مَا قَرَّرُوهُ مَوَانِعُ. وَهَذَا الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِيهِ إِبْطَالُ قَاعِدَةِ الِافْتِقَارِ إِلَى الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، وَيُفْضِ أَيْضاً بِهِمْ إِلَى اعْتِقَادِهِمِ الْفَاسِدِ مِنَ الْقَوْلِ بِقِدَمِ الْعَالَمِ. وَهَذَا كُلُّهُ زَيْغٌ وَضَلَالٌ أَعَاذَنَا اللهُ مِنْ زَيْغِ الْمُبْطِلِينَ، وَسَلَكَ بِنَا مَسْلَكَ أَهْلِ الْحَقِّ الْمُبِينِ. قَالَ اللهُ الْعَظِيمُ: ﴿وَمَن

(1) في الأصل: «بدعوى».
(2) في الأصل: «يثبت».

يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ﴾ [النساء: 115]. فَالنَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ أَشَارَ إِلَى نَفْيِ تِلْكَ الْمَذَاهِبِ الرَّكِيكَةِ، فَأَخْبَرَكَ أَنَّ الْوَحْيَ لَيْسَ بِمُكْتَسَبٍ.

وَقَوْلُهُ: **(وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ)**[1]، تَنْبِيهٌ مِنْهُ عَلَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ [الَّذِينَ][2] ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْمُعْجِزَاتُ بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ إِذَا أَخْبَرُوا بِمُغَيَّبَاتٍ مَضَتْ، أَوْ مُغَيَّبَاتٍ تَأْتِي، وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا، إِذْ لَا تُهْمَةَ بَعْدَ شَهَادَةِ الْمُعْجِزَةِ لَهُمْ بِالصِّدْقِ. وَأَيْضاً فَإِنَّ صَاحِبَ الشَّرِيعَةِ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ بِسَدِّ بَابِ النُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ، فَلَا مَطْمَحَ لأَحَدٍ فِي نُبُوءَةٍ وَلَا رِسَالَةٍ بَعْدَ إِخْبَارِ الصَّادِقِ بِذَلِكَ **[189]**// إِذْ قَالَ: «لَا نَبِيءَ بَعْدِي»[3]. وَأَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيئِينَ، وَبِهَذَا يَظْهَرُ لَكَ فَسَادُ مَذَاهِبِهِمْ وَكَذِبُهُمْ.

وَأَيْضاً فَإِنَّ التُّهْمَةَ الَّتِي تَعْرِضُ لِلنُّفُوسِ إِنَّمَا تَعْرِضُ لِشُكُوكٍ تُجَوِّزُهَا الْعُقُولُ لِعَدَمِ قِيَامِ الْبَرَاهِينِ الَّتِي [تُوصِلُ][4] إِلَى الْيَقِينِ. وَالأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ إِظْهَارِهِم مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ مَا أَجْرَى اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ لَا تَلْحَقُهُمْ ظُنُونٌ وَلَا تَصِلُهُمْ تُهْمَةٌ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرُوا بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ. وَلَمَّا نَفَى النَّاظِمُ اكْتِسَابَ الْوَحْيِ لَمْ يَلْزَمْ مِنْهُ عَدَمُ وُقُوعِهِ حَيْثُ كَانَ زَمَنَ الْوُقُوعِ حَتَّى جَاءَ كَلَامُ الصَّادِقِ الَّذِي سَدَّ بَابَ وُقُوعِهِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيءِ وَالرَّسُولِ: النَّبِيءُ هُوَ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِإِحْدَاثِ شَرِيعَةٍ. وَالرَّسُولُ: الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ وَأُمِرَ بِإِثْبَاتِ شَرِيعَةٍ، إِمَّا عَامَّةٍ كَمَا أُمِرَ نَبِيُّنَا ﷺ، إِذْ بُعِثَ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ. وَإِمَّا كَغَيْرِهِ مِمَّنْ بُعِثَ إِلَى قَوْمِهِ

(1) الديوان: 196.

(2) في الأصل: «التي».

(3) البخاري: 3/ 1273، مسلم: 4/ 1870، ابن حبان: 15/ 15، الترمذي: 5/ 304، أحمد: 1/ 172، الشفا: 1/ 150.

(4) في الأصل: «التوصل» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

خَاصَّةً. وَالأَنْبِيَاءُ وَالأَرْسَالُ كُلُّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ إِجْمَاعاً، وَمِنْ خَسَائِسِ الصَّغَائِرِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الصَّغَائِرِ. فَمَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ عُمُومُ الْعِصْمَةِ فِي الْجَمِيعِ، وَبِهِ أَقُولُ. وَمَا يُورَدُ مِنْ جِهَةِ بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ فَكُلُّهُ مُتَأَوَّلٌ. وَمَنْ شَاءَ الاطِّلَاعَ عَلَى تَحْقِيقِ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ فَلْيَنْظُر كِتَابَ **«الأَرْبَعِينَ»**[1] لِلإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ، فَقَدْ أَجَابَ عَنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُنْسَبُ لِنَبِيءٍ. وَهُوَ الْحَقُّ، وَبِهِ أَقُولُ. وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِي الأَجْوِبَةِ عَنْ تِلْكَ الشُّبَهِ فِي كِتَابِنَا الْمَعْرُوفِ بِـ **«الدُّرَرُ الْوِهْرَانِيَّةُ فِي شَرْحِ الْبُرْهَانِيَّةِ»**[2] وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيراً.



(1) كتاب الأربعين للرازي: 125.

(2) في الأصل: «الدر الوهرانية في شرح البرهانية» ولعل الأنسب ما أثبتناه، وهذا الكتاب أيضاً من كتبه المحجوبة، لم أعثر عليه.

85 ـ قال:

كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِباً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ ... وَأَطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ[1]

شرح: يُرْوَى: (**مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ**)، وَيُرْوَى: (**مِنْ رِبْقَةِ الأَلَمِ**).

يُقَالُ: (**بَرَأَ**) مِنَ الأَلَمِ بَرْءاً، وَبَرِيَ بِالْيَاءِ، وَهُوَ فِعْلٌ لَازِمٌ، وَالْبُرْءُ مَصْدَرُهُ. وَبَرَأَ مِنَ الشَّيْءِ بَرَاءَةً، أَيْ: انْقَطَعَتْ عَنْهُ الْمُطَالَبَةُ مِنْهُ. وَأَبْرَأْتُكَ مِنَ الدَّيْنِ، أَيْ: وَضَعْتُ عَنْكَ الْمُطَالَبَةَ بِهِ. وَأَبْرَأَ الرُّبَاعِي مُسْتَعْمَلٌ فِي الْمَعْنَيَيْنِ. وَمَصْدَرُهُمَا الَّذِي هُوَ الإِبْرَاءُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْمَعْنَيَيْنِ. وَأَمَّا بَرِيتِ الدَّابَّةُ بِالْيَاءِ بِلَا هَمْزٍ فَمَعْنَاهُ: ذَهَبَ لَحْمُهَا. وَبَرَيْتُ الْبَعِيرَ، أَيْ: جَعَلْتُ فِي أَنْفِهِ الْبُرَى: وَهُوَ مَا تَقُودُهُ بِهِ.

وَ(**الْوَصَبُ**): تَتَابُعُ الْمَرَضِ. يُقَالُ: وَصَبَ وَصَباً: إِذَا أَتْعَبَهُ الْمَرَضُ. وَأَوْصَبَ الْقَوْمُ: إِذَا أَتْعَبَ الْمَرَضُ أَوْلَادَهُمْ. وَقَدْ يُفَسَّرُ الْوَصَبُ بِالدَّاءِ الدَّائِمِ. وَبِهِ فَسَّرَ الْعُزَيْزِيُّ[2] ﴿وَاصِبًا﴾[3] [النحل: 52].

وَ(**الْوَصَمُ**) بِالْمِيمِ: مَرَضٌ عَامٌّ، وَأَسْمَاؤُهُ مُتَنَوِّعَةٌ بِحَسَبِ الأَعْضَاءِ: «فَإِذَا كَانَ فِي الرَّأْسِ فَهُوَ **صُدَاعٌ**. وَفِي شِقِّهِ فَهُوَ **شَقِيقَةٌ**. وَفِي الْعَيْنِ **عَائِرٌ**. وَفِي اللِّسَانِ **قِلَاعٌ**. وَفِي الْحَلْقِ **عُذْرَةٌ** بِضَمِّ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الدَّالِ وَ**ذُبْحَةٌ**. وَفِي الْعُنُقِ مِنْ قَلَقِ وِسَادَةٍ وَنَحْوِهَا **لِينٌ وَإِحَلٌ**. وَفِي الْكَبِدِ **كُبَادٌ**. وَفِي الْبَطْنِ **قُرَادٌ**. وَفِي

---

(1) الديوان: 196.

(2) هو محمد بن عزيز السجستاني، أبو بكر العزيزي، مفسر اشتهر بكتابه: «غريب القرآن»، (ت330هـ). ترجمته في: (نزهة الألباء: 314، بغية الوعاة: 1/ 171، الوافي بالوفيات: 4/ 95، سير النبلاء: 15/ 216، الأعلام: 6/ 268).

(3) وهي: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾. ينظر: غريب القرآن للعزيزي: 349.

الْمَفَاصِلِ **رِثْيَةٌ**. وَفِي الْجَسَدِ كُلِّهِ **رِدَاعٌ**. وَفِي الظَّهْرِ **خَرْزَةٌ**. وَفِي الأَضْلَاعِ **شَوْصَةٌ**. وَفِي الْمَثَانَةِ [**حَصًى**][1]»[2]. وَالدَّاءُ جَامِعٌ لِهَٰذِهِ الأَنْوَاعِ كُلِّهَا.

وَتَقَدَّمَتْ حَقِيقَةُ (**اللَّمْسِ**): وَهُوَ هُنَا عِبَارَةٌ عَنْ إِمْرَارِهِ يَدَهُ ﷺ عَلَى ذِي عَاهَةٍ.

وَ(**الرَّاحَةُ**): بَاطِنُ الْكَفِّ أَجْمَعُ. وَعَنْ ثَابِتٍ[3] فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ بِـ«**خَلْقِ الإِنْسَانِ**»[4]: «هِيَ الْكَفُّ دُونَ الأَصَابِعِ»[5]. وَجَمْعُهَا: رَاحٌ. قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ[6] [190]// يَصِفُ سَحَاباً تَدَانَى: (بسيط)

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ ... يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ[7]

وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ لِعُبَيْدِ بْنِ الأَبْرَصِ[8]. وَأَجْزَاءِ الرَّاحَةِ فِي «**خَلْقِ الإِنْسَانِ**»[9] لِثَابِتٍ، وَقَدْ بَسَطْنَا ذَٰلِكَ كُلَّهُ فِي كِتَابِنَا «**الْكَبِيرِ**».

---

(1) في فقه اللغة: 143 «حصاة».

(2) فقه اللغة: 143.

(3) هو ثابت بن أبي ثابت، أبو محمد الكوفي عالم باللغة، مختلف في اسمه واسم أبيه. ترجمته في: (الفهرست: 69، المحبر: 186، الذريعة: 1/ 325، بغية الوعاة: 1/ 210، الأعلام: 2/ 97).

(4) كتاب خلق الإنسان «كتاب لغة قيم، فيه أسماء جوارح الإنسان وجوارح غيره» مطبوع. ينظر: كشف الظنون: 1/ 722.

(5) خلق الإنسان: 225.

(6) هو أوس بن حجر بن مالك التميمي أبو شريح، شاعر تميم في الجاهلية. ترجمته في: (الأغاني: 11/ 70، المعاهد: 1/ 132، شعراء النصرانية: 492، السمط: 2901، الأعلام: 2/ 31).

(7) البيت لأوس في ديوانه: 15، وفي الشعر والشعراء: 1/ 207، الأغاني: 11/ 68 ـ 71، ذيل الأمالي: 19، الصناعتين: 171، المحب والمحبوب: 4/ 63، ونسب للطرماح في: المرقصات: 40 ولم يرد في ديوانه.

(8) وهو لعبيد في ملحق ديوانه: 75، محاضرات الأدباء: 4/ 553، الأمالي: 1/ 177، السمط: 1/ 441، مختارات بن الشجري: 376، التشبيهات: 163، سرور النفس: 273، المقاييس: 2/ 457.

(9) خلق الإنسان: 225.

فَإِنْ قِيلَ: وَلِمَ خصَّ الرَّاحَةَ بِاللَّمْسِ مَعَ أَنَّ مَسْحَهُ ﷺ بِمَجْمُوعِ الْكَفِّ؟

وَالْجَوَابُ: إِنَّ الأَصَابِعَ مَعَ الرَّاحَةِ آلَةٌ لَهَا، فَيَصْدُقُ عَلَيْهَا اسْمُهَا مِنْ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ مُجَاوِرِهِ. وَالثَّانِي: التَّفَاؤُلُ، وَذٰلِكَ أَنَّ اللَّمْسَ بِالرَّاحَةِ مَشْرُوعٌ لِطَلَبِ الرَّاحَةِ، فَاقْتُصِرَ عَلَى هٰذَا الاسْمِ تَفَاؤُلاً، مَعَ أَنَّا لَوْ قُلْنَا: لَا نُسَلِّمُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ بِالْكَفِّ وَالأَصَابِعِ، بَلْ بِالْكَفِّ فَقَطْ، لَكَانَ مُوَافِقاً لِلْمَسْمُوعِ. وَمَنِ ادَّعَى غَيْرَهُ فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ، وَالأَصْلُ عَدَمُهُ.

وَ(**الأَرْبَى**): جَمْعُ أَرِيبٍ. وَيُقَالُ: أَرِبٌ بِغَيْرِ يَاءٍ. وَالأَرِبُ فِي اللُّغَةِ: الْمَشْدُودُ بِوَثَاقٍ. وَالشَّدُّ وَالْعَقْدُ هُنَا مَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي. يُقَالُ: أَرَبْتُ الْعُقْدَةَ، أَيْ: شَدَدْتُهَا. وَيُقَالُ فِي الْجَمْعِ أَيْضاً: أُرُبٌ عَلَى وَزْنِ عُنُقٍ وَرُسُلٍ؛ وَهُوَ جَمْعُ أَرِبٍ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَيَصِحُّ فِي الْبَيْتِ بِالْوَجْهَيْنِ. وَالإِرْبُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ: الْحَاجَةُ، وَكَذَا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا. وَبِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَالرَّاءِ. وَالْفَصِيحُ مِنْهَا فِي الْحَاجَةِ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، وَالْجَمْعُ إِرْبَةٌ.

وَقِيلَ: يَصْلُحُ أَيْضاً إِرْبَةٌ لِلْمُفْرَدِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ [النور: 31]. وَأَرِبَ الرَّجُلُ بِالشَّيْءِ: شُهِرَ بِهِ. وَالاسْمُ: الأَرَبُ. وَأَرِبْتُ بِالشَّيْءِ: أَنِسْتُ بِهِ، وَكَذَا بَخِلْتُ بِهِ. وَأَرَّبْتُ الشَّيْءَ تَأْرِيباً: وَفَّرْتُهُ. وَأَرِبَ الرَّجُلُ: صَارَ أَرِيباً، أَيْ: عَاقِلاً؛ وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ[1] فِي مَبْدَإِ أَصْلَيْهِ: «وَلَا يَرِدُ الأَرِيبُ عَنْ تَفَهُّمِهِ. زَادَ، وَأَرِبَتِ النَّاقَةُ: إِذَا لَازَمَتِ الْعَمَلَ».

وَ(**الرِّبْقَةُ**): مَا يُرْبَطُ بِهِ سِخَالُ[2] الْغَنَمِ وَالْعَجَاجِيلِ. رَبَقْتُ السَّخْلَةَ، أَيْ:

(1) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس بن الحاجب، مقرئ نحوي أصولي فقيه مالكي. (ت646هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 1/ 314، غاية النهاية: 1/ 508، بغية الوعاة: 2/ 134، مفتاح السعادة: 1/ 113، الأعلام: 4/ 211).

(2) سخال: جمع سخلة، ولد الشاة والمعز والضان، والسخل: المولود المحبب إلى أبويه. ل/ سخل.

شَدَدْتُهَا. وَرَبَقْتُ الرَّجُلَ، أَيْ: سَجَنْتُهُ. فَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى الأَوَّلِ فَهُوَ مَجَازٌ، وَفِي الثَّانِي حَقِيقَةٌ.

وَ(**الأَلَمُ**): الدَّاءُ. وَ(**اللَّمَمُ**): عَلَى الرِّوَايَةِ الْمَشْهُورَةِ صِغَارُ الْجِنِّ وَرِيَاحُهَا الَّتِي تَعْتَرِي الْخَلْقَ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ»[1]. فَيَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ: كَمْ أَرَاحَتْ رَاحَتُهُ الْمُبَارَكَةُ مِنَ الْمَعْتُوهِينَ وَالْمَجَانِينِ. وَ(**اللَّمَمُ**): لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ صِغَارِ الْجِنِّ وَصَغَائِرِ الذُّنُوبِ، وَحُبِّ الْجِمَاعِ.

وَمِمَّا أَبْرَأَ مِنَ الْمَعْتُوهِينَ ﷺ: عَيْنُ قَتَادَةَ حِينَ أُصِيبَ بِهَا حَتَّى وَقَعَتْ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ[2]. وَمِنْ ذٰلِكَ «أَنَّ مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ[3] أَصَابَهُ اسْتِسْقَاءٌ[4] فَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ رَسُولاً، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَثْوَةً مِنَ الأَرْضِ، فَتَفَلَ عَلَيْهَا، وَبَعَثَهَا لَهُ مَعَ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَهَا مُتَعَجِّباً، وَظَنَّ أَنَّهُ يَهْزَأُ بِهِ، فَأَتَاهُ بِهَا وَهُوَ عَلَى شَفاً، فَشَرِبَهَا فِي الْمَاءِ، فَشَفَاهُ اللهُ ﷻ»[5]. وَذَكَرَ الْعُقَيْلِيُّ[6] عَنْ

(1) أبو داود: 3/ 345، الترمذي: 3/ 184 بلفظ: الديلمي: 4/ 425 بلفظ: كشف الخفاء: 2/ 448، فيض القدير: 6/ 376، الجامع الصغير: 2/ 723، مجمع الزوائد: 5/ 23، الإحياء: 2/ 3، الإتحاف: 5/ 212.

(2) سبق تخريجه: ص274.

(3) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي أبو البراء المعروف بملاعب الأسنة، وهو عم عامر بن الطفيل، يذكر من الصحابة. ترجمته في: (أسد الغابة: 3/ 36، الإصابة: 4/ 16 ـ 17).

(4) الاستسقاء: مرض معروف بكثرة شرب الماء وسببه اجتماع ماء أصفر في البطن، وفيه قال صاحب الهمزية:

وبكف من تربة داوى   من تشكى من مؤلم استسقاء

(5) في الشفا: 1/ 619. «ابن ملاعب الأسنة». ينظر: ابن هشام: 2/ 184، أسد الغابة: 3/ 36، الإصابة: 4/ 16 ـ 17، السيرة الحلبية: 3/ 370.

(6) هو الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، من كبار حفاظ الحديث. (ت322هـ). ترجمته في: (تذكرة الحفاظ: 3/ 50، شذرات الذهب: 2/ 295، الأعلام: 6/ 319).

حَبِيبِ بْنِ فُدَيْكٍ[1] بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ، وَيُقَالُ: فُوَيْكٍ بِالْوَاوِ «أَنَّ أَبَاهُ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ فَكَانَ لَا يُبْصِرُ بِهَا شَيْئاً، فَنَفَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **[191]**// فِي عَيْنَيْهِ، فَأَبْصَرَ، فَرَأَيْتُهُ يُدْخِلُ الْخَيْطَ فِي الإِبْرَةِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً»[2]؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّا لَمَسَهُ بِكَفِّهِ فَهُوَ فِي مَعْنَاه. «وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ الْيَتِيمِ الَّذِي كَانَ بِهِ قَرَعٌ فَبَرَأَ حَتَّى صَارَ شَعْرُهُ أَحْسَنَ الشُّعُورِ، وَكَأَنَّ الْيَتِيمَ فِي رَأْسِهِ رَائِحَةُ الْمِسْكِ مِنْ بَرَكَةِ مَسِّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ»[3]. «وَقَطَعَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ كَفَّ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَفْرَاءَ[4]، فَجَاءَ يَحْمِلُ يَدَهُ فَبَصَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَلْصَقَهَا بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ فَلَصَقَتْ. رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ[5]. وَ«كَذَلِكَ رَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَاتِقَ خُبَيْبِ بْنِ يَسَّافٍ[6] بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ فَالْتَصَقَ بَعْدَ أَنْ مَالَ لِيَسْقُطَ بِضَرْبَةٍ ضَرَبَهُ إِيَّاهَا بَعْضُ أَصْحَابِ أَبِي جَهْلٍ بِبَدْرٍ. رَوَاهُ أَيْضاً ابْنُ وَهْبٍ»[7]. وَفِيهِ: «سَلْعَةُ شُرَحْبِيلَ[8] كَانَتْ تَمْنَعُهُ الْقَبْضَ عَلَى السَّيْفِ وَعِنَانِ

(1) هو حبيب بن فديك أبو فويك وقيل: حبيب بن عمرو بن فديك السلاماني. ترجمته في: (أسد الغابة: 1/ 447، الإصابة: 1/ 322 ـ 323، الاستيعاب: 2/ 322، مختلف في حديثه).

(2) وفي رواية: «إن عينيه لمبيضتان». ينظر: ابن أبي شيبة: 6/ 318، البغوي: 8/ 298، الطبراني في الكبير: 4/ 25، أبو نعيم: 6/ 173، الشفا: 1/ 620، الإصابة: 1/ 322 ـ 323، السيرة الحلبية: 3/ 369).

(3) الشفا: 1/ 291، السيرة الحلبية: 3/ 369.

(4) ينظر: الجامع في الحديث: 2/ 243.

(5) هو عبد الله بن وهب مسلم الفهري بالولاء المصري، أبو محمد، فقيه من الأئمة من أصحاب مالك. ترجمته في: (الديباج: 132، تذكرة الحفاظ: 1/ 279، تهذيب التهذيب: 6/ 71، شذرات: 1/ 347، الأعلام: 4/ 144).

(6) هو خبيب أو حبيب بن يساف، وقيل: ابن إساف بن عيينة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أسلم في الطريق إلى بدر، شهد أحداً والخندق. ترجمته في: (سيرة ابن هشام: 1/ 713، أسد الغابة: 1/ 450، وفي 1/ 595 «خبيب بن إساف». الاستيعاب: 2/ 443).

(7) الجامع في الحديث: 2/ 243، ينظر: الشفا: 1/ 622، أسد الغابة: 1/ 595.

(8) هو شرحبيل بن عبد الرحمٰن الجعفي، وقيل شراحيل، ترجمته في الاستيعاب: 5/ 18، الإصابة: 2/ 11.

الدَّابَّةِ، فَشَكَاهَا النبيَّ ﷺ، فَمَا زَالَ يَطْحَنُهَا بِكَفِّهِ الْمُبَارَكَةِ حَتَّى بَرِئَتْ»[1]. انْظُرْ «**الشِّفَا**» لِعِيَاضٍ[2]. وَ«جَاءَتْ امْرَأَةٌ بِوَلَدِهَا جُنُونٌ فَمَسَحَ النبيُّ ﷺ عَلَى صَدْرِ الصَّبِيِّ فَتَعَّ[3] الصَّبِيُّ تَعَّةً، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ مِنَ الْجَرْوِ الأَسْوَدِ فَبَرَأَ»[4]. وَالأَمْرُ أَشْهَرُ وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ.

وَلِذَلِكَ جَاءَ النَّاظِمُ بِـ (**كَمْ**) الَّتِي لِلتَّكْثِيرِ، وَهِيَ خَبَرِيَّةٌ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالابْتِدَاءِ، لأَنَّهَا اسْمٌ عَلَى مَذْهَبِ الْجُمْهُورِ، وَبُنِيَتْ حَمْلاً عَلَى (**كَمْ**) الاسْتِفْهَامِيَّةِ الْحَرْفِيَّةِ، مَعَ أَنَّ فِي الاسْتِفْهَامِيَّةِ أَيْضاً خِلَافٌ. وَالصَّحِيحُ كَوْنُهَا اسْماً. وَأَصَحُّ مَا يُقَالُ فِي بِنَاءِ (كَم) حَمْلاً عَلَى [...][5] لأَنَّهَا نَقِيضَتُهَا، إِذْ هِيَ لِلتَّقْلِيلِ وَإِنْ صَحِبَهَا الْمُبَاهَاةُ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهَا. وَالنَّقِيضُ يُحْمَلُ عَلَى النَّقِيضِ كَمَا يُحْمَلُ النَّظِيرُ عَلَى النَّظِيرِ.

وَ(**وَصِباً**): مَفْعُولُ أَبْرَأَتْ. وَفَاعِلُهُ: (**رَاحَتُهُ**).

وَفِي الْكَلَامِ (**كَمْ**) أُخْرَى مَحْذُوفَةٌ، أَيْ: وَكَمْ أَطْلَقَتْ. وَالْجُمْلَةُ الْوَاقِعَةُ بَعْدَ (**كَمْ**) الْمَحْذُوفَةِ فِي مَوْضِعِ خَبَرِهَا، وَإِنْ كَانَتْ (**كَمْ**) مَحْذُوفَةً فِي اللَّفْظِ فَهِيَ فِي حُكْمِ الْمَوْجُودِ لِدِلَالَةِ (**كَمْ**) الأُولَى عَلَيْهَا. وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ (**كَمْ**) مَفْعُولاً مُقَدَّماً، وَيَكُونَ (**وَصِباً**) تَمْيِيزاً، وَقُدِّمَتْ لأَنَّ لَهَا صَدْرَ الْكَلَامِ، وَيَكُونُ فَاعِلَ (**أَبْرَأَتْ**) ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى رَاحَتِهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ فِي إِعْرَابِ الأُخْرَى. وَالْجَارِي فِي (**وَصِباً**) جَارِيٌّ فِي (**أَرِباً**)، إِلَّا أَنَّكَ إِنْ جَعَلْتَ (**أَطْلَقَتْ**) مَعْطُوفاً عَلَى قَوْلِهِ: (**كَمْ أَبْرَأَتْ**) كَانَ (**أَرِباً**) مَفْعُولاً بِـ (**أَطْلَقَتْ**)، أَيْ: وَقَدْ أَطْلَقَتْ أَرِباً. وَإِنْ جَعَلْتَهُ مَعْطُوفاً عَلَى (**أَبْرَأَتْ**) كَانَ تَمْيِيزاً، وَالتَّقْدِيرُ: وَكَمْ أَطْلَقَتْ أَرِباً.

(1) الشفا: 1/ 623، السيرة الحلبية: 3/ 730، الطبراني: 4/ 25، البيهقي: 5/ 243.

(2) الشفا: 1/ 617 ـ 624.

(3) تع تعة: قاء قيئة.

(4) الشفا: 1/ 623، مجمع الزوائد: 9/ 7، السيرة الحلبية: 3/ 371.

(5) طمس للحق يمين الورقة: 191 من الأصل.

وَقَدْ جَمَعَ فِي الْبَيْتِ بَيْنَ (**الْبُرْءِ**) مِنَ الْمَرَضِ وَالتَّخْلِيصِ مِنَ (**اللَّمَمِ**) أَوِ (**الأَلَمِ**)، فَهُوَ جَمْعٌ بَيْنَ الْمُتَنَاسِبَيْنِ، فَيَكُونُ مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

وَفِيهِ الْجَمْعُ: فَإِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ (**الْوَصَبِ وَاللَّمَمِ**) فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ: وَهُوَ كَوْنُ بُرْءِ الْجَمِيعِ مِنْ مَسِّ كَفِّهِ ﷺ.

وَفِيهِ: تَخْصِيصُ الأَقْعَدِ بِالْوَصْفِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاظِمَ جَعَلَ (**اللَّمَمَ**) أَوْ (**الأَلَمِ**) مِمَّا يُقَالُ فِيهِ: أَطْلَقْتُهُ؛ وَمَنْ أُطْلِقَ مِنْ رِبْقَةِ أَحَدِ هَذَيْنِ الْعَاهَتَيْنِ فَقَدْ عُوفِيَ وَبَرَأَ، فَهُوَ مِمَّا أَبْرَأَتْ كَفُّهُ. فَتَأَمَّلْهُ فَإِنَّهُ دَقِيقٌ.



86 ـ قَالَ:

وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ(1)

شرح: هَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ مِنْ أَصْلِ الْقَصِيدَةِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الأَبْيَاتِ الزَّوَائِدِ الَّتِي زَادَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَيَّابِ(2). وَبَنُو الْجَيَّابِ مِنْ فُقَهَاءِ غَرْنَاطَةَ، مَعْرُوفُونَ بِالْفَصَاحَةِ، وَقَدْ بَقِيَ أَخْلَافُهُمْ بِغَرْنَاطَةَ، وَأَرَوْنِي مِنْ مَحَاسِنِ نَظْمِهِمْ شِعْراً كَثِيراً. وَلَا شَكَّ [192]// الزَّوَائِدُ الَّتِي أَلْحَق بِالْبُرْدَةِ فِي غَايَةِ التَّنَاسُبِ. وَهَا أَنَا أَشْرَحُ زَوَائِدَهُ، إِظْهَاراً لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي وَتَكْثِيراً لِلْمَدْحِ؛ وَإِنْ كَانَتْ مَآثِرُ الْمَمْدُوحِ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّيْخَ ابْنَ الْجَيَّابِ تَعَرَّضَ لِشَيْءٍ رَأَى أَنَّ النَّاظِمَ أَغْفَلَهُ، فَإِنَّ النَّاظِمَ لَمَّا ذَكَرَ مَا [بَرِئَ](3) بِالْمُعَانَاةِ بِمُرُورِ كَفِّهِ ﷺ، وَهُوَ مُعَانَاتُهُ لِلْحَيَوَانِ بِمَسِّهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ مُعَانَاتِهِ فَسَادَ الأَرْضِ وَفَسَادَ الْعَالَمِ الأَرْضِيِّ ـ مِنْ حَيَوَانٍ عَاقِلٍ وَغَيْرِ عَاقِلٍ ـ بِدَعْوَتِهِ. وَهُوَ أَكْبَرُ عِنَايَةٍ وَأَغْنَى غَايَةٍ، وَأَنَّ دَعْوَتَهُ ﷺ أَكْبَرُ دَوَاءٍ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ حُذَيْفَةَ بْنِ [الْيَمَانِ](4) رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الدَّعْوَةُ، وَأَدْرَكَتْ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ»(5). «كَمَا دَعَا

---

(1) الديوان: 196.

(2) هو عبد الله بن محمد بن الجيّاب الغرناطي ينظر كتاب: ابن الجياب حياته وشعره: المقدمة: 3.

(3) في الأصل: «ما ربئ».

(4) في الأصل: «اليماني». هو حذيفة بن اليمان بن حسل ويقال: بن حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة، أبو عبد الله العبسي. صحابي جليل، صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين. (ت36هـ). ترجمته في: (الحلية: 1/ 270، أسد الغابة: 1/ 468، تهذيب التهذيب: 2/ 219، الإصابة: 1/ 317، الأعلام: 2/ 171).

(5) الشفا: 1/ 625، مجمع الزوائد، 8/ 268، الخصائص: 2/ 174.

لأَنَسٍ خَادِمِهِ»(1)، وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ(2)؛ فَبُورِكَ لَهُمَا: لأَنَسٍ فِي الْمَالِ وَالْعُمْرِ وَالْوَلَدِ، وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي الْمَالِ(3). فَكَانَ أَنَسٌ مِمَّنْ دُفِنَ مِنْ وَلَدِهِ مِائَةُ وَلَدٍ. وَكَانَ مَعَهُ مِنْ أَحْفَادِهِ وَأَوْلَادِهِ نَحْوُ الْمِائَةِ غَيْرَ مَنْ دُفِنَ. وَصُولِحَتْ امْرَأَةٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَانَ طَلَّقَهَا فِي مَرَضِهِ عَلَى نَحْوِ ثَمَانِينَ أَلْفٍ، وَقِيلَ: مِائَةِ أَلْفٍ(4). وَتَصَدَّقَ مَرَّةً بِعِيرٍ فِيهَا سَبْعُ مِائَةِ بَعِيرٍ - وَرَدَتْ عَلَيْهِ تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ - تَصَدَّقَ بِهَا وَبِمَا عَلَيْهَا، وَبِأَقْتَابِهَا وَأَحْلَاسِهَا»(5). «وَدَعَا لِمُعَاوِيَةَ فَنَالَ الْخِلَافَةَ»(6). «وَلِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ(7) بِأَنْ تُجَابَ دَعْوَتُهُ، فَمَا دَعَا لأَحَدٍ إِلَّا اسْتُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ»(8). «وَدَعَا بِعِزِّ الإِسْلَامِ بِأَحَدِ الْعُمَرَيْنِ فَأَعَزَّهُ اللهُ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»(9). «وَدَعَا لِلنَّابِغَةِ بِأَنْ لَا يَفْضُضِ اللهُ فَاهُ، فَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ سِنّاً، وَمَا سَقَطَ لَهُ مِنْ فِيهِ سِنٌّ، وَعَاشَ مَائَةَ سَنَةٍ وَعِشْرِينَ»(10).

---

(1) مسلم: 4/ 1928، الخصائص: 2/ 169، الحاوي: 22/ 143.

(2) هو عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم قديماً وهاجر وشهد المشاهد. (ت31هـ). ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 3/ 87 ـ 97، الحلية: 1/ 98، الاستيعاب: 2/ 844، سير النبلاء: 1/ 68).

(3) ينظر: الشفا: 1/ 626.

(4) ينظر الخبر في: الاستيعاب: 2/ 847.

(5) الشفا: 1/ 627، الأقتاب: جمع قتب: وهو إكاف البعير، وفي الصحاح: الرحل الصغير على قدر السنام. والأحلاس: جمع حلس: وهو كل شيء يلي ظهر البعير والدابة تحت الرحل.

(6) الشفا: 1/ 627.

(7) هو سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أبو إسحاق، الصحابي الأمير فاتح العراق. ترجمته في: (الحلية: 1/ 92، الصفوة: 1/ 138، الأعلام: 3/ 87).

(8) الشفا: 1/ 627، الخصائص: 2/ 165. وقد استجيب لسعد دعوات مخرجة في الصحيح.

(9) الشفا: 1/ 227، المصنوع لعلي بن سلطان الهروي القارئ: 1/ 49، كشف الخفاء: 1/ 211.

(10) الشفا: 1/ 628، الخصائص: 2/ 166.

«وَدَعَا عَلَى مُضَرَ(1) فَأَقْحَطُوا حَتَّى اسْتَعْطَفَتْهُ قُرَيْشٌ، فَدَعَا لَهُمْ، فَسُقُوا»(2).

وَإِشَارَةُ النَّاظِمِ هُنَا إِلَى اسْتِقَائِهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ حِينَ أُعْلِمَ بِأَنَّ الأَرْضَ قَدْ قَحِطَتْ وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي، فَدَعَا، وَمَا بِالسَّمَاءِ مِنْ نَزْعَةٍ سَحَاباً، ثُمَّ تَكَوَّنَتْ سَحَابَةٌ كَالتُّرْسِ، ثُمَّ نَشَرَتِ السَّمَاءُ، فَمَا رَأَى النَّاسُ الشَّمْسَ سَبْتاً، حَتَّى طَلَبُوا الإِقْلَاعَ عَنْهُمْ. وَالدَّعْوَتَانِ فِي **«الصَّحِيحَيْنِ»** مُسْتَوْفَاةٌ(3).

وَ**(السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ)**: الْبَيْضَاءُ الَّتِي تَوَالَتْ عَلَيْهَا الْقُحُوطُ حَتَّى يَبِسَ مِنْهَا كُلُّ نَبَاتٍ وَاغْبَرَّتْ، وَظَهَرَتْ آثَارُ الْقَحْطِ عَلَيْهَا، وَكَانَ كُلَّمَا تَقَدَّمَهَا مِنَ السِّنِينِ خِصْباً، فَصَارَتْ هَذِهِ السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بَيْنَ السِّنِينِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِالْخِصْبِ كَالْغُرَّةِ، لأَنَّ الْغُرَّةَ بَيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ مُخَالِفٌ لِسَائِرِ لَوْنِهِ، فَشَبَّهَ رَحِمَهُ اللهُ هَذِهِ السَّنَةَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهَا بِغُرَّةِ الْفَرَسِ الْمُخَالِفِ لِسَائِرِ لَوْنِهِ.

وَوَصَفَ الأَعْصُرَ غَيْرَهَا بِـ**(الدُّهْمِ)**: مَعْنَى الْخُضْرِ، لَكِنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي الْخُضْرِ يَدُلُّهُمْ لَوْنُهَا لِشِدَّةِ خُضْرَتِهَا، أَيْ: أَرْضُ الأَعْصُرِ الدُّهْمِ، أَيْ: الْمُتَلَوِّنَةِ بِالْخُضْرَةِ الْيَانِعَةِ، فَتَجَوَّزَ بِوَصْفِ الأَعْصُرِ وَهُوَ فِي لِسَانِ النَّاسِ سَائِغٌ. يَقُولُونَ: هَذَا زَمَانٌ خَصِبٌ، وَالْخِصْبُ إِنَّمَا هُوَ فِي الأَرْضِ، لَكِنْ لَمَّا أَنْ كَانَ ذَلِكَ فِي زَمَانٍ أُطْلِقَ عَلَيْهِ وَصْفُهَا مَجَازاً. وَهُوَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَفِي الْفَصِيحِ مِنَ الْكَلَامِ كَثِيرٌ: **﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾** [البقرة: 16]. وَ«يَوْمُهُ صَائِمٌ وَلَيْلُهُ قَائِمٌ». وَحَدِيثُ اسْتِسْقَائِهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ أَخْرَجَهُ كُلُّ مُحَدِّثٍ فِي كِتَابِهِ حَتَّى لَمْ يَعْرَ عَنْهُ كِتَابٌ.

وَهَلْ أَرَادَ النَّاظِمُ بِأَنَّ السَّنَةَ صَارَتْ غُرَّةً بَعْدَ صَلَاحِهَا بِالدَّعْوَةِ حَتَّى

---

(1) مضر: قبيلة من قبائل العرب. ينظر: معجم البلدان.

(2) الشفا: 1/ 631، رواه النسائي عن ابن عباس والبيهقي عن ابن مسعود، وأصله في الصحيحين.

(3) صحيح البخاري: 6/ 108، صحيح مسلم: 3/ 162.

اشْتَهَرَتْ بِالْخِصْبِ بِاشْتِهَارِ الْغُرَّةِ، وَصَارَتْ كَالْغُرَّةِ بِكَوْنِهَا شَهْبَاءَ بَيْنَ سِنِينَ تَقَدَّمَتْ خُضْراً؟

يَصِحُّ الْوَجْهَانِ. وَالظَّاهِرُ أَنْ يَحْسُنَ [193]// بَعْدَ الدَّعْوَةِ (**حَكَتِ الْغُرَّةُ**)، وَسَكَتَ عَنْ ذِكْرِ صَاحِبِ الْغُرَّةِ، لٰكِنْ يُفْهَمُ مِن قَوْلِهِ: (**فِي الأَعْصُرِ الدُّهْمِ**)؛ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: حَتَّى حَكَتْ غُرَّةٌ فِي جَبْهَةِ فَرَسٍ أَدْهَمَ، فَسَكَتَ عَنِ الْفَرَسِ الأَدْهَمِ اسْتِغْنَاءً بِقَوْلِهِ: (**فِي الأَعْصُرِ الدُّهْمِ**).

وَجَاءَ بِاللَّامِ فِي (**الأَعْصُرِ**)، لأَنَّ سِنِيَّ الْخِصْبِ كَانَتْ عِنْدَهُمْ مَعْلُومَةً مَعْدُودَةً، وَإِلَّا لَوْ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ لَكَانَ التَّنْكِيرُ أَبْلَغَ وَأَحْسَنَ. وَلَمَّا كَانَ الْغَيْثُ يُحْيِي الأَرْضَ بِقُدْرَةِ اللهِ وَصَفَ النَّاظِمُ بِهِ دَعْوَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَيْ: وَأَحْيَا اللهُ السَّنَةَ بِدَعْوَتِهِ. فَإِسْنَادُ الإِحْيَاءِ إِلَى الدَّعْوَةِ مِنْ مَجَازٍ مَعْرُوفٍ اسْتِعْمَالُهُ، وَهُوَ الْمَجَازُ التَّرْكِيبِيُّ. وَهٰذِهِ الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الَّتِي قَبْلَهَا، لٰكِنَّ الأُولَى مُصَدَّرَةٌ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ، وَهٰذِهِ الْوَاقِعَةُ فِيهَا مُشَخَّصَةٌ.

وَمَنْ رَامَ نَصْبَ (**السَّنَةِ**) عَلَى التَّمْيِيزِ فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ، وَلَا يَتَأَتَّى، لأَنَّهُ إِنْ عَطَفَ عَلَى مَا وَقَعَ قَبْلَهُ التَّمْيِيزُ لَزِمَ مِنْهُ تَعْدَادُ الْوَاقِعَةِ بِوَجْهٍ يَكْثُرُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي (**أَبْرَأَتْ**) وَ(**أَطْلَقَتْ**).

وَفِي الْبَيْتِ: الاسْتِعَارَةُ، وَالتَّشْبِيهُ، وَالتَّدْبِيجُ، وَمِنَ التَّدْبِيجِ[1] قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْراً فَمَا أَتَى ... لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرِ[2]

(1) التدبيج: وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألواناً بقصد الكناية بها أو التورية بذكرها عن أشياء من مدح أو وصف أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك، أو لبيان فائدة الوصف بها. ينظر: (نهاية الأرب: 7/ 108، تحرير التحبير: 532، خزانة ابن حجة: 2/ 453، حسن التوسل: 90).

(2) البيت لأبي تمام في ديوانه: 368 في رثاء أبي نهشل محمد بن حميد الطوسي، المثل السائر: 1/ 106، الطراز: 3/ 78، تحرير التحبير: 2/ 351، نهاية الأرب: 3/ 228، و5/ 209، المعاهد: 2/ 178، تقريب المعاهد: 282.

وَقَالَ الآخَرُ: (خفيف)

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ ... فَالْقَهُمْ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالِ[1]

تَلْقَ بِيضَ الْوُجُوهِ، سُودَ مُثَارِ النَّـ ... ـقْعِ، خُضْرَ الأَكْنَافِ، حُمْرَ النِّصَالِ

وَقَدِ اسْتَعْمَلَ النَّاظِمُ الْمَجَازَ الْعَقْلِيَّ فِي قَصِيدَتِهِ هٰذِهِ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ، وَهُوَ مِمَّا يَنْشَطُ لَهُ سَمْعُ السَّامِعِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ اللَّفْظَ تَطْرِيَةً.

وَفِي الْبَيْتِ أَيْضاً: تَخْصِيصُ الْعَامِّ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ، لأَنَّ وَصْفَهُ (**خِصْباً**) لِمَوْضِعِ وَبَرَكَةِ الْمُعْجِزَةِ يُؤْذِنُ بِخُصُوصِيَّةِ هٰذَا الْمَعْنَى بِمَنِ اسْتَسْقَى لَهُمْ، وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ صَالِحاً لأَنْ يَكُونَ الْخِصْبُ عَاماً، وَتَعُمَّ بَرَكَةُ الْمُعْجِزَةِ الشَّاكِينَ [. . .][2] عَنْ مَحَلِّ الشَّكِيَّةِ.



(1) البيتان لابن حيوس الدمشقي وهما في الديوان: 2/ 460 «فالقهم في مكارم أو قتال»، وفي نهاية الأرب: 3/ 233 «إن ترد خبر حالهم عن قريب × فإنهم»، تحرير التحبير: 533، ونهاية الأرب: 7/ 181 «إن ترد علم حالهم»، جوهر الكنز: 229 «في منازل أو نزال»، وفي خزانة ابن حجة: 2/ 453 «إن ترد خير حالهم × فالقهم في منازل أو نزال»، في الديوان: 2/ 460، وجوهر الكنز: 229 «بيض الأعراض»، وفي مسالك الأبصار

«تلق خضر الأكتاف سود مثار النـ ... ـقع بيض الحساب حمر النصال

(2) كلمة مطموسة في الأصل من الورقة 193.

87 ـ قَالَ:

بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ الْبَطَاحَ بِهَا سَيْباً مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلاً مِنَ الْعَرِمِ[1]

شرح: وَهٰذَا الْبَيْتُ أَيْضاً مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْجَيَّابِ. وَفِيهِ مَعَ مَا قَبْلَهُ تَنَاسُبٌ حَسَنٌ. وَ(**الْبَاءُ**) سَبَبِيَّةٌ. وَهُوَ مِنْ بَابِ عَكْسِ الأَسْبَابِ إِنْ جَعَلْنَاهَا سَبَبِيَّةً، إِذِ الأَصْلُ: أَحْيَا الْعَارِضُ السَّنَةَ بِسَبَبِ الدَّعْوَةِ. وَقَدْ يُقَالُ: السَّبَبِيَّةُ فِيهِ عَلَى حَالِهَا مُتَمَكِّنَةُ الْمَعْنَى، وَالتَّقْدِيرُ: أَحْيَتْ دَعْوَتُهُ السَّنَةَ بِسَبَبِ الْعَارِضِ الَّذِي لَا كَسْبَ لِمَخْلُوقٍ فِيهِ، وَلَيْسَ بِدَاخِلٍ تَحْتَ مَقْدُورِ الْبَشَرِ، فَإِحْيَاءُ الأَرْضِ مُسَبَّبٌ عَنْ مُسَبَّبٍ آخَرَ، إِذِ الدَّعْوَةُ لِسَبَبِ الْعَارِضِ، وَالْعَارِضُ سَبَبُ إِحْيَاءِ الأَرْضِ، وَالْكُلُّ مِنَ اللهِ مِنَّةً وَفَضْلاً.

وَ(**الْعَارِضُ**) عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ: مَا لَا يَدُومُ؛ وَمِنْهُ أَخَذَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْعَرَضَ.

فَإِنْ قُلْتَ: يَقْتَضِي كَلَامُهُ أَوَّلاً (**بِالْعَارِضِ**) عَدَمَ التَّكْثِيرِ.

لٰكِنْ فِيهِ مَعْنَى اللُّطْفِ فِي الصُّنْعِ، فَهُوَ مَعَ كَوْنِهِ قَلِيلاً بِالنِّسْبَةِ إِلَى نِعَمِ الْبَارِي وَمَا فِي خَزَائِنِهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ كَثِيرُ النَّفْعِ. وَمَعَ أَنَّهُ أَزَالَ مَا يُتَوَهَّمُ مِنْ إِفْصَاحِ اللَّفْظِ بِقِلَّتِهِ الْعُرْفِيَةِ بِقَوْلِهِ: (**جَادَ**) لأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الْحِكْمَةِ، لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْطَى فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ مِنْ أَحْيَانِ إِحْسَانِهِ فَأَغْنَتْ عَنْ كُلِّ مَطْلَبٍ؛ لٰكِنْ قَدْ نَصَّ عَنْ كَثْرَةِ الْغَيْثِ مِنْ جِهَاتٍ شَتَّى: مِنْهَا أَنَّهُ ذَكَرَ الْجَوْدَ وَهُوَ أَعْظَمُ مَرَاتِبِ الْغَيْثِ. وَأَكْثَرُ مَا تَرْخِيهِ السَّحَابُ مِنْ مَائِهَا [مِنْ **مَطَر**][2] «ثُمَّ **رَشٌّ**، ثُمَّ **وَطْشٍ**، ثُمَّ **طَلٌّ**، ثُمَّ **رَذَاذٍ**، ثُمَّ **نَضْحٍ**، ثُمَّ **نَضْخٍ** بِالضَّادِ أُخْتُ الصَّادِ، ثُمَّ **هَطْلٍ**، ثُمَّ

(1) الديوان: 196، برواية: «البطاح بها × سيب... أو سيل...».
(2) لحق مطموس يسار الورقة: 193.

[**تَهْتَانٍ**][1]، ثُمَّ **وَابِلٍ** ثُمَّ **جَوْدٍ**»[2]. فَالْجَوْدُ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ. وَمَادَّةُ (**الْعَارِضِ**) أَيْضاً مُشْتَرَكَةٌ. وَ(**الْعَارِضُ**) جَاءَ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ عَنْ كَلَامِ غَيْرِهِمْ كَالَّذِينَ قَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: 24].

وَ(**الْعَرْضُ**) بِسُكُونِ عَيْنِ الْكَلِمَةِ وَفَتْحِ فَائِهَا: هُوَ وَاحِدُ الْعُرُوضِ مِنَ السِّلَعِ الْمَنْقُولَاتِ [**194**]// عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا. وَيُقَالُ أَيْضاً فِي مَصْدَرِ: عَرَضْتُ الْكِتَابَ وَاللَّوْحَ، وَعَلَى الرَّجُلِ لِلنُّزُولِ لِلْقِرَى، وَعَرُضَ الثَّوْبُ بِضَمِّ الرَّاءِ؛ إِذَا صَارَ عَرِيضاً. وَالْعَرْضُ ضِدُّ الطُّولِ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ السِّلْعَةَ: إِذَا أَرَيْتُهُ إِيَّاهَا، وَعَرَضْتُ الْجُنْدَ، أَيْ: نَظَرْتُ أَحْوَالَهُمْ وَاخْتَبَرْتُهُمْ، وَعَرَضْتُ الأَسْرَى عَلَى السَّيْفِ، أَيْ: قَتَلْتُهُمْ. وَالْجُنَاةَ عَلَى السَّوْطِ، أَيْ: ضَرَبْتُهُمْ، وَالدَّابَّةَ عَلَى الْمَاءِ، أَيْ: حَمَلْتُهَا عَلَى شُرْبِهِ، وَعَرَّضَ الْفَرَسُ فِي جَرْيِهِ: مَرَّ عَارِضاً. وَعَرَضْتُ مِنْ سِلْعَتِي، أَيْ: عَارَضْتُ بِهَا، وَعَرَضْتُ [الْهَدَفَ][3] لِلسِّهَامِ، أَيْ: مَكَّنْتُهُ لَهُ عُرْضَةً، وَعَرَضَ الرَّجُلُ، أَيْ: تَمَكَّنَ مِنْ عَرْضِ الْمَكَارِمِ، أَيْ: سَعَتِهَا.

وَقَدْ غَلَطَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِي قَوْلِ النَّاظِمِ (**جَادَ**)، يَظُنُّ أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنِ الْكَرَمِ، مِنَ الْجُودِ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ مَا شَرَحْنَاهُ.

وَقَوْلُهُ: (**أَوْ خِلْتَ الْبَطَاحَ بِهِ**) تَنْوِيعٌ فِي إِخْبَارِ الْمُخْبَرِ عَنْ صِفَةِ ذٰلِكَ الْعَارِضِ وَمَا صَنَعَ مَعَ الأَرْضِ. كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ سَأَلْتَ عَنْ نَوْعِهِ، فَالْجَوْدُ، وَهُوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ مَا تَرْخِيهِ السَّحَابُ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ هَيْئَةِ الأَرْضِ بَعْدَ نُزُولِهِ كَأَنَّكَ لَوْ لَمْ تَعْلَمْ مِنْ أَيْنَ نَزَلَ تَقُولُ: بَحْرٌ فَاضَ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ، أَوِ انْطَلَقَ عَلَيْهَا سَيْلُ الْعَرِمِ.

(1) في الأصل: «هتان»، وما أثبتناه من فقه اللغة للثعالبي: 276.
(2) فقه اللغة: 276.
(3) كلمة مطموسة في الأصل الورقة 194 ولعلها «الهدف».

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ فِي جَمْعِهِ بَيْنَ مُتَنَاسِبَاتٍ: مِنْهَا بَيْنَ (**عَارِضٍ**) وَ(**جَادَ**) وَبَيْنَ (**الْبِطَاحِ**) وَ(**السَّيْبِ**) وَ(**السَّيْلِ**). وَجَعَلَ لِلْبَحْرِ السَّيْبَ لِأَنَّهُ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ، وَالسَّيْلُ سُقُوطُهُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلَ. وَذَكَرَ (**الْعَرِمِ**) لِأَنَّ السَّيْلَ قَدْ يَكُونُ سَيْلاً وَلَا اسْتِعْظَامَ لِوُجُودِهِ فَأَشَارَ إِلَى سَدِّ مَأْرِبَ[1]. وَ(**الْعَرِمُ**): الْفَأْرُ الَّذِي سَلَّطَهُ اللهُ عَلَى نَقْبِهِ حَتَّى نَخَرَهُ. وَمَعْنَاهُ: تَحْسِبُ الْبِطَاحَ فَاضَ فِيهَا بَحْرٌ، أَوْ سَالَ عَلَيْهَا سَيْلُ الْعَرِمِ.

وَفِي (**سَيْلَ**) وَ(**سَيْبَ**) تَجْنِيسٌ. وَفِي مُقَابَلَةِ سَيْبِ الْيَمِّ وَسَيْلِ الْعَرِمِ الْمُقَابَلَةُ.

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: (**أَوْ خِلْتَ الْبِطَاحَ بِهَا**) لِلْمِيَاهِ. وَعَلَى رِوَايَةِ (**بِهِ**) لِلْعَارِضِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَكُونُ الْبَاءُ ظَرْفِيَّةً، وَعَلَى الْأَوَّلِ سَبَبِيَّةً. أَوْ تَكُونُ الْبَاءُ بِمَعْنَى (مِنْ)، وَخِلْتَ الْبِطَاحَ مِنَ الْمِيَاهِ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 6]، أَيْ: مِنْهَا.

وَ(**السَّيْبُ**): انْصِرَافُ الْمَاءِ حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَقْلِبُهُ وَعْرٌ وَلَا حَدَبٌ، وَذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ الْفَيْضِ. وَلَا يُوصَفُ الْغَيْثُ بِهَذَا الْوَصْفِ إِلَّا إِذَا عَمَّ وَغَلَبَ. يُقَالُ: سَابَ الشَّيْءُ سَيْباً، وَسَابَتِ الدَّابَّةُ: إِذَا ذَهَبَ كُلٌّ مِنْهَا إِلَى حَيْثُ شَاءَ.

وَ(**الْيَمُّ**): الْمَاءُ الْغَرِقُ مِنْ عَذْبٍ أَوْ أُجَاجٍ. وَيَمَّ الشَّيْءُ يَمّاً: غَرِقَ فِي الْيَمِّ. وَقَالَ كُرَاعٌ فِي (**الْمُنَظَّمِ**): «الْيَمُّ: الْبَحْرُ». وَأَصْلُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ يَمّاً.

وَأَمَّا (**السَّيْلُ**): فَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ: فَأَوَّلُ مَا يَسِيلُ يُقَالُ لَهُ: **الْأَتِيُّ**. فَإِذَا جَاءَ يَمْلَأُ الْوَادِي قِيلَ فِيهِ: **رَاعِبٌ** بِالرَّاءِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَتَيْنِ. فَإِذَا جَاءَ يَتَدَافَعُ قِيلَ

---

(1) سد مأرب: مأرب: اسم قبيلة من عاد سمي بها هذا الموضع، ويقال: إن الذي بنى هذا السد لقمان بن عاد. ينظر: معجم ما استعجم: 4/ 1170، معجم البلدان: 5/ 34.

فِيهِ: **زَاغِبٌ** بِالزَّايِ الْمُعْجَمَةِ. فَإِذَا جَاءَ مِنْ مَكَانٍ لَا يُعْلَمُ بِهِ: **فَهُوَ دَارِئٌ**. فَإِذَا جَاءَ بِالْحَمْلِ الْكَثِيرِ قِيلَ فِيهِ: **مُزْعَلِبٌ وَمُجْلَعِبٌ**. فَإِذَا جَاءَ مِنْ مَكَانٍ بِالزَّبَدِ وَالْقَذَرِ يُقَالُ: **غَثَا الْوَادِي**، **وَغَثَا السَّيْلُ**. فَإِذَا رَمَى بِالْجُفَاءِ يُقَالُ: **جَفَأَ السَّيْلُ يَجْفَأُ**. فَإِذَا ذَهَبَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ كَثْرَةِ الْمَاءِ يُقَالُ فِيهِ: **جُحَافٌ وَجُرَافٌ**. انْظُرْ «**فِقْهُ اللُّغَةِ**» لِأَبِي مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيِّ[1].

وَ(**الْعَرِمِ**): جَمْعُ عَرِمَةٍ. وَهُوَ السَّدُّ فِي الْأَرْضِ الْمُرْتَفِعَةِ. وَكَأَنَّهُ قَالَ: أَوْ سَيْلٌ تَفَتَّقَ عَنْهُ سَدٌّ مِنْ أَعْلَى الْأَرْضِ. وَ(الْعَرِمُ) أَيْضاً: الْأَرْضُ الْمُسَنَّاةُ. وَ(الْعَرِمُ) أَيْضاً: الْجَرَادُ الَّذِي نَقَبَ سَدَّ مَأْرِبَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ فَأْرٌ. وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ سَيْلَ الْعَرِمِ. وَظَاهِرُ الْقَصِيدَةِ أَنَّهُ أَرَادَ السَّدَّ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الْفَأْرَ، وَنَسَبَ السَّيْلَ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ فَجَّرَ مَاءَهُ، فَنُسِبَ إِلَيْهِ.

[195]// فَإِنْ قُلْتَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ (الْعَرِمُ) هُوَ نَفْسَ السَّدِّ، إِذْ لَا يُقَالُ: أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْفَأْرِ، أَوْ مِنَ الْجَرَادِ.

قُلْتُ: يَكُونُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: مِنْ سَدِّ الْعَرِمِ. وَإِنَّمَا سَمَّى الْفَأْرَ أَوِ الْجَرَادَ (عَرِماً) مِنَ الصَّلَابَةِ. يُقَالُ: عَرِمَ فُلَانٌ، أَيْ: صَارَ صُلْباً. وَيُقَالُ: عَرِمَتِ الشَّاةُ، وَعَرِمَتِ الْحَيَّةُ إِذَا كَانَ فِي جِلْدِهَا نُقَطٌ سُودٌ. وَيُسَمَّى السَّدُّ عَرِماً لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَقُوَّتِهِ، أَوِ الْفَأْرُ لِشِدَّتِهِ حَتَّى خَرَقَهُ، وَهُوَ سَدُّ الْيَمَنِ الَّذِي بَنَتْهُ بَلْقِيسُ[2]، وَكَانَ سَدّاً لَمْ يُرَ مِثْلُهُ فِي عِظَمِهِ وَكَيْفِيَّةِ إِتْقَانِهِ وَلِذَلِكَ مَثَّلَ بِهِ، لِأَنَّ أَرْضَ الْحِجَازِ رَمْلَةٌ، وَالرَّمْلَةُ تَسُفُّ الْمِيَاهَ، فَمَا رَأَى مَا يَعُمُّ الْأَرْضَ وَيَغْمُرُهَا حَتَّى يَمُجَّهُ وَيَفِيضَ إِلَّا أَحَدَ هَذَيْنِ.

---

(1) فقه اللغة: 283.

(2) بلقيس: قيل: هي بلقمة ابنة اليشرح، وقيل: ابنة إيلي أشرح، وقيل ابنة ذي شرح بن ذي جدن بن أيلي أشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ينظر: (تاريخ الطبري: 1/ 489، المحبر: 367، جمهرة أنساب العرب: 425).

وَ(**أَوْ**) عِنْدَ النَّاظِمِ فِي الْبَيْتِ ضَرْبَانِ: بِمَعْنَى الْوَاوِ، وَهُوَ قَوْلُهُ (جَادَ) أَوْ (**خِلْتُ**)، أَيْ: وَخِلْتُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: 147].

وَ(**أَوْ**) الثَّانِيَةُ لِلتَّنْوِيعِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (**سَيْباً مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلاً مِنَ الْعَرِمِ**)[1]. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ الأَوَّلَ تَنْوِيعٌ فِي إِخْبَارِ الْمُخْبَرِ كَمَا أَسْلَفْنَاهُ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْمُبَالَغَةُ. وَالْمُبَالَغَةُ مِنْ مَحَاسِنِ الْبَيَانِ، وَلَمْ تَزَلِ الشُّعَرَاءُ يَتَرَقَّقُونَ فِي اسْتِعْمَالِهِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

خَفِيتُ فَلَا يَدْرِي الْحِمَامُ مَكَانِي[2]

وَقَوْلِ الآخَرِ: (طويل)

فَلَوْ تَسْأَلِ الأَيَّامَ مَا اسْمِي مَا دَرَتْ ... وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي[3]

وَقَوْلِ الآخَرِ: (بسيط)

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ ... لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي[4]

وَقَوْلِ الآخَرِ: (سريع)

أَنْحَلَنِي الْحُبُّ فَلَوْ زُجَّ بِي ... فِي مُقَلِ النَّائِمِ لَمْ يَنْتَبِهْ[5]

وَكَانَ لِي فِي مَا مَضَى خَاتَمٌ ... وَالآنَ لَوْ شِئْتُ تَمَنْطَقْتُ بِهْ

أَيْ: كَانَ لِي فِي الْحَالَةِ الَّتِي زُجَّ بِي فِي مُقَلِ النَّائِمِ خَاتَمٌ، وَزَادَ عَلَى النُّحُولِ حَتَّى تَمَنْطَقْتُ بِالْخَاتَمِ الَّتِي كَانَتْ لِي فِي حَالَةِ إِنْحَالِ الْحُبِّ إِيَّايَ.



(1) الديوان: 196.

(2) البيت لابن سهل الأندلسي في ديوانه: 214. الحمام: الموت. ل/ حمم.

(3) البيت لأبي نواس وهو في ديوانه: 480، زهر الآداب: 4/ 1160.

(4) البيت لأبي الطيب المتنبي وهو في ديوانه: 4/ 319، نهاية الأرب: 2/ 259، المعاهد: 3/ 250.

(5) سبق تخريج البيتين في: ص17.

88 ـ قَالَ:

لَمَّا شَكَتْ وَقْعَةُ الْبَطْحَاءُ قَالَ لَهُ: ... عَلَى الرُّبَا وَالآكَامِ انْهَلَّ وَانْسَجِمِ[1]

شرح: هٰذَا أَيْضاً مِنْ زَوَائِدِ ابْنِ الْجَيَّابِ، وَأَشَارَ بِهٰذَا الْبَيْتِ لِلْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ يَوْمَيِ السَّائِلِ، فَإِنَّهُ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ سَأَلَ الاسْتِسْقَاءَ، وَسَأَلَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي الاسْتِصْحَاءَ وَالإِقْلَاعَ. وَفِي «**الْبُخَارِي**» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْلَمَةَ[2] عَنْ مَالِكٍ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ[3] عَنْ أَنَسٍ[4] قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: هَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ. فَدَعَا، فَمُطِرْنَا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ. ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي. فَقَامَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ[5] وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ. فَانْجَابَتْ[6] عَنِ الْمَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ»[7]. وَطُرُقُ الْحَدِيثِ كَثِيرَةٌ.

(1) لا يوجد البيت في الديوان. ينظر: شرح البردة للجادري: 129.

(2) عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي أبو عبد الرحمن المدني نزل البصرة توفي (ت221هـ). ينظر: (تهذيب التهذيب: 6/ 31 ـ 32، اللباب: 3/ 50، الأنساب: 4/ 531).

(3) هو شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي، وقيل أبو عبد الله المدني روى عن أنس وسعد بن المسيب. وعكرمة وأبي سعيد الخدري وغيرهم كان ثقة كثير الحديث. ترجمته في: (ميزان الاعتدال: 2/ 172، تهذيب التهذيب: 4/ 337).

(4) هو أنس بن مالك رَحِمَهُ اللهُ، (ت93هـ) ترجمته في: الاستيعاب: 1/ 35، ترتيب المدارك: 1/ 25.

(5) الظراب: جمع ظرب وهو التل الصغير. ل/ ظرب.

(6) انجابت: انكشفت. ل/ جوب.

(7) البخاري: 6/ 108، وفيه ألفاظ وطرق أخرى تنظر في: البخاري: 6/ 40 و6/ 105 ـ 110، النسائي: 3/ 154، مالك: 156، أحمد: 12546، أبو نعيم: الدلائل: 2/ 449، فتح الباري: 3/ 162 ـ 162. الآكام: جمع أكمة: ما دون الجبل وأعلى من الرابية. الظراب جمع ظرب وهي الروابي الصغار قال الخطابي الظرب الهضبة الضخمة دون الجبل، والأكمة التل المرتفع من الأرض.

وَالضَّمِيرُ فِي (**وَقعَهُ**) عَائِدٌ عَلَى الْعَارِضِ.

وَأَسْنَدَ التَّشَكِّيَ إِلَى الْبَطْحَاءِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّشَكِّي مِنْ أَهْلِهَا، فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلِ: ﴿**فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ**﴾ [البقرة: 16]. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ: امْتَلأَ الْحَوْضُ. وَقَالَ: [بَطْنِي][1]، أَيْ: فَهِمَ مِنْ حَالِهَا التَّشَكِّيَ. وَالتَّجَوُّزُ بِهٰذَا النَّوْعِ كَثِيرٌ.

وَ(**الْوَقْعُ**) وَ(الْوَقِيعَةُ): الطِّينُ الْمُجْتَمِعُ مِنَ الْمَاءِ الْمُسْتَنْقَعِ فِي الأَرْضِ الْمُنْبَسِطَةِ الْمُتْرَبَةِ.

وَ(**الْبَطْحَاءُ**): مَا انْبَطَحَ مِنَ الأَرْضِ. وَلَمْ يُرِدْ بَطْحَاءَ مَكَّةَ. وَالْمَاءُ إِذَا انْبَسَطَ فِي الأَرْضِ وَاسْتَنْقَعَ سُمِّيَ وَقْعاً.

وَظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْوَقْعَ هَا هُنَا يَرْجِعُ إِلَى صِفَةِ الْمَطَرِ فِي نُزُولِهِ، وَلَيْسَ كَذٰلِكَ، وَهُوَ مِنْهُ تَفْسِيرٌ بِقُوَى النَّفْسِ لَا تَحْتَمِلُهُ لُغَةُ الْعَرَبِ. وَقَدْ يَقَعُ الْوَقْعُ عَلَى نُزُولِ الْمَطَرِ، لٰكِنَّ مُرَادَ النَّاظِمِ هَا هُنَا مَا تُهْلَكُ بِهِ الْمَوَاشِي، وَتَنْقَطِعُ بِهِ السُّبُلُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ؛ وَذٰلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِهِمَا شَغَلَ الطُّرُقَ، وَصَعَّبَ الْمُرُورَ فِيهَا. [196]// وَالْوَقْعُ الَّذِي أَرَادَ النَّاظِمُ مَا جَاءَ مِمَّا تُهْلَكُ بِهِ الْبَهَائِمُ وَتَنْقَطِعُ بِهِ الطُّرُقُ، وَذٰلِكَ هُوَ الطِّينُ وَالْمِيَاهُ الْمُسْتَنْقَعَةُ فِي الطُّرُقِ.

قَالَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ[2]: «إِذَا اسْتَنْقَعَ الْمَاءُ فِي التُّرَابِ فَهُوَ **الْحِسْيُ**. وَإِذَا اسْتَنْقَعَ فِي الطِّينِ فَهُوَ **الْوَقْعُ وَالْوَقِيعَةُ**. وَإِذَا كَانَ فِي الرَّمْلِ فَهُوَ **الْحَشْرَجُ**؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (كامل)

وَمَصَصْتُ مَصّاً مِنْ مُدَامَةِ رِيقِهَا ... مَصَّ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرَجِ[3]

---

(1) كلمة لم أتبين معناها، ولعلها: «بطني».

(2) هو أبو منصور الثعالبي سبقت ترجمته: ص321.

(3) البيت منسوب لعدد من الشعراء منهم: جميل بثينة، وعمر بن أبي ربيعة، وعبيد بن أوس، وحقق في الأغاني نسبته إلى جميل، وهو في ديوانه: 42، وهو في الشعر والشعراء: 1/ 441، والعقد: 6/ 52 والمحاسن والأضداد: 224، والتنبيه: 1/ 198، =

فَإِذَا كَانَ فِي الْحَجَرِ فَهُوَ **الْقَلْتُ وَالْوَقْبُ**: فَإِذَا كَانَ فِي الْحَصَى فَهُوَ **الثَّغْبُ**. فَإِذَا كَانَ فِي الْجَبَلِ فَهُوَ [**الرَّدْهَةُ**][1]. فَإِذَا كَانَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَهُوَ **الْمَفْصِلُ**»[2].

وَكَأَنَّ النَّاظِمَ يَقُولُ: لَمَّا اسْتَنْقَعَ مَاءُ الْمَطَرِ فِي وَهَدَاتِ الأَرْضِ، وَتَطَيَّنَتْ، شَكَتِ الْوَهَدَاتُ بِلِسَانِ حَالِهَا، أَوْ شَكَا أَهْلُهَا، وَهُوَ اللَّائِقُ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ، لأَنَّ النَّاظِمَ يُشِيرُ إِلَى تَشَكِّي الرَّجُلِ الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ.

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**قَالَ لَهُ**): فَاعِلُ (**قَالَ**) النَّبِيُّ ﷺ. وَالضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِاللَّامِ عَائِدٌ عَلَى (**الْعَارِضِ**).

فَإِنْ قُلْتَ: (**الْعَارِضُ**) هُوَ الَّذِي نَزَلَ يَوْمَ التَّشَكِّي بِالْقَحْطِ، وَبَعْدَ دَوَامِهِ سِتّاً لَا يُقَالُ لَهُ عَارِضٌ.

قُلْتُ: إِذَا أَخَذْنَاهُ بِمَدْلُولِ اللُّغَةِ فَالْعَارِضُ مَا يَنْقَرِضُ، هٰذَا كُلُّهُ عَارِضٌ، وَإِنَّمَا خُصَّ السَّحَابُ الْمُنْقَطِعُ بِالْمَاءِ الزَّائِلِ مِنْ حِينِهِ بِالْعَارِضِ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً. وَيَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى الْمَاءِ الْمَفْهُومِ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ، أَيْ: قَالَ لِلْمَاءِ الْمُنْسَكِبِ مِنَ السَّحَابِ عَلَى الرُّبَا وَالآكَامِ أَوِ الْهِضَابِ وَالْهِضَابُ أَسْعَدُ بِمُوَافَقَةِ مَا فِي الْحَدِيثِ.

وَ(**الرُّبَى**): جَمْعُ رُبْوَةٍ، وَهِيَ مَا نَشِزَ قَلِيلاً عَنِ الأَرْضِ. وَتُقَالُ بِضَمِّ

= وابن عساكر: 3/ 403، وابن خلكان: 1/ 115، والجمهرة: 3/ 319، وإصلاح المنطق: 208، والمخصص: 10/ 48 و15/ 63، ونسب لعمر وهو في ديوانه ضمن الشعر المنسوب إليه: 488، وهو في الأغاني: 6/ 183، والسيوطي: 110، الطراز: 119 ـ 120، العيني: 3/ 280 ومحاضرات الأدباء: 3/ 121، ولعبيد بن أوس في الحيوان: 6/ 183 والحماسة البصرية: 2/ 527، وصدره في «فلثمت فاها آخذاً بقرونها». النزيف: العطشان. الحشرج: النقر في الجبل يجتمع فيها الماء.

(1) في الأصل: «الدهدهة»، وما أثبتناه من: فقه اللغة: 281.

(2) فقه اللغة: 281.

الرَّاءِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرِهَا. ﴿رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50]. قِيلَ: هِيَ دِمَشْقُ. وَمَعْنَى ذَاتِ قَرَارٍ: يَسْتَقِرُّ فِيهَا الْمَاءُ. وَمَعِينٍ: مَاءٌ ظَاهِرٌ جَارٍ. وَ(**الْهِضَابُ**): جَمْعُ هَضَبَةٍ. وَهِيَ الْجُبَيْلُ الْمُنْبَسِطُ عَلَى الأَرْضِ.

«وَتَرْتِيبُ مَا عَلَا مِنَ الأَرْضِ: **نَبَكَةٌ**، ثُمَّ **رَابِيَةٌ**، ثُمَّ **أَكَمَةٌ**، ثُمَّ **زُبْيَةٌ**، ثُمَّ **نَجْوَةٌ**، ثُمَّ **رَبْعٌ**، ثُمَّ **قُفٌّ**، ثُمَّ **هَضَبَةٌ**، ثُمَّ **قَرْنٌ**: وَهُوَ الْجَبَلُ الصَّغِيرُ، ثُمَّ **دَكٌّ**: وَهُوَ الْجَبَلُ الذَّلِيلُ، ثُمَّ **ضِلَعٌ**: وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، ثُمَّ **نَيْقٌ**: وَهُوَ الطَّوِيلُ مِنَ الْجِبَالِ، ثُمَّ **طَوْدٌ**، ثُمَّ **بَاذِخٌ**، ثُمَّ **شَامِخٌ**، ثُمَّ **شَاهِقٌ** ثُمَّ **مُشْمَخِرٌّ**، ثُمَّ **أَقْوَدُ**، ثُمَّ **أَخْشَبُ**، ثُمَّ **أَيْهَمُ** - وَمِنْهُ سُمِّيَ أَبُو جَبَلَةَ بْنُ الأَيْهَمِ(1) الَّذِي كَانَ تَنَصَّرَ فِي زَمَنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْ عُمَرَ، ثُمَّ **الْقَهْبُ**: وَهُوَ الْعَظِيمُ الطَّوِيلُ، ثُمَّ **الْخُشَامُ**»(2).

فَإِنْ قِيلَ: وَلِمَ خَصَّ الرُّبَا وَالْهِضَابَ بِالذِّكْرِ؟

قُلْتُ: لأَنَّ الرُّبَا لَمَّا كَانَتْ أَعْلَى مِنَ النَّبَكَاتِ، وَلَا تَصِلُ غَيْرَهَا فِي الْعُلُوِّ، فَهِيَ لَا تَضُرُّ الْمَاشِينَ فِي مَنَاكِبِ الأَرْضِ، لأَنَّ الأَرْضَ الْمُسْتَوِيَةَ الْمَسْلُوكَةَ هِيَ الَّتِي يَنْضَرُّ الْخُطَّارُ بِكَثْرَةِ وَقْعِهَا، فَإِذَا كَانَتْ رَبْوَةً لَا تَضُرُّ الْخُطَّارَ، فَصَرْفُ الْمَاءِ إِلَيْهَا أَنْفَعُ مِنَ انْقِطَاعِهِ، لأَنَّهَا تَرْبُو وَتَزِيدُ وَتَنْفَتِقُ عَنْ ضُرُوبِ النَّوَارِ وَالْبُقُولِ، وَأَمَّا الْهِضَابُ فَإِنَّهَا تَحْبِسُ مَاءَهَا، لأَنَّهَا الْجِبَالُ الْمُنْبَسِطَةُ عَلَى الأَرْضِ بِخِلَافِ غَيْرِهَا، لأَنَّهَا إِنْ نَزَلَتْ فِيهَا الْمِيَاهُ الْكَثِيرَةُ سَالَتْ مِنْهَا وِدَانُ السُّيُولِ، فَتُؤْذِي النَّاسَ. وَإِذَا كَانَتِ الْهِضَابُ تَحْبِسُ مَاءَهَا يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِغُدْرَانِهَا وَبِمَا تُنْبِتُهُ مِنَ الْبُقُولِ وَلَا ضَرَرَ فِيهَا.



---

(1) هو أبو جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن مزيقاء. ينظر: (الاشتقاق: 346، جمهرة أشعار العرب: 372، بلوغ الأرب: 3/ 136).

(2) فقه اللغة: 286 ـ 287.

[197]// وَقَوْلُهُ: (**انْهَلَّ وَانْسَجِم**) يَرِدُ عَلَيْهِ سُؤَالَانِ: فَالأَوَّلُ: أَنْ يُقَالَ: لِمَ خَصَّ الانْهِلَالَ بِالذَّاتِ دُونَ الانْهِمَالِ وَالانْسِكَابِ وَالسَّيَلَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَبَعْدَ اخْتِيَارِهِ الانْهِلَالَ لَمْ يَكْتَفِ بِهِ، فَإِنَّ الانْسِجَامَ كَالْحَشْوِ مِنَ الْكَلَامِ بَعْدَ ذِكْرِ الانْهِلَالِ.

قُلْتُ: يُقَالُ: «انْهَلَّتِ السَّمَاءُ: إِذَا ارْتَفَعَ صَوْتُ وَقْعِهَا، وَاسْتَهَلَّتْ. فَاخْتِيَارُ النَّاظِمِ **الانْهِلَالَ** دونَ **الْحَفْشِ وَالْحَشْكِ**(1)، **وَالْهَطْلِ وَالْهَتْنِ**(2)، **وَالْهَمْعِ وَالْهَضْبِ**(3) **وَالسَّكْبِ وَالانْبِعَاقِ**(4) **وَالثَّعْنْجُرِ وَالثَّعَنْجُجِ**(5) **وَالاثِّجَامِ وَالإِغْبَاطِ وَالإِدْجَانِ**(6) **وَالإِنْجَامِ وَالإِفْصَامِ وَالإِفْصَاءِ**(7)»(8)، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا مِنْ صِفَاتِ سَيَلَانِ الْمَطَرِ؛ لأَنَّ الْحَفْشَ وَالْحَشْكَ: مَطَرٌ خَفِيفٌ، وَلَا يُطْلَبُ إِقْلَاعُ مَا هُوَ مِثْلُ هٰذَا، لأَنَّ الْوَاقِعَ الَّذِي طُلِبَ مِنْهُ الاسْتِصْحَاءُ آكَدُ مِنْ هٰذَا. وَأَمَّا **الْهَطْلُ وَالْهَتْنُ**: فَهُمَا دَائِمَانِ، وَلَمْ يَطْلُبِ النَّبِيُّ ﷺ دَوَامَ مَا طَلَبَ النَّاسُ مِنْهُ انْقِطَاعَهُ. وَأَمَّا **الْهَمْعُ وَالْهَضْبُ**: فَلَا صِفَةَ لَهُمَا بِقَصْدٍ، لأَنَّهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ مُطْلَقِ الصَّبِّ. وَكَلَامُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ ﷺ يَنْبَغِي أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِمَا لَهُ فَائِدَةٌ، لأَنَّهُ ﷺ لَا يَطْلُبُ شَيْئاً بِلَفْظٍ مِنْ أَلْفَاظٍ عِدَّةٍ إِلَّا وَلَهُ فَائِدَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَا تُرِكَ لَفْظُهُ، إِذْ وَقَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ﷺ. **وَالانْسِكَابُ وَالانْبِعَاثُ**: يَدُلَّانِ عَلَى الْكَثْرَةِ، وَلَمْ يَطْلُبِ النَّبِيُّ ﷺ كَثْرَةَ الْمَاءِ فِي تِلْكَ الأَمَاكِنِ الَّتِي طَلَبَ صَرْفَ الْمَاءِ إِلَيْهَا. **وَالثَّعَنْجُرُ**

---

(1) الحشك: إذا أتت السماء بالمطر الخفيف قيل «حفشت وحشكت».

(2) الهتن: إذا استمر المطر قيل: هطلت وهتنت.

(3) الهضب: إذا صبت الماء قيل: همعت وهضبت.

(4) الانبعاق: إذا سال المطر بكثرة قيل: انسكب وانبعق.

(5) الثعنجج: إذا سال المطر يركب بعضه بعضاً قيل: اثعنجر واثعنجج.

(6) إذا دام المطر أياماً قيل: أثجم وأغبط وأدجن.

(7) إذا أقلع المطر قيل: أنجم وأفصى وأفصم.

(8) ينظر: فقه اللغة: 277.

وَالتَّعَنْجُجُ: دَلِيلَانِ عَلَى فَسَادِ مَا تَرِدُ عَلَيْهِ [وَهَدْمِهِ][1]؛ وَالْمَقْصُودُ إِصْلَاحُ مَا وَقَعَتْ فِيهِ مِنَ الْبِلَادِ، وَإِنْ بَعُدَتْ عَنْ أَعْيُنِ الآدَمِيِّينَ. **وَالإِنْجَامُ وَالإِغْبَاطُ وَالإِدْجَانُ**: يُنَاقِضُ الْمَطْلُوبَ، لأَنَّهُمْ طَلَبُوا إِقْلَاعَ الْمَاءِ، وَطَلَبُ هٰذِهِ الأَشْيَاءِ طَلَبٌ لِدَوَامِهِ. **وَالإِقْلَاعُ وَالإِنْجَامُ وَالإِفْصَامُ وَالإِقْصَاءُ**: دَلِيلُ قَطْعِهِ، وَالْمُرَادُ دَفْعُهُ عَنْ أَمَاكِنَ تَنْضَرُّ بِهِ، وَصَرْفُهُ إِلَى أَمَاكِنَ لَا تَنْضَرُّ بِهِ، وَتَنْفَعُ النَّاسَ. وَأَمَّا **الانْهِلَالُ**: فَعِبَارَةٌ عَنِ اسْتِفْرَاغِ مَا فِي السَّحَابِ بِالسَّيَلَانِ مِنْ غَيْرِ صَوْتِ وَقْعٍ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ هُنَا، لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الصَّوْتُ وَقْعٌ تَضَمَّنَ الْفَوَائِدَ وَإِدْهَاشَ السَّامِعِ.

وَأَمَّا **الانْسِجَامُ**: فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ جَرَيَانِهِ، فَكَأَنَّهُ سَأَلَ جَرَيَانَهُ بِرِفْقٍ، وَجَرْيُهُ بِرِفْقٍ يُنْتَفَعُ بِنُزُولِهِ، وَلَا يُدْهَشُ مِنْهُ لاعْتِدَالِ سَيَلَانِهِ، وَقِلَّةِ صَوْتِهِ، وَتَسِيلُ جَدَاوِلُهُ بِرِفْقٍ، يَنْتَفِعُ مِنْهَا الْخُطَّارُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْدِثَ خَرَاباً، وَلَا تُوَرِّثَ خَوْفاً، وَلَا تَقْطَعَ طُرُقاً، وَلَا تَهْلِكَ مَاشِيَةٌ. وَهٰذَا أَيْضاً مِنْ أَبْيَاتِ ابْنِ الْجَيَّابِ، وَمِنْهُ يُسْتَدَلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَفِقْهِهِ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ، لَقَدْ غَاصَ عَلَى مَعَانٍ يُعْلَمُ بِهَا سِرُّ كَلَامِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ ﷺ.

وَ(**انْسَجِمِ**) مُطَاوِعُ سَجَمَ، تَقُولُ: سَجَمْتُهُ فَانْسَجَمَ، وَإِنَّمَا اخْتَارَ النَّاظِمُ مُطَاوِعَ الْفِعْلِ دُونَ الأَصْلِيِّ لِيُعْلِمَكَ أَنْ لَا تَأْثِيرَ لِلطَّبِيعَةِ، وَأَنْ لَا بُدَّ لِكُلِّ فِعْلٍ مِنْ فَاعِلٍ مُخْتَارٍ، وَأَنَّ قَوْلَكَ: سَجَمَ أَيْ: سَالَ. وَقَوْلَكَ: انْسَجَمَ، أَيْ: سَجَمَ فَانْسَجَمَ، لِتَعْلَمَ أَنْ لَا مَدْخَلَ لِلْمَاءِ فِي سَيَلَانِهِ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهُ الَّذِي أَسْجَمَهُ فَانْسَجَمَ. وَمَادَةُ سَجَمَ أَيْضاً مُشْتَرَكَةٌ تُنْظَرُ فِي كُتُبِ اللُّغَوِيِّينَ لِئَلَّا يَطُولَ بِنَا الْكَلَامُ هُنَا بِسَرْدِ مَا لَهُمْ فِيهِ. وَلَمَّا كَانَ دُعَاءُ النَّبِيِّ [198]// ﷺ مُجَاباً أَسْنَدَ النَّاظِمُ الْقَوْلَ لَهُ، فَقَالَ: (**قَالَ لَهُ عَلَى الرُّبَا وَالْهِضَابِ انْهَلَّ وَانْسَجِمِ**). وَجَاءَ ابْنُ الْجَيَّابِ بِمَعْنَى الْحَدِيثِ وَأَمَّا نَصُّهُ فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ:

(1) كلمة لم أتبين معناها، ولعلها: «وهدمه».

«اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»[1] إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

وَإِسْنَادُ الشَّكِيَّةِ إِلَى الْبَطْحَاءِ مِنَ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ.

وَفِيهِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ لِجَمْعِهِ بَيْنَ مُتَنَاسِبَاتٍ: كَالرُّبَا وَالْهِضَابِ وَالانْهِلَالِ وَالانْسِجَامِ.

وَ(**انْهَلَّ وَانْسَجِمِ**): جَوَابُ مَا تَضَمَّنَهُ (**لَمَّا**) مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ.



(1) سبق تخريجه: ص489.

89 ـ قَالَ:

فَأَدَّتِ الأَرْضُ مِنْ رِزْقٍ أَمَانَتَهَا   بِإِذْنِ خَالِقِهَا لِلنَّاسِ وَالنَّعَمِ[1]

شرح: هٰذَا الْبَيْتُ مَرْدُودٌ إِلَى قَوْلِهِ: (**وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ**) وَالْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: (**بِعَارِضٍ**). وَ[أَمَّا][2] (**لَمَّا شَكَتْ وَقْعَهُ**) **فَهُوَ** اعْتِرَاضٌ بِهٰذَا لِمُتَنَاسِبَيْنِ: الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَالْفَاءُ فِيهِ لِلتَّعْقِيبِ. وَفِيهَا مَعْنَى الرَّبْطِ، أَيْ: فَبِسَبَبِ أَنْ حَيِيَتْ بِالْعَارِضِ الْمُسَبَّبِ عَنِ الدَّعْوَةِ تَبَدَّلَتْ أَحْوَالُ الأَرْضِ [فَأَدَّتْ][3] مَا فِيهَا مِنَ الأَمَانَةِ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ الأَرْضَ لَمَّا كَانَتْ مَحَلَّ بُرُوزِ الْكَلأِ وَمُسْتَقَرَّهَا كَانَتْ حَافِظَةً لِمَا فِيهَا عَلَى جِهَةِ الأَمَانَةِ، إِذْ كُلٌّ مِنَ الْعَالَمِ مُمْتَثِلٌ أَمْرَ بَارِيهِ إِلَى أَنْ يُؤْمَرَ بِمَا يُؤْمَرَ. وَلَمَّا قَبِلَ اللهُ دُعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَأَجَابَ دَعْوَتَهُ فِي طَلَبِ أَرْسَلَ عَلَى الأَرْضِ رُوحَهَا وَهُوَ الْمَاءُ فَحَيِيَتْ، وَكَانَ الْمَاءُ لَهَا كَالْفَحْلِ، فَحَمَلَتْ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، وَاهْتَزَّتْ وَرَبَتْ، وَأَخْرَجَتْ أَمَانَاتِ اسْتَوْدَعَهَا [إِيَّاهَا][4] بَارِيهَا، إِذْ كَانَ مُدَّخَراً لِمُسْتَحِقِّيهِ الَّذِي تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ بَطْنِ الأَرْضِ لَهُمْ وَلأَنْعَامِهِمْ.

وَكَلاَمُ النَّاظِمِ حَسَنٌ فِي تَنْزِيلِ الأَرْضِ مَنْزِلَةَ الآدَمِيِّينَ، وَمَا فِيهَا مِنَ الزَّرَارِيعِ مَنْزِلَةَ الأَمَانَةِ. وَالْمُتَفَضِّلُ بِهَا عَلَى الْخَلْقِ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ اللهُ تَعَالَى، فَهُوَ فِي حَقِّ الأَرْضِ. وَإِسْنَادُ الأَدَاءِ مِنْهَا مِنْ بَابِ الْمَجَازِ التَّرْكِيبِيِّ الْعَقْلِيِّ. وَقَوْلُنَا: إِنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ هُوَ الظَّاهِرُ.

---

(1) لا يوجد البيت في الديوان. ينظر: شرح البردة للجادري: 129.

(2) في الأصل: «وما» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) في الأصل: «فأدنت».

(4) في الأصل: «إياه».

وَقَدْ يُقَالُ كَوْنُ الأَرْضِ أَمِينَةً حَقِيقَةً إِذْ لاَ يَكُونُ الْمَجَازُ إِلَّا حَيْثُ يَتَعَذَّرُ فَهْمُ الأَمْرِ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَفْهَمُ عَنْ بَارِيهِ مَا أَرَادَ مِنْهُ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ وَصَفَ كُلَّ شَيْءٍ بِالتَّسْبِيحِ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]. فَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا وَمَا فِيهَا يَعْقِلُ مَا أُرِيدَ مِنْهُ، وَيَتَّبِعُ مَا أُمِرَ بِهِ، وَيُطِيعُ، وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ. وَلَمَّا جَعَلَ اللهُ مَا فِيهَا لَنَا وَلأَنْعَامِنَا أَمَرَهَا بِصَرْفِهِ عَلَيْنَا، وَبِإِخْرَاجِهِ إِلَيْنَا. وَلَمَّا كَانَ فِيهَا مَا هُوَ لَنَا وَمَا لَيْسَ لَنَا حَسُنَ قَوْلُهُ: (**مِنْ رِزْقٍ**)، يَعْنِي: إِنَّ مَا يُصْرَفُ لَنَا وَلأَنْعَامِنَا إِلَّا مَا كَانَ رِزْقاً مُعَدًّا لَنَا، وَإِلَّا فَفِيهَا مَا هُوَ لأَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى الْعُمُومِ وَالإِطْلاَقِ.

وَفِي كَلاَمِهِ إِشَارَةٌ إِلَى إِبْطَالِ مَذْهَبِ الطَّبَائِعِيِّينَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (**بِإِذْنِ خَالِقِهَا**)، مَعْنَاهُ: لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ لِكَوْنِ طَبْعٍ فَعَلَهُ، وَلاَ عِلَّةٍ اقْتَضَتْهُ، بَلْ هُوَ مِنْ أَمْرِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ.

وَ(**الْخَالِقُ**): هُوَ الْمُقَدِّرُ الْمُخْتَرِعُ. وَتَقَدَّمَ عَلَى مَا يَقَعُ عَلَيْهِ لَفْظُ الْخَالِقِ لُغَةً وَاسْتِعْمَالاً.

وَ(**النَّاسُ**): اسْمُ جِنْسٍ لاَ وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ. وَلَيْسَ مُفْرَدُهُ إِنْسَانٌ. وَقَدْ يُطْلَقُ لَفْظُ (**النَّاسِ**) عَلَى الْوَاحِدِ تَعْظِيماً لَهُ. وَمِنْ إِطْلاَقِهِ عَلَى الْوَاحِدِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ الْخُزَاعِيِّ[1]: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: 173] فِي مَا وَقَعَ بَعْدَ يَوْمِ أُحُدٍ.

وَ(**النَّعَمُ**) [199]// ذَوَاتُ الأَرْبَعِ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى مَضْمُونِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: 30 ـ 33] إِلَّا أَنَّ فِي الآيَةِ أَنْعَامٌ، وَفِي الْبَيْتِ نَعَمٌ.

---

(1) هو معبد الخزاعي الذي رد أبا سفيان يوم أحد عن الرجوع إلى المدينة. ترجمته في: (ابن هشام: 3/ 109، الطبري: 3/ 178، ابن كثير: 2/ 145، أسد الغابة: 4/ 441، الاستيعاب: 3/ 1428).

وَ[الْمَجْرُورُ][1] مِنْ قَوْلِهِ: (**لِلنَّاسِ**) تَعَلَّقَ بِـ (**أَدَّتْ**) لَا بِقَوْلِهِ: (**بِإِذْنٍ**). وَإِنْ كَانَ قَدْ يَلُوحُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ (**إِذْنٍ**)، لأَنَّ إِذْنَ اللهِ لِعِبَادِهِ فِي مَا أَخْرَجَتْ مُسْتَفَادٌ مِنَ الآيَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: 33، وعبس: 32]؛ إِلَّا أَنَّ النَّعَمَ يَبْعُدُ إِذْ ذَاكَ عَطْفُهُ لِتَعَذُّرِ الإِذْنِ، فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ تَعَلُّقُهُ بِـ (**أَدَّتْ**). وَقَدْ أَوْرَدْنَا أَنَّ الْبَيْتَ (**لَمَّا شَكَتْ**) كَلَامُ اعْتِرَاضٍ، إِذْ هُوَ أَجْنَبِيٌّ مِنَ الْمُتَرَابِطَيْنِ، لأَنَّ (**فَأَدَّتْ**) عَطْفٌ عَلَى وَ (**أَحْيَتْ**) بِعَارِضٍ. وَقَدْ يُقَالُ: لَيْسَ بِأَجْنَبِيٍّ لأَنَّهُ مُفْصِحٌ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ طَلَبُ[2] انْصِرَافِ الْمَاءِ إِلَى الرُّبَا. وَلِذٰلِكَ جَاءَ النَّاظِمُ بِـ (**لَمَّا**) لِيُبَيِّنَ الْوَقْتَ وَالسَّبَبَ. فَإِنَّ سَبَبَ طَلَبِ الانْصِرَامِ الشَّكِيَّةُ، وَوَقْتَ الشَّكِيَّةِ هُوَ وَقْتُ طَلَبِ الإِقْلَاعِ، وَلِذٰلِكَ كَانَ قَوْلُهُ: (**لَمَّا**) أَقْعَدَ مِنْ قَوْلِهِ (**حَتَّى شَكَتْ**)، وَإِنْ كَانَ فِي (**حَتَّى**) غَايَةُ إِذْعَانِ الْخَلْقِ لِنُزُولِ الْمَاءِ حَتَّى ظَهَرَ مِنَ الْبَطْحَاءِ تَشَكِّيهَا بِلِسَانِ حَالِهَا، أَوْ تَشَكِّي أَهْلِهَا، لَكِنْ لَوْ كَانَ الْبَيْتُ مُصَدَّراً بِـ (**حَتَّى**)، وَأَنَّهُ غَايَةٌ، افْتَقَرَ الْقَوْلُ لِدُخُولِ فَاءٍ تَعْقِيبِيَّةٍ، فَيَقُولُ: (فَقَالَ)، فَيَقَعُ فِي الْبَيْتِ زِحَافٌ، فَيُقْصَرُ الْمَمْدُودُ وَهُوَ سَائِغٌ؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: «حَتَّى شَكَتْ وَقْعَهُ الْبَطْحَاءُ فَقَالَ لَهُ». وَفِي الْحَقِيقَةِ الْبَيْتَانِ اللَّذَانِ بَعْدَ (**وَأَحْيَتْ**) لَيْسَا بِفَاصِلَيْنِ بَيْنَ بَيْتِ وَ(**أَحْيَتْ**) وَبَيْتِ (**فَقَالَتْ**)، فَإِنَّهُمَا مَعاً مِنْ مُتَعَلَّقَاتِ السَّبَبِ. وَالرَّبْطُ وَاضِحٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقُوَّةُ كَلَامِ النَّاظِمِ تَنْبَنِي عَلَى أَنَّ الْحَاصِلَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا طُلِبَ مِنْهُ كَفُّ الْمَاءِ قَالَ مَا قَالَ مِنْ دُعَاءِ الاسْتِحْصَاءِ، وَلَمَّا دَعَا انْجَابَتِ السَّحَابُ، وَأَدَّتِ الأَرْضُ الرِّزْقَ الْمَأْذُونَ لَهَا فِي إِخْرَاجِهِ. وَهُوَ الْمُعَدُّ لِلنَّاسِ وَلأَنْعَامِهِم.

وَبَقِيَ أَنَّ التَّشَكِّيَ إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ مِنَ الْبَطْحَاءِ، فَأَدَاءُ الرِّزْقِ هَلْ هُوَ أَيْضاً مِنْهَا، إِذْ لَمَّا شَكَتْ أُجِيبَتْ، فَأَدَّتْ، أَوِ الأَرْضُ أَعَمُّ مِنَ الْبَطْحَاءِ؟ فَعَلَى

(1) في الأصل: «والمرجرور».
(2) في الأصل عبارة: «فيه» مكررة هنا، ولعل الأنسب حذفها.

الأَوَّلِ: يَكُونُ مِنْ بَابِ وُقُوعِ الظَّاهِرِ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ. وَعَلَى الثَّانِي: لَا يَكُونُ كَذٰلِكَ، بَلْ وَقَعَ التَّشَكِّي مِنَ الْبَعْضِ الَّذِي يَنْظُرُ النَّاسُ بِوَقْعِهِ.

وَ(**الأَدَاءُ**) وَقَعَ مِنَ الأَرْضِ عُمُوماً، أَوْ يَكُونُ رَاعَى الْمُحَافَظَةَ عَلَى الْوَزْنِ كَمَا فَعَلَ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ: (طويل)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْشَ الْكَرِيهَةَ أَوْشَكَتْ   حِبَالُ الْمَنَايَا بِالْفَتَى أَنْ تُقَطَّعَا[1]

وَفِي الْبَيْتِ: الْجَمْعُ، لأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ (**النَّاسِ**) وَ(**النَّعَمِ**) فِي اسْتِحْقَاقِ مَا تُخْرِجُهُ الأَرْضُ، وَفِي كَوْنِ كُلٍّ مِنْهُمَا مَجْرُوراً بِاللَّامِ فَقَدِ اجْتَمَعَا فِي الْمَعْنَى الْوَاحِدِ، وَهُوَ أَنَّ الأَرْضَ أَدَّتِ الرِّزْقَ لَهُمَا بِإِذْنِ اللهِ.

وَ(**النَّعَمُ**): تَصْدُقُ عَلَى الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ. وَقِيلَ: إِنَّمَا تَصْدُقُ عَلَى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ. وَلَيْسَتِ الإِبِلُ مِنْهَا. وَقِيلَ: بَلْ لَا تَصْدُقُ (**النَّعَمُ**) إِلَّا عَلَى الإِبِلِ خَاصَّةً. وَقِيلَ: الإِبِلُ وَالْغَنَمُ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ[2]: «إِنَّ (النَّعَمَ) وَاحِدُ الأَنْعَامِ: وَهُوَ الأَمْوَالُ الرَّاعِيَةُ. وَيُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ»[3].

وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ الْفَرَّاءُ[4] رَحِمَهُ اللهُ بِخِلَافِ هٰذَا وَقَالَ: «يُذَكَّرُ وَلَا يُؤَنَّثُ. وَقَدْ يُجْمَعُ إِذَا اخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُهُ فَيُقَالُ: هٰذَا نُعْمَانٌ كَعُبْدَانٍ وَ[حَمَلٌ وَحُمْلَانٌ][5]»[6].

(1) البيت نسبه ابن رشيق في العمدة 1/ 677 برواية: «يغش × الهوينا . .» لكلحبة اليربوعي، واسمه: هبيرة بن عبد الله اليربوعي، وهو في: المفضليات: 60، والنوادر: 153، الخصائص: 3/ 53 «الهوينا»، العيني: 2/ 132، الهمع: 1/ 180، الخزانة: 1/ 386.
(2) هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر، من كبار أئمة اللغة، صاحب الصحاح. ترجمته في: (لسان الميزان: 1/ 400، النجوم الزاهرة: 4/ 204، إنباه الرواة: 1/ 194، نزهة الألباء: 418، معجم الأدباء: 2/ 269، الأعلام: 1/ 312).
(3) الصحاح: 5/ 2043.
(4) هو أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء، نحوي لغوي كوفي. (ت207هـ). ترجمته في: (طبقات النحويين واللغويين: 131، الأعلام: 9/ 178).
(5) في الأصل: «جمل وجملان».
(6) كلام الفراء في الصحاح: 5/ 2043، وفيه: «حمل وحملان» بالحاء.

وَقَدْ تُجْمَعُ عَلَى أَنَاعِمَ. وَيَكُونُ مِنْ بَابِ جَمْعِ الْجَمْعِ كَأَصَائِلَ فَإِنَّهُ جَمْعُ جَمْعِ الْجَمْعِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا التَّكْثِيرَ جَمَعُوا [200]// الْجُمُوعَ. وَقَدْ يُقَالُ فِي وَاحِدِ النَّعَمِ. نَعْمَةٌ بِفَتْحِ النُّونِ.

وَكَوْنُهُ قَصَرَ مَا فِي الأَرْضِ عَلَى النَّاسِ وَالنَّعَمِ، وَمَعَ أَنَّهُ لَهُمَا وَلِلأَطْيَارِ وَالْوُحُوشِ وَالْحَشَرَاتِ: إِمَّا لأَنَّ النَّاسَ هُمْ أَصْلُ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ، وَغَالِبُ انْتِفَاعِهِمْ بِالنَّعَمِ هِيَ الَّتِي لَا يَنْفَكُّونَ عَنِ الانْتِفَاعِ بِهَا، وَإِمَّا لِكَوْنِهِ نَظَرَ لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَتُطْلَبُ الْحِكْمَةُ فِي الآيَةِ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ خَاطَبَ الآدَمِيِّينَ بِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ وَلأَنْعَامِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ مَنْفَعَتُهُمْ بِالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ كَثِيرَةً، وَلَا تَدْخُلُ فِي الأَنْعَامِ، لٰكِنْ لَمَّا كَانَتِ الْخَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَيْسَتْ بِسَائِمَةٍ بِخِلَافِ الأَنْعَامِ فَكَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي لَهَا مُعْظَمُ مَا أُعِدَّ دُونَ مَا سِوَاهَا مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، لأَنَّهَا مَقْصُورَةٌ مَحْصُورَةٌ لِلْخِدْمَةِ.

وَفِي الْبَيْتِ: إِيمَاءٌ إِلَى حِفْظِ الأَمَانَةِ وَشَرَفِ تَأْدِيَتِهَا إِلَى أَرْبَابِهَا، قَالَ ﷺ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ»[1]، فَالأَمَانَةُ أَشْرَفُ مَا يُوفِي الإِنْسَانُ بِهَا. وَالْعِبَادَاتُ وَالْجَوَارِحُ الَّتِي تَفْعَلُ بِهَا أَمَانَاتٌ عِنْدَ الْخَلْقِ. وَالأَمَانَةُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ. وَلَوْلَا خَوْفُ التَّطْوِيلِ لَبَسَطْنَا الْقَوْلَ فِي اسْتِيفَاءِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.



(1) أحمد: 3/ 135 ـ 154، ابن حبان: 1/ 208، الكبير للطبراني: 8/ 230، الصغير له: 1/ 60، السنن الكبرى: 6/ 288، الديلمي: 5/ 207، البغوي: 1/ 75، الهيتمي: 1/ 96 و3/ 83، الشهاب: 848 و850.

90 ـ قَالَ:

وَأَلْبَسَتْ حُلَلاً مِنْ سُنْدُسٍ وَلَوَتْ … عَمَائِماً بِرُؤُوسِ الْهَضْبِ وَالأَكَمِ[1]

شرح: (الْحُلَلُ): لَهَا اسْتِعْمَالَانِ: تُسْتَعْمَلُ لِحَقِيقَةٍ لُغَوِيَّةٍ، وَلِحَقِيقَةٍ عُرْفِيَّةٍ. أَمَّا الْحَقِيقَةُ اللُّغَوِيَّةُ: فَإِنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ ثَوْبٍ مُبَطَّنٍ كَائِناً مَا كَانَ، هٰذِهِ هِيَ الْحُلَّةُ اللُّغَوِيَّةُ، وَعَلَى ذٰلِكَ حُمِلَتِ الْحُلَّةُ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ ؓ: «مَا رَأَيْتُ ذَا وَفْرَةٍ كَحْلَاءَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ»[2] الْحَدِيثَ. وَأَمَّا فِي الْعُرْفِ: فَالْعُرْفُ عُرْفَانِ: عُرْفٌ قَدِيمٌ، وَهُوَ الأَصْلُ: إِنَّ الْحُلَلَ عِبَارَةٌ عَنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ[3]، فَإِنَّ أَهْلَ صَنْعَاءَ[4] الْيَمَنِ يُسَمُّونَ بُرُودَهُمُ الرَّفِيعَةَ حُلَلاً. وَالْعُرْفُ الْمُتَأَخِّرُ: إِنَّهَا الثَّوْبُ الْمَمْزُوجُ سِدَادُهُ وَطُعْمَتُهُ بِالذَّهَبِ، كَالَّتِي تَأْتِي مِنَ الْيَمَنِ وَمِنَ الأَنْدَلُسِ.

وَ(اللَّيُّ): جَعْلُ طَاقَةٍ عَلَى طَاقَةٍ. يُقَالُ: لَوَى يَلْوِي لَيّاً. وَأَصْلُهُ لَوْياً، أُدْغِمَتِ الْوَاوُ بَعْدَ قَلْبِهَا يَاءً فِي الْيَاءِ، فَصَارَ «لَيّاً». قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: 46]. وَلَوَيْتُ الْحَبْلَ: إِذَا فَتَلْتُهُ؛ وَمِنْهُ مَا فِي الآيَةِ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 78][5]. وَلَوَيْتُ الْبِئْرَ: إِذَا بَنَيْتُ جَوَانِبَهُ، فَفِيهِ فَتْلٌ بِالْمَعْنَى.

(1) لا يوجد البيت في الديوان. ينظر شرح الجادري: 130.
(2) لم أعثر على هذه الرواية، والطرف الأخير من الحديث في: البخاري: 5/ 2198، مسلم: 4/ 1818، الترمذي: 4/ 219، أحمد: 4/ 300، أبو داود: 4/ 81 وكلها عن البراء.
(3) اليمن: البلد المعروف الذي كان لسبأ. ينظر: معجم ما استعجم: 4/ 1401، معجم البلدان: 5/ 447، الروض المعطار: 619.
(4) صنعاء: مدينة عظيمة باليمن، اسمها القديم «أزال». ينظر: معجم ما استعجم: 3/ 843، الروض: 359.
(5) وفي الأصل: «وإنهم كانوا يلوون ألسنتهم بالكتاب».

وَ(**الْعَمَائِمُ**): جَمْعُ عِمَامَةٍ. تَقُولُ: عَمَّمْتُهُ، أَيْ: أَلْبَسْتُهُ الْعِمَامَةَ. وَعَمَّمْتُ هُوَ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ. وَأَمَّا مُتَعَرَّبَةُ الأَعْجَامِ فَمَا يَعْرِفُونَ إِلَّا التَّتْوِيجَ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: «الْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ». يُقَالُ: عَمَّمْتُهُ وَتَوَّجْتُهُ وَكَلَّلْتُهُ. قَالَ الشَّاعِرُ: (طويل)

وَمَا كَلَّلْتُ هٰذِهِ الْخِلَافَةُ سَيِّداً أَكَالِيلَهَا حَتَّى تَحَمَّلَ كَلَّهَا[1]

وَ(عَمَّ) وَ(اعْتَمَّ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَفُلَانٌ حَسَنُ الْعِمَّةِ، أَيْ: حَسَنُ الاعْتِمَامِ. فَيَكُونُ مِنْ مَصْدَرِ النَّوْعِ.

وَحُذِفَ مَفْعُولُ (**أَلْبَسَتْ**)، وَهُوَ مِنْ حَذْفِ الاخْتِصَارِ لَا مِنْ حَذْفِ الاقْتِصَارِ هُنَا، فَإِنَّهُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (**وَلَوَتْ عَمَائِماً بِرُؤُوسِ الْهَضْبِ وَالأَكَمِ**)، لأَنَّ مَنْ عَمَّمَ أَلْبَسَ، أَيْ: أَلْبَسَتْ جِسْمَ الأَرْضِ، وَهُوَ وَهْدُهَا، وَعَمَّمَتْ رُؤُوسَهَا، وَهُوَ وَعْرُهَا.

وَ(**أَلْبَسَتْ**): يَصِحُّ بِنَاؤُهُ لِلْفَاعِلِ وَلِلْمَفْعُولِ: أَمَّا لِلْفَاعِلِ: فَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الأَمَانَةِ، أَيْ: مَا خَرَجَ مِنَ الأَرْضِ أَلْبَسَهَا حُلَلاً، وَلَوى [201]// بِرُؤُوسِهَا عَمَائِمَ. وَإِنْ بُنِيَ الْفِعْلُ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ فَالْمَفْعُولُ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الأَرْضِ، فَيَكُونُ مِنْ كَرَامَتِهَا وَأَدَائِهَا الأَمَانَةَ بِإِذْنِ اللهِ أَلْبَسَهَا اللهُ حُلَلاً، وَلَمَّا أَنْعَمَ عَلَيْهَا بِالْمَلَابِسِ لَوَتْ بِرُؤُوسِ الْهَضْبِ وَالأَكَمِ عَمَائِمَ. وَلَمَّا كَانَتِ الْحُلَلُ فِي الْعُرْفِ مُخْتَلِفَةَ الأَلْوَانِ حَسُنَتْ هٰذِهِ الاسْتِعَارَةُ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الأَرْضَ إِذَا أَخْرَجَتْ مَا فِيهَا، وَقَامَ نُوَّارُهَا، صَارَتْ فِي أَبْدَعِ الْحُلَلِ. وَلَمَّا كَانَتْ أَمَاكِنُ الأَرْضِ مُخْتَلِفَةَ النُّوَّارِ جَمَعَ الْحُلَّةَ وَقَالَ: حُلَلٌ، لأَنَّ كُلَّ مَوْضِعٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ مُمَاثِلَةٌ لِغَيْرِهَا، أَوْ مُخَالِفَةٌ.

وَ(**السُّنْدُسُ**): الْخُبْزُ الْمَرْقُومُ. وَقِيلَ: رَقِيقُ الدِّيبَاجِ، وَهُوَ أَشْهَرُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ [الإنسان: 21].

---

(1) كلها: عبئها.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ (**لَبِسَتْ**) وَ(**أَلْبَسَتْ**): لَبِسَتْ: إِذَا بَاشَرَتِ اللِّبَاسَ بِنَفْسِهَا بِكَسْرِ الْبَاءِ فِي الْمَاضِي وَفَتْحِهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَأَمَّا بِالْعَكْسِ فَالْمُرَادُ بِهِ: الْخَلْطُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: 42]. وَأَمَّا (أَلْبَسَتْ) فَمَعْنَاهُ: أَلْبَسَتْ غَيْرَهَا. وَالتَّجَوُّزُ فِي هٰذَا الْفِعْلِ وَارِدٌ كَثِيرٌ، تَقُولُ: فُلَانٌ لَبِسَ الْحَيَاءَ لِبَاساً. ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: 26]. وَلَبِسَ الثِّيَابَ لُبْساً بِضَمِّ اللَّامِ الْبَانِي.

وَخَصَّ رُؤُوسَ الْهَضْبِ وَالأَكَمِ بِالْعَمَائِمِ دُونَ مَا سِوَاهُمَا مِنَ الأَمَاكِنِ الْمُرْتَفِعَةِ مِنَ الأَرْضِ. وَقَدْ قَدَّمْنَا مَرَاتِبَهَا فِي التَّرَقِّي؛ وَذٰلِكَ لأَنَّ النَّاظِمَ فَهِمَ أَنَّ دَعْوَتَهُ ﷺ فِي صَرْفِ الْمَاءِ كَانَ لِلآكَامِ وَالْهِضَابِ. فَمَا كَانَ الْخِصْبُ الْبَيِّنُ إِلَّا فِي مَا صُرِفَ لَهُ الْمَاءُ الْفَاضِلُ عَنْ مِيَاهِ حَيَاةِ الأَرْضِ. وَأَيْضاً فَإِنَّ الآكَامَ وَالْهِضَابَ مُتَّصِلَةٌ بِوَهَدَاتِ الأَرْضِ، فَاتَّصَلَتْ بِقُرْبِهَا كَاتِّصَالِ الرُّؤُوسِ بِالأَبْدَانِ. وَأَيْضاً فَإِنَّ الْغَالِبَ فِي الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ عَدَمُ إِمْسَاكِ الْمَاءِ، فَلَا يَحْصُلُ لَهَا مَا يَحْصُلُ لِلآكَامِ وَالْهِضَابِ، فَإِذَا كَانَ شَيْءٌ فِي رَأْيِهَا فَلَا يَكُونُ بِذٰلِكَ فِي الْحُسْنِ وَالنَّظَارَةِ لِقِلَّةِ حَبْسِهَا مُوجِبَ النَّظَارَةِ وَهُوَ الْمَاءُ. وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الصُّخُورِ وَالشِّعَابِ الْوَعِرَةِ.

وَقَدَّمَ اللِّبَاسَ عَلَى الْعَمَائِمِ كَمَا فِي الْحِسِّ، وَإِنْ كَانَ لِلتَّعْمِيمِ لِبَاساً؛ أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ حَلَفَ أَنْ لَا يَلْبَسَ ثَوْباً يُعَمِّمُهُ، فَإِنَّهُ يَحْنَثُ، لٰكِنْ هٰذَا بِالْحَقِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَمَّا اللُّغَوِيَّةُ، بَلْ وَالْعُرْفِيَّةُ فَإِنَّهَا تُفَرِّقُ بَيْنَ اللِّبَاسِ وَالتَّعْمِيمِ. فَإِنَّكَ تَقُولُ: لَبِسَ وَاعْتَمَّ وَبَرَزَ، فَلَا يَكُونُ فِي الْعُرْفِ تَكْرَاراً. وَذَكَرَ بَعْضُ الأَصْحَابِ أَنَّ الْحُلَّةَ كَرِدَاءٍ وَإِزَارٍ، وَالْعُرْفُ اللُّغَوِيُّ وَالْعُرْفِيُّ بِخِلَافِهِ، بَلْ لَا يُقَالُ حُلَّةٌ إِلَّا لِثَوْبَيْنِ يُطْمَرُ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ.

وَصَرَفَ النَّاظِمُ الْعَمَائِمَ وَهُوَ مِنَ الْجَمْعِ الْمُتَنَاهِي: إِمَّا ضَرُورَةً، وَإِمَّا لِكَوْنِ الْعَرَبِ تَوَسَّعَتْ فِيهِ حَتَّى ادَّعَى بَعْضُهُمْ لُغَةً بِالتَّخْيِيرِ فِي صَرْفِهِ وَمَنْعِهِ مِنْ

غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَلَا طَلَبِ تَنَاسُبٍ. وَالْمَشْهُورُ جَوَازُ صَرْفِهِ لِلتَّنَاسُبِ فِي الْفَصِيحِ، وَلِلضَّرُورَةِ فِي الشِّعْرِ؛ قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ: (رجز)

وَالصَّرْفُ فِي الْجَمْعِ أَتَى كَثِيراً ... حَتَّى ادَّعَى قَوْمٌ بِهِ التَّخْيِيرَا[1]

وَأَمَّا فِي غَيْرِ الْجَمْعِ فَلَا يُصْرَفُ إِلَّا لِلضَّرُورَةِ. وَمِنَ التَّنَاسُبِ: ﴿سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا﴾ [الإنسان: 4]. وَ﴿قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: 15، 16].

وَمِنَ الضَّرُورَةِ فِي غَيْرِ الْجَمْعِ: (بسيط)

أَسْتَوْدِعُ اللهَ أَحْبَاباً فُجِعْتُ بِهِمْ ... بَانُوا وَمَا خَلَّفُوا لِي غَيْرَ تَعْذِيبِي[2]

بَانُوا وَلَمْ يَقْضِ زَيْدٌ مِنْهُمْ وَطَراً ... وَلَا انْقَضَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبِ

فَصَرَفَ يَعْقُوبَ.

وَجَمْعُهُ فِي الْبَيْتِ بَيْنَ (**الْحُلَلِ**) وَ(**الْعَمَائِمِ**) مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

وَفِيهِ: الاسْتِطْرَادُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ [202]// مَدَحَ بِحُسْنِ النَّوَّارِ، وَمَا اكْتَسَبَتِ الْأَرْضُ بِهِ مِنَ الْحُلَلِ؛ وَالْمَقْصُودُ غَيْرُهُ، وَهُوَ مَدْحُهُ ﷺ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَعِظَمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَاسْتِخْرَاجِ أَمَانَةِ الْأَرْضِ بِبَرَكَةِ دَعْوَتِهِ.

وَ(**مِنْ سُنْدُسٍ**): فِي مَوْضِعِ النَّعْتِ لِـ (**حُلَلٍ**). وَ(**مِنْ**): فِيهِ لِبَيَانِ الْجِنْسِ.
وَهَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي بَعْدَهُ مِنْ بَقِيَّةِ كَلَامِ ابْنِ الْجَيَّابِ.



(1) البيت في تفسير الألوسي: 8/ 161، البحر المحيط: 8/ 125.
(2) البيتان للخبزأرزي في الوافي بالوفيات: 7/ 319، محاضرات الأدباء: 1/ 355 وبدون نسبة في: التبيان: 433، أنوار الربيع: 4/ 267.

91 ـ قَالَ:

وَالنَّخْلُ بَاسِقَةٌ تَجْلُو قَلَائِدَهَا ... مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْعَنَمِ[1]

شرح: وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ مِنَ الْأَصْلِ وَلَا مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْجَيَّابِ؛ وَعَلَى إِثْبَاتِهِ بَعْضُهُمْ، يَنْشُدُهُ: (**عَلَى الْخَدَّيْنِ**)، وَبَعْضُهُمْ يَرْوِيهِ: (بسيط)

وَالنَّخْلُ بَاسِقَةٌ تَجْلُو قَلَائِدَهَا ... مِنَ الثِّمَارِ عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْعَنَمِ

وَهَذَا حَيْثُ وَلَا بُدَّ أَحْسَنُ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: (**عَلَى الْخَدَّيْنِ**) فِيهِ مِنَ الضُّعْفِ مَا لَا يَخْفَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (**مِنَ الثِّمَارِ**) لَا شَكَّ أَنَّ عَنَاقِيدَ التَّمْرِ قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِ النَّخْلِ.

وَ(**الْعَنَمِ**) عَطْفٌ عَلَى (**الثِّمَارِ**)، وَيَكُونُ عِبَارَةً عَنِ الْحُمْرَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي عَرَاجِينِ الثِّمَارِ لِأَنَّ الْعَنَمَ شَيْءٌ مِنَ النَّبَاتِ ثَمَرَتُهُ حَمْرَاءُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: (**وَاللَّمَمِ**)، جَعَلَ (اللَّمَمَ) مَعْطُوفاً عَلَى (**الثِّمَارِ**)، وَأَرَادَ بِهِ أَنَّ أَعْرَاقَ النَّخِيلِ كَأَنَّهَا وَبَرَاتٌ عَلَى رُؤُوسِهَا كَوَفَرَاتِ شَعَرِ ذَوِي الشُّعُورِ.

وَ(**النَّخْلُ**): مَعْرُوفٌ. وَإِنَّمَا خَصَّهَا هَذَا النَّاظِمُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَطْوَلُ الْأَشْجَارِ وَأَطْيَبُهَا جَنًى؛ حَتَّى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي ذُكِرَ فِي حَدِيثِ الرِّبَا، وَفِي صَدَقَةِ التَّمْرِ. وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْآدَمِيِّ مُنَاسَبَةٌ: لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ فُضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَ»[2]. وَرُكِّبَتْ مِنْ سَبْعِ طَبَقَاتٍ، كَمَا أَنَّ الْآدَمِيَّ لَهُ سَبْعُ دَرَجَاتٍ مِنَ السُّلَالَةِ إِلَى وَقْتِ بُرُوزِهِ، كَمَا أَنَّ النَّخْلَ يَكُونُ **طَلْعاً** ثُمَّ زَهْراً، ثُمَّ **إِغْرِيضاً**، ثُمَّ **بُلْحاً**، ثُمَّ **بُسْراً**، ثُمَّ **رُطَباً**، ثُمَّ **تَمْراً**.

(1) لا يوجد البيت في الديوان، شرح الجادري: 131.
(2) الجامع الصغير: 1/ 202 بلفظ: الضعفاء: 430، الكامل لابن عدي: 1/ 330، الحلية: 6/ 123، اللآلئ المصنوعة: 1/ 153.

وَقَوْلُهُ: (**بَاسِقَةٌ**): ذَكَرَ الْوَصْفَ الَّذِي زَادَتْ بِهِ عَلَى الأَشْجَارِ.

وَ(**تَجْلُو**): كَمَا أَنَّ الْعَرُوسَةَ تُجَلَّى لإِظْهَارِ حُلِيِّهَا، فَعَبَّرَ النَّاظِمُ عَنْ عَنَاقِيدِ تُمْرِهَا وَعَنْ ثِمَارِهَا بِالْقَلاَئِدِ وَذَوَائِبِ الشَّعْرِ عَلَى رِوَايَةِ: (**مِنَ الثِّمَارِ**). وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ نَظْمَ ثَمَرَاتِ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ كَأَنَّهَا جَوَاهِرُ نَفِيسَةٌ مُعَلَّقَةٌ، وَعَسَفَاتُهَا الْمُرْخِيَّةُ عَلَيْهَا يَمِيناً وَشِمَالاً عَلَى الذَّوَائِبِ، وَهُوَ مِمَّا لاَ بَأْسَ بِمَعْنَاهُ عِنْدَ التَّأَمُّلِ.

وَأَمَّا رِوَايَةُ: (**مِثْلَ الْبَهَارِ**) يَعْنِي أَنَّ قَلاَئِدَ التَّمْرِ وَهِيَ عَرَاجِينُهُ الْمَجْلُوَّةُ، مِثْلُ مَا يَصْنَعُ الْبَهَارُ إِذَا فُتِّحَ، فَإِنَّهُ يُكْسِبُ شَجَرَهُ بَهَاءً، وَيَكُونُ كَالْقَلاَئِدِ. وَكَذَلِكَ (**الْعَنَمُ**)، فَإِنَّهُ لَمُرَوْنَقٌ عَجِيبٌ فِي الْحُمْرَةِ. وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَهُوَ بَيْتٌ دَخِيلٌ لَيْسَ مِنْ أَصْلِ النَّاظِمِ وَلاَ مِنْ كَلاَمِ ابْنِ الْجَيَّابِ.

وَقَالَ بَعْضُ مَنْ شَرَحَ الْبَيْتَ: «شَبَّهَ تِلْكَ الْعَرَاجِينَ فِي أَعَالِي تِلْكَ النَّخْلِ مِثْلَ تَزْيِينِ الْخَدَّيْنِ مِنَ الْمَرْأَةِ بِنُوَارِ الْبَهَارِ. وَمَثَّلَ تَزْيِينَ الْمَعَاصِمِ وَالأَقْدَامِ بِالْحِنَّاءِ. وَفَسَّرَ الْعَنَمَ بِالْحِنَّاءِ». وَالنَّاسُ صِنْفَانِ: مَشْرُوفٌ وَذُو شَرَفٍ، وَقَاصِرٌ وَبَلِيغٌ فِي الْعِبَارَاتِ. وَلاَ شَكَّ أَنَّ الأَوْصَافَ الْمُنَاسِبَةَ إِذَا تَعَدَّدَتْ تَعَدَّدَتْ جِهَاتُ التَّأْوِيلِ، وَالْكُلُّ مُحْتَمَلٌ.

وَ(**تَجْلُو**): رِوَايَةٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: (**تُجْلَى**) مَبْنِيًّا لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ. فَعَلَى الرِّوَايَةِ الأُولَى: (**قَلاَئِدَهَا**): مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَفْعُولِيَةِ. وَعَلَى الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ مَرْفُوعَةٌ عَلَى أَنَّهَا الْمَفْعُولُ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

وَ(**النَّخْلُ**): عَلَى الْوَجْهَيْنِ مُبْتَدَأٌ. وَ(**بَاسِقَةٌ**): خَبَرُهُ.

وَ(**تُجْلَى**) وَمَا بَعْدَهُ، أَوْ (**تَجْلُو**) وَمَا بَعْدَهُ: يَصِحُّ كَوْنُ الْجُمْلَةِ خَبَراً ثَانِياً، إِذْ يَصِحُّ تَعَدُّدُ الْخَبَرِ، لَكِنْ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَرَى أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ تَعَدُّدُ الْخَبَرِ إِلاَّ إِذَا كَانَ الْخَبَرَانِ فِي مَعْنَى خَبَرٍ وَاحِدٍ، كَقَوْلِكَ: «الرُّمَّانُ حُلْوٌ حَامِضٌ»، **[203]**// إِذْ هُوَ فِي قُوَّةِ قَوْلِكَ: «الرُّمَّانُ مُزٌّ». وَكَقَوْلِكَ: «فُلاَنٌ فُرُوعِيٌّ نَحْوِيٌّ

أُصُولِيٌّ»، هُوَ فِي قُوَّةِ قَوْلِكَ: «فُلاَنٌ عَالِمٌ»، وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

يَنَامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي ... بِالأُخْرَى الْمَنَايَا فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعٌ[1]

كَأَنَّهُ يَقُولُ: فَهُوَ كَامِلُ النَّعْتِ فِي الْحَذَرِ وَالْقُعُودِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْخَبَرَانِ لاَ يَتَوَارَدَانِ عَلَى مَعْنًى مُفْرَدٍ جَامِعٍ لَهُمَا فَلاَ يَصِحُّ تَعَدُّدُ الْخَبَرِ فِيهِمَا. وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَ التَّعَدُّدَ مُطْلَقاً. وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَهُ مُطْلَقاً. فَإِذَا قُلْنَا: (**بَاسِقَةٌ تَجْلُو**) فَإِنَّ الْخَبَرَيْنِ مُتَبَايِنِي الدَّلاَلَةِ، إِذْ أَحَدُ الْوَصْفَيْنِ ذَاتِيٌّ، وَالآخَرُ عَرَضِيٌّ مُنْفَصِلٌ عَنْ صِفَاتِ الذَّاتِ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ الأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا خَبَراً، وَيَكُونَ الأَحْسَنُ هُوَ قَوْلُهُ: (**تَجْلُو قَلاَئِدَهَا**).

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا جَعَلْنَا الْجُمْلَةَ خَبَراً، وَالأَصْلُ إِفْرَادُ الأَخْبَارِ.

قُلْتُ: الْخَبَرُ مَحَلُّ الْفَائِدَةِ، وَلاَ كَبِيرَ مَعْنًى فِي الأَخْبَارِ بِكَوْنِ النَّخْلَةِ بَاسِقَةً، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِكَ: السَّمَاءُ فَوْقَنَا. وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ السَّرَّاجِ[2] وَغَيْرُهُ مِنْ كِبَارِ النَّحْوِيينَ أَنَّ الإِخْبَارَ بِمِثْلِ هَذَا لاَ يَصِيرُ الْجُمْلَةَ الْمُنْعَقِدَةَ مِنْهُ كَلاَماً، لأَنَّكَ لَمْ تُفِدِ السَّامِعَ مَا لاَ عِنْدَهُ[3]. وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ هَذَا حَسُنَ الإِخْبَارُ بِالْجُمْلَةِ، وَلاَ يَصِحُّ أَنَّ الاثْنَيْنِ حَالَيْنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا الْمَانِعُ مِنْ جَعْلِهِمَا مَعاً حَالَيْنِ، وَقَدْ جَاءَ فِي آيَةِ ق: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾[4] [ق: 10]؟.

(1) سبق تخريجه: ص191.

(2) هو محمد بن السري بن سهل أبو بكر بن السراج، أحد أئمة الأدب والعربية، من أهل بغداد. (ت230هـ). ترجمته في: (طبقات النحويين واللغويين: 122، نزهة الألباء: 319، بغية الوعاة: 44، الوفيات: 1/ 804، الوافي: 3/ 86، بروكلمان: 174).

(3) ينظر: الأصول لابن السراج: 2/ 276.

(4) باسقات: طوال. والطلع: أول ما يخرج من ثمر النخل، يقال طلع الطلع طلوعاً، وطلعها كفراها. نضيد: متراكب بعضه على بعض.

قُلْتُ: النَّخلُ فِي مَسْأَلَتِنَا عُمْدَةُ بَيَانٍ يَفْتَقِرُ إِلَى إِخْبَارٍ بِمَا تَكُونُ فِيهِ فَائِدَةٌ، وَنَحْنُ إِنْ جَعَلْنَا ذٰلِكَ فِي مَسْأَلَتِنَا لَمْ يَبْقَ مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ خَبَراً، بِخِلَافِ مَا فِي الآيَةِ، لأَنَّ الْمَفْعُولَ فُضْلَةٌ، وَمَا وَقَعَ بَعْدَهُ حَالٌ انْفَرَدَ أَوْ تَعَدَّدَ، إِذْ لَا نَطْلُبُ خَبَراً عَنْ مُخْبَرٍ عَنْهُ فِيهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَلِمَ لَا يَكُونُ خَبَرُهُ **(مِنَ الثِّمَارِ)** أَوْ **(مِثْلَ الْبَهَارِ)** عَلَى الرِّوَايَتَيْنِ؟

قُلْنَا: قَوْلُهُ: **(مِثْلَ الْبَهَارِ)** لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ خَبَراً، لأَنَّ الْخَبَرَ هُوَ نَفْسُ الْمُخْبَرِ [عَنْهُ][1] وَالْمَخْبَرُ عَنْهُ هُنَا: النَّخلُ، وَلَيْسَ النَّخلُ مِثْلَ الْبَهَارِ، وَإِنَّمَا هُوَ نَعْتٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْمُعْرِبِينَ، وَإِلَّا فَقَدْ قِيلَ: إِنَّ إِعْرَابَهُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ رَحِمَهُ اللهُ [. . .][2]. وَأَمَّا قَوْلُهُ: **(مِنَ الثِّمَارِ)** فَلَيْسَ بِتَامٍّ، وَمِنْ شَرْطِ الإِخْبَارِ بِالْمَجْرُورِ تَمَامُ مَعْنَاهُ، فَتَعَيَّنَ كَوْنَ أَحَدِهِمَا خَبَراً أَوْ كِلَاهُمَا، عَلَى رَأْيٍ، وَالتَّقْدِيرُ عَلَى غَيْرِ مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ فِي نَعْتِيَّةِ الْمَصْدَرِ الْمَحْذُوفِ: جَلَاءً مِثْلَ جَلَاءِ الْبَهَارِ، أَوْ مِثْلَ جَلَاءِ الْعَنَمِ.

وَ**(الْعَنَمِ)**: مَعْطُوفٌ عَلَى **(الْبَهَارِ)**. وَ**(اللَّمَمِ)**: مَعْطُوفٌ عَلَى **(الثِّمَارِ)** عَلَى الرِّوَايَةِ الأُخْرَى.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، فَإِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الْبَهَارِ فِي الْخَدَّيْنِ وَالْعَنَمِ فِي الْيَدَيْنِ وَأَطْرَافِ الرِّجْلَيْنِ، أَوْ بَيْنَ الثِّمَارِ وَاللَّمَمِ، إِذِ الثِّمَارُ عَرَاجِينُهَا قَلَائِدُ، وَاللَّمَمُ أَغْصَانُ النَّخْلِ الْمُورِقَةِ ذَوَائِبُ.



(1) لا توجد العبارة في الأصل، ولعلها سقطت.
(2) طمس في الأصل من الورقة: 203.

92 ـ قال:

وَفَارَقَ النَّاسَ دَاءُ الْقَحْطِ وَانْبَعَثَتْ ... إِلَى الْمَكَارِمِ نَفْسُ النِّكْسِ وَالبَرِمِ[1]

شرح: هٰذَا الْبَيْتُ نَتِيجَةُ الْبَيْتَيْنِ الْمُقَدَّمَيْنِ، لأَنَّهُ لَمَّا أَحْيَى اللهُ الأَرْضَ بِالْعَارِضِ فَارَقَ النَّاسَ دَاءُ الْقَحْطِ. وَجَاءَ بِلَفْظِ **(فَارَقَ)**، وَالْمُفَارَقَةُ: الزَّوَالُ وَالذَّهَابُ، كُلُّ ذٰلِكَ صَالِحٌ لِهٰذَا الْمُمْطِرِ، لٰكِنَّهُ جَاءَ بِالْمُفَارَقَةِ الْمُشْعِرَةِ بِأَنَّهَا بَعْدَ اتِّصَالٍ؛ بِخِلَافِ الذَّهَابِ وَالزَّوَالِ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مُجَرَّدُ الدَّلَالَةِ عَلَى الانْصِرَافِ. وَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَنْوَاعُ الدَّاءِ، وَهُوَ هُنَا مَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُوجِبٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الأَدْوَاءِ.

وَ**(الْقَحْطُ)**: حَبْسُ الْمَطَرِ. يُقَالُ: قَحَطَ الْمَطَرُ قُحُوطاً: احْتَبَسَ. وَأَقْحَطْنَا: صِرْنَا فِي قَحْطٍ. وَأَقْحَطَ الرَّجُلُ: أَكْسَلَ عَنِ الإِنْزَالِ فِي الْجِمَاعِ.

وَ**(انْبَعَثَ)**: مُطَاوِعُ بَعَثَ، وَبَعَثَ: يَكُونُ بِمَعْنَى: أَرْسَلَ، تَقُولُ: بَعَثَ الإِمَامُ [204]// الرَّسُولَ وَالْجَيْشَ بَعْثاً: أَرْسَلَهُمَا. وَبَعَثَ الْبَعِيرَ: إِذَا حَلَّ عِقَالَهُ. وَبَعَثَ النَّائِمَ مِنْ نَوْمِهِ أَيْ: أَقَامَهُ وَنَبَّهَهُ. وَبَعَثَ اللهُ الْخَلْقَ مِنْ مَضَاجِعِهِمْ، أَيْ: رَدَّ عَلَيْهِمْ نُفُوسَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: **(فَانْبَعَثَتْ)**، أَيْ: أَعَادَ عَلَيْهِمْ عُقُولَهُمْ وَنُفُوسَهُمْ لَمَّا أَغَاثَهُمْ، وَكَأَنَّهَا رَجَعَتْ لأَسْبَابِ الْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ أَشْرَفَتْ عَلَى أَسْبَابِ الْمَوْتِ. وَرَجَعَتِ النُّفُوسُ إِلَى طِبَاعِهَا الْمُقْتَضِيَةِ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ بَعْدَ أَنِ انْتَكَسَتْ وَانْقَلَبَتْ طِبَاعُهَا عَنِ السَّمَاحَةِ إِلَى الشُّحِّ وَالْبُخْلِ، كَمَا انْقَلَبَ أَوَّلاً مِنْ حِينَ الْخِصْبِ إِلَى زَمَنِ الْجَدْبِ. فَلَمَّا انْقَلَبَتِ الْحَالُ وَرَجَعَتْ إِلَى مَحَاسِنِهَا، وَرَجَعَ الزَّمَانُ إِلَى خِصْبِهِ، فَالنُّفُوسُ تَابِعَةٌ فِي الانْبِسَاطِ وَالانْقِبَاضِ إِلَى خِصْبِ الأَزْمِنَةِ وَجَدْبِهَا.

(1) لا يوجد البيت في رواية الديوان.

وَ(**الْبَرِمِ**): رَاجِعٌ إِلَى شَرَاسَةِ الأَخْلَاقِ وَالْمَيْلِ إِلَى سَفَاسِفِ الأُمُورِ وَالضَّجَرِ.

وَالْبَيْتُ فِيهِ مَعَ الَّذِي أَوَّلُهُ: (**فَادَّتِ الأَرْضُ**) مَا بَيْنَ السَّبَبِ وَالْمُسَبَّبِ، فَكَأَنَّ سَبَبَ مُفَارَقَةِ دَاءِ الْقَحْطِ مَا أَدَّتْهُ الأَرْضُ مِنْ أَمَانَاتٍ كَانَتْ بِهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (**وَأُلْبِسَتْ حُلَلاً**): فَهُوَ كَالإِرْصَادِ، لأَنَّ مَنْ سَمِعَ (**فَادَّتِ الأَرْضُ**) إِلَى آخِرِهِ، عَلِمَ أَنَّ إِخْرَاجَهَا أَمَانَاتِهَا هُوَ حُلَلُهَا وَعَمَائِمُ هِضَابِهَا.

وَسَمَّاهُ (**نِكْساً**) لأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا لأَنَّ حَالَةَ الْكَمَالِ جَارِيَةٌ عَلَى حُسْنِ الأَحْوَالِ، فَإِذَا فُقِدَتْ تِلْكَ الأَحْوَالُ صَارَ اسْتِوَاؤُهَا عَكْسَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، فَرَجَعَ أَعْلَاهَا أَسْفَلَهَا، وَاسْتَمَرَّتْ عَلَى مَا هُوَ مَعْهُودٌ لأَسَافِلِهَا، وَهُوَ عَيْنُ التَّنْكِيسِ. وَإِمَّا تَشْبِيهاً بِإِنْكَاسِ حَالِ الْمَرِيضِ إِذَا نَقَهَ مِنْ مَرَضٍ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا نَقَهَ مِنْهُ. يُقَالُ بِالْعُرْفِ: انْتَكَسَ فُلَانٌ، أَيْ: عَادَ عَلَيْهِ مَرَضُهُ. وَلَمَّا كَانَتْ أَزْمِنَةُ الْخِصْبِ مُتعاقِبَةً مَعَ أَزْمِنَةِ الْجَدْبِ صَارَ الزَّمَانُ دَائِراً بَيْنَ كَمَالٍ وَنَقْصٍ، وَاسْتِوَاءِ حَالٍ وَانْتِكَاسٍ.

وَسُمِّيَ الأَمْرُ الثَّانِي بِـ (**الْبَرِمِ**) مِنَ الانْفِتَالِ وَالشِّدَّةِ وَضَغْطِ الْمُنْبَسِطِ. تَقُولُ: بَرَمْتُ فَتْلَ الْحَبْلِ: إِذَا أَلْصَقْتَ بَعْضَ أَجْزَائِهِ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يَصِيرَ بَعْدَ ظُهُورِ الْغِلَظِ إِلَى الرِّقَّةِ، وَبَعْدَ ظُهُورِ الانْحِلَالِ إِلَى الشِّدَّةِ. وَأَلْحَقَ الْفِعْلَ تَاءَ التَّأْنِيثِ إِمَّا نَظَراً إِلَى الْحَالِ، أَيْ: حَالِ النَّفْسِ. أَوْ إِلَى النَّفْسِ لأَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ.

وَأَمَّا مَنْ حَمَلَهُ عَلَى أَنَّ الْمُنْبَعِثَ النِّكْسِ وَالْبَرِمُ فَفِيهِ نَظَرٌ، إِذِ الْمُنْبَعِثَاتُ النُّفُوسُ، لأَنَّهَا تَنْقَبِضُ بِالنِّكْسِ وَالْبَرْمِ، وَتَنْبَسِطُ بِالْخِصْبِ. وَلَيْسَ تَاءُ التَّأْنِيثِ وَلَفْظُ (النَّفْسِ) بِحَشْوٍ، وَإِنَّمَا الْحَشْوُ هُوَ اللَّفْظُ الَّذِي لَا يُفِيدُ مَعْنًى الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ لإِقَامَةِ الْوَزْنِ فَقَطْ. وَهٰذَا فِيهِ مَعَ إِقَامَةِ الْوَزْنِ مَعْنًى أَبْلَغُ مِنْهُ إِنْ لَوْ لَمْ يَذْكُرِ النَّفْسَ. وَمِنَ الْحَشْوِ الْحَسَنِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (وافر)

أَبِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنِّي ... مُلَاقٍ [لَا أَبَاكِ] تُخَوِّفِينِي[1]

فَقَوْلُهُ: (لَا أَبَاكِ) حَشْوٌ أَقَامَ الْوَزْنَ وَحَسَّنَ الْمَعْنَى. وَكَذَا قَوْلُ الآخِرِ:

(طويل)

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِينَ حَوْلاً لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ[2]

فَإِنَّ (لَا أَبَا لَكَ) حَشْوٌ، وَهُوَ أَيْضاً حَسَنٌ، إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ تَعْنِيفاً. وَمَعْنَى «يَسْأَمُ»: يَمَلُّ.

وَفِي الْبَيْتِ: مَا يُوهِمُ الطِّبَاقَ، إِذْ جَمَعَ بَيْنَ الْمُتَضَادَّيْنِ، وَهُمَا: (**الْمَكَارِمُ وَالنِّكْسُ**). وَكَذَا جَمْعُهُ بَيْنَ (**الْقَحْطِ وَالْمَكَارِمِ**). فَالطِّبَاقُ فِيهِ مُزْدَوَجٌ، وَيُسَمُّونَهُ: مُقَابَلَةً، وَهُوَ مِنْ مُقَابَلَةِ طِبَاقٍ بِطِبَاقٍ. وَجَمْعُهُ بَيْنَ هٰذِهِ الْمُتَنَاسِبَاتِ مِنْ بَابِ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ. وَهٰذَا آخِرُ أَبْيَاتِ ابْنِ الْجَيَّابِ. وَأَمَّا أَصْلُ نَظْمِ الْبُوصَيْرِيِّ هُوَ قَوْلُهُ:



(1) في الأصل: «لا باك» ولعل الصواب ما أثبتناه. والبيت منسوب لأبي حَيَّةَ النُّميري في تاج العروس. والصحاح للجوهري. واللسان: خ. وهو بدون نسبة في: شرح شذور الذهب: 1/ 424، الخصائص: 1/ 345، كتاب اللامات: 1/ 103.

(2) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه: 29، معاني القرآن للأخفش: 235، المقتضب: 4/ 375، المثل السائر: 3/ 47، أمالي ابن الشجري: 2/ 128، الحماسة المغربية: 2/ 1215.

93 ـ قَالَ:

إِذَا تَتَبَّعْتَ آيَاتِ النَّبِيِّ فَقَدْ   أَلْحَقْتَ مُنْفَخِماً مِنْهَا بِمُنْفَخِمِ[1]

شرح: وَالأَلِفُ وَاللَّامُ هُنَا لِلتَّغْلِيبِ، كَهُوَ فِي الْعَقَبَةِ وَالْكِتَابِ وَالثُّرَيَّا الْمُسَمَّاةِ بِالنَّجْمِ وَالدَّبْرَانِ، لأَنَّ لَفْظَ (نَبِيّ) يَصْلُحُ لِكُلِّ مَنْ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، فَإِذَا حَلَّيْتَهُ بِالأَلِفِ وَاللَّامِ عُلِمَ قَطْعاً أَنَّكَ إِنَّمَا قَصَدْتَ مُحَمَّداً ﷺ.

وَ(**آيَاتُهُ**) هُنَا: مُعْجِزَاتُهُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِ [205]// فِي مَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ لِيُبَلِّغَهُ لِلْخَلْقِ مِنْ أَنْبَاءٍ أَوْ تَكَالِيفَ.

وَ(**تَتَبُّعُهَا**): التَّأَمُّلُ فِيهَا، وَالإِعْلَامُ بِهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ.

وَقَوْلُهُ: (**أَلْحَقْتَ**)، وَلَمْ يَقُلْ: (**أَتْبَعْتَ**): وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: (**أَلْحَقْتَ**): رَاجِعٌ لِلْمُتَأَخِّرِ التَّابِعِ لِمَا قِيلَ، وَإِذَا قَالَ: (**أَتْبَعْتَ**) كَانَ صَالِحاً لِلأَوَّلِ أَوِ الثَّانِي.

وَ(**الْمُنْفَخِمُ**): الْعَظِيمُ الْمِقْدَارِ، الرَّفِيعُ الْمَنَارِ.

وَإِذَا قُلْنَا: مَعْنَى (**تَتَبَّعْتَ**)، أَيْ: تَأَمَّلْتَ، فَإِنَّكَ تَقِفُ عَلَى مَعْنًى بَعْدَ مَعْنًى، وَكُلُّ مَعْنًى فِي نَفْسِهَا عَظِيمَةٌ، فَيَنْتُجُ لَكَ النَّظَرُ فِي الْمُتَأَخِّرِهِ مَعْنًى لَمْ يَكُنْ لَكَ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِ، بَلْ تَزَيَّدَ عِنْدَكَ مِنَ الثَّانِي مُعْجِزَةٌ وَآيَةٌ كَرِيمَةٌ غَيْرُ الَّتِي كُنْتَ اطَّلَعْتَ عَلَى مَعْنَاهَا.

وَمَعْنَى كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّ آيَاتِ رَسُولِ اللهِ كُلَّهَا عَظِيمَةٌ، وَإِعْلَامِي إِيَّاكَ بِهَذَا الإِخْبَارِ يَكْفِيكَ، فَاعْتَقِدْ أَنَّ آيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلَّهَا عَظِيمَةٌ وَلَا حَدَّ لَهَا، فَلَا أَقِفُ لَهَا عَلَى غَايَةٍ. فَحَرَكَاتُهُ وَسَكَنَاتُهُ وَكَلِمَاتُهُ كُلُّهَا حِكَمٌ وَآيَاتٌ. حَرَكَاتٌ

(1) لا يوجد البيت في رواية الديوان. ينظر: شرح البردة للجادري: 132.

وَسَكَنَاتٌ مَعْصُومَةٌ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، وَذَاتٌ مَحْفُوظَةٌ مِنَ الشُّبُهَاتِ، تَامَّةٌ فِي ذَاتِهَا، شَرِيفَةٌ فِي صِفَاتِهَا، وَكَلِمَاتٌ كُلُّهَا حِكَمٌ، فَالإِخْبَارُ الْجُمْلِيُّ فِيهَا غَايَةُ الْوَاصِفِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَلِمَ لَمْ تَجْعَلْ كَلَامَهُ إِخْبَاراً عَنْ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ، وَيَكُونُ الأَلِفُ وَاللَّامُ لِتَعْرِيفِ الْحَقِيقَةِ، أَيْ: آيَاتُ كُلِّ مَنِ اخْتَصَّهُ اللهُ بِوَحْيِهِ كُلُّهَا مُنْفَخِمَةٌ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْ نَبِيٍّ مَا لَيْسَ بِمُنْفَخِمٍ؟.

قُلْتُ: هَذَا وَإِنْ كَانَ صَالِحاً لَا يَأْبَاهُ اللَّفْظُ، لَكِنَّ تَصَدِّيَ النَّاظِمِ لِمَدْحِ مَنْ صَرَّحَ بِاسْمِهِ أَوَّلاً، وَتَتَبَّعَ بَعْضَ آيَاتِهِ، يَغْلُبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ مَا أَخَذَ إِلَّا فِي أَوْصَافِهِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَمَّا قَالَ مَا قَدَّمَ مِنَ الآيَاتِ ثُمَّ أَنَّهُ قَالَ:

تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ   وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ[1]

تَعَرَّضَ هُنَا لِنَوْعٍ مِنَ الاسْتِدْلَالِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ إِنْ نَظَرْتَ إِلَى كُلِّ مَا يَصْدُرُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ لَا تَجِدُ إِلَّا عَظِيماً يَتْلُو عَظِيماً، لأَنَّ النُّبُوءَةَ اقْتَضَتْ ذَلِكَ لِصَفَاءِ ذَوَاتِهِمْ، وَنُورَانِيَّةِ أَرْوَاحِهِمْ، وَتَهَيُّئِهِمْ لِلْمَنَاقِبِ وَالْمَآثِرِ بِمَا خَصَّهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْعِصَمِ، وَلأَنَّ آيَاتِهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ شَوَاهِدُ لِصِدْقِهِمْ؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: كُلُّ مَا قَرَّرْتُ لَكَ مِنَ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ هُوَ مِنْ دَأْبِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لَهُمْ ذَلِكَ صِدْقاً عَلَى مَا يَدَّعُونَهُ مِنْ نُبُوَّتِهِمْ، فَيَكُونُ نَوْعاً مِنَ الْعِلْمِ الْكَلَامِيِّ.

وَ(**الآيَاتُ**): جَمْعُ آيَةٍ. وَلَمْ يَقُلْ: (أَلْحَقْتَ مُنْفَخِمَةً)، بَلْ ذَكَّرَ، لأَنَّهُ نَظَرَ لِمَعَانِيهَا، فَقَالَ: أَلْحَقْتَ مَعْنًى مُنْفَخِماً بِمَعْنًى مُنْفَخِمٍ، وَاسْتَغْنَى عَنْ ذِكْرِ الْمَنْعُوتِ بِنَعْتِهِ، إِذْ سِيَاقُ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَصَارَ كَالْمَنْطُوقِ بِهِ.

وَلَيْسَ هُنَا جِنَاسٌ فِي تِكْرَارِ لَفْظِ (**مُنْفَخِمٍ**) لأَنَّهُمَا بِمَعْنًى[2] وَاحِدٍ، وَمِنْ

(1) الديوان: 196، سبق: ص468.

(2) اللفظة مكررة في الأصل.

شَرْطِ التَّجْنِيسِ اخْتِلَافُ الْمَعْنَيَيْنِ اتِّفَاقاً، أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنَ التَّبَايُنِ بِعُمُومٍ، عَلَى خِلَافٍ فِيهِ. وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ: (بسيط)

مِنْ طِيبِ طِيبَةَ طَابَ الطِّيبُ وَانْتَشَرَتْ مِنْهَا رَوَائِحُ طِيبِ الطِّيبِ فِي الأُفُقِ

فَهَذَا مِنَ التَّجْنِيسِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الآخَرِ: (كامل)

بَـرْيَـاءُ طَـابَـتْ طِـيـبَـةٌ وَنَـسِـيـمُـهَـا

فَهَذَا تَجْنِيسٌ، لأَنَّ الأَولَ فِعلٌ، وَمَعْنَاه: خَلُصَ مِنَ الأَدْنَاسِ وَفَاحَ. وَ(طِيبَةٌ): مَوْضِعٌ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْمَدِينَةِ وَتُرْبُهَا.

وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنَ الْمُتَكَرِّرِ بِالْمَعْنَى الْوَاحِدِ فَإِنَّمَا يُؤْتَى بِهِ لِلْبَيَانِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

وَلَـمَّا بَلَـغْتُ الْـحَيَّ حَيَّ خُزَاعَـةَ شَمَمْتُ نَسِيماً ذَكَّرَ الخِلَّ وَالأَهْلَا[1]

وَكَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ: (طويل)

وَيَوْماً دَخَلْتُ الْخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي[2]

فَاللَّفْظُ الثَّانِي بَيَانٌ بِالْمُضَافِ إِلَيْهِ لِلْخِدْرِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ، فَلَيْسَ مِنَ التَّجْنِيسِ فِي شَيْءٍ، لَكِنْ لَيْسَ مَا فِي بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ كَمَا فِي بَيْتِ النَّاظِمِ، لأَنَّ الَّذِي فِي بَيْتِ النَّاظِمِ لَفْظَانِ دَالَّانِ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى [206]// الَّذِي وُصِفَ بِهِ الأَوَّلُ وُصِفَ الثَّانِي بِمِثْلِهِ وَإِنِ اخْتَلَفَ مُوجِبُ الانْفِخَامِ. أَلَا تَرَى أَنَّ فَخَامَةَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَفَخَامَةَ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ لَيْسَا لِمُوجِبٍ وَاحِدٍ بَلْ مُوجِبُ

(1) خزاعة: قبيلة عربية، أبناء خزاعة بن لحي بن عامر بن قَمَعَة، من أبناء إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وأمهم خندف من قضاعة. ينظر: جمهرة أنساب العرب: 10 ـ 480.

(2) الديوان: 11، وفيه وفي الشعر والشعراء: 1/ 130، والشنتمري: 31، والجمهرة: 1/ 250. «ويوم».

كُلٍّ مِنْهُمَا غَيْرُ مُوجِبِ الآخَرِ، وَصَارَ إِمَّا كَالْمُتَوَاطِئِ لَهُمَا، أَوْ كَالْمُشَكَّكِ، فَيَقْرُبُ مِنَ اسْتِحْقَاقِ لَقَبِ التَّجْنِيسِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِيهِ: الْجَمْعُ بَيْنَ **(التَّتَبُّعِ وَالإِلْحَاقِ)**.

وَفِيهِ: الإِرْصَادُ، لأَنَّ مَنْ يَعْلَمُ قَافِيَةَ الْقَصِيدَةِ[1] وَيَسْمَعُ **(أَلْحَقْتَ مُنْفَخِماً)** تَحَقَّقَ أَنَّ تَمَامَ الْعَجُزِ **(بِمُنْفَخِمِ)**.



(1) في الأصل: «القصيد».

94 ـ قَالَ:

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتْمِ[1]

شرح: كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ أَحْوَالَ رَسُولِ اللهِ ﷺ انْتَقَلَ مِنْ مُنْفَخِمٍ إِلَى مُنْفَخِمٍ، ثُمَّ قَالَ: كَفَاكَ عَنِ الْبَحْثِ فِي ذٰلِكَ وَالاخْتِبَارِ لِمَا قَرَّرْتُهُ لَكَ جُزْئِيَّةٌ مِنْ كُلِّيَّاتِ مُعْجِزَاتِهِ: إِنَّ الْعُلُومَ الْكَسْبِيَّةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِمُخَالَطَةِ الْعُلَمَاءِ، وَالدَّرْسِ، وَحُضُورِ حِلَقِ الْمُقَرَّبِينَ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْغَالِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَنَالَ مَا عِنْدَ مُعَلِّمِهِ أَوْ بَعْضَهُ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ بَعْضِ مَا اخْتَصَّ بِهِ شَيْخُهُ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أُمِّيّاً كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، فَإِنَّهُ قَالَ ﷺ: «نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ»[2]، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَقْرَأُ خَطّاً وَلَا يَكْتُبُ بِيَدِهِ. وَكَانَ ذٰلِكَ فِي حَقِّهِ كَمَالاً وَمُعْجِزَةً، فَقِلَّةُ الْكُتُبِ وَ[الأُمِّيَّةُ][3] مِنْ غَيْرِهِ نَقْصٌ، وَكَانَ ذٰلِكَ فِي حَقِّهِ [كَمَالاً][4]، لأَنَّ غَيْرَهُ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى الْوَصْفِ بِالْمَحْمَدَةِ إِلَّا بِالْقِرَاءَةِ وَالْكُتُبِ، وَأَمَّا هُوَ ﷺ فَمِنْ كَمَالِ مُعْجِزَاتِهِ أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ بِالأُمُورِ الْغَائِبَةِ وَيَهْدِي إِلَى السُّبُلِ الْعَالِيَةِ، وَيُعَرِّفُ الْخَلْقَ الْمَعَارِفَ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ آيَ الْقُرْآنِ، وَأُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. فَكَأَنَّ قِلَّةَ كُتُبِهِ وَقِرَاءَتِهِ زِيَادَةٌ فِي الإِعْجَازِ بِمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ. فَقَدْ كَانَ يُخْبِرُ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَيُخْبِرُ بِمَا يَأْتِي قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ مِمَّا لَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالْوَحْيِ، أَوْ بِمُخَالَطَةِ عُلَمَاءِ الْكُتُبِ، وَهُوَ لَمْ يُخَالِطِ الْعُلَمَاءَ، وَلَمْ يُجَالِسْ أَحَداً مِنْ حُفَّاظِ التَّوَارِيخِ.

(1) لا يوجد البيت في رواية الديوان.

(2) البخاري: 9/ 29، مسلم: 2/ 761، أبو داود: 2/ 296، النسائي: 4/ 139، أحمد: 1/ 306، البغوي: 6/ 228، العجلوني: 1/ 251.

(3) في الأصل: «الأمومة».

(4) في الأصل: «كمال».

فَمُخَالَطَةُ الْكُتُبِ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّهِ، لِكَوْنِهِ كَانَ لَا يَكْتُبُ. وَتَوَاتَرَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ: كَانَ تَأْتِيهِ وُفُودُ الْعَرَبِ فَيُكَلِّمُهَا بِلُغَتِهَا، وَتَأْتِيهِ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ فَيُحَاجُّهَا وَيَقْطَعُهَا. وَجَاءَهُ مِنْ نَجْرَانَ عُلَمَاءُ النَّصَارَى: سِتُّونَ رَاكِباً مِنْ أَحْبَارِهَا، وَكَانَ يَقْطَعُهُمْ بِالْحُجَّةِ ﷺ مَعَ مَا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ سُبُلِ الْخَيْرَاتِ وَطُرُقِ الطَّاعَاتِ. وَإِلَى ذٰلِكَ أَشَارَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ.

وَقَوْلُهُ: (**فِي الْجَاهِلِيَّةِ**)، يَعْنِي: حَيْثُ لَا شَرِيعَةَ [مُقَرَّرَةً][1] وَلَا عِلْمَ مَنْشُوراً. وَالْجَاهِلِيَّةُ نَعْتٌ لِمَحْذُوفٍ، يَعْنِي: فِي الْمُدَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَتَكُونُ الْجَاهِلِيَّةُ [اسْماً][2] لأَهْلِ الْعَصْرِ.

وَفَرْقٌ بَيْنَ جَاهِلٍ وَجَاهِلِيٍّ: الْجَاهِلُ: مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ: وَالْجَاهِلِيُّ: مَنْ كَانَ فِي الأَعْصُرِ الَّذِينَ لَا دِينَ لَهُمْ. وَلَمَّا انْتَفَى عَنْهُ ﷺ مُخَالَطَةُ أَهْلِ التَّارِيخِ، وَمُنِعَ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالْكُتُبِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ عِلْمَهُ الَّذِي كَانَ يَبُثُّهُ فِي الْخَلْقِ إِنَّمَا هُوَ يُوحَى، وَلَقَدْ وَصَفَهُ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِأَنَّهُ: لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى[3]، وَأَنَّ الَّذِي يَأْتِي بِهِ: ﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 4].

وَ(**التَّأْدِيبُ**): يَسْتَدْعِي مُؤَدِّباً بِكَسْرِ الدَّالِ، وَمُؤَدَّبٌ بِفَتْحِهَا، وَأَدَبٌ، وَتَأْدِيبٌ. فَالْمُؤَدِّبُ: هُوَ مُعَلِّمُ الأَدَبِ. وَالْمُؤَدَّبُ بِفَتْحِ الدَّالِ: هُوَ الَّذِي يُعَلِّمُهُ الأَدَبَ مُعَلِّمُهُ. وَالأَدَبُ: هُوَ الَّذِي يُعَلَّمُ وَيُهْدَى إِلَيْهِ. وَالتَّأْدِيبُ: هُوَ فِعْلُ الْمُؤَدِّبِ بِكَسْرِ الدَّالِ.

وَقَوْلُهُ: (**وَالتَّأْدِيبِ**) مَعْطُوفٌ عَلَى (**الْعِلْمِ**).

وَقَوْلُهُ: (**فِي الْيُتْمِ**): لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَبَضَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَتَرَكَاهُ يَتِيماً، فَرَبَّاهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَعَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَأَكْثَرُ تَرْبِيَتِهِ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ: ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ

(1) في الأصل: «مقرر».

(2) في الأصل: «اسم».

(3) ونص الآية: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾.

نَبتَ نَبَاتَ مَنِ اصْطَفَاهُ اللهُ وَأَدَّبَهُ. ظَهَرَ فِيهِ فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ مِنَ الأَدَبِ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَنْ أَخَذَ فِي تَأْدِيبِهِ **[207]**// حُكَمَاءُ الْمُؤَدِّبِينَ. وَتَوَاتَرَ عَنْهُ مِنْهُ مَا لَا يَحْصُلُ بِتَرْبِيَةِ أَبٍ وَلَا أُمٍّ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ ﷺ: «أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»(1).

فَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتْمِ**) إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى مُعْجِزَةٍ عَظِيمَةٍ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ حَرَصَ أَبَوَاهُ عَلَى تَأْدِيبِهِ، وَبَذَلَا الْجُهْدَ فِي صِيَانَتِهِ وَحِفْظِهِ، وَتَهْذِيبِ أَخْلَاقِهِ، وَتَرْقِيَتِهِ إِلَى مَنَاصِبِ السِّيَادَةِ، لَا يَصِلُ إِلَى مِعْشَارِ عُشْرِ مَا حَصَلَ لَهُ ﷺ مِنَ الأَدَبِ مِنْ مُجَرَّدِ إِلْهَامِ رَبِّهِ إِيَّاهُ وَجَبْلِهِ إِيَّاهُ عَلَى جِبِلِّيَّةٍ لَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ. وَلَقَدْ قِيلَ: «إِنَّهُ ﷺ كَانَ فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ مَعَ الصِّبْيَةِ وَكَانَ مُتَّزِراً فَسَقَطَ عَنْهُ الإِزَارُ فَقَالَ: أَرْتَدِي إِزَارِي، فَرَجَعَ عَلَيْهِ إِزَارُهُ، وَاسْتَتَرَ وَلَمْ يُرَ بَعْدَ ذٰلِكَ قَطُّ مَكْشُوفاً»(2). كَمَا وَرَدَ عَنْ مُوسَى حِينَ قَالَ: «ثَوْبِي حَجَرُ»(3).

وَقَوْلُهُ: (**فِي الْجَاهِلِيَّةِ**)، أَيْ: كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أُمِّيّاً، وَكَانَ رَأْسَ الْعُلَمَاءِ مِنْ غَيْرِ مُدَارَسَةٍ وَلَا مُنَاظَرَةٍ، فَيَكُونُ (**فِي الْجَاهِلِيَّةِ**) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقاً بِـ (**الأُمِّيِّ**)، كَأَنَّهُ يَقُولُ: كَفَاكَ مُعْجِزَةً بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَبِالتَّأْدِيبِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ فِي الْيُتْمِ، أَوِ الْمَوْهُوبِ لَهُ فِي الْيُتْمِ.

وَالْعَامِلُ فِي الْمَجْرُورِ الآخَرِ وَهُوَ قَوْلُهُ: (**فِي الأُمِّيِّ**) فَلَفْظُ (**الْعِلْمِ**).

(1) الجامع الصغير: 1/ 51، الرسائل الكبرى لابن تيمية: 2/ 336، كشف الخفاء: 1/ 72، فيض القدير: 1/ 225، قال الزركشي: معناه صحيح ولم يأت من طريق صحيح.

(2) البخاري: 15/ 64، مسلم: 1/ 268، ابن حبان: 15/ 527، مسند أبي عوانة: 1/ 237، السنن الكبرى: 2/ 227، أحمد: 3/ 295، الشفا: 730 ـ 731، والخبر فيها حدث حين بناء الكعبة.

(3) البخاري: 3/ 1249، مسلم: 1/ 267، ابن حبان: 14/ 94، الترمذي: 5/ 359، السنن الكبرى: 1/ 198، أحمد: 2/ 315.

وَ(**فِي الْجَاهِلِيَّةِ**): فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ: (**الأُمِّيِّ**). وَجَمِيعُ الْمُتَعَلَّقَاتِ وَالأَحْوَالِ الْوَاقِعَةِ فِي الْبَيْتِ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْعِلْمِ، لأَنَّهُ مَصْدَرٌ.

وَقَوْلُهُ: (**مُعْجِزَةً**) تَمْيِيزٌ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ أَجْنَبِيٌّ مِنَ الْعِلْمِ. وَقَدْ وَقَعَ الْفَصْلُ بِهِ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَبَعْضِ صِلَتِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ تُتَأَوَّلَ مُتَأَخِّرَةً لِئَلَّا تَفْصِلَ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَصِلَتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ جَاءَ الْفَصْلُ فِي الْفَصِيحِ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَصِلَتِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [البقرة: 183، 184] عَلَى إِعْرَابِ مَنْ أَعْرَبَهُ مَفْعُولاً بِلَفْظِ الصِّيَامِ. وَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَالْجُمْلَةُ الْمُصَدَّرَةُ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي الْمَبْنِيِّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ أَجْنَبِيَّةٌ. وَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فِي الْفَصِيحِ سَاغَ الْفَصْلُ فِي الْبَيْتِ.

وَالْجَوَابُ: إِنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ [مَفْعُولٌ](1) بِلَفْظِ الصِّيَامِ لَا يَتَعَيَّنُ، وَإِعْرَابُهُ مَفْعُولاً بِـ [(تَتَّقُونَ)](2) أَحْسَنُ، فَلَا يَصِحُّ الْوَقْفُ قَبْلَهُ، وَلَا عَلَى الْقَوْلِ بِمَا أَوْجَبَ الْفِعْلَ، اللَّهُمَّ إِنْ جُعِلَ مَفْعُولاً بِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ تَقْدِيرُهُ: صُومُوا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ، فَيَصِحُّ الْوَقْفُ قَبْلَهُ، وَيَخْلُصُ مِنَ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَصِلَتِهِ؛ وَمَعَ خُمُولِ هٰذَا الْوَجْهِ فِي الإِعْرَابِ، وَعَدَمِ تَخْرِيجِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُعْرِبِينَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ صَحِيحٌ وَسَالِمٌ مِنَ الاعْتِرَاضِ بِمَا ذُكِرَ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْمُقَابَلَةُ، لأَنَّهُ قَابَلَ الْعِلْمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبَ فِي الْيُتْمِ.

وَفِيهِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ مُتَنَاسِبَيْنِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ.



(1) في الأصل: «مفعولاً».

(2) في الأصل: «بتقون» والصواب ما أثبتناه.

95 ـ قَالَ:

قُلْ لِلْمُحَاوِلِ شَأْوِي فِي مَدَائِحِهِ ... هِيَ الْمَوَاهِبُ لَمْ أَشْدُدْ لَهَا زِيَم(1)

شرح: قَالَ رُوَاةُ هٰذِهِ الْقَصِيدَةِ: إِنَّ هٰذَا الْبَيْتَ أَيْضاً مِنْ غَيْرِ الأَصْلِ، وَعَزَوْهُ أَيْضاً لابْنِ الْجَيَّابِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِ النَّاظِمِ، وَفِيهِ احْتِمَالَانِ:

الاحْتِمَالُ الأَوَّلُ: يَقْتَضِي نَفْيَ التَّعَجُّبِ عَنِ النَّاظِمِ، وَكَأَنَّهُ اسْتَشْعَرَ مَنْ حَمِدَهُ، وَتَعَجَّبَ مِنْ نَظْمِهِ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَصِلَ دَرَجَتَهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: للهِ دَرُّكَ مَا أَشْعَرَكَ، قَدْ حَاوَلْتُ الْوُصُولَ إِلَيْكَ فَلَمْ أُطِقْ. فَقَالَ: إِنِّي لَقَصِيرُ الْبَاعِ فِي أَمْدَاحِ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا حَسَّنَ نَظْمِي، وَأَعْلَى فِي دَرَجَاتِ الْقَرِيضِ قَدَمِي رَفْضِي مَدْحَ غَيْرِهِ، وَانْقِطَاعِي إِلَى أَمْدَاحِهِ، فَلَا شَأْوَ لِي، وَلَا عَقِبَ [208]// إِلَّا فِي أَمْدَاحِهِ ﷺ. فَيَكُونُ (**شَاوِي**) مُبْتَدَأً، وَ(**فِي مَدَائِحِهِ**) [خَبَراً](2). وَ(**الشَّأْوُ**): سَبْقُ السَّابِقِ مِنَ الْخَيْلِ فِي أَوَّلِ قِيمَةٍ.

وَالاحْتِمَالُ الثَّانِي: إِنَّهُ اسْتَشْعَرَ مُعَارِضاً يُرِيدُ أَنْ يَصِلَ دَرَجَتَهُ فِي نَظْمِهِ: فِي رِقَّةِ غَزَلِهِ وَعَظِيمِ أَنْوَاعِ بَدِيعِهِ، فَتَعَرَّضَ النَّاظِمُ لِلافْتِخَارِ بِمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنْ قُوَى النَّفْسِ عَلَى اسْتِخْرَاجِ جَوَاهِرِ النَّظْمِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ تَعْرِيضاً بِمَنْ أَرَادَ ذٰلِكَ وَتَصَدَّى لِلْمُعَارَضَةِ: قُلْ لِلْمُحَاوِلِ إِيئَسْ مِمَّا أَنْتَ تَطْلُبُ؛ وَيَكُونُ (**شَاوِي**) عَلَى هٰذَا الْمَنْزَعِ مَفْعُولاً بِاسْمِ الْفَاعِلِ الْمُحَلَّى بِالأَلِفِ وَاللَّامِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هٰذِهِ الدَّعْوَى مِنَ النَّاظِمِ تَزْكِيَةٌ لِلنَّفْسِ، وَفِيهِ مَا فِيهِ.

(1) لا يوجد البيت في الديوان، وروايته في شرح الجادري: 132 «شأوا × ... أشدد...».
(2) في الأصل: «خبر».

فَعَلَيْهِ جَوَابَانِ: الْجَوَابُ الأَوَّلُ: إِنَّ الْبَيْتَ كَمَا قَرَّرْتُ لَكَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْجَيَّابِ فَتَكَلَّمَ عَنِ النَّاظِمِ بِلِسَانِ حَالِهِ، وَمَا يَسَعُهُ إِلَّا ذٰلِكَ، لأَنَّهُ مِنْهُ عَلَى جِهَةِ الشَّهَادَةِ بِمَا عَلِمَ مِنْ نَظْمِ النَّاظِمِ، وَلَوْ جَاءَ بِالاعْتِرَافِ فِي التَّقْصِيرِ لَكَانَ مَلُوماً بِأَنْ يُقَالَ لَه: وَمَنْ يَصِلُ دَرَجَةَ النَّاظِمِ فِي نَظْمِهِ هٰذِهِ [الدُّرَرَ](1) الْغَرِيبَةَ الْعَدِيمَةَ الْمِثَالِ؟.

وَالْجَوَابُ الثَّانِي: إِنَّ الافْتِخَارَ هُنَا مَعَ اعْتِرَافِهِ بِالتَّقْصِيرِ فِي غَيْرِ الْمَدَائِحِ إِقْرَارٌ بِتَنَازُلِ النَّفْسِ إِلَى دَرَجَةِ الاسْتِصْغَارِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّمَا حَسَّنَ مَا تَصَدَّيْتُ إِلَيْهِ مَحَاسِنُ الْمَمْدُوحِ؛ فَإِنِّي كَيْفَ مَا حَرَّكْتُ النَّفْسَ لِمَعْنًى مِنْ شَمَائِلِهِ ﷺ، وَمُعْجِزَاتِهِ الَّتِي لَا تُدْرَكُ وَلَا تُرَامُ، كَانَتْ تَجْرِي جَرْيَ مَنْ لَا [يُسْبَقُ](2) وَلَا يُدْرَكُ فِي حَلَبَةِ السِّبَاقِ وَلَا يُلْحَقُ؛ فَلَيْسَ ذٰلِكَ مِنِّي، وَإِنَّمَا هِيَ مَوَاهِبُ. وَيَكُونُ هٰذَا بِمَثَابَةِ صَانِعٍ يَعْمَلُ عَمَلاً عَلَى عَادَةِ النَّاسِ، فَتَجِدُهُ مِثْلَهُمْ أَوْ أَدْوَنَ، حَتَّى إِذَا أُعْطِيَ ـ إِنْ كَانَ نَزَّازاً ـ غَزْلاً فَاقَ فِي الدِّقَّةِ وَالرِّقَّةِ، وَفَاقَ فِي الْقُوَّةِ، حَتَّى أَنَّهُ كَخَيْطِ الذَّهَبِ فِي [حُسْنِهِ](3) وَدِقَّتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَأُعْطِيَ طُعْماً مِنَ الْحَرِيرِ الْفَائِقِ، وَ[طُعْماً](4) مِنْ خَيْطِ الذَّهَبِ الإِمَامِ الرَّائِقِ، وَآلَةً سَلِيمَةً مِنْ مُوبِقَاتِ التَّعْكِيرِ عَلَى الصَّانِعِ، وَتَصَدَّى لِلنَّسْجِ، وَجَدَ نَسْجَهُ فِي مِنْوَالِهِ أَسْهَلَ مِمَّا لَوْ تَصَدَّى لِغَيْرِهِ مِنْ مَأْلُوفَاتِ عَادَتِهِ؛ فَإِذَا خَرَجَ الثَّوْبُ خَرَجَ يَخْطَفُ(5) الأَبْصَارَ، وَيُذْهِلُ الأَفْكَارَ فَيُقَالُ: إِنَّ فُلَاناً صَانِعٌ، فَيَقُولُ مُجِيباً: الصَّانِعُ هِيَ أُصُولُ ذٰلِكَ الثَّوْبِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ نَظَرْتَهُ وَجَدْتَهُ فَائِقاً، فَالْغَزْلُ وَأَطْعَامُهُ وَآلَتُهُ تُعَلِّمُ الصِّنَاعَةَ مَنْ لَمْ

(1) في الأصل: «الدر».
(2) في الأصل: «تسبق».
(3) في الأصل: «حسنة».
(4) في الأصل: «طعم».
(5) خطف يخطَف، وخطَف يخطِف لغتان، وقرأ أغلب القراء: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾. وينظر اللسان/ خطف.

يَكُنْ لَهُ فِيهَا ذَوْقُ الْبَتَّةَ. فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُلْ لِلَّذِي طَلَبَ الْوُصُولَ إِلَى نَظْمِي وَمَا أُوتِيتُ مِنْ حِكَمِ الْبَدِيعِ فِي مَدَائِحِهِ ﷺ لَا تَعْتَقِدْ أَنَّ ذٰلِكَ مِنْ طَبْعِي وَلَا مِنْ عَادَةِ عَمَلِي، وَإِنَّمَا هِيَ مَوَاهِبُ وَهَبَنِي اللهُ إِيَّاهَا حِينَ تَصَدَّيْتُ لِأَمْدَاحِ نَبِيِّهِ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَإِقْلَاعٍ عَنْ مَدْحِ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْبَشَرِ، وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ تَكُونَ هٰذِهِ الْقَصِيدَةُ وَسِيلَةً فِي إِذْهَابِ أَلَمِي فِي الدُّنْيَا، وَإِنْقَاذِ نَفْسِي مِنْ هَلَاكِ هَوْلِ الْآخِرَةِ، أَنْجَحَ اللهُ رَأْيِي، وَبَلَّغَنِي قَصْدِي، وَعَجَّلَ لِي الْبُرْءَ مِنْ أَلَمِي فِي الدُّنْيَا وَأَنَا عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ فِي مَا أَطْلُبُهُ مِنَ النَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ. وَهٰذَا مِنَ الْمُتَرْجِمِ عَنِ النَّاظِمِ بِهٰذَا اللِّسَانِ مُطَابِقٌ لِمَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَقُولَهُ.

وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ لَوْ كَانَ الْبَيْتُ مِنْ نَظْمِ النَّاظِمِ عَلَى اعْتِقَادِ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ مِنَ الْأَصْلِ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ النَّاظِمُ عَلِمَ أَنَّهُ كَانَ فِي غَيْرِ أَمْدَاحِهِ [209]// ﷺ الْبَحْثُ عَنِ الْمَعَانِي بِتَكَلُّفٍ، وَعَدَمُ وُصُولٍ إِلَى بَدِيعِهَا حَتَّى يَكُونَ يُتْعِبَ فِكْرَهُ وَلَا يَأْتِي بِمَا يَخْرُجُ عَنِ الْمُعْتَادِ حَتَّى تَصَدَّى لِأَمْدَاحِهِ ﷺ سَهُلَ عَلَيْهِ النَّظْمُ، وَاشْتَدَّ الْفِكْرُ، وَجَالَ فِي أُمُورٍ لَمْ يَتَعَوَّدِ الْوُصُولَ إِلَيْهَا، إِلْهَاماً مِنَ اللهِ ﷻ، وَتَشَوُّقاً مِنَ النَّفْسِ إِلَى جَلْبِ مَا لَا نِهَايَةَ فَوْقَهُ مِنَ الْمَعَانِي، مَعَ وُصُولِهِ إِلَى مَعَادِنِ أُصُولِ تِلْكَ الْمَعَانِي مِنْ أَوْصَافِهِ ﷺ؛ فَيَكُونُ مَعَهُ فِي مَا كَانَ يَمْدَحُ بِهِ أَهْلَ الدُّنْيَا التَّقْصِيرُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِنَّ النَّفْسَ وَإِنْ حَمَلَهَا عَلَيْهِ تَسْتَشْعِرُ الْعِصْيَانَ بِمَدْحِهَا أَهْلَ الدُّنْيَا عَلَى حُطَامِهَا.

وَالثَّانِي: الْخِدْمَةُ لِغَيْرِ اللهِ ﷻ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ وَقَعَ مَعَهُ فِيهِ أَعْظَمُ النَّدَمِ عَلَى مَا سَيَقُولُهُ بَعْدُ؛ أَلَا تَرَاهُ قَالَ بَعْدُ: (بسيط)

إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ   كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ[1]

(1) الديوان: 193، سيأتي في: ص736.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ النَّفْسَ تَنْبَسِطُ فِي مَا تَسْتَشْعِرُ بِهِ الْمَحْمَدَةَ فِي الْحَالِ، وَالْإِكْرَامَ عَلَى مَا تَتَلَبَّسُ بِهِ فِي الْمَآلِ.

وَقَوْلُهُ: (**هِيَ الْمَوَاهِبُ**)، مَعْنَاهُ: أَيُّهَا الْمُحَاوِلُ أَنْ يُدْرِكَ هٰذَا النَّظْمَ الَّذِي أَجْرَاهُ اللهُ عَلَى فِكْرِي، فَطَبْعُهُ لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلطِّبَاعِ، وَلَا مَطْمَعَ لِمَنْ يُرِيدُ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِمُجَرَّدِ قَرِيحَةِ فِكْرِهِ وَلَوْ عَلَتْ، لِأَنَّهَا هِبَةٌ مِنَ اللهِ. فَمَنْ طَلَبَ مِنَ اللهِ ﷻ أَنْ يَهَبَهُ مَا وَهَبَ الْغَيْرَ فَمَا عِنْدَ اللهِ لَا يُدْرَكُ بِحِيلَةٍ وَلَا يُكْتَسَبُ إِلَّا بِفَضْلِهِ سُبْحَانَهُ.

وَالضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُنْفَصِلُ وَهُوَ قَوْلُهُ: (**هِيَ**): عَائِدَةٌ عَلَى (**الْمَدَائِحِ**)، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُجْعَلَ ضَمِيرَ قِصَّةٍ وَشَأْنٍ؛ لٰكِنَّ (**الْمَدَائِحَ**) مِنْ قَوْلِهِ: (**فِي مَدَائِحِهِ**): يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ [عَائِداً][1] عَلَى (**النَّبِيِّ**) ﷺ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: (**هِيَ**) [رَاجِعاً][2] إِلَيْهَا. وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ: (**شَاوِي**) مَفْعُولاً، وَ(**فِي مَدَائِحِهِ**) [رَاجِعاً][3] إِلَى الْمُحَاوِلِ يَكُونُ قَوْلُهُ: (**هِيَ**) [رَاجِعاً][4] لِلْمَدَائِحِ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ أَيْ: الْمَدَائِحُ هِيَ مَوَاهِبُ مِنَ اللهِ ﷻ، فَهِيَ عَلَى قَدْرِ مَا وَهَبَ، وَالْفِكْرُ فِيهَا سَبَبٌ يَتَسَبَّبُ بِهِ النَّاظِمُ، وَتَجْرِي عَلَى فِكْرِهِ عَلَى حَسَبِ مَا خَلَقَهُ اللهُ فِيهِ. فَإِنَّ مَا جَرَى مِنْ أَمْدَاحِي لِلنَّبِيِّ ﷺ تَسَبَّبْتُ لِلتَّصَدِّي لِجَمْعِهَا مِنْ غَيْرِ إِتْعَابِ فِكْرٍ، مَا شَدَدْتُ لَهَا نَفَساً، وَلَا بَذَلْتُ فِيهَا جُهْداً أَزْيَدَ مِمَّا دَرَجْتُ عَلَيْهِ مِنْ مُعْتَادِ جَرْيِي، فَجَرَتْ جَرْياً مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ، وَفَاقَتْ بِتَوْفِيقِ اللهِ وَالْمَوَاهِبُ لَا تُدْرَكُ بِجِدٍّ وَلَا شِدَّةِ فِكْرٍ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

وَ(**الزِّيَمُ**): جَمْعُ زِيمَةٍ، كَدِيمَةٍ وَدِيَمٍ. وَالزِّيمَةُ: الْقَرِيحَةُ. وَقِيلَ: لَمْ أَشْدُدْ

(1) في الأصل: «عائد».
(2) في الأصل: «راجع».
(3) في الأصل: «راجع».
(4) في الأصل: «راجع».

لَهَا كَلِمِي. وَفِي «**الْمُنَظَّمِ**» لِكُرَاعٍ مَا يُحَقِّقُ ذَلِكَ «أَنَّ مَعْنَى الزِّيَمِ الْكَلِمُ. [وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «زِيَمُ: اسْمُ فَرَسٍ»(1). فَيَكُونُ.... أَيْ: نَالَهَا مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، كَمَا يُقَالُ... بِغَيْرِ مِهْمَازٍ. فَانْظُرْهُ فَإِنَّهُ حَسَنٌ](2).

وَفِي الْبَيْتِ: نَوْعٌ مِنَ الاسْتِخْدَامِ، لأَنَّ الْمَدَائِحَ مِنْ قَوْلِهِ: (**هِيَ الْمَدَائِحُ**) لَهُ مَعْنَيَانِ: يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَدَائِحَ النَّاظِمِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ أَعَمَّ، أَيْ: أَنَّهَا طُرُقُ الْمَدِيحِ. فَيَكُونُ قَوْلُهُ: (**هِيَ الْمَدَائِحُ**) يَحْتَمِلُ طُرُقَ الْمَدَائِحِ كُلَّهَا. وَلَمَّا قَالَ: (**لَمْ أَشْدُدْ لَهَا زِيَمِي**) يَكُونُ رَاجِعاً لِبَعْضِهَا، وَهِيَ مَدَائِحُهُ الَّتِي تَصَدَّى هُوَ إِلَيْهَا، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: 228]، ظَاهِرُهُ الْعُمُومُ فِي كُلِّ مُطَلَّقَةٍ مَدْخُولاً بِهَا كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مَدْخُولٍ بِهَا، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: 228]. وَهٰذَا إِنَّمَا هُوَ لِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُطَلَّقَاتِ لَا أَنَّهُ عَامٌّ فِي الْجَمِيعِ.

وَ(**الزِّيَمُ**): جَمْعُ أَزْمَةٍ، أَيْ: لَمْ أَشْدُدْ لَهَا كَلِمِي. وَالْمُفْرَدُ أَزِيمَةٌ. وَنَقَلَ صَاحِبُ «**الْمُنَظَّمِ**» فِي مُخْتَصَرِ كُرَاعٍ: أَنَّ (زِيَمٌ): جَمْعُ زِيمَةٍ، وَهُوَ الْكَلِمُ. انْظُرْهُ فِي حَرْفِ الزَّايِ. فَإِذَاً زِيمَةٌ جَمْعُ أَزْمَةٍ. فَزِيَمٌ فِيهِ الْقَلْبُ، فَأَصْلُهُ يَزَمُ، فَصَارَتِ الْعَيْنُ مَكَانَ الْفَاءِ، وَالْفَاءُ مَكَانَ الْعَيْنِ، كَمَا هُوَ فِي أَيْنُقٍ وَبَابِهِ.



(1) الصحاح: 5/ 1947.

(2) لحق لم أتبين بعض كلماته.

96 ـ قَالَ:

وَلَا تَقُلْ لِي بِمَاذَا نِلْتَ جَيِّدَهَا   فَمَا يُقَالُ لِفَضْلِ اللهِ ذَا بِكَمِ(1)

شرح: قَوْلُهُ: (**وَلا تَقُلْ**) نَهْيٌ تَوَجَّهَ لِلْمُخَاطَبِ وَهُوَ الْمُحَاوِلُ. وَفِي الْبَيْتِ: الالْتِفَاتُ، لأَنَّ قَوْلَهُ أَوَّلاً: (**قُلْ لِلْمُحَاوِلِ**) [210]// ظَاهِرُهُ أَنَّ الْمُحَاوِلَ الَّذِي أَمَرَ النَّاظِمُ مَنْ يَقُولُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ [غَائِبٌ](2) أَوْ قَوْلُهُ: (**وَلا تَقُلْ لِي**) خِطَابٌ لِحَاضِرٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَعَلَّهُ مِنْ كَلَامِ الْمَأْمُورِ بِمُخَاطَبَةِ الْمُحَاوِلِ؟

قُلْتُ: لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ الأَحْسَنُ: (وَلَا تَقُلْ لِي بِمَاذَا نَالَ جَيِّدَهَا)، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: (بِمَاذَا نَالَ جَيِّدَهَا) مِنْ كَلَامِ الْمَأْمُورِ بِخِطَابِ الْمُحَاوِلِ. وَالالْتِفَاتُ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ، فَإِنَّهَا تُحْدِثُ فِي الْكَلَامِ تَطْرِيَةً لِلسَّامِعِ: «وَهُوَ الاعْتِرَاضُ عِنْدَ قَوْمٍ. وَسَمَّاهُ آخَرُونَ الاسْتِدْرَاكَ، حَكَاهُ قُدَامَةُ. وَسَبِيلُهُ: أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ آخِذاً فِي شَيْءٍ فَيَعْرِضُ لَهُ غَيْرُهُ، فَيَعْدِلُ عَنِ الأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي فَيَأْتِي بِهِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الأَوَّلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخِلَّ بِالثَّانِي فِي شَيْءٍ، بَلْ يَكُونُ مِمَّا يَشُدُّ الأَوَّلَ»(3). وَلَا يَخْتَصُّ بِمَا يَقْصُرُهُ عَلَيْهِ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ بِعِلْمِ الْبَيَانِ، فَيَظُنُّونَ «أَنَّ الالْتِفَاتَ مَقْصُورٌ عَلَى مُخَاطَبَاتٍ مَخْصُوصَةٍ مِنْ تَكَلُّمٍ إِلَى خِطَابٍ، أَوْ إِلَى غَيْبَةٍ، أَوْ بِالْعَكْسِ»(4). بَلِ الْبَابُ فِيهِ أَوْسَعُ مِنْ هٰذَا؛ أَلَا تَرَى قَوْلَ أَبِي ضَمْرَةَ، وَهُوَ كُثَيِّرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ: (وافر)

(1) لا يوجد البيت في الديوان. ينظر: شرح الجادري: 132.

(2) في الأصل: «غائباً».

(3) الكلام في العمدة: 1/ 636 ـ 637.

(4) ينظر: نقد الشعر: 167، بديع ابن المعتز: 58، كفاية الطالب: 190.

لَو أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ... رأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَا[1]

قَوْلُهُ: (وَأَنْتَ مِنْهُمْ) اعْتِرَاضُ كَلَامٍ فِي كَلَامٍ. نَصَّ عَلَى ذٰلِكَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ وَجَعَلَهُ بَاباً عَلَى حِدَتِهِ بَعْدَ بَابِ الالْتِفَاتِ[2]. وَسَائِرُ النَّاسِ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، قَالَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ: (وافر)

أَلَا زَعَمَتْ بَنُو عَبْسٍ بِأَنِّي ... أَلَا كَذَبُوا كَبِيرُ السِّنِّ فَانِي[3]

وَرَوَاهُ قَوْمٌ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ:

أَلَا زَعَمَتْ بَنُو كَعْبٍ[4]

وَهُوَ بِالْجَعْدِيِّ أَشْبَهُ، لِأَنَّهُ أَعْلَى سِنّاً، وَأَقْدَمُ هِجْرَةً. وَأَنْشَدَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي الالْتِفَاتِ[5]: (وافر)

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ ... سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الْخِيَامُ[6]

وَأَنْشَدَ أَيْضاً: (كامل)

طَرِبَ الْحَمَامُ لِذِي الأَرَاكِ فَهَاجَنِي ... لَا زِلْتُ فِي غَلَلٍ وَأَيْكٍ نَاضِرِ[7]

---

(1) سبق تخريجه: ص91.

(2) ينظر: البديع: 59 ـ 60.

(3) ديوان الذبياني: 189، وهو من شواهد الالتفات في: كفاية الطالب: 191، العمدة: 1/ 637، والروض المريع: 98، وبنو عبس: قبيلة من قبائل العرب، وهم بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، كانت منازلهم بنجد. ينظر: معجم قبائل العرب: 2/ 738.

(4) البيت للجعدي في: ديوانه: 162، بديع ابن المعتز: 60، الأغاني: 5/ 7، العمدة: 1/ 637، المنزع البديع: 450 برواية: «ألا كذبت»، وبنو كعب: من كبريات القبائل العربية، وهم بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. ينظر: العقد: 3/ 354 ـ 355، جمرة أنساب العرب: 282 ـ 288.

(5) البديع: 59.

(6) البيت لجرير، سبق تخريجه: ص92.

(7) البيت لجرير وهو في ديوانه: 226، بديع ابن المعتز: 59، العمدة: 1/ 639، منهاج البلغاء: 315: «بذي الأراك»، وذو الأراك: وادي قرب مكة، وقال الأصمعي: جبل =

فَإِنَّهُ الْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ[1].

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: **(جَيِّدَهَا)** عَائِدٌ عَلَى **(الأَمْدَاحِ)**، أَيْ: لَا تَسْأَلْ عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي وَصَّلَنِي إِلَى أَمْدَاحِهِ الْمُسْتَطْرَفَةِ الْمُسْتَعْذَبَةِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَجْرَاهَا عَلَى فِكْرِي مَعَ قُصُورِ فِكْرِي عَنِ اسْتِجْلَابِهَا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ [رَاجِعاً][2] فِي قَوْلِهِ: **(جَيِّدَهَا)** إِلَى **(الزِّيَمِ)** عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْكَلِمُ كَمَا قَالَ كُرَاعٌ، أَيْ: جَيِّدَ الْكَلِمِ، وَالْكَلِمُ تَقَعُ عَلَى الْمُفْرَدَاتِ وَعَلَى الْقَصَائِدِ التَّامَّةِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ [عَائِداً][3] عَلَى أَحْوَالِهِ، إِذْ كَانَ بُلِيَ بِمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْكَلَامُ، ثُمَّ أَنَّهُ عُوفِيَ وَنَالَ صِحَّةً مَحْفُوظَةً عَارِيَةً عَنْ آفَاتِ الأَسْقَامِ، أَيْ: لَا تَقُلْ: إِنِّي نِلْتُ ذٰلِكَ بِقَصِيدِي أَوْ بِشَيْءٍ دَاخِلٍ تَحْتَ مَقْدُورِي بَلْ وَهَبَنِي اللهُ سُبْحَانَهُ رَاحَةً مِمَّا كُنْتُ فِيهِ، فَلَمْ تَحْصُلِ الصِّحَّةُ عَنْ مُعَاوَضَةٍ. وَلَا يُقَالُ: ذَا بِكَمْ إِلَّا إِذَا حَصَلَ عَنْ عَوَضٍ، فَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (فَلَا يُقَالُ لِفَضْلِ اللهِ بِكَمْ نِلْتَ هٰذَا؟ أَوْ بِمَ عَاوَضْتَ عَنْهُ؟).

وَ**(الزِّيَمُ)** قَدْ قِيلَ فِيهَا: الْكَلِمُ. وَقِيلَ: الزِّيَمُ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِالشَّيْءِ. يُقَالُ: زَأَمَ الأَسَدُ زَيْماً أَوْ زَأَرَ فَهُوَ كَالزَّئِيرِ مِنَ الأَسَدِ[4]. وَفِي هٰذَا الْمَعْنَى تَرْكُ التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا أَكُونُ أَزْأَرُ كَزَئِيرِ الأَسَدِ تَعَجُّباً بِنَظْمِي، لِأَنَّ ذٰلِكَ لَيْسَ مِنِّي عَلَى عَادَةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مَوَاهِبُ. وَيُقَالُ: زَأَمَ الْفَحْلُ: إِذَا كَرَّرَ هَدِيرَهُ، كَأَنَّهُ يَقُولُ أَيْضاً: لَمْ أُكَرِّرْ بِهَا كَلِمِي افْتِخَاراً فَأَكُونَ كَفَحْلٍ كَرَّرَ الْهَدِيرَ، فَلَا أُكْثِرُ الزَّئِيرَ بِمَا لَيْسَ مِنْ مَقْدُورِي، وَإِنَّمَا الْمِنَّةُ للهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا وَهَبَ. وَإِذَا كَانَ

= لهذيل، والأراك: في الأصل شجر معروف مجتمع يستظل تحته. ينظر: معجم البلدان: 1/ 135. والغلل: الماء الذي يجري تحت الشجر. والأيك: الشجر الملتف. الناضر: الخضر الحسن.

(1) الكلام عن الالتفات في العمدة: 1/ 636 ـ 639.

(2) في الأصل: «راجع».

(3) في الأصل: «عائد».

(4) ينظر اللسان/زيم.

كَذٰلِكَ، فَلَا تَقُلْ لِي بِأَيِّ شَيْءٍ حَصَلَ لَكَ هٰذَا؟ إِذْ مَا قَادَنِي إِلَى هٰذِهِ الْمَعَانِي الْكِبَارِ إِلَّا إِظْهَاراً مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ لِعِنَايَتِهِ بِنَبِيِّهِ، وَيَكُونُ مِنَ الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ.

[211]// وَ(**مَاذَا**) مِنْ كَلَامِ النَّاظِمِ إِنْ جَعَلْنَا (**ذَا**) مَوْصُولَةً بِمَعْنَى (الَّذِي) كَانَتْ حَشْواً، وَجَلَبَهَا النَّاظِمُ لِإِقَامَةِ وَزْنِ الْبَيْتِ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ حَاوَلَ مُحَاوَلَةً لَسَقَطَتْ، وَلَا يَخْتَلُّ عَلَيْهِ الْوَزْنُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ: (وَلَا تَقُلْ لِي بِمَ أُعْطِيتَ جَيِّدَهَا)؟ لَجَازَ، مَعَ أَنَّ سَلَامَةَ الْوَزْنِ مِنْ ضُرُوبِ الزِّحَافِ بِإِلْحَاقِ الْأَلِفِ، فَيَكُونُ (بِمَاذَا). وَلَا يُعْتَرَضُ بِأَنْ يُقَالَ: (مَا) الِاسْتِفْهَامِيَّةُ إِذَا جُرَّتْ كَانَتْ عَارِيَةً عَنِ الْأَلِفِ، فَرْقاً بَيْنَهَا وَبَيْنَ (مَا) الْمَوْصُولَةِ، وَكَأَنَّ الْحَذْفَ فِي الِاسْتِفْهَامِيَّةِ، لِأَنَّهَا تَامَّةٌ وَالْمَوْصُولَةَ نَاقِصَةٌ. فَلَوْ حُذِفَ مِنْهَا الْأَلِفُ دُونَ الِاسْتِفْهَامِيَّةِ لَأَوْقَعَ النَّقْصَ فِي النَّاقِصِ بِخِلَافِ الِاسْتِفْهَامِيَّةِ، لِأَنَّهَا تَامَّةٌ، وَالتَّامُّ أَوْلَى بِذٰلِكَ مِنَ النَّاقِصِ. لِأَنَّا نَقُولُ: لَا شَكَّ أَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا اضْطُرَّ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى أَصْلٍ فِي مَوْضِعٍ قَدْ رُفِضَ فِيهِ ذٰلِكَ الْأَصْلُ لَمَا اعْتُرِضَ بِهِ عَلَيْهِ؛ وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ: (وافر)

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمٌ[1]

لٰكِنْ قَدْ عَابَهُ بَعْضُهُمْ، فَيَكُونُ النَّاظِمُ جَاءَ بِـ (مَاذَا) الَّتِي هِيَ كُلُّهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. فَعَلَى هٰذَا جَاءَ بِأَحَدِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى أَنَّ (بِمَ) وَ(بِمَاذَا) هَلْ هُمَا مُتَرَادِفَانِ؟ الصَّحِيحُ أَنَّهُمَا مُتَرَادِفَانِ. وَعَلَى رَأْيِ الْغَزَالِيِّ[2] وَجَمَاعَةٍ أَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْحُرُوفِ أَوْ فِي الْمَعْنَى يَمْنَعُ التَّرَادُفَ. كَمَا فِي السَّيْفِ وَالصَّارِمِ. فَإِنَّ الصَّارِمَ وَإِنْ دَلَّ عَلَى الشَّكْلِ الْمُسَمَّى بِالسَّيْفِ لٰكِنْ فِيهِ دِلَالَةٌ عَلَى الْقَطْعِ، فَلَا يَكُونَانِ عِنْدَهُ مُتَرَادِفَيْنِ. وَكَذٰلِكَ (مَا) وَ(مَاذَا). لٰكِنَّ الصَّحِيحَ غَيْرُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ.

(1) البيت لحسان بن ثابت. وروايته في الديوان: 326. «ففيم تقول يشتمني لئيم × كخنزير تمرغ في رماد». ورواية: «رماد» أصح لأن البيت من قصيدة دالية. ينظر: معاني القرآن: 2/ 292، المحتسب: 2/ 347، الأزهية: 84، أمالي ابن الشجري: 2/ 547، الضرائر: 80، المغني: 394، الخزانة: 6/ 99، أنوار التجلي: 3/ 776.

(2) ينظر: المقصد الأسنى: 26.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: (مَا) الِاسْتِفْهَامِيَّةُ هِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ (مَاذَا). وَيَصِحُّ حَمْلُ (مَاذَا) هُنَا عَلَى (مَا) الِاسْتِفْهَامِيَّةِ وَ(ذَا) الْمَوْصُولَةِ، لٰكِنْ يَكُونُ إِطْنَابٌ لَا كَبِيرَ فَائِدَةٍ تَحْتَهُ، وَلَوْلَا (**نِلْتَ جَيِّدَهَا**) الدالُّ عَلَى أَنَّ صَدْرَ الْكَلَامِ اسْتِفْهَامٌ لَقِيلَ (**بِمَاذَا**)، أَيْ: بِأَيِّ شَيْءٍ هٰذَا؟ وَتَكُونُ (ذَا) إِشَارِيَّةً، وَكَانَ يُعَضِّدُهُ قَوْلُهُ: (إِذْ لَا يُقَالُ لِفَضْلِ اللهِ ذَا بِكَمْ)؟ لِأَنَّ (ذَا) الْآخَرَ اسْمُ إِشَارَةٍ، وَ(ذَا) هُنَا الْإِشَارِيَّةُ قَدْ يَكُونُ جَلَبَهَا لِلِاعْتِنَاءِ بِالْمُشَارِ إِلَيْهِ، وَأَصْلُ الِاسْتِعْمَالِ فِيهَا أَنْ تُجْلَبَ دَالَّةً عَلَى قُرْبِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ، وَدِلَالَتُهَا عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِالْمُشَارِ [نَادِرَةٌ، كَمَا][1] لَوْ قَالَ إِنْسَانٌ لِمَنْ يَصِفُ عِنْدَهُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ. ثُمَّ ثَنَّى فِي كَلَامٍ يُعَظِّمُهُ أَيْضاً فِيهِ: ذَا هُوَ الَّذِي أَخْبَرْتَنَا عَنْهُ قَبْلُ؟ وَقَدْ يُؤْتَى بِهَا لِلتَّحْقِيرِ كَقَوْلِكَ فِي رَجُلٍ اتُّهِمَ بِأَنَّهُ فَعَلَ فِعْلاً عَظِيماً: هٰذَا يَقْدِرُ عَلَى هٰذَا الصُّنْعِ؟ أَيْ: مَعَ حَقَارَتِهِ وَقِلَّةِ جُهْدِهِ. وَقَدْ جَاءَ مِنَ الْمُلْحِدَةِ الطَّاعِنِينَ فِي النُّبُوَّةِ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41].

وَ(**الَّذِي**) فِي الْبَيْتِ فِيهَا مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَالِاعْتِنَاءِ بِالْمَسْؤُولِ عَنْهُ حَتَّى نَهَى عَنِ الْقَوْلِ فِيهِ: بِمَاذَا قِيلَ؟ وَقَدْ وَهَمَ بَعْضُ الْأَصْحَابِ فِي قَوْلِ النَّاظِمِ: (**ذَا بِكَمْ**) أَنَّهُ قَصَدَ (**ذَا**) الْإِشَارِيَّةَ الْمُقْتَضِيَةَ التَّحْقِيرَ، وَكَأَنَّهُ يُقَالُ: لَا يُشَارُ إِلَى فَضْلِ اللهِ بِـ (**ذَا**) الَّتِي تَقْتَضِي التَّحْقِيرَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ مَوْضِعُ التَّعْظِيمِ، وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: «فَلَا تَقُلْ لِي بِمَاذَا نِلْتَ جَيِّدَهَا»؟ مَعْنَاهُ: إِذِ الْوُصُولُ إِلَى مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ عَسِيرٌ لِعِظَمِهِ. فَقَالَ: هُوَ فَضْلُ اللهِ، وَلَا يُوصَلُ إِلَيْهِ بِمُعَاوَضَةٍ، فَاقْتِضَاؤُهَا التَّعْظِيمَ أَظْهَرُ مِمَّا قَالَ الْآخَرُ.

(**بِكَمْ**): الْبَاءُ لِلْجَرِّ. وَ(**كَمْ**) هُنَا: اسْتِفْهَامِيَّةٌ وَلَيْسَتِ الْخَبَرِيَّةَ لِأَنَّ الْإِتْيَانَ بِهَا هُنَا لِلِاسْتِفْهَامِ وَالسُّؤَالِ لَا لِلتَّفَاخُرِ وَالتَّكْثِيرِ. وَلَيْسَ هٰذَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (وافر)

(1) في الأصل: «نادر؛ كم».

أَبَـعْـدِيَ تَـرْضَـيَـنَّ بِـكَـوْنِ هٰـذِهِ ... لَـعَـمْـرُ أَبِـيـكَ لَا أَرْضَـاهُ عَـبْـدَا(1)

لأَنَّ صَدْرَ الْبَيْتِ يَدُلُّ عَلَى التَّحْقِيرِ.

[212]// وَفِي الْبَيْتِ: التَّجَاهُلُ، [لأَنَّهُ](2) لَا يَشُكُّ إِنْسَانٌ أَنَّ هٰذَا مِمَّا وَهَبَهُ اللهُ لِنَاظِمِهِ لٰكِنْ جَاءَ بِهِ فِي مَسَاقِ الاسْتِفْهَامِ، وَإِنْ كَانَ عَالِماً بِحَقِيقَتِهِ. وَهُوَ أَيْضاً مِنَ الْبَدِيعِ الْمُسْتَطْرَفِ. وَقَدْ أَنْفَقَ النَّاظِمُ فِي قَصِيدَتِهِ هٰذِهِ مَا أَنْفَقَ.

وَفِيهِ: (التَّذْيِيلُ)، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّتْمِيمِ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «فِيهِ التَّمَامُ. وَيُسَمَّى [ضَرْبٌ](3) مِنْهُ احْتِرَاساً وَاحْتِيَاطاً. وَالتَّذْيِيلُ: هُوَ أَنْ يُحَاوِلَ الشَّاعِرُ شَيْئاً يَتِمُّ بِهِ حُسْنَ كَلَامِهِ فَيُرْدِفُ عَلَى كَلَامِهِ مَا يُحَسِّنُهُ، وَيَأْتِي إِمَّا مُبَالَغَةً وَإِمَّا احْتِيَاطاً وَإِمَّا احْتِرَاساً»(4). وَذٰلِكَ أَنَّ النَّاظِمَ لَمَّا تَقَدَّمَ لَهُ نَهْيٌ عَنِ الْمُشَابَهَةِ بِهٰذِهِ الْكَلِمِ حَسَّنَ كَلَامَهُ وَحَصَّنَهُ بِقَوْلِهِ (**[فَمَا](5) يُقَالُ لِفَضْلِ اللهِ ذَا بِكَمِ**) كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَيَخْفَى عَلَيْكَ هٰذَا؟ وَكَانَ فِيهِ تَوْكِيدٌ لِلنَّهْيِ الْمُتَقَدِّمِ؛ فَإِنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِرَجُلٍ: لَا تَقُلْ هٰذَا الْكَلَامَ، فَقَدْ يَظُنُّ السَّامِعُ الْمَنْهِيُّ أَنَّهُ لأَجْلِ خُلُوِّهِ عَنْ قَضَاءِ حَاجَتِهِ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ. فَإِذَا جَاءَ بِالتَّعْلِيلِ كَانَ كَالزَّاجِرِ لَهُ عَنْهُ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: أَفِي مِثْلِ هٰذَا يُقَالُ فِيهِ ذٰلِكَ الْكَلَامُ؟ فَيُؤَكِّدُ مَعْنَى النَّهْيِ فِيهِ وَجَاءَ فِي كَلَامِ الْمُوَلَّدِينَ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً.



(1) لم أتبين العبارة الأولى جيداً، ولعلها «أبعدي».
(2) في الأصل: «لأن».
(3) في الأصل: «ضرباً».
(4) الكلام في العمدة: 1/ 645 ـ 646.
(5) في الأصل: «إذ لا».

97 ـ قَالَ:

لَوْلَا الْعِنَايَةُ كَانَ الأَمْرُ فِيهِ عَلَى ... حَدِّ السَّوَاءِ فَذُو نُطْقٍ كَذِي بَكَمِ(1)

شرح: لَمَّا قَالَ: إِنَّ هٰذَا الَّذِي قُلْتُ: مِنْ تَيْسِيرِ نَظْمِ بَعْضِ مَفَاخِرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَيْسَ مِنْ قُوَّةِ فِكْرٍ، وَلَا مِنْ شِدَّةِ قَرِيحَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ هِبَةٌ مِنَ اللهِ ﷻ؛ وَلَوْلَا أَنَّا نَتَسَبَّبُ بِالاسْتِظْلَالِ، تَحْتَ ظِلِّهِ ﷺ، وَالتَّمَسُّكِ بِعُرْوَةِ عِنَايَتِهِ الْوُثْقَى، لَكَانَ مَنْ نَظَمَ وَمَنْ سَكَتَ عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ، إِذْ مَا يَقُولُ مِنَ الثَّنَاءِ فِي مَنْ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ نَحْوَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، إِذْ كُلُّ مُتَرَقٍّ فِي أَمْدَاحِهِ إِلَى نِهَايَةِ مَا صَعَدَتْ بِهِ هِمَّتُهُ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ فِكْرُهُ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ مَحَاسِنِهِ حِفْظُهُ، كَجَالِبِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرٍ. فَلَوْ أَنَّ مَالِكَ بَحْرِ مَاءٍ فُرَاتٍ عَذْبٍ زُلَالٍ تُهْدَى إِلَيْهِ زِقَاقٌ(2) مِنَ الْمَاءِ لَاسْتَوَى فِي إِيصَالِ مَنْفَعَتِهِ إِلَيْهِ مَنْ أَهْدَاهُ وَمَنْ حِيزَ عَنْ إِهْدَائِهِ إِيَّاهُ مَاءً لَاضْمِحْلَالِ مَا يُجْلَبُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا عِنْدَهُ. لٰكِنَّ رَغْبَةَ النَّاظِمِينَ فِي نَظْمِهِمْ أَنَّهُمْ يُثَابُونَ عَلَى أَدْنَى شَيْءٍ مِنْ أَمْدَاحِهِمْ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ اعْتِنَاءً بِذِكْرِ حَبِيبِ الْمُثِيبِ لَا عَلَى قَدْرِ مَدْحِ الْمُثَابِ. وَمِنَ الْمَحْسُوسِ الْمَأْلُوفِ أَنَّ قَوْلَهُ: (**حَبِيبٌ**): مُقَرَّبٌ. ثُمَّ إِنْ سَمِعَ مَنْ يَذْكُرُ فِيهِ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْ مَدْحٍ فَإِنَّهُ يُثِيبُهُ وَيُعْطِيهِ الْعَطَاءَ الْجَزِيلَ لِمُجَرَّدِ قَصْدِهِ، وَلَوْ لَمْ يَقُمْ عَلَى اسْتِيفَاءِ صِفَاتِهِ الْقِيَامَ الْكُلِّيَ. هٰذَا رَأْيٌ فِي مَعْنَى الْبَيْتِ.

وَيَحْتَمِلُ أَيْضاً قَوْلُهُ: (**لَوْلَا الْعِنَايَةُ**) مَعْنًى آخَرَ قَصَدَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا،

(1) لا يوجد البيت في الديوان. ينظر: شرح الجادري: 132.
(2) الزق: السقاء، وجمع القلة منه أزقاق، وجمع الكثرة زِقاق، والزُّقاق بالضم: السكة. ينظر: مختار الصحاح: زقق.

وَهَا أَنَا أَذْكُرُهُ وَلَوْ لَمْ يُثْلَجْ لَهُ صَدْرِي. قَالَ: «أَتَى بِهٰذَا الْبَيْتِ، إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُخَصِّصَ بِبَعْضِ الْعِنَايَاتِ بَعْضَ عِبَادِهِ دُونَ بَعْضٍ. ثُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْتَهِي الأَمْرُ فِي ارْتِفَاعِ بَعْضِ النَّظْمِ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى تَكُونَ نِسْبَةُ النَّاظِمِ النَّظْمَ الأَدْنَى إِلَى النَّاظِمِ النَّظْمَ الأَعْلَى كَنِسْبَةِ الأَبْكَمِ إِلَى النَّاطِقِ، فَقَالَ النَّاظِمُ: لَوْلَا أَنَّ اللهَ يَخْتَصُّ بِعِنَايَتِهِ بَعْضاً دُونَ بَعْضٍ لَكَانَ الأَمْرُ فِي النَّظْمِ عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ، فَيَكُونُ ذُو النُّطْقِ كَذِي الْبَكَمِ».

وَهٰذَا وَإِنْ كَانَ يَلُوحُ، إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ يَرُوحُ؛ لأَنَّا لَوْ صَرَفْنَا الْعِنَايَةَ إِلَى قُوَّةِ النَّظْمِ وَانْحِلَالِهِ، وَأَنَّ نَظْماً يَكُونُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ نَظْمٌ آخَرُ كَالْبَكَمِ لَلَزِمَ أَنَّ جَزَالَةَ النَّظْمِ بِهَا تُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، وَتَظْهَرُ الْعِنَايَاتُ. قَدْ يَكُونُ الضَّعِيفُ الْعَارِضَةِ فِي النَّظْمِ ذَا نِيَّةٍ خَالِصَةٍ، وَمَحَبَّةٍ صَادِقَةٍ لَا يَصِلُهَا الْبَلِيغُ النَّظْمِ. فَعَلَى هٰذَا إِنَّ الضَّعِيفَ النَّظْمِ، مَعَ حُسْنِ نِيَّتِهِ وَشِدَّةِ حُبِّهِ، كَانَ كَمَنْ لَمْ يَقُلْ، بَلِ الأَمْرُ [213]// فِي الْبَيْتِ عَلَى حَسَبِ مَا بَيَّنْتُهُ لَكَ أَوَّلاً؛ إِنَّ مَعْنَاهُ: لَوْلَا أَنَّ النَّاظِمَ الْحَرِيصَ عَلَى النَّظْمِ يُرِيدُ أَنْ يَتَطَفَّلَ، وَأَنْ يُكْتَبَ فِي دِيوَانِ الْمُحِبِّينَ الْمَادِحِينَ لَمَا كَانَ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ النَّظْمِ زِيَادَةٌ، إِذْ لَا يَصِلُ مَا يَجِبُ لَهُ ﷺ مِنَ الثَّنَاءِ، لٰكِنْ يَرْجُو أَنْ يُثَابَ عَلَى مُجَرَّدِ حِرْصِهِ عَلَى مَدْحِ نَبِيِّهِ، وَإِلَّا مَا زَادَ الْمَادِحُونَ وَلَا نَقَصَ السَّاكِتُونَ؛ فَالْمَادِحُ وَلَوْ بَالَغَ كَمَنْ جَاءَ بِجُرْعَةٍ مِنْ مَاءٍ إِلَى النِّيلِ، أَوْ بِحَبَّةٍ مِنْ عِنَبٍ إِلَى جَنَّاتِ شَنِيلٍ. لٰكِنْ مِنْ جَاهِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَعِنَايَتِهِ أَنَّ مَنْ أَهْدَاهُ دَرَّةً أُثِيبَ بِأَلْفِ دُرَّةٍ، الأَوَّلُ بِفَتْحِ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ، وَالثَّانِي بِالدَّالِ الْمَضْمُومَةِ الْمُهْمَلَةِ. وَلَا يَنْبَغِي أَنَّ يُفْهَمَ الْبَيْتُ عَلَى غَيْرِ هٰذَا.

وَقَوْلُهُ: (**فَذُو نُطْقٍ كَذِي بَكَمٍ**): لَا بُدَّ مِنْ مَحْذُوفٍ يُسَوِّغُ الْكَلَامَ، وَيَكُونُ «لَوْلَا الْعِنَايَةُ لَكَانَ ذُو نُطْقٍ كَذِي بَكَمٍ، لاسْتِغْنَاءِ الْمَمْدُوحِ عَنِ الْجَمِيعِ، لأَنَّ هٰذِهِ الْجُمْلَةَ [مَعْطُوفَةٌ][1] عَلَى خَبَرِ (**لَوْلَا**)، وَلَا بُدَّ مِنْ مَحْذُوفٍ يُجْرِيهَا عَلَى

(1) في الأصل: «المعطوفة».

مَعْنَاهَا، وَذٰلِكَ إِضْمَارُ عَامِلِ مَرْفُوعِهَا، وَيَكُونُ مِنْ جِنْسِ عَامِلِ الْجُمْلَةِ الأُولَى الَّتِي هِيَ فِي جَوَابِ (**لَوْلَا**)، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ: لَكَانَ الأَمْرُ عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ، وَلَكَانَ ذُو النُّطْقِ كَذِي الْبَكَمِ، مَعَ أَنَّ (**لَوْلَا**) هٰذِهِ لَا تُفْتَتَحُ الْجُمْلَةُ الْوَاقِعَةُ جَوَاباً لَهَا إِلَّا بِالْفِعْلِ.

وَالضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِـ (**فِي**) مِنْ قَوْلِهِ: (**فِيهِ عَلَى**) هُوَ عَائِدٌ عَلَى النَّظْمِ: لَوْلَا الْعِنَايَةُ لَكَانَ الأَمْرُ فِي نَظْمِ الْمَادِحِينَ عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ. أَوْ يَعُودُ عَلَى (**مَا**) الْمَجْرُورَةِ بِالْبَاءِ مِنْ قَوْلِهِ: (**بِمَاذَا نِلْتَ جَيِّدَهَا**)، أَيْ: لَكَانَ الأَمْرُ فِيهِ عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ فِي مَا يُنَالُ بِهِ الْجَيِّدُ مِنَ الْمَوَاهِبِ. وَيَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى (**جَيِّدَهَا**)، أَيْ: لَوْلَا الْعِنَايَةُ لَكَانَ الأَمْرُ فِي ذٰلِكَ الْجَيِّدِ الْمَطْلُوبِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ يَنَالُهُ بِفَضْلِ اللهِ ذُو النُّطْقِ وَذُو الْبُكْمِ؛ لٰكِنَّ اعْتِنَاءَ اللهِ ﷻ بِنَبِيِّهِ صَيَّرَ لِمَادِحِيهِ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ عَلَى مَا يَمْتَدِحُونَهُ بِهِ مِنْ بَلِيغٍ أَوْ دُونَ بَلِيغٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ إِنَّ مَنْ نَحَا إِلَى الْمَقْصَدِهِ الثَّانِي فِي الْبَيْتِ قَالَ أَيْضاً: «قَوْلُهُ: (**فَذُو نُطْقٍ كَذِي بَكَمٍ**) هُوَ مَا قَصَدَ بِهِ النَّاظِمُ الرَّدَّ عَلَى الْمُحَاوِلِ شَأْوَهُ فِي الْمَدْحِ». وَذٰلِكَ الْمُحَاوِلُ إِنَّمَا تَوَجَّهَتْ مُحَاوَلَتُهُ أَنْ تَكُونَ فِي الْحُسْنِ كَنَظْمِ هٰذَا النَّاظِمِ لِهٰذِهِ الْقَصِيدَةِ أَوْ أَحْسَنَ مِنْهُ. قَالَ: «وَلَمْ تَتَوَجَّهِ الْمُحَاوَلَةُ أَنْ يَصِيرَ نَظْمُ النَّاظِمِ لَهَا نَظْماً رَكِيكاً كَرَكَاكَةِ نَظْمِ الْمُحَاوِلِ».

وَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ فَحَقُّ التَّشْبِيهِ فِي هٰذَا الْبَيْتِ أَنْ يَجِيءَ عَلَى عَكْسِ مَا فَعَلَ النَّاظِمُ فَيَقُولُ: لَوْلَا الْعِنَايَةُ لَكَانَ الأَمْرُ عَلَى مَا أَنْتَ تُحَاوِلُ يَا أَيُّهَا الْمُحَاوِلُ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ نَظْمُكَ كَنَظْمِي». فَأَمَّا قَوْلُهُ: «لَوْلَا الْعِنَايَةُ لَكَانَ نَظْمِي كَنَظْمِكَ»، فَيَقُولُ الْمُحَاوِلُ: «لَيْسَ فِي هٰذَا الْكَلَامِ مَا تُغِيظُنِي بِهِ، إِذْ لَيْسَ قَصْدِي اتِّضَاعُ نَظْمِكَ، بَلِ ارْتِفَاعُ نَظْمِي، فَيَصِيرُ التَّشْبِيهُ فِي الْبَيْتِ مَعْكُوساً».

هٰذَا كَلَامُهُ، وَفِيهِ تَكَلُّفٌ كَثِيرٌ فِي مَعْنَاهُ وَفِي رَدِّهِ. وَإِنَّمَا قَصَدَ النَّاظِمُ مَا

قَصَدَ ابْنُ مَالِكٍ فِي أَوَّلِ رَجَزِهِ «لِلخُلَاصَةِ»[1] حَيْثُ قَالَ:

وَاللهُ يَقْضِي بِهِبَاتٍ وَافِرَهْ ... لِي وَلَهُ فِي دَرَجَاتِ الآخِرَهْ[2]

إِنَّمَا الْفَضْلُ مِنَ اللهِ يَمُنُّ بِهِ ... عَلَيْنَا عَلَى الْبَلِيغِ مِنَّا فِي نَظْمِهِ

وَالْفَسْلُ فِيهِ إِنَّمَا نَرْتَجِي ... مِنَ اللهِ أَنْ يَنْعَمْ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِهِ

الْفَائِضَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا ... بِاسْتِحْقَاقٍ بِنَظْمٍ وَلَا نَثْرِ



(1) الخلاصة: هي الألفية المشهورة في النحو، وإنما شهرت بالألفية لأنها ألف بيت من الرجز في مسائل النحو العربي. شرحت عدة شروح. ينظر: كشف الظنون 1/ 151 - 155.

(2) الخلاصة: 2، شرح ابن عقيل: 1/ 12.

98 - قَالَ:

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ... ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ[1]

شرح: هٰذَا الْبَيْتُ هُوَ ثَانِي قَوْلِهِ: (**وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الْبَيْضَاءَ دَعْوَتُهُ**)[2]. وَمَا بَيْنَهُمَا [214]// مِنْ كَلَامِ الْغَيْرِ. وَللهِ دَرُّهُ فَقَدْ نَسَجَ مَا زَادَ عَلَى مِنْوَالٍ يَقْرُبُ مِنْ نَظْمِ النَّاظِمِ الأَصْلِيِّ وَغَزَلَ غَزَلاً بِمَغْزَلِهِ. وَلَا بُدَّ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ الْمَزِيدِ وَالْمَزِيدِ عَلَيْهِ: فَإِنَّ فِي الْبَيْتِ الأَوَّلِ: (**حَتَّى غَدَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ**)[3]، فَإِنَّ (**الأَعْصُرَ**) إِنْ كَانَتْ خَصِيبَةً فَلَقَدْ لَحِقَتْهَا فِي الْخِصْبِ حَتَّى زَالَتِ الشُّهُوبَةُ وَذَهَبَتِ الْغُرَّةُ. وَإِنْ كَانَتِ (**الأَعْصُرُ**) جَدْبَةً، وَهٰذِهِ خِصْبَةً، فَلَيْسَتِ اللُّمْعَةُ السَّوْدَاءُ فِي الْفَرَسِ الْبَيْضَاءِ غُرَّةً. وَكَذَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، كَوْنُهُ جَاءَ بِالْعَارِضِ فِي مَبْلَغِ الْمَدْحِ، لٰكِنْ أَزَالَهُ بِقَوْلِهِ: (**جَادَ**).

وَقَوْلُهُ: (**أَوْ خِلْتَ**): يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى الْوَاوِ. وَيَبْقَى عَلَيْهِ نَصْرُ الْعَارِضِ عَلَى الْبِطَاحِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعُمَّ الأَرْضَ، لٰكِنْ قَدْ أَجَبْنَا عَنْهُ بِأَنَّهُ عَمَّ أَرْضَ سَائِلِ السَّقْيِ، أَوْ أَنَّ مَحَلَّ الْحَاجَةِ هِيَ الْبِطَاحُ، وَلَمَّا سَأَلَ ارْتِفَاعَ نَفْلِهِ إِلَى الأَمَاكِنِ الأُخْرَى لِنَفْعٍ ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ.

وَفِي قَوْلِهِ فِي الثَّالِثِ: (**لِلنَّاسِ وَالنَّعَمِ**) تَقْصِيرٌ أَجَبْنَا عَنْهُ. وَفِيهِ مُوَاطَأَةُ النَّعَمِ، إِذْ ذَكَرَهَا النَّاظِمُ بَعْدُ فِي قَوْلِهِ: (**كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ**)[4]. وَيُجَابُ بِأَنَّهُ يَجُوزُ، لٰكِنَّ غَيْرَهُ أَحْسَنُ لأَنَّ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ تَكْرَارُ الْقَوَافِي فِي الْقَصِيدَةِ وَلَوْ بَعُدَ مَا بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ.

(1) الديوان: 196.

(2) الديوان: 196.

(3) في الديوان: 196 «حتى حكت غرة في الأعصر الدهم».

(4) الديوان: 199.

وَقَوْلُهُ: (**وَأَلْبِسَتْ حُلَلاً**) بَدِيعٌ، وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، إِذْ ظَاهِرُهُ أَنَّ رُؤُوسَ الْهَضْبِ وَالأَكَمِ إِنَّمَا أَصَابَ النُّوَّارُ أَطْرَافَهَا. لٰكِنْ قَدْ يُقَالُ: لَا بُدَّ مِنَ الْبَسْطِ وَ[التَّحْقِيقِ][1] فِي الْعَمَامَةِ الْمُعْتَبَرَةِ وَإِرْخَاءِ الذُّؤَابَةِ.

وَقَوْلُهُ: (**وَالأَكَمِ**) مُكَرَّرٌ مَعَ قَوْلِهِ فِي مَا يَأْتِي؛ (**إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ**)[2].

وَقَوْلُهُ: (**وَفَارَقَ النَّاسَ دَاءُ الْقَحْطِ**) عَامٌّ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ. وَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّهُ إِنَّمَا أَصَابَ النَّاسَ، وَالْحَدِيثُ بِخِلَافِ ذٰلِكَ، إِذْ فِيهِ: «وَهَلَكَتِ الْبَهَائِمُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ»[3] وَقَدْ أَجَبْنَا عَنْهُ بِمَا أَمْكَنَ، وَلَيْسَ قَوِيّاً إِذَا تَتَبَّعْتَ الْبَيْتَ كَقُوَّةِ (**دَعْنِي وَوَصْفِي**)[4].

وَقَوْلُهُ: (**قُلْ لِلْمُحَاوِلِ**) كَالتَّوْطِئَةِ هُوَ وَمَا بَعْدَهُ لِقَوْلِهِ: (**لَوْلَا الْعِنَايَةُ**)، وَهُوَ عَيْنُ أَبْيَاتِهِ الْمَزِيدَةِ، وَاللهُ يَرْزُقُ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلِهِ.

قَوْلُهُ: (**دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ**)[5] الْبَيْتُ، هُوَ مَضْمُونُ مَا قَصَدَ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: (**لَوْلَا الْعِنَايَةُ**). وَلَوْ أَنَّ ابْنَ الْجَيَّابِ أَخَّرَ (**لَوْلَا الْعِنَايَةُ**) عَنْ هٰذَا الْبَيْتِ لَكَانَ أَبْلَغَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَأَوْقَعَ فِي أُذُنِ السَّامِعِ.

وَقَوْلُهُ: (**ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى**): الْقِرَى: الضِّيَافَةُ. وَنَارُ الْقِرَى فِيهَا زِيَادَةُ اشْتِعَالٍ لِإِكْثَارِ الطَّعَامِ.

وَقَوْلُهُ: (**لَيْلاً**)، لأَنَّ النَّارَ أَظْهَرُ مَا هِيَ بِاللَّيْلِ.

وَقَوْلُهُ: (**عَلَى عَلَمٍ**)، أَيْ: عَلَى جَبَلٍ. وَالْعَرَبُ تَتَمَدَّحُ بِهٰذِهِ النَّارِ. قَالَ الشَّاعِرُ: (طويل)

(1) في الأصل: «التحنيك». ولعل الأنسب ما أثبتناه.
(2) الديوان: 200.
(3) سبق تخريجه: ص489.
(4) الديوان: 196.
(5) الديوان: 196.

[يَبِيتُونَ] فِي الْمَشْتَى جِيَاعاً وَعِنْدَهُمْ ... مِنَ الزَّادِ أَقْوَاتٌ تُعَدُّ لِمَنْ يُقْرَى[1]
إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ ضَيْفُهُمْ رَفَعُوا لَهُ ... مِنَ النَّارِ فِي الظَّلْمَاءِ أَلْوِيَةً حُمْرَا

فَمَدَحَهُمْ بِوَقْدِ النَّارِ فِي اللَّيْلِ لِظُهُورِهَا لِلسَّارِينَ فَيَهْتَدُونَ إِلَيْهَا.

وَلَوْ لَمْ يَقُلِ النَّاظِمُ: (**لَيْلاً عَلَى**[2] **عَلَمٍ**) لَمَا حَسُنَ؛ لأَنَّ مِنْ نَارِ الْقِرَى مَا تَكُونُ فِي الأَمَاكِنِ الْمُنْخَفِضَةِ وَذَاتِ الإِطَارِ فَلَا تَظْهَرُ.

وَ(**الْعَلَمُ**): الْجَبَلُ الشَّامِخُ، مُبَالَغَةٌ فِي شِدَّةِ ظُهُورِهَا. وَلَوْ أَخَّرَ ابْنُ الْجَيَّابِ (**لَوْلَا الْعِنَايَةُ**) عَلَى هٰذَا الْبَيْتِ لَكَانَ تَتْمِيماً، لأَنَّهُ أَرْسَخُ مِنْ هٰذَا الْمَعْنَى.

وَمَعْنَى قَوْلِ النَّاظِمِ بِقَوْلِهِ: (**دَعْنِي**): اتْرُكْنِي وَإِنْ كُنْتُ أُخْبِرُ بِالْمَعْلُومِ، لأَنَّ مَنْ يَقُولُ لِمَنْ رَأَى الشَّمْسَ طَالِعَةً هَا الشَّمْسُ ارْفَعْ بَصَرَكَ تَرَهَا، فَإِنَّ السَّامِعَ يَقُولُ: قَدْ أَدْرَكَتْنِي أَنْوَارُهَا فَعَرَفْتُهَا وَلَوْ كُنْتُ غَاضّاً بَصَرِي مِنْهَا.

لٰكِنْ وَإِنْ تَمَكَّنَ لَهُ هٰذَا الْمَعْنَى يُقَالُ لَهُ: وَلِمَ تُعْلِمُ بِأَمْرٍ قَدْ عُلِمَ؟

فَيَقُولُ: لِمُجَرَّدِ تَكْثِيرِ الْمَادِحِينَ لَهُ [215]//، وَلِعِنَايَةِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي مَنِ انْتَسَبَ إِلَى زُمْرَةِ مُدَّاحِهِ ـ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رُؤَسَاءِ ذٰلِكَ الشَّأْنِ ـ نَالَتْهُ وَمَنَعَتْهُ مِنَ الْهَوَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: ظُهُورُ نَارِ الْقِرَى، هَلْ لِلرَّائِينَ لَهَا عَلَى بُعْدٍ أَوْ إِنَّمَا يُرِيدُهَا فِي نَفْسِهَا بِأَنَّهَا كَبِيرَةٌ فِي نَفْسِهَا يُدْرِكُهَا الدَّانِي وَالْبَعِيدُ؟

قُلْتُ: يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى هٰذَا الْعُمُومِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ فِي رُؤْيَةِ

(1) في الأصل: «يباتون». البيتان لإبراهيم بن هرمة في شرح لامية العجم: 1/ 418، المعاهد: 2/ 159 برواية: «يبيتون في المشتى خماصاً» «فضلات»، ورواية البيت الثاني في: نهاية الأرب: 1/ 113، شرح لامية العجم: 1/ 418، المعاهد: 2/ 159، «إذا ظل عندهم طارق».
(2) اللفظة مكررة في الأصل.

السَّارِينَ لَهَا؛ لأَنَّ هٰذَا يَنْطَوِي مَعْنًى: وَذٰلِكَ أَنَّ السَّارِينَ بِاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ قَدْ يُخطِئُونَ أَمَاكِنَ حَاجَاتِهِمْ، فَإِذَا رَأَوْا نَاراً بِلَيْلٍ فَإِنَّهُمْ يَهْتَدُونَ إِلَيْهَا. فَكَانَتْ مُعْجِزَاتُهُ ﷺ رَايَاتٍ يُهْتَدَى بِسَبَبِهَا الْبَعِيدُ عَنِ سُبُلِ الرَّشَادِ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ مَعَهَا فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ الْهِدَايَةُ، فَكَانَ لَهَا مَعْنًى بَدِيعٌ. وَأَيْضاً فَإِنَّ الْمُسَافِرِينَ السَّارِينَ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ هٰذِهِ النَّارُ فَإِنَّ أَبْصَارَهُمْ تِقَاءُ مَكَانَ وَقْدِهَا، فَيَكُونُ نَظَرُهُمْ إِلَيْهَا أَشَدَّ مِنَ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْزَتِهَا. فَكَانَتْ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنَ التَّائِبِينَ تَعَلَّقَتْ أَفْكَارُهُمْ وَأَبْصَارُ بَصَائِرِهِمْ لِمَا يَسْمَعُونَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ وَآيَاتِهِ. وَتَأْتِيهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ دَانِي الْبِلَادِ وَأَقَاصِيهَا. لَا يُقَالُ: إِنْ لَمْ يَقْصِدِ اهْتِدَاءَ السَّارِينَ بِهَا فَلَا خُصُوصِيَّةَ لِنَارِ الْقِرَى، لأَنَّا قَدْ قَرَّرْنَا أَنَّ نَارَ الْقِرَى كَبِيرَةٌ، فَلَا يَأْفَلُ ضَوْؤُهَا وَلَا يَفْتُرُ.

وَ(**ظُهُورَ**): نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ.

وَقَدْ أَطَالَ النَّاسُ الْكَلَامَ فِي هٰذَا الْبَيْتِ. وَلَمْ يَقْصِدْ بِهِ النَّاظِمُ ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ غَيْرَ مَا بَيَّنَّاهُ، فَإِنَّهُ اسْتَشْعَرَ قَوْلَ قَائِلٍ: وَمَا تَرِيدُ بِمَدْحِكَ فِي مَنْ ظَهَرَتْ آيَاتُهُ، وَبَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ؟ قَالَ: دَعْنِي، وَإِنْ لَمْ أُغْرِبْ بِأَمْرٍ خَفِيٍّ، بَلْ ظَهَرَتْ آيَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ ظُهُوراً جَلِياً، لِكَيْ أُعَدَّ مِنْ مَادِحِيهِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ كَلَامُ النَّاظِمِ.



(99 ـ 100) ـ قَالَ:

فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى ... مَا فِيهِ مِنْ شِيَمِ الأَخْلَاقِ وَالْكَرَمِ(1)

شرح: لَمَّا قَالَ: مَا الْقَصْدُ بِوَصْفِي آيَاتِهِ ﷺ أَنْ أُغْرِبَ بِإِظْهَارِ مَا لَمْ يُعْلَمْ، إِذْ هِيَ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ، وَإِنَّمَا الْقَصْدُ إِبْذَالُ الْجُهْدِ فِي إِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ. وَتَكْرَارُ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَلَوْ كَانَ تَذْكَارُهُ مَحْفُوظاً عِنْدَ السَّامِعِينَ؛ وَإِلَّا فَمَا عَسَى أَنْ يَذْكُرَ مِنْ شِيَمِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَهِيَ مَرْئِيَّةٌ بِالْعِيَانِ، مَسْطُورَةٌ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ، وَذٰلِكَ يُغْنِي عَنْ نَظْمِ النَّاظِمِينَ وَمَدْحِ الْمَادِحِينَ.

وَأَيْضاً فَإِنَّ مَآثِرَهُ الظَّاهِرَةَ مَا فَائِدَةُ الْخَوْضِ فِيهَا وَقَدْ عُلِمَتْ؟ وَمَا هُوَ مَصُونٌ مَكْنُونٌ لَا تُدْرِكُهُ الْخَوَاطِرُ، وَلَا الْعُيُونُ، لَا قُدْرَةَ لِلإِعْلَامِ بِهِ إِلَّا بِوَحْيٍ؛ فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى الْحَالَيْنِ مَعاً؟

أَمَّا الأَوَّلُ: فَإِنَّهُ إِخْبَارٌ بِالْمَعْلُومِ. وَأَمَّا الثَّانِي: فَلَا مَطْمَعَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ. لٰكِنْ بَقِيَ مَعْنًى آخَرُ، لأَنَّ الْقِسْمَةَ ثُلَاثِيَّةٌ: إِمَّا مَرْئِيٌّ مَعْلُومٌ. أَوْ غَائِبٌ مَصُونٌ مَكْنُونٌ مَحْجُوبٌ عَنِ الرَّائِينَ فَلَا مَطْمَحَ فِيهِ. وَالثَّالِثُ: مَا حَاجِبُهُ خَفِيفٌ، تَصِلُ إِلَيْهِ بَعْضُ الأَفْكَارِ دُونَ بَعْضٍ. فَالْخَوْضُ فِي إِظْهَارِ مِثْلِ هٰذِهِ قَدْ تَكُونُ فِيهِ لِلسَّامِعِينَ فَوَائِدُ. فَإِذَنْ إِنَّ غضَ النَّاظِمِ إِمَّا مَا قَرَّرْنَاهُ قَبْلُ، أَوْ يَكُونُ الْمَانِعُ مِنْ تَعَلُّقِ آمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى أَوْصَافِهِ الْحُسْنَى أَنَّهَا بَلَغَتْ فِي التَّعْظِيمِ مَنْزِلَةً لَا يُمْكِنُ اسْتِيفَاءُ تِلْكَ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالَةِ [لِمَادِحٍ](2) إِلَّا مَنْ خَصَّهُ اللهُ بِهَا.

وَيُرْوَى: (**آمَالُ**) وَ(**أَعْنَاقُ**)، وَكِلَاهُمَا يُؤَدِّي مَعْنًى يَقْرُبُ مِنْ مَعْنَى الآخَرِ.

---

(1) الديوان: 196، برواية: «ما فيه من كرم الأخلاق والشيم»، وفي شرح الجادري: 133 رواية: «أعناق المديح».

(2) في الأصل: «مادح» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

وَ(**شِيَمُ الأَخْلَاقِ**): مِنْ إِضَافَةِ الْخَاصِّ إِلَى الْعَامِّ، كَخَاتَمِ جَدِيدٍ، **[216]//** وَإِلَّا فَـ (**الشِّيَمُ**) هِيَ (**الأَخْلَاقُ**). وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْعَامِّ إِلَى الْخَاصِّ كَـ «مَسْجِدِ الْجَامِعِ». فَإِنَّ (**الشِّيَمَ**) جَمَعَتِ (**الأَخْلَاقَ**) وَ(**الْكَرَمَ**)، وَيَكُونُ فِيهِ مَا فِيهِ مِنْ شِيَمِ الأَخْلَاقِ وَشِيَمِ الْكَرَمِ.

وَلْتَعْلَمْ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدَّمَ هٰذَا الْبَيْتَ الْمَفْرُوغَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ عَلَى قَوْلِهِ: (**فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهُوَ مُنْتَظِمٌ**)[1]. وَمِنْهُمْ مَنْ قَدَّمَ (**فَالدُّرُّ يَزْدَادُ**) الْبَيْتَ، عَلَى هٰذَا. وَلَا شَكَّ أَنَّ تَقْدِيمَ (**فَمَا تَطَاوُلُ**) أَوْلَى مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى؛ لأَنَّ بَيْتَ (**فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً**) كَالْجَوَابِ هُوَ عَنْ بَعْضِ مَا تَضَمَّنَهُ (**فَمَا تَطَاوُلُ**)، لأَنَّ قَوْلَهُ: (**فَالدُّرُّ**) كَأَنَّهُ يَقُولُ: سَلَّمْنَا أَنَّ الأَمْدَاحَ وَلَوْ لَمْ تُفِدْ أَمْراً زَائِداً، لأَنَّ آيَاتِ الْمَمْدُوحِ ظَاهِرَةٌ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى إِظْهَارٍ، أَوْ خَفِيَّةٌ لَا تَصِلُ إِلَيْهَا الأَفْكَارُ، فَيَقُولُ: وَلِمَ قُلْتَ: إِنَّ أَعْنَاقَ الْمَدِيحِ أَوْ آمَالَهُ لَمْ يَبْقَ لَهَا مَحَلٌّ؟ لأَنَّ آيَاتِهِ ﷺ جَوَاهِرُ وَيَوَاقِيتُ، فَهِيَ شَرِيفَةٌ فِي ذَاتِهَا، لٰكِنَّ نَظْمَهَا فِي عِقْدٍ يَزِيدُ الْمُتَزَيِّنَ بِهَا بَهْجَةً؛ أَلَا تَرَى أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ فِي صُرَّةٍ فِي جَيْبِ إِنْسَانٍ لَكَانَ مَعَهُ دُرٌّ، لٰكِنَّ لَوْ نَظَمَهَا فِي عِقْدٍ وَجَعَلَهَا فِي نَحْرِ جَارِيَةٍ لَزَادَتْ حُسْناً إِلَى حُسْنِهَا وَزَادَتْ بِالنَّظْمِ بَهْجَةً، مَعَ مَا فِي نَظْمِهَا مِنْ جَمْعِهَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ أَوْصَافَهُ ﷺ وَإِنْ كَانَتْ ظَاهِرَةً، وَهِيَ مُفَرَّقَةٌ فِي كُتُبِ الأَحَادِيثِ وَالسِّيَرِ فَإِنَّهَا تُذْكَرُ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ، فَإِذَا جَمَعَهَا مَنْ جَمَعَهَا، وَأَلَّفَهَا فِي مُخْتَصَرٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ ذٰلِكَ أَنْفَعَ لِلْمُطَّلِعِ عَلَيْهَا مَجْمُوعَةً. فَفِي قَوْلِهِ:

فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهُمْ مُنْتَظِمٌ ... وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ[2]

هٰذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ حَظُّ أَعْنَاقِ الْمَدِيحِ وَآمَالِهِ فِي التَّطَاوُلِ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ شِيَمِ الأَخْلَاقِ وَالْكَرَمِ. فَفِي تَقْدِيرِ تَقْرِيرِ هٰذَا الْبَيْتِ وَجْهَانِ:

---

(1) الديوان: 196، وعجزه: «وليس ينقص قدراً غير منتظم».

(2) الديوان: 196.

الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: (**فَمَا تَطَاوُلُ أَعْنَاقِ الْمَدِيحِ**) مِنْ كَلَامِهِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: «إِنَّمَا الْقَصْدُ أَنْ يُعَدَّ الإِنْسَانُ مِنَ الْمَادِحِينَ مَعَ بَقَاءِ شَيْءٍ مَا فِي نَظْمِهِمْ شِيَمَهُ وَأَخْلَاقَهُ»، هُوَ الْجَمْعُ وَالْحَصْرُ لِمَنْ أَرَادَ الاطِّلَاعَ عَلَيْهَا، فَلَهُمْ هٰذِهِ الْفَائِدَةُ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: (**فَالدُّرُّ**) عَلَى تَقْدِيرِ سُؤَالِ سَائِلٍ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا كَانَ لَا فَائِدَةَ لِتَعَلُّقِ الآمَالِ قَالَ مُجِيباً مَا أَجَبْنَا بِهِ أَيْضاً.

وَفِي هٰذَا الْمَأْخَذِ مَنْزَعٌ بَدِيعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ يُعَدُّ مِنَ (التَّكْمِيلِ): وَهُوَ الدَّفْعُ عَمَّا يُتَوَهَّمُ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ بِالْجَوَابِ اللَّاحِقِ. وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِكَلَامٍ فِي فَنٍّ، فَيَبْدَأُ نَاقِصاً، فَيُتَمُّ بِكَلَامٍ آخَرَ. وَذٰلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: (**فَمَا تَطَاوُلُ**) كَانَ كَالْمُونِسِ مِنْ مَنْفَعَةٍ بَقِيَتْ لِلنَّاظِمِينَ فِي نَظْمِهِمْ، فَلَمَّا جَاءَ بِمَا فِي الْبَيْتِ بَعْدَهُ، فَتَمَّمَ مَا بَقِيَ فِيهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي حَقِّ الصَّحَابَةِ ﷺ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 54]، فَلَوِ اكْتَفَى بِالْقَرِينَةِ الأُولَى لأَوْهَمَ أَنَّ الذِّلَّةَ لِلْعَجْزِ، فَاقْتَرَنَ بِمَا يُنْبِئُ عَنِ التَّوَاضُعِ وَلَا يُرْدِي إِلَى التَّكَبُّرِ.

وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، فَلَوْ لَمْ يُؤْتَ بِالثَّانِيَةِ لأَوْهَمَ الْفَظَاظَةَ[1] وَالْغِلَظَ، فَكَمَّلَ بِالثَّانِيَةِ. وَكَذَا مَا فِي الْبَيْتِ، فَلَوِ اقْتَصَرَ عَلَى بَيْتِ: (**فَمَا تَطَاوُلُ**) لأَوْهَمَ أَنْ لَيْسَ لِنَظْمِهِمْ فَائِدَةٌ، فَلَمَّا جَاءَ بِالْبَيْتِ بَعْدَهُ كَمَّلَ وَأَظْهَرَ مَا بَقِيَ مِنْ فَائِدَةِ نَظْمِ الْمَادِحِينَ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الْغَنَوِيِّ[2]: (طويل)

---

(1) في الأصل: «الفضاضة» ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) هو كعب بن سعد بن عمرو الغنوي، من بني غني، شاعر جاهلي، حلو الديباجة، له ديوان شعر. ترجمته في: (التيجان: 260، السمط: 771 ـ 777، شعراء النصرانية: 1/ 746، الخزانة: 12/ 621، الأعلام: 5/ 227). والبيت من شواهد الاحتراس في: نقد الشعر 35، الأصمعيات: 94، الأمالي: 2/ 140، الطراز: 3/ 109، تحرير التحبير: 3/ 358، نهاية الأرب: 7/ 157، الإيضاح: 311، أنوار الربيع: 1/ 642، الخزانة: 10/ 435، وهو مع أخر منسوب لغريقة العبسي في: شعر بني عبس: 2/ 187.

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ   مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبُ

[217]// فَفِي الْبَيْتِ هٰذَا الْمِقْدَارُ مِنَ التَّكْمِيلِ.

وَفِيهِ: رَفْعُ مَا وَقَعَ، لأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: **(فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهُوَ مُنْتَظِمٌ)** أَوْهَمَ أَنْ يُقَالَ: فَإِذَنْ إِنَّ نَظْمَكَ زَيَّنَ مَحَاسِنَهُ، فَجَاءَ بِقَوْلِهِ: **(وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمٍ)**، وَهُوَ حَسَنٌ.



101 ـ قَالَ:

آيَاتُ صِدْقٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْكَمَةٌ   قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ[1]

شرح: لَمَّا قَالَ النَّاظِمُ: **(وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمٍ)** نَبَّهَ عَلَى مُوجِبِ شَرَفِ مَا عَبَّرَ عَنْهُ بِالدُّرِّ الَّذِي لَا يَنْقُصُ شَرَفُهُ مَنْظُوماً أَوْ مَنْثُوراً، فَقَالَ: **(آيَاتُ صِدْقٍ)**. الظَّاهِرُ بَادِي الأَمْرِ عُمُومُ **(الآيَاتِ)**، فَتَدْخُلُ آيَاتُهُ ﷺ الَّتِي هِيَ عَلَامَةُ صِدْقِهِ فِي دَعْوَاهُ مِنْ سَائِرِ مُعْجِزَاتِهِ وَآيُ الْقُرْآنِ.

وَ**(الآيَاتُ)** فِي اللُّغَةِ: الْعَلَامَاتُ. وَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ مِنْ جَمِيعِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ عَلَامَةٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ وَعَلَى صِدْقِهِ فِي مَا ادَّعَاهُ؛ وَمِنْهَا الْقُرْآنُ، وَهُوَ أَعْظَمُ آيَاتِهِ، بِأَلْفَاظِهِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى قَوَانِينِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ وَالإِيجَازِ وَالاخْتِصَارِ فِي مَا يَلِيقُ بِهِ الإِيجَازُ وَالاخْتِصَارُ وَالْبَسْطُ وَالإِطْنَابُ فِي مَحَلِّهِ. فَفِي انْتِظَامِ آيِهِ فِي رَصْفِهِ وَعُذُوبَةِ أَلْفَاظِهِ الإِعْجَازُ الْكُلِّيُّ. وَفِي مَعَانِيهِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى إِخْبَارِهِ ﷺ بِالْمُغَيَّبَاتِ الَّتِي لَا طَرِيقَ إِلَى التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْوَحْيِ، يَقُصُّ مَا مَرَّ مِنْ سَالِفِ الدُّهُورِ، وَمَا يَأْتِي مِنْ خَفِيَّاتِ الأُمُورِ. أَمَّا إِيجَازُ مَا جَاءَ عَلَى سَبِيلِ الإِيجَازِ فَلَا يُوجَدُ أَوْجَزَ مِنْ كَلِمَاتِهِ. وَأَمَّا الإِطْنَابُ فِي مَحَلِّهِ فَلَا يُوجَدُ أَشْفَى مِنْهَا وَلَا أَبْسَطَ.

فَمِنْ إِخْبَارِهِ ﷺ بِمَا لَمْ يَكُنْ وَقَعَ وَوَقَعَ بَعْدَ إِخْبَارِهِ بِهِ ﷺ: «كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الرُّومِ أَنَّهُمْ: ﴿بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 3، 4]، وَكَمَا وَعَدَ بِهِ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ»[2]. وَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي الْحُدَيْبِيَةِ[3]

---

(1) الديوان: 196، برواية: «آيات حق من الرحمٰن محدثة».

(2) البخاري: 13/ 144، مسلم: 3/ 1412.

(3) الحديبية: قرية متوسطة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة: معجم البلدان: 2/ 63.

حِينَ خَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ[1] بِمَا اشْتَرَطَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الشُّرُوطِ وَتَحَمَّلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ لأَبِي بَكْرٍ: «مَا هٰذَا! أَلَيْسَ أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنَّا مَاتَ شَهِيداً، وَمَنْ عَاشَ عَاشَ سَعِيداً!، وَلِمَ نَتَحَمَّلُ مِنْهُمْ مَا نَتَحَمَّلُ؟ بَلْ نُبَادِرُهُمْ بِالْقِتَالِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ إِنَّ اللهَ ﷻ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﵇: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: 27] الآية. فَقَالَ عُمَرُ: الآنَ طَابَتْ نَفْسِي»[2]، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ وَعَدَ نَبِيَّهُ ﷺ بِفَتْحِهَا.

وَأَنْجَزَ اللهُ لَهُ مَا وَعَدَهُ بِهِ، فَكَانَ مَا يُخْبِرُ بِهِ مِمَّا سَلَفَ مِمَّا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا أَهْلُ التَّوَارِيخِ الْقَدِيمَةِ، وَمَا كَانَ لَهُ ﵇ خُلْطَةٌ بِأَهْلِ كُتُبٍ وَلَا أَهْلِ تَارِيخٍ، وَمِمَّا يَأْتِي مِمَّا لَا سَبِيلَ لأَحَدٍ إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْوَحْيِ.

فَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ هٰذَا، فَإِنْ أَخَذْنَا **(الآيَاتِ)** عَلَى الْعُمُومِ، وَانْدَرَجَتْ فِيهَا مُعْجِزَاتُهُ وَآيُ الْقُرْآنِ، فَنَرْجِعُ لأَلْفَاظِ الْبَيْتِ، فَفِيهِ مَا يَصْلُحُ لِلآيَاتِ الْحَادِثَةِ، وَفِيهِ مَا يَصْلُحُ لِلآيَاتِ الْقَدِيمَةِ.

أَمَّا وَصْفُهُ **(الآيَاتِ)** بِأَنَّهَا: **(آيَاتُ صِدْقٍ)** أَوْ **(آيَاتُ حَقٍّ)** عَلَى الرِّوَايَتَيْنِ مَعاً، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ صِفَاتِ جَمِيعِ آيَاتِهِ عُمُوماً. وَأَمَّا قَوْلُهُ: **(مِنَ الرَّحْمٰنِ)**، فَكَذٰلِكَ. أَمَّا كَوْنُهَا: **(آيَاتُ صِدْقٍ)** مَعْنَى: آيَاتٌ جَاءَ بِهَا ﵇ صَادِقاً فِي دَعْوَاهُ فِيهَا أَنَّهَا دِلَالَةُ نُبُوَّتِهِ، وَ[صَادِقاً][3] فِي دَعْوَاهُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ كَلَّفَ الْخَلْقَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنِ انْقِيَادِهِمْ لأَمْرِهِ ﵇، وَامْتِثَالِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَالإِقْرَارِ بِصِفَاتِ بَارِيهِمْ، وَبِتَصْدِيقِ نَبِيِّهِ ﵇ أَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً بَشِيراً وَنَذِيراً وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: **[218]**// ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: 33]، وَهُوَ الَّذِي يُقَابِلُهُ الْكَذِبُ الْمُسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ﵇.

(1) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية (ت53هـ). ترجمته في الإصابة: 2/ 238.
(2) البخاري: 13/ 144، مسلم: 3/ 1412، بلفظ: الشفا: 1/ 651، الخصائص: 1/ 242.
(3) في الأصل: «صادق».

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالصِّدْقِ النَّبِيَّ ﷺ، كَقَوْلِهِ قَبْلُ: **(فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا)**[1]. وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: آيَاتُ نَبِيٍّ صَادِقٍ فِي مَا جَاءَ بِهِ، فَيَكُونُ إِمَّا عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: آيَاتُ ذِي الصِّدْقِ، أَوْ نَزَّلَهُ مَنْزِلَةَ الْمَصْدَرِ مُبَالَغَةً فِي صِدْقِهِ ﵇. وَعَلَى الْوَجْهَيْنِ وَمَا فُرِّعَ مِنْهُمَا فَيَشْتَمِلُ الآيَاتِ الْقَدِيمَةَ وَالآيَاتِ الْحَادِثَةَ.

وَأَيْضاً فَإِنَّ الصِّدْقَ إِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْمَعْنَى الْمُضَادِّ لِلْكَذِبِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ فَيَكُونُ مِنْ صِفَاتِ أَلْفَاظِ إِخْبَارِهِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنْ قَصَصٍ وَأَخْبَارٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ مُتَعَلَّقَاتِ الْكَلِمِ.

وَإِنْ حَمَلْنَا الصِّدْقَ عَلَى الصِّدْقِ الْمُعَبَّرِ بِهِ عَنِ الْكَمَالِ، كَقَوْلِكَ: رَجُلٌ صِدْقٌ، أَيْ: كَامِلُ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ. فَهُوَ وَصْفٌ صَالِحٌ لأَنْ تُوصَفَ[2] بِهِ الآيَاتُ الْخَبَرِيَّةُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ أَلْفَاظِهِ ﵇ وَالأَلْفَاظُ الدَّالَّةُ عَلَى مَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، إِذْ ذٰلِكَ كُلُّهُ كَامِلٌ. وَيَصْدُقُ عَلَى الْمَعَانِي الْمَفْهُومَةِ مِنَ الأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى مَعَانِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

وَفِي **(مُحْكَمَةٌ)** وَ**(مُحْدَثَةٌ)** رِوَايَتَانِ: فَعَلَى رِوَايَةِ **(مُحْدَثَةٌ)** يَصِحُّ وَصْفاً لِمَا ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ: كَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وَتَكْثِيرِ الْقَلِيلِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِهِ ﷺ. وَعَلَى رِوَايَةِ **(مُحْكَمَةٌ)** فَالإِحْكَامُ لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ، فَإِنْ فَسَّرْنَاهُ بِالإِتْقَانِ فَمَا مِنْ مُعْجِزَةٍ إِلَّا وَهِيَ مُتْقَنَةٌ فِي سِيَاقِهَا وَفِي كَيْفِيَّةِ إِفْحَامِ الْخُصُومِ بِهَا. وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ **(مُحْدَثَةٌ)** فَصُدُورُ الْمُعْجِزَاتِ عَلَى يَدَيْهِ ﵇ حَادِثٌ. وَكَذٰلِكَ أَلْفَاظُ الْمَتْلُوِّ النَّاشِئَةِ مِنْ أَلْسُنِ التَّالِينَ، فَإِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مُحْدَثَةٌ وَهِيَ مُحْدَثَةُ النُّزُولِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: **(قَدِيمَةٌ)** فَوَصْفُ الْمَعَانِي الْقَائِمَةِ بِالذَّاتِ الْكَرِيمَةِ بِالْقِدَمِ وَاضِحٌ، إِذِ الْقُرْآنُ الصِّفَةُ الْقَائِمَةُ بِذَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ، قَدِيمٌ بِقِدَمِهِ. وَأَمَّا الأَلْفَاظُ

(1) الديوان: 195.
(2) في الأصل: «يوصف».

وَالْمُعْجِزَاتُ وَإِنْ كَانَتْ حَادِثَةً فَالْعِلْمُ بِتَفَاصِيلِهَا، وَعَلَى أَيِّ كَيْفِيَةٍ تَقَعُ قَدِيمٌ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ عَلِمَ الأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا.

وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ (**مُحْكَمَةٌ**) إِنْ أَرَدْنَا بِالإِحْكَامِ الإِيضَاحَ وَالْبَيَانَ ضِدَّ الْمُجْمَلِ وَالْمُتَشَابِهِ فَالْمُعْجِزَاتُ أَيْضاً وَاضِحَةٌ بَيِّنَةُ الدِّلَالَةِ، وَالأَلْفَاظُ وَاضِحَةٌ بَيِّنَةُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَإِفْحَامِ الْمُعَارِضِينَ. وَأَمَّا مَعَانِي كَلَامِ اللهِ ﷻ فَيَبْعُدُ وَصْفُهُ بِوَصْفِ (**مُحْكَمَةٌ**) لِمَا تُعْطِيهِ دِلَالَةُ الْبِنْيَةِ مِنْ أَنَّهَا صِيغَةُ اسْمِ مَفْعُولٍ، وَاسْمُ مَفْعُولٍ بِإِزَائِهِ صِيغَةُ اسْمِ فَاعِلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَنَّ مَا مِنْ مُحْكَمٍ بِفَتْحِ الْكَافِ إِلَّا وَأَحْكَمَهُ غَيْرُهُ، وَهُوَ الْمُحْكِمُ بِكَسْرِ الْكَافِ، وَهُوَ فِي حَقِّ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ مُحَالٌ، لأَنَّ الْمُحْكَمَ بِفَتْحِ الْكَافِ مَا يَكُونَ مَحَلًّا لأَثَرٍ يَقَعُ بِهِ مِنْ فِعْلِ الْفَاعِلِ، وَذَٰلِكَ فِي حَقِّ الْقَدِيمِ مُحَالٌ. وَهَٰذَا مَا دَرَجَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَهُوَ الْمُعْتَقَدُ الْحَقُّ، وَالْمَقُولُ الصِّدْقُ، خِلَافَ مَا يَتَمَنْدَلُ بِهِ أَهْلُ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ.

وَإِنْ حَمَلْنَا (**مُحْكَمَةٌ**) عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، لأَنَّ الْمُحْكَمَ يَأْتِي وَصْفاً لِمَا لَيْسَ بِمَنْسُوخٍ فَتَكُونُ صَالِحَةً لِوَصْفِ مُعْجِزَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي لَمْ يَتَبَدَّلْ عَنْهَا، وَلَا نُسِخَتْ بِسِوَاهَا، بَلْ لَمْ تَزَلْ ثَابِتَةً فِي الْقُلُوبِ، رَاسِخَةً فِي الْعُقُولِ، إِذْ كُلُّ وَصْفٍ ثَبَتَ لَهُ ﷺ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَنْسُوخٍ. وَهَٰذَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: 1]. وَهُوَ أَلْيَقُ مَا قِيلَ بِهَٰذَا الْمَوْضِعِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ فِي الآيَةِ: أُحْكِمَتْ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ. وَقِيلَ: أُحْكِمَتْ مِنَ الْبَاطِلِ. وَقِيلَ: أُحْكِمَتْ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. وَهَٰذَا إِذَا أَرَدْنَا بِهَٰذَا [219]// صِفَاتِهِ ﷺ وَأَلْفَاظَ التَّالِينَ [الَّتِي][1] وَقَعَ الإِعْجَازُ بِوَصْفِهَا وَبَلَاغَةِ نَظْمِهَا. وَأَمَّا إِذَا أَرَدْنَا الْمَعَانِي الْقَدِيمَةَ فَتَكُونُ (**مُحْكَمَةٌ**) مِنْ قَوْلِ النَّاظِمِ بِمَعْنَى: مَانِعَةٌ، لِكَوْنِهَا مَنَعَتِ الْمُعَارِضِينَ مِنَ الْمُعَارَضَةِ. وَهُوَ مَعْنَى مَا يَأْتِي مِنْ قَوْلِهِ: (**رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا**)[2]

(1) في الأصل: «الذي» ولعل الأنسب ما أثبتناه.
(2) الديوان: 196، وعجزه: «رد الغيور يد الجاني عن الحرم».

فَإِنَّ الْمَنْعَ مِنْ صِفَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، إِذْ أَعْجَزَ الْمُلْحِدِينَ عَنِ الإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ عَلَى مَا سَنُبَيِّنُهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (**قَدِيمَةٌ**) فَخَاصٌّ بِالْمَعَانِي إِنْ أُرِيدَ قَدِيمَةَ الْوُجُودِ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ قَوْلُهُ: (**صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ**). وَالْقَدِيمُ فِي اصْطِلَاحِ الْمُتَكَلِّمِينَ مَا لَيْسَ بِمُفْتَتَحِ الْوُجُودِ، أَيْ: لَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ، أَوْ تَقُولُ مَا لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ؛ فَلَا تَدْخُلُ فِيهِ الأَلْفَاظُ وَلَا سَائِرُ الْمُعْجِزَاتِ. إِلَّا أَنَّ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ، بِقِدَمِ الأَلْفَاظِ، أَعْنِي: أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ. وَهُوَ قَوْلٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ، مَرْدُودٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً[1].

وَمَعْنَى (**الْمَوْصُوفِ بِالْقَدِيمِ**)، أَيْ: إِنَّ مِنْ صِفَاتِهِ الْقَدِيمُ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ. فَيَصِفُهُ عِبَادُهُ فِي أَلْفَاظِهِمْ بِهَٰذِهِ الْكَلِمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَعْنَى الأَزَلِيَّةِ. وَلَيْسَ الْقِدَمُ مِنَ الصِّفَاتِ الْوُجُودِيَّةِ عَلَى مَذْهَبِ أَكْثَرِ أَهْلِ عِلْمِ الْكَلَامِ. وَإِنَّمَا الْقِدَمُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ أَزَلِيَّةِ وُجُودِهِ. وَالْبَقَاءُ عِبَارَةٌ عَنِ اسْتِمْرَارِ وُجُودِهِ، فَلَا عَدَمَ سَابِقٌ وَلَا عَدَمَ لَاحِقٌ. وَهَٰذَا مِنْ مَعْنَى الْقِدَمِ الْمُصْطَلَحِ عَلَيْهِ فِي حَقِّ هَٰذِهِ الصِّفَةِ[2]. وَأَمَّا الْقِدَمُ فِي اللُّغَةِ: فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَثْرَةِ زَمَنِ الْوُجُودِ؛ وَمِنْهُ: ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: 39] كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ قَدِيمُ الْهِجْرَةِ. وَالْقِدَمُ هُنَا بِخِلَافِهِ.

وَفِي الْبَيْتِ عَلَى رِوَايَةِ (**مُحْدَثَةٌ**) (**قَدِيمَةٌ**) (الطِّبَاقُ). وَفِي الإِتْيَانِ بِمَا يَصْلُحُ تَارَةً لِلأَلْفَاظِ وَالصِّفَاتِ الْحَادِثَةِ، وَتَارَةً لِلْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ (اسْتِخْدَامٌ). وَقَدْ تَقَدَّمَتْ قَبْلُ حَقِيقَتُهُ.



(1) ينظر: الملل والنحل: 3/ 4 ـ 15، معارج القبول: 1/ 179 ـ 202.
(2) تنظر صفة القدم في: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي: 1/ 288، دقائق الإشارات: 62 ـ 63، المواقف في علم الكلام: 68 ـ 74، شرح المقاصد: 2/ 7 ـ 24.

102 ـ قَالَ:

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا   عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ[1]

شرح: فَاعِلُ (**تَقْتَرِنْ**) ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى (**الآيَاتِ**)، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الأَلْفَاظُ مِنَ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الزَّمَانَ عِنْدَنَا اقْتِرَانُ حَادِثٍ بِحَادِثٍ، وَهٰذَا مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ.

وَقَوْلُهُ: (**وَهْيَ تُخْبِرُنَا**)، أَيْ: تِلْكَ الآيَاتُ الَّتِي لَمْ تَقْتَرِنْ بِحَادِثٍ تُخْبِرُنَا عَنْ أَخْبَارِ الآخِرَةِ. فَإِنَّ (**الْمَعَادَ**) هُوَ الْبَعْثُ، مِنَ الْعَوْدَةِ. يُقَالُ لَهُ **الْمَعَادُ**، **وَالْبَعْثُ**، **وَالْمَرْجِعُ**، **وَالنُّشُورُ**، **وَالْحَشْرُ**. وَأَمَّا أَسْمَاءُ يَوْمِ هٰذَا الْمَعَادِ فَمِائَةُ اسْمٍ ذَكَرَهَا عَبْدُ الْحَقِّ[2] فِي **الْعَاقِبَةِ**[3] وَالْغَزَالِيُّ فِي كُتُبِهِ.

«وَ(**الْمَعَادُ**) مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، مُصَدِّقُونَ وَمُقِرُّونَ بِالْمَعَادِ الْجِسْمَانِيِّ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّمَا تُبْعَثُ الأَرْوَاحُ. وَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ. وَالصَّحِيحُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ أَنَّ الأَجْسَادَ تُبْعَثُ. وَجَاءَ أَنَّ إِسْرَافِيلَ يَقِفُ عَلَى الصَّخْرَةِ وَيَقُولُ: «أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْفَانِيَةُ وَالأَجْسَامُ الْبَالِيَةُ تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ رَبِّكُنَّ، فَتَجْتَمِعُ الأَجْزَاءُ»[4]. وَجَاءَ «أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُنْزِلُ مَاءً كَمَنِيِّ الرِّجَالِ تَنْشَقُّ بِهِ الأَرْضُ عَنِ الْمُهْلِ وَتَنْبُتُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي مَسْبَلِ الْمَاءِ، ثُمَّ تَنْتَشِرُ الأَرْوَاحُ

(1) الديوان: 196.

(2) هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي، رحل إلى بجاية وولي الصلاة والخطبة بجامعها الأعظم. (ت581هـ). ترجمته في: (عنوان الدراية: 41، التكملة: 647، فوات الوفيات: 1/ 518، شذرات: 4/ 271).

(3) كتاب العاقبة: لم أعثر عليه. نظر: كشف الظنون: 2/ 1437.

(4) مسند إسحاق بن راهويه: 1/ 87 ـ 88، شعب الإيمان: 1/ 312 ـ 313، العظمة: 828، نهاية الأرب: 14/ 287، البعث والنشور: 329، الملل والنحل: 4/ 79.

كَالْجَرَادِ الْمُنْتَشِرِ، وَتَلْبَسُ أَجْسَامَهَا بِقُدْرَةِ اللهِ ﷻ وَتَعْرِفُهَا كَمَا تَعْرِفُ النَّحْلُ ثُقْبَ الشَّهْدِ»[1].

«وَأَمَّا (**عَادٌ**)[2] فَيُرِيدُ بِهِ قَبِيلَتَهُ. سَمَّاهُمْ بِاسْمِ جَدِّهِمْ وَهُوَ عَادُ بْنُ عُوصِ بْنِ إِرَمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ. وَأَمَّا (**إِرَمُ**): فَالصَّحِيحُ أَنَّ (إِرَمَ) الْمَذْكُورَةَ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي سُورَةِ الْفَجْرِ أَنَّهُ إِرَمُ بْنُ سَامٍ. وَقِيلَ: اسْمُ مَدِينَةٍ. وَالأَوَّلُ أَصَحُّ. **[220]**// وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهَا الْمَدِينَةُ قَالُوا: هِيَ مَدِينَةُ عَادٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ أَصْحَابُ النَّقْلِ الْغَرِيبِ فِي الأَخْبَارِ الْمَاضِيَةِ صِفَةَ هٰذِهِ الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى شَكْلٍ غَرِيبٍ وَبُنْيَانٍ عَجِيبٍ مِنَ الْمَعَادِنِ الرَّفِيعَةِ وَالأَحْجَارِ النَّفِيسَةِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: تَجْتَمِعُ فِيهَا أَرْوَاحُ الْمُجَاهِدِينَ»[3]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَ(**الْوَاوُ**) فِي قَوْلِهِ: (**وَهْيَ تُخْبِرُنَا**) وَاوُ الْحَالِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَمَعَ أَنَّهَا لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ فَإِنَّهَا تُخْبِرُنَا عَنْ أَحْوَالِ أَزْمِنَةٍ مِنْ أَزْمِنَتِهِ انْقَضَتْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا الْحَادِثَةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ هٰذِهِ الْقَضَايَا يَفْتَقِرُ إِلَى تَأَمُّلٍ وَتَدْبِيرٍ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ الأَدِلَّةَ الْقَطْعِيَّةَ قَامَتْ عَلَى حُدُوثِه الأَزْمِنَةِ وَالأُمُورِ الْحَادِثَةِ مَا لَمْ تَكُنْ فَكَانَتْ. وَقَامَتِ الْبَرَاهِينُ الْقَاطِعَةُ عَلَى قِدَمِ الآيَاتِ، فَإِنَّهَا هِيَ الْمَعَانِي الْقَدِيمَةُ الْقَائِمَةُ بِذَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ. وَالْقَدِيمُ يَسْتَحِيلُ اقْتِرَانُهُ بِزَمَانٍ، وَجَاءَتْ تِلْكَ الآيَاتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى. أَخْبَرَ بِأَنَّهَا مِنْ كَلَامِ اللهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَيَّدَتْهُ الْمُعْجِزَاتُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَاتِ الَّتِي تَحَدَّى بِهَا ﷺ فَثَبَتَ صِدْقُهُ. وَلَمَّا ثَبَتَ صِدْقُهُ وَجَبَ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ. وَمِنْ جُمْلَةِ مَا أَخْبَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ. وَقَامَ الْبُرْهَانُ عَلَى قِدَمِهِ وَمَعَ كَوْنِهِ قَدِيماً، وَأَخْبَارُ الأَزْمِنَةِ حَادِثٌ، أَخْبَرَنَا بِتِلْكَ الأَزْمِنَةِ وَبِمَا حَدَثَ فِيهَا. فَفِيهِ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَخْبَرَنَا بِمَا سَبَقَ عِلْمُهُ فِي

(1) المستدرك: 4/ 542، مجمع الزوائد: 10/ 329، مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 511، شعب الإيمان: 1/ 312، الفتن لنعيم بن حماد: 2/ 595.

(2) ينظر: تاريخ الطبري: 1/ 216، الكامل: 1/ 48، نهاية الأرب: 13/ 52 ـ 61.

(3) الكلام في: نهاية الأرب: 13/ 64 ـ 68.

الأَزَلِ لِلعَالِمِ الْحَقِّ. وَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ فَلَا اسْتِحَالَةَ فِي تِلْكَ الأَخْبَارِ أَنَّهَا صَدَرَ عِلْمُهَا مِنَ الْقَدِيمِ.

وَأَسْنَدَ الإِخْبَارَ لِلآيَاتِ، وَالآيَاتُ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ عَلَى النبِيِّ ﷺ، وَأَخْبَرَنَا النبِيُّ ﷺ بِهَا. مِنْهَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ بِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْوَحْيِ، وَمِنْهَا مَا سَرَدَ عَلَيْنَا بِهِ قُرْآناً. فَكَانَتِ الآيَاتُ مُفْصِحَةً بِذٰلِكَ وَالنبِيُّ يُخْبِرُنَا بِأَنَّ لِهٰذِهِ الآيَاتِ مَنْزِلَةً عَلِيَّةً. فَالْمُخْبِرُ: النبِيُّ، وَالآيَاتُ: مُخْبَرٌ بِهَا، فَإِسْنَادُ الإِخْبَارِ إِلَيْهَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ، وَقَدْ جَاءَ مِنْ ذٰلِكَ: الطَّمُّ وَالرَّمُّ. قَالَ الشَّاعِرُ: (كامل)

يَا وَجْدُ قَدْ أَضْرَمْتَ نِيرَانَ الْحَشَا ... دَعْنِي أُقَاسِي لَوْعَتِي وَسُهَادِي[1]

فَأَسْنَدَ الْفِعلَ إِلَى ضَمِيرِ الْوَجْدِ. وَقَالَ الآخَرُ: (كامل)

يَا وَجْدُ شَأْنَكَ وَالْفُؤَادَ فَخَلِّنِي ... مَا الْمَرْءُ [مَأْخُوذاً] بِزَلَّةِ جَارِهِ[2]

فَأَسْنَدَ الأَمْرَ بِالتَّخْلِيَةِ إِلَى الْوَجْدِ مَعَ أَنَّ الْوَجْدَ هُوَ الْمُخَلَّى، إِذْ هُوَ مِنَ الْعَوَارِضِ اجْتَلَبَهَا لِفُؤَادِهِ الْمُحِبُّ. وَصَارَ الْوَجْدُ عَارِضاً مَجْلُوباً لَا أَثَرَ لَهُ فِي التَّخْلِيَةِ، فَالْحَقُّ أَنْ يَطْلُبَ نَفْسَهُ بِتَخْلِيَةِ الْوَجْدِ وَأَسْبَابِ الْوَجْدِ.

وَفِي الْبَيْتِ مِنَ الْحَشْوِ ذِكْرُ (**الْمَعَادِ وَعَادٍ وَإِرَمٍ**). لٰكِنْ لَيْسَ هٰذَا مِنَ الْحَشْوِ الْمَذْمُومِ لأَنَّهُ حَسَّنَ بِهِ الْبَيْتَ بِالتَّجْنِيسِ، وَأَطْنَبَ فِيهِ بِهٰذِهِ الأَلْفَاظِ الَّتِي أَخْبَرَتْ بِهَا الآيَاتُ؛ فَهُوَ فِي مَقَامٍ يُسْتَحَبُّ فِيهِ الإِطْنَابُ، لِكَوْنِهَا مِنْ جُمْلَةِ الْمَدْحِ الْعَظِيمِ فِي صَاحِبِ الْمُعْجِزَاتِ. وَتَعْدَادُ الْمُعْجِزَاتِ لِلْمُتَصَدِّي لِتَعْدَادِهَا لَيْسَتْ بِحَشْوٍ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا الْحَشْوُ مَا يُقِيمُ بِهِ الْوَزْنَ مَعَ خُلُوِّهِ مِنْ مَعْنًى زَائِدٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالْجَمْعُ بَيْنَ هٰذِهِ الْمُتَنَاسِبَاتِ مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ. وَتَقَدَّمَتْ حَقِيقَةُ هٰذَا اللَّقَبِ مِرَاراً فِي مَا تَقَدَّمَ.

---

(1) لوعتي: حرقتي واشتياقي. سهادي: سهري. اللسان: لوع، سهد.

(2) في الأصل: «مأخوذ»، والبيت لابن سهل الأندلسي في ديوانه: 199.

103 ـ قَالَ:

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ ... مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ[1]

شرح: [221]// يُرِيدُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ هُوَ مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَهُوَ مُعْجِزَةٌ مِنْ وُجُوهٍ: مِنْ جِهَةِ نَظْمِهِ، وَتَأْوِيلَاتِهِ، وَكَوْنِهِ مَعَ الإِكْثَارِ مِنْ تِلَاوَتِهِ، وَالانْكِبَابِ عَلَى دَرْسِهِ لَا يَمَلُّ مِنْهُ قَارِئُهُ، بَلْ تَتَجَدَّدُ لَهُ حَلَاوَةٌ بِتَجَدُّدِ تِلَاوَتِهِ؛ فَلَا يَزَالُ غَضّاً طَرِياً بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَارِئِهِ وَمُسْتَمِعِهِ، تُسْتَلَذُّ قِرَاءَتُهُ فِي الْخَلَوَاتِ، وَيُؤْنَسُ بِتِلَاوَتِهِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَيُتَحَصَّنُ بِهِ فِي الأَزَمَاتِ. لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ. نَطَقَتِ الآدَمِيُّونَ بِلَذَاذَةِ سَمَاعِهِ، وَكَثْرَةِ غَرَائِبِهِ، وَنَطَقَتِ الْجِنُّ بِحَلَاوَتِهِ وَظُهُورِ عَجَائِبِهِ، فَقَالُواْ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: 1، 2].

فَقَوْلُهُ: (**دَامَتْ لَدَيْنَا**) يَعْنِي: هٰذِهِ الْمُعْجِزَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي هِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ اسْتَظْهَرَ بِهَا نَبِيءٌ؛ كَانْقِلَابِ الْعَصَا حَيَّةً الَّتِي هِيَ مُعْجِزَةُ مُوسَى، وَغَيْرِهَا مِنْ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ. وَأَمَّا مُعْجِزَتُهُ ﷺ [الَّتِي هِيَ][2] الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ فَلَمْ يَزَلْ، تَوَلَّى اللهُ حِفْظَهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: 12 و63، والحجر: 9].

فَإِنْ قُلْتَ: وَالتَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ لَمْ يَزَلْ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

قُلْتُ: قَدْ وَقع فِيهِ التَّبْدِيلُ وَالْخَلْطُ وَالتَّغْيِيرُ. فَإِنَّ زَمَنَ بُخْتُ نَصَّرَ[3] حِينَ

---

(1) الديوان: 196.

(2) في الأصل: «الذي هو».

(3) قال في اللسان: «نصر: صنم. وقد نفى سيبويه هذا البناء في الأسماء، وبخت نصر: معروف، وهو الذي كان ضرب بيت المقدس، وقال الأصمعي: إنما هو بوختنصر فأعرب، وبوخت: ابن، ونصر: صنم، وكان وجد عند الصنم ولم يعرف له أب فقيل: هو ابن الصنم».

حَرَّفَهَا، أَعْنِي: التَّوْرَاةَ، تَوَلَّى جَمْعَهَا بَعْضُ رُؤُسَاءِ الْيَهُودِ، مَا ثَبَتُوا عَلَيْهِ كَتَبُوهُ، وَمَا ضَاعَ عَنْ أَفْكَارِهِمْ بَدَّلُوهُ. وَأَيْضاً فَإِنَّ التَّوْرَاةَ وَسَائِرَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ إِخْبَاراً بِمَا كُلِّفُوا وَمَا أُخْبِرُوا بِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ مِنْ كُتُبِ اللهِ لِلإِعْجَازِ إِلَّا مَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. فَإِنَّ مُوسَى ﷺ لَمَّا بُعِثَ فِي زَمَنِ السِّحْرِ كَانَتْ مُعْجِزَتُهُ قَلْبَ الْعَصَا حَيَّةً، فَإِنَّهَا مُعْجِزَةٌ، إِذْ لَمْ تَدْخُلْ تَحْتَ مَقْدُورِ الْبَشَرِ فَعَجَزَ السَّحَرَةُ وَآمَنُوا بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ. وَأَمَّا عِيسَى عليه السلام فَبُعِثَ فِي زَمَنِ الطِّبِّ، فَكَانَتْ مُعْجِزَتُهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءَ الأَكْمَهِ وَالأَبْرَصِ، وَأَنْ يَخْلُقَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَيَنْفُخَ فِيهِ فَيَكُونَ طَائِراً بِإِذْنِ اللهِ. وَأَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فَبُعِثَ فِي زَمَنِ فُصَحَاءِ الْعَرَبِ، فَكَانَتْ مُعْجِزَتُهُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، الَّذِي عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ. ثُمَّ انْقَرَضَتْ مُعْجِزَاتُ الأَنْبِيَاءِ، وَدَامَتْ مُعْجِزَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ. وَبِهٰذَا يَتَّضِحُ لَكَ أَنَّ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ قَامَتْ وَلَمْ تَدُم كَنَاقَةِ صَالِحٍ[1] وَمَا فِي مَعْنَى ذٰلِكَ مِمَّا قَدَّمْنَاهُ.

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**إِذْ جَاءَتْ**)، أَمَّا (**إِذْ**) فَبِهِ عَلَّلَ. وَ[لَوْ][2] قَالَ: (**إِذْ لَمْ تَدُمِ**) لَكَانَ كَافِياً فَقَوْلُهُ: (**جَاءَتْ**) مِنَ الْحَشْوِ الَّذِي أَقَامَ بِهِ وَزْنَ بَيْتِهِ.

وَكَذَا قَوْلُهُ: (**مِنَ النَّبِيئِينَ**) فَهُوَ أَيْضاً مِنَ الْحَشْوِ، فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ فِي الْكَلَامِ: دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ إِذْ لَمْ تَدُمِ، لٰكِنْ حَسُنَ الإِتْيَانُ بِهٰذَا الْحَشْوِ، لأَنَّهُ لَوْ قَالَ: (**إِذْ لَمْ تَدُمِ**) لَمَا فُهِمَ الضَّمِيرُ أَنَّهُ لِغَيْرِ مُعْجِزَتِهِ عليه السلام إِلَّا مِنْ قَوْلِهِ: (**دَامَتْ**)، وَإِلَّا كَانَ صَالِحاً أَنْ يَعُودَ (**وَلَمْ تَدُمِ**) لِنَفْسِ الْمُعْجِزَةِ. لٰكِنْ دَفَعَ هٰذَا الإِيهَامَ التَّنَاقُضُ الَّذِي يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ (**دَامَتْ**) وَ(**لَمْ تَدُمِ**) فَتَعَيَّنَ أَنَّ (**لَمْ تَدُمِ**) خَبَرٌ عَنْ مُعْجِزَةِ غَيْرِهِ. لٰكِنْ مَعَ ذٰلِكَ فَهُوَ حَشْوٌ حَسَنٌ لَا شَكَّ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْمُطَابَقَةُ فِي (**دَامَ**) الَّذِي بَدَأَ بِهِ وَ (**لَمْ تَدُمِ**) الَّذِي خَتَمَ بِهِ.

(1) هو نبي الله صالح عليه السلام نبي بني ثمود. ينظر: قصة ناقته في: البخاري: 6/ 295، قصص الأنبياء: 107 ـ 120.

(2) في الأصل: «لم».

[222]//[1] وَفِيهِ: الإِرْصَادُ، لأَنَّ مَنْ عَلِمَ قَافِيَةَ الْقَصِيدَةِ وَسَمِعَ: (**إِذْ جَاءَتْ**) لَقَالَ: (**وَلَمْ تَدُمِ**).

وَفِي قَوْلِهِ: (**مِنَ النَّبِيئِينَ**) تَفْوِيتُ مَعْنًى آخَرَ لَوْ جَلَبَهُ لَكَانَ أَبْلَغَ فِي مَدْحِ الْمُعْجِزَةِ؛ إِذْ لَوْ لَمْ يَذْكُرْ (**مِنَ النَّبِيئِينَ**) لَكَانَتْ فَائِقَةً كُلَّ مُعْجِزَةٍ جَاءَتْ مِنَ النَّبِيئِينَ أَوْ مِنْهُ، وَلَعَلَّ يَنْدَرِجُ فِي النَّبِيئِينَ مِنَ النَّبِيئِينَ هُوَ وَغَيْرُهُ، فَيَدْخُلُ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَنُطْقُ الْعَجْمَاءِ، وَتَكْثِيرُ الْقَلِيلِ، وَغَيْرُ ذٰلِكَ وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ سِوَاهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: فِي مَا قَالَهُ إِيضَاحُ مُحَالِ الْمُعْجِزَةِ، لأَنَّ قَوْلَهُ: (**مِنَ النَّبِيئِينَ**) يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَا تَكُونُ مِنْ غَيْرِ النَّبِيئِينَ؛ إِذْ مَا يَقَعُ خَارِقاً لِلْعَادَاتِ مِنْ غَيْرِ النَّبِيئِينَ يُسَمَّى كَرَامَةً.

وَيَقَعُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالْكَرَامَةِ بِوُجُوهٍ مِنْهَا: أَنَّ النبيَّ يَقُولُ: هٰذِهِ مُعْجِزَتِي، وَتَأْتِي عَلَى حَسَبِ مَا طَلَبَ. وَالْوَلِيُّ لَا يَقُولُ: هٰذِهِ كَرَامَتِي، وَيَطْلُبُهَا فَتَأْتِي عَلَى حَسَبِ مَا طَلَبَ، هٰذَا هُوَ مَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ. وَقَدْ قِيلَ: قَدْ يَطْلُبُ الْوَلِيُّ الْكَرَامَةَ وَتَأْتِي عَلَى حَسَبِ مَا يَطْلُب، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ فِي حَشْوِ النَّاظِمِ تَكْمِيلاً حَسَناً بِمَا أَبْدَيْنَاهُ مِنْ فَوَائِدِ زِيَادَتِهِ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْجَمْعُ وَالتَّفْرِيقُ، أَمَّا الْجَمْعُ: فَجَمْعُ الأَنْبِيَاءِ فِي جَرَيَانِ الْمُعْجِزَاتِ عَلَى أَيْدِيهِمْ. وَالتَّفْرِيقُ: فِي تَفْرِيقِهِ بَيْنَ مُعْجِزَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمُعْجِزَاتِ غَيْرِهِ مِنَ النَّبِيئِينَ.

وَ(**الْمُعْجِزَةُ**): مُفْعِلَةٌ، وَإِطْلَاقُ الإِعْجَازِه عَلَيْهَا مَجَازٌ، بَلِ الْمُعْجِزُ هُوَ اللهُ خَالِقُ الإِعْجَازِ فِي مَا يَقَعُ بِهِ الإِعْجَازُ. وَالتَّفْرِيقُ كَثِيرٌ أَيْضاً فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

(1) في الأصل خلط في ترتيب رقاص الأوراق، والصواب: الورقة: 222 مكان الورقة: 226، والورقة: 223 مكان الورقة: 227، والورقة: 224، مكان الورقة: 222، والورقة: 225، مكان الورقة: 223، والورقة: 226 مكان الورقة: 224، والورقة: 227 مكان الورقة: 225.

وَفِي الْبَيْتِ: الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ: فَإِنَّ قَوْلَهُ: (**فَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ**) دَلِيلُ دَعْوَاهُ عَدَمَ دَوَامِ غَيْرِهَا، فَإِنَّ كُلَّ دَعْوَى افْتَقَرَتْ إِلَى دَلِيلٍ وُجِيَ بِهِ كَانَ فِيهِ الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ. وَقَدْ تَمَّ دَلِيلُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ. وَقَدْ جَاءَ الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ فِي أَشْعَارِهِمْ [كَثِيراً][1]؛ وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ اللَّامِيَّةِ:

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي

حَيْثُ قَالَ: (طويل)

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ[2]

وَقَبْلَهُ: (طويل)

يَغُطُّ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ ... لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالِ[3]

فَكَأَنَّ كَلَامَهُ تَضَمَّنَ دَعْوَى فَاسْتَدَلَّ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ: (وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي) إِلَى آخِرِهِ. كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَيُمْكِنُ لَهُ مَا نَفَيْتُهُ عَنْهُ، وَعِنْدِي مِنَ الْحَزْمِ وَآلَةِ الْحَرْبِ مَا أَذْكُرُهُ؟

وَفِي الْبَيْتِ أَيْضاً: رَدُّ الْأَعْجَازِ عَلَى الصُّدُورِ، وَهُوَ مِنْ حُسْنِ أَلْقَابِ الْبَدِيعِ، فَإِنَّ (**دَامَتْ**) بَدَأَ بِهِ صَدْرَ الْبَيْتِ، وَخَتَمَ الْعَجُزَ بِمَا بَدَأَ بِهِ الصَّدْرَ، كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: (كامل)

سُكْرَانِ: سُكْرَ هَوًى، وسُكْرَ مُدَامَةٍ ... أَنَّا يَفِيقُ فَتًى بِهِ سُكْرَانِ[4]

يَعْنِي: بِالسُّكْرِ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ: (كامل)

جَيْعَانُ طَافَ عَلَى الْبُيُوتِ بِدُلِّهِ ... وَيَقُولُ: هٰذَا ضَيْفُكُمْ جَيْعَانُ

(1) في الأصل: «كثير».
(2) ديوانه: 38.
(3) ديوانه: 33.
(4) البيت للخليع الدمشقي: وهو من شواهد رد الأعجاز على الصدور في: اليتيمة: 1/287، الطراز: 39، نهاية الإيجاز: 7/109، المعاهد: 3/242، روضة الفصاحة: 89، بغية الإيضاح: 4/78.

104 ـ قَالَ:

مُحَكَّمَاتٌ فَمَا يُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ ... لِذِي شِقَاقٍ فَمَا يُلْقِينَ مِنْ حِكَمِ[1]

شرح: أَمَّا (**مُحْكَمَاتٌ**) بِتَخْفِيفِ الْكَافِ هُوَ نَصُّ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: 7]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: 1]، فَهِيَ ذَوَاتُ حِكَمٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجُلٌ مُحْكِمٌ مَنْسُوبٌ إِلَى الْحِكْمَةِ، أَوْ بِمَعْنَى: حَاكِمَاتٍ، حَكَّمَهَا اللهُ تَعَالَى، وَهُوَ اللَّائِقُ بِتَشْدِيدِ الْكَافِ، [223]// كَمَا هُوَ لَفْظُ الْكِتَابِ؛ وَمَعْنَاهُ: إِنَّ الْأَحْكَامَ الْجَارِيَةَ فِي الْخَلْقِ إِنَّمَا هِيَ [مُقْتَضَيَاتُ][2] أَوَامِرِ الْقُرْآنِ وَنَوَاهِيهِ، فَهِيَ جَمْعُ مُحَكَّمَةٍ بِتَشْدِيدِ الْكَافِ، حَكَّمَهَا اللهُ وَحَكَّمَهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَلِكَوْنِهِمْ أَذْعَنُوا لِأَحْكَامِهَا، وَرَضُوا بِمُقْتَضَيَاتِهَا؛ فَمَا أَحَلَّ لَهُمُ الْقُرْآنُ اسْتَعْمَلُوهُ، وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ تَرَكُوهُ. وَمَنْ لَمْ يُحَكِّمِ الْقُرْآنَ فِي وَقَائِعِهِ وَحَكَّمَهَا فِيهِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ؛ قَالَ اللهُ الْعَظِيمُ فِي شَأْنِ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

وَمِنْ بَلَاغَتِهَا وَفَصَاحَتِهَا يَطَّلِعُ السَّامِعُ عَلَى نَفَائِسِ مَعَانِيهَا بِأَبْلَغِ بَيَانٍ وَأَبْدَعِ تِبْيَانٍ، حَتَّى لَا تَبْقَى فِي قَلْبِ الْمُتَمَسِّكِ بِمَعَانِيهَا شُبْهَةٌ. فَمَنْ سَلَّمَ لِحُكْمِ كِتَابِ اللهِ ﷻ أَسْلَمَ، وَاسْتَسْلَمَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ غِشٌّ؛ لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَهُ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، وَفِيهِ كُلُّ هُدًى، فَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ. وَمَهْمَا حَاوَلَ مَنْ خَتَمَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا حُجَّةَ فِي حُجَّةٍ مِنْ حُجَجِهِ، بَطَلَتْ حُجَّتُهُ،

(1) الديوان: 196، برواية: «وما تبغين من حكم»، وفي شرح الجادري: 141 «ولا يبغين».
(2) في الأصل: «مقتضيا».

وَدَثَرَتْ مَحَجَّتُهُ، فَلَا حُجَّةَ لِذِي شِقَاقٍ بَعْدَ نُزُولِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَوْلُهُ: (**بِمَا يُلْقِينَ مِنْ حِكَمٍ**)، أَنْوَاعُ حِكَمِهِ لَا تَنْحَصِرُ: فَهُوَ مُعْجِزَتُهُ الْعُظْمَى، وَبِهِ انْقَطَعَ كُلُّ جَاحِدٍ، وَخَمَدَ كُلُّ مُعَانِدٍ.

وَيَصِحُّ تَفْسِيرُ (**مُحَكَّمَاتٌ**) بِكَوْنِهَا سَالِمَةً مِنَ الْخَلَلِ، مَهْمَا حَاوَلَ ذُو مُخَالَفَةٍ وَشِقَاقٍ فِي جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهَا خَلَلاً انْقَطَعَ؛ قَالَ اللهُ الْعَظِيمُ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ [النساء: 115] الآيَةَ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: (**بِمَا يُلْقِينَ مِنْ حِكَمٍ**) هُوَ مَا يَتَبَيَّنُ مِنْهَا مِنَ الْمَعَانِي الْهَادِيَةِ.

وَفِي قَوْلِ النَّاظِمِ: (**مُحْكَمَاتٌ**) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمُتَّضِحِ الْمَعْنَى هُوَ الْمُحَكَّمُ الْمُحْكَمُ؛ حَكَمَتْهَا الْقُدْرَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، وَأَتْقَنَتْ فَصَاحَتَهَا وَبَلَاغَتَهَا إِلَى حَدِّ الإِعْجَازِ.

(**فَمَا يُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ**)، أَيْ: مَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ حَتَّى يَرَى بِبَصِيرَتِهِ وَيَطَّلِعَ عَلَى مَعَانِيهَا لَا يَبْقَى عِنْدَهُ شَكٌّ فِي نُبُوَّةِ الَّذِي جَاءَ بِهَا ﷺ.

وَأَشَارَ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ: (**فَمَا يُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ لِذِي شِقَاقٍ**)[1] إِلَى مَحْوِ الشُّبَهِ مِنْ قُلُوبِ أَهْلِ الْمُخَالَفَةِ حَتَّى يُذْعِنُوا وَيُجِيبُوا وَيَنْقَادُوا إِلَى طَاعَتِهِ ﷺ، وَكَانَتِ النَّاسُ أَقْسَاماً ثَلَاثَةً:

عَالِماً بِطَبْعِهِ مِنْ صِغَرِهِ، حَافِظاً لِسِيَرِهِ، تَقَرَّرَ فِي قَلْبِهِ مَا تَحَقَّقَ عِنْدَهُ مِنْ سَلَامَةِ صَدْرِهِ وَعِظَمِ خُلُقِهِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ وَخَدِيجَةَ[2]، فَهَؤُلَاءِ لَوْ كُشِفَ لَهُمُ الْغِطَاءُ مَا ازْدَادُوا يَقِيناً.

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ مُخَالَطَةٌ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ لَهُ غِشٌّ وَلَا

(1) الديوان: 196.

(2) هي خديجة بنت خويلد ﵂، أم المؤمنين وزوج النبي صلى الله وسلم عليهما، كانت تحت أبي هالة بن زرارة التميمي، ولها منه هند الصحابي الذي قتل مع علي يوم الجمل، وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة. ينظر: ابن هشام: 1/ 189 ـ 190.

حَسَدٌ، وَظَهَرَتْ لَهُ الْمُعْجِزَاتُ، وَبَهَرَتْ عِنْدَهُ الْبَرَاهِينُ، فَهَؤُلَاءِ آمَنُوا إِيمَاناً مُصَمِّماً، وَتَرَقَّوْا فِي دَرَجَاتِ الإِسْلَامِ كَصُهَيْبٍ[1] وَخَبَّابٍ[2] وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ[3].

وَمِنْهُمْ قِسْمٌ ثَالِثٌ سَبَقَ لَهُمُ الْقَدَرُ بِشَقْوَتِهِمْ كَأَبِي جَهْلٍ وَأَصْحَابِهِ الأَشْقِيَاءِ، فَهَؤُلَاءِ عَايَنُوا مَا صَحَّحَ عِنْدَهُمْ صِدْقَهُ ﷺ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ فِي صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ رَيْبٌ، غَلَبَتْ عَلَيْهِ شَقْوَتُهُ فَيَكْفُرُ عِنَاداً.

فَأَبُو بَكْرٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي حَيِّزِ قِسْمِهِ عَلِمَ صِدْقَهُ بِمُجَرَّدِ دَعْوَاهُ إِلَى النُّبُوءَةِ. وَسَكَتَ النَّاظِمُ عَنْ ذِكْرِ هَٰذَا الصِّنْفِ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ عَلَى مَنْ كَانَتْ لَهُ مُخَالَفَةٌ وَشِقَاقٌ لِعَدَمِ مُخَالَطَتِهِ إِيَّاهُ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ [224]// مَا أَزَالَ مِنْ قَلْبِهِ تِلْكَ الشُّبَهَ.

وَإِنَّمَا ذَكَرَ النَّاظِمُ ذَا الشِّقَاقِ الَّذِي ذَهَبَتْ شُبُهَاتُ قَلْبِهِ حِينَ اتَّضَحَتْ لَهُ مُعْجِزَاتُهُ، لأَنَّهُ مِنْ بَابِ الاسْتِدْلَالِ عَلَى قُوَّةِ الْمُعْجِزَةِ، لأَنَّهُ إِذَا ظَهَرَتِ الْمُعْجِزَاتُ لِذِي الشِّقَاقِ وَآمَنَ أَحْرَى أَنْ يُؤْمِنَ مَنْ كَانَ عَالِماً بِصِدْقِهِ، بَصِيراً بِأَمَانَتِهِ. وَلَمَّا شَهِدَتِ الْمُعْجِزَاتُ بِصِدْقِ مَنْ تَحَدَّى الْخَلْقَ بِهَا كَانَتْ شَاهِدَةً لِصِدْقِهِ، حَاكِمَةً لِنَفْسِهَا بِصِدْقِهَا، لَيْسَتْ كَالْمَأْلُوفِ فِي مَنْ قَامَ يَطْلُبُ حَقّاً وَأَقَامَ عَلَيْهِ بَيِّنَةً، فَإِنَّهُ يَفْتَقِرُ إِلَى مَنْ يُنَفِّذُ لَهُ الْحُكْمَ، وَالْمُعْجِزَاتُ إِذَا ظَهَرَتْ هِيَ الشَّاهِدَةُ وَالْحَاكِمَةُ بِصِدْقِ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ.

(1) هو صهيب بن سنان بن مالك بن عمرو بن النصر النمري، ويعرف بالرومي، من كبار السابقين البدريين، (ت33هـ). ترجمته في: (ط ابن سعد: 4/ 226، ط خليفة: 19 ـ 62، الاستيعاب: 5/ 147، أسد الغابة: 3/ 36، تهذيب التهذيب: 4/ 438، سير النبلاء: 2/ 17).

(2) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، صحابي جليل، شهد المشاهد كلها. ترجمه في: (الحلية: 1/ 143، الصفوة: 1/ 168، الإصابة: 1/ 416).

(3) هو سلمان الفارسي أصله من مجوس أصبهان، نشأ في قرية جيان، ثم رحل إلى الشام فالموصل، صحابي جليل، عالم، صاحب فكرة الخندق. ترجمته في: (الحلية: 1/ 185، الصفوة: 1/ 210، الإصابة: 3350، الأعلام: 3/ 112).

وَقَدْ يُوجَدُ فِي الْمُدْلِينَ بِالْحَجَجِ، الْمُثْبِتِينَ شُهُوداً عَلَى دَعَاوِيهِمْ مَنْ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى حُكْمِ حَاكِمٍ؛ كَمَنْ ضَاعَ لَهُ فِي جَحْفَلٍ كَبِيرٍ حَاجَةٌ، ثُمَّ ظَهَرَتْ وَعَرَفَهَا كُلُّ مَنْ حَضَرَ حَتَّى تَوَاتَرَتْ شَهَادَتُهُمْ، وَحَصَلَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْكَذِبُ عَادَةً، لَا يَسَعُ الْخَصْمَ وُقُوفٌ إِلَى حَاكِمٍ لِأَنَّ نِهَايَةَ مَا يَحْمِلُ الْحَاكِمُ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ عَلَى أَنْ يَضْرِبَ لَهُ أَجَلاً يَدْفَعُ بِهِ فِي بَيِّنَتِهِ، أَوْ يُعَارِضُهَا بِأَعْدَلَ مِنْهَا؛ فَلَمَّا أَجْمَعَ أَهْلُ الْمَوْضِعِ عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاه، وَكَانَ الْمُدَّعِي لَا يَدَّعِي أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَوْقَهَا، وَإِنَّمَا يَقُولُ: عِنْدِي نَشَأَتْ، بَطَلَ الإِعْذَارُ، وَسَقَطَتِ الْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعِي.

فَكَذٰلِكَ شَهَادَةُ الْمُعْجِزَةِ لِمَنِ ادَّعَى أَنَّهَا آيَتُهُ، وَعَجزَ الْخَلْقُ عَنِ الْمُعَارَضَةِ، كَانَتِ الآيَةُ شَاهِدَةً حَاكِمَةً. وَبِهٰذَا الْمَأْخَذِ سَمَّاهَا النَّاظِمُ **(مُحَكَّمَاتٌ)**، وَلَوْلَا الْفَصْلُ بِقَوْلِهِ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ؛ **(صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ)** بَيْنَ **(آيَاتٌ)** وَبَيْنَ **(مُحَكَّمَاتٌ)** لَكَانَ الأَحْسَنُ فِي إِعْرَابِ **(مُحَكَّمَاتٌ)** النَّعْتِيَّةُ، لٰكِنْ بَعْدَ وُقُوعِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ السَّابِقِ بَدَلاً يَضْعُفُ نَعْتُهُ بِالنَّكِرَةِ، لِأَنَّهُ اسْتَفَادَ التَّعْرِيفَ مِنْ بَدَلِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ مِنْهُ، فَيَصِيرُ النَّعْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِالنَّكِرَةِ كَنَعْتِ الْمَعْرِفَةِ بِالنَّكِرَةِ، وَهُوَ لَا يَجُوزُ فَيُسْتَحْسَنُ طَلَبُ إِعْرَابٍ ثَانٍ، وَ[أَقْرَبُهُ][1] الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَإٍ مُضْمَرٍ، أَيْ: هِيَ مُحَكَّمَاتٌ. وَلَا نَعْنِي مَا صَيَّرَ السَّابِقَ كَالْمَعْرِفَةِ إِضَافَتُهُ لِـ **(صِدْقٍ)**، لِأَنَّ تِلْكَ إِضَافَةٌ غَيْرُ مَحْضَةٍ.

وَفِي الْبَيْتِ: تَجْنِيسٌ مِنْ **(مُحَكَّمَاتٌ)** وَ**(حِكَمٍ)**. وَتَجْنِيسُ حَرْفٍ بَيْنَ **(يُبْقِينَ)** وَ**(يَبْغِينَ)**.

وَعَلَى تَفْسِيرِ **(مُحَكَّمَاتٌ)** بِوَاضِحَةِ الدِّلَالَةِ حَصَلَ الطِّبَاقُ، لِجَمْعِهِ فِي الْبَيْتِ بَيْنَ الْمُحْكَمَاتِ وَالشُّبَهِ.

---

(1) في الأصل: «أقربها».

وَفِيهِ: التَّقْسِيمُ، لِتَعَدُّدِ أُمُورِهِ الْمُجْتَمِعَةِ فِيهِ، إِذْ خَصَّ الشُّبَهَ بِحُكْمٍ، وَالإِحْكَامَ بِحُكْمٍ؛ انْظُرْ قَوْلَ الشَّاعِرِ: (مديد)

كُلَّمَا شُنَّتْ عَلَيْهِمْ غَارَةٌ ... أَغْمَدُوا الْبِيضَ وَسَلُّوا الأَعْيُنَا[1]

فَخَصَّ كُلًّا مِنَ الْبِيضِ وَالأَعْيُنِ بِحُكْمٍ يَخُصُّهُ. وَلَيْسَ هٰذَا الْبَيْتُ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (مديد)

يَا غَزَالاً صَادَ بِاللَّحْظِ أَسَدْ ... جَوْرُهُ مِنْ عَدْلِهِ عِنْدِي أَشَدْ
كُلَّمَا أَمَّلْتُ مِنْهُ رُخْصَةً ... قَالَ: لَا أَحْكُمُ إِلَّا بِالأَشَدْ

فَإِنَّ (الرُّخْصَةَ وَالأَشَدَّ) وَ(الْجَوْرَ وَالْعَدْلَ) يُظْهِرَانِ شَيْئاً مِمَّا فِي الْبَيْتِ، لٰكِنْ بِصَرِيحٍ، لٰكِنْ يَحْصُلُ بَعْدَ تَأَمُّلٍ.

وَ**(الْفَاءُ)** مِنْ قَوْلِهِ: **(فَمَا يُبْقِينَ)** دَاخِلَةٌ عَلَى الْبَيْتِ، وَمَا تَقَدَّمَ يَقْتَضِيهِ، وَمَا بَعْدَ **(الْفَاءِ)** كَالْمُسَبَّبِ عَنْ هٰذَا السَّبَبِ، وَهُوَ مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيلِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (كامل)

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ[2]

فَإِنَّ صَدْرَ الْبَيْتِ تَعْلِيلٌ لِعَجْزِهِ، فَعَجُزُهُ مُسَبَّبٌ عَنْ صَدْرِهِ.



---

(1) البيت لمهيار الديلمي في ديوانه: 2/ 179، رفع الحجب المستورة: 1/ 191.

(2) البيت لعدي بن الرقاع العاملي من قصيدة في مدح الوليد بن عبد الملك، وهو من الشواهد في: مجاز القرآن: 1/ 78، التشبيهات: 90، الوحشيات: 319، كفاية الطالب: 166، العمدة: 1/ 512، السمط: 1/ 521، أمالي المرتضى: 1/ 511، شرح المقامات: 1/ 20، المستطرف: 2/ 16، «تلاعبت»، شواهد المغني: 4/ 97، الأشباه والنظائر: 1/ 165.

105 ـ قَالَ:

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَادَ مِنْ حَرَبِ   **أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلِمِ**[1]

شرح: [225]// هٰذَا الْبَيْتُ يَشْهَدُ لِمَضْمُونِ مَا قَبْلَهُ، لأَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ: مَا يُبْقِينَ شُبَهاً لِذِي شِقَاقٍ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ حِكَمٍ، أَعْجَزَتِ الْمُعَارِضَ، إِذْ ذٰلِكَ مِمَّا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِ الْبَشَرِ، لٰكِنْ هُوَ أَخْذَ بِمَفْهُومٍ، فَصَرَّحَ بِهِ فِي هٰذَا الْبَيْتِ، فَقَالَ: (**مَا حُورِبَتْ قَطُّ**) إِلَى آخِرِهِ. وَهٰذِهِ الْمَادَّةُ مُشْتَرَكَةٌ، أَعْنِي: مَادَّةَ (حَرَبَ)، تَكُونُ بِمَعْنَى: **السَّلْبِ**، تَقُولُ: حَارَبْتُ زَيْداً، أَيْ: سَلَبْتُ ثِيَابَهُ؛ وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمُحَارِبُ [مُحَارِباً][2]. وَبِمَعْنَى: **الطَّعْنِ**. حَرَبْتُهُ بِالْحَرْبَةِ، أَيْ: طَعَنْتُهُ بِهَا. وَهٰذَا كُلُّهُ بِفَتْحِ الرَّاءِ. وَتَقُولُ: حَرِبْتُ بِكَسْرِ الرَّاءِ، أَيْ: [**غَضِبْتُ**][3].

وَمَصْدَرُ الأَوَّلِ وَالثَّالِثِ: «الْحَرَبُ» بِفَتْحِ الرَّاءِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ سَهْلٍ[4]: (بسيط)

هَلْ يَغْضَبُ الْحُسْنُ إِنْ نَادَيْتُ وَا حَرَبَا[5]

تَشَكِّياً مِنْهُ بِغَضَبِ مَحْبُوبِهِ.

وَمَصْدَرُ الثَّانِي «حَرْبٌ» بِسُكُونِ الرَّاءِ. وَالرُّبَاعِيُّ أَحْرَبْتُ الْحَارِبَةَ، أَيْ:

(1) الديوان: 196.
(2) في الأصل: «محارب».
(3) في الأصل: «عضبت».
(4) هو إبراهيم بن سهل الإشبيلي أبو إسحاق، شاعر غزل من الكتاب، كان يهودياً وأسلم. (ت609هـ). ترجمته في: (فوات الوفيات: 1/ 23، المغرب: 1/ 269، الأعلام: 1/ 42، أعلام المغرب العربي: 1/ 97).
(5) البيت في ديوانه: 74، وعجزه: «فقلت واحَرَبا والصمت أجْدَر بي».

دَلَلْتُهَا عَلَى غَنِيمَةٍ مِنْ مَالِ الْعَدُوِّ. وَحَارَبْتُ الْعَدُوَّ، أَيْ: قَاتَلْتُهُ، أَوْ غَالَبْتُهُ. وَتَكُونُ بِالسِّلَاحِ حَقِيقَةً وَبِالْمُخَاصَمَةِ مَجَازاً.

وَ(**حُورِبَتْ**) هُنَا بِالْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ مِنْ بَابِ الاسْتِعَارَةِ، وَمَعْنَاهُ: مَا رَامَ قَطُّ عَدُوٌّ كَافِرٌ مُحَارَبَةَ هٰذِهِ الآيَاتِ لِمُنَاقَضَةٍ، أَوْ مُعَارَضَةٍ، إِلَّا انْقَلَبَ عَلَى عَقِبِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً؛ لأَنَّهُ إِذَا عَجَزَ عَنِ الْمُعَارَضَةِ عَادَ إِلَى عَقْلِهِ مَسْلُوبَ الْقُدْرَةِ، إِنْ قُلْنَا بِمَذْهَبِ الصَّرْفَةِ، أَوْ مَسْلُوبَ الْقَلْبِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنَ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَالرَّصْفِ، وَإِحْكَامِ الْحِكَمِ، فَيَعُودُ بَعْدَ شِدَّةِ عَدَاوَاتِهِ مُنْقَاداً إِلَى مُقْتَضَى مَعَانِيهَا، عَامِلاً بِمَا أَوْجَبَ نَصُّهَا وَفَحْوَاهَا.

وَ(**لِلسَّلَمِ**) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَحَامِلُ: يَكُونُ بِمَعْنَى: الانْقِيَادِ وَالاسْتِسْلَامِ. وَبِمَعْنَى: السَّلْبِ. وَيَكُونُ اسْمَ شَجَرٍ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدُ فِي قَوْلِهِ: (**وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا عَنِ السَّلَمِ**)[1]. وَوَاحِدُهُ: سَلَمَةٌ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (بسيط)

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُوَاصِلُنِي   يَرْمِي عَلَيَّ بِأُمْ سَهْمٍ وَأُمْ سَلَمَه[2]

وَيَكُونُ بِفَتْحِ السِّينِ وَكَسْرِهَا مَعَ سُكُونِ اللَّامِ بِمَعْنَى: الإِسْلَامِ وَالْمُسَالَمَةِ. وَبِمَعْنَى: الصُّلْحِ. وَيَكُونُ مَعَ فَتْحِ اللَّامِ وَالسِّينِ أَيْضاً بِمَعْنَى: الصُّلْحِ. وَالسَّلْمُ أَيْضاً بِسُكُونِ اللَّامِ وَفَتْحِ السِّينِ: الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ. ذَكَرَهُ الْعُزَيْزِيُّ فِي «**غَرِيبُ الْقُرْآنِ**»[3].

وَقَالَ ابْنُ الْقُوطِيَّةِ[4]: «سَلَمَتْهُ الْحَيَّةُ سَلْماً: عَضَّتْهُ. وَسَلَمْتُ الأَدِيمَ:

(1) الديوان: 199، صدره: «شاكي السلاح لهم سيما تميزهم».
(2) البيت في: فض الختام عن التورية والاستخدام للصفدي: 149 «يرمي وراني» وهو بدون عزو. شرح الأشمونية: باب الموصول. حاشية الصبان: الموصول.
(3) غريب القرآن للعزيزي: 218، طرة: (لم أر ما ذكر في «ابن عزيز»،بل ما ذكر صحيح في ابن العزيزي صح عنه).
(4) هو أبو بكر محمد بن عمر بن القوطية، رأس في اللغة والنحو وحفظ الأخبار وأيام الناس، كثير التصانيف: ترجمته في: (تاريخ علماء الأندلس: 1/ 370، بغية الوعاة: 1/ 198، شذرات الذهب: 3/ 62، طبقات المالكية: 99).

دَبَغْتُهُ بِالسَّلَمِ، وَهُوَ شَجَرٌ. وَسَلِمْتُ الدَّلْوَ: فَرَغْتُ مِنْ عَمَلِهَا. وَسَلِمَ سَلَامَةً: **نَجَا** مِنْ مَكْرُوهٍ. وَأَسْلَمَ: انْقَادَ: وَفِي الشَّيْءِ: أَسْلَفَ فِيهِ. وَفِي الدِّينِ: دَخَلَ فِيهِ»[1].

فَقَوْلُهُ: (**مُلْقِيَ السَّلَمِ**): مُذْعِناً الانْقِيَادَ، مُتَّبِعاً، أَوْ مُصَالِحاً بِدُخُولِهِ فِي الدِّينِ، أَوْ [طَالِباً][2] الْمُسَالَمَةَ.

وَ(**الأَعَادِي**): جَمْعُ عَدُوٍّ، وَقَعَتْ وَاوُهُ اللَّامِيَّةُ طَرَفاً، فَقُلِبَتْ بَعْدَ رَفْضِ ضَمَّتِهَا يَاءً. وَأَصْلُ عَدُوٍّ عَدُوْوٌ، اجْتَمَعَ وَاوَانِ، فَحُرِّكَتِ الثَّانِيَةُ بَعْدَ سُكُونِ الأُولَ، فَأُدْغِمَتَ السَّاكِنَةُ فِي الْمُتَحَرِّكَةِ فَصَارَ عَدُوّاً.

وَ(**عَادَ**) هٰذِهِ بِمَعْنَى: صَارَ: وَ(**مُلْقِيَ**): هُوَ خَبَرُهَا. وَ(**أَعْدَى**): هُوَ اسْمُهَا. (**الأَعَادِي**): مُضَافٌ إِلَيْهِ. وَ(**أَعْدَى**): اسْمُ تَفْضِيلٍ عَلَى وَزْنِ أَفْعَلَ، وَأَصْلُهُ أَعْدَوَ، ثُمَّ أُبْدِلَ الْوَاوُ يَاءً لِوُقُوعِهِ طَرَفاً [226]// ثُمَّ كُسِرَتْ لِلإِضَافَةِ، فَاسْتُثْقِلَتِ الْكَسْرَةُ تَحْتَ الْيَاءِ، فَأُزِيلَتِ الْكَسْرَةُ وَبَقِيَتِ الْيَاءُ سَاكِنَةً.

وَفَسَّرَ بَعْضُ الأَصْحَابِ (**حُورِبَتْ**) بِقُوتِلَتْ، وَفَسَّرَ (**الْحَرْبَ**) بِالْجَرْحِ وَالضَّجَرِ وَهٰذَا - وَاللهُ أَعْلَمُ - مِنْهُ تَفْسِيرُ مَعْنًى أَدْرَكَهُ بِقُوَى عَقْلِهِ، وَأَمَّا مَا حَفِظْنَاهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ مَا بَسَطْنَاهُ.

وَ(**السَّلْمُ**): خِلَافُ الْحَرْبِ. وَهٰذَا فِي التَّفْسِيرِ أَضْعَفُ مِنَ الأَوَّلِ، إِذْ خِلَافُ الْحَرْبِ: الْجُلُوسُ وَالرُّقَادُ. وَأَغْيَارُ الْحَرْبِ كَثِيرَةٌ: كَالْبَيْعِ. وَفِيهِ مَا رَأَيْتَ مِنْ ضُعْفِ الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَتِهِ.

وَبَقِيَتْ أَبْحَاثُ الأَوَّلِ أَنْ يُقَالَ: ظَاهِرُ كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّهُ مَا حَارَبَهَا أَحَدٌ إِلَّا أَلْقَى إِلَيْهَا السَّلَمَ، وَالْحَصْرُ بِـ (**إِلَّا**) يَقْتَضِي اسْتِغْرَاقَ الْمَحْصُورِ، وَنَحْنُ نَرَى كَثِيراً مِمَّنْ حَارَبَهَا لَمْ يَزَلْ عَلَى كُفْرِهِ؟

---

(1) كتاب الأفعال لابن القوطية: 75 - 76، وينظر: أفعال السرقسطي: 3/ 510، وأفعال ابن القطاع: 2/ 129 مادة/ سلم.

(2) في الأصل: «مطالب».

وَالْجَوَابُ: إِنَّا نَقُولُ: مُحَارَبَةُ مَنْ حَارَبَهَا بِالطَّعْنِ فِيهَا، فَإِذَا طُلِبَ بِالْمُعَارَضَةِ أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ، فَقَدْ سَالَمَ، أَيْ: أَقَرَّ بِالْعَجْزِ، وَإِذَا أَقَرَّ بِالْعَجْزِ فَقَدْ أَلْقَى السَّلَمَ، وَإِنْ آمَنَ مَنْ آمَنَ، أَوْ كَفَرَ مَنْ بَقِيَ عَلَى كُفْرِهِ عِنَاداً.

وَجَوَابٌ ثَانٍ: إِنَّ الْحَصْرَ قَدْ يَكُونُ عَامّاً، وَقَدْ يَكُونُ حَصْرَ بَعْضِ أَفْرَادِ الْمَحْصُورِ؛ فَقَدْ يَكُونُ مِنْهُ، وَقَدْ يَكُونُ مَا حَارَبَهَا قَطُّ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ سَابِقَةُ الإِيمَانِ إِلَّا عَادَ مُلْقِيَ السَّلَمِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَمَّا طُلِبَ بِالْمُعَارَضَةِ وَعَجَزَ كَعَّ عَنِ التَّأَمُّلِ فِي مَعَانِيهَا، فَانْصَرَفَ عَاجِزاً مَغْلُوباً عَنِ الْمُعَارَضَةِ، وَلَوْ تَأَمَّلَ لَحَصَلَ لَهُ مُوجِبُ مُقْتَضَاهَا مِنَ الإِيمَانِ بِهَا. لٰكِنَّهُمْ مَا تَهَمَّمُوا إِلَّا بِالْمُعَارَضَةِ، فَلَمَّا عَجَزُوا تَرَكُوا التَّأَمُّلَ. وَقَدْ تُتْلَى عَلَيْهِمُ الآيُ فَيُعْرِضُونَ عَنْ سَمَاعِهَا. كَمَا قَالَ نُوحٌ ﷺ: ﴿جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [نوح: 7] الآيَةَ. وَقَدْ وَقَعَ هٰذَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ حِينَ دَخَلَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ وَأَرَادَ أَنْ يُبَلِّغَ لَهُمْ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا بِسَمَاعِهِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: هٰذَا الصِّنْفُ مَا حَارَبَ قَطُّ الآيَاتِ، وَأَمَّا مَنْ حَارَبَهَا فَإِنَّهُ لَا يَأْخُذُ فِي مُعَارَضَتِهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَدَبَّرَ الآيَ، وَيَتَفَهَّمَ الْمَعَانِيَ، فَإِذَا رَأَى بَحْراً لَا سَاحِلَ لَهُ حَصَلَ لَهُ الإِيمَانُ وَأَلْقَى السَّلَمَ؛ فَيَكُونُ الَّذِينَ بَقَوْا عَلَى كُفْرِهِمْ مَا حَصَلَ فِي آذَانِهِمْ شَيْءٌ مِنْ سَمَاعِ مَا تَضَمَّنَتْهُ الآيُ، وَهُوَ جَوَابٌ حَسَنٌ وَوَاضِحٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْمُعَادَاةُ قَدْ تَكُونُ مِنْ أَجْهَلِ الْجَهَلَةِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنَ الْفُصَحَاءِ اللُّسْنِ، فَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْجَهَلَةِ فَلَا يَسْتَلْزِمُ إِعْرَاضُ الْجَاهِلِ عَنِ الشَّيْءِ بَلَاغَةَ الشَّيْءِ الْمَعْرُوضِ عَنْهُ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ سَمِعَ مِنْ رَجُلٍ شِعْراً مُسْتَقِيماً أَوْ مَكْسُوراً، فَسَمَاعُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَارِفاً بِأَوْزَانِ الشِّعْرِ وَعَدَمُ سَمَاعِهِ سِيَّانِ، وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا أَبْلَغُ الْبُلَغَاءِ وَأَفْصَحُ الْفُصَحَاءِ يُلْقِي السَّلَمَ؟

وَالْجَوَابُ: إِنَّ الْجَهَلَةَ كَانُوا تَبَعاً لِرُؤَسَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، وَمَنْ لَهُ فَصَاحَةٌ

وَبَرَاعَةٌ، فَهُمُ الْمَنْسُوبُونَ إِلَى عَقْدِ الْعَدَاوَاتِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ قَالَ لِجَاهِلٍ: لِمَ لَمْ تَعْمَلُوا عَلَى مَا بُعِثَ إِلَيْكُمْ بِهِ رَئِيسُكُمْ؟ فَيَقُولُ: نَحْنُ لَا نُبْدِي وَلَا نُعِيدُ، وَإِنَّمَا نَحْنُ تَبَعٌ لأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ رُؤَسَائِنَا. وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا مَتْبُوعِينَ فَهُمْ (**أَعْدَى الأَعَادِي**). وَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ، فَهُمْ أَهْلُ خِصَامِهِمْ وَمُجَادَلَتِهِمْ، فَهُمْ أَفْصَحُ فُصَحَائِهِمُ الَّذِينَ يُدْلُونَ بِحُجَجِهِمْ، كَمَا كَانَ ذٰلِكَ فِي أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ؛ فَحَسُنَ ذِكْرُ (**أَعْدَى الأَعَادِي**)، وَأَنَّهُ يُوفِي بِمَعْنَى: أَفْصَحَ فُصَحَائِكُمْ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ وَصْفِ الْعَدَاوَةِ. وَإِلَّا قَدْ يُقَالُ: أَفْصَحُ الْفُصَحَاءِ - إِذَا أَلْقَى السَّلَمَ - لَعَلَّهُمْ مَنْ آمَنَ، لأَنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ [227]// مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَفْصَحَ الْفُصَحَاءِ كَعَلِيٍّ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، فَكَانَ فِي قَوْلِهِ: (**أَعْدَى الأَعَادِي**) بَلَاغَةٌ لَمْ تَكُنْ فِي الْعِبَارَةِ الأُخْرَى.

وَفِي الْبَيْتِ: الطِّبَاقُ مِنْ (**حُورِبَتْ**) وَ(**حَرَبٍ**) عَلَى رَأْيٍ فِي تَفْسِيرِ (**حَرَبٍ**).

وَتَعَلَّقَ الْمَجْرُورُ مِنْ قَوْلِهِ: (**إِلَيْهَا**) بِقَوْلِهِ: (**مُلْقِي**). وَلَا يَبْعُدُ تَعَلُّقُهُ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (**أَعْدَى**)، وَيَكُونُ مَعْنَى الْمَعْنَى لَامَ التَّعْدِيَةِ، لأَنَّهُ أَوْلَى مِنْ (**إِلَى**) كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن: 14].

وَفِي مَا بَيْنَ الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ طِبَاقٌ آخَرُ مِنْ (**أَعْدَى الأَعَادِي**) وَ(**مُلْقِي السَّلَمِ**).



106 - قَالَ:

رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا ... رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحُرَمِ[1]

شرح: تَكَلَّمَ رَجُلٌ بِحَضْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ ﷺ: «كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ؟ فَقَالَ: شَفَتَايَ وَأَسْنَانِي. فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَكْرَهُ الانْبِعَاثَ فِي الْكَلَامِ، فَنَضَّرَ اللهُ وَجْهَ رَجُلٍ أَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ وَاقْتَصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ»[2].

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: «فِيمَ الْجَمَالُ؟ فَقَالَ: فِي اللِّسَانِ، يُرِيدُ الْبَيَانَ»[3].

وَقَالَ أَصْحَابُ الْمَنْطِقِ: «حَدُّ الإِنْسَانِ: الْحَيُّ النَّاطِقُ الْمَيِّتُ. فَمَنْ كَانَ فِي الْمَنْطِقِ أَعْلَى رُتْبَةً كَانَ بِالإِنْسَانِيَّةِ أَوْلَى»[4].

وَقَالُوا: «الرُّوحُ عِمَادُ الْجَسَدِ، وَالْعِلْمُ عِمَادُ الرُّوحِ، وَالْبَيَانُ عِمَادُ الْعِلْمِ»[5].

وَسُئِلَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ: مَا الْبَلَاغَةُ؟ فَقَالَ: «قَلِيلٌ يُفْهَمُ، وَكَثِيرٌ لَا يُسْأَمُ»[6].

وَقَالَ آخَرُ: «الْبَلَاغَةُ: إِذَاعَةُ اللَّفْظِ وَإِشْبَاعُ الْمَعْنَى»[7].

---

(1) الديوان: 196.

(2) في العمدة: 1/ 417 - 418 «الانبعاق» وهو الاندفاع. والانبعاث: الإسراع.

(3) المستدرك: 3/ 373، شعب الإيمان: 4/ 249، تأويل مختلف الحديث: 1/ 297، نوادر الأصول: 4/ 36، تلخيص الحبير: 4/ 27، فضائل الصحابة لابن حنبل: 2/ 917، كشف الخفاء: 1/ 33، البيان والتبين: 1/ 107، العمدة: 1/ 418.

(4) في البيان والتبين: 1/ 77 «حد الإنسان الحي الناطق المبين»، العمدة: 1/ 418.

(5) الكلام في البيان والتبين: 1/ 77 منسوب إلى ابن التوأم «عماد البدن»، العمدة: 1/ 418 «عماد الجسد».

(6) العمدة: 1/ 418.

(7) العمدة: 1/ 418 «إجاعة اللفظ».

وَقَالَ آخَرُ: «مَعَانٍ كَثِيرَةٌ فِي أَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ».

وَقَالَ آخَرُ: «إِصَابَةُ الْمَعْنَى، وَحُسْنُ الإِيجَازِ».

وَسُئِلَ بَعْضُ النَّاسِ مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: «أَسْهَلُهُمْ لَفْظاً، وَأَحْسَنُهُمْ بَدِيهَةً».

وَقَالَ الْخَلِيلُ: «الْبَلَاغَةُ كَلِمَةٌ تَكْشِفُ عَنِ الْبُغْيَةِ»[1].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «الْبَلَاغَةُ: الإِيجَازُ مِنْ غَيْرِ عَجْزٍ وَالإِطْنَابُ مِنْ غَيْرِ خَطَلٍ»[2].

وَكَتَبَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ[3] إِلَى [عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ][4]: إِذَا كَانَ الإِكْثَارُ أَبْلَغَ كَانَ الإِيجَازُ تَقْصِيراً، وَإِذَا كَانَ الإِيجَازُ كَافِياً كَانَ الإِكْثَارُ عِيّاً.

وَأَنْشَدَ الْمُبَرِّدُ[5] فِي صِفَةِ خَطِيبٍ: (متقارب)

طَبِيبٌ يُدَاوِي فُنُونَ الْكَلَا ... مِ، لَمْ يَعْيَ يَوْماً وَلَمْ يَهْذِرِ[6]

فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ ... قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى الْمُنْزِرِ

وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ ... قَضَى لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْثِرِ

---

(1) العمدة: 1/ 418.

(2) في البيان والتبين: 1/ 197 «الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل»، العمدة: 1/ 418 منسوب للمفضل الضبي.

(3) هو أبو الفضل جعفر بن يحيى البرمكي وزير الرشيد، وكان يدعوه أخي، كاتب بليغ. (ت187هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 1/ 328، الأعلام: 2/ 126).

(4) في الأصل: «عمر بن سعد» والصواب ما أثبتناه، وهو أبو الفضل عمرو بن مسعدة الصولي، شاعر من كتاب المأمون. (ت214هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 473، معجم الأدباء: 16/ 127).

(5) هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، إمام العربية ببغداد. (ت نحو286هـ). ترجمته في: (طبقات النحويين واللغويين: 100، الأعلام: 8/ 15).

(6) الأبيات في: زهر الآداب: 1/ 147 «بداء الفنون»، كفاية الطالب: 41، العمدة: 1/ 419 «بداء» قال: «وأنشد المبرد في صفة خطيب».

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ[1]: «أَصْلُ الْبَلَاغَةِ الطَّبْعُ، وَلَهَا مَعَ ذٰلِكَ آلَاتٌ تُعِينُ عَلَيْهَا وَتُوَصِّلُ الْقُوَّةَ فِيهَا، وَتَكُونُ مِيزَاناً لَهَا، وَفَاصِلَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا، وَهِيَ ثَمَانِيَةُ أَضْرُبٍ: الإِيجَازُ وَالاسْتِعَارَةُ، وَالتَّشْبِيهُ، وَالْبَيَانُ، وَالنَّظْمُ، وَالتَّصَرُّفُ، وَالْمُشَاكَلَةُ، وَالْمَثَلُ»[2].

قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ[3]: (كامل)

وَاعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ السُّكُوتِ إِبَانَةً ... وَمِنَ التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالَا[4]

وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي إِيضَاحِ الْبَلَاغَةِ، قَالَ بَعْضُ أَشْيَاخِنَا: «الْبَلَاغَةُ فِي الْكَلَامِ فَصَاحَةُ أَلْفَاظِهِ وَمُوَافَقَةُ مَعْنَاهُ لِمُقْتَضَى الْحَالِ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِي الْمَقَامُ مِنِ اخْتِصَارٍ أَوْ إِطْنَابٍ أَوْ تَوَسُّطٍ»[5].

وَاعْلَمْ أَنَّ هٰذَا الْبَيْتَ يَشْهَدُ لِلَّذِي قَبْلَهُ حَيْثُ قَالَ: **(مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرَبِ)**[6] فَإِنَّهُ يَشْهَدُ بِالْمُغَالَبَةِ وَظُهُورِ الْغَلَبِ، فَإِنَّ مُغَالِبَ الْغُلَّابِ لَا يَكُونُ لَهُ الْغَلَبُ، وَلَمَّا كَانَ فِي قَوْلِهِ: **(عَادَ مِنْ حَرَبِ)** [228]// إِشْعَارٌ بِقَهْرِ مَنْ رَامَ مُحَارَبَتَهَا افْتَقَرَ إِلَى بَيَانِ الْوَجْهِ الَّذِي وَقَعَتْ بِهِ الْغَلَبَةُ، وَرُدَّ بِهِ الْمُحَارِبُ، وَكَيْفِيَّةِ الرَّدِّ هَلْ كَانَ قَهْراً؟ فَأَفْصَحَ الْبَيْتُ الَّذِي بَعْدَهُ بِمَا بِهِ الْغَلَبُ وَبِالْكَيْفِيَّةِ، إِذْ مُقْتَضَى الْبَيْتَيْنِ: مَا جَاءَ قَطُّ طَالِبُ قَهْرِ هٰذِهِ الآيَاتِ بِالْمُعَارَضَةِ إِلَّا وَلَّى مَنْكُوصاً

---

(1) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي (ت384هـ). ترجمته في: الوافي بالوفيات: 4/ 463، سير أعلام النبلاء: 16/ 533.

(2) النكت: 70. «والبلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة التلاؤم الفواصل التجانس التصريف التضمين المبالغة حسن البيان»، العمدة: 1/ 419 «توصل إلى القوة فيها».

(3) في العمدة: 1/ 419 «قال بعض الكلبيين»، البيان والتبيين: 2/ 79.

(4) البيت بدون نسبة في العمدة: 1/ 419، الخبال: الفساد.

(5) الكلام عن البلاغة في البيان والتبيين: 1/ 77 ـ 97، العمدة: 1/ 418 ـ 430.

(6) الديوان: 199.

عَلَى عَقِبِهِ مَوْهُوصاً[1] بَعْدَ اعْتِمَادِهِ عَلَى الْفَصَاحَةِ[2] الذَّاتِيَةِ لِلْعَرَبِ، وَبَلَاغَةِ مَا أَوْدَعَهُمُ اللهُ فِي أَلْسِنَتِهِمْ عَايَنَ بَلَاغَةً لَا تَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِ الْبَشَرِ، كَمَا عَايَنَ السَّحَرَةُ مِنَ الْعَصَا، وَعَايَنَ الأَطِبَّاءُ مِنْ خَلْقِ عِيسَى مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ؛ فَكَدَأْبِ الْعَرَبِ لَمَّا خُوطِبُوا فِي زَمَنِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُمْ يُمْكِنُهُمْ مُعَارَضَتُهُ، فَلَمَّا تَأَمَّلُوهُ رَأَوْا الْعَجَبَ الْعُجَابَ، مَعَ مَا تَضَمَّنَ مِنْ قَصَصٍ وَأَخْبَارٍ عَمَّا[3] سَلَفَ، مِمَّا لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الأَمْثَالِ وَالْمَوَاعِظِ وَالأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالإِرْشَادَاتِ.

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا**): بَلَاغَةُ الآيَاتِ. انْظُرْ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: 179]، جَمَعَ فِي كَلِمَتَيْنِ عَدَدُ حُرُوفِهَا عَشَرَةُ أَحْرُفٍ مَعَانِيَ كَثِيرَةً. وَنِهَايَةُ مَا قَالَتِ الْعَرَبُ: «الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ»، بِمَعْنَى: أَنْفَى لِمَا فِيهِ مِنَ الزَّجْرِ لِلْغَيْرِ. وَأَوْفَى مِثْلُهُ.

وَقَوْلُهُ: (أَبْقَى)، أَيْ؛ أَبْقَى لِنُفُوسِ الأَحْيَاءِ لأَجْلِ الْقَتْلِ الَّذِي يَقَعُ بِالْمُجْتَرِئِينَ؛ لَكِنْ وَإِنْ كَانَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هَذِهِ الْبَلَاغَةُ، زَادَتِ الآيَةُ مَعَانِيَ كَثِيرَةً مِنْهَا:

إِنَّ الَّذِي فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِمِثْلِهِ، وَالَّذِي فِي الآيَةِ مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِضِدِّهِ، وَهُوَ الْفَصِيحِ بَابِ الْمُقَابَلَةِ، لأَنَّ الْقَتْلَ ضِدُّ الْحَيَاةِ.

وَأَيْضاً فَإِنَّ «الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ» لَمْ يُبَيِّنْ كَيْفِيَّةَ الْقَتْلِ الَّذِي هُوَ أَنْفَى لِلْقَتْلِ، هَلْ عَلَى وَجْهِ الْقِصَاصِ أَوْ عَلَى وَجْهِ النَّائِرَةِ؟ فَإِنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ النَّائِرَةِ، فَالْقَتْلُ أَشْعَلُ لِلْقَتْلِ وَأَوْقَدُ لِنَارِ الْفِتْنَةِ وَالْقَتْلِ. فَإِنَّ مَنْ قُتِلَ لَهُ وَلِيُّهُ، فَحَزَّبَ

(1) الوهس: الكسر، ل/وهس.

(2) في الأصل: «فصاحته» ولعل الأنسب: «الفصاحة».

(3) في الأصل: «عن ما».

قَوْمَهُ، وَوَجَدَ مِنْ قَوْمِ الْمَقْتُولِ مَنْ وَجَدَ فَقَتَلَهُ ـ كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَعْمَلُ ـ فَإِنَّ ذَلِكَ يَجُرُّ إِلَى قَتْلَى لَا نِهَايَةَ لِعَدَدِهِمْ؛ بِخِلَافِ مَا فِي الآيَةِ، فَإِنَّ الْقَتْلَ عَلَى وَجْهِ الْقِصَاصِ، يَذْعَنُ[1] لَهُ أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ، وَيَذْعَنُ لإِسْلَامِهِ أَوْلِيَاءُ الْقَاتِلِ، وَتَنْقَطِعُ الْعَدَاوَاتُ، فَيَكُونُ فِيهِ حَيَاةُ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ الَّتِي قِيلَتْ فِي الآيَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ بِسَبَبِ مَيِّتٍ يَقَعُ فِي طَائِفَةٍ يَتَقَاتَلُونَ حَتَّى تَقَعُ مِنْهُمْ مَوْتَى لَا عِدَّةَ لَهُمْ، فَارْتَفَعَ ذَلِكَ بِالْقِصَاصِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ: ﴿وَلَكُمْ﴾ فِيهِ إِظْهَارُ مَنْ تَعُودُ عَلَيْهِ فَائِدَةُ الْقِصَاصِ، مَعَ أَنَّ الْقِصَاصَ إِنَّمَا هُوَ مَشْرُوعٌ فِي الْعَمْدِ، فَيُفِيدُ أَنَّ الْقَتْلَ الْخَطَأَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ؛ فَالآيَةُ الْكَرِيمَةُ زَادَتْ عَلَى مَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي مَسْأَلَةِ «الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ» مَعَانِيَ شَتَّى.

وَمِنْ إِعْجَازِهِ فِي الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ مَا حَكَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: «أَنَّ أَعْرَابِياً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ الْقُرْآنَ حَتَّى سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94] فَسَجَدَ الأَعْرَابِيُّ وَقَالَ: سَجَدْتُ لِفَصَاحَةِ هَذَا الْكَلَامِ. وَكَذَلِكَ سَمِعَ آخَرُ رَجُلاً يَقُولُ: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْـَٔسُوا مِنْهُ [229]// خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80] قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا كَلَامٌ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مَخْلُوقٌ»[2].

«وَحَكَى الأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً لَهُ جَارِيَةٌ خُمَاسِيَّةٌ حَازَتْ مِنَ الْفَصَاحَةِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْكِبَارُ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا وَقَعَ لَهَا أَنَّهُ سَمِعَهَا تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ ذُنُوبِي كُلِّهَا، فَقَالَ لَهَا الأَصْمَعِيُّ؛ وَلِمَ تَسْتَغْفِرِينَ وَلَمْ يَجْرِ عَلَيْكِ قَلَمٌ؟ فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: (رجز)

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِي كُلِّهِ   قَتَلْتُ إِنْسَاناً بِغَيْرِ حِلِّهِ[3]

(1) أذعن: انقاد وسلس، وبناؤه: ذعِن يذعَن ذعنا، وأذعن له: خضع. ل/ذعن.

(2) نهاية الأرب: 7/ 6.

(3) ينظر: نظام الغريب: 200، تفسير القرطبي: 6/ 252 «قبلت». والبيت في ديوان ديك الجن الحمصي: السكر مفتاح كل شر.

قَالَ الأَصْمَعِيُّ: فَقُلْتُ لَهَا: قَاتَلَكِ اللهُ مَا أَفْصَحَكِ! فَقَالَتْ: أَتَعُدُّ هٰذَا الْكَلَامَ مِنِّي فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7]؟ فَجَمَعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَخَبَرَيْنِ وَبِشَارَتَيْنِ»[1].

وَمَنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ وَفَصَاحَتِهِ فَاتَهُ أَمْرٌ عَجِيبٌ. وَالْعَارِفُ بِمَدَارِكِ الْبَلَاغَةِ إِذَا سَمِعَهُ عَلِمَ قَطْعاً أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ جِنْسِ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ: عَنْ نَظْمِهِمْ، وَنَثْرِهِمْ، وَخُطَبِهِمْ، وَشِعْرِهِمْ، وَرَجَزِهِمْ، وَسَجْعِهِمْ، وَمُزْدَوَجِ كَلَامِهِمْ.

«وَقَدْ حُكِيَ عَنِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ[2] أَنَّهُ طُلِبَ مِنْهُ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ، فَنَظَمَ بِجُزْأَتِهِ كَلَاماً وَجَعَلَهُ مُفَصَّلاً، وَسَمَّاهُ سُوَراً. فَاجْتَازَ يَوْماً بِصَبِيٍّ يَقْرَأُ فِي مَكْتَبٍ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 44] فَرَجَعَ، وَمَحَا مَا عَمِلَ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هٰذَا لَا يُعَارَضُ أَبَداً، وَمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ»[3]، وَكَانَ أَفْصَحَ أَهْلِ عَصْرِهِ. وَمِنْ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ تُسْتَفَادُ أَنْوَاعُ الْبَدِيعِ وَالْبَيَانِ.

وَلَمَّا كَانَ رَدُّ الشَّيْءِ الْمَمْنُوعِ مِنَ الْمُعَارَضَةِ يَكُونُ: بِوَجْهٍ يُخَيَّلُ أَنَّهُ لَوْ أُنْهِضَ لَوَصَلَ، وَرَدٌّ آخَرُ؛ إِنَّهُ لَا يَطْمَعُ فِي مُقَارَبَتِهِ فَضْلاً عَنِ الْوُصُولِ، جَاءَ الْمُؤَلِّفُ بِمَا تَقْطَعُ النُّفُوسُ بِأَنَّهُ أَعْظَمُ حِمَايَةٍ تَقَعُ لَهَا؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِإِنْسَانٍ

---

(1) تنظر القصة في: تفسير القرطبي: 6/ 252، نهاية الأرب: 7/ 5.

(2) هو عبد الله بن المقفع، من الكتاب والمترجمين، ولي كتابة الديوان للمنصور العباسي. ترجمته في: (أمراء البيان: 99، أخبار الحكماء: 148، لسان الميزان: 3/ 366، البداية والنهاية: 10/ 96، دائرة المعارف: 1/ 292، الأعلام: 4/ 140).

(3) ينظر: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في البلاغة العربية: 63 ـ 65، العمدة: 1/ 381 وفيه واقعة شبيهة بهذه.

حَرِيمٌ حَسَنٌ، وَلَهُ فِيهِ مَحَبَّةٌ صَادِقَةٌ، وَنَفْسٌ مَعَهَا غَيْرَةٌ فَائِقَةٌ، وَإِذَا بِهِ رَأَى مَنْ لَا هِمَّةَ لَهُ وَلَا قَدْرَ يُرِيدُ ـ مَعَ خُمُولِ حَسَبِهِ وَقِلَّةِ جُهْدِهِ ـ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى حَرِيمِ الْمَذْكُورِ فَمَا يَسَعُهُ إِلَّا قَطْعُ يَدِهِ، وَاسْتِئْصَالُ صَاحِبِ الْيَدِ. فَقَالَ: (**رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي**). وَجَاءَ بِلَفْظِ (**الْجَانِي**)، لأَنَّهُ أَعَمُّ أَنْ تَكُونَ جِنَايَتُهُ بِمَا يُؤْلِمُ نَفْسَهُ مِنْ هَتْكِ حَرِيمِهِ أَوْ بِمَا يَضُرُّ بِمَحْبُوبِهِ مِنْ إِرَادَةِ ضَرْبٍ أَوْ جَرْحٍ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ، وَهُوَ تَشْبِيهٌ حَسَنٌ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَقْسَامَ التَّشْبِيهِ قَبْلُ، وَهٰذَا مِنْهَا مِنْ تَشْبِيهِ مَعْنَوِيٍّ بِمَحْسُوسٍ.

وَالْبَاعِثُ عَلَى رَدِّ يَدِ الْجَانِي الْغَيْرَةُ، وَلَمَّا أَنْ كَانَتِ الْغَيْرَةُ مَطْلُوبَةً شَرْعاً، وَغَايَةُ دَرَجَاتِهَا فِي عُلُوِّ الْمَرَاتِبِ الْغَيْرَةُ عَلَى الْحُرَمِ، جَلَبَهَا النَّاظِمُ. وَالرَّدُّ الْمَنْسُوبُ إِلَى الْبَلَاغَةِ قَدْ يَقَعُ عَلَى الْمَرْدُودِ مِنْ نَفْسِ الآيَاتِ إِذَا بَاشَرَهَا وَنَظَرَهَا بِنَفْسِهِ، وَتَأَمَّلَ بَلَاغَتَهَا. وَقَدْ يَكُونُ يُرَادُ بِهَا مَنْ يُجَادِلُهُ وَيُخَصِّمُهُ؛ لٰكِنْ كَانَ الأَبْلَغُ فِي الْمَدْحِ مَا جَاءَ بِهِ النَّاظِمُ أَنَّ الرَّدَّ لَهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَأَمُّلُ الْمُتَأَمِّلِ فِيهَا يَنْقَطِعُ بِنَفْسِهِ لِنَفْسِهِ.

وَقَالَ النَّاظِمُ: إِنَّ الْبُطْلَانَ تَوَجَّهَ إِلَى الدَّعْوَى، لأَنَّ الإِبْطَالَ إِمَّا [230/] إِبْطَالُ دَلِيلِ الْمُسْتَدِلِّ أَوْ إِبْطَالُ دَعْوَاهُ، وَالأَوَّلُ وَإِنْ كَانَ كَافِياً، لٰكِنْ قَدْ يُجَدِّدُ دَلِيلاً آخَرَ فَيُورِدُهُ، فَقَدْ يَبْقَى بَعْدَ إِبْطَالِ الدَّلِيلِ لِلْمُسْتَدِلِّ مَطْمَعٌ فِي إِيرَادِ دَلِيلٍ آخَرَ يَرْجُو بِهِ نُصْرَتَهُ، وَأَمَّا إِبْطَالُ الدَّعْوَى فَقَاطِعَةٌ وَمُوئِسَةٌ مِنْ نُصْرَةِ الْمُنْقَطِعِ، وَلِذٰلِكَ جَاءَ بِرَدِّ الدَّعْوَى.

وَ(**الْغَيُورِ**): مِنَ الْغَيْرَةِ بِسُكُونِ الْيَاءِ، وَفِعْلُهُ: غَارَ الرَّجُلُ عَلَى الْحَرِيمِ يَغَارُ. وَأَمَّا غَارَ الْمَاءُ يَغُورُ غَوْراً وَغُؤُوراً. وَالرُّبَاعِيُّ: أَغَارَ الْفَارِسُ عَلَى قِرْنِهِ إِغَارَةً. وَالْغَيْرَةُ مِنَ الدِّينِ، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَعْنَاهَا: كَرَاهَةُ مُشَارَكَةِ الْغَيْرِ. وَالْغَيْرَةُ مِنْهَا مَحْبُوبٌ وَمِنْهَا مَذْمُومٌ. رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ،

وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهُ؛ فَالَّتِي يُحِبُّهَا؛ الْغَيْرَةُ عَلَى الْحَرِيمِ أَنْ يَتَلَبَّسْنَ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى الاطِّلَاعِ عَلَيْهِنَّ فِي غَيْرِ مَوَاطِنِ جَوَازِ الرُّؤْيَةِ»[1]. وَفِي الْحَدِيثِ: «نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ»[2] الْحَدِيثُ. وَالْغَيْرَةُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ [الإِيمَانِ][3].

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ (**رَدَّ الْغَيُورِ**) هُوَ مَا يَعْمَلُهُ صَانِعُ الْبَابِ فِيهَا مِنْ لَوْحٍ مُسْتَطِيلٍ، يَنْبَنِي طَرَفُ قَائِمُ الْمِصْرَاعِ عَلَى قَائِمِ الآخَرِ، فَإِذَا غَلَّقَ الْبَابَ غَالِقُهَا لَا يَجِدُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَ سِكِّيناً أَوْ غَيْرَهَا [سَبِيلاً][4] لِطَرْشِ الْقُفْلِ، لأَنَّ الْغَيُورَ يَمْنَعُهُ؛ وَإِنْ كَانَ [يَلُوحُ][5]، لَكِنَّ الْمُعَوَّلَ عَلَى الْغَيْرَةِ الْمَذْكُورَةِ، لأَنَّ غَيُورَ الْبَابِ إِنَّمَا يَرُدُّ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحْدِثَ فِي الْمَرْدُودِ نِكَايَةً وَلَا تَوْبِيخاً.

وَفِي الْبَيْتِ: الاسْتِعَارَةُ.

وَ(**رَدَّ الْغَيُورِ**) مَصْدَرٌ نَوْعِيٌّ.

وَفِي الْبَيْتِ: الإِرْصَادُ، لأَنَّ مَنْ عَلِمَ الْقَافِيَةَ وَقَالَ: (**رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي**) عَلِمَ السَّامِعُ أَنَّ تَمَامَ الْبَيْتِ (**عَنِ الْحُرَمِ**).



(1) ابن حبان: 1/ 530، النسائي: 5/ 38، أبو داود: 3/ 50، ابن ماجة: 1/ 643، الدارمي: 1/ 47، أحمد: 5/ 445، المستدرك: 4/ 41، موارد الظمآن: 1/ 318، كتاب السنن: 2/ 252، الآحاد والمثاني: 4/ 158.

(2) مسلم: 3/ 1680 و4/ 2192، ابن حبان: 13/ 54 و16/ 501، المستدرك: 4/ 438، أمثال الحديث: 1/ 149، شعب الإيمان: 4/ 349، أبو نعيم: 2/ 547، فتح الباري: 10/ 459، الفردوس: 4/ 291، شرح السنة: 10/ 271.

(3) في الأصل: «الإسلام»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(4) لا توجد العبارة في الأصل، ولعل الأنسب إثباتها.

(5) في الأصل: «تلوح».

107 ـ قَالَ:

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ ... وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ[1]

شرح: الضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِاللَّامِ عَائِدٌ عَلَى (**الآيَاتِ**).

وَ(**الْمَعَانِي**): جَمْعُ مَعْنًى. وَيُرِيدُ أَنَّ نِسْبَةَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هَٰذِهِ الآيَاتُ مِنَ الْعِبَرِ، وَالْحِكَمِ وَضُرُوبِ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنْهَا، كَنِسْبَةِ مَوْجِ الْبَحْرِ مَعَ دَوَامِ اسْتِمْدَادِهِ. وَقَصْدُ النَّاظِمِ أَنَّ مَعَانِيَ الآيَاتِ لَا يُدْرِكُهَا الْحَصْرُ. وَأَحْسَنَ فِي مَا قَالَ، فَإِنَّ الْمَعَانِيَ الْمَدْلُولَ عَلَيْهَا بِأَلْفَاظِ قَارِئِيهَا لَا نِهَايَةَ لَهَا فِي دِلَالَتِهَا؛ فَمَا يَتَعَلَّقُ بِالإِعْلَامِ فَالأَحْكَامُ التَّكْلِيفِيَّةُ، وَالأَخْبَارُ الْمَحْكِيَّةُ الْمَاضِيَةُ وَالآتِيَةُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِنَفَاسَةِ الأَلْفَاظِ، فَعِظَمُ بَلَاغَةِ الْمَعَانِي الْبَيَانِيَّةِ، وَاحْتِمَالُ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنَ الأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ مَعَانِيَ، لَا يَفِي بِهَا مَنْ[2] تَصَدَّى لِتَعْدَادِهَا. وَقَدْ نُقِلَ عَنْ عَلِيٍّ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ شِئْتُ لَوَسَقْتُ[3] سَبْعِينَ بَعِيراً مِنْ شَرْحِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ». وَقَالَ الشِّيعَةُ[4]: «مِنْ شَرْحِ أَلِفِهَا».

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**كَمَوْجٍ**) أَحْسَنُ مِنْ (عَدِّ الرَّمْلِ)، لأَنَّ الرَّمْلَ مَحْصُورٌ، وَكُلُّ مَحْصُورٍ يَنْفَذُ. وَأَمَّا مَوْجُ الْبَحْرِ فَمَثَّلَ بِهِ النَّاظِمُ يُرِيدُ مَعَ دَوَامِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي حَصْرِ عَادٍّ وَهَٰذَا بِالْفَرْضِ الْعَقْلِيِّ، وَأَمَّا بِالنَّقْلِ فَقَدْ عُلِمَ انْقِرَاضُ الدُّنْيَا وَبَحْرِهَا.

[231]// وَنَظِيرُ هَٰذَا مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

(1) الديوان: 196.

(2) حرف «من» مكرر في الأصل.

(3) وسقت: أفرغت. ل/وسق.

(4) الشيعة: فرقة من فرق المسلمين، صاحبة مذهب ورأي. ينظر: الملل والنحل: 3/ 145.

وَالْأَرْضُ﴾ [هود: 107]. مَعَ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ عُلِمَ بِمُقْتَضَى الشَّرْعِ أَنَّهُمَا [تَنْقَرِضَانِ][1]، لَكِنْ كَانَتِ الْمُخَاطَبَةُ عَلَى مُعْتَقَدِ الْمُخَاطَبِينَ مِنْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَا تَتَبَدَّلَانِ وَلَا [تَزُولَانِ][2]، فَيَكُونُ مَعْنَى كَلَامِ النَّاظِمِ: لِهَٰذِهِ الآيَاتِ مَعَانٍ شَبِيهَةٌ فِي مَدَدِهَا بِمَدَدِ الْبَحْرِ، مِنْ كَوْنِهَا مَعَانٍ تَرِدُ عَلَى مَعَانٍ، كَمَا أَنَّ مَوْجَ الْبَحْرِ مَوْجٌ يَعْقُبُ مَوْجاً، وَلَا يُحْصَى لَهَا عَدَدٌ.

وَكَمَا تَعَلَّقَ الْمَجْرُورُ بِالْفَاءِ بِمَا فِي كَافِ التَّشْبِيهِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ وَهُوَ قَوْلُهُ: **(فِي مَدَدٍ)** فَكَذَٰلِكَ يَتَعَلَّقُ الْمَجْرُورُ الآخَرُ الَّذِي هُوَ: **(فِي الْحُسْنِ)** بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ **(فَوْقَ)**، لأَنَّ مَعْنَاهُ: الارْتِفَاعُ أَيْ: وَهِيَ مُرْتَفِعَةٌ فِي الْحُسْنِ.

وَذَكَرَ النَّاظِمُ التَّشْبِيهَ فِي الْمَدَدِ بِالْبَحْرِ، وَفِي الْجَوْهَرِ فِي شَرَفِ الْقِيَمِ، لأَنَّ الشَّرَفَ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَمْدَحَ بِهِ: كَثْرَةُ الْمَعَانِي وَشَرَفُهَا، وَلَمَّا كَانَتْ جَوَاهِرُ الْبَحْرِ أَنْفَسَ الْجَوَاهِرِ الأَرْضِيَّةِ جَلَبَهَا لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الذَّاتِ وَشَرَفِ الْقِيمَةِ، إِذْ أَنْفَسُ الأَشْيَاءِ الْمَالِيَّةِ: الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ لأَنَّهُمَا رُؤُوسُ الأَمْوَالِ وَقِيَمُ الْمُتْلَفَاتِ؛ لَكِنْ وَجَدْنَاهَا تُبَدَّلُ فِي جَوَاهِرِ الْبَحْرِ لَا لِقَصْدِ ذَهَابِ عَيْنِهَا بَلْ لِلتَّزَيُّنِ بِهَا، فَتُجْعَلُ فِي الأَكَالِيلِ زِينَةً، وَفِي النُّحُورِ عُقُوداً؛ بِخِلَافِ الدَّنَانِيرِ، لأَنَّهَا إِنَّمَا أُعِدَّتْ لإِتْلَافِهَا فِي مَا تُقَامُ بِهِ الأَجْسَامُ غِذَاءً وَزِينَةً، فَكَانَ لِلْجَوَاهِرِ تَقْدِمَةٌ عَلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِي هَٰذَا الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ هُنَا التَّمَدُّحَ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: تَشْبِيهُ مَا لَا تُبَدَّلَ فِيهِ قِيمَةٌ بِمَا هُوَ مُعَدٌّ لِلانْتِقَالِ مِنْ أَيْدِي مُلَّاكِهِ بِالْقِيَمِ فِيهِ نَظَرٌ؟

قُلْتُ: مَا قَصَدَ التَّشْبِيهَ بِالثَّمَنِيَةِ حَتَّى يَرِدَ هَٰذَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَا يَسْتَدْعِي الْغِبْطَةَ فِي التَّكَسُّبِ لأَجْلِ حُسْنِهِ فِي ذَاتِهِ، وَتَزْيِينِهِ لِمَنِ اقْتَنَاهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَلَعَلَّهُ قَصَدَ أَنَّ قِيمَةَ مَا يُبَدَّلُ عَلَى تَحْصِيلِ أَدِلَّةِ هَٰذِهِ الْمَعَانِي

(1) في الأصل: «ينقرضان».
(2) في الأصل: «يزولان».

قِيمَةٌ مَقْصُودَةٌ، لأَنَّهُ قَدْ تُبَدَّلُ الْقِيمَةُ عَلَى نَسْخِ الأَلْفَاظِ، وَتِلَاوَةِ الأَلْفَاظِ لِتَحْصِيلِ شَرَفِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ التِّلَاوَةُ الْمَسْمُوعَةُ وَالرُّسُومُ الْمَلْحُوظَةُ الْمُؤَدِّيَةُ مَعَانِيَ تِلْكَ الْمَعَانِي.

قُلْتُ: إِنْ نُظِرَ فِي هَٰذَا بِوَجْهٍ مِنْ مَعْنَى الاسْتِخْدَامِ حَصَلَ هَٰذَا الْمَقْصَدُ، فَيُجْعَلُ الضَّمِيرُ فِي **(لَهَا)** **(لِلآيَاتِ)**، وَيَكُونُ الضَّمِيرُ الْمُقَدَّرُ الَّذِي تَقْدِيرُهُ: (مَدَدِهَا)، رَاجِعٌ لِلأَلْفَاظِ الْمُؤَدِّيَةِ لِتِلْكَ الْمَعَانِي وَالأَصْوَاتِ الْمَتْلُوَّةِ، فَيَكُونُ تَشْبِيهُ قِيمَةِ نَسْخِ الأَلْفَاظِ وَأَصْوَاتِ التَّالِينَ فَوْقَ قِيمَةِ هَٰذِهِ، وَنَظْمُ تِلْكَ الأَلْفَاظِ بِالْخُطُوطِ فَوْقَ نَظْمِ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ فِي الْخُيُوطِ، وَتَزْيِينُ الأَلْسِنَةِ بِالنُّطْقِ بِتِلْكَ الأَلْفَاظِ وَالطُّرُوسِ بِتِلْكَ الْخُطُوطِه فَوْقَ حُسْنِ النُّحُورِ الْمُزَيَّنَةِ بِتِلْكَ الْجَوَاهِرِ وَالتِّيجَانِ الْمُكَلَّلَةِ بِهَا. وَأَيْضاً فَإِنَّ الدَّاعِيَ لِذِكْرِ الْجَوَاهِرِ ـ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا قَدْرٌ ـ إِنَّمَا هُوَ مَا تَسْتَحْسِنُهُ النُّفُوسُ بِالْعَادَةِ، وَإِلَّا فَلَا تَمَاثُلَ وَلَا تُقَارُبَ، وَعَلَيْهِ دَلَّ قَوْلُهُ: **(وَفَوْقَ)**، فَإِنَّ الْفَوْقِيَّةَ تُعْطِي شَرَفَ الارْتِفَاعِ لَا إِلَى نِهَايَةٍ.

وَفِي الْبَيْتِ: التَّقْسِيمُ، لأَنَّهُ ذَكَرَ أَمْراً مُتَعَدِّداً، وَحَكَمَ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمُتَعَدِّدِ حُكْماً يَخُصُّهُ فَإِنَّ **(الْمَوْجَ)** مُتَعَدِّدٌ، وَ**(الْمَعَانِي)** مُتَعَدِّدَةٌ، وَلِكُلٍّ مِنَ الْمُتَعَدِّدَيْنِ حُكْمٌ يَخُصُّهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: **(الْمَوْجُ)** وَ**(الْجَوْهَرُ)** مُنْصَرِفَانِ إِلَى الْبَحْرِ، ثُمَّ خَصَّ **(الْمَوْجَ)** بِمَا لَمْ يَحْكُمْ بِهِ عَلَى **(الْجَوْهَرِ)**، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ [232]// الْجَمْعِ وَالتَّفْرِيقِ.

قُلْتُ: يَلُوحُ، وَمَعَ كَثْرَةِ التَّأَمُّلِ يَرُوحُ.

وَيَبْقَى بَحْثٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: جَوَاهِرُ الأَرْضِ النَّفِيسَةُ: الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْيَاقُوتُ؛ أَمَّا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ فَلأَنَّهُمَا رُؤُوسُ الأَثْمَانِ وَقِيَمُ الْمُتْلَفَاتِ، وَأَمَّا الْيَاقُوتُ فَلَا خَفَاءَ بِشَرَفِهِ، فَمَا وَجْهُ تَشْبِيهِهِ بِجَوْهَرِ الْبَحْرِ؟

وَجَوَابُهُ أَنْ يُقَالَ: أَمَّا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَإِنْ كَانَا نَفِيسَيْنِ، لَكِنْ فِي جَوْهَرِ الْبَحْرِ مَعَ نَفَاسَتِهِ التَّزَيُّنُ بِهِ مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ، وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ لَا يُطْلَبَانِ إِلَّا لِقَضَاءِ

حَوَائِجَ مَعَ ذَهَابِ عَيْنَيْهِمَا، وَالْجَوْهَرُ فِي الْعُقُودِ تُعَلَّقُ فِي النُّحورِ، وَتُرَصَّعُ بِهَا أَكَالِيلُ الرُّؤُوسِ، وَتَكَالِيلُ الأَشْنَافِ، وَغَيْرُهَا.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: إِنَّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فِي مَعْدِنَيْهِمَا فِي خَلْطٍ لَا يُخَلِّصُهُ إِلَّا التَّسْخِينُ، وَجَوَاهِرُ الْبَحْرِ فِي صَوَّانٍ[1] عَجِيبٍ فِي صَدَفِهَا، وَعَلَيْهَا سُتُورٌ مِنْ حَرِيرِ الْبَحْرِ الَّذِي تُصْنَعُ مِنْهُ الثِّيَابُ الرَّفِيعَةُ وَأَمَّا الْيَاقُوتُ فَالْجَوْهَرُ أَنْفَسُ مِنْهُ، قَالَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِهِ: إِنَّهُ لَوْ وُجِدَتْ جَوْهَرَةٌ كَمِّيَّتُهَا كَيَاقُوتَةٍ لَبَلَغَ ثَمَنُهَا إِلَى أَضْعَافِ ثَمَنِ الْيَاقُوتَةِ، فَالْجَوَاهِرُ إِذَنْ أَنْفَسُ جَوَاهِرِ الأَرْضِ.

وَأَضَافَ (**الْجَوْهَرَ**) إِلَى (**الْبَحْرِ**) لِئَلَّا تَدْخُلَ عَلَيْهِ جَوَاهِرُ الأَرْضِ، فَإِنَّهَا كُلَّهَا جَوَاهِرُ فَخَرَجَ بِالإِضَافَةِ مَا عَدَاهَا مِنْ جَوَاهِرِ الأَرْضِ، وَإِنْ كَانَ الْيَاقُوتُ قَدْ يُخْرَجُ بَعْضُهُ مِنَ الْبَحْرِ، وَكَذٰلِكَ الْمَرْجَانُ، وَإِنْ دَخَلَ فِي قَوْلِ الْمُصَنِّفِ، وَالْجَمِيعُ مِمَّا [يُطْلَبُ][2] لِلزِّينَةِ، لِحُسْنِهِ وَنَفَاسَتِهِ.



(1) الصَّوَّانُ: ضرب من الحجارة، الواحدة صوانة. مختار الصحاح/ صون.

(2) في الأصل: «تطلب».

108 ـ قَالَ:

فَمَا تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَجَائِبُهَا ... وَلاَ تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ[1]

شرح: مَعنَاهُ: إِنَّ هٰذِهِ الآيَاتِ لِكَثْرَةِ مَعَانِيهَا، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَجَائِبِ، لَا تَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ، وَلَا يُحِيطُ بِعِدَّتِهَا عَادٌّ. وَإِنْ كَانَ هٰذَا [مَفْهُوماً][2] مِنَ الْبَيْتِ قَبْلَهُ، لأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: (**كَمَوْجِ الْبَحْرِ**) عُلِمَ أَنَّهُ مِمَّا لَا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ، مَعَ أَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي قَبْلَ هٰذَا مُشْتَمِلٌ عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ هٰذَا الْبَيْتُ وَزِيَادَةٌ، لأَنَّ الَّذِي تَضَمَّنَ هٰذَا الْبَيْتُ عَدَمَ حَصْرِ أَفْرَادِهَا، وَالَّذِي قَبْلَهُ تَضَمَّنَ هٰذَا الْمَعْنَى وَزِيَادَةَ فَوْقَ حُسْنِهَا حُسْنَ كُلِّ حَسَنٍ مِنْ جَوَاهِرِ الْبَحْرِ، وَفَوْقَ قِيمَتِهَا، عَلَى مَا فَسَّرْنَاهُ فِي النَّسْخِ وَالإِسْمَاعِ بِالأَصْوَاتِ عَلَى سَائِرِ الْقِيَمِ.

وَقَوْلُهُ: (**وَلا تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ**)، أَيْ: لَا تُقَاسُ مَعَ كَثْرَةِ تِلَاوَةِ الْخَلْقِ لَهَا بِمَلَلٍ، فَإِنَّ السَّأَمَ هُوَ الْمَلَلُ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَلَا تُمَلُّ عَلَى الإِكْثَارِ.

وَ(**بِالسَّأَمِ**): كَأَنَّ الأَصْلَ عَلَى هٰذَا (يَسْأَمُ)، لٰكِنَّهُ عَرَّفَهُ إِقَامَةً لِلْوَزْنِ، وَتَكُونُ اللاَّمُ زَائِدَةً أَوْ تَكُونُ لِلْجِنْسِ، فَتَقْتَضِي أَنَّهَا لَا تُمَلُّ بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الْمَلَلِ كُلِّهَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: 49]، أَيْ؛ لَا يَمَلُّ. وَجَاءَ بِهِ عَلَى جِهَةِ التَّوْكِيدِ، كَمَا يُؤَكَّدُ بِالْمَصَادِرِ، لأَنَّ الَّذِي أَفَادَ الْمُؤَكَّدَ هُوَ الَّذِي أَفَادَهُ مَا أَكَّدَهُ إِنْ قُلْنَا: إِنَّ (**تُسَامُ**) بِمَعْنَى: تُمَالُ. وَإِنْ قُلْنَا: بِمَعْنَى: تُقَاسُ، لَمْ يَكُنْ (**بِالسَّأَمِ**) لِلتَّوْكِيدِ، بَلْ فِيهِ مَا يُبَيِّنُ أَنَّهَا لَا يُتَوَهَّمُ فِيهَا ذٰلِكَ وَلَا تُقَاسُ بِهِ.

(1) الديوان: 197.

(2) في الأصل: «مفهوم».

وَأَصْلُ (**تُسَامُ**): تُسْأَمُ، عَلَى تُفْعَلُ، مَبْنِياً لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فَأُبْدِلَتْ هَمْزَتُهُ أَلِفاً. وَهُوَ أَمْرٌ مَقِيسٌ مَعْرُوفٌ فِي اللُّغَةِ. وَأَصْلُ الْفِعْلِ فِيهِ لُغَتَانِ: سَامَ يَسُومُ كَقَالَ يَقُولُ، وَلُغَةُ: سَأَمَ يَسْأَمُ كَسَأَلَ يَسْأَلُ. وَاخْتَارَ النَّاظِمُ هٰذِهِ اللُّغَةَ لِإِقَامَةِ الْوَزْنِ. وَلأَنَّهَا فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ كَثِيرَةٌ؛ وَمِنْهُ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ [فصلت: 49] الآية.

[233]// وَفِي الْبَيْتِ الْمُقَابَلَةُ، لأَنَّ الْعَجْزَ قَابَلَ بِهِ الصَّدْرَ.

وَ(**تُعَدُّ**) وَ(**تُحْصَى**) كَالْمُتَرَادِفَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الْعَدَدُ قَدْ يَقَعُ [عَلَى][1] مَا لَا يُحْصَى، كَمَا لَوْ عُدَّ بَعْضُ جُمْلَةٍ، فَقَدِ اتَّصَفَتْ بِالْعَدِّ، مَعَ عَدَمِ إِحْصَاءِ الْمَجْمُوعِ؛ لٰكِنْ يُقَالُ: وَكَذٰلِكَ أَحْصَى مَا عُدَّ وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَجْمُوعَ، بَلْ قَدْ يُحْصَى الشَّيْءُ لِمَنْ لَمْ يَعُدَّهُ، فَإِذَا أُخْبِرَ بِعِدَّةِ أَفْرَادِ جُمْلَةً فَقَدْ حَصَلَ الإِحْصَاءُ بِالإِخْبَارِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعُدَّهُ الْمُحْصِي، وَالأَمْرُ فِي هٰذَا سَهْلٌ.



(1) لا توجد «على» في الأصل، ولعلها سقطت، والأنسب إثباتها والله أعلم.

109 ـ قَالَ:

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ ... لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ[1]

شرح: أَخَذَ يَذْكُرُ فِي هٰذَا الْبَيْتِ بَعْضَ مَا يَحْصُلُ لِحَامِلِ الْقُرْآنِ بِقِرَاءَتِهِ، وَمَا ادُّخِرَ لَهُ مِنْ قُرَّةِ عَيْنٍ، وَأَنَّ مَنِ اعْتَصَمَ بِهِ عَصَمَهُ اللهُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، قِيلَ: وَمَا النَّجَاةُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِيهِ نَبَأُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ. مَنْ تَرَكَهُ تَجَبُّراً قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَنُورُهُ الْمُبِينُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَتَشَعَّبُ مَعَهُ الآرَاءُ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَمَلُّهُ الأَتْقِيَاءُ، مَنْ عَلِمَ عِلْمَهُ سَبَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[2].

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: 256]: «هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ»[3]. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ عُرْوَةٌ وُثْقَى، مَنْ قَرَأَهُ أُجِرَ بِفَهْمٍ وَبِغَيْرِ فَهْمٍ.

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا وَهُوَ مَرِيضٌ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ [فِيكُمْ][4] الثَّقَلَيْنِ، إِنَّهُ لَنْ تَعْمَى أَبْصَارُكُمْ، وَلَنْ تَضِلَّ

(1) الديوان: 197.

(2) الترمذي: 4/ 245 بلفظ. تفسير القرطبي: 1/ 5، تحفة الأحوذي: 6/ 364، البغوي: 4/ 438 قال: «قصارى هذا الحديث أن يكون من كلام الإمام علي كرم الله وجهه، وقد وهم بعضهم في رفعه إلى النبي ﷺ».

(3) ينظر تفسير: الطبري: 3/ 20، القرطبي: 3/ 282، ابن كثير: 1/ 295.

(4) في الأصل: «في» وروايات الحديث: «فيكم».

قُلُوبُكُمْ، وَلَنْ تَزِلَّ أَقْدَامُكُمْ، وَلَنْ تَقْصُرَ أَيْدِيكُمْ، كِتَابَ اللهِ، سَبَبٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، طَرَفُهُ بِيَدِهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَأَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ. أَلَا وَعِتْرَتِي وَأَهْلُ بَيْتِي هُمُ الثَّقَلُ الآخَرُ، فَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَهْلِكُوا»(1). وَفِي هٰذَا الْمَعْنَى مِنَ الأَحَادِيثِ مَا لَا تُحْصَى كَثْرَةً(2).

وَمَعْنَى قَوْلِ النَّاظِمِ: **(قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا)**، أَيْ: بَرَدَتْ سُرُوراً، يُقَالُ: قَرَّتْ عَيْنُهُ قُرَّةً. وَيُقَالُ فِي مَصْدَرِهِ. قُرُوراً. فَدَمْعُ السُّرُورِ بَارِدٌ وَدَمْعَةُ الْحُزْنِ سُخْنَةٌ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (كامل)

يَا عَيْنُ مَا لَكِ لَا تَمَلِّ مِنَ الْبُكَا ... تَبْكِينَ مِنْ فَرَحٍ وَمِنْ أَحْزَانِ(3)

وَأَمَّا قَرَّ بِالْمَكَانِ قَرَاراً، فَمَعْنَاهُ: لَبِثَ بِهِ، وَأَقَامَ؛ وَمِنْهُ: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾** [الأحزاب: 33]. وَقَرَّ الْيَوْمُ قَرّاً: بَرَدَ بِفَتْحِ الْقَافِ. وَالإِنْسَانُ قُرّاً بِضَمِّ الْقَافِ: أَصَابَهُ الْقُرُّ. وَقَرَرْتُ الْخَبَرَ فِي أُذُنِهِ أَقُرُّهُ قَرّاً: أَوْدَعْتُهُ. وَقَرَرْتُ عَلَى رَأْسِهِ دَلْوَاً مِنَ الْمَاءِ: صَبَبْتُهَا. وَقَرَّ الطَّائِرُ قَرِيراً: صَوَّتَ. وَأَقَرَّ بِالشَّيْءِ: اعْتَرَفَ بِهِ. وَأَقَرَّتِ النَّاقَةُ: ظَهَرَ حَمْلُهَا.

وَ**(الْعَيْنُ)**: لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ. وَالْمُرَادُ هُنَا: الْبَاصِرَةُ. وَتَقَعُ عَلَى الدَّنَانِيرِ الْمَسْكُوكَةِ، وَعَلَى الْعَيْنِ الْجَارِيَةِ، وَعَلَى عَيْنِ الشَّمْسِ، وَعَلَى عَيْنِ الْمِيزَانِ، وَعَلَى عَيْنِ الرَّكِيَّةِ، وَعَلَى الْجَاسُوسِ. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: هٰذَا الْبَيْتُ عَيْنُ الدَّارِ فَبِالْمَجَازِ.

وَضَمِيرُ **(قَارِيهَا)** عَلَى **(الآيَاتِ)**، وَالْمُرَادُ هُنَا: الآيَاتِ **[234]**// الْمَتْلُوَّةَ فَقَطْ.

وَ**(قَارِيهَا)**: تَالِيهَا. وَالْهَمْزَةُ أَبْدَلَهَا يَاءً، وَأَصْلُ الْكَلِمِ: قَارِئٌ، فَالْهَمْزَةُ

(1) ابن حبان: 3/ 20، ابن خزيمة: 7/ 62، المستدرك: 3/ 18، سنن الدارمي: 2/ 524، مجمع الزوائد: 9/ 163، السنن الكبرى: 5/ 51.

(2) مجمع الزوائد: 9/ 164، المعجم الكبير: 5/ 166، السنة للمروزي: 1/ 35.

(3) البيت بدون نسبة في: تفسير حقي: 5/ 52، فاكهة الخلفاء: 1/ 166 برواية: «يا عين صار الدمع عندك عادة»، «صار البكا لك عادة».

هِيَ لَامُ الْكَلِمَةِ. وَلِمَ لَا تَقَرُّ عَيْنُهُ وَقَدْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا؟ وَهُوَ حُجَّةٌ لِقَارِئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِهِ تَكْمُلُ رِفْعَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَقَدْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ: «أَنَّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَداً أَفْضَلَ مِنْهُ أَوْ أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللهُ»(1). وَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ شَفِيعٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْقُرْآنِ لَا نَبِيٌّ وَلَا مَلَكٌ»(2). وَتِلَاوَتُهُ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ، قَالَ ﷺ: «أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي الْقُرْآنُ»(3). وَجَاءَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ [عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ](4): «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ»(5). وَقَالَ ﷺ: «أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ»(6). وَ«كُلُّ بَيْتٍ خَلِيٍّ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ أَخْلَى الْبُيُوتِ»(7).

وَقَوْلُهُ: **(فَقُلْتُ لَهُ)** يَكُونُ هٰذَا بِلِسَانِ حَالِهِ لَا بِلِسَانِ مَقَالِهِ إِذَا كَانَتِ التَّاءُ مَضْمُومَةً، كَأَنَّهُ خِطَابٌ لِكُلِّ مَنْ عَلِمَ مِنْهُ النَّاظِمُ [أَنَّهُ](8) يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، أَوْ سَمِعَهُ يَقْرَأُهُ، فَاعْتَقَدَ لَهُ هٰذَا. وَإِنْ كَانَتِ التَّاءُ مَفْتُوحَةً فَلَا يَسْتَقِيمُ لَهَا مَعْنَى تَقَرُّ بِهِ

(1) مجمع الزوائد: 7/ 159، كنز العمال: 2/ 525.

(2) الحلية: 4/ 108، موارد الظمآن: 1793، مجمع الزوائد: 7/ 164، جمع الجوامع: 1/ 1146.

(3) الجامع الصغير: 1/ 192، كنز العمال: 1/ 511.

(4) في الأصل: «عمر بن العاصي» ولعل المقصود هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أسلم قبل أبيه، له حوالي 700 حديث. ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 2/ 373، المحبر: 293، حلية الأولياء: 1/ 283، الحلة السيراء: 1/ 17، غاية النهاية: 1835، أسد الغابة: 3/ 349).

(5) مجمع الزوائد: 7/ 159، كنز العمال: 1/ 524، تفسير ابن كثير: 1/ 323.

(6) الجامع الصغير: 1/ 161، كشف الخفاء: 1/ 143، كنز العمال: 1/ 510.

(7) الحديث بلفظ: «إن أصفر البيوت الصفر من كتاب الله» في: الدارمي: 2/ 564، الحاكم: 2/ 259 ـ 260، السنن الكبرى: 6/ 240، ابن أبي شيبة: 6/ 127، مصنف عبد الرزاق: 3/ 368، مسند الحارث: 2/ 738، شعب الإيمان: 2/ 453، عمل اليوم والليلة: 1/ 535، البغوي: 4/ 458، الديلمي: 1/ 81.

(8) في الأصل: «أن» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

الْعَيْنُ. وَمعا رَوَيْنَاهُ إِلَّا بِالْمَضْمُومَةِ، وَهُوَ كَلَامٌ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ لَوْ رَأَى مَنْ رَأَى وَقَالَ لَهُ: (**لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ**) لَكَانَ مِنْهُ تَبْشِيراً بِمَا يَحْصُلُ لِلقَارِئِينَ، وَتَحْضِيضاً لِلْقُرَّاءِ عَلَى الْمُثَابَرَةِ عَلَى تِلَاوَتِهِ.

وَ(**حَبْلُ اللهِ**): آيَاتُ الْقُرْآنِ، لأَنَّهَا الْمُوصِلَةُ قَارِئَهَا لِرِضْوَانِ اللهِ ﷻ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ، وَالْعَرَبُ تُعَبِّرُ بِالْحَبْلِ عَنْ كُلِّ مَا تَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْمَطْلُوبِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (كامل)

إِنِّي بِحَبْلِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي ... وَبِرِيشِ نَبْلِكَ رَائِشٌ نَبْلِي[1]

وَلَمَّا كَانَ الْحَبْلُ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مَا بَعُدَ عَنِ الْمَرْءِ اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ مَا فِيهِ وُصْلَةٌ. وَمُقْتَضَى كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّهُ حَفِظَ هٰذَا نَقْلاً. وَأَظُنُّ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو الدَّانِي[2] فِي كِتَابِ «**الرِّعَايَةُ**» ذَكَرَ الْحَدِيثَ نَفْسَهُ أَوْ مَعْنَاهُ، وَلَا يَتَأَتَّى أَنْ يَقُولَ هٰذَا إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

لَا يُقَالُ: إِنَّ الضَّمِيرَ مِنْ (**قَارِيهَا**) عَائِدٌ عَلَى الْقَصِيدَةِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: قَرَّتْ بِهٰذِهِ الْقَصِيدَةِ عَيْنُ قَارِئِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ، وَتَكُونُ مِنْهُ شَهَادَةً بِمَا نَالَهُ مِنْ بَرَكَتِهَا، لٰكِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ مَا يَصْلُحُ مَعَهُ الضَّمِيرُ إِلَّا لِلآيَاتِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّاظِمُ لَمَّا أَنْ تَصَدَّى فِي هٰذِهِ الْقَصِيدَةِ لِمَدْحِ آيِ الْقُرْآنِ، وَبَالَغَ فِي مَدْحِهِ إِيَّاهَا، وَمَدْحُهَا يَقْتَضِي التَّحْضِيضَ عَلَى مُلَازَمَةِ

(1) البيت لامرئ القيس في ديوانه: 239، رصف المباني: 447، شرح المقامات: 2/ 225، الكشاف: 1/ 164.

(2) هو عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني، من حفاظ الحديث وأئمة القراء والتفسير، من أهل دانية بالأندلس، له أكثر من مائة تصنيف. (ت444هـ). ترجمته في: (النجوم الزاهرة: 5/ 54، غاية النهاية: 1/ 503، تذكرة الحفاظ: 3/ 298، نفح الطيب: 1/ 392، الأعلام: 4/ 206). لم أعثر له على كتاب اسمه الرعاية، وإنما كتاب الرعاية للحارث المحاسبي.

التِّلَاوَةِ، فَإِنَّ مَنْ سَمِعَ هٰذِهِ الأَمْدَاحَ فِيهَا يَرِقُّ قَلْبُهُ، وَيَتَعَلَّقُ رَجَاؤُهُ بِحُصُولِ مَا وَصَفَهُ النَّاظِمُ، [فَيَدْرُسُ][1] وَيَتْلُو وَيَعْتَصِمُ بِهَا. وَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ، كَأَنَّ قَائِلاً يَقُولُ لِمَنْ يَسْمَعُ ذٰلِكَ مِنْ تَحْضِيضِهِ: إِنِ اقْتَدَيْتَ بِمَا سَمِعْتَ، وَعَمِلْتَ بِمُقْتَضَاهُ، لَقَدْ ظَفِرْتَ فَيَكُونُ مِنْ مَجَازٍ فِي قَوْلِهِ: (**فَقُلْتُ لَهُ**).

وَفِي: (**قَرَّتْ**) وَ(**قَارِيهَا**) تَجْنِيسٌ. وَاللَّامُ فِي (**لَقَدْ**): يَدُلُّ عَلَى قَسَمٍ مَحْذُوفٍ، وَهُوَ مُبَالَغَةٌ فِي التَّحْضِيضِ. وَ(**لَقَدْ**) وَمَا بَعْدَهُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِوُقُوعِ الْقَوْلِ عَلَيْهِ.



(1) في الأصل: «فيدس»، ولعل الأنسب: «فيدرس».

110 ـ قَالَ:

إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى   أَطْفَأْتَ نَارَ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ[1]

شرح: هٰذَا مِنْ جُمْلَةِ الْمَقُولِ، لأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ قَوْلِهِ: **(لِقَارِيهَا)** [235]// **(إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً)** إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ. وَجَاءَ هَا هُنَا بِـ**(إِنْ)** الشَّرْطِيَةِ الْمُقْتَضِيَةِ تَعْلِيقَ الْمَشْكُوكِ عَلَيْهَا، لأَنَّ النَّاظِمَ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ لَوْ رَأَى قَارِئاً يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، أَوْ فَرَضَهُ فَرْضاً عَقْلِياً، فَإِنَّ نِيَّتَهُ فِي قِرَاءَتِهِ الآيَاتِ مِمَّا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الآدَمِيُّونَ، فَجَاءَ بِـ**(إِنْ)**.

وَ**(تَتْلُهَا)**: مُسْتَقْبَلٌ مَجْزُومٌ بِالشَّرْطِ.

وَ**(خِيفَةً)**: مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ.

(مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى)، **(حَرِّ)** هُنَا كَالْحَشْوِ، لأَنَّهُ لَوْ قَالَ: (مِنْ نَارِ لَظَى) لَكَانَ كَافِياً، لٰكِنْ أَقَامَ بِهِ الْوَزْنَ. وَمَعَ أَنَّهُ نَقَصَ بِزِيَادَتِهِ مَعْنًى آخَرَ، لأَنَّهُ لَوِ اقْتَصَرَ مَثَلاً عَلَى (نَارِ لَظَى) لَدَخَلَ لَهُ الْخَوْفُ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ، فَإِنَّ جَهَنَّمَ فِيهَا النَّارُ تُؤْلِمُ بِالْحَرِّ الْمُفْرِطِ وَبِالْبَرْدِ الْمُفْرِطِ، حَتَّى أَنَّ مَنْ عُذِّبَ بِالزَّمْهَرِيرِ يَوَدُّ لَوْ أَنَّهُ يُعَذَّبُ بِحَرِّهَا؛ لٰكِنَّ خِطَابَهُ لِمَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ، وَتَالِي الْقُرْآنِ لَا يَكُونُ غَالِباً إِلَّا مُؤْمِناً وَالزَّمْهَرِيرُ إِنَّمَا يُعَدُّ لِلْكَفَرَةِ، فَلِذٰلِكَ قَالَ: **(مِنْ حَرِّ)**. وَأَيْضاً فَإِنَّ النَّاظِمَ نَظَرَ لِلأَحَادِيثِ، لأَنَّ فِي بَعْضِهَا ذِكْرُ حَرِّ النَّارِ.

وَ**(لَظَى)**: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ، وَيُطْلَقُ عَلَى لَهِيبِ النَّارِ.

وَعَبَّرَ بِإِطْفَاءِ **(نَارَ لَظَى)** [عَنْ][2] مَعْنَى: أَمِنْتَ نَفْسَكَ مِنْ دُخُولِهَا. وَأَمَّا **(نَارَ لَظَى)** فَإِنَّهَا لَا تَنْطَفِئُ مِنْ حَيْثُ هِيَ.

(1) الديوان: 197.

(2) لا توجد لفظة: «عن» في الأصل، ولعلها سقطت، والأنسب إثباتها.

وَ**(الْوِرْدُ)**: مَحَلُّ الْوُرُودِ لِلْمَاءِ، وَهُوَ أَيْضاً كِنَايَةٌ. وَلَمَّا كَانَ الْمَاءُ الْبَارِدُ يُطْفِئُ حَرَّ النَّارِ عَبَّرَ عَنِ التِّلَاوَةِ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ، قَاصداً بِهَا وَجْهَ اللهِ الْعَظِيمِ وَخَوْفَ عَذَابِهِ الأَلِيمِ، فَكَمَا أَنَّ فِعْلَ التِّلَاوَةِ لِذٰلِكَ يُنْجِي مِنْ حَرِّ النَّارِ فَصَارَتِ الْكِنَايَةُ عَنْ ذٰلِكَ بِالْمَاءِ كِنَايَةً مُتَمَكِّنَةً.

وَ**(الشَّبِمِ)**: الْبَارِدُ، لأَنَّ انْطِفَاءَ النَّارِ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ أَشَدُّ أَثَراً فِي إِطْفَائِهَا، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يُرِيدُ بِالإِطْفَاءِ النَّجَاةَ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ، لأَنَّ التِّلَاوَةَ بِشَرْطِهَا الْمَذْكُورِ سَبَبُ النَّجَاةِ، وَإِطْفَاءَ النَّارِ أَيْضاً سَبَبُهَا، فَالنَّجَاةُ مُسَبَّبٌ، وَالإِطْفَاءُ سَبَبٌ، فَأَطْلَقَ الإِطْفَاءَ الَّذِي هُوَ سَبَبٌ عَلَى النَّجَاةِ الَّذِي هُوَ مُسَبَّبٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

وَنُبِّئْتُ قَوْمِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فِيهِمُ   وَعَهْدُهُمُ بِالنَّائِبَاتِ قَرِيبُ[1]
فَإِنْ يَكُ مَا قَالُوهُ حَقّاً فَإِنَّهُمْ   كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَنُوبُ

وَلَمَّا كَانَ الْكَرَمُ سَبَبَ الصَّبْرِ عَبَّرَ بِهِ عَنْهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ لانْقَلَبَ الْمَدْحُ هَجْواً، وَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ كِرَاماً إِلَّا عِنْدَمَا تَنُوبُهُمُ النَّوَائِبُ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ بِمُرَادٍ، وَإِنَّمَا مُرَادُ الشَّاعِرِ أَنَّهُمْ كِرَامٌ [يَصْبِرُونَ][2]، لأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْكِرَامِ الصَّبْرُ عِنْدَ نُزُولِ النَّوَائِبِ، أَوْ أَنَّ النَّجَاةَ مِنْ لَوَازِمِ الإِطْفَاءِ وَالإِطْفَاءُ مَلْزُومٌ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ التَّعْبِيرِ بِالْمَلْزُومِ عَنِ اللَّازِمِ.

وَمِنْ بَابِهِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُسَبَّبِ بِسَبَبِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا   بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ[3]
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ؟ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ   بِشَرْقِيِّ سَابَاطَ الدِّيَارُ الْبَسَابِسُ[4]

(1) البيتان لجزء بن ضرار سبق تخريجهما: ص97.

(2) في الأصل: «يصبروا».

(3) البيتان لأبي نواس في ديوانه: 2/ 7.

(4) في الأصل: «منهم». ساباطا: موضع ببلاد فارس. والبسائس: جمع بسبس وهي القفار.

أيْ: لَمْ أَدْرِ غَيْرَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، [236]// فَأَطْلَقَ لَفْظَ الشَّهَادَةِ عَلَى الدَّلَالَةِ، لأنَّ الشَّهَادَةَ بِالشَّيْءِ سَبَبٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَمَلْزُومَةٌ لَهَا.

وَ(**غَيْرَ**) هُنَا كَ (**إلَّا**)، تُفِيدُ الاسْتِثْنَاءَ.

وَخَاطَبَ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ: (**إنْ تَتْلُهَا**) الَّذِي قَرَّتْ عَيْنُهُ بِهَا، وَالَّذِي عَادَ عَلَيْهِ الضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ مِنْ قَوْلِهِ: (**فَقُلْتُ لَهُ**).

وَالْهَاءُ مِنْ (**تَتْلُهَا**) لِ (**لآيَاتِ**).

وَ(**مِنْ**) مِنْ قَوْلِهِ: (**مِنْ وِرْدِهَا**): سَبَبِيَّةٌ، أيْ: بِسَبَبِ وِرْدِهَا.

وَالضَّمِيرُ فِي (**وِرْدِهَا**) لِ (**لآيَاتِ**).

وَ(**الشَّبِمِ**): نَعْتٌ لِلْوِرْدِ الَّذِي أَرَادَ بِهِ الْمَاءَ.

وَ(**خِيفَةً**): مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، أيْ: مِنْ أَجْلِ الْخَوْفِ.

وَفِي الْبَيْتِ: الطِّبَاقُ، لِلْجَمْعِ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ: وَهُوَ (**لَظَى**) وَ(**الْوِرْدِ الشَّبِمِ**)، إذِ اللَّهَبُ وَالْمَاءُ الْبَارِدُ ضِدَّانِ.

وَإطْفَاءُ لَظَى بِالتِّلَاوَةِ مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيلِ.

وَفِيهِ: التَّضْمِينُ الْمَعْنَوِيُّ، لأنَّ الْبَيْتَ الثَّانِي تَعْلِيلٌ لِلَّذِي قَبْلَهُ.

وَ(**تَلَا**) يَكُونُ بِمَعْنَى: قَرَأَ، كَمَا هُوَ هُنَا. وَبِمَعْنَى: تَبِعَهُ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ التَّابِعِ وَالْمَتْبُوعِ وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى الْقِرَاءَةِ أَظْهَرُ مِنْ كَوْنِهِ بِمَعْنَى الاتِّبَاعِ.

وَيَكُونُ (**تَلَا**) بِمَعْنَى: أَخْبَرَ. تَقُولُ: تَلَوْتُ الرَّجُلَ بِمَعْنَى: تَبِعْتُهُ. وَتَلَوْتُهُ الْخَبَرَ بِمَعْنَى: أَخْبَرْتُهُ بِهِ. وَتَلِيَّتْ بِالْيَاءِ. أيْ: بَقِيتْ. وَهِيَ لُغَةٌ بَاقِيَةٌ فِي أَلْسِنَةِ عَرَبِ بِلَادِنَا، يَقُولُونَ: تَلَى لِي عِنْدَكَ كَذَا وَكَذَا.



111 ـ قَالَ:

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ ... مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالْحُمَمِ[1]

شرح: هٰذِهِ كَرَامَةٌ مُرَكَّبَةٌ أَفَادَهَا التَّشْبِيهُ. وَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ بِـ (**كَأَنَّ**) عَائِدٌ عَلَى التِّلَاوَةِ. وَلَمَّا رَأَى النَّاظِمُ أَنَّ تِلَاوَةَ كِتَابِ اللهِ ﷻ عَلَى الشَّرْطِ الْمَذْكُورِ تَبْيَضُّ بِهَا وُجُوهُ التَّالِينَ، وَرَأَى أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَوْضِ فِي هٰذَا الْمَعْنَى مُنَاسَبَةً، شَبَّهَهَا بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي تَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُ مَنْ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ الَّذِينَ أُنْفِذَ فِيهِمُ الْوَعِيدُ.

وَلَمْ يَزَلِ النَّاظِمُ يَجْلُبُ أَمْراً خَارِجاً مُنَاسِباً، وَأَمْراً مُنَاسِباً مَطْلُوبَ الذِّكْرِ لِمُشَارَكَتِهِ فِي الْخُصُوصِيَّةِ وَالْخَاصِيَّةِ:

أَمَّا الأَوَّلُ: كَمَا جَلَبَ قِصَّةَ يُونُسَ لِمُنَاسَبَةِ التَّسْبِيحِ وَنَبْذِهِ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ نَصّاً، وَبِالشَّجَرَةِ تَعْرِيضاً لِلَّتِي أَنْبَتَ اللهُ عَلَيْهِ، فَقَابَلَ التَّسْبِيحَ وَالنَّبْذَ بِالتَّسْبِيحِ وَالنَّبْذِ، وَأَوْمَأَ بِسُجُودِ الشَّجَرَةِ وَإِتْيَانِهَا طَائِعَةً لِلشَّجَرَةِ الْمُنْبَتَةِ عَلَى يُونُسَ ﷺ بَعْدَ نَبْذِهِ بِالْعَرَاءِ.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَإِقْسَامُهُ بِالْقَمَرِ، جَامِعاً بِهِ بَيْنَ مُعْجِزَتَي الانْشِقَاقِ: فِيهِ، وَفِي قَلْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا فَعَلَ هُنَا فِي جَمْعِهِ بَيْنَ كَرَامَةِ التِّلَاوَةِ وَخَاصِّيَّةِ الْحَوْضِ الْمُشْتَرِكَتَيْنِ فِي تَبْيِيضِ الْوُجُوهِ إِلَّا أَنَّ خَاصَّةَ الْحَوْضِ تَخْصِيصاً بِالْكَبَائِرِ نَصٌّ، وَأَطْلَقَ الْحُكْمَ فِي التِّلَاوَةِ، وَالتِّلَاوَةُ تُبَيِّضُ وُجُوهَ التَّالِينَ الآيَاتِ بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ مَعَ نَجَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ.

فَإِنْ قِيلَ: وَهَلْ هٰذَا الْبَيَاضُ الْمُكْتَسَبُ مِنَ التِّلَاوَةِ خَاصٌّ بِهِمْ؟

---

(1) الديوان: 197.

فَالْجَوَابُ: إِنَّ التِّلَاوَةَ إِنْ قَصَدَ بِهَا إِقَامَتَهَا مَقْصُودَةً بِالْقَصْدِ الأَوَّلِ كَانَ التَّبْيِيضُ خَاصَّةً. وَإِنْ عَنِيَ بِهَا تِلَاوَةً مُطْلَقَةً فَكُلُّ مُصَلٍّ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ تَالٍ، إِذْ لَا بُدَّ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ لِكُلِّ مُصَلٍّ فَرْضاً وَنَفْلاً. **[237]**// وَإِنْ أَرَادَ بَيَاضاً مُرَتَّباً عَلَى تِلَاوَةِ الْمُرَتِّبِينَ لِلتِّلَاوَةِ الْمُسْتَقِلَّةِ بِنَفْسِهَا كَانَ هَذَا الْبَيَاضُ خَاصّاً. وَهُنَاكَ أَنْوَارٌ أُخَرُ تُكْتَسَبُ مِنَ الْوُضُوءِ، وَ[هِيَ][1] الْغُرَرُ وَالتَّحْجِيلُ الْمُشَارُ إِلَيْهِمَا فِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ[2]، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ لِتَالِيِي الْقُرْآنِ [نُورٌ][3] زِيَادَةً عَلَى النُّورِ الْمُكْتَسَبِ مِنَ الْوُضُوءِ. وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَيْضاً بَيَاضٌ، فَيَكُونُ بَيَاضُ التَّالِينَ أَكْثَرَ مِنْ بَيَاضِ غَيْرِهِمْ وَإِلَّا فَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾** [آل عمران: 106]، الْبَيَاضُ فِي الآيَةِ ظَاهِرُهُ الْعُمُومُ فِي الْمُؤْمِنِينَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾** [آل عمران: 106]، فَدَلَّ عَلَى [أَنَّ][4] اسْوِدَادَ الْوُجُوهِ إِنَّمَا هُوَ خَاصٌّ بِالْكَفَرَةِ، وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَ(**الْحَوْضُ**): مِنْ كَرَامَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تَرِدُهُ أُمَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. عَدَدُ آنِيَتِهِ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ. وَهُوَ أَكْثَرُ الْحِيَاضِ وَارِدَةً. وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، لَكِنَّ وُرَّادَهُ قَلِيلُونَ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَرِدُ عَلَى حَوْضِهِ مِنْ أُمَّتِهِ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالْجَمَاعَةُ الْقَلِيلَةُ. وَعَرْضُ الْحَوْضِ مَسِيرَةُ شَهْرَيْنِ. وَطُولُهُ كَذَلِكَ. وَفِيهِ مِيزَابَانِ يَشْخَبَانِ مِنَ الْكَوْثَرِ: مِيزَابٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَمِيزَابٌ مِنْ ذَهَبٍ. وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ هِيَ الَّتِي تَنْقَلِبُ حَوْضاً[5].

وَلَمَّا كَانَ فِي الدُّنْيَا تَرِدُ أُمَّتُهُ ﷺ عَلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَكَذَلِكَ تَرِدُهُ بَعْدَ

(1) في الأصل: «هو» لأن الضمير يعود على الأنوار.
(2) البخاري: 1/ 3، مسلم: 1/ 217، ابن خزيمة: 1/ 6، ابن حبان: 3/ 321.
(3) لا توجد الكلمة في الأصل، ولعلها ساقطة، والأنسب إثباتها.
(4) لا توجد لفظة: «أن» في الأصل، ولعلها سقطت.
(5) ينظر: البخاري: 5/ 2408، مسلم: 4/ 1798، ابن خزيمة: 1/ 6، ابن حبان: 1/ 138.

قَلْبِ الْجَزِيرَةِ حَوْضاً. وَمِيزَابُ الذَّهَبِ عَلَامَةٌ عَلَى مَعْنَى الْقُرْآنِ. وَمِيزَابُ الْفِضَّةِ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْنَى السُّنَّةِ، وَهُوَ مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ وَيَتَطَهَّرَ وَإِنْ دَخَلَ النَّارَ. وَعِنْدَ طَهُورِهِ مِنْهُ يَخْرُجُ كَأَنَّهُ اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «عَرْضُهُ كَطُولِهِ». وَجَاءَ: «إِنَّهُ كَمَا بَيْنَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ وَالْكُوفَةِ». وَجَاءَ: «مَا بَيْنَ إِيلْيَا وَصَنْعَاءَ»[1].

وَلَمَّا كَانَ لِلْحَوْضِ أَنْ يُبَيِّضَ الْوُجُوهَ، وَيُطَهِّرَ، وَيُشْفِيَ الْغُلَلَ، جَلَبَهُ النَّاظِمُ لِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ. وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ يُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ[2] فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ.

وَقَوْلُهُ: (**تَبْيَضُّ وُجُوهُ**) تَفْسِيرٌ لِمَا وَقَعَ بِهِ التَّشْبِيهُ.

وَقَوْلُهُ: (**مِنَ الْعُصَاةِ**)، يُرِيدُ: بِارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ، وَمَنْ أُنْفِذَ فِيهِ الْوَعِيدُ مِنْهُمْ، وَبِالصَّغَائِرِ إِنْ وَاقَعُوهَا وَلَمْ يَتُوبُوا، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مَقْرُونَةً عِنْدَ ارْتِكَابِهَا بِكَبِيرَةٍ فَتُرِكَتِ الْكَبِيرَةُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾** [النساء: 31].

وَقَوْلُهُ: (**وَقَدْ جَاءُوهُ كَالْحُمَمِ**)، الْحُمَمُ: الْفَحْمُ الْمَحْرُوقُ. فِيهِ مَعَ ذِكْرِ ابْيِضَاضِ الْوُجُوهِ طِبَاقٌ. وَفِيهِ: الإِغْرَاقُ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ مُبَالَغَةٌ ـ: (**وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالْحُمَمِ**) وَلَمْ يَقُلْ: (**سُوداً**). وَيَعْنُونَ بِهِ مَا كَانَ مُمْكِناً عَقْلاً وَإِنْ لَمْ يَقَعْ عَادَةً؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَصِفُ فَرَساً: (**طويل**)

يَنَامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي ... بِأُخْرَى الْمَنَايَا فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ[3]

(1) البخاري: 23/ 63، مسلم: 3/ 1769، الترمذي: 4/ 48، أبو داود: 4/ 237، ابن ماجة: 2/ 1438، أحمد: 2/ 21 ـ 125 ـ 132، الفردوس: 2/ 138، كنز العمال: 39177، إتحاف السادة المتقين: 10 /6 502.
(2) ينظر: البخاري: 5/ 2400، مسلم: 1/ 170، ابن حبان: 1/ 456، المستدرك: 4/ 626.
(3) البيت لحميد بن ثور الهلالي سبق تخريجه: ص191.

فَإِنَّ هٰذَا الْوَصْفَ مُمْكِنٌ عَقْلاً مُخَالِفٌ لِمَا فِي الْعَادَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَوْ قَالَ: (**إِذَا جَاؤُوهُ**) لَكَانَ أَوْلَى مِنْ قَوْلِهِ: (**وَقَدْ جَاؤُوهُ**)، وَالْمَجِيءُ إِنَّمَا هُوَ مُسْتَقْبَلٌ.

قُلْتُ: هُوَ حِكَايَةُ هَيْئَةِ أَحْوَالِهِمْ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ وَقَعَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ سَيَقَعُ، فَكَأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ. وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ. وَ(**كَالْحُمَمِ**) بِنَفْسِهِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضاً، فَالْحَالُ الأُولَى جُمْلِيَّةٌ وَالثَّانِيَةُ إِفْرَادِيَّةٌ.



112 ـ قَالَ:

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً   فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ[1]

شرح: [238]// هٰذَا مِنْ مَحَاسِنِ نَظْمِ هٰذَا الرَّجُلِ، وَذٰلِكَ لَمَّا شَبَّهَ بِالْحَوْضِ فِي تَبْيِيضِ الْوُجُوهِ شَبَّهَ بِالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ فِي الْعَدْلِ، أَمَّا عَدْلُ الصِّرَاطِ فَفَوْزُ النَّاجِينَ، وَهَلَاكُ الْهَالِكِينَ إِنَّمَا هُوَ مُرْتَبِطٌ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَالنَّاجُونَ: هُمْ أَهْلُ رُجْحَانِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّالِمُونَ مِنْهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ فَمَنْ خَصَّهُمُ اللهُ ﷻ بِسَابِقَةِ الْحُسْنَى. وَالسَّالِمُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَجُوزُونَ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَبَعْدَهُمُ الَّذِينَ يَجُوزُونَ كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ، وَبَعْدَهُمْ كَالْجَوَادِ السَّابِقِ، ثُمَّ الْجَوَازُ سَعْياً، وَمَشْياً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجُوزُهُ حَبْواً. ثُمَّ الْهَالِكُونَ مُتَفَاوِتُونَ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُكَبُّ بِأَوَّلِ قَدَمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَبُّ عِنْدَ آخِرِ قَدَمٍ. وَبَيْنَ الْمَقَامَيْنِ مَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ ﷻ. ثُمَّ إِنَّ لَبْثَ السَّاقِطِينَ فِي النَّارِ عَلَى قَدْرِ أَحْوَالِهِمْ فِي جَوَازِ الصِّرَاطِ، فَمَنْ كُبَّ بِأَوَّلِ قَدَمٍ كَانَ آخِرَ الْخَارِجِينَ، وَمَنْ كُبَّ بِآخِرِ قَدَمٍ كَانَ أَوَّلَ الْخَارِجِينَ.

وَ(**الْمِيزَانُ**): مَثَاقِيلُهُ الذَّرُّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7، 8].

وَ(**الصِّرَاطُ**): جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، أَرَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ جَوْهَرِيَّتَهُ مِمَّا هُوَ.

وَ(**الْمِيزَانُ**): لَهُ كَفَّتَانِ: إِحْدَاهُمَا مِنْ نُورٍ، وَالأُخْرَى مِنْ ظُلْمَةٍ. وَالصِّرَاطُ بَعْدَ الْمِيزَانِ. ثُمَّ إِنَّ النَّاظِمَ قَدَّمَ الصِّرَاطَ بِالذِّكْرِ لأَنَّهُ ثَمَرَةُ الْمِيزَانِ، إِذْ نَجَاةُ

---
(1) الديوان: 197.

النَّاجِينَ وَهَلَاكُ الْهَالِكِينَ عِنْدَ الْجَوَازِ. وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِ، وَنَطَقَتْ بِهِ الآيَاتُ وَالأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ.

وَ(**الصِّرَاطُ**) فِي اللُّغَةِ: الطَّرِيقُ. وَكُلُّ مُنْتَقِلٍ فِي الْعَالَمِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ أَوْ فَلَكٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ طَرِيقٍ. فَالصِّرَاطُ عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَخُصَّ الصِّرَاطُ الْمَضْرُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ بِالإِيمَانِ بِهِ لِعِظَمِهِ. وَهُوَ مُمْتَدٌّ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ وَالشَّقَاوَةِ الأَبَدِيَّةِ، وَعَلَيْهِ يَسْلُكُ الْخَلْقُ مِنَ الْمَحْشَرِ إِلَى مُسْتَقَرِّهِمْ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ. وَيَجِبُ أَيْضاً الإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ.

وَ(**الْقِسْطُ**): الْعَدْلُ. وَيَعْنِي النَّاظِمُ أَنَّ هٰذِهِ الآيَاتِ تُشْبِهُ الصِّرَاطَ وَتُشْبِهُ الْمِيزَانَ فِي أَنَّهَا أَعْلَى دَرَجَةِ الْعَدْلِ.

وَقَوْلُهُ: (**إِنَّ الْقِسْطَ لَمْ يَقُمْ فِي النَّاسِ مِنْ غَيْرِهَا**): حَاصِلُ هٰذَا الْكَلَامِ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَقُمْ فِيهِمْ قِسْطٌ مِنْ غَيْرِ الآيَاتِ، فَمَنْطُوقُهُ يَقْتَضِي أَنَّ جَمِيعَ الأَحْكَامِ إِنَّمَا اسْتُفِيدَتْ مِنَ الْكِتَابِ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ، فَيُؤْخَذُ مِنْ مَفْهُومِ هٰذَا الْبَيْتِ أَنَّ الْقِسْطَ حَصَلَ فِي النَّاسِ مِنَ الآيَاتِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هٰذَا أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ لَا يَتَوَقَّفُ فِي أَنَّ الْعَدْلَ حَاصِلٌ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَلَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ فِي هٰذَا عِنْدَ الأَشْعَرِيَّةِ[1].

وَأَمَّا بَعْضُ الأَحْكَامِ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ[2] فَإِنَّهَا مُسْتَنِدَةٌ عِنْدَهُمْ إِلَى الْعَقْلِ؛ وَالْبُرْهَانُ يُبْطِلُ دَعْوَاهُمْ فِي ذٰلِكَ. وَالْحَقُّ أَنْ لَا طَرِيقَ لِلْعَقْلِ فِي ذٰلِكَ، إِنَّمَا هُوَ لِلشَّرْعِ، فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ حُصُولَ الْقِسْطِ إِنَّمَا مُسْتَنَدُهُ الشَّرْعُ، فَالْمُحَصِّلُ لَهُ: آيَاتُ كِتَابِ اللهِ ﷻ، وَالأَصْلُ فِي جَمِيعِ الأَحْكَامِ هُوَ وَالسُّنَّةُ مُبَيِّنَةٌ لِمَا فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ.

وَ(**الْفَاءُ**) مِنْ قَوْلِهِ: (**فَالْعَدْلُ**) لِلسَّبَبِ. وَلَوْ كَانَ عِوَضاً مِنْهَا وَاوُ الْعَطْفِ لَكَانَ أَسْعَدَ بِالْمَوْضِعِ، إِذِ الْفَاءُ تُعْطِي أَنَّ الْعَدْلَ فِي النَّاسِ قَدْ يَقُومُ مِنْ غَيْرِ الآيَاتِ؛ بِخِلَافِ الْوَاوِ فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ: (وَالْعَدْلُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ)

(1) الأشعرية: فرقة لامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري. ينظر: الملل والنحل: 1/ 119، الأنساب: 1/ 166، لب اللباب: 1/ 63.

(2) المعتزلة فرقة كلامية، من أهل العدل والتوحيد. ينظر: لب اللباب: 1/ 54.

فَإِنَّهَا تَقْتَضِي أَنْ لَا يَقُومَ فِي النَّاسِ عَدْلٌ مِنْ غَيْرِهَا. وَلَعَلَّ النَّاظِمَ قَصَدَ أَنَّ الْعَدْلَ يَقُومُ فِي النَّاسِ مِنْهَا، وَقَدْ يَقُومُ مِنْ غَيْرِهَا، وَيَعْنِي: السُّنَّةَ وَالإِجْمَاعَ؛ لٰكِنْ إِنْ حَقَّقَ الْمُنْكِرُ فَالآيَاتُ دَلَّتْ عَلَى [239]// أَخْذِ مَا يَأْتِي مِنَ السُّنَّةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: 7]، وَكَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾[1] [النساء: 115]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا أُخِذَ مِنَ السُّنَّةِ وَمِنَ الإِجْمَاعِ إِنَّمَا أَرْشَدَتْ إِلَيْهِ الآيَاتُ.

وَكَذٰلِكَ أَيْضاً يُسْتَفَادُ مِنَ (**الْوَاوِ**) أَنْ لَوْ جَاءَ بِهِ عِوَضاً مِنَ (**الْفَاءِ**) لَاقْتَضَى مَدْحاً آخَرَ لِلآيَاتِ، إِذْ يَكُونُ أَخْبَرَ بِأَنَّ الآيَاتِ كَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ فِي الْعَدْلِ. وَأَيْضاً إِنَّ الْعَدْلَ فِي النَّاسِ إِنَّمَا قَامَ مِنَ الآيَاتِ.

وَالتَّشْبِيهُ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّاظِمُ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ، لأَنَّهُ يَقُولُ: وَكَأَنَّهَا كَالصِّرَاطِ، كَمَا تَقُولُ: كَأَنَّ السَّيْفَ كَالْحَنَشِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الَّتِي تَشْبِيهُ كَأَنَّ وَالْكَافِ، كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ كَمِثْلِ عَمْرٍو. وَإِنِ اخْتَصَرْنَا عَنْ إِحْدَى الآلَتَيْنِ وَقَدَّرْنَاهُ لِلآيَاتِ ضَمِيراً تَقْدِيرُهُ: وَهِيَ كَالصِّرَاطِ يَكُونُ تَشْبِيهاً مُجَرَّداً، أَيْ: وَالآيَاتُ كَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ.

وَنَصَبَ (**مَعْدِلَةً**) عَلَى التَّفْسِيرِ مُمَيِّزاً لِمَا وَقَعَ فِيهِ التَّشْبِيهُ.

وَجَمْعُهُ بَيْنَ الْمُتَنَاسِبَاتِ مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

وَلَيْسَ قَوْلُهُ: (**مَعْدِلَةً**) (**كَالْعَدْلِ**) مِنْ بَابِ التَّجْنِيسِ لِمَا قَدَّمْنَاهُ فِي اشْتِرَاطِهِمْ مَا بِهِ يَكُونُ التَّجْنِيسُ تَجْنِيساً.

وَمَعْنَى (**لَمْ يَقُمِ**)، أَيْ: لَمْ يَثْبُتْ، أَوْ لَمْ يَسْتَوِ. وَلِـ(**قَامَ**) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَحَامِلُ انْظُرْهَا فِي مَا أَسْلَفْنَاهُ قَبْلُ[2].

(1) في الأصل: «ومن يتبع».

(2) ينظر: أفعال ابن القوطية: مادة/ قوم.

113 ـ قالَ:

لَا تَعْجَبُوا لِحَسُودٍ ظَلَّ يُنْكِرُهَا   تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ[1]

شرح: لَمَّا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ، وَذَكَرَ أَنَّ الْوُجُوهَ تَبْيَضُّ بِتِلَاوَتِهِ، وَذَكَرَ مَا يُوصِلُ عُقُولَ السَّامِعِينَ إِلَى عَدْلِهِمَا، وَإِلَّا فَهُمَا أَوْلَى بِأَنْ يُشَبَّهَا بِالآيَاتِ فِي الْعَدْلِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ عَدْلُ الصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ مِمَّا تَقْضِي الْعُقُولُ بِإِدْرَاكِهِ بِالْحِسِّ، ذَكَرَ مَا نَبَتْ عَنْهُ الأَفْكَارُ مِنْ عَدْلِ الآيَاتِ الَّتِي تُدْرَكُ بِالْمَعْنَى. وَ[لَمَّا][2] ذَكَرَ أَنَّ الْقِسْطَ لَمْ يَقُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا مِنْهَا، اسْتَشْعَرَ سُؤَالاً وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: فَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ مُشْتَمِلاً عَلَى ضُرُوبِ الإِعْجَازِ بِحَيْثُ لَا يَسَعُ أَحَدٌ إِنْكَارَهُ، فَلِمَ أَنْكَرَهُ الْمُنْكِرُونَ؟ قَالَ: لَيْسَ فِي هٰذَا عَجَبٌ، وَوُرُودُ السُّؤَالِ مُتَّجِهٌ، لأَنَّهُ يُقَالُ: إِذَا كَانَتِ الدَّلَالَةُ النَّبَوِيَّةُ ظَاهِرَةً لِلْعُقُولِ بِحَيْثُ لَا تَخْفَى عَلَى الْعُقَلَاءِ، فَيَلْزَمُ مِنْهَا عَدَمُ جَحْدِ جَاحِدٍ، فَجَاءَ النَّاظِمُ بِجَوَابٍ يَرُدُّ هٰذَا الإِيرَادَ فَقَالَ: (**لَا تَعْجَبُوا لِحَسُودٍ ظَلَّ يُنْكِرُهَا**)، إِذْ لَيْسَ إِنْكَارُهُ بِالْقَادِحِ فِي أَدِلَّةِ النُّبُوءَةِ، وَلَا فِي مَا نُسِبَ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ. وَجَعَلَ هٰذَا تَوْطِئَةً لِإِظْهَارِ السَّبَبِ الَّذِي لأَجْلِهِ لَا يَكُونُ إِنْكَارُ مَنْ أَنْكَرَهُ قَادِحاً. وَلَمَّا كَانَ مُوَاجَهَةُ الْمُلْحِدِينَ بِالإِنْكَارِ إِنَّمَا كَانَ حَيْثُ يَجْتَمِعُ النَّاسُ وَتَنْعَقِدُ الْمَحَافِلُ، وَهُوَ النَّهَارُ فَقَالَ: (**ظَلَّ يُنْكِرُهَا**)، إِذْ لَفْظَةُ (**ظَلَّ**) تُعْطِي أَنَّ إِنْكَارَهُ إِنَّمَا كَانَ بِالنَّهَارِ، وَلَوْ قَالَ: (صَارَ يُنْكِرُهَا) لَعَمَّمَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَلَوْ قَالَ: (يُنْكِرُهَا) لَتَمَّ مَا قَصَدَ أَيْضاً، لَكِنْ فِي (**ظَلَّ**) مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ، وَأَقَامَ بِهِ وَزْنَ الْبَيْتِ.

وَقَوْلُهُ: (**يُنْكِرُهَا**) لَا يُقَالُ: يُنْكِرُ وُجُودَهَا، إِذْ كَانُوا يَرَوْنَ الآيَاتِ عِيَاناً،

---

(1) الديوان: 97 «لا تعجبن».

(2) لا توجد: «لما» في الأصل، ولعلها سقطت، والأنسب إثباتها.

وَإِنَّمَا كَانُوا يُنْكِرُونَ دِلَالَتَهَا، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، أَيْ: ظَلَّ يُنْكِرُ بَرَاهِينَهَا أَوْ دِلَالَاتِهَا أَوْ إِعْجَازَهَا.

وَقَوْلُهُ: (**تَجَاهُلاً**) مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، أَيْ: تَجَاهُلاً لَا جَهْلاً بِهِ. وَحَسَّنَ لَهُ ذٰلِكَ قَوْلُهُ: (**لِحَسُودٍ**)، إِذِ الْحَسَدُ حَمَلَهُ عَلَى الإِنْكَارِ وَالْكُفْرِ [عِنَاداً][1]. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَاهِلِ وَالْمُتَجَاهِلِ: الْجَاهِلُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِحَقِيقَةِ مَا جَهِلَ. وَالْمُتَجَاهِلُ: [240]// يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ وَيُنْكِرُهُ.

وَذِكْرُ الْحَسُودِ مُشْعِرٌ بِحُصُولِ الْعِلْمِ عِنْدَهُ. فَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ بَرَاعَةِ الاسْتِهْلَالِ، لأَنَّ الْمُنْكِرَ لأَجْلِ الْحَسَدِ هُوَ الْمُتَجَاهِلُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ أَنْكَرُوا مَا بُيِّنَ لَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ صِفَتِهِ ﷺ، فَيَصِيرُ الْحَسَدُ مَانِعاً لَهُمْ مِنْ إِظْهَارِ مَا عَلِمُوهُ، فَإِذَا أَنْكَرُوا أَنْكَرُوا تَجَاهُلاً لَا جَهْلاً؛ فَالْجَاهِلُ جَاهِلٌ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَالْمُتَجَاهِلُ عَارِفٌ فِي الْبَاطِنِ مُظْهِرٌ التَّجَاهُلَ فِي الظَّاهِرِ؛ لَكِنْ إِنْ فَرَضْنَاهُ [مُتَجَاهِلاً][2] فَقَدْ يَكُونُ قَوْلُ النَّاظِمِ: (**قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ**) جَوَاباً لَهُ، وَسَأُبَيِّنُهُ.

وَقَوْلُهُ: (**وَهُوَ غَيْرُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ**)، فِيهِ (**غَيْرُ**) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَآخِرُ الْكَلِمَةِ رَاءٌ مُهْمَلَةٌ. وَفِيهِ (**عَيْنُ الْحَاذِقِ**) بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ. أَمَّا الرِّوَايَةُ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ فَتَطَابُقٌ، وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ وَالْفَهِمِ [الَّذِي][3] فَهِمَ حَقِيقَةَ الْمُعْجِزَةِ وَجَحَدَهَا، وَلَا خَلَلَ فِي حِذْقِهِ، لَكِنَّهُ أَدْرَكَهُ الْحَسَدُ حَتَّى مَنَعَهُ مِنَ الإِقْرَارِ بِالْحَقِّ.

وَ(**الْحَاذِقُ**): النَّبِيلُ. وَ(**الْفَهِمُ**): مُدْرِكُ حَلِّ مَا أُشْكِلَ مِنَ الْمَسَائِلِ بِنُبْلِهِ وَحِذْقِهِ.

وَمَعَهُ فِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِجَمْعِهِ بَيْنَ هٰذِهِ الْمُتَنَاسِبَاتِ: كَـ (**الْحَاذِقِ الْفَهِمِ**).

---

(1) في الأصل: «عناد».

(2) في الأصل: «متجاهل».

(3) في الأصل: «لي».

114 ـ قَالَ:

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ[1]

شرح: هٰذَا الْبَيْتُ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: قَدْ قَرَّرَ النَّاظِمُ الثَّنَاءَ الْعَظِيمَ عَلَى هٰذِهِ الْآيَاتِ بِظُهُورِ دِلَالَتِهَا عَلَى صِدْقِ مُدَّعِي النُّبُوءَةِ ظُهُوراً لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ عَقْلٍ، ثُمَّ إِنَّا نَجِدُ كَثِيراً مِنَ الْجَاحِدِينَ أَنْكَرُوا النُّبُوءَةَ، وَطَعَنُوا فِي مُدَّعِي ذٰلِكَ، وَكَيْفَ يَتَمَشَّى ذٰلِكَ؟ إِذْ لَوْ كَانَتْ هٰذِهِ الْآيَاتُ فِي هٰذَا الظُّهُورِ مَا خَفِيَتْ عَلَى أَحَدٍ، وَإِذَا لَمْ تَخْفَ عَلَى أَحَدٍ، فَلَا يُوجَدُ إِنْكَارٌ مِنْ مُنْكِرٍ الْبَتَّةَ، وَلَمَّا وَجَدُوا، فَمَا بَالُهُمْ جَحَدُوا؟

فَقَالَ: (**لَا تَعْجَبُوا لِحَسُودٍ ظَلَّ يُنْكِرُهَا**)، ثُمَّ أَرْدَفَ هٰذَا الْكَلَامَ الَّذِي جَاءَ بِهِ [لِيَصْغَى][2] السَّامِعُونَ إِلَى مَا يُجِيبُ بِهِ، قَالَ: (**قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ**)، يَعْنِي: كَمَا [يُنْكِرُ][3] الْكَفَرَةُ الَّذِينَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ نُورَ الْمُعْجِزَاتِ مَعَ شِدَّةِ ظُهُورِهَا، فَهٰذَا الْحَسُودُ لَيْسَ لِعَدَمِ اطِّلَاعِهِ عَلَى أَسْرَارِ الْآيَاتِ، وَلَا لِخَفَاءِ دِلَالَةِ النُّبُوءَةِ أَنْكَرَ دِلَالَتَهَا، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى الْإِنْكَارِ مَانِعٌ، وَهُوَ الْحَسَدُ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى قَلْبِهِ حَتَّى حَمَلَهُ عَلَى إِنْكَارِ الْوَاضِحَاتِ مِنَ الْأَدِلَّةِ؛ بَلْ هُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عَالِمٌ بِوُجُودِهَا، وَمُتَيَقِّنٌ بِصِحَّةِ أَدِلَّتِهَا، لٰكِنَّ الرَّمِدَ لَا يُنْكِرُ ظُهُورَ الشَّمْسِ فِي الْآفَاقِ وَلَوْ سُئِلَ عَنْهَا لَقَالَ: هِيَ نَيِّرُ النَّهَارِ، وَأَنَا مُقِرٌّ بِوُجُودِهَا، وَلَا يَحْمِلُهُ مَرَضُهُ بِالرَّمَدِ وَلَا مَرَضُ السَّقِيمِ أَيْضاً عَلَى إِنْكَارِ طَعْمِ الْمَاءِ؛ بَلْ يَقُولُ: هُوَ عَلَى طَبْعِهِ مِنَ الْعُذُوبَةِ وَالْبُرُودَةِ، وَإِنَّمَا أَنَا لَا أَسْتَلِذُّهُ

(1) الديوان: 197.

(2) في الأصل: «لتصغى».

(3) في الأصل: «تنكر».

لِمَانِعٍ مَنَعَ، وَلَا أُدْرِكُ ضَوْءَ الشَّمْسِ لِمَانِعٍ مَنَعَ. فَنَقُولُ: وَكَذَا يَقُولُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ مَنْ أَنْكَرَ دِلَالَةَ النُّبُوءَةِ، يَقُولُ: أَنَا لَا أَشُكُّ فِي وُجُودِ الْحَقِّ وَهُوَ صَحِيحٌ، فَالنُّبُوءَةُ ثَابِتَةٌ، وَالدِّلَالَةُ ظَاهِرَةٌ، لٰكِنْ حَلَّ بِي مِنَ الْحَسَدِ مَا مَنَعَنِي مِنَ الِانْتِفَاعِ بِأَنْوَارِ تِلْكَ النُّبُوءَةِ وَهُوَ الْحَسَدُ. وَيَجْرِي الْكَلَامُ عَلَى هٰذَا الْوَجْهِ، وَيَسْتَقِيمُ الْجَوَابُ وَيُطَابِقُ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: لَيْسَ الْإِنْكَارُ هُنَا بِمَعْنَى الْجُحُودِ، بَلْ هُوَ بِمَعْنَى الِاجْتِنَابِ، لِعَدَمِ الْمُلَائَمَةِ لِمَانِعٍ، مَعَ الْإِقْرَارِ بِوُجُودِ مَا اجْتُنِبَ؛ كَمَا قَالَ صَاحِبُ أَبِي جَهْلٍ حِينَ قَالَ فِي الْقُرْآنِ: «وَاللهِ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ وَلَا سَاحِرٍ وَلَا مَجْنُونٍ»، حَتَّى قِيلَ لَهُ: صَبَوْتَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: مَا صَبَوْتُ إِلَيْهِ، وَلَا أَطْعَنُ فِيهِ، يَعْنِي فِي الْقُرْآنِ». وَاعْتَرَفَ بِبَلَاغَتِهِ، وَمَا مَنَعَهُ إِلَّا الْحَسَدُ، وَهُوَ يَجْرِي فِي التَّشْبِيهِ حَذْوَ الْفِعْلِ [...][1].

الْمُنْكِرُ: قِسْمَانِ. وَالرَّمَدُ وَالسَّقِيمُ: قِسْمَانِ. أَمَّا الْمُنْكِرُ الْحَاسِدُ: فَقَدْ يَكُونُ مَعَ حَسَدِهِ عَايَنَ الدِّلَالَةَ وَتَحَقَّقَهَا، [241]// إِلَّا أَنَّهُ كَفَرَ عِنَاداً حَسَداً. وَتَجَاهَلَ فَأَنْكَرَ، وَقَالَ: مَا أَدْرَكْتُ شَيْئاً وَلَا فِي الْوُجُودِ إِعْجَازٌ لِلْمُدَّعِي، فَهٰذَا نَظِيرُهُ مَنِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الرَّمَدُ وَطَالَ حَتَّى صَارَ مُسْتَغْرِقَ الْأَوْقَاتِ، لَا مَنْ يُذَكِّرُهُ وُجُودَ لَيْلٍ وَلَا وُجُودَ نَهَارٍ، فَأَظْلَمَ عَلَيْهِ الْأُفُقُ، فَلَوْ سُئِلَ أَهُوَ فِي نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ. لَا يَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا فِي لَيْلٍ وَلَا لِلشَّمْسِ فِي الْأُفُقِ ضِيَاءٌ.

وَكَذَا إِذَا تَوَالَى الْمَرَضُ عَلَى السَّقِيمِ حَتَّى تَبَدَّلَتْ طِبَاعُهُ، وَصَارَ كُلُّ مَا يَجْعَلُهُ فِي فِيهِ مُرّاً وَكَانَ بِحَيْثُ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْعَذْبِ وَالْأُجَاجِ، أَوِ الْمُرُّ لِتَعَدُّدِ أَنْوَاعِ الْمِيَاهِ مَعَهُ؛ فَإِذَا جَعَلَ مَاءً فِي فِيهِ يَقُولُ: هٰذَا مِنَ الْمَاءِ الْمُرِّ، بِخِلَافِ مَا لَوْ كَانَ يَعْرِفُ مَسْقَى الْقَوْمِ، وَانْطَبَعَ فِي مِرْآةِ عَقْلِهِ عُذُوبَةُ الْمَاءِ، وَإِذَا تَنَاوَلَهُ

(1) لحق يسار الورقة: 240 طمست بعض ألفاظه.

أَدْرَكَ عُذُوبَتَهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَجِدْهَا فِي فِيهِ، فَهٰذَا لَا يُنْكِرُ مَا فِي الْخَارِجِ مِنْ عُذُوبَةِ الْمَاءِ، وَلَوْ سُئِلَ عَنْهُ. وَلَيْسَ كَمُنْكِرٍ مَا فِي الْخَارِجِ مِنْ دِلَالَةِ النُّبُوءَةِ مَعَ عِلْمِهِ بِصِحَّتِهَا، فَأَحَدُ التَّقْدِيرَيْنِ يَصْلُحُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ كَلَامُ النَّاظِمِ، وَيَكُونُ جَوَاباً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَرَادَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَجْعَلَ فِي الْكَلَامِ جَوَابَيْنِ، وَمَا قَرَّرْنَاهُ أَقْرَبُ لِلأَفْهَامِ وَأَسْعَدُ بِمَا احْتَوَى عَلَيْهِ هٰذَا الْكَلَامُ. وَيُؤَيِّدُ مَا قَرَّرْتُهُ لَكَ أَنَّهُ مَا أَرَادَ إِلَّا مَنِ اسْتَوَتْ أَحْوَالُهُ بِتَوَالِي الرَّمَدِ وَتَوَالِي السَّقَمِ حَتَّى لَا يُمَيِّزَ لَيْلاً مِنْ نَهَارٍ، فَقَدْ يُنْكِرُ ضَوْءَ الشَّمْسِ الْمَوْجُودِ فِي الْخَارِجِ لاعْتِقَادِهِ ذٰلِكَ.

قَوْلُهُ: (**قَدْ**)، فَجَاءَ بِالصُّورَةِ النَّادِرَةِ الَّتِي لَا تَقَعُ إِلَّا نَادِراً، وَلَوْ أَرَادَ الصُّورَةَ الْجَارِيَةَ لَجَاءَ بِأَنْ يَقُولَ: فَالْعَيْنُ تُنْكِرُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ، أَوْ يَقُولُ: كَمْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ فَيَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ.

وَفِي الْبَيْتِ: التَّقْسِيمُ: وَهُوَ إِسْنَادُ حُكْمَيْنِ مُتَغَايِرَيْنِ، كُلُّ وَاحِدٍ أُسْنِدَ إِلَى غَيْرِ مَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ الآخَرُ؛ وَذٰلِكَ أَنَّهُ أَسْنَدَ إِلَى الْعَيْنِ كَرَاهَةَ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَإِلَى الْفَمِ كَرَاهَةَ طَعْمِ الْمَاءِ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (كامل)

أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا … بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ[1]

وَفِيهِ: حُسْنُ التَّعْلِيلِ.

وَفِيهِ: «التَّمْثِيلُ، كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ: (طويل)

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَقْدَحِي … [بِسَهْمَيْكِ][2] فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[3]

وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ ابْتَكَرَ لَقَبَ التَّمْثِيلِ، فَمَثَّلَ عَيْنَيْهَا بِسَهْمَيِ الْمَيْسِرِ، يَعْنِي: الْمُعَلَّى، وَلَهُ سَبْعَةُ أَنْصِبَةٍ وَالرَّقِيبُ وَلَهُ ثَلَاثَةُ أَنْصِبَةٍ، فَصَارَ جَمِيعُ أَعْشَارِ قَلْبِهِ

(1) البيت في ديوان أبي تمام: خف الهوى. مروج الذهب ومعادن الجوهر: أخبار أبي تمام. واللفظ فيه: أيامنا معقودة.

(2) في الأصل: «بعينيك» والثابت في جميع الروايات «بسهميك».

(3) الديوان: 13، العمدة: 1/ 473 «التضربي».

لِلسَّهْمَيْنِ اللَّذَيْنِ مَثَّلَ بِهِمَا عَيْنَيْهَا، وَمَثَّلَ قَلْبَهُ بِأَعْشَارِ الْجَزُورِ فَتَمَّتْ لَهُ الاسْتِعَارَةُ وَالتَّمْثِيلُ»[1].

وَالنَّاظِمُ لَمَّا قَالَ: (**لَا تَعْجَبُوا لِحَسُودٍ ظَلَّ يُنْكِرُهَا**)، ثُمَّ أَرْدَفَهُ بِوُقُوعِ مَا يُمَاثِلُهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: (**قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ**).

وَ(**مِنْ**) فِي قَوْلِهِ: (**مِنْ رَمَدٍ**) وَ (**مِنْ سَقَمٍ**) لِلسَّبَبِ. وَقِيلَ: لِلتَّعْلِيلِ. وَتَعَلَّقَ الْمَجْرُورَانِ بِفِعْلَيِ الإِنْكَارِ.



(1) العمدة: 1/ 473.

115 ـ قَالَ:

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ[1]

شرح: أَخَذَ النَّاظِمُ فِي نَمَطٍ آخَرَ مِنَ الْمَدْحِ، سَالِكاً فِيهِ [مَسْلَكاً يُخاطِبُ][2] الْمَمْدُوحَ بِصِفَاتِهِ الْمُثْنَى بِهَا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَآيَاتِهِ الشَّاهِدَةِ الْقَاهِرَةِ. وَذَكَرَ سَبَبَ جَحْدِ مَنْ جَحَدَهَا الدَّائِرَ بَيْنَ حَسَدٍ وَعِنَادٍ، وَخَتْمٍ عَلَى قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ، وَإِبْعَادٍ [242]// فَنَادَاهُ نِدَاءَ مَنْ سَرَتْ إِلَى سَاحَتِهِ الشَّرِيفَةِ الرِّفَاقُ، وَهَرَعَتِ الْخَلْقُ بِهَا إِلَى جَمِيعِ الآفَاقِ فَقَالَ: (**يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ**)، أَيْ: يَا خَيْرَ مَنْ قَصَدَ السُّؤَّالُ وَالضِّيفَانُ سَاحَتَهُ.

فَـ(**الْعَافُونَ**): جَمْعُ عَافٍ. عَفَوْتُ الرَّجُلَ: إِذَا جِئْتَهُ سَائِلاً أَوْ ضَيْفاً. وَيَكُونُ عَفَا بِمَعْنَى: كَثُرَ. وَبِمَعْنَى: دَرَسَ. وَمِنْهُ: عَفَتِ الدِّيَارُ. وَيَكُونُ لاَزِماً وَيَكُونُ مُتَعَدِّياً بِـ(مِنْ) إِذَا كَانَ بِمَعْنى الصَّفْحِ. وَيَكُونُ بِمَعْنَى: أَعْطَى الصَّدَقَةَ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: 199]. وَيُسْتَعْمَلُ رُبَاعِياً. وَمِنْهُ: «قُصُّوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللِّحَى»[3]: أَكْثِرُوا شَعَرَهَا بِالْكَفِّ عَنْ قَصِّهَا.

وَ(**سَاحَةُ**) الرَّجُلِ: مَا حَوَالَ دَارِهِ مِنَ الْبَرَاحِ.

وَ(**سَعْياً**): مَشْياً.

وَ(**الْمُتُونُ**): الظُّهُورُ.

---

(1) الديوان: 197.

(2) في الأصل: «مسلك تخاطب»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) مسلم: 1/ 223، أحمد: 6835، الموطأ: 813، زاد المعاد: 1/ 179، كشف الخفاء: 1/ 59، الفردوس: 1/ 108، السنن الكبرى: 1/ 150، كنز العمال: 1/ 222، وفيه ألفاظ عدة.

وَخَصَّ (**الأَيْنُقَ**) بِالذِّكْرِ لأَنَّهَا أَنْجَبُ فِي تَبْلِيغِ الْقُصَّادِ. وَ(**الأَيْنُقُ**) بِتَقْدِيمِ الْيَاءِ عَلَى النُّونِ مِنَ الْمَقْلُوبِ، وَأَصْلُهُ: أَنْيُقٌ، اسْتَثْقَلَتِ الْعَرَبُ الضَّمَّةَ عَلَى الْيَاءِ فَجَعَلُوهَا مُقَدَّمَةً عَلَى النُّونِ. وَقَدْ نَصَّ سِيبَوَيْهِ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ فِي آخِرِ «**الْكِتَابِ**»[1].

وَ(**الرُّسُمِ**): جَمْعُ رُسُومٍ، كَرَسُولٍ وَرُسُلٍ. وَالرُّسُومُ مِنَ النُّوقِ: الْحَسَنَةُ السَّيْرَةِ. وَالرَّسِيمُ: سَيْرُهَا. يُقَالُ فِي سَيْرِ الإِبِلِ: رَسِيمٌ وَذَمِيلٌ، وَالنَّاقَةُ ذَمُولٌ. (طويل)

فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا[2]

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا فَائِدَةُ تَخْصِيصِ (**الرُّسُمِ**) فِي بَابِ السَّيْرِ مَعَ أَنَّ لَفْظَ السَّيْرِ أَشْهَرُ، وَكَذَلِكَ الْمَشْيُ؟

قُلْتُ: لِمَا فِي لَفْظِ (**الرُّسُمِ**) مِنْ ظُهُورِ آثَارِ السَّيْرِ، فَكَأَنَّهَا كَلِمَةٌ تُشْعِرُ بِمُبَالَغَةٍ وَكَثْرَةِ سَيْرٍ وَهِيَ الَّتِي تُؤَثِّرُ أَخْفَافُهَا فِي الأَرْضِ لِقُوَّةِ الصَّدْمَةِ فِي وَطْئِهَا الأَرْضَ.

وَيَعْنِي بِـ(**الْقَاصِدِينَ**): الْمَدْلُولَ عَلَيْهِمْ بِـ(**مَنْ يَمَّمَ**)، قَاصِدُونَهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ، وَزَائِرُوا قَبْرِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالَّذِينَ يَقْصِدُونَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ لِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، لأَنَّهُ مَحْسُوبٌ مِنْ سَاحَاتِهِ ﷺ إِذْ هِيَ بَلَدُهُ الَّتِي نِيطَتْ عَلَيْهِ بِهَا تَمَائِمُهُ.

وَجَمْعُ السَّعْيِ وَرُكُوبِ الظُّهُورِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ لَقَبٌ بَيَانِيٌّ، وَتَقَدَّمَ مَعْنَاهُ.

وَ(**خَيْرَ**): مُنَادَى مُضَافٌ.

وَ(**مَنْ**): نَكِرَةٌ مَوْصُوفَةٌ، يَا خَيْرَ مَقْصُودِ السَّاحَةِ.

وَ(**سَعْياً**): مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

وَ(**فَوْقَ**): ظَرْفٌ عَامِلُهُ هُوَ الْمَعْطُوفُ فِي الْحَقِيقَةِ تَقْدِيرُهُ: وَرُكُوباً فَوْقَ.

وَ(**الْمُتُونُ**): جَمْعُ مَتْنٍ.

---

(1) كتاب سيبويه: 4/ 48، باب ما كان شاذاً مما خففوه على ألسنتهم وليس بمطرد.

(2) البيت لامرئ القيس في: ديوانه: الغريب لابن سلام: 1/ 328، اللسان/هجر. الجسرة: الناقة العظيمة الطويلة. الذمول: التي تسير سيراً سريعاً ليناً خفيفاً. ل/جسر، ذمل.

116 ـ قال:

وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمِ[1]

شرح: هٰذَا هُوَ الْمُنَادَى الثَّانِي الْمُسْتَغْنَى عَنْ إِدْخَالِ حَرْفِ النِّدَاءِ عَلَيْهِ. وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ هُوَ الْمُنَادَى الثَّالِثُ. وَجَمَعَ أَشْتَاتَ الْفَضَائِلِ فِي هٰذِهِ الْمُنَادَيَاتِ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الْخَلْقِ مَنْ يَمَّمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ لِظُهُورِ كَرَمِهِ وَحُسْنِ مُلاقَاتِهِ؛ كَمَا قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه: (طويل)

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُه[2]
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُه

[......................][3]. ثُمَّ إِنَّهُ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ هٰذَا الْجِنْسِ وَخَيْرُهُمْ، وَهُوَ دَلِيلُ قَوْلِهِ قَبْلُ: **(وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ)**[4]، وَذٰلِكَ أَنَّ أَفْضَلَ الْبَشَرِ الأَنْبِيَاءُ، أَكْثَرُ الْبَشَرِ عِلْماً وَكَرَماً، وَهُمْ مَعَ ذٰلِكَ لَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ. وَهُمُ الآيَاتُ الْكُبَرُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْفَائِقُ فِي ذٰلِكَ أَيْضاً. وَهُمْ أَيْضاً هُدَاةُ الْخَلْقِ [243]// وَمُنْقِذُوهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، وَقَائِدُوهُمْ إِلَى الإِيمَانِ، وَمِنَ الْعَمَى وَالضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَلَا نِعْمَةَ أَكْبَرُ مِنْ هٰذَا. وَهِدَايَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكْثَرُ انْتِشَاراً فِي الْخَلْقِ، إِذْ بُعِثَ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ وَهُدِيَ بِهِ الإِنْسُ وَالْجَانُّ؛ فَجَمَعَ فِي هٰذِهِ الْمُنَادَيَاتِ تَفْضِيلَهُ الشَّامِلَ لِجَمِيعِ جِهَاتِ الْفَضَائِلِ، وَلأَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ مِنْ ذِكْرِ آيَاتِهِ الْكُبَرَ ذَكَرَ أَنَّهُ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الآيَاتِ.

(1) الديوان: 197.
(2) سبق تخريجهما: ص310.
(3) طمس بالأصل الورقة: 243.
(4) الديوان: 193.

فَإِنْ قِيلَ: هُنَا بَحْثٌ: وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: لَمَّا ذَكَرَ آيَ الْقُرْآنِ وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الإِجْلَالِ وَالإِعْظَامِ، ثُمَّ أَنَّهُ قَالَ هُنَا: **(وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الْكُبْرَى)** فَهَلْ يُؤْخَذُ مِنْهُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ قَبْلُ: **(لَمْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً)**، إِذْ يَدُلُّ الْكَلَامُ هُنَاكَ أَنَّ قَدْرَهُ أَفْضَلُ مِنْ تِلْكَ الآيَاتِ الَّتِي أُضِيفَتْ لَهُ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّ الأَمْرَ هُنَا أَبْعَدُ فِي الاعْتِرَاضِ، إِذِ الْفَرْقُ: [بَيْنَ][1] وَصْفِ الشَّيْءِ بِكَوْنِهِ كَبِيراً وَبَيْنَ وَصْفِهِ بِأَكْبَرَ، فَإِنَّ وَصْفَهُ بِكَبِيرٍ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ مَوْصُوفٍ أَيْضاً بِالْكِبْرِيَاءِ، وَلَا فِي وَصْفٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِكَبِيرٍ مَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ غَيْرِهِ، أَوْ غَيْرَهُ أَكْبَرُ مِنْهُ. وَلَوْ قِيلَ فِيهِ ﷺ أَنَّهُ أَكْبَرُ الآيَاتِ لَمَا لَزِمَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ الْبَتَّةَ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ أَكْبَرَ الآيَاتِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الآيَاتِ، فَالآيَاتُ شَهِدَتْ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ الآيَاتِ، وَيَرْجِعُ إِلَى التِّلَاوَةِ الْمَسْمُوعَةِ وَالْخُطُوطِ الْمَكْتُوبَةِ الَّتِي ذٰلِكَ كُلُّهُ ـ وَإِنْ وَقَعَ بِهِ الإِعْجَازُ ـ هُوَ فِي ذَاتِهِ أَكْبَرُ مِنَ الْخُطُوطِ وَالأَصْوَاتِ.

وَقَوْلُهُ: **(لِمُعْتَبِرٍ)** يُفِدُ مَا أَفَادَ قَوْلُهُ قَبْلُ: **(قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ)**. وَكَذَا هُنَا قَالَ: هُوَ آيَةٌ كُبْرَى لِمَنِ اعْتَبَرَ وَقَذَفَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الإِيمَانَ، وَسَلَكَ بِهِ سُبُلَ الْهِدَايَةِ. وَأَمَّا مَنْ أَعْرَضَ وَتَوَلَّى فَلَمْ تُدْرِكْ بَصِيرَتُهُ مَا يُعْتَبَرُ بِهَا. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنِ اعْتَبَرَ وَرَأَى تَحَقَّقَ أَنَّهُ ﷺ آيَةٌ كُبْرَى جَاءَ وَالنَّاسُ أَهْلُ كُفْرٍ وَضَلَالٍ، أَظْهَرَ لَهُمُ النُّورَ الْمُبِينَ، فَأَنْقَذَهُمْ مِنْ تِلْكَ الضَّلَالَةِ، وَبَيَّنَ لَهُمْ وُجُوهَ فَسَادِهَا، وَعَلَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ، وَنَفْيَ الشَّرِيكِ وَالنَّدِيدِ، فَاسْتَيْقَظَ مَنْ نَبَّهَهُ اللهُ إِلَى النَّظَرِ فِي الآيَاتِ، فَاعْتَبَرَ، وَحَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى مَنْ مَاتَ عَلَى مَا بِهِ كَفَرَ.

وَكَذَا قَوْلُهُ: **(مَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى)**، لَا أَعْظَمَ فِي النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَى الْخَلْقِ مِنْ بَعْثِ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَالشَّطْرُ الثَّانِي دَالٌّ عَلَى مَعْنًى زَائِدٍ عَلَى مَا

(1) لا توجد لفظة: «بين» في الأصل، ولعل الأنسب إثباتها.

دَلَّ عَلَيْهِ الشَّطْرُ الأَوَّلُ، لأَنَّ كَوْنَهُ آيَةً عُظْمَى لَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَنْ كَانَ بَعْثُهُ إِظْهَاراً لِشَقْوَتِهِ كَأَبِي جَهْلٍ وَغَيْرِهِ، مَعَ أَنَّ كُلَّ حَاسِدٍ يَعْلَمُ صِدْقَهُ، وَيَتَحَقَّقُ نُبُوَّتَهُ، وَمَعَ ذٰلِكَ تَعَامَى وَتَجَاهَلَ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ كَوْنَهُ آيَةً كُبْرَى. وَأَمَّا كَوْنُهُ نِعْمَةً عُظْمَى إِنَّمَا هُوَ لِمَنِ اغْتَنَمَهَا وَأَبْصَرَهَا بِبَصِيرَتِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: وَقَدْ قَالَ قَبْلُ: (**لِمُعْتَبِرِ**).

قُلْتُ: وَإِنْ حَصَلَ الاعْتِبَارُ الْقَاهِرُ لِمَنْ حَادَ، لٰكِنْ لَمَّا صَدَّ عَنْ طَرِيقِ الْهِدَايَةِ لَمْ تَنَلْهُ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى، لأَنَّ النِّعْمَةَ الْعُظْمَى هِيَ اتِّبَاعُهُ ﷺ وَالإِيمَانُ بِمَا جَاءَ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: (**وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الْعُظْمَى**) يَصِحُّ كَوْنُهُ مُنَادَى عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ، وَتَقَدَّمَ لَنَا مُنَادَيَانِ: (**خَيْرَ**) وَ(**مَنْ**) فِي صَدْرِ هٰذَا الْبَيْتِ. وَ(**خَيْرَ**): مُنَادَى مُضَافٌ، وَالْمُنَادَى الْمُضَافُ مَنْصُوبٌ. وَكَذَا (**مَنْ**) مِنْ قَوْلِهِ: (**وَمَنْ هُوَ**) إِنِ اكْتَفَيْنَا بِكَوْنِهِ فِي الإِعْرَابِ مُنَادَى، فَإِعْرَابُ كُلٍّ مِنْ (**خَيْرَ**) وَ(**مَنْ**) فِي الْبَيْتِ فِي الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ النَّصْبُ.

وَإِنْ نَزَعْنَا إِلَى الْحَمْلِ بِالْعَطْفِ وَالاكْتِفَاءِ بِالنِّدَاءِ فِي (**خَيْرَ**) صَحَّ لَنَا فِي الْعَطْفِ وَجْهَانِ:

الْحَمْلُ عَلَى (**خَيْرَ**) فَيَكُونُ (**مَنْ**) مِنْ كُلِّ شَطْرٍ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ.

وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ (**خَيْرَ**) كَانَ كُلٌّ مِنْ (**مَنْ**) فِي الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ.

[244]// وَأَمَّا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ (**مَنْ**) الْمُضَافُ إِلَيْهِ (**خَيْرَ**) وَ(**مَنْ**) فِي الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي؟

فَإِنْ قُلْنَا: يَكُونُ كُلٌّ مِنْ لَفْظَتَيْ (**مَنْ**) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَقَعَا عَلَى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ (**خَيْرَ**). وَ(**خَيْرَ**) وَ(**مَنْ**) فِي الْمَوْضِعَيْنِ وَاقِعَةٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَقْتَضِي حَصْرُ الْمُبْتَدَإِ فِي الْخَبَرِ أَنْ لَيْسَ هُنَاكَ آيَةٌ كُبْرَى إِلَّا هُوَ ﷺ، لأَنَّ

قَوْلَهُ: (**هُوَ**) مُبْتَدَأٌ، (**الآيَةُ الْكُبْرَى**): خَبَرٌ مَنْعُوتٌ، وَحَصْرُ الْمُبْتَدَإِ فِي الْخَبَرِ الْمُعَرَّفِ يَقْتَضِي الْحَصْرَ.

وَأَمَّا كَوْنُ (**مَنْ**) مِنَ الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ عُطِفَا عَلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ (**خَيْرَ**) فَتَكُونُ لَفْظَةُ (**مَنْ**) عَامَّةً فِي كُلِّ مَنْ هُوَ آيَةٌ كُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ، فَيَدْخُلُ فِي هٰذَا الْعُمُومِ مَعَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّ مَنِ اتَّصَفَ بِهٰذَا الْوَصْفِ، وَيُعْطِي الْكَلَامُ إِذْ ذَاكَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ الْخَلْقِ اتَّصَفَ بِأَنَّهُ آيَةٌ كُبْرَى، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ آيَةٌ مِنْ تِلْكَ الآيَاتِ، وَأَنَّهُ خَيْرُهُمْ.

وَإِذَا قُلْنَا بِعُمُومِ لَفْظِ (**مَنْ**) فِي كُلِّ مَنِ اتَّصَفَ بِوَصْفٍ يَكُونُ بِهِ آيَةً هَلْ يَدْخُلُ فِي ذٰلِكَ الْعُمُومِ الْمَلَائِكَةُ أَوْ لَا ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ ـ لأَنَّهُمْ مِنَ الآيَاتِ الْكُبَرِ لِلْمُعْتَبِرِينَ؟

أَمَّا الَّذِينَ يَطَّلِعُونَ عَلَيْهِمْ، وَتُكْشَفُ لَهُمْ أَشْخَاصُهُمْ، [وَهُمْ][1] أَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ آيَاتٌ كُبَرٌ. وَأَمَّا [بِالنِّسْبَةِ][2] إِلَى مَنْ لَمْ يُكْشَفْ لَهُ عَنْ أَشْخَاصِهِمْ، وَلَمْ يَرَهُمْ، فَإِنَّ إِخْبَارَ الأَنْبِيَاءِ عَنْهُمْ، وَعَنْ أَحْوَالِهِمْ؛ فَهُمْ بِذٰلِكَ لِمَنْ سَمِعَ مَا أَخْبَرَ الأَنْبِيَاءُ عَنْهُمْ آيَاتٌ كُبَرٌ.

وَإِذَا قُلْنَا بِدُخُولِ الْمَلَائِكَةِ اقْتَضَى مَدْحُ النَّاظِمِ نَبِيَّنَا ﷺ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَنْ عَدَاهُمْ مِنَ الْخَلْقِ.

وَلِلنَّاسِ فِي أَيِّ الْجِنْسَيْنِ أَفْضَلُ خِلَافٌ كَثِيرٌ، وَالَّذِي أَقُولُ بِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ مُحَمَّداً ﷺ أَفْضَلُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَقِفُ فِي تَفْضِيلِ مَنْ سِوَاهُ. وَقَدْ بَسَطَ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي السِّفْرِ الأَخِيرِ مِنْ «**كِتَابُ الأَرْبَعِينَ**»[3]، وَاحْتَجَّ لِكُلِّ جِهَةٍ بِحُجَجٍ كَثِيرَةٍ، فَلْيَقِفْ عَلَيْهِ مَنْ رَامَهُ، فَإِنَّا تَرَكْنَاهُ خَشْيَةَ التَّطْوِيلِ.

---

(1) في الأصل: «وهو».

(2) لا توجد لفظة: «بالنسبة» في الأصل، ولعلها سقطت.

(3) ينظر: كتاب الأربعين للرازي: 130.

وَفِي الْبَيْتَيْنِ: مُتَنَاسِبَاتٌ مَجْمُوعَةٌ، فِيهَا مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، وَهُوَ كَثِيرٌ مَا يَلْهَجُ بِهِ شُعَرَاءُ الْمُوَلَّدِينَ. قَالَ بَعْضُهُمْ: (كامل)

أَبْصَرْتُهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ فَمٍ	مِنْهُ وَبَيْنَ أَنَامِلٍ خَمْسِ[1]
فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا	قَمَرٌ يُقَبِّلُ عَارِضَ الشَّمْسِ[2]

فَالْجَمْعُ بَيْنَ الْفَمِ وَالأَنَامِلِ مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ مِنْهُ.

وَفِيهِ: الْمُقَابَلَةُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ.



(1) البيتان لابن الرومي في ديوانه: 3/ 249، العمدة: 2/ 863، زهر الآداب: 2/ 468 «أبصرتها»، المنزع البديع: 232 «بين يد»، رفع الحجب: 2/ 42 «بين فم»، وينسبان لابن المعتز وهما في ديوانه: 189، قطب السرور: 394.

(2) في ديوان ابن المعتز: 189، والتشبيهات: 177 برواية: «وكأنه والكأس في يده»، وفي: المحب والمحبوب: 4/ 189، نهاية الأرب: 4/ 109 برواية: «والكأس في فمه».

117 - قَالَ:

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ	كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ[1]

شرح: لاسْتِعْظَامِ هٰذِهِ الآيَةِ الْكُبْرَى وَالنِّعْمَةِ الْعُظْمَى اسْتَعْمَلَ مُخَاطَبَتَهُ ﷺ بِالنِّدَاءِ وَسَمَّاهُ آيَةً كُبْرَى وَنِعْمَةً عُظْمَى لِتَزْدَوِجَ الآيَتَانِ وَالنِّعْمَتَانِ: كَوْنُهُ آيَةً فِي ذَاتِهِ، وَمَا قَامَتْ بِتِلْكَ الذَّاتِ الْعَظِيمَةِ مِنْ صِفَاتِهِ، وَمَا خُصَّ بِهِ مِنَ الآيَةِ الْخَارِقَةِ الْعَامَّةِ [. . .][2] النِّعْمَةُ الْكَامِلَةُ التَّامَّةُ، وَهُوَ مَسْرَاهُ ﷺ، إِذِ الإِسْرَاءُ مِنْ أَعْظَمِ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الآيَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ.

وَ(**سَرَى**) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى: قَطَعَ اللَّيْلَ بِالسَّيْرِ. يُقَالُ: سَرَى فُلَانٌ سَيْراً: إِذَا سَارَ بِلَيْلٍ. وَسَرَى السَّحَابُ. وَجَاءَ أَسْرَى [بِمَعْنَاهُ][3]، يُقَالُ: سَرَى فُلَانٌ وَأَسْرَى، فَيَتَعَدَّى بِحَرْفِ جَرٍّ لِكَوْنِهِ لَازِماً، فَتَقُولُ: أَسْرَيْتُ بِفُلَانٍ، [أَيْ][4]: جَعَلْتُهُ سَارِياً. وَذَكَرَ الإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ[5] «أَنَّ أَسْرَى مُتَعَدِّياً بِنَفْسِهِ، فَيُضْمِرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1] مَفْعُولاً، كَأَنَّهُ حُذِفَ لِلْعِلْمِ بِهِ، تَقْدِيرُهُ: [245]// سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى مَلَائِكَتَهُ بِعَبْدِهِ»[6].

(1) الديوان: 197.

(2) طمس في الأصل لم أتمكن من تبينه.

(3) نصف العبارة مطموس في الأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) طمس في الأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، حافظ عالم باللغة والسير، (ت581هـ). ترجمته في: (التكملة: 1613، الديباج: 150، إنباه الرواة: 2/ 162، بغية الملتمس: 345، المغرب: 1/ 488، نفح الطيب: 2/ 107، الأعلام: 3/ 312).

(6) ينظر: الروض الأنف: 2/ 148.

وَقَوْلُهُ: **(مِنْ حَرَمٍ)** يَعْنِي: مَكَّةَ. **(إِلَى حَرَمٍ)**: حَرَم بَيْتِ الْمَقْدِسِ، إِذْ ذَاكَ مَبْدَأُ الإِسْرَاءِ بِهِ ﷺ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْحَرَمِ الثَّانِي: الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، إِذْ جَاءَ أَنَّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ يَطُوفُ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَدَدٌ كَثِيرٌ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْكَعْبَةَ بُنِيَتْ مُسَامِتَةً لَهُ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، لَمَّا أُجِيبُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]، وَقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ خَوْفُ الْعَتْبِ عَلَى السُّؤَالِ، فَطَافُوا بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فَأُزِيلَ مِنْ نُفُوسِهِمْ مَا خَافُوهُ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِمَلَائِكَتِهِ: ابْنُوا بَيْتاً بِالأَرْضِ، مَنْ عَصَانِي وَطَافَ بِهِ أَغْفِرُ لَهُ فَبَنَوْهُ. فَقَصَدَ النَّاظِمُ مَدْحَهُ ﷺ بِمَا خَصَّهُ بِهِ رَبُّهُ مِنْ عِظَمِ الْمَرْتَبَةِ وَشَرَفِ الْوِجْهَةِ إِلَى الْعُلْوِيَاتِ ذَاهِباً وَرَاجِعاً فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ. وَقَطَعَ مَسَافَةً انْطَوَتْ عَلَى مَا لَا تَقْطَعُهُ الطُّيُورُ بِالطَّيَرَانِ فِي كَثْرَةِ السِّنِينِ. وَأَيُّ مَسَافَةٍ أَبْعَدُ مِنْ مَسَافَةِ ارْتِفَاعِهَا مِنْ بَسِيطِ الأَرْضِ مِنْ حَرَمِ مَكَّةَ إِلَى أَعْلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ؟ إِذِ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ صُعُودَهُ إِلَى السَّمَاوَاتِ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ صَعِدَ ﷺ. وَلَا يُسْتَغْرَبُ قَطْعُ هٰذِهِ الْمَسَافَاتِ فِي لَيْلَةٍ، فَإِنَّ قُدْرَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ صَالِحَةٌ لأَعْظَمَ مِنْ هٰذَا كُلِّهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْهَيْئَةِ أَنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ مَلَكاً يَقْطَعُ فِي دَوْرَةٍ بِمِقْدَارِ مَا يَرْكُضُ الْفَارِسُ رَكْضَةً فِي جَلْبِ فَرَسِهِ مَسَافَةَ آلَافٍ مِنَ السِّنِينِ؛ وَإِنْ شِئْتَ فَتَأَمَّلْ لَمْعَةَ الْبَرْقِ وَسُرْعَةَ نَهْضَتِهِ.

وَقَدِ انْطَوَى الْمِعْرَاجُ عَلَى شَرَفٍ عَظِيمٍ، وَرُتْبَةٍ مَا نَالَهَا غَيْرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فِي رُؤْيَةِ مَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، وَمَا رَأَى مِمَّا كَانَ يَغْشَى سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى مِنَ الأَنْوَارِ الْبَدِيعَةِ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم: 16]. وَمَنِ اطَّلَعَ عَلَى أَخْبَارِ الْمِعْرَاجِ رَأَى مِنْ شَرَفِ رُتْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا يُثْلَجُ بِهِ صَدْرُهُ فِي إِمَامَتِهِ بِالأَنْبِيَاءِ، وَاجْتِمَاعِهِ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْهُمْ.

وَلَمَّا رَأَى النَّاظِمُ الْبَدْرَ فِي كَمَالِ هَيْئَتِهِ، وَشِدَّةِ نُورَانِيَّتِهِ، وَقَطْعِهِ السَّمَاءَ فِي لَيْلَةٍ، شَبَّهَ إِسْرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ فِي سُرْعَةِ سَيْرِهِ وَجَمَالِهِ وَبَهَائِهِ فِي الأُفُقِ، فَائِقاً كُلَّ الْكَوَاكِبِ مَعَ كَثْرَتِهَا، وَقَصْدُهُ لِجَمَالِهِ أَظْهَرُ. أَمَّا سُرْعَةُ السَّيْرَةِ فَسَيْرُهُ ﷺ أَسْرَعُ، وَمَا قَطَعَ فِي الإِسْرَاءِ مِنَ الْمَسَافَةِ أَعْظَمُ مِنْ مَسَافَةِ الْقَمَرِ، فَإِنَّ مَسِيرَهُ ﷺ صَاعِداً وَرَاجِعاً مَسِيرَةَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفِ سَنَةٍ عَلَى مَا نَطَقَتْ بِهِ الأَحَادِيثُ، إِذْ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَغِلَظُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ. وَلَيْسَ فِي مَسَافَةٍ يَقْطَعُهَا الْقَمَرُ لَيْلَةَ كَوْنِهِ بَدْراً قَدْرُ رُبْعِ مَسَافَةِ مَا قَطَعَ ﷺ فِي مِعْرَاجِهِ. وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْهَيْئَةِ عَلَى الْقَوْلِ بِتَكْوِيرِ الأَرْضِ أَنَّ الْقَمَرَ لَا تَبْلُغُ مَسَافَتُهُ الَّتِي يَقْطَعُ لَيْلَةَ بَدْرِيَّتِهِ أَلْفَ وَتِسْعِمَائَةِ سَنَةٍ، لأَنَّهُ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَسَمَاءُ الدُّنْيَا أَصْغَرُ السَّمَاوَاتِ جُرْماً لأَنَّهَا مَعَ الأَرْضِ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ كَفَصٍّ فِي بَيْضَةٍ. وَأَمَّا عَلَى مَشْهُورِ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِبَسَاطَةِ الأَرْضِ فَلَا تَصِلُ مَسَافَةُ الْقَمَرِ هٰذَا، بَلْ أَقَلُّ بِأَضْعَافٍ [246]// كَثِيرَةٍ عَلَى مَا نَقَلَهُ أَشْيَاخُنَا.

وَإِذَا تَحَقَّقْتَ مَا بَيْنَ السَّيْرَيْنِ لَاحَ لَكَ أَنَّ النَّاظِمَ إِنَّمَا شَبَّهَ كَوْنَ السَّيْرَةِ بِلَيْلٍ، وَأَنَّ السَّارِيَيْنِ فِي سَيْرِهِمَا [لَابِسَانِ][1] حُلَلَ جَمَالِ الأَنْوَارِ، [سَائِرَانِ][2] فِي مَنَاهِجِ الرِّفْعَةِ وَالافْتِخَارِ، لَا سِيَّمَا وَالنَّاظِمُ يَذْكُرُ عَقِبَ هٰذَا مَا يُشْعِرُ بِهٰذَا الْمَقْصَدِ مِنْ كَوْنِ كُلٍّ مِنَ السَّارِيَيْنِ فِي مَرْكَبٍ فِي سَيْرِهِ، فَإِنَّ الْبَدْرَ مَعَ مَنْ يَسْرِي فِي لَيْلَةٍ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ [ذَوُوا][3] بَهْجَةٍ وَأَنْوَارٍ، لٰكِنَّ بَهْجَةَ الْبَدْرِ فَائِقَةٌ بَهْجَةَ الْجَمِيعِ، وَحُلَّةَ نُورَانِيَّتِهِ أَبْدَعُ الْحُلَلِ وَأَضْوَاهَا. وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ سَرَى إِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ يَقْطَعُ الْمَسَافَةَ لَيْلاً، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: **(لَيْلاً)** حَشْواً. وَقَدْ لَا يُقَالُ فِيهِ:

(1) في الأصل: «لابسى».

(2) في الأصل: «سائرين».

(3) في الأصل: «ذوي». وحقه الرفع خبراً لـ «أن».

كَوْنُهُ حَشْواً؛ بَلْ جَاءَ بِهِ تَوْكِيداً، وَالتَّوْكِيدُ فِي بَعْضِ أَمَاكِنِهِ لَا يُقَالُ فِيهِ أَنَّهُ حَشْوٌ. وَلأَنَّهُ قَدْ يُقَالُ: لَوْ لَمْ يَقُلْ (**لَيْلاً**) لَمَا عُلِمَ مَثَلاً أَنَّ نِهَايَةَ الْوِجْهَةِ كَانَتْ بِلَيْلٍ، لأَنَّ مَنْ أَنْشَأَ سَيْراً لَيْلاً، وَتَمَادَى بِهِ الْمَسِيرُ إِلَى أَنْ وَصَلَ نِهَايَةَ وِجْهَتِهِ نَهَاراً، يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِيهِ: سَرَى فُلَانٌ إِلَى حَاجَتِهِ. وَلَمَّا ذَكَرَ النَّاظِمُ مَبْدَأَ الْغَايَةِ وَمُنْتَهَاهَا، وَقَالَ: (**لَيْلاً**)، عُلِمَ أَنَّ طَرَفَيِ الْوِجْهَةِ مِنَ الْمَبْدَإِ إِلَى الْمُنْتَهَى كَانَ كُلُّهُ لَيْلاً.

وَقَالَ: (**لَيْلاً**) وَلَمْ يَقُلْ: (لَيْلَةً) لأَنَّ ذَهَابَهُ وَإِيَابَهُ ﷺ لَمْ يَسْتَغْرِقْ مَجْمُوعَ أَجْزَاءِ اللَّيْلَةِ فَقَوْلُهُ: (**لَيْلاً**) يَقَعُ عَلَى مَا قَطَعَ فِيهِ الْمَسَافَةَ مِنْ أَجْزَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، مَعَ أَنَّ (**سَرَى**) لَا يُقَالُ فِي مَنْ بَدَأَ الْوِجْهَةَ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

وَقَوْلُهُ: (**فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ**)، فَإِنْ قُلْتَ: اللَّيْلُ الدَّاجِي: الْمُظْلِمُ. وَالْبَدْرُ إِنْ سَارَ فِي لَيْلَةِ كَمَالِهِ لَا ظَلَامَ مَعَهُ.

فَالْجَوَابُ: إِنَّ التَّشْبِيهَ إِنَّمَا وَقَعَ فِي كَوْنِهِ سَرَى كَمَا أَنَّ الْبَدْرَ سَرَى. وَأَمَّا (**فِي دَاجٍ**) فَالْعَامِلُ فِيهِ: (**سَرَيْتَ**)، أَيْ: سَرَيْتَ يَا مُحَمَّدُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ.

وَأَرَادَ بَعْضُ الأَصْحَابِ أَنْ يَجْعَلَ (**فِي دَاجٍ**) مَعْمُولاً لِـ (**سَرَى الْبَدْرُ**)، وَهُوَ عِنْدِي أَوْجَهُ، لأَنَّ سَرَيَانَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ كَانَ بِلَيْلٍ مِنْ لَفْظِ (**سَرَيْتُ**)، وَمِنْ قَوْلِهِ: (**لَيْلاً**)، فَلَا يَتِمُّ جَعْلُ (**فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ**) مَعْمُولاً لِـ (**سَرَيْتَ**) إِلَّا بَعْدَ تَأَمُّلٍ وَنَظَرٍ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: (**لَيْلاً**) عِبَارَةً عَنِ اسْمِ الظَّرْفِ الزَّمَانِيِّ، وَلَا إِشْعَارَ فِيهِ هَلْ كَانَ سَرَيَانُهُ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ أَوْ ذَاتِ ظُلْمَةٍ، فَيُفِيدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (**فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ**) فَتَأَمَّلْهُ فَإِنَّهُ مَحَطُّ نَظَرٍ.

وَالْوَصْفُ بِـ (**ظُلَم**) أَيْضاً كَالْحَشْوِ، لأَنَّ الدَّاجِيَ مُشْعِرٌ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ (**مِنَ الظُّلَمِ**) تَفْسِيراً لَفْظِياً بِمَا هُوَ أَشْهَرُ عِنْدَ السَّامِعِ. وَيَكُونُ فِيهِ أَيْضاً نَوْعٌ مِنَ الإِرْصَادِ، لأَنَّ مَنْ يَعْلَمُ قَافِيَةَ الْقَصِيدَةِ وَيَسْمَعُ (**فِي دَاجٍ**) يَقُولُ: (**مِنَ الظُّلَمِ**).

وَ(**الظُّلَم**): جَمْعُ ظُلْمَةٍ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ ظُلُمَاتٍ، لأَنَّ ظُلُمَاتٍ: جَمْعُ ظُلْمَةٍ، وَجُمُوعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ جُمُوعُ قِلَّةٍ، وَفُعَلٌ جَمْعُ كَثْرَةٍ، وَيَكُونُ كَقُرْبَةٍ وَقُرَبٍ؛ وَلَا يُقَالُ: إِنَّهُ جَمْعُ ظَلَامٍ، لأَنَّ (ظَلَامٌ) اسْمُ جِنْسٍ شَامِلٌ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ جُمُوعُ الظُّلْمَةِ وَمُفْرَدَاتُهَا.

وَ(**الْحَرَمُ**) الثَّانِي مِنْ قَوْلِهِ: (**مِنْ حَرَمٍ إِلَى حَرَمِ**) لَيْسَ مِنْ بَابِ إِيقَاعِ الظَّاهِرِ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ إِذْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا حَيْثُ يَكُونُ الثَّانِي عَيْنَ الأَوَّلِ، وَهُوَ هُنَا غَيْرُهُ. وَيَصِحُّ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وُقُوعُ الْمُضْمَرِ مَكَانَ هَذَا الظَّاهِرِ عَلَى جِهَةِ الاسْتِخْدَامِ، فَيَكْتَفِي عَنْ ظَاهِرٍ يَعُودُ عَلَيْهِ الضَّمِيرُ بِظَاهِرٍ مُرَادِفٍ لِمَا يَعُودُ عَلَيْهِ الضَّمِيرُ، إِذْ لَوْ صَرَّحَ بِذَلِكَ الظَّاهِرِ كَقَوْلِكَ: سِرْتُ يَوْماً وَنِصْفَهُ، لَا تَعْنِي نِصْفَ ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ، بَلْ نِصْفَ يَوْمٍ آخَرَ، لَكِنْ لَمَّا اجْتَمَعَ الْيَوْمَانِ فِي الْحَقِيقَةِ بِالتَّوَاطُؤِ حَسُنَ ذَلِكَ الاسْتِغْنَاءُ.

وَفِي الْبَيْتِ: الإِغْرَاقُ، «وَهُوَ الإِخْبَارُ بِمَا فِيهِ خَرْقُ عَادَةٍ»، وَهُنَا **[247]**// مِنْ خَرْقِ الْعَوَائِدِ مَا لَا يَخْفَى.

وَالْكَافُ مِنْ (**كَمَا سَرَى الْبَدْرُ**): فِي مَوْضِعِ نَعْتٍ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ.

وَ(**مَا**): مَصْدَرِيَّةٌ.



118 ـ قال:

وبِتَّ ترقى إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين لم تُدرَك ولم تُرَم[1]

شرح: وفي رواية: (**وأنت ترقى**). وبين [الروايتين][2] فرق ما من جهة المعنى: فإنّ (**وأنت ترقى**) لم يتعرض فيها إلا لحالة السريان، وكأنه يقول: سريت راقياً. وتؤيد هذه الرواية قول من فسّر الحرم الثاني بالبيت المعمور.

وهذا البيت هو تكميل لما تضمنه البيت قبله، وهو نتيجة مقدمته، لأنه لما قال: (**سريت من حرم**) إلى آخر البيت، توطنت النفس على أن ذلك لمعنى، فتشوّفت إلى ما كان فقال: (**وأنت ترقى**).

وعلى رواية: (**وبتّ ترقى**)، فليس كالتي فرغنا منها، لأن الإخبار هنا إنما هو عمّا فعل في ليلة، وإن كان يفيد من الخبر ما استفيد من الجملة الحال. ويقال: بات يفعل كذا، أي: عمّر ليله بفعله، وليس من معنى بات بمعنى: نام، ولا من معنى: بتّ القوم، أي: جعلتهم يبيتون[3]، ولا بتّ بهم، أي: تقدمت بهم إلى موضع البيات. وبات فلان الشيء بيتاً، أي: استخرجه. والبيات يفوت بذهاب ثلث الليل عرفاً؛ فلو حلف أحد أن يبيت عند فلان فلم يأته حتى ذهب ثلث الليل حنث وإن جاءك قبل ذهاب ثلثه لم يحنث. انظر هل يؤخذ من هذا أنه أسري به ﷺ قبل ذهاب الثلث الأول من الليل؟

وقوله: (**ترقى**) من رقي بكسر القاف كرضي يرضى، والمصدر رُقيّاً، وأصله رُقُوياً فاجتمع حرفا علة الأول منها ساكن، وذلك يوجب الإدغام، إلا

(1) الديوان: 197.

(2) في الأصل: «الرواية».

(3) في الأصل: «يباتون».

أن الواو لا يُدغم في الياء إلا بعد قلبه ياء، فقلب الواو ياء، فبقيت ياء ساكنة قبلها ضمة، فقلبت الضمة كسرة من جنس الياء، فصار رُقِيّاً، فأدغمت الياء في الياء مثل: عُتِيّاً وصُلِيّاً وما في معناهما.

وأما رقأ مهموزاً كنشأ، فمعناه: كفّ عمّا[1] كان عليه، تقول: رقأ الدمع أو الدم يرقأ رُقوءاً. وأما رقى المريض فمن الرقية، ومضارعه: يرقي، كرمى يرمي.

و(**بتّ ترقى**)، أي: بتّ تصعد. فرواية (**بتّ**) أنصّ على المعنى من (**أنت**)، وهو فعل معطوف على (**سريت**).

وقوله: (**إلى أن نلت منزلة**): غاية للرقي وليس هو غاية لـ(**بتّ**)، إذ لا يستقيم المعنى والمنزلة منزلة إجلال وتعظيم.

وقوله: (**من قاب قوسين**)، أي: من المكانة والجلالة التي عبّر عنها بـ(**قاب قوسين**) والتعبير عن المعاني بالمحسوسات مسموع مألوف من كلام العرب. أما حقيقة اللفظ في ما يطلق فيه على حقيقته في غير هذا الموضع لاقتضى قرباً بين متقاربين في مكان بين كلّ منهما والآخر مقدار قوسين عربيين، أو قوسي الحاجبين، وهذا غاية القرب في المحسوس. وأما هنا فالمراد به أنه أكرمه ربه إكراماً ما أكرم به أحداً غيره. وفي كلام العرب: فلان قربه مني قرب بياض العين من سوادها، معناه: له عندي منزلة تشريف وتعظيم ما نالها مني أحد غيره. وإنما قلنا ذلك لأن البراهين القطعية العقلية قامت على استحالة المكان في حق الله تعالى، إذ كان ولا مكان، وهو كما كان قبل خلق الزمان والمكان.

فالمجرور بـ(**القاب**) في موضع النعت لـ(**منزلة**)، لأن المجرور بعد

(1) في الأصل: «عن ما».

النَّكِرَةِ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ، وَبَعْدَ الْمَعْرِفَةِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مَا لَمْ يَطْلُبْهُ عَامِلٌ يَفْرُغُ لَهُ. وَإِنْ قُلْنَا: (**الْقَابُ**) اسْمٌ، كَانَ هُوَ النَّعْتُ، وَالْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ عَلَى الإِضَافَةِ، وَيَكُونُ (**قَابَ قَوْسَيْنِ**) اسْماً [248]// لِمِقْدَارٍ مَعْلُومٍ، فَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِالذِّرَاعِ، وَبَعْضُهُمْ بِنِصْفِ الأُصْبُعِ. وَأَصْلُهُ (قَوَبَ) عَلَى وَزْنِ فَعَلَ، فَحَرَّكَتِ الْوَاوُ مَا قَبْلَهَا، فَقُلِبَتْ أَلِفاً كَمَا فُعِلَ فِي دَأَبَ وَنَحْوِهِ. وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ كَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْ [...][1] فَهُوَ ظَرْفُ مَكَانٍ عَلَى حَقِيقَتِهِ. وَ(**قَوْسَيْنِ**): مَخْفُوضٌ بِالظَّرْفِ.

وَقَوْلُهُ: (**لَمْ تُدْرَكْ**) يَعْنِي أَنَّ الإِدْرَاكَ مَنْفِيٌّ فِي نَفْسِ الأَمْرِ. وَ(**لَمْ**) هِيَ لِنَفْيِ [...][2] فَاقْتَضَى أَنَّ تِلْكَ الدَّرَجَةَ مَا نَالَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ ﷺ.

وَقَوْلُهُ: (**وَلَمْ تُرَمِ**)، أَيْ: مَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ طَلَبُهَا؛ وَكَذَا هُوَ مُعْتَقَدُ أَهْلِ الإِسْلَامِ أَنَّهَا لَا يَتَرَجَّاهَا أَحَدٌ بَعْدَهُ ﷺ، لِأَنَّهَا مَرْتَبَةُ السِّيَادَةِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»[3]. فَلَمَّا عَلِمْنَا صِدْقَهُ أَخَذْنَا مِنْ قَوْلِهِ هٰذَا أَنْ لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي هٰذِهِ الرُّتْبَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا تَعَرَّضَ الْحَدِيثُ لِإِيَاسِ الْبَشَرِ مِنْ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ.

فَالْجَوَابُ: إِنَّ الاطِّلَاعَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنَالُهَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ الْبَشَرِ أَوْ مِنَ الْبَشَرِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لَا يُدْرَكُ بِاجْتِهَادٍ، وَلَمْ يَكُنْ طَرِيقٌ إِلَى ذٰلِكَ إِلَّا بِالْوَحْيِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَتَكْرَارُ (**لَمْ تُرَمِ**) قَضِيَّةٌ تَقْتَضِي الإِيَاسَ مِنْهَا، وَفَعَلَ ذٰلِكَ النَّاظِمُ كَمَا قَالَ قَبْلُ: ـ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ـ: (**لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ**)[4].

---

(1) طمس لبعض كلمات لحق أعلى الورقة: 284.
(2) كلمة مطموسة لم أتبين معناها في الأصل.
(3) سبق تخريجه: ص272.
(4) الديوان: 200.

وَالْجَمْعُ بَيْنَ (**تُدْرَكْ**) وَ(**تُرَمِ**) مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

وَفِيهِ: الافْتِخَارُ.

وَفِيهِ: الاسْتِثْمَارُ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ التَّرَقِّيَ أَظْهَرَ ثَمَرَتَهُ وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ وَهُوَ بَدِيعٌ جِدّاً.



119 ـ قَالَ:

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا ... وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ[1]

شرح: التَّقْدِيمُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ النَّاظِمُ هُوَ تَقْدِيمُهُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ وَجَدَهُمُ النبيُّ ﷺ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ عَلَى رِوَايَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَوْ فِي السَّمَاءِ. وَقَدْ تَحَدَّثَ عَلَى هٰذَا الْقَاضِي أَبُو يَحْيَى بْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «**الْعَوَاصِمِ وَالْقَوَاصِمِ**» وَقَالَ: «يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَدَّهُمُ اللهُ إِلَى صُوَرِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا وَصَلَّى بِهِمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى الأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ»[2].

وَظَاهِرُ كَلَامِ الْبُوصِيرِيِّ أَنَّ تَقْدِيمَ الأَنْبِيَاءِ إِيَّاهُ إِنَّمَا كَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ فِيهِ مَنْزِلَةُ التَّرَقِّي، وَأَنَّ صَلَاتَهُ ﷺ بِهِمْ هُنَاكَ؛ لٰكِنَّ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ: (**بِهَا**) هَلْ ظَرْفِيَّةٌ أَوْ سَبَبِيَّةٌ؟ وَلَا سَبِيلَ إِلَى كَوْنِهَا ظَرْفِيَّةً، لأَنَّهَا تَقْتَضِي التَّنَاقُضَ، لأَنَّهَا إِنْ جَعَلْنَاهَا ظَرْفِيَّةً كَانَ الضَّمِيرُ لِلْمَرْتَبَةِ، وَقَدْ قَالَ: إِنَّهَا (**لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ**).

لٰكِنَّ الْجَوَابَ أَنْ يُقَالَ: لَا يَلْزَمُ مِنْ صَلَاتِهِ بِهِمْ فِي الْمَكَانِ الْمَذْكُورِ مُسَاوَاتُهُمْ إِيَّاهُمْ فِي الْقُرْبِ الْمَعْنَوِيِّ. وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهَا سَبَبِيَّةٌ، حَصَلَ الْمَطْلُوبُ مِنَ التَّقْدِمَةِ بِسَبَبِ الْمَرْتَبَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ كَانَ اجْتِمَاعُهُمْ لِلصَّلَاةِ بِهِمْ.

وَهُنَا بَحْثٌ: وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: إِنْ كَانَ التَّقْدِيمُ بِجَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ لِلصَّلَاةِ فَقَدْ نَصَّ عَلَى ذٰلِكَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ[3]، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَشْيَاخِنَا قَالَ: «لَا أَحْفَظُ فِي ذٰلِكَ نَصّاً». وَإِنْ كَانَ تَقْدِيمُهُمْ إِيَّاهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّكْرِمَةِ فَهُوَ الْمُسْتَشْعَرُ بِهِ

---

(1) الديوان: 197.

(2) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم: 240.

(3) نفسه.

مِنْ قَوْلِهِ: (**تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ**). وَالثَّابِتُ أَنَّهُ ﷺ تَقَدَّمَ بِالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ وَجَدَهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانُوا خَلْقاً كَثِيراً. وَلَيْسَ فِي الأَحَادِيثِ نَصٌّ عَلَى كَوْنِهِمْ كُلِّهِمْ أَوْ بَعْضِهِمْ، بَلِ الأَحَادِيثُ صَالِحَةٌ لِذٰلِكَ كُلِّهِ؛ وَقَدْرُهُ ﷺ عَظِيمٌ صَالِحٌ لِذٰلِكَ، وَأَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْ أَنْ يُسْتَغْرَبَ هٰذَا فِي حَقِّهِ.

وَلَفْظُ (**جَمِيعُ**) مَعَ إِضَافَتِهِ لِجَمْعِ التَّكْسِيرِ الْمُحَلَّى بِاللَّامِ يَقْتَضِي تَقْدِمَتَهُ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ. وَجَاءَ بِـ (**التَّاءِ**) فِي (**قَدَّمَتْكَ**) لإِضَافَةِ (**جَمِيعُ**) إِلَى جَمْعِ التَّكْسِيرِ، فَاكْتَسَبَ مِنْهُ حُكْمَهُ فِي لِحَاقِ مَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنَ الأَفْعَالِ تَاءَ التَّأْنِيثِ.

وَ(**الرُّسْلِ**): مَخْفُوضاً حَمْلاً عَلَى (**الأَنْبِيَاءِ**). وَيَجُوزُ رَفْعُهُ عَطْفاً عَلَى (**جَمِيعُ**). [249]// وَعَطْفُ (**الرُّسْلِ**) فِي الْحَقِيقَةِ كَالْحَشْوِ لِعُمُومِ اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى الْمَعْنَيَيْنِ، فَإِنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ [رَسُولاً][1]، فَكَانَ قَوْلُهُ: (**جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ**) كَافِياً. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرَ الرُّسُلَ لِزِيَادَةِ شَرَفِ فِي الْمُرْسَلِينَ، فَيَكُونُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: 68]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: 98] بَعْدَ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ.

وَقَوْلُهُ: (**تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ**)، أَيْ: تَقْدِيمَ صَاحِبِ رِيَاسَةٍ عَلَى قَوْمِهِ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمُقَدَّمَ لِلإِمَامَةِ فَهُوَ الْمَخْدُومُ، وَالْمُقْتَدُونَ بِهِ هُمْ خَدَمُهُ، أَيْ: تَابِعُوهُ.

وَفِي الْبَيْتِ: الإِرْصَادُ، وَمُرَاعَاةُ النَّظِيرِ.

وَ(**التَّقْدِيمُ**) هُنَا مَعَ (**قَدَّمَتْكَ**) لَيْسَ مِنَ التَّجْنِيسِ عَلَى الأَشْهَرِ، وَكَذَا (**مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ**) إِذْ كُلُّهَا مِنْ مَعْنًى وَاحِدٍ.

وَ(**تَقْدِيمَ**): مَصْدَرٌ نَوْعِيٌّ.



---

(1) في الأصل: «رسول».

120 ـ قَالَ:

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ[1]

شرح: أَخْبَرَ النَّاظِمُ فِي هٰذَا الْبَيْتِ [عَنْ][2] كَيْفِيَةِ تَرَقِّيهِ ﵇، وَعَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَتْ مَعَهُ الأَنْبِيَاءُ؛ لٰكِنْ إِنْ قُلْنَا: إِنَّ التَّقْدِمَةَ الَّتِي ذَكَرَ النَّاظِمُ كَانَتْ لِلصَّلَاةِ، كَانَتْ هٰذِهِ الْجُمْلَةُ لَيْسَتْ بِحَالِيَةٍ، إِذْ لَمْ تَكُنِ الصَّلَاةُ حَالَةَ اخْتِرَاقِهِ السَّبْعَ الطِّبَاقَ، بَلْ كَانَتْ قَبْلَ ذٰلِكَ، إِنْ قُلْنَا: فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَإِنْ قُلْنَا: فِي السَّمَاءِ كَانَتْ بَعْدَ الاسْتِقْرَارِ فِي سَمَاءٍ. وَإِنْ قُصِدَ بِقَوْلِهِ: (**وَقدَّمَتْكَ**) تَقْدِيمَ إِجْلَالٍ وَإِكْرَامٍ صَحَّ أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ الْجُمْلَةُ حَالِيَةً، أَيْ: وَأَنْتَ فِي هٰذِهِ الْحَالَةِ، لٰكِنْ يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُمْ مَا قَدَّمُوهُ هٰذَا التَّقْدِيمَ إِلَّا بَعْدَ خَرْقِ السَّبْعِ الطِّبَاقِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ عِنْدَهُمْ مُقَدَّمٌ قَبْلَ الاخْتِرَاقِ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ.

وَ(**السَّبْعَ الطِّبَاقَ**): هِيَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ.

وَ(**الْمَوْكِبُ**): هُوَ الْجَمْعُ، كَالسَّرِيَّةِ مِنَ الْخَيْلِ؛ فَإِذَا فَسَّرْنَاهُ بِهٰذَا لَزِمَ مِنْهُ أَنَّ التَّقْدِيمَ تَقْدِيمٌ بِكَيْفِيَةٍ أُخْرَى، لأَنَّهُ قَالَ: (**جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ**). وَإِنْ فَسَّرْنَاهُ بِالْجَمْعِ الْكَبِيرِ يَصِحُّ كَوْنُ الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ هُمُ الَّذِينَ عَبَّرَ عَنْهُمْ بِالْمَوْكِبِ. وَالَّذِي اشْتُهِرَ فِي مُلَاقَاةِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَيَحْيَى وَزَكَرِيَاءَ إِنَّمَا كَانَ فِي أَمَاكِنِهِمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّ مَنْ لَقِيَهُ النبيُّ ﷺ غَيْرُ الْمَوْكِبِ الَّذِي اخْتَرَقَ بِهِ الْفَضَاءَ أَوْ السَّبْعَ. وَيَظْهَرُ أَيْضاً مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُمْ صَحِبُوهُ إِلَى السِّدْرَةِ الَّتِي هِيَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

وَقَوْلُهُ: (**كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ**): هٰذَا كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِ كَانَ ﵇ هُوَ

(1) الديوان: 197.

(2) لا توجد «عن» في الأصل، ولعل الأنسب إثباتها.

الْمَتْبُوعُ، لأَنَّ صَاحِبَ الْعَلَمِ فِي الْجَيْشِ هُوَ الْمَتْبُوعُ، وَهُوَ رَئِيسُهَا الَّذِي نُشِرَتْ عَلَى رَأْسِهِ، وَهُوَ الْمَأْلُوفُ عِنْدَ الْعَرَبِ؛ وَفِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ النبيَّ ﵇ أَخْبَرَ الْقَوْمَ بِذٰلِكَ إِعْلَاماً بِمَنْ يُقَدِّمُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَأَعْطَاهَا عَلِيّاً ﵁ وَكَانَ عَلِيٌّ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ أَرْمَدَ، فَمَسَحَ النبيُّ ﷺ عَلَى عَيْنِهِ فَبَرِئَ، وَأَخَذَهَا عَلِيٌّ وَفَتَحَ اللهُ عَلَى يَدِهِ خَيْبَرَ»[1].

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَبَسَهَا.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَمَرَهُ عَلَى الْجَيْشِ الَّذِي تُنْشَرُ فِيهِ الرَّايَةُ، فَتَتْبَعُهُ حَيْثُ كَانَ، وَتَقِفُ بِوُقُوفِهِ، وَيَتَحَرَّكُ بِهَا بِحَرَكَتِهِ. وَالظَّاهِرُ هٰذَا، لأَنَّ عَلِيّاً هُوَ أَسَدٌ مِنْ أُسُودِ اللهِ، فَقَدْ تَشْغَلُ الرَّايَةُ مُمْسِكَهَا عَنِ الْقِتَالِ، وَلَا يُسْتَغْنَى عَنْ عَلِيٍّ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَاتِلَ وَهِيَ فِي يَدِهِ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ فِي أُحُدٍ، فَإِنَّ عَلَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ بِيَدِهِ وَقَتَلَ صَاحِبَ عَلَمِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هٰذَا فَـ (**أَنْتَ**) مُبْتَدَأٌ. [250]// وَالْجُمْلَةُ مِنْ (**تَخْتَرِقُ**) إِلَى آخِرِهِ خَبَرُهُ. وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ (**تَخْتَرِقُ**) وَمَعْمُولُهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ (**أَنْتَ**)، وَيَكُونَ الْخَبَرُ (**فِي مَوْكِبٍ**) أَيْ: وَأَنْتَ حَالَ اخْتِرَاقِكَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ فِي مَوْكِبٍ.

وَإِذَا أَعْرَبْتَ هٰذَا الإِعْرَابَ زَالَ مَا تَوَهَّمْنَاهُ ابْتِدَاءً مِنْ أَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ اخْتَرَقَتْ مَعَهُ السَّمَاوَاتِ، بَلْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي اخْتِرَاقِهِ السَّمَاوَاتِ يَشُقُّ بَيْنَ الْمَوْكِبِ وَهُوَ يَصْعَدُ وَيُخَلِّفُهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَوْكِبُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أَوْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَيَصِيرُ الْكَلَامُ دَالًّا عَلَى فَضْلِهِ ﵇ عَلَى

(1) البخاري: 12/ 190 ـ 191، مسلم: 4/ 1871، الترمذي: 4/ 368، ابن حبان: 9/ 34، كنز العمال: 30119، وفي الحديث ألفاظ عدة: (لأدفعن لوائي ـ لأعطين ـ لأبعثن عليهم).

الْمَلَائِكَةِ، لأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِيهِمْ صَاحِبَ الْعَلَمِ كَانَ هُوَ الْمَتْبُوعَ وَهُمْ لَهُ تَبَعٌ؛ لَكِنَّ كَوْنَهُ كَانَ يَصْعَدُ وَيَشُقُّ الْمَوْكِبَ أَبْلَغُ فِي الْمَدْحِ، لأَنَّ سِيَاقَ كَلَامِ النَّاظِمِ مَا قَصَدَ إِلَّا مَدْحَهُ بِكَوْنِهِ كَانَ يَخْتَرِقُ وَيَصْعَدُ لَا بِكَوْنِهِ كَانَ فِي مَوْكِبٍ.

وَيُرْوَى: (**فِي مَوْكِبٍ أَنْتَ فِيهِ**) وَ(**كُنْتَ فِيهِ**).

وَفِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الأَفْلَاكَ الَّتِي اخْتَرَقَهَا هِيَ السَّبْعُ سَمَاوَاتٍ.
وَهَلْ يَكُونُ الْفَلَكُ الثَّامِنُ هُوَ الْمُنْتَهَى، أَوْ أَنَّهُ مَحَلُّ اسْتِقْرَارِهِ؟ وَلَا يُقَالُ يَخْتَرِقُ إِلَّا فِي مَا دُونَهُ مِنَ الأَفْلَاكِ، لأَنَّ الاخْتِرَاقَ هُوَ النُّفُوذُ، وَبَعْدَ الْوُصُولِ اسْتِقْرَارٌ لَا اخْتِرَاقَ فِيهِ.



121 ـ قَالَ:

حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَنِمِ[1]

شرح: لَمَّا وَصَفَهُ ﷺ بِوُصُولِهِ الْمَرْتَبَةَ الَّتِي سَادَ بِهَا الْجَمِيعَ، وَظَهَرَ بِهَا فَضْلُهُ عَلَى كُلٍّ مِنْ قَدَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ، أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ مَا حَصَلَ لَهُ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي مَا حَلَّهَا غَيْرُهُ، فَجَعَلَ هٰذَا الْبَيْتَ تَوْطِئَةً وَسُلَّماً إِلَى الإِخْبَارِ بِمَا أَسْنَدَ إِلَيْهِ مِنْ عُلُوِّ مَقَامِهِ الَّذِي حَلَّ بِهِ، وَخَفَضَ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الَّتِي جَاوَزَهَا وَخَلَّفَ أَهْلَهَا بِهَا.

وَ(**الشَّأْوُ**): وَهُوَ السَّبْقُ الْبَارِعُ الصَّادِرُ فِي أَوَّلِ قِيمَةٍ لِلْجَوَادِ.

وَقَوْلُهُ: (**لِمُسْتَبِقٍ**)، أَيْ: لِطَالِبِ سَبْقٍ. وَالاسْتِبَاقُ مُبَالَغَةٌ فِي ذٰلِكَ عَلَى غَايَةِ جُهْدِهِ. وَالأَصْلُ: سَبَقَ سَبْقاً: إِذَا تَقَدَّمَ. وَالسَّبَقُ بِفَتْحِ الْبَاءِ: الْخَطَرُ. وَيَكُونُ التَّقَدُّمُ حِسِّياً وَمَعْنَوِياً، وَهُوَ هُنَا بِالْوَجْهَيْنِ:

أَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى: فَإِنَّهُ ﷺ الْمُقَدَّمُ فِي الْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ وَالْمَنَاقِبِ الرَّضِيَّةِ.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْحِسِّ: فَهُوَ الأَوَّلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى وُجُودِ النَّبِيِّينَ، فَإِنَّ نُورَهُ سَبَقَ الأَجْسَادَ وَالأَرْوَاحَ. وَفِي الإِسْرَاءِ هُوَ السَّابِقُ إِلَى مَقَامِ الْمَكَانَةِ وَالتَّمْكِينِ.
وَقَصَدَ النَّاظِمُ بِالسَّبْقِيَةِ مَا قَدَّمْنَاهُ مِمَّا فَسَّرْنَا الدُّنُوِّيَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: 8].

وَ(**حَتَّى**): غَايَةٌ لاخْتِرَاقِهِ السَّبْعَ، أَيْ: حَتَّى إِذَا تَرَكْتَ السَّابِقِينَ خَلْفَكَ، وَعَلِمُوا أَنْ لَا مَطْمَعَ لَهُمْ فِي مُسَابَقَتِكَ.

---

(1) الديوان: 197.

وَ(مِنَ): سَبَبِيَّةٌ، أَيْ: مِنْ أَجْلِ مَا أُدْنِيتَ، فَبِدُنُوِّكَ حُزْتَ السَّبْقَ؛ وَحَوْزُ أَمْكِنَةِ الْمَكَانَةِ يَكُونُ بِتَقْرِيبِ الْمُنْعِمِ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ مَنْ خَصَّهُ بِهَا تَقْرِيباً لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِإِذْنٍ وَتَقْرِيبٍ، أَوْ بِسَدِّ الطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَى الْمَرْتَبَةِ بَعْدَ أَنْ أَسْلَكَ فِيهِ مَنْ أَحَبَّ تَقْرِيبَهُ. وَلَوْ قَالَ: (حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَيْئاً لِمُسْتَبِقٍ مِنَ الدُّنُوِّ) لَصَحَّ، لٰكِنْ فِي قَوْلِهِ: (**شَاوَاً**) مِنْ رِقَّةِ الاسْتِعَارَةِ مَا لَا يُوجَدُ فِي الآخَرِ، إِلَّا أَنَّ (**لَمْ تَدَعْ شَاوَاً**) لِعَدَمِ دُخُولِ ذٰلِكَ السَّبْقِ تَحْتَ مَقْدُورِهِمْ، وَ(لَمْ تَدَعْ شَيْئاً) لِحَوْزِ الْمَانِعِ كُلَّ دُنُوٍّ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ ذٰلِكَ الدُّنُوِّ الْمَخْصُوصِ مَا يَطْلُبُ طَالِبٌ.

وَقَوْلُهُ: (**وَلَا مَرْقَى**)، أَيْ: مَطَالِعُ التَّرَقِّي عَمَرَتْ بِالسَّابِقِ إِلَيْهَا، وَالْمَعْنَى: مَفْعَلٌ مِنَ الرُّقِيِّ.

وَقَوْلُهُ: (**لِمُسْتَنِمٍ**): مَأْخُوذٌ مِنْ سَنَامِ الْبَعِيرِ، [251]// أَيْ: لِطَالِبِ عُلُوٍّ.
وَرَوَاهُ بَعْضُ الأَصْحَابِ: (**لِمُسْتَلِمٍ**)، كَأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ السُّلَّمِ الَّذِي يُصْعَدُ عَلَيْهِ.
وَرِوَايَتُنَا فِيهِ: (**لِمُسْتَنِمٍ**) بِالنُّونِ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْمُقَابَلَةُ.

وَوَقَعَ هُنَا فِي الْبَيْتِ نَوْعٌ مِنَ التَّضْمِينِ: وَهُوَ ارْتِبَاطُ آخِرِ هٰذَا الْبَيْتِ بِأَوَّلِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَلَيْسَ مِنَ التَّضْمِينِ الْمَذْمُومِ عِنْدَهُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ تَضْمِينٌ حَسَنٌ، فَإِنَّ التَّضْمِينَ إِنْ كَانَ لَا يُفِيدُ مَعْنًى كَانَ قَبِيحاً. وَقَدْ يَأْتِي التَّضْمِينُ وَيَكُونُ تَتْمِيماً فِي حُسْنِ الْكَلَامِ؛ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (كامل)

تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ ... بَرَدٌ أُسِفَّ لِثَاثُهُ بِالإِثْمِدِ[1]
كَالأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ ... جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِ

(1) البيتان للنابغة الذبياني في ديوانه: 94 «بردا». مجالس ثعلب: 1/ 264 «تسف». العمدة: 2/ 704 «لثامه». القادمتان: الريشتان في مقدمة الجناحين. أيكة: اسم قرية أو بلدة. والأيك: الشجر الكثيف. البرد: حب الغمام. أسف: أذر. اللثات: ما حول اللسان. الإثمد: الكحل. الأقحوان: البابونج، وهو نبت طيب الرائحة. غب كل شيء: عاقبته، وهو هنا بعد.

وَالْقَبِيحُ مَا يَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ مُتَوَقِّفاً فَهْمُهُ عَلَى مَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ تَشَوُّفٌ يُشْعِرُ بِهِ مَا فِي الأَوَّلِ، وَهٰذَا مِنْهُ، أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ: (**حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَاوَاً لِمُسْتَبِقٍ**) فَإِنَّهُ يُعْلِمُ أَنَّ مَعْنَى الْبَيْتِ الْوُصُولُ إِلَى حَيْثُ لَمْ يَصِلْ غَيْرُهُ، فَكَانَ مَا بَعْدَهُ تَتْمِيماً لِمَعْنًى آخَرَ نَاشِئٍ عَنْ وُصُولِ فَضَائِلَ قُدِّمَتْ فِي الْبَيْتِ الْمُتَقَدِّمِ.



122 ـ قَالَ:

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ ... نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ[1]

شرح: هٰذَا هُوَ مُنْتَهَى الْغَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ بِـ (**حَتَّى**) فِي قَوْلِهِ: (**حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَاواً**). وَاشْتَمَلَ هٰذَا الْبَيْتُ عَلَى اسْتِعَارَاتٍ حَسَنَةٍ، وَتَوْرِيَةٍ بَدِيعَةٍ. وَلَمْ يَزَلِ الْفُضَلَاءُ يَسْتَعْمِلُونَ الْخَفْضَ فِي أَشْعَارِهِمْ يَقْصِدُونَ بِهَا مَعَانِيَ عَظِيمَةً. وَلَقَدْ قِيلَ: إِنَّ رَجُلاً[2] دَخَلَ مَجْلِسَ الإِمَامِ كَافُورَ[3] فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَدَامَ اللهُ أَيَّامِ سَيِّدِنَا بِكَسْرِ الْمِيمِ، فَنَظَرَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ إِلَيْهِ، فَقَالَ عَلَى الْبَدِيهَةِ: (بسيط)

لَا غَرْوَ إِنْ لَحَنَ الدَّاعِي لِسَيِّدِنَا ... أَوْ غَصَّ مِنْ دَهَشٍ بِالرِّيقِ أَوْ بَهَرِ[4]

فَإِنْ يَكُنْ خَفْضُ الأَيَّامِ مِنْ غَلَطٍ ... فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ لَا عَنْ فِكْرَةِ النَّظَرِ

فَقَدْ تَفَاءَلْتُ عَنْ هٰذَا لِسَيِّدِنَا ... وَالْفَالُ مَأْثُورَةٌ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ

فَإِنَّ أَيَّامَهُ خَفْضٌ بِلَا نَصَبٍ ... وَإِنَّ أَوْقَاتَهُ صَفْوٌ بِلَا كَدَرِ

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ بِرِقَّةٍ حَاشِيَةٍ نَحْوِيَّةٍ، وَدِقَّةٍ بَيَانِيَّةٍ شِعْرِيَّةٍ يَشْكُرُ رَجُلاً بِالْكَرَمِ، وَيَدْعُو لَهُ بِالْحَجِّ وَقَضَاءِ الْحَوَائِجِ: (طويل)

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً ... مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ[5]

---

(1) الديوان: 197.

(2) هو كافور الإخشيدي أبو المسك، عبد حبشي اشتراه سيده الإخشيد ملك مصر، ولما توفي الإخشيد ولي الحكم بعده. (ت357هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 4/ 386، الأعلام: 6/ 68).

(3) قيل: الرجل هو كاتب كافور أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجرمي اللغوي. ترجمته في: (إنباه الرواة: 1/ 171، معجم الأدباء: 1/ 199).

(4) الأبيات بدون عزو في: شرح لامية العجم: 1/ 197 «أو عص» و«إن يكن» و«تفاءلت من». التبيان: 312، أنوار التجلي: 3/ 719. النجوم الزاهرة: ولاية كافور.

(5) ديوانه: 4/ 98.

يَعْنِي: إِنَّكَ إِذَا نَوَيْتَ طَلَبَ أَمْرٍ عِنْدَهُ احْسُبْهُ قَدْ وَقَعَ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَ لَهُ عَارِضٌ. وَبِالنَّظَرِ الثَّانِي يَقُولُ: سَاعَدَتْكَ الأَيَّامُ حَتَّى أَنَّكَ إِنِ اعْتَقَدْتَ شَيْئاً مِنْ مَصَالِحِ أَمْرِكَ تَفْعَلُهُ أَنْفَذَهُ اللهُ وَمَضَى أَيْ: أَمْضَاهُ اللهُ. وَقَوْلُهُ: (قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِم)، أَيْ: سَالِماً مِنَ الْعَوَارِضِ الَّتِي تَرِدُ عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فَتُذْهِبُ رَفْعَهُ، أَيْ: لَا تَزَالُ ذَا رِفْعَةٍ مَقْضِيَّ الْمَآرِبِ، مَحْفُوظَ الْجَوَانِبِ.

وَالنَّاظِمُ هُنَا تَجَوَّزَ فِي اسْتِعْمَالِ الرَّفْعِ فِي الْمُنَادَى، لٰكِنْ لَمَّا تَجَوَّزَتِ النُّحَاةُ فِي قَوْلِهِمْ: الضَّمَّةُ عَلَامَةُ الرَّفْعِ، أَخَذَ النَّاظِمُ الرَّفْعَ عِوَضاً عَنِ الضَّمِّ مَعَ [أَنَّ][1] الْمَوْضِعَ صَالِحٌ [لِلنَّبِيِّينَ][2]، فَإِنَّ اللهَ ﷻ رَفَعَ نَبِيَّهُ ﷺ حِسّاً فِي الْمِعْرَاجِ، وَمَعْنًى فِي الشَّرَفِ وَالْمَرْتَبَةِ، وَضَمَّهُ إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ لٰكِنْ لَمَّا كَانَ لَفْظُ الرَّفْعِ هُوَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي أَحْوَالِ الشَّرَفِ جَلَبَهُ النَّاظِمُ، وَبِالْجُمْلَةِ إِنَّ اسْتِعْمَالَ الضَّمِّ هُنَا فِيهِ قَلَقٌ، وَلِذٰلِكَ تَرَكَهُ النَّاظِمُ وَلَمْ يَقُلْ: (**نُودِيتَ بِالضَّمِّ**)، لأَنَّكَ تَقُولُ: رَفَعَهُ اللهُ، وَلَا تَقُولُ: ضَمَّهُ اللهُ، وَهٰذَا مِنْ حِذْقِ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ.

وَمَعْنَى كَلَامِهِ: [252]// صَيَّرْتَ الْمَقَامَاتِ كُلَّهَا تَحْتَ مَقَامِكَ، فَصَارَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِكَ الأَعْلَى مُنْخَفِضَةً، إِذِ الْمَقَامَاتُ تَكُونُ مُنْخَفِضَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهَا؛ وَقَدْ نَصَّ اللهُ ﷻ عَلَى تَفْضِيلِ الرُّسُلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253] إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الأَنْبِيَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَتَرَقَّى إِلَى أَعْلَى مِمَّا لَقِيَهُمْ فِيهِ، فَقَدْ سَمَا ﷺ مَقَامُهُ حِسّاً وَمَعْنًى، فَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى مَقَامَاتِ الْحِسِّ فَلَا مَقَامَ لِمَخْلُوقٍ أَعْلَى مِنَ الْمَقَامِ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ ﷺ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: خَفَضْتَ بِمَقَامِكَ كُلَّ مَقَامٍ، وَإِلَّا دَخَلَ مَقَامُهُ فِي الْمَقَامَاتِ، وَعَلَى ذٰلِكَ يَدُلُّ قَوْلُهُ: (**بِالإِضَافَةِ**)، أَيْ: بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا انْتَهَيْتَ إِلَيْهِ.

---

(1) لا توجد لفظة «أن» في الأصل، والأنسب إثباتها.

(2) لم أتبين الكلمة في الأصل ولعلها «للنبيين».

وَقَوْلُهُ: (**إِذْ نُودِيتَ بِالرَّفْعِ**) تَعْلِيلُ خُصُوصِيَّتِهِ بِرِفْعَةِ ذٰلِكَ الْمَقَامِ، أَيْ: إِنَّمَا ذٰلِكَ تَفَضُّلاً مِنْ رَبِّكَ الَّذِي نَادَاكَ لِلْوُصُولِ إِلَى ذٰلِكَ الْمَقَامِ، وَقَدْ قَضَى الْعَقْلُ أَنَّ الرِّفْعَةَ وَخَفْضَ كُلِّ مَقَامٍ بِمَقَامِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ بِنِدَاءِ اللهِ إِيَّاهُ وَإِذْنِهِ بِرِفْعَتِهِ وَعُلُوِّ مَقَامِهِ، كَمَا أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا عَنْ عَبْدِهِ إِدْرِيسَ[1] أَنَّهُ رَفَعَهُ ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57]، فَتَكُونُ (**إِذْ**) ظَرْفِيَّةً، أَيْ: خَفَضْتَ الْمَقَامَاتِ حِينَ نُودِيتَ وَأُذِنَ لَكَ. وَالْمُنَادِي هَلْ هُوَ اللهُ ﷻ، أَوْ أَنَّ جِبْرِيلَ لَمَّا بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَصَحِبَهُ فِي الْإِسْرَاءِ هُوَ مُنَادِيهِ بِإِذْنِ اللهِ، وَتَكُونُ الْبَاءُ سَبَبِيَّةً، أَيْ: حِينَ نَادَاكَ جِبْرِيلُ لِلْمِعْرَاجِ بِسَبَبِ الرَّفْعِ الَّذِي قُضِيَ لَكَ؟ وَيَصِحُّ كَوْنُ (**إِذْ**) لِلسَّبَبِ، لِأَنَّهَا تَأْتِي لِلسَّبَبِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِسَبَبِ الرَّفْعِ الَّذِي نُودِيتَ لَهُ. وَيَصِحُّ كَوْنُ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ: (**بِالرَّفْعِ**) بِمَعْنَى لَامِ الْجَرِّ، أَيْ: نُودِيتَ لِلرَّفْعِ، فَتَكُونُ لَامَ تَعْلِيلٍ، أَيْ: نُودِيتَ لِتُرْفَعَ.

وَفِي قَوْلِهِ: (**نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ**) فِيهِ تَوْرِيَةٌ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَفِي الثَّانِي وَذٰلِكَ أَنَّ التَّوْرِيَةَ: أَنْ يَأْتِيَ الشَّاعِرُ بِلَفْظٍ لَهُ مَعْنَيَانِ، وَقَصَدَ الْمُسْتَعْمِلُ اللَّفْظَ فِي أَحَدِ الْمَعْنَيَيْنِ وَيُوهِمُ أَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَعْمَلَهُ فِي الْمَعْنَى الثَّانِي، فَإِنَّ النِّدَاءَ فِي بَابِ النِّدَاءِ، وَالرَّفْعَ فِيهِ غَيْرُ مَا هُوَ هُنَا، فَإِنَّ هُنَاكَ نِدَاءً بِصَوْتٍ، [ورفعاً][2] بِحَرَكَةٍ بِنَائِيَّةٍ؛ وَالنِّدَاءُ هُنَا إِذْنٌ، وَالرَّفْعُ: التَّمْكِينُ فِي مَكَانِ الْعِزَّةِ، أَوِ الرَّفْعُ إِلَى أَعْلَى الْمَقَامَاتِ حِسّاً وَمَعْنًى. وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ التَّوْرِيَةَ تَارَةً تَكُونُ مُرَشَّحَةً، وَ[تَارَةً][3] مُجَرَّدَةً وَهِيَ هُنَا مُرَشَّحَةٌ، لِأَنَّ فِي الْمَعْنَى الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ النَّاظِمُ مَا يُلَائِمُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ، وَذٰلِكَ هُوَ تَرْشِيحُ التَّوْرِيَةِ؛ وَذٰلِكَ أَنَّهُ قَالَ: (**خَفَضْتَ**) وَأَرَادَ بِهِ ضِدَّ الْعُلُوِّ، وَأَوْهَمَ حَرَكَةَ الْإِعْرَابِ النَّحْوِيَةِ وَرَشَّحَ ذٰلِكَ

(1) هو نبي الله إدريس أخنوخ بن برد نكح هدانة ويقال: أدانة. ينظر: (تاريخ الطبري: 1/ 165، الكامل: 1/ 53).

(2) في الأصل: «رفع».

(3) لا توجد لفظة «تارة» في الأصل، ولعلها سقطت.

بِلَفْظِ الْإِضَافَةِ، لِأَنَّهَا مُلَائِمَةٌ لِخَفْضِ النُّحَاةِ. وَأَيْضاً فَإِنَّهُ أَرَادَ بِالْإِضَافَةِ هُنَا النِّسْبَةَ وَأَوْهَمَ أَنَّهُ أَرَادَ الْإِضَافَةَ الِاصْطِلَاحِيَّةَ عِنْدَ النُّحَاةِ، بِذِكْرِ الْخَفْضِ الْمَذْكُورِ قَبْلُ وَبِلَفْظِ الرَّفْعِ الْمَذْكُورِ بَعْدُ.

وَكَذٰلِكَ تَوْرِيَةُ الرَّفْعِ فَإِنَّهَا ثَالِثَةٌ، إِذْ قَصْدُهُ رَفْعُ الرُّتْبَةِ، وَأَوْهَمَ أَنَّهُ الَّذِي جِيءَ بِهِ لِمُقْتَضَى عَامِلِ الرَّفْعِ، وَرَشَّحَ بِقَوْلِهِ: (**نُودِيتَ**). وَفِي قَوْلِهِ: (**مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ**) تَرْشِيحٌ آخَرُ لِلرَّفْعِ. وَلَوْ وَسِعَ لَهُ فِي الْبَيْتِ كَيْفَ يَجْعَلُهُ هُوَ الْمُفْرَدَ الْعَلَمَ بِنَفْسِهِ لَسَاغَ وَحَسُنَ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ: (**كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِي جَلَالَتِهِ**)[1]، فَهُوَ فهي جَلَالَتِهِ فَرْدٌ فِي الْخُلُقِ وَعَلَمٌ، وَ(**الْعَلَمِ**) هُنَا غَيْرُ (**الْعَلَمِ**) فِي قَوْلِهِ قَبْلُ: (**كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ**).

فَإِنْ قُلْتَ: ذِكْرُ (الْعَلَمِ) كَالْحَشْوِ.

قُلْتُ: لَا حَشْوَ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: (مِثْلَ الْمُفْرَدِ) لَمَا تَمَّتْ لَهُ التَّوْرِيَةُ، لِأَنَّهُ مِنَ الْمُفْرَدَاتِ الْمُنَادَيَاتِ مَا لَا رَفْعَ لَهُ، كَالنَّكِرَةِ الشَّائِعَةِ، وَالْعَامِلَةِ الْمُطَوَّلَةِ، وَفِيهَا مَا هُوَ مَرْفُوعٌ وَلَيْسَ بِعَلَمٍ وَإِنْ تَنَزَّلَ مَنْزِلَةَ الْعَلَمِ كَالنَّكِرَةِ الْمَقْصُودَةِ، فَكَانَ ذِكْرُ (**الْعَلَمِ**) ضَرُورِيّاً.

[253]// وَفِي الْبَيْتِ: إِيهَامُ تَنَاقُضِ التَّوْرِيَةِ، فَإِنَّ الْإِضَافَةَ مُنَاقِضَةٌ لِلْمُفْرَدِ الْعَلَمِ فِي بَابِ النِّدَاءِ، وَقَدْ قَالَ النَّاظِمُ: (**خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ**)، وَالْخَافِضُ هُوَ الْأَوَّلُ لَا الثَّانِي، فَقَدْ أَوْجَبَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ الْإِضَافَةَ، ثُمَّ إِنَّهُ صَيَّرَهُ كَالْمُفْرَدِ الْعَلَمِ، لٰكِنْ تَعَدَّدَتْ جِهَاتُ التَّوْرِيَةِ فَلَمْ يَتَوَارَدِ اللَّفْظَانِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ.

وَفِي الْبَيْتِ: نَوْعٌ مِنَ الطِّبَاقِ لِذِكْرِ الْإِضَافَةِ وَالْخَفْضِ وَذِكْرِ الرَّفْعِ، فَقَدْ جَلَّ مَعْنَى التَّضَادِ وَهُوَ أَيْضاً فِي تَغَايُرِ الْعَامِلَيْنِ طِبَاقٌ.

وَ(**الْإِضَافَةُ**): الْإِسْنَادُ وَالنِّسْبَةُ، وَيَجْرِيَانِ مَعاً هُنَا.

(1) الديوان: 194.

123 ـ قال:

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ، أَيِّ: مُسْتَتِرٍ عَنِ العُيُونِ، وَسِرٍّ، أَيِّ: مُكْتَتِمِ[1]

شرح: هٰذَا الْبَيْتُ مُفَسِّرٌ فَائِدَةَ النِّدَاءِ وَلِمَ نُودِيَ، فَإِنَّهُ تَعْلِيلٌ لِذٰلِكَ النِّدَاءِ، أَيْ: إِنَّمَا نُودِيتَ لِهٰذَا الشَّأْنِ الْعَظِيمِ، أَيْ: إِنَّمَا رُفِعْتَ حَيْثُ خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ لِتَنَالَ وَصْلاً مُسْتَتِراً، وَتُودَعَ سِرّاً مُكْتَتِماً؛ فَوُصُولُهُ ﷺ إِلَى تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي انْتَهَى إِلَيْهَا هُوَ الَّذِي عَنَى النَّاظِمُ هُنَا، إِذْ وَصَلَ ﷺ مَنْزِلَةً شَرِيفَةً مَا نَالَهَا غَيْرُهُ وَلَا قَارَبَهَا.

وَ(**السِرُّ**): الْمُرَادُ هُنَا هُوَ السِّرُّ الْمَصُونُ الْمَكْنُونُ.

وَ(**الفَوْزُ**): الظَّفَرُ بِالْخَيْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: (**السِرُّ**) الْمُرَادُ هُنَا هَلْ هُوَ مَا كَلَّمَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ إِذْ كَلَّمَهُ فِي مَحَلٍّ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مَخْلُوقٌ، لٰكِنْ فِي بَعْضِ أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ: «أَنَّهُ ﷺ لَمَّا أَنْ رَقَى إِلَى حَيْثُ رَقَى أَلْهَمَهُ اللهُ أَنْ قَالَ: التَّحِيَّاتُ للهِ، الزَّاكِيَاتُ للهِ، فَسَمِعَ النِّدَاءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ ﷻ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَسَمِعَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَقَالُوا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[2]. وَهُوَ التَّشَهُّدُ الَّذِي شُرِعَ فِي جُلُوسِ الصَّلَوَاتِ، لٰكِنْ قَدْ تَكُونُ الْمَلَائِكَةُ سَمِعَتْ فِي مَوْطِنٍ دُونَ مَوْطِنٍ.

وَقَدْ فُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسِينَ بِحَيْثُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ يَسْمَعُ ذٰلِكَ، فَلَمَّا أَنِ اجْتَمَعَ بِمُوسَى أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ رَبُّهُ، فَقَالَ مُوسَى: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنِّي بُلِيتُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَكَ. فَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ مُوسَى بِمَا كَلَّمَهُ

(1) الديوان: 197.

(2) البخاري: 11/ 12، مسلم: 1/ 301، الترمذي: 1/ 289، النسائي: 2/ 240، أبو داود: 986، ابن ماجه: 899.

بِهِ رَبُّهُ، فَهُوَ كَانَ سِراً قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَ بِهِ مُوسَى، ثُمَّ اطَّلَعَ مُوسَى عَلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَهُ بِذٰلِكَ. وَظَاهِرُ كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّهُ فَازَ بِسِرٍّ مُكْتَتِمٍ، وَبَالَغَ فِي كَوْنِهِ مُكْتَتِماً لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ بِقَوْلِهِ: (**أَيِّ مُكْتَتِمِ**)، أَيْ: اكْتِتَاماً لَا يُشْبِهُهُ اكْتِتَامٌ. أَمَّا إِمْكَانُهُ فَهُوَ مُمْكِنٌ، لٰكِنْ يُفْتَقَرُ فِيهِ إِلَى خَبَرٍ نَبَوِيٍّ، إِذْ هٰذَا مِمَّا لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْوَحْيِ.

فَإِذَا قُلْنَا: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ، وَلَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْوَحْيِ، فَإِنْ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ ﷺ فَمَا لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: كَانَ هُنَاكَ سِرٌّ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ، إِذْ لَا وُصُولَ لِأَحَدٍ إِلَى ذٰلِكَ، وَإِنْ أَخْبَرَ بِهِ صَارَ كَسَائِرِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ بِهِ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ ﷺ؛ إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنْ أَخْبَرَ بِهِ مُجْمَلاً كَمَا لَوْ قَالَ: إِنَّ رَبِّي أَظْهَرَ لِي مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَمْ يَأْذَنْ لِي بِأَنْ أُحَدِّثَ بِهِ، فَقَدْ يَكُونُ وَإِنْ أَعْلَمَ بِهِ لَمْ يَزَلْ سِرّاً، إِذْ عَرَفُوا كَوْنَهُ أُسِرَّ إِلَيْهِ وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى السِّرِّ مُفَسَّراً. وَقَدْ أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ أُذِنَ لَهُ فِي التَّحَدُّثِ بِهَا.

ذَكَرَ النَّقَّاشُ: أَنَّهُ قَالَ ﷺ: «أُذِنَ لِي رَبِّي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ بَيْنَ شَحْمَتَيْ أُذُنَيْهِ خَفَقَانُ الطَّائِرِ خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ»[1]، فَدَلَّ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ ﷺ مِنْ [254]// أَشْيَاءَ مُتَعَدِّدَةٍ: مِنْهَا مَا أُذِنَ لَهُ فِي إِظْهَارِهَا، وَمِنْهَا مَا أُمِرَ بِإِسْرَارِهَا.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهَا نَبِيُّهُ مُجْمَلَةً، [فتكون][2] تَفَاصِيلُهَا مِمَّا أَطْلَعَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10]. وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كَثِيراً مِمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَهَلْ يَكُونُ الْوَحْيُ إِلَّا بِوَاسِطَةٍ، وَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ فَقَدْ اطَّلَعَتِ الْوَاسِطَةُ عَلَى ذٰلِكَ؟

فَجَوَابُهُ: إِنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ ذٰلِكَ إِلْهَاماً، إِذِ الْوَحْيُ يَكُونُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ، وَبَعْضُهُ يُلْقِيهِ اللهُ فِي قَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ. أَوْ يَأْتِي بِهِ الْمَلَكُ مُجْمَلاً

(1) ينظر: المعجم الأوسط: 6/ 314، فيض القدير: 1/ 458 و4/ 379.

(2) في الأصل: «فيكون».

وَيُلْهِمُ النبيَّ ﷺ تَفْصِيلَهُ، وَلَوْ قِيلَ: إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَطْلَعَهُ عَلَى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ حَتَّى عَلِمَ مِنْهُ أَسْرَاراً لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا غَيْرُهُ لَكَانَ ذَلِكَ مُمْكِناً: «وَقَدْ خَرَجَ ﷺ يَوْماً وَفِي يَدِهِ الْيُمْنَى صَحِيفَةٌ، وَفِي يَدِهِ الْيُسْرَى أُخْرَى، فَقِيلَ لَهُ: مَا ذَلِكَ؟ فَقَالَ عليه السلام: هٰذِهِ فِيهَا أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهٰذِهِ فِيهَا أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ»[1]. وَهٰذَا مِمَّا أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَانْظُرْ بِعَقْلِكَ وَتَفَهَّمْ بِفِكْرِكَ كَيْفِيَّةَ كَتْبِ مَا فِي الصَّحِيفَةِ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ أَهْلَ بَلَدٍ وَاحِدٍ فِي صَحِيفَةٍ لَمَا وَسِعَتْهُ، فَتَدَبَّرْ كَيْفَ تَفْهَمُ هٰذَا، فَإِنَّ الأَمْرَ فِيهِ عَلَى خِلَافِ مَا تَعْهَدُ مِنَ الْكُتُبِ. وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى هٰذَا أَبُو يَحْيَى بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي كِتَابِ «**الْقَوَاصِمِ وَالْعَوَاصِمِ**»[2].

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**كَيْمَا**)، (**مَا**) زَائِدَةٌ. و(**كَيْ**) تَعْلِيلٌ، هَلْ لِقَوْلِهِ: (**نُودِيتَ كَيْ تَفُوزَ**) أَوْ بِقَوْلِهِ: (**خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ كَيْ تَفُوزَ**)؟ إِذْ مَعْنَى (**خَفَضْتَ**)، أَيْ: رُفِعْتَ فَوْقَ كُلِّ مَقَامٍ كَيْ تَطَّلِعَ عَلَى مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ. أَمَّا الْحِسِّيَّةُ فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ كَانُوا فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى حَسَبِ مَا أَخْبَرَ مِنْ مُلَاقَاتِهِ إِيَّاهُمْ، ثُمَّ رَقَى عَنْ مَقَامَاتِهِمْ: فَـ ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: 8] إِلَى أَنْ بَلَغَ مَرْتَبَةَ: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: 9]؛ فَالْوُصُولُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ وُصُولُهُ لِمَقَامٍ لَمْ يَصِلْهُ أَحَدٌ.

وَ(**السِّرُّ**): مَا خُوطِبَ بِهِ، أَوْ مَا خَاطَبَ هُوَ بِهِ رَبَّهُ، وَمَا سَأَلَهُ مِنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَلِيِّ.

وَهٰذَا الْبَيْتُ فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ مِنْ رَصْفِهِ وَدَقَائِقِ اسْتِعَارَاتِهِ، فَرَحِمَ اللهُ النَّاظِمَ لَقَدْ غَزَلَ فِيهِ غَزَلاً رَقِيقاً، وَسَلَكَ فِيهِ مِنْ طُرُقِ الْبَيَانِ مَهْيَعاً غَرِيباً دَقِيقاً.



(1) الترمذي: 3/ 305، أحمد: 2/ 167، الحدائق: 1/ 554، فتح الباري: 6/ 291، تحفة الأحوذي: 6/ 292.

(2) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم: 234.

124 ـ قَالَ:

مُثْنِياً عَلَى مَا ذَكَرَ، وَمُسْتَعْظِماً لِعَظِيمِ مَا نَظَمَ وَنَثَرَ:

فَجَلَّ مِقْدَارُ مَا أُوتِيتَ مِنْ رُتَبٍ ... وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ[1]

شرح: فِي بَعْضِ رِوَايَاتِ هٰذِهِ الْقَصِيدَةِ تَقْدِيمُ هٰذَا الْبَيْتِ عَلَى قَوْلِهِ: (**فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ**)[2]. وَبَعْضُهُمْ يُقَدِّمُ (**فَحُزْتَ**) عَلَى (**فَجَلَّ**). وَالتَّنَاسُبُ بَيِّنٌ بَيْنَ كُلِّ بَيْتٍ مَعَ مَا فُرِغَ مِنْ شَرْحِهِ. وَإِنَّمَا بَقِيَ النَّظَرُ فِي مَا بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ أَيُّهُمَا يَأْتِي عَقِبَ صَاحِبِهِ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ قَوْلَ النَّاظِمِ: (**فَجَلَّ**) عَقِبَ (**مَا أُوتِيَ**)، وَ(**مَا أُولِيَ**) بَيْنَهُمَا رَبْطٌ ظَاهِرٌ، لَا سِيَّمَا أَنَّ صَدْرَ الْبَيْتِ لِمَقَامِ الْوُصُولِ وَعَجُزَهُ لِمَقَامِ النَّوَالِ.

وَللهِ دَرُّ النَّاظِمِ أَفْرَدَ الْمَنْزِلَةَ قَبْلُ فَقَالَ: (**وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً**)[3]، وَهِيَ رُتْبَةٌ عَظِيمَةٌ، ثُمَّ جَمَعَ لِيُخْبِرَ أَنَّهُ [255]// ﷺ امْتَازَ بِهٰذِهِ الرُّتْبَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي مَا نَالَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا رَامَهَا، وَأَنَّهُ ﷺ ذُو رُتَبٍ [مُتَعَدِّدَةٍ][4] لَيْسَ إِلَّا هٰذِهِ الرُّتْبَةُ، بَلْ لَا تُحْصَى رُتَبُهُ فِي الدُّنْيَا فِي[5] عَالَمِ الشَّهَادَةِ وَفِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَفِي الآخِرَةِ، إِذْ هُوَ فِيهَا صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَاللِّوَاءِ الْمَعْقُودِ.

وَكَذَا جَمْعُهُ لِلنِّعَمِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِنِعَمٍ مَا نَالَهَا غَيْرُهُ مِنَ الْخَلْقِ. ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الْفِعْلَ الَّذِي هُوَ (**جَلَّ**) يَخْتَلِفُ مَصْدَرُهُ بِاخْتِلَافِ مَنْ يُسْنَدُ إِلَيْهِ، فَتَقُولُ: جَلَّ اللهُ تعالى جَلَالاً بِمَعْنَى: تَبَارَكَ. وَأَمَّا جَلَّ الشَّيْءُ فِي الْعَيْنِ

(1) الديوان: 198 «وجل مقدار ما وليت من رتب»، والرواية فيه بعد بيت «فحزت».

(2) الديوان: 198.

(3) الديوان: 197.

(4) في الأصل: «متعدد».

(5) لفظة مكررة في الأصل.

جَلالَةً، فَمَعْنَاهُ: عَظُمَ. وَكَذَا جَلَّ الشَّيْءُ فِي نَفْسِهِ جِلَّةً: عَظُمَ أَيْضاً. وَأَمَّا قَوْلُكَ: جَلَّ الشَّيْءُ عَنْ مَوْضِعِهِ، فَمَعْنَاهُ: زَالَ عَنْهُ. وَمَصْدَرُهُ: جُلُولٌ. وَقَدْ يَأْتِي جَلَّ مُضَاداً لِعَظُمَ بِحَسَبِ الْقَرِينَةِ أَيْضاً، فَكَمَا تَقُولُ: جَلَّ فُلَانٌ فِي مَآثِرِهِ، بِمَعْنَى: عَظُمَ. تَقُولُ: جَلَّ فُلَانٌ فِي خَسَائِسِهِ، بِمَعْنَى: صَغُرَ. وَفِي الْمَثَلِ: «جَلَّتِ الْهَاجِنُ عَنِ الْوَلَدِ»[1]، أَيْ: صَغُرَتْ. وَالْهَاجِنُ: الصَّبِيَّةُ الصَّغِيرَةُ.

وَمَعْنَى كَلَامِ النَّاظِمِ هُنَا: التَّعَجُّبُ الآتِي عَلَى جِهَةِ الافْتِخَارِ مِنَ الْمُتَعَجَّبِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: مَا أَجَلَّ هٰذَا الْمِقْدَارَ الْعَظِيمَ الَّذِي أُوتِيتَ، وَمَا أَعَزَّ مِقْدَارَ مَا أَوْلَاكَ رَبُّكَ مِنَ النِّعَمِ، وَالتَّعَجُّبُ فِي نَحْوِ هٰذَا يُؤْتَى بِهِ فِي مَا لَا يُحَاطُ بِكَمِّيَةِ الْمُتَعَجَّبِ مِنْهُ.

وَ(**الْمِقْدَارُ**): مِفْعَالٌ، وَجَمْعُهُ: مَقَادِيرُ، وَهُوَ إِمَّا مِنَ الْقُدْرَةِ أَوْ مِنَ التَّقْدِيرِ، تَقُولُ: قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ الأَشْيَاءَ، بِمَعْنَى: قَدَّرَهَا وَمَلَكَهَا. وَقَدَّرَ الرِّزْقَ: ضَيَّقَهُ. وَقَدَّرَ الشَّيْءَ: جَعَلَهُ بِقَدَرٍ. وَقَدَّرَ الإِنْسَانُ الشَّيْءَ: حَزَرَهُ لِيَعْرِفَ سِلْعَهُ. وَالْمِقْدَارُ هُنَا: قَدْرُ الشَّيْءِ، أَيْ: عَظُمَ قَدْرُ مَا أُعْطِيتَ.

وَ(**عَزَّ**) الشَّيْءُ عِزّاً وَعَزَازَةً: تَعَزَّزَ. وَعَزَّ بِمَعْنَى: تَعَذَّرَ. وَيَكُونُ مَعْنَاهُ هُنَا عَلَى هٰذَا الْوَجْهِ: تَعَذَّرَ حُصُولُ مَا أُوتِيتَهُ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَخَالَفَكَ وَعَانَدَكَ. وَيُقَالُ: عَزَّ الشَّيْءُ عِزَّةً وَعِزّاً، أَيْ: صَارَ عَزِيزاً. وَعَزَّ الشَّيْءُ أَيْضاً بِمَعْنَى: عَظُمَ. وَعَزَّ الرَّجُلُ عَلَيَّ كَرُمَ. وَيَصِحُّ هُنَا بِمَعْنَى: عَظُمَ، فَيَكُونُ مُرَادِفاً لِـ (جَلَّ)، فَجَاءَ بِهِ مُكَرَّراً تَوْكِيداً، وَخَالَفَ بَيْنَ لَفْظَتَيْهِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ[2]

(1) ينظر: مجمع الأمثال: 1/ 282.

(2) البيت للحطيئة في ديوانه: 64، وصدره: «ألا حبذا هند وأرض بها هند» وفيه رواية منسوبة للحادرة وهو قطبة بن أوس الثعلبي وهي:
أظاعنة وما تودعنا هند … وهند أتى من دونه النأي والبعد»

كَأَنَّهُ قَالَ: عَظُمَ مِقْدَارُ مَا أُوتِيتَ، وَعَظُمَ مِقْدَارُ مَا أُولِيتَ، فَيَكُونُ مِنْ إِعْطَاءِ شَيْءٍ وَاحِدٍ لِشَيْءٍ وَإِثْبَاتِ حُكْمٍ وَاحِدٍ لأَمْرَيْنِ، وَيُسَمَّى عِنْدَ الْبَيَانِيِّينَ تَفْرِيعاً.

وَمِنَ التَّفْرِيعِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (بسيط)

أَحْلَامُكُمْ [لِسِقَامِ] الْجَهْلِ شَافِيَةٌ … كَمَا دِمَاؤُكُمْ يُشْفَى بِهَا الْكَلَبُ[1]

فَوَصَفَ شَيْئاً ثُمَّ فَرَّعَ مِنْهُ شَيْئاً آخَرَ لِتَشْبِيهِهِ شِفَاءَ هٰذِهِ بِشِفَاءِ هٰذِهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: (كامل)

فَكَأَنَّ حُمْرَةَ لَوْنِهَا مِنْ خَدِّهِ … وَكَأَنَّ طِيبَ نَسِيمِهَا مِنْ نَشْرِهِ[2]

حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمِزَاجَ، تَبَسَّمَتْ … مِنْ ثَغْرِهَا، فَحَسِبْتُهُ مِنْ ثَغْرِهِ

مَا زَالَ يُنْجِزُنِي مَوَاعِدَ عَيْنِهِ … فَمُهُ، وَأَحْسِبُ رِيقَهُ مِنْ خَمْرِهِ

الْبَيْتَانِ الأَوَّلَانِ مِنْ هٰذِهِ الثَّلَاثَةِ تَفْرِيعٌ، وَالثَّالِثُ لَيْسَ بِتَفْرِيعٍ، لأَنَّ الْخَمْرَ نَازِلَةٌ عَنْ رُتْبَةِ الرِّيقِ عِنْدَ الْعَاشِقِ، وَقَدْ يَزِيدُ الثَّانِي عَلَى الأَوَّلِ دَرَجَةً فِي نَوْعِ التَّفْرِيعِ، إِنْ قُصِدَ الْمَدْحُ زَادَ حُسْناً، أَوْ زَادَ قُبْحاً إِنْ قُصِدَ الذَّمُّ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (كامل)

مَا أَخْطَأَتْ نُونَاتُهُ مِنْ صُدْغِهِ … [256]// شَيْئاً، وَلَا أَلِفَاتُهُ مِنْ قَدِّهِ[3]

فَكَأَنَّمَا أَنْفَاسُهُ مِنْ شَعْرِهِ … وَكَأَنَّمَا قِرْطَاسُهُ مِنْ جِلْدِهِ

وَوَصَفَ ابْنُ شِيرَزَادَ[4] جَارِيَةً كَاتِبَةً قَالَ: «كَأَنَّ خَطَّهَا أَشْكَالُ صُورَتِهَا.

(1) في الأصل: «كسقام». والبيت للكميت بن زيد في مدح آل البيت، وهو في: شعره: 1/ 81، العمدة: 1/ 632 «لسقام»، الهمع: 1/ 265 «تشفي من الكلب».

(2) ديوان ابن المعتز: 2/ 114 «وكأن × وكأن طيب رياحها»، «فحسبتها»، «ما زال يُنجز لي». كفاية الطالب: 188، العمدة: 1/ 633.

(3) البيتان للصنوبري في ديوانه: 474، العمدة: 1/ 634 «وكأنما × وكأنما قرطاسه من جلده». كفاية الطالب: 189، منهاج البلغاء: 60، المنزع البديع: 467.

(4) ابن شيرزاد: هو يحيى بن الحسن بن علي بن شيرزاد الخاقاني، منشئ أديب، له ديوان شعر. الأعلام: 8/ 141، هدية العارفين: 2/ 522.

وَكَأَنَّ بَيَانَهَا سِحْرُ مُقْلَتِهَا. وَكَأَنَّ سِكِّينَهَا غَنَجُ لَحْظَتِهَا[1]. وَكَأَنَّ مِدَادَهَا سَوَادُ شَعَرِهَا. وَكَأَنَّ قِرْطَاسَهَا أَدِيمُ وَجْهِهَا. وَكَأَنَّ قَلَمَهَا بَعْضُ أَنَامِلِهَا. وَكَأَنَّ مَقَطَّهَا قَلْبُ عَاشِقِهَا»[2]. هٰذَا فِي مَدْحٍ، وَشَتَّانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آخَرَ يَهْجُو كَاتِباً؛ أَنْشَدَهُ الصُّولِيُّ[3]: (وافر)

كَـأَنَّ دَوَاتَـهُ مِـنْ رِيـقِ فِـيـهِ ... تُـرَاقُ فَـنَـشْـرُهَـا أَبَـداً كَـرِيـهُ[4]

وَقَالَ آخَرُ فِي هَجْوٍ: (منسرح)

شَيْخٌ لَنَا مِنْ مَشَايِخِ الْكُوفَهْ ... نِسْبَتُهُ لِلْمَرِيضِ مَوْصُوفَهْ[5]

لَوْ حَوَّلَ اللهُ قَمْلَهُ غَنَماً ... مَا طَمِعَ النَّاسُ مِنْهُ فِي صُوفَهْ[6]

وَمِنَ التَّفْرِيعِ أَيْضاً قَوْلُ الشَّاعِرِ: (بسيط)

شَاهَدْتُ فِي ذَاكَ بَدْراً لَا أُهِمُّ بِهِ ... وَهِمْتُ فِي ذَا بِبَدْرٍ لَا أُشَاهِدُهُ[7]

فَحَكَمَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ بَدْرٌ.

وَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ (**جَلَّ**) بِمَعْنَى: عَظُمَ، وَأَنَّهُ لِلتَّعَجُّبِ، تَعَيَّنَ أَنَّهُ مَا أُدْغِمَ إِلَّا بَعْدَ التَّحْوِيلِ، فَأَصْلُهُ فَعَلَ مَفْتُوحَ الْفَاءِ وَالْعَيْنِ، ثُمَّ حَوَّلَهُ إِلَى فَعُلَ بِضَمِّ الْعَيْنِ،

(1) في العمدة: 1/ 634 «لحظها».
(2) قول ابن شيرزاد هذا في العمدة: 1/ 634، المنزع البديع: 468، كفاية الطالب: 189.
(3) الصولي: هو محمد بن يحيى بن عبد الله أبو بكر الصولي ويعرف بالشطرنجي، نديم من كبار العلماء بالأدب، (ت335هـ). ترجمته في: (معجم الشعراء: 465، وفيات الأعيان: 1/ 508، الأعلام: 7/ 136).
(4) العمدة: 1/ 634 «تلاق»، المنزع البديع: 468 ـ 469 «فريحها أبداً كريه»، المعاهد: 3/ 90. لاق الدواة: بل ليقها بالمداد. الليقة: صوف الدواة. النشر: الرائحة الطيبة. القاموس: ليق/ نشر.
(5) البيتان لكشاجم في ديوانه: 345. «نسبته للمريض» و«ما طمع الخلق». العمدة: 634 «نسبته للعليل» و«لو بدل الله قمله»، المعاهد: 3/ 91.
(6) الكلام عن التفريع في العمدة: 1/ 632 ـ 634.
(7) البيت للشريف السبتي في: رفع الحجب: 1/ 43.

ثُمَّ سُكِّنَ وَأُدْغِمَ، لأَنَّ بَابَ التَّعَجُّبِ إِذَا قُصِدَ مِنَ الْفِعْلِ الثُّلَاثِي حُوِّلَ إِلَى فَعُلَ بِضَمِّ الْعَيْنِ.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِجَمْعِهِ بَيْنَ الْمُتَنَاسِبَيْنِ وَهُمَا: إِيتَاءُ الرُّتَبِ وَإِيلَاءُ النِّعَمِ، وَالتَّقَابُلُ أَيْضاً فِيهِمَا مَوْجُودٌ.

وَإِذَا حَمَلْتَ (**النِّعَمَ**) عَلَى النِّعَمِ الْمَحْسُوسَةِ، وَ(**الرُّتَبِ**) عَلَى الرُّتَبِ الْمَعْنَوِيَّةِ كَانَ مِنْ بَابِ التَّقْسِيمِ، وَتَقَدَّمَتْ حَقِيقَتُهُ.

وَمِنَ التَّقْسِيمِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: 4].

وَمِنْهُ فِي الْحَدِيثِ: «النَّاسُ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرٌ فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرٌّ فَشَرٌّ»[1]. وَهٰذَا مِمَّا يَجُوزُ فِي الْحَصْرِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ.

وَفِيهِ: تَجْنِيسُ حَرْفٍ فِي: (**أُوتِيتَ**) وَ(**أُولِيتَ**)، فَقَدْ وَقَعَ الاشْتِرَاكُ فِي أَكْثَرِ حُرُوفِ الْكَلِمَتَيْنِ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [الكهف: 104]، وَزَادَ مَا فِي الآيَةِ بِأَنَّهُ خَطِّيٌّ إِذْ لَوْ لَمْ [يُشْكَلَا][2] لَتَمَاثَلَا.



(1) كشف الخفاء: 1/ 322، المقاصد للسخاوي: 173، السير الحثيث في الاستشهاد بالحديث: 282، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث: 72، الحديث النبوي وأثره في الدراسات النحوية: 347. قيل: لم يصرح بنسبته إلى النبي ﷺ إلا ابن مالك. ينظر: سيبويه: 1/ 208، الخصائص: 2/ 63، شرح المفصل: 2/ 97، شرح الأشموني: 1/ 242، أوضح المسالك: 1/ 263، الهمع: 1/ 121.
(2) في الأصل: «يشكل» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

125 ـ قَالَ:

وَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ[1]

شرح: تَقْدِيمُ هٰذَا الْبَيْتِ عَلَى الَّذِي قَبْلَهُ أَوْجَهُ، لٰكِنْ رَأَيْنَا بَعْضَ الأَصْحَابِ يَمِيلُ لِهٰذِهِ الرِّوَايَةِ فَتَبِعْنَاهُ، وَإِلَّا فَرِوَايَتُنَا فِي الْقَصِيدَةِ عَلَى تَقْدِيمِ هٰذَا، وَكِلَاهُمَا يَتَّجِهُ، لٰكِنَّ الْمَعَانِيَ تُشَدِّدُ الارْتِبَاطَ، وَالارْتِبَاطُ بَيْنَ هٰذَا الْبَيْتِ وَبَيْنَ الَّذِي قَبْلَ مَا يَلِيهِ أَشَدُّ. وَهٰذَا الْبَيْتُ فِيهِ الافْتِخَارُ، وَحُقَّ لِلنَّاظِمِ أَنْ يَفْتَخِرَ بِمَا حَازَ نَبِيُّهُ مِنْ حَوْزِ الافْتِخَارِ، وَلِمَا كَانَ الَّذِي قَدَّمَ النَّاظِمُ وُصُولُ الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا وَنَيْلُ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى.

وَيَظْهَرُ فِي الْبَيْتِ التَّكْرِيرُ، لأَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي قَبْلَهُ اقْتَضَى مَا فِي هٰذَا، لٰكِنَّ الْبَيْتَ الْمُتَقَدِّمَ إِنَّمَا أَفْصَحَ عَنْ تَعْظِيمِ مَا نَالَ وَمَا أُولِيَ، وَإِنْ كَانَ هُوَ عَيْنُ مَا فِي هٰذَا، لٰكِنَّ هٰذَا أَخَذَ يُفَصِّلُ بِإِشَارَةٍ وَإِيمَاءٍ فَقَالَ: قَدَّمَتْكَ الأَنْبِيَاءُ، وَاخْتَرَقْتَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ إِلَى أَنْ نِلْتَ مَرْتَبَةَ: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: 9][2] فَلَا فَخْرَ أَعْظَمُ مِنْ هٰذَا الْفَخْرِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَى امْتِيَازِهِ ﷺ بِمَا نَالَ، وَتَجَاوُزِهِ مَقَاماً بَعْدَ مَقَامٍ إِلَى الْمَقَامِ الأَرْقَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ قَبْلَهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: حُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ لَمْ يُشَارِكْكَ فِيهِ أَحَدٌ، وَأَمَّا مَا شَارَكَ فِيهِ الْغَيْرُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ كَالنُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ فَقَدِ اتَّصَفَ بِذٰلِكَ مَنْ خَصَّهُ اللهُ بِهَا، فَمَا أَخَذَ النَّاظِمُ بِذِكْرِ الافْتِخَارِ إِلَّا فِي مَا كَانَ خَاصّاً بِهِ ﷺ، وَالْقِسْمَانِ جَلِيلَانِ عَظِيمَانِ.

وَيَصْلُحُ قَوْلُهُ: **(كُلَّ فَخَارٍ)** [257]// بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ لَفْظُ **(كُلَّ)** مِنَ الإِحَاطَةِ وَالشُّمُولِ لإِدْخَالِ مَا خُصَّ بِهِ فِي غَيْرِ الإِسْرَاءِ، وَإِنْ كَانَ سِيَاقُ الْكَلَامِ يُعْطِي

(1) الديوان: 198.

(2) وفي الأصل: «فأدنى». والصواب: «أو أدنى».

أَنَّ النَّاظِمَ مَا تَعَرَّضَ إِلَّا لِمَا حَصَلَ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ، وَإِلَّا فَقَدِ اخْتَصَّ ﷺ بِالْبَعْثِ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ وَالإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَنُصِرَ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لَهُ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً.

وَفِي هٰذَا الْبَيْتِ التَّنْصِيصُ عَلَى انْفِرَادِهِ بِمَا وَقَعَ بِهِ الافْتِخَارُ. وَفِي الَّذِي قَبْلَهُ تَعْظِيمُ مَا أُوتِيَ وَمَا أُولِيَ مِنْ غَيْرِ نُصُوصِيَّةٍ عَلَى عَدَمِ مُشَارَكَتِهِ الْغَيْرَ فِيهِ، وَذٰلِكَ حُسْنُ التَّكْرِيرِ: أَنْ يَأْتِيَ الشَّاعِرُ بِالْمَكْرُورِ وَزِيَادَةً. وَقُوَّةُ الْبَيْتَيْنِ مَعاً أَنْ لَوْ عَبَّرَ عَنْهُمَا بِالنَّثْرِ أَنْ يُقَالَ: انْفَرَدْتَ بِنَيْلِ رُتَبٍ مَا أَجَلَّهَا وَأَعْظَمَهَا، وَسَلَكْتَ مَسْلَكاً مَا أَعَزَّ السُّلُوكَ فِيهِ، مَعَ انْفِرَادِكَ فِي سُلُوكِهِ، وَفِي الْحُلُولِ حَيْثُ وَصَلْتَ بِذٰلِكَ السُّلُوكِ.

وَ**(مُشْتَرَكٍ)**: الأَحْسَنُ فِيهِ الْفَتْحُ فِي رَائِهِ. وَيَجُوزُ الْكَسْرُ. فَعَلَى فَتْحِ الرَّاءِ: مَا حَصَلَ لأَحَدٍ غَيْرِكَ فِيهِ حَظٌّ. وَعَلَى كَسْرِ الرَّاءِ: مَا شَارَكْتَ فِيهِ أَحَداً، لٰكِنْ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ مَفْعُولٍ يُعْطِي أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِيهِ قَطُّ لأَحَدٍ [حَظٌّ][1]. وَعَلَى الْكَسْرِ يُعْطِي عَدَمَ مُشَارَكَتِهِ ﷺ أَحَداً فِيهِ حَالَ حَوْزِهِ إِيَّاهُ.

وَأَمَّا **(غَيْرَ مُزْدَحِمِ)** فَالْحَالُ فِيهِ عَلَى كَسْرِ الْحَاءِ أَوْ فَتْحِهَا، إِنَّمَا هِيَ مِنَ التَّاءِ فِي **(حُزْتَ)** لَا لِلْمَكَانِ، إِذِ الْمَكَانُ لَمْ يُزَاحِمْهُ غَيْرُهُ، وَإِنَّمَا الْغَيْرُ مُزْدَحِمٌ أَحَداً فِيهِ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُزَاحِمْهُ فِيهِ أَحَدٌ أَيْضاً. فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ **(مُشْتَرَكٍ)** وَ**(مُشْتَرِكٍ)** ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْحَالَ مَعَ الْفَتْحِ وَقَعَ مِنْ **(فَخَارٍ)** أَوْ مِنْ **(كُلَّ)**. وَمَعَ الْكَسْرِ فِي الرَّاءِ وَقَعَ الْحَالُ مِنَ التَّاءِ فِي **(حُزْتَ)**، فَيَجُوزُ إِذاً فِي **(مُشْتَرَكٍ)** وَ**(مُزْدَحَمِ)** رَفْعُهُمَا وَنَصْبُهُمَا. وَالتَّغَايُرُ بَيْنَهُمَا كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «النَّاسُ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، إِنْ خَيْرٌ فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرٌّ فَشَرٌّ»[2].

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ: (بسيط)

(1) في الأصل: «حظا».

(2) سبق تخريجه: ص635.

أفْنَى تِلَادِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ   قَرْعُ الْقَوَاقِيزِ أفْوَاهَ الأبَارِيقِ[1]

وَإنْ جَازَ فِي (أفْوَاه) النَّصْبُ وَالرَّفْعُ، فَالرَّفْعُ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ بِالْمَصْدَرِ الَّذِي هُوَ (قَرْع)، وَتَكُونُ الإضَافَةُ لِلْمَفْعُولِ. وَعَلَى أنْ يَكُونَ مَفْعُولاً لِـ (قَرْع)، وَتَكُونُ الإضَافَةُ لِلْفَاعِلِ، فَلَيْسَ مِنْ بَابِ **(مُشْتَرِك)** وَ**(مُزْدَحَم)** إلَّا فِي مُجَرَّدِ تَغَايُرِ الإعْرَابِ وَتَحْوِيلِ الإضَافَةِ، وَالأشْبَهُ فِي التَّقَلُّبِ إلَى [الأوْجُهِ الأرْبَعَةِ][2] الْحَدِيثُ.

ثُمَّ إنَّ هٰذَا الْبَيْتَ يَقْتَضِي خِلَافَ مَا أوْمَأْنَا إلَى جَوَازِهِ قَبْلُ مِنْ أنَّ الْوَصْلَ الْمُكْتَتِمَ هُوَ السِّرُّ الْمُكْتَتِمُ، فَيَكُونُ إنْ حُمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى مَعْنًى غَيْرِ مَعْنَى الآخَرِ كَانَ بَابَ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ. وَعَلَى تَقْدِيرِ ذٰلِكَ لَا يَصِحُّ أنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ وُقُوعِ الظَّاهِرِ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ، إذْ لَا يَصِحُّ، إنْ لَوْ قُلْتَ: حُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ وَجُزْتَهُ غَيْرَ مُزْدَحِمٍ، لأنَّهُ يُؤَدِّي إلَى فَسَادِ الْمَعْنَى، وَلَا أدْرِي عَلَى أيِّ مَأْخَذٍ أخَذَهُ بَعْضُ الأصْحَابِ حَتَّى إنَّهُ جَعَلَهُ مِنْ بَابِ وُقُوعِ الظَّاهِرِ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ، إلَّا إنْ جَعَلَهُ مِنْ بَابِ الإغْرَاقِ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: (طويل)

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجُدُودَنَا   وَإنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرَا[3]

فَيَكُونُ كَأنَّهُ قَالَ: حُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ يُفْخَرُ بِهِ، أيْ: فَخْرُكَ فِي كُلِّ مَقَامٍ فَاقَ فَخْرَ كُلِّ مُفْتَخِرٍ، لٰكِنْ يَلْزَمُ مِنْهُ أنَّ التَّفَاوُتَ إنَّمَا وَقَعَ فِي الْفَخْرِ، وَأمَّا جَوَازُ الْمَقَامَاتِ فَقَدْ حَصَلَ، لٰكِنْ لَا عَلَى صِفَةٍ وَاحِدَةٍ، وَحَمْلُ الْفَخَارِ وَالْمَقَامِ عَلَى التَّبَايُنِ أبْلَغُ فِي الْمَدْحِ، وَاللهُ أعْلَمُ.

(1) البيت للأقيشر الأسدي في: شعر بني أسد: 314، إصلاح المنطق: 338، المؤتلف: 52 ـ 71، الشعر والشعراء: 2/ 565، المقتضب: 1/ 21، المقرب: 1/ 130، التصريح: 2/ 64، الخزانة: 4/ 491، وفي المحب والمحبوب: 4/ 307 منسوب للحارثي. التلاد: المال القديم. النشب: المال والعقار. القواقيز: آنية لشرب الخمر.

(2) في الأصل: «الأربعة الأوجه».

(3) سبق تخريجه: ص17.

وَ**(الازْدِحَام)**: قَدْ يَكُونُ مَحْسُوساً كَمَا فِي الطُّرُقِ الضَّيِّقَةِ لِكَثْرَةِ الْمَارِّينَ. وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَوِيّاً كَمَا فِي انْفِرَادِ أهْلِ عِلْمٍ بِهِ مَعَ مَنح تَنَصُّبٍ بِمَعْرِفَةِ عُلُومٍ، وَأنَّهُ مَحْسُوبٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، إلَّا أنَّهُ لَمْ يُشَارِكْ فِي هٰذَا الْعِلْمِ الْخَاصِّ بِهٰذَا الْعَالِمِ.

وَفِي الْبَيْتِ: الاسْتِتْبَاعُ: وَهُوَ أنْ يُتْبِعَ مَدْحاً مَدْحاً.

فَإنْ قُلْتَ: قَوْلُ النَّاظِمِ [258]// **(حُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ)**، وَأعْرَبْتَ **(غَيْرَ)** حَالاً، هَلَّا أعْرَبْتَهُ نَعْتاً؟ لأنَّهُ ﷺ حَازَ مِنَ الْفَخَارِ مَا كَانَ مُشْتَرَكاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأنْبِيَاءِ، كَهُبُوطِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَحَازَ مَا لَيْسَ بِمُشْتَرَكٍ كَخَصَائِصِ الْمِعْرَاجِ وَغَيْرِهِ مِمَّا ذُكِرَ، وَكَذَا فِي الْمَقَامَاتِ، فَمَقَامُ دَعْوَةِ الْخَلْقِ إلَى طَاعَةِ اللهِ ﷻ مُشْتَرَكٌ، وَالْمَقَامَاتُ الْمِعْرَاجِيَّةُ لَيْسَتْ بِمُشْتَرَكَةٍ، فَإنْ جَعَلْتَ **(غَيْرَ)** نَعْتاً جَرَى الْكَلَامُ عَلَى مِقْدَارِ الْخُصُوصِيَّةِ.

قُلْتُ: وَلَوْ كَانَ كَمَا قُلْتَ، فَإنَّا إنْ أعْرَبْنَاهُ أيْضاً حَالاً لَا يَخْرُجُ لَكَ مَا أشَرْتَ إلَيْهِ مِنْ أحَدِ الاسْتِعْمَالَيْنِ فِي **(كُلّ)**، لأنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْمَلَتْهَا اسْتِعْمَالَ التَّعْمِيمِ فِي كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أفْرَادِ مَا أُضِيفَتْ إلَيْهِ. وَاسْتُعْمِلَتْ اسْتِعْمَالَ الانْتِصَارِ بِهَا عَلَى مُجَرَّدِ الْمَجْمُوعِ حَيْثُ هُوَ مَجْمُوعٌ مَعَ عَدَمِ تَنَاوُلِهِ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أفْرَادِهِ. وَهٰذَا الْمَعْنَى قَدْ أشَارَ إلَيْهِ أرْبَابُ عِلْمِ الأصُولِ فِي الْكُلِّ وَالْكُلِّيَّةِ فِي نَحْوِ: كُلُّ النَّاسِ يَحْمِلُ الصَّخْرَةَ، فَهٰذَا لَا يُرَادُ بِهِ: كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أفْرَادِ النَّاسِ يَحْمِلُهَا. وَقَوْلُكَ: كُلُّ إنْسَانٍ حَيَوَانٌ، هٰذَا يَقْتَضِي أنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أفْرَادِ الإنْسَانِ حَيَوَانٌ. وَقَوْلُ النَّاظِمِ هُوَ مِنَ الْقِسْمِ الأوَّلِ، مَعْنَاهُ: مَا أحَاطَ بِكُلِّ فَخَارٍ [...][1] إلَّا هُوَ ﷺ. وَكُلُّ مَنِ اتَّصَفَ بِحَوْزِ فَخَارٍ إنَّمَا حَازَهُ مِنْ حَيْثُ تَحْصِيلُ بَعْضِ أفْرَادِهِ لَا أنَّهُ حَازَ مَجْمُوعَهَا.

وَقَدْ حَصَلَ لَكَ مَعْنَى كَلَامِ النَّاظِمِ، وَلَا يَصِحُّ عَلَى تَقْدِيرِ النَّعْتِيَّةِ أنْ نَجْعَلَ

(1) طمس في الأصل لم أتبينه.

(غَيْرَ) مَخْفُوضَةً لِيَكُونَ نَعْتاً لِـ (فَخَارٍ) وَ(مَقَامٍ)، لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ الْمَدْحُ لِلْفَخَارِ وَالْمَقَامِ لَا لِلْحَائِزِ وَالْجَائِزِ، إِذْ يَكُونُ عَدَمُ اشْتِرَاكِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْفَخْرِ، وَعَدَمُ جَوَازِهِمْ فِي تِلْكَ الْمَقَامَاتِ إِنَّمَا هُوَ لِمَعْنًى قَامَ بِالْمُحَازِ الْمُجَازِ لَا بِذَاتِ الْحَائِزِ الْجَائِزِ، فَافْهَمْهُ فَإِنَّهُ مِنْ دَقِيقِ النَّظَرِ.

وَتَجْنِيسُ اللَّفْظَيْنِ: الْحَائِزِ الْجَائِزِ، وَمُقَابَلَتَيْ الشَّطْرَيْنِ مِنَ النَّظْمِ الْبَدِيعِ.



126 - قَالَ:

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا ... مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ[1]

شرح: لَمَّا قَرَّرَ النَّاظِمُ مَفَاخِرَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَوَّلِ التَّخْلِيصِ لِلْمَدْحِ إِلَى الآنَ عَلَى جِهَةِ الْمُخَاطَبَةِ الْمُقْتَضِيَةِ الْمُبَالَغَةَ الْعَظِيمَةَ، جَعَلَ ذَلِكَ النَّاظِمُ كُلَّهُ مِمَّا يُوجِبُ بُشْرَى أُمَّتِهِ فَقَالَ: بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا نِلْنَا مِنَ الْفَخْرِ الْعَظِيمِ بِمَا حَوَاهُ نَبِيُّنَا ﷺ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَعِظَمِ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ.

وَ([**بُشْرَى**])[2] بِضَمِّ الْبَاءِ فُعْلَى عَلَى وَزْنِ حُبْلَى مِنْ بَشَرْتُ بِالشَّيْءِ بُشُوراً. وَأَبْشَرْتُ أَيْ: فَرِحْتُ وَسُرِرْتُ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: فَرَحٌ لَنَا؛ وَمِنْهُ بِشْرُ الْوَجْهِ: وَهُوَ انْطِلَاقُهُ وَمَا يَظْهَرُ فِيهِ مِنَ الْقَبُولِ الْمُفْضِي إِلَى فَرَحِ الْمُقْبِلِ عَلَيْهِ. فَالنَّاظِمُ اسْتَبْشَرَ وَبَشَّرَ بِمَا حَصَلَ لأَهْلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ مِنَ الْعِنَايَةِ وَالْوَجَاهَةِ.

وَنَظَرَ النَّاظِمُ إِلَى مَا فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: 64]. لأَنَّهَا فِي الآيَةِ فِي حَقِّ الْمَوْصُوفِينَ بِمَا وُصِفَتْ بِهِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]، وَذَلِكَ أَنَّ [أَوْلِيَاءَهُ الْمُنْقَطِعِينَ][3] إِلَيْهِ مَا أَشْرَكُوا بِهِ شَيْئاً، مَا ثَنَّوا وَلَا ثَلَّثُوا، وَلَا كَذَّبُوا لَهُ رَسُولاً مِنْ أَرْسَالِهِ، وَلَا انْتَقَصُوا نَبِيّاً مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَلَا أَلْحَدُوا فِي شَيْءٍ مِنْ آيَاتِهِ، فَحَقَّ لَهُمُ الْبُشْرَى. وَهَذِهِ هِيَ صِفَاتُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَالْوِلَايَةُ هُنَا: الإِيمَانُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَذَلِكَ حَاصِلٌ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

---

(1) الديوان: 198.

(2) في الأصل: «فعلى» والصواب ما أثبتناه.

(3) في الأصل: «الولاءة المنقطعون»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

وَأَصْلُ الْخِطَابِ بِهٰذِهِ الآيَةِ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى [259]// اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس: 60]، أَيْ: وَمَا ظَنُّهُمْ أَنَّ اللهَ يَفْعَلُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِكَوْنِهِ أَخَّرَ عَنْهُمْ عَذَابَ الْمُفْتَرِينَ فِي الدُّنْيَا، وَلِذٰلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 243، يونس: 60، وغافر: 61]، أَيْ: تَرْكُهُ مُعَاجَلَتَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ. ثُمَّ خَاطَبَهُ تَعَالَى بِمَا هُوَ مِنْ شَأْنِهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: 61][1].

وَهٰذِهِ الإِشَارَاتُ كُلُّهَا لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَعَمِلَ صَالِحاً وَهُمْ صَحَابَتُهُ ﷺ، فَوَقَعَتِ الآيَةُ عَلَى مُكَذِّبِيهِ بِالْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ. وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَعَمِلُوا بِمُقْتَضَى مَا جَاءَ بِهِ ﷺ؛ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ صَحَابَتَهُ بِصِفَاتِهِمْ فِي الْوِلَايَةِ كَمَا ذَكَرَ الْكَافِرِينَ بِصِفَتِهِمْ فِي الافْتِرَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذِكْرِ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]. وَذَكَرَ أَنَّ: لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[2]. فَسَبَبُ نُزُولِهَا إِعْلَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَا أَعَدَّ لِلْفَرِيقَيْنِ. وَدَخَلَ فِي الْوَعِيدِ كُلُّ مَنْ كَانَتْ حَالُهُ مُنَاسِبَةً لِمَنْ وَرَدَ فِيهِمُ الْوَعِيدُ. وَدَخَلَ أَيْضاً فِي الْوَعْدِ كُلُّ مَنِ اتَّصَفَ بِالْوَصْفِ الَّذِي رَتَّبَ عَلَيْهِ مَا رَتَّبَ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ الَّذِي أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ الْبُشْرَى، فَحَسُنَ قَوْلُ النَّاظِمِ: (**بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا**)[3].

وَجَاءَ النَّاظِمُ بِالْبُشْرَى نَكِرَةً وَإِنْ كَانَتْ فِي الآيَةِ مَعْرِفَةً، لِأَنَّهَا فِي الآيَةِ

(1) وفي الأصل: «عليه».
(2) ونص الآية: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.
(3) الديوان: 198.

مُعَرَّفَةٌ بِلَامِ الْعَهْدِ لِأَنَّ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾[1] [يونس: 64] اسْتُفِيدَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]، لِأَنَّ هٰذِهِ بُشْرَى فَكُرِّرَتْ بِلَامِ الْعَهْدِ. أَمَّا قَوْلُ النَّاظِمِ: (**بُشْرَى لَنَا**) جَاءَ بِهِ مُبْتَدَأً مُنَكَّراً لَا مُسَوِّغَ لَهُ لِلابْتِدَاءِ بِهِ إِلَّا التَّعْظِيمُ، فَإِنَّ قَصْدَ التَّعْظِيمِ وَصْفٌ فِي الْمَعْنَى؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ جَوَّزُوا الابْتِدَاءَ بِالنَّكِرَةِ الْمُصَغَّرَةِ، لِأَنَّ التَّصْغِيرَ تَحْقِيرٌ، فَهُوَ وَصْفٌ فِي الْمَعْنَى، وَالْمَعْنَى هُنَا: بُشْرَى عَظِيمَةٌ، أَوْ بُشْرَى وَأَيُّ بُشْرَى.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّاظِمُ لَمْ يَأْتِ بِالْبُشْرَى مُعَرَّفَةً، لِأَنَّهَا لَوْ جَاءَ بِهَا مُعَرَّفَةً لَاقْتَضَى كَلَامُهُ أَنَّ الْبُشْرَى الْمَذْكُورَةَ فِي الآيَةِ حَصَلَتْ لِمَجْمُوعِ أَفْرَادِ الأُمَّةِ، وَهِيَ عَدَمُ الْخَوْفِ وَانْتِفَاءُ الْحُزْنِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ فِي الأُمَّةِ بَعْضَ مَنْ تَنْفَذُ فِيهِ الْوَعِيدُ فَقَالَ: (**بُشْرَى لَنَا**)، أَيْ: لَا بُدَّ مِنْ إِنَالَةِ الْبُشْرَى، إِمَّا التَّامَّةُ: كَمَنْ نَزَلَتْ فِيهِمْ وَمَنِ اتَّصَفَ بِصِفَاتِهِمْ. أَوْ بُشْرَى بِعَدَمِ الْخُلُودِ لِمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي رُتِّبَتْ عَلَيْهَا الْبُشْرَى التَّامَّةُ. وَكَلَامُ النَّاظِمِ إِخْبَارٌ بِمَا مَنَّ اللهُ عَلَى هٰذِهِ الأَوْلِيَاءِ بِهِ وَلَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ الدُّعَاءِ.

وَقَوْلُهُ: (**مَعْشَرَ الإِسْلَامِ**) نُصِبَ عَلَى الاخْتِصَاصِ.

وَقَوْلُهُ: (**إِنَّ لَنَا**) جَاءَ بِهِ عَلَى جِهَةِ التَّعْلِيلِ الَّذِي بِسَبَبِهِ حَكَمَ بِأَنَّ لَنَا الْبُشْرَى، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ الْبُشْرَى لَنَا بِسَبَبِ مَا لَنَا مِنَ الْعِنَايَةِ. وَلَمَّا أَنْ كَانَتِ الْمَاهِيَاتُ الْمَبْنِيَّةُ أَثْبَتَهَا بِنَاءُ مَا تَقَرَّرَ عَلَى رُكْنٍ فَجَلَبَ الرُّكْنَ وَهُوَ مَا يَكُونُ اعْتِمَادُ الْمَاهِيَةِ فِي الثُّبُوتِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ النَّاظِمَ حِينَ أَخْبَرَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ كَأَنَّ النُّفُوسَ تَشَوَّفَتْ لِسَبَبِ ثُبُوتِ تِلْكَ الْبُشْرَى لَنَا فَقَالَ: لِأَنَّ لَنَا مُوجِبَهَا، لِمَ لَا نَسْتَبْشِرُ وَلَنَا مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمٍ؟ وَتَتْمِيمَاتُ مَطَالِبِ [260]// النُّفُوسِ مِمَّا تَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ دَأْبُ فُحُولِ صِنَاعَةِ الشِّعْرِ، لِكَوْنِهِ جَاءَ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ، وَفِي

(1) وفي الأصل: «بشراهم».

الْقُرْآنِ مِنْهُ كَثِيرٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: 3]. ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 199، المزمل: 20]، و﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10][1] لأَنَّ طَالِبَهُمْ بِالاسْتِغْفَارِ عَلَّلَ لَهُمْ بِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ مَأْلُوفَةٌ كَثِيراً مِنْهُ. وَكَذٰلِكَ الرَّحْمَةُ، لأَنَّهُ مِمَّا تَطِيبُ بِهِ نُفُوسُ السَّامِعِينَ وَتَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ، فَالنَّاظِمُ لَمَّا قَالَ: **(بُشْرَى لَنَا)** فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِلسَّامِعِينَ: وَإِنَّا بِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَذٰلِكَ أَنَّ لَنَا عِنَايَةً عَظِيمَةً، وَالْعِنَايَةُ الْمَذْكُورَةُ وَجَاهَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَاجْتِبَاءُ اللهِ إِيَّاهُ وَاصْطِفَاؤُهُ.

وَقَوْلُهُ: **(رُكْناً)** ثُمَّ قَالَ: **(غَيْرَ مُنْهَدِمِ)** لَا يَعْنِي مُجَرَّدَ ثُبُوتِهِ فِي الْحَالِ، بَلْ هُوَ فِي قُوَّةٍ: إِنَّ لَنَا رُكْناً يَسْتَحِيلُ هَدْمُهُ لِثُبُوتِ قَوَاعِدِهِ.

وَفِي هٰذَا الْبَيْتِ بَدِيعُ النَّظْمِ: فِيهِ دَقَائِقُ مَعَانٍ، وَدَقَائِقُ إِعْرَابٍ، وَحُسْنُ انْتِزَاعِ الدَّلِيلِ مِنَ الآيَةِ، وَتَنْكِيرُ **(بُشْرَى)** وَهِيَ فِي الآيَةِ مُعَرَّفَةٌ لِمَا أَسْلَفْنَاهُ.

وَفِيهِ تَعْلِيلٌ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَعْلِيلٍ ثَانٍ يَذْكُرُهُ فِي الْبَيْتِ بَعْدَهُ.



(1) في الأصل: «وقلت».

127 ـ قَالَ:

لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ ... بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ[1]

شرح: فِي الْبَيْتِ رِوَايَتَانِ: **(بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ)**، **(بِأَكْرَمِ الْخَلْقِ)**، وَهُمَا بِمَعْنًى، لأَنَّ أَكْرَمَ الرُّسْلِ أَكْرَمُ الْخَلْقِ، وَلَمَّا كَانَ أَفْضَلَ الْخَلْقِ جِنْسُ الأَرْسَالِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْضَلُهُمْ، وَالأَفْضَلُ مِنَ الْفَاضِلِ أَفْضَلُ مِنَ الْمَفْضُولِ ضَرُورَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: رِوَايَةُ **(أَكْرَمِ الْخَلْقِ)** أَعَمُّ، فَتَدْخُلُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ.

قُلْتُ: وَظَاهِرُ كَلَامِ النَّاظِمِ قَبْلُ يُعْطِيهِ، وَبِهِ أَقُولُ. إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى الْعُمُومِ وَالإِطْلَاقِ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ، وَأَتَوَقَّفُ فِي مَا سِوَى ذٰلِكَ. وَقَدْ جَاءَ التَّفْضِيلُ بَيْنَ الرُّسُلِ. وَقَدْ نَصَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى ذٰلِكَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: 253]. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ[2] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [البقرة: 253]: هِيَ إِشَارَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ[3].

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: «لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا» دَعَا هُنَا بِمَعْنَى: سَمَّى، لَا بِمَعْنَى: نَادَى، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ بَعْضُ الأَصْحَابِ وَجَزَمَ بِهِ. وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: لَمَّا سَمَّى اللهُ دَاعِينَا بِأَكْرَمِ الْخَلْقِ سَمَّانَا بِخَيْرِ الأُمَمِ. وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ بِأَكْرَمِ الْخَلْقِ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ [الحجرات: 13]، وَأَتْقَى: أَفْعَلُ مِنْ، وَالإِجْمَاعُ أَنَّهُ ﷺ أَتْقَى الأَتْقِيَاءِ، فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ كُلَّهُمْ أَتْقِيَاءُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ أَتْقَى الْخَلْقِ، فَقَدْ سَمَّاهُ أَكْرَمَ، فَإِنَّ الْخِطَابَ مُتَوَجِّهٌ لِجَمِيعِ

(1) الديوان: 198.
(2) هم: ابن عباس، والشعبي، ومجاهد.
(3) ينظر: تفسير القرطبي: 3/ 264.

النَّاسِ، لأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

وَتَعْلِيقُ الْحُكْمِ عَلَى الْوَصْفِ الْمُنَاسِبِ مُشْعِرٌ بِعِلِّيَّةِ ذٰلِكَ الْوَصْفِ لِذٰلِكَ الْحُكْمِ، فَالأَكْرَمِيَّةُ مُرَتَّبَةٌ عَلَى الأَتْقَوِيَّةِ، وَلَا خَفَاءَ أَنَّ هٰذَا مَعْنًى يَشْتَمِلُ الْمُتَقَدِّمَ وَالْمُتَأَخِّرَ، وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ خِطَابَ مُوَاجَهَةٍ، وَإِنْ كَانَ، فَإِنَّ التَّعْلِيلَ فِيهِ الْحُجَّةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: يَخْرُجُ مِنَ الآيَةِ عِيسَى ﷺ، إِذْ لَا أَبَ لَهُ.

قُلْتُ: أُمُّهُ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ، وَأَصْلُهَا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، فَأَصْلُهُ مِمَّا أَصْلُهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى. قُلْتُ: قَدْ جَاءَ فِي الْمِعْرَاجِ أَنَّ آدَمَ ﷺ قَالَ حِينَ لَقِيَهُ: «مَرْحَباً بِابْنِ جَسَدِي وَأَبِي رُوحِي»(1). وَقَالَ ﷺ: «أُعْطِيتُ النُّبُوءَةَ وَآدَمُ مُنْجَدِلٌ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ»(2). وَقَالَ بَعْضُ الشُّرَّاحِ(3) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: 37] إِنَّهُ قَالَ: «يَا رَبِّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَحُرْمَتِهِ عِنْدَكَ إِلَّا مَا غَفَرْتَ. قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ مُحَمَّداً؟ قَالَ: لأَنِّي وَجَدْتُ فِي الْجَنَّةِ مَكْتُوباً **[261]**// لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ. فَعَلِمْتُ أَنَّ مُحَمَّداً الَّذِي اقْتَرَنَ اسْمُكَ بِاسْمِهِ كَرِيمٌ عَلَيْكَ. فَغَفَرَ لَهُ، وَقَالَ: يَا آدَمُ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَبْلَكَ. قَالَ آدَمُ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْ ذُرِّيَّتِي مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَبْلِي»(4). وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ أَفْضَلُ الْخَلْقِ.

---

(1) في البخاري: 6/ 85 بلفظ: المسند المستخرج على صحيح مسلم: 1/ 233، مسند أبي عوانة: 1/ 120، السنن الكبرى: 1/ 138، المعجم الكبير: 19/ 271.

(2) ابن حبان: 14/ 313، المستدرك: 2/ 453، الترمذي: 4/ 518، السنة لأبي عاصم: 1/ 179، مسند أحمد: 16187 ـ 20073 ـ 22701 لفظ: «وآدم بين الروح والجسد». و2/ 311: «آدم منجدل في طينته». دلائل النبوة للبيهقي: 1/ 81 ـ 83، كشف الخفاء: 2/ 169.

(3) العبارة هكذا في الأصل ولعل الأنسب للقرآن: «المفسرون». ونقول: «الشراح» للحديث وغيره.

(4) ينظر: المستدرك: 2/ 289 و672، مجمع الزوائد: 8/ 253، المعجم الأوسط: 6/ 313، الفردوس: 3/ 151.

فَإِنْ قُلْتَ: وَلِمَ عَدَلَ النَّاظِمُ عَنْ سَمَّى إِلَى دَعَا؟

قُلْتُ: سَبْكاً لِلَّفْظِ، وَمُحَافَظَةً عَلَى الْوَزْنِ، وَلِمَا بَيْنَ النِّدَاءِ وَالتَّسْمِيَةِ مِنْ مُلَازَمَةٍ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمُنَادَى هُوَ الْمَطْلُوبُ إِقْبَالُهُ أَوْ قَضَاءُ حَاجَةٍ مِنْهُ، وَلَا يَتَأَتَّى ذٰلِكَ إِلَّا فِي مُسَمًّى لَهُ اسْمٌ، لأَنَّ نِدَاءَهُ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَصْرِيحِ اسْمِ الْمُنَادَى.

وَقَوْلُهُ: **(كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ)** دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] الآيَةُ. وَ(كُنْتُمْ) يَأْتِي فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى: أَنْتُمْ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: 29]، أَيْ: مَنْ هُوَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ﴾ [المائدة: 116]، أَيْ: إِنْ أَنَا قُلْتُهُ عَلَى رَأْيِ بَعْضِ الْمُعْرِبِينَ.

وَيَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِمْ شَهَادَتُهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: 143]، أَيْ: جَعَلْتُكُمْ أُمَّةً وَسَطاً، أَيْ: خِيَاراً لِذٰلِكَ. وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ: «إِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ تَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَى أُمَمِهِمْ، مِنْ ذٰلِكَ قَوْمُ نُوحٍ، فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ التَّبْلِيغَ فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ بَلَّغْتَ نُوحاً مَا أَمَرْتُكَ بِتَبْلِيغِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيَسْأَلُ نُوحاً فَيَقُولُ: بَلَّغَنِي جِبْرِيلُ وَبَلَّغْتُ قَوْمِي مَا أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ. فَتُنْكِرُ أُمَّتُهُ التَّبْلِيغَ، فَيَسْتَشْهِدُ نُوحٌ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَتَشْهَدُ لَهُ. فَتَقُولُ أُمَّةُ نُوحٍ: يَا رَبِّ، وَمِنْ أَيْنَ يَشْهَدُ عَلَيْنَا مَنْ هُوَ مُتَأَخِّرٌ عَنْ عَصْرِ وُجُودِنَا؟ فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ هٰؤُلَاءِ حَاجُّوكُمْ بِأَنْ قَالُوا: مِنْ أَيْنَ شَهِدْتُمْ وَأَنْتُمْ مُتَأَخِّرُونَ عَنَّا؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، لَمَّا بَعَثْتَ نَبِيَّكَ [مُحَمَّداً](1) ﷺ، وَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ كِتَابَكَ الْحَكِيمَ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ سُورَةَ نُوحٍ، فَقَصَصْتَ عَلَيْهِ فِيهَا مَا وَقَعَ بَيْنَ نُوحٍ وَقَوْمِهِ، فَوَعَيْنَاهُ مِنْ كِتَابِكَ الْعَزِيزِ. فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: صَدَقَ جِبْرِيلُ، وَصَدَقَ نُوحٌ، وَصَدَقَتْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ»(2).

---

(1) في الأصل: «محمد».

(2) البخاري: 13/ 238، الترمذي: 4/ 275.

فَدَلَّ عَلَى فَضْلِ هٰذِهِ الأُمَّةِ، فَكَلامُ النَّاظِمِ حَسَنٌ فِي مَا قَرَّرَ ﷺ.

وَاسْمُ الْجَلالَةِ فَاعِلٌ بِـ **(دَعَا)**.

وَ**(دَاعِينَا)**: مَفْعُولٌ. وَأَسْقَطَ النَّاظِمُ الْفَتْحَةَ مِنْ **(دَاعِينَا)** لِإِقَامَةِ الْوَزْنِ، فَهُوَ إِذَنْ مَنْصُوبٌ بِحَرَكَةٍ مُقَدَّرَةٍ بِالنِّيَّةِ، كَمَا فَعَلُواْ فِي أَمَاكِنَ جُمْلَةٍ فِي التَّجَوُّزِ فِي الإِعْرَابِ؛ كَمَا جَزَمُوا بِحَذْفِ الْحَرَكَةِ الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ تَسْقُطَ لِلاسْتِثْقَالِ، وَأَنْ تُحْذَفَ يَاؤُهَا. وَتَرَكُوا الْيَاءَ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (وافر)

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي ... بِمَا لاقَتْ لَبُونُ[1] بَنِي زِيَادِ[2]

فَأَثْبَتَ الْيَاءَ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الشُّرَّاحِ قَالَ: «إِنَّ الْيَاءَ الَّتِي ظَهَرَتْ يَاءُ إِشْبَاعٍ، وَأَمَّا الْيَاءُ الَّتِي هِيَ لامُ الْكَلِمَةِ فَقَدْ حَذَفَهَا الْجَازِمُ».

وَ**(دَاعِينَا)**: بِهِ تَعَلَّقَ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: **(لِطَاعَتِهِ)** لا بِـ **(دَعَا)**، وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الإِعْرَابِ لَهُ وَجْهٌ، لٰكِنْ مَا قَرَّرْنَاهُ أَحْسَنُ.

وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: **(لِطَاعَتِهِ)** يَحْتَمِلُ عَوْدَهَا عَلَى **(دَاعِينَا)**، لأَنَّ طَاعَةَ دَاعِينَا طَاعَةٌ للهِ ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80].

---

(1) لبون: هو الربيع بن زياد بن عد الله أحد دهاة العرب وشجعانهم ورؤسائهم في الجاهلية، يروى له شعر جيد، ارتحل بعد أن أفسد لبيد بينه وبين النعمان وأقام في ديار بني عبس إلى أن كانت حرب داحس والغبراء فحضرها. (ت30ق.هـ). ترجمته في: (العقد: 3/ 351، الأغاني: 17/ 115، المحبر: 229، أيام العرب في الجاهلية: 247، الأعلام: 3/ 38).

(2) البيت لزهير بن قيس العبسي في: شعر بني عبس: 215، وهو من شواهد سيبويه: 3/ 316، النقائض: 1/ 90 «ألم يبلغك»، العقد: 6/ 19، الأغاني: 17/ 198، سر الصناعة: 1/ 88، الخصائص: 1/ 33، النوادر: 203، المقرب: 1/ 50، كتاب الشعر: 204، العمدة: 2/ 1029، ضرورة الشعر: 61، أمالي الشجري: 1/ 162، ح البصرية: 1/ 169، الخزانة: 3/ 534 و8/ 361. وبنو زياد: هم الكملة: عمارة الربيع وأنس ا[illegible]ارس أبناء فاطمة بنت الخرشب الأغارية إحدى المنجبات من العرب. ينظر: العقد: 3/ 351، الجمهرة: 250، النقائض: 1/ 193.

وَأَمَّا **(بِأَكْرَمِ الْخَلْقِ)** فَهُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِـ **(دَعَا)**، لأَنَّ **(دَعَا)** بِمَعْنَى: سَمَّى، يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ: أَحَدُهُمَا بِنَفْسِهِ، وَالآخَرُ: تَارَةً بِنَفْسِهِ وَتَارَةً بِحَرْفِ الْجَرِّ، لأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: سَمَّيْتُ فُلاناً أَكْرَمَ النَّاسِ صَحَّ، وَهٰذَا مِنْهُ.

وَأَمَّا النُّونُ الْوَاقِعَةُ مُضَافاً إِلَيْهَا **(دَاعِي)** فَهُوَ رَاجِعٌ لِلْمَعْشَرِ الْمَذْكُورِ قَبْلَ الْمُبَشَّرِ بِالْبُشْرى، أَوْ لِمَنْ لَهُ ضَمِيرُ النُّونِ الْمُتَقَدِّمِ الْمَجْرُورِ **[262]//** بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ: **(بُشْرَى لَنَا)** أَوِ الْمُتَعَلِّقُ بِخَبَرِ (إِنَّ) السَّادُّ هُوَ مَسَدَّهُ. فَهٰذِهِ النُّونَاتُ كُلُّهَا مِنْ نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ رَاجِعَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ لِلأُمَّةِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهَا بِدَلِيلِ الشَّهَادَةِ لَهُمْ بِالْخَيْرِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]. وَيَصِحُّ عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي **(لِطَاعَتِهِ)** أَنْ يَكُونَ للهِ ﷻ.

فَإِنْ قِيلَ: دَعْوَتُهُ ﷺ عَامَّةٌ، فَإِنْ كَانَ تَشْرِيفُ الْمَدْعُوِّ مُكْتَسَبٌ مِنْ أَكْرَمِيَّةِ الدَّاعِي فَالنَّصَارَى وَالْيَهُودُ عَمَّتْهُمُ الدَّعْوَى.

لٰكِنَّ سِيَاقَ الْكَلامِ يَقْضِي بِخُرُوجِ مَنْ لَمْ يُطِعْ مِنَ الأَكْرَمِيَّةِ، فَمَنْ أَطَاعَ كَانَ لَهُ حَظٌّ فِي الأَكْرَمِيَّةِ حَتَّى أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَإِنَّهُ قَدْ يَنْتَظِمُ فِي هٰذِهِ الأُمَّةِ، فَلا بُدَّ أَنْ يُقَالَ: فِي الْكَلامِ كَلامٌ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ فَأَطَعْنَاهُ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ، لِإِجَابَتِنَا الدَّعْوَةَ. فَيَكُونُ لازِمُ عُمُومِ الدَّعْوَةِ الظَّاهِرُ بِالْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَ كُلٍّ مِنْ دَاعِي بَاطِلٍ قَطْعاً، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ عَصَى الدَّاعِيَ، وَمَنْ عَصَاهُ لا يَسْتَحِقُّ نَجَاةً لِمُخَالَفَةِ الدَّاعِي، فَكَيْفَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَكْرَمِ الأُمَمِ؟

وَأَيْضاً فَإِنَّا لَوْ عَلَّقْنَا الأَكْرَمِيَّةَ عَلَى مُجَرَّدِ صِدْقِ الدَّعْوَى عَلَى مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الدَّاعِي فَعَلَى مَنْ تَكُونُ أَكْرَمِيَّتُهُمْ إِذَا اسْتَحَقُّوهَا كُلُّهُمْ؟

لا يُقَالُ: عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، إِذْ (أَفْعَلُ) لا يَكُونُ إِلَّا فِي مَا تَقَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مُشَارَكَةٌ وَلا مُشَارَكَةَ الْبَتَّةَ لِمَنْ سِوَى هٰذِهِ الْفِرَقِ مَعَهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَالْجَانُّ؟

قُلْتُ: وَالْجَانُّ قَدْ لَحِقَتْهُمُ الدَّعْوَى، وَيَلْزَمُ مِنْهُ مَا أَلْزَمَ. وَبِالْجُمْلَةِ فَاللَّازِمُ أَبْطَلَهُ السِّيَاقُ وَالْعَقْلُ وَالنَّقْلُ، لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ نَصَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَلَى ضَلَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَأَنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالضَّالُّ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِ لَا يَكُونُ كَرِيماً فَضْلاً بِأَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ.

وَ(**الأُمَمُ**): جَمْعُ أُمَّةٍ. وَلِلأُمَّةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَحَامِلُ ذَكَرَهَا **الْعُزَيْزِيُّ** فِي «**غَرِيبِهِ**»(1) وَغَيْرُهُ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ، وَتَقَدَّمَتْ حَقِيقَتُهُ قَبْلُ.

وَفِي الْبَيْتِ: الاسْتِدْلَالُ بِالأَدْنَى عَلَى الأَعْلَى، فَإِنَّا نَسْتَدِلُّ بِإِكْرَامِ اللهِ هٰذِهِ الأُمَّةَ بِبَعْثِ مُحَمَّدٍ إِلَيْهَا، فَمَدْحُ أُمَّتِهِ بِنِسْبَتِهَا إِلَيْهِ مَدْحٌ بِهِ، وَهُوَ وَاضِحٌ، فَيَكُونُ الْبَيْتُ اشْتَمَلَ عَلَى مَدْحٍ ذَاتِيٍّ وَمَدْحٍ إِضَافِيٍّ.

وَفِيهِ: مَعْنَى الاسْتِطْرَادِ، لأَنَّهُ لَمَّا تَصَدَّى لِمَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ أَتْبَعَهُ بِمَا يَقْتَضِي مَدْحَهُ أَيْضاً.

وَفِيهِ: إِثْبَاتُ حُكْمٍ لِلْبَعْدِيِّ بَعْدَ إِثْبَاتِهِ لِمَنْ قَبْلَهُ، فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ التَّفْرِيعِ.

وَلَيْسَ تَكْرَارُ (**أَكْرَمَ**) فِي الْبَيْتِ مِنَ التَّجْنِيسِ لِكَوْنِهِمَا مُتَرَادِفَيِ الْمَعْنَى. وَكَذَا (**دَعَا**) وَ(**دَاعِينَا**) إِلَّا إِذَا جَعَلْنَا (**دَعَا**) بِمَعْنَى: سَمَّى، وَ(**دَاعِينَا**) بِمَعْنَى: مُرْشِدِنَا، فَيَكُونُ مِنَ التَّجْنِيسِ.



(1) غريب القرآن للعزيزي: 222 ـ 223. قال: «أمة على ثمانية أوجه: جماعة، أتباع، رجل، دين، حين وزمان، نسيان، قامة، أم».

128 ـ قَالَ:

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ ... **كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ**(1)

شرح: (**أَحَلَّ**): مَعْنَى قَرَّرَهُمْ فِي مَحَلِّ إِقَامَةٍ. حَلَّ بِمَعْنَى: أَقَامَ. وَأَحَلَّ بِمَعْنَى: أَسْكَنَ. وَحَلَّ: لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ. يُقَالُ: حَلَا ضِدُّ حَرُمَ. وَحَلَّ الْمُحْرِمُ مِنْ إِحْرَامِهِ حِلًّا. وَأَحَلَّ خَرَجَ مِنْ إِحْرَامِهِ. وَهٰذِهِ الإِضَافَةُ إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ، وَمَعْنَاهُ: حَصَّنَ أُمَّتَهُ فهي حِصْنِ الْمِلَّةِ.

وَ(**الْحِرْزُ**): الْمَكَانُ الْمَحُوطُ؛ وَمِنْهُ سُمِّيَ حِرْزُ مَالِ الْمَالِكِ حِرْزاً، حَتَّى إِنَّ مَنْ سَرَقَ مِنْهُ قُطِعَ.

وَمَصْدَرُ (**حَلَّ**) الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى: نَزَلَ، حُلُولاً. وَحَلَّ الْعُقْدَةَ حَلًّا.

وَ(**حَرَزَ**) بِمَعْنَى: صَانَ وَحَاطَ وَحَفَظَ وَكَلَأَ.

[263]// وَ(**اللَّيْثُ**): اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الأَسَدِ.

وَقَوْلُهُ: (**حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ**): (**الأَشْبَالُ**): جَمْعُ شِبْلٍ، وَهُوَ جَرْوُ الأَسَدِ. وَ(**الأَجَمُ**): هُوَ عَرِينُهُ وَمَوْضِعُ سُكْنَاهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الأَسَدَ أَشَدُّ الْحَيَوَانَاتِ نَشَاطاً وَشَجَاعَةً، وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ مَعَ أَشْبَالِهِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ مَحَلِّ سُكْنَاهُ بِالْغَابِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (بسيط)

لَيْثٌ هِزَبْرٌ مُدِلٌّ عِنْدَ خِيسَتِهِ ... بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٍ وَأَعْرَاسُ(2)

(1) الديوان: 198.

(2) ورد هذا الشاهد في أبيات نسبت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد بن محرز، وفي أخرى لمالك بن خالد الخزاعي. وهو في: كتاب الوحوش للأصمعي: 24، شرح أشعار الهذليين: 1/ 432، إيضاح شواهد الإيضاح: 12، إتحاف ذوي الأرب: 117، المخصص: 4/ 47، ابن يعيش: 3/ 123، الإيضاح: 80، اللسان/ عرس.

وَ(الْخِيسَةُ): هِيَ سَاحَةُ أَجَمِهِ.

وَ(**الأَجَمُ**): مُفْرَدُ الآجَامِ، وَهِيَ الَّتِي يَذْكُرُ فِي قَوْلِهِ: (**إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ**). وَشَبَّهَ النَّاظِمُ حِفْظَ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ بِحِفْظِ الأَسَدِ أَشْبَالَهُ. وَعَدَّدَ التَّشْبِيهَاتِ، فَشَبَّهَ الْمِلَّةَ بِالْحِرْزِ لِكَوْنِ الْحِرْزِ لَهُ حُرْمَةٌ، وَالْمُتَعَدِّي عَلَى مَا فِيهِ تَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ عُقُوبَةُ الْقَطْعِ. وَإِذَا فَهِمْتَ أَنَّهُ تَشْبِيهُ حِفْظٍ بِحِفْظٍ فَلَا أَثَرَ لِمَنْ يَقُولُ: الأَسَدُ كَلْبٌ خَسِيسٌ، وَالتَّشْبِيهُ وَقَعَ فِي ذَاتٍ عَظِيمَةٍ، لأَنَّهُ لَمْ يُشَبِّهْ ذَاتاً بِذَاتٍ بَلْ شَبَّهَ حِفْظاً بِحِفْظٍ، فَهُوَ مِنْ بَابِ تَشْبِيهِ الْمَعَانِي بِالْمَعَانِي. وَشَبَّهَ الْمِلَّةَ بِالْحِرْزِ، فَهُوَ تَشْبِيهُ مَعْنًى بِأَمْرٍ مَحْسُوسٍ. وَكَذٰلِكَ شَبَّهَ الْمِلَّةَ أَيْضاً بِالأَجَمِ، وَالأَجَمُ وَالْحِرْزُ يُفْضِيَانِ إِلَى الْمَنَعَةِ، لٰكِنَّ الأَجَمَ أَشَدُّ مِنَ الْحِرْزِ، إِذْ قَدْ يَكُونُ الْحِرْزُ لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا مَنَعَةُ عَدَمِ الإِذْنِ، وَالأَجَمُ مَانِعٌ بِهَيْبَةِ الأَسَدِ. وَشَبَّهَ حُلُولَهُ ﷺ بِحُلُولِ اللَّيْثِ فِي الأَجَمِ، إِلَّا أَنَّ حِرْزَ الأَسَدِ أَشْبَالَهُ مِنْ جِنَايَاتِ الْحَيَوَانَاتِ عَلَيْهَا وَحِرْزَ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنْ مُوبِقَاتِ أَعْمَالٍ تُوَرِّثُهُمْ عَذَابَ النَّارِ؛ نَهَجَ لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَى، وَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ الرَّدَى. وَفِي تَشْبِيهِ أُمَّتِهِ بِالأَشْبَالِ مَعْنًى آخَرُ: وَهُوَ أَنَّهُ ﷺ مَعَ حِفْظِهِ أُمَّتَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ كَانَ مَانِعاً لَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ مِنْ سَطَوَاتِ الْكُفَّارِ، فَكَانَ فِي مُلَاقَاتِهِ وَحَرْبِهِ أَسَداً مِنْ أُسُودِ اللهِ فِي أَرْضِهِ لَا يُوَلِّي الدُّبُرَ وَلَا يَهُولُهُ أَمْرُ الْكَفَرَةِ. وَكَانُوا مَعَهُ ـ أَعْنِي أُمَّتَهُ ـ كَالأَشْبَالِ فِي كَوْنِهِمْ تَحْتَ حِفْظِهِ وَدَفْعِهِ عَنْهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَرْبِهِمْ وَمُوَاقَعَتِهِمُ الْجُمُوعَ الْكَثِيرَةَ كَالأُسُودِ، لٰكِنْ بِالنِّسْبَةِ وَالإِضَافَةِ. فَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ ﷺ كَالأَشْبَالِ يَسْتَنِدُونَ إِلَيْهِ وَيُعَوِّلُونَ فِي الْكَرَّاتِ الْعَظِيمَةِ عَلَيْهِ. وَمَنْ طَالَعَ غَزَوَاتِهِ: كَبَدْرٍ وَحُنَيْنٍ، رَأَى مِنْ أَمْرِهِ ﷺ وَصَبْرِهِ وَشِدَّتِهِ وَنَجْدَتِهِ الْعَجَبَ الْعُجَابَ. وَرَأَى مِنْ أُمَّتِهِ مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ أَنَّهُمُ اهْتَدَوْا بِهَدْيِهِ فِي دِينِهِمْ، وَبِصَبْرِهِ وَشِدَّتِهِ وَنَجْدَتِهِ فِي مُلَاقَاتِهِمْ، حَتَّى صَارَ الْكَفَرَةُ يَعُدُّونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَيْثاً مِنْ لُيُوثِ الْحَرْبِ.

وَفِي قَوْلِهِ: (**فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ**) مَا يُشْعِرُ أَيْضاً بِأَنَّ سَبَبَ حِفْظِهِمْ دُخُولُهُمْ فِي

حِرْزِ الْمِلَّةِ لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا مَا كُلِّفُوا بِهِ عَلِمُوا أَنَّ عَمَلَهُمْ لَيْسَ هُوَ لِلدُّنْيَا، فَصَارَتِ الْمِلَّةُ قَائِدَةً لَهُمْ إِلَى مَا يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ بِمُقْتَضَى مَا يُضِيفُهُمْ إِلَيْهَا. وَكَذَا فِي الشَّجَاعَةِ، فَإِنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الْحَيَّ مِنْهُمْ سَعِيدٌ، وَأَنَّ الْمَيِّتَ فِي الْجِهَادِ سَعِيدٌ. فَصَارَ فِي إِضَافَتِهِمْ إِلَى الْمِلَّةِ وَالنَّظَرِ إِلَى أَحْكَامِهَا مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى كُلِّ مَعْنًى مَحْمُودٍ. [264]// قَالَ: أَمْرُ كَلَامِ النَّاظِمِ إِلَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَنَعَهُمْ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا وَمِنْ آفَاتِ الآخِرَةِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا دَارِجِينَ عَلَى مَا نَهَجَ لَهُمْ مِنْ مَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ.

وَقَوْلُهُ: (**فِي حِرْزٍ**) مُتَعَلِّقٌ بِـ (**أَحَلَّ**).

وَقَوْلُهُ: (**كَاللَّيْثِ حَلَّ**) فَلَا بُدَّ مِنْ كَلَامٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَصَارَ بَعْدَ إِحْلَالِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْمِلَّةِ كَاللَّيْثِ حَلَّ، لأَنَّهُ تَشْبِيهُ مَاضٍ بِمَاضٍ.

وَيَصِحُّ حَمْلُ (**كَاللَّيْثِ حَلَّ**) عَلَى مَعْنَى الْحَالِيَةِ، أَيْ: وَالْحَالَةُ بِهِ مَعَ أُمَّتِهِ كَحَالَةِ اللَّيْثِ قَدْ حَلَّ مَعَ أَشْبَالِهِ فِي الأَجَمِ، وَالتَّأْوِيلُ الأَوَّلُ أَسْوَغُ.

وَفِي الْبَيْتِ: (مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ)، إِذْ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ مُتَنَاسِبَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

وَفِيهِ: (الاسْتِتْبَاعُ)، فَإِنَّهُ لَمَّا مَدَحَهُ ﷺ بِإِدْخَالِهِ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ الْمِلَّةِ شَبَّهَهُ بِمَا أَفَادَ مَدْحاً آخَرَ فَإِنَّ الأَوَّلَ اقْتَضَى الشَّفَقَةَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَالْحَنَانَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ مَعَ تَحْصِينِهِ إِيَّاهُمْ بِالْحِرْزِ زَادَهُمْ حِفْظاً بِشَجَاعَتِهِ، حَتَّى إِنَّ الْحِرْزَ لَا يَتَجَاسَرُ عَلَيْهِ سَارِقٌ وَلَا مُتَعَدٍّ، لِمَا يَعْلَمُ مِنَ الْحَالِّ فِيهِ، فَفِيهِ اسْتِتْبَاعُ مَدْحٍ مَدْحاً.

وَفِيهِ: مُقَابَلَةٌ أَنْتَجَهَا مُقَابَلَةُ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ، فَإِنَّهُ جَعَلَ الظَّرْفَ وَالأُمَّةَ وَالَّذِي أَحَلَّهُمْ بِمَثَابَةِ ظَرْفِ الأَجَمِ وَاللَّيْثِ وَالأَشْبَالِ.

وَفِيهِ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الأَمْثَالِ وَالتَّشْبِيهَاتِ أَرْوَاحُهَا وَمَعَانِيهَا، وَإِلَّا فَمَا اللَّيْثُ وَمَا الأَشْبَالُ؟ إِنْ هِيَ إِلَّا كِلَابٌ. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ فِي

عُتْبَةَ[1]: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلَابِكَ»[2]، فَأَكَلَهُ الأَسَدُ. وَالْمَقْصُودُ الْمَنَعَةُ وَالشِّدَّةُ وَهَيْبَةُ الظَّرْفِ لِمَنْ حَلَّ بِهِ، فَفِيهِ مِنْ تَرْكِيبِ التَّشْبِيهِ مَا أَنْتَجَ مَعَانِيَ عَجِيبَةً، وَاللهُ أَعْلَمُ.



(1) هو عتبة بن أبي لهب، كانت عنده زينب بنت رسول الله ﷺ، فطلقها، فدعا عليه ﷺ. ترجمته في: (الاستيعاب: 3/ 1030، أسد الغابة: 3/ 465، المحبر: 53).

(2) السنن الكبرى: 5/ 211، دلائل النبوة لأبي نعيم: 2/ 455، شرح الزرقاني: 2/ 384، فتح الباري: 4/ 39، التمهيد لابن عبد البر: 15/ 161، الخصائص: 1/ 367، مجمع الزوائد: 6/ 9، الذرية الطاهرة: 1/ 57.

129 ـ قَالَ:

رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ   كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الْغَنَمِ[1]

شرح: فِي هٰذَا الْبَيْتِ نَوْعٌ مِنَ التَّرَقِّي فِي الْمَدْحِ وَالانْتِقَالِ عَنْ شَيْءٍ مَدَحَ بِهِ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ، وَهُوَ مِنَ الْمَعَانِي الرَّقِيقَةِ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي فَرَغْنَا مِنْ شَرْحِهِ [عَلَى][2] أَنَّ النبيَّ [كَانَ][3] ﷺ ذَائِداً عَنْ أُمَّتِهِ، حَارِزاً لَهُمْ مِنَ الآفَاتِ، وَتَرَقَّى هُنَا إِلَى مَعْنًى آخَرَ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَعْتَقِدْ أَنَّ مَا قَرَّرْنَاهُ لَكَ هُوَ مِنْ قِلَّةِ جُهْدِ الْمَحُوطِينَ حَتَّى إِنَّ الْخَوْفَ الَّذِي خَافَ عَلَيْهِمُ الذَّائِدُ عَنْهُمْ كَانَ مِنْ سَطْوَةِ الْكُفَّارِ، بَلْ أَشَدُّ مَا كَانَ خَوْفُ النبيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. وَأَمَّا مَا يَرْجِعُ إِلَى بَأْسِهِمْ، وَقُوَّتِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَشَجَاعَتِهِمْ، وَالْكَفَرَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ كَالْغَنَمِ مَعَ الأَسَدِ وَأَشْبَالِهِ.

وَ(**الرَّوْعُ**): الذُّعْرُ وَالْخَوْفُ. وَ(**الْقُلُوبُ**): مَحَلُّ الأَمْنِ وَالرَّوْعِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِكَ: رَاعَ الأَمْرُ فُلَاناً، لأَنَّ قَوْلَكَ رَاعَ الْخَوْفُ قَلْبَ فُلَانٍ، قَاضٍ بِأَنْ لَا قَرَارَ لَهُ وَلَا رَاحَةَ، لأَنَّ سُلْطَانَ جَسَدِهِ تَشَوَّشَ، وَشُغِلَ عَنْ طَلَبِ مَآرِبِهِ.

وَ(**الْعِدَى**) مَقْصُورٌ: جَمْعُ عَدُوٍّ.

وَ(**الأَنْبَاءُ**): جَمْعُ نَبَإٍ. وَهِيَ عِنْدَ الْعَرَبِ وَالأَخْبَارُ مُتَرَادِفَانِ. وَلَيْسَ الْخَبَرُ بِأَشْهَرَ حَتَّى يَكُونَ تَفْسِيرُ الأَنْبَاءِ بِالأَخْبَارِ مِنْ بَابِ التَّحْدِيدِ بِالأَجْلَى، اللَّهُمَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِ الْعَرَبِ فَقَدْ يَكُونُ ذٰلِكَ.

وَ(**الْبِعْثَةُ**): الرِّسَالَةُ، وَهِيَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَكْثَرُ فِي تَخَاطُبِهِمْ، مَعَ اسْتِعْمَالِهِمْ

(1) الديوان: 198.

(2) في الأصل: «إلى».

(3) لا توجد «كان» في الأصل، ولعلها سقطت.

الْعِبَارَتَيْنِ؛ أَلَا تَرَى قَوْلَ جَهَلَتِهِمْ قَبْلَ إِيمَانِهِمْ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41]. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الشعراء: 27]، فَإِنَّهُ تَعْبِيرٌ عَنْ قَوْلِهِ، لَا أَنَّ مَادَّةَ الْكَلِمَةِ هِيَ [265]// فِي الآيَةِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَفِرْعَوْنُ كَلَامُهُ قِبْطِيٌّ، فَهُوَ مِمَّا عُبِّرَ عَنْ لِسَانِهِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ. ثُمَّ إِنَّ الْكَلِمَةَ الْمُعَبَّرَ بِهَا عَنْ كَلَامِهِ صُدِّرَتْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ [الشعراء: 27]، لأَنَّ رَسُولَ هُنَا بِمَعْنَى مَرْسُولٍ. وَلَا شَكَّ أَنَّ كَلِمَةَ (رَسُولٍ) أَخَفُّ مِنْ مَبْعُوثِكُمْ أَوِ الْمَبْعُوثِ إِلَيْكُمْ.

وَأَمَّا (**الْبِعْثَةُ**) وَ(**الرِّسَالَةُ**): فَكَلِمَةُ (**الْبِعْثَةِ**) أَخَفُّ لِلاسْتِعْمَالِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ (**الْبِعْثَةَ**) دَخَلَتْ لِلنَّاظِمِ وَسَاعَدَتِ الْوَزْنَ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الرِّسَالَةِ يَدْخُلُ، لَكِنْ بَعْدَ تَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ بِمَا لَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالسَّبْكِ فِي بَيْتٍ ذَكَرَ فِيهِ بِعْثَتَهُ.

وَ(**النَّبْأَةُ**): فَسَّرَهَا بَعْضُهُمْ بِهَرِيرِ الْكِلَابِ، وَأَظُنُّ الْمُؤَلِّفَ مَا أَنْفَقَهَا عَلَى هٰذَا التَّفْسِيرِ، وَإِنَّمَا أَنْفَقَهَا عَلَى أَنَّ النَّبْأَةَ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، وَهُوَ الَّذِي فَسَّرَهَا بِهِ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِـ«**فِقْهُ اللُّغَةِ وَسِرُّ الْعَرَبِيَّةِ**»[1]. وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْبَاعِثُ عَلَى هٰذَا التَّفْسِيرِ إِلَّا تَشْبِيهُ مَا وَقَعَ مِنَ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ الْمُشَبَّهِ بِخَسَاسَةِ الْمُشَبَّهِ بِهِ، وَلَوْ قَصَدَ الْمُصَنِّفُ هٰذَا الْمَعْنَى لَعَبَّرَ بِصَوْتِ لَيْثٍ، أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا هُوَ أَعْلَى فِي تَخَاطُبِ أَهْلِ الْعُرْفِ؛ وَأَمَّا فِي اللِّسَانِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْحَيَوَانَيْنِ. وَ(**النَّبْأَةُ**) أَلْيَقُ بِهٰذَا الْمَوْضِعِ، لأَنَّ (**النَّبْأَةَ**) إِذَا فُسِّرَتْ بِمَا قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ، غَايَةُ أَمْرِهَا أَنَّهُمْ سَمِعُوا صَوْتاً خَفِيّاً لَا يَدْرُونَ مَا يَصْدُرُ لَهُمْ مِنْهُ: إِمَّا أَمْرٌ مَخِيفٌ، أَوْ أَمْرٌ حَائِطٌ حَافِظٌ؛ وَهٰذَا يَلِيقُ بِالْوَاقِعِ فِي أَمْرِ الْبِعْثَةِ، لأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ لَهَا حَالَ سَمَاعِهِمْ إِيَّاهَا مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ بِهَا أَمْرُهُمْ كَمَا قَالَتِ الْجِنُّ: ﴿وَأَنَّا

(1) فقه اللغة: 213. قال: «من الأصوات الخفية: الزر، ثم الهملة، ثم الهينمة، ثم الديدنة، ثم النغم، ثم النبأة: وهو الصوت ليس بالشديد، ثم النأمة من النئيم: وهو الصوت الضعيف».

لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: 10].

وَ(**الإِجْفَالُ**): هُوَ النُّهُوضُ عَلَى حَالِ خَوْفٍ.

وَ(**الْغُفْلُ**) مِنَ الْغَنَمِ: هِيَ الَّتِي تَكُونُ فِي مَرْعَاهَا آمِنَةً لَا مَطْلَبَ لَهَا إِلَّا كَلأَ الأَرْضِ، وَبُرُوكَهَا بَعْدَ رَعْيِهَا وَشِبَعِهَا، وَإِذَا بِصَوْتٍ خُيِّلَ عَلَيْهِمْ، نَهَضُوا وَجَفَلُوا مِنْهُ.

وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لَمَّا وَقَعَ مَعَهُ الْبَحْثُ فِي قَوْلِ النَّاظِمِ: (**كَنَبْأَةٍ**)، وَأَورِدَ عَلَيْهِ مَا قِيلَ فِي (**النَّبْأَةِ**) مِنْ أَنَّهَا أَصْوَاتُ الْكِلَابِ، قَالَ: «الْمَقْصُودُ الْمَعَانِي». قِيلَ لَهُ: وَأَيُّ مَعْنًى تَسْتَرْوِحُ مِنْ هَا هُنَا؟ فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ الْغَنَمَ فِي مَرَاتِعِهَا سَمِعَتْ صَوْتَ كَلْبٍ، فَنَفَرَتْ[1] مِنْهُ ظَنّاً مِنْهَا أَنَّهُ ذِئْبٌ، فَإِذَا هُوَ كَلْبٌ، فَوَجَدَتْهُ إِنَّمَا جَاءَ لِيَحُوطَهَا مِنَ الذِّئَابِ، وَيُذْهِبَ عَنْهَا الرَّوْعَ بِوُجُودِهِ مَعَهُمْ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا يَقْصِدُ بِهِ أَجْراً مِنَ الأَغْنَامِ، وَلَا يَطْمَعُ فِي افْتِرَاسِ بَهِيمَةٍ مِنْهَا، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ خِدْمَةً لِمَالِكِهِ وَمَالِكِهَا». قَالَ: «وَهٰذَا مَعْنًى مُلَائِمٌ، لأَنَّ الْعَرَبَ لَمَّا أَنْ سَمِعُوا الْبِعْثَةَ نَفَرَتْ، وَكَذَا غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الأَدْيَانِ الْخَبِيثَةِ، فَلَمَّا ظَهَرَ أَمْرُ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ ﷺ وَجَدُوهُ لَا يَسْأَلُ عَلَى هِدَايَتِهِ أَجْراً، وَإِنَّمَا يَدْعُوهُمْ لِطَاعَةِ رَبِّهِ وَرَبِّهِمْ، وَيَذِيدُ عَنْهُمُ الْعِدَى بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَكَانَ لِلتَّعَرُّضِ لِهٰذَا الْمَعْنَى وَجْهٌ، لأَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ لَا ذَاتُ الْكَلْبِ».

وَإِنْ كَانَ يَلُوحُ، لٰكِنَّ تَفْسِيرَ (**النَّبْأَةِ**) بِمَا فَسَّرَهَا بِهِ أَبُو مَنْصُورٍ أَوْلَى خُرُوجاً عَنْ ضِيقِ الْمَحَلِّ مَعَ اتِّسَاعِهِ، وَالْمَعْنَى وَالْحَمْدُ للهِ مُتَمَكِّنٌ بَلِيغٌ مَعَ سَلَامَتِهِ مِنْ خَسَاسَةِ الْمُمَثَّلِ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَمَّا تَشْبِيهُ حُسْنِ الْبِعْثَةِ بِحُسْنِ النَّبْأَةِ، وَالْقَوْمِ بِالأَغْنَامِ فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: (**غُفْلاً**) هَلْ هُوَ مِنَ الْغَفْلَةِ، فَكَأَنَّ الْقَوْمَ لِعَزْوِهِمْ عَنِ التَّوْحِيدِ وَسَبِيلِهِ

(1) نفَرَت: من نفَر إذا تفرق وجَزع من شيء. ل/نفر.

غَافِلِينَ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ، وَالأَغْنَامَ بِشُغْلِهِمْ بِمَرَاعِيهِمْ كَالْقَوْمِ لانْشِغَالِهِمْ بِأُمُورِ دُنْيَاهُمْ، [266]// وَيَصِحُّ التَّشْبِيهُ، أَوْ هُوَ بِمَعْنًى غَيْرِ هٰذَا؟

قُلْتُ: (**الـغُـفْـلُ**) مِنَ الدَّوَابِّ: هُوَ الَّذِي لَا عَلَامَةَ عَلَيْهِ وَلَا سِمَةَ. وَ(**الْغَنَمُ**): الضَّأْنُ وَالْمَعِزُ شَبَّهَ قُلُوبَ الْكَفَرَةِ فِي ارْتِيَاعِهِمْ بِمَا نُبِّئُوا بِهِ مِنْ بِعْثَتِهِ ﷺ بِغَنَمٍ فِي مَرَاتِعِهَا، أَجْفَلَتْهَا صَيْحَةٌ فَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا[1]. يُقَالُ: أَجْفَلَهُمُ الْخَوْفُ. وَ(**الْجَفْلَةُ**) الْيَوْمَ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْعَرَبِ الْمُتَقَدِّمِينَ خَاصَّةٌ بِهُرُوبِ الْخَوْفِ. وَ(**جَفَلَ**) فِيهِ مَعَانِي جَلَفَ وَزِيَادَةٌ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: جَلَفَ الشَّيْءَ جَلْفاً: جَرَفَهُ. وَالظُّفْرَ: قَلَعَهُ. وَجِلْدَ الشَّاةِ: كَشَطَهُ. وَالشَّجَّةُ: قَشَرَتِ الْجِلْدَ. وَالسَّنَةُ: أَذْهَبَتِ الْمَالَ. وَالطِّينَ عَنِ الأَرْضِ: قَشَرْتُهُ. وَاللَّحْمَ عَنِ الْعَظْمِ، وَالشَّحْمَ عَنِ الْجِلْدِ: نَزَعْتُهُ. وَذٰلِكَ كُلُّهُ فِي جَفَلَ جَفْلاً. وَجَفَلْتُ الرَّجُلَ: صَرَعْتُهُ. فَمَعَانِي الْجَفْلِ وَالْجَلْفِ مُتَقَارِبَةٌ. وَالْفِعْلَانِ مِنْ بَابِ جَبَذَ جَذَبَ وَبَقَرَ وَبَرَقَ، وَصَعَقَ وَصَقَعَ. وَيُقَالُ: أَجْفَلَ وَجَفَّلَ، أَمَّا تَعَدِّي أَجْفَلَ فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا جَفَّلَ فَيُسْتَعْمَلُ لَازِماً وَمُتَعَدِّياً. وَمِنَ الْمُتَعَدِّي الثُّلَاثِيِّ قَوْلُهُمْ: جَفَلَ الْقَانِصُ الْوَحْشَ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ هُنَا مُضَعَّفٌ وَلِذٰلِكَ تَعَدَّى. وَوَجْهُ الشَّبَهِ أَنَّ قُلُوبَ الْكَفَرَةِ لِخُلُوِّهَا عَنِ الإِيمَانِ لَا عَلَامَةَ عَلَيْهَا كَمَا لَا عَلَامَةَ وَلَا سِمَةَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَنَمِ.

وَأَشَارَ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ: (**رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا**) الْبَيْتُ، إِلَى مَا وَقَعَ فِي زَمَنِ الْبِعْثَةِ مِنَ الرَّوْعِ فِي قُلُوبِ الْقَوْمِ مِنْ هِرَقْلَ[2] وَغَيْرِهِ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ بِتَحْصِينِ بِلَادِهِمْ، وَتَفَقَّدُوا حُصُونَهُمْ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُسْتَشَارُ مَعَ بَعْضٍ فِي شَأْنِهِ، حَتَّى إِنَّ قُرَيْشاً لَمَّا رَأَوْا مِنْ أَمْرِ مُلُوكِ الأَرْضِ مَا رَأَوْا كَانُوا يَقُولُونَ: «لَقَدْ

(1) أيدي سَبَا بدون تنوين ولا همز: التفرق في كل طريق وفي كل وجه. ل/يدي.

(2) هرقل: إمبراطور بيزنطي (610 ـ 641) طرد الفرس من سورية ثم هرب منها بعد انهزامه في اليرموك.

طَنَّتْ حَصَاةُ مُحَمَّدٍ حَتَّى عَمِلَ حِسَابَهُ كُلُّ مَنْ فِي الأَرْضِ، حَتَّى إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ ابْنَ حَرْبٍ مَسَّهُ الرَّوْعُ حِينَ رَأَى صَاحِبَ حِصْنِ حِمْصٍ[1] ـ وَهُوَ حِصْنٌ مَانِعٌ ـ أَخَذَ فِي تَشْدِيدِهِ وَالْعَمَلِ عَلَى التَّحَصُّنِ بِهِ، وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لأَصْحَابِهِ: لَقَدِ اسْتَفَاضَ أَمْرُ هٰذَا الرَّجُلِ حَتَّى إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ»[2]. وَأَقَرَّ فِي حَالِ كُفْرِهِ بِمَا انْتَشَرَ مِنَ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ. وَقَالَ: مَا زِلْتُ مُوقِناً أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِ زَمَنَ حَرَكَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ الإِسْلَامَ عَلَى يَدِ الْعَبَّاسِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَفِي الْبَيْتِ: شَيْءٌ مِنَ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ: وَهُوَ يَرِدُ عَلَى أَنْوَاعٍ: إِمَّا إِعْطَاءُ الأَوَّلِ لِلأَوَّلِ إِمَّا مُقَابَلَةً أَوْ تَفْسِيراً. وَإِمَّا إِعْطَاءُ الأَوَّلِ لِلثَّانِي، وَالثَّانِي لِلأَوَّلِ. وَإِذَا كَانَتِ الأَجْزَاءُ الْمُقَابَلَةُ أَكْثَرَ جَاءَ عَلَى التَّرْتِيبِ. وَقَدْ يَقَعُ مُخَالِفاً عَلَى حَسَبِ مَا وَقَعَ هُنَا.



(1) حصن حمص: موضع بين حلب والرقة. معجم البلدان: 2/ 264.

(2) ينظر: البخاري: 6/ 450، مسلم: 3/ 1396، أحمد: 2380، أبو نعيم: 2/ 346، مسند أبي عوانة: 4/ 271، اعتقاد أهل السنة: 4/ 793، الإيمان لابن منده: 1/ 290.

130 ـ قَالَ:

مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ حَتَّى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْماً عَلَى وَضَمِ[1]

شرح: (**مَا زَالَ**) هٰذَا هُوَ مِنْ أَخَوَاتِ كَانَ، وَهُوَ فِي الأَصْلِ نَفْيٌ، فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ حُرُوفُ النَّفْيِ نَفَتْ نَفْيَهُ، وَانْعَكَسَ النَّفْيُ إِثْبَاتاً مُسْتَغْرِقاً زَمَنَ الْمُضِيِّ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّ هٰذِهِ الْحَالَ هِيَ حَالُهُ ﷺ الَّتِي لَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا حَتَّى لَقِيَ اللهَ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: مَا زَالَتْ حَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنْذُ أُمِرَ بِقِتَالِ الْكَفَرَةِ مُثَابِراً عَلَى مُلَاقَاتِهِمْ، وَعَامِلاً عَلَيْهَا. وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّهُ عُمُومٌ مُخَصَّصٌ بِأَوْقَاتِ اللِّقَاءِ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِهِ عَامّاً عَلَى جِهَةِ التَّكْثِيرِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَزْمِ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يُفَارِقْهُمُ الْبَتَّةَ.

وَ(**اللِّقَاءُ**): مَعْرُوفٌ.

وَ(**الْمُعْتَرَكُ**): مَوْضِعُ الْعِرَاكِ، وَهُوَ التَّضَارُبُ وَالْقِتَالُ. يُقَالُ: الْعِرَاكُ وَالنِّزَالُ وَالْقِتَالُ وَالالْتِحَامُ وَالْمَلْحَمَةُ: وَقِيعَةُ الْقِتَالِ. [267]// وَ(الاعْتِرَاكُ): هُوَ الْحَرْبُ نَفْسُهُ. وَ(الاعْتِرَاكُ) أَيْضاً: الازْدِحَامُ.

وَ(**حَكَوْا**): أَيْ شَابَهُوا.

وَ(**الْقَنَا**): جَمْعُ قَنَاةٍ، وَهُوَ الرُّمْحُ. وَلِلآلَةِ الَّتِي تُحْبَسُ لِلدَّفْعِ عَنِ الإِنْسَانِ أَوْ لِمَعُونَةِ الاعْتِمَادِ [عَلَيْهَا][2] مَرَاتِبُ: «أَوَّلُهَا: **الْمِخْصَرَةُ**: وَهِيَ مَا يَأْخُذُهَا الشَّيْخُ الْكَبِيرُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ رَبِيعَةَ: «أَدْرَكْتُ مَشْيَخَةً يَمُرُّونَ عَلَى الْمَخَاصِرِ، يَخْتَضِبُونَ بِالْحِنَّاءِ، دِينُ أَحَدِهِمْ لِمَنْ رَامَهُ أَبْعَدُ مِنَ الثُّرَيَّا». ثُمَّ **الْعَصَا**: وَهِيَ الَّتِي يُمْسِكُ الرَّاعِي وَالأَعْرَجُ مِنَ النَّاسِ. وَ**الْمِنْسَأَةُ**: الَّتِي يَحْبِسُهَا

(1) الديوان: 198.
(2) في الأصل: «عليه».

الْمَرِيضُ وَالضَّعِيفُ مِنَ النَّاسِ. فَإِنْ كَانَتْ مُعَقَّفَةَ الطَّرَفِ فَهُوَ **الْمِحْجَنُ**. فَإِنْ طَالَتْ فَهِيَ **هِرَاوَةٌ**. فَإِنْ غَلُظَتْ فَهِيَ **قِرْزَحَنَّةٌ**[1] **وَمِرْزَبَّةٌ**. فَإِنْ زَادَتْ عَلَى الْهِرَاوَةِ فِي زُجٍّ فَهِيَ **عَنَزَةٌ**. فَإِنْ طَالَتْ وَفِيهَا سِنَانٌ دَقِيقٌ فَهِيَ **نَيْزَكٌ وَمِطْرَدٌ**. فَإِنْ زَادَ طُولُهَا وَفِيهَا سِنَانٌ عَرِيضٌ فَهِيَ **حَرْبَةٌ**. فَإِنْ كَانَتْ مُسْتَوِيَةً نَبَتَتْ فِي مَنْبِتِهَا كَذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ إِلَى تَثْقِيفٍ فَهِيَ **صَعْدَةٌ**. فَإِذَا اجْتَمَعَ فِيهَا الطُّولُ وَالسِّنَانُ فَهِيَ **الْقَنَاةُ وَالرُّمْحُ**»[2]. وَلِذٰلِكَ ذَكَرَ النَّاظِمُ **الْقَنَاةَ** لِكَوْنِهَا نِهَايَةَ الرِّمَاحِ. وَأَمَّا أَسْمَاءُ الرِّمَاحِ فَاسْتَوْفَيْنَاهَا فِي «**شَرْحِنَا الْكَبِيرِ**».

وَأَمَّا (**الْوَضَمُ**): فَهِيَ الْبَارِيَةُ الَّتِي يَجْعَلُ عَلَيْهَا الْقَصَّابُونَ اللَّحْمَ، لٰكِنَّ (**الْوَضَمَ**) صَارَ أَشْهَرَ فِي الْعُرْفِ الْعَامِّ مِنَ الْبَارِيَةِ. قَالَ الشَّاعِرُ: (رجز)

لَسْتُ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ[3]

وَيُقَالُ لِلْحَقِيرِ: مِسْكِينٌ، لَحْمٌ عَلَى وَضَمٍ.

بَحْثٌ: وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: وَصَفَهُمْ هُنَا بِأَنَّهُمْ صَارُوا بِالْقَنَا وَهِيَ الرِّمَاحُ لَحْماً عَلَى وَضَمٍ، وَذَكَرَ فِي مَا يَأْتِي أَنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ يَضْرِبُونَ بِالسُّيُوفِ بِأَنْ قَالَ: (**الْمُصْدِرِي الْبِيضَ حُمْراً**)[4] الْبَيْتُ.

(1) في فقه اللغة: 251 «فإذا غلظت فهي القحزنة والمرزبة ويقال: إنها من حديد».
(2) ينظر فقه اللغة: 251 ـ 252.
(3) البيت في نسبته اختلاف: نسب لرشيد بن رميض في البيان والتبيين: 2/ 308، والأغاني: 15/ 255، وجمهرة الأمثال: 2/ 362، وشرح الحماسة للتبريزي: 1/ 184، وفصل المقال: 319، والأشباه والنظائر: 2/ 206. وهو في خطبة للحجاج في: الكامل: 1/ 223، والعقد: 4/ 120، والمعاهد: 1/ 343. ونسب في فرحة الأديب: 73 لشريح بن ضبيعة. وفي أمالي ابن الشجري: 37 للأغلب العجلي. وفي كتاب الخيل لابن الأعرابي: 86 لجابر بن حني. وفي حلبة الفرسان: 158 للأخفش ابن شهاب. وقال في اللسان: حطم: «وتروى لأبي زعنة في يوم أحد وهي ليست له وإنما له رجز على نفس الروي».
(4) الديوان: 198 وتمامه:
«المصدري البيض حمرا بعدما وردت من العدى كل مسود من اللمم»

وَجَوَابُهُ: إِنَّ الصَّحَابَةَ ﵃ كَانُوا يَفْعَلُونَ الأَمْرَيْنِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ بَعْدُ قَوْلُهُ: (**وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ أَقْلَامُهُمْ**)[1] الْبَيْتُ، فَذَكَرَ هُنَا مَا وَقَعَ بِالْقَوْمِ مِنْ طَعْنِ أَهْلِ الرِّمَاحِ حَتَّى صَارُوا بِهِ لَحماً عَلَى وَضَمٍ. وَيَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا فَاتَهُ مِنْ كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَقَعَ بَيْنَ صَحَابَةِ النَّبِيِّ وَالْكَفَرَةِ يَوْمٌ إِلَّا وَحَضَرَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: (**كُلِّ مُعْتَرَكٍ**) لَا بُدَّ لَهُ مِنْ نَعْتٍ مَحْذُوفٍ يُخَصِّصُهُ، أَيْ: فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَقَعَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ، وَأَمَّا مَا وَقَعَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَإِنَّمَا قَضَاهُ أَصْحَابُهُ ﵃.

وَ(**الْبَاءُ**) فِي قَوْلِهِ: (**بِالْقَنَا**) لِلاسْتِعَانَةِ كَهِيَ فِي قَوْلِكَ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ. وَفِي الْكَلَامِ حَذْفُ مُضَافٍ تَقْدِيرُهُ: بِطَعْنِ الْقَنَا.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِجَمْعِهِ بَيْنَ الْمُتَنَاسِبَاتِ، إِذْ جَمَعَ بَيْنَ (**اللَّحْمِ وَالْوَضَمِ**).

وَفِي الْبَيْتِ: الإِغْرَاقُ، إِذِ التَّشْبِيهُ وَقَعَ عَلَى وَجْهٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ فِعْلُ الْمُحَارِبِينَ عَادَةً، وَإِنَّمَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ، لِأَنَّ اللَّحْمَ عَلَى الْوَضَمِ مَنْزُوعُ الْجِلْدِ، مُزَالُ الْمَفَاصِلِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ.

وَفِيهِ: تَعْمِيمُ الْخَاصِّ، وَهُوَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ، إِذْ لَمْ يَقَعْ عَادَةً أَنَّ جَمِيعَ الْمُقَاتِلِينَ حَكَوْا ذَلِكَ وَإِنَّمَا حَكَاهُ بَعْضُهُمْ، وَيَفِرُّ الآخَرُونَ، أَوْ يُؤْسَرُوا؛ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ قَتْلَى بَدْرٍ: أَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ، قَدْ حَلَّ بِهِمْ [....][2].



(1) الديوان: 199، وتمامه:

«والكاتبين بسمر الخط بعدما تركت ... أقلامهم حرف جسم غير منعجم»

(2) طمس في الأصل بقدار كلمتين لم أتبينه.

131 ـ قَالَ:

وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ ... أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّخَمِ[1]

شرح: (**وَدَّ**): تُسْتَعْمَلُ فِي التَّمَنِّي، تَقُولُ: وَدِدْتُ أَنْ لَوْ كَانَ لِي كَذَا، أَيْ: تَمَنَّيْتُ. تَقُولُ: وَدِدْتُ الشَّيْءَ وُدّاً: أَحْبَبْتُهُ. وَالْوَدَادَةُ: الْمَحَبَّةُ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَبِكَسْرِهَا وَبِغَيْرِ تَاءٍ. قَالَ بَعْضُهُمْ: «إِنَّ أَصْلَ (وَدَّ) وَتِدَ بِالتَّاءِ، ثُمَّ أُبْدِلَتِ التَّاءُ دَالاً وَأُدْغِمَتْ فِي الدَّالِ». فَالْوُدُّ: غَايَةُ الْمَحَبَّةِ، حَتَّى كَأَنَّهَا [268]// مَغْرُوسَةٌ فِي الْقَلْبِ.

وَ(**الْفِرَارَ**): الْهُرُوبُ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (منسرح)

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ ... فِي بَعْضِ فَرَّاتِهِ يُصَادِفُهَا[2]

وَمِنْهُ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ.

وَ(**الْغِبْطَةُ**): تَمَنِّي شَيْءٍ يَحْصُلُ لِلْمُتَمَنِّي كَمَا حَصَلَ لِلْغَيْرِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ، إِذْ لَمْ يَقْصِدْ إِزَالَتَهُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا قَصَدَ أَنْ يُعْطَى مِثْلَهُ، فَإِذَا تَمَنَّى إِزَالَتَهُ عَمَّنْ أُعْطِيَهُ كَانَ حَسَداً.

وَ(**الأَشْلَاءُ**): لُحُومُ الأَمْوَاتِ. وَشَالَتْ: ارْتَفَعَتْ. يُقَالُ: شَالَ الشَّيْءُ شَوْلاً وَشَوَلَاناً: ارْتَفَعَ. وَشَالَ الْمِيزَانُ: لَمْ يَعْتَدِلْ. وَشَالَتْ نَعَامَةُ الْقَوْمِ: هَلَكُوا. وَشَالَ اللَّيْلُ وَاللَّبَنُ: نَقَصَا. وَشَالَتِ النَّاقَةُ بِذَنَبِهَا: رَفَعَتْهُ. وَكَذَا أَيْضاً أَشَالَتْهُ. وَشَالَ بِالْحَجَرِ وَأَشَالَهُ: رَفَعَهُ.

وَلَمَّا أَصَابَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ حَرْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ

(1) الديوان: 198.

(2) سبق تخريجه: ص119.

الأَمْرُ، وَدُّوا مَا يُبْعِدُهُمْ عَنْهُمْ، وَاسْتَحْسَنُوا فِرَارَهُمْ وَانْفِكَاكَهُمْ، وَإِنْ كَانَ يُورِثُهُمْ بِعُرْفِهِمْ مَعَرَّةً وَذُلًّا. فَرَضُوا بِارْتِكَابِ هٰذَا الأَمْرِ الْقَبِيحِ الشَّنِيعِ، وَرَأَوْهُ أَنَّهُ أَحْسَنُ فِي عُقُولِهِمْ، وَأَخْلَصُ لَهُمْ؛ إِذْ دَارَ لَهُمُ الأَمْرُ بَيْنَ أَمْرٍ قَبَّحَتْهُ فِرَقُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ: وَهُوَ الْفِرَارُ عَنِ الْمُلَاقَاةِ خَوَراً وَذُلًّا، وَقَهْرِهِمْ بِسُيُوفِ الصَّحَابَةِ وَذُلِّهِمْ وَصَغَارِهِمْ؛ فَرَأَوْا ارْتِكَابَ هٰذَا الْقَبِيحِ ـ الَّذِي تَنْجُو بِزَعْمِهِمْ بِهِ أَجْسَادُهُمْ مِنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ـ أَحْسَنَ مِنْ مُلَاقَاتِهِمُ الَّتِي تَؤُولُ بِهِمْ إِلَى سَبْيِ أَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ وَإِذْهَابِ نُفُوسِهِمْ بِالْقَتْلِ وَثِقَلِ الْجِرَاحِ.

«وَلَقَدْ وَقَعَ هٰذَا لأَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ لَمَّا خَرَجَ لِمُلَاقَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَعَ فِي قَلْبِهِ وَقُلُوبِ أَصْحَابِهِ خَوْفٌ عَظِيمٌ، وَامْتَلأَتْ قُلُوبُهُمْ رُعْباً حَتَّى قَالَ لَهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ: «يَظْهَرُ لِي مِنَ الرَّأْيِ أَنْ نَرْجِعَ وَلَا نُلَاقِيَ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمَ»[1]. فَتَحَمَّلَ عَدُوُّ اللهِ مَشَقَّةَ الرُّعْبِ وَالذُّعْرِ الَّذِي وَقَعَ فِي قَلْبِهِ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الانْقِلَابِ، وَتَجَاسَرَ رَجَاءَ أَنْ يَفْتَرِقَ الْجَمْعَانِ وَلَا يَتَأَتَّى قِتَالٌ، فَاجْتَمَعَ الْفَرِيقَانِ مَعَ كَثْرَةِ قَوْمِ أَبِي جَهْلٍ وَقِلَّةِ عَدَدِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمْكَنَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَأَصْحَابِهِ حَتَّى تَرَكُوهُمْ فِي الْقَلِيبِ[2] جِيَفاً»[3].

وَفِي الْبَيْتِ: ذِكْرُ وُدِّهِمُ الْفِرَارَ، ذَمَّهُمْ بِهِ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ الأَمْرَ، فَذَكَرَ أَنَّهُمُ اسْتَحْسَنُوا ذٰلِكَ الَّذِي وَدُّوهُ، وَذٰلِكَ إِنْ غَبَطَتَهُمُ الْفِرَارُ هُوَ قُصَارَى أَمْرِهِمْ، وَمَرْغُوبُ قَصْدِهِمْ.

وَفِي الْبَيْتِ: التَّجْنِيسُ بِـ (**أَشْلَاءَ**) وَ(**شَالَتْ**).

وَ(**الْعُقْبَانِ**): جَمْعُ عُقَابٍ.

---

(1) ينظر: تفسير ابن كثير: 2/ 407 ـ 408.

(2) القليب: البئر التي لم تطو بعد، أو العادية. ل/قلب.

(3) ينظر: البخاري: 1/ 154، مسلم: 3/ 1418، ابن حبان: 15/ 562، مسند البزار: 5/ 239، مسند الطيالسي: 2/ 157.

وَ(**الرَّخَمُ**): اسْمُ جِنْسٍ مِنَ الأَطْيَارِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُفْرَدِهِ تَاءُ التَّأْنِيثِ، وَهِيَ مِمَّا تَأْكُلُ الْجِيَفَ وَلَيْسَ لَهَا نَجْدَةٌ فِي الطُّيُورِ، بِخِلَافِ الْعُقْبَانِ وَالنُّسُورِ وَنَحْوِهَا مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، وَالإِرْصَادُ، فَإِنَّ مَنْ يَسْمَعُ (**مَعَ الْعُقْبَانِ**) وَيَعْرِفُ الْقَافِيَةَ يَعْرِفُ أَنَّ تَمَامَ الْبَيْتِ (**وَالرَّخَمْ**). وَيَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّ هٰذِهِ الْغِبْطَةَ أَنَّهُمْ وَدُّوا لَوْ تُمَزِّقُ سِبَاعُ الطَّيْرِ لُحُومَهُمْ وَلَا تَتَمَزَّقُ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِمْ.

وَ(**كَادَ**): فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ الْمُقَارَبَةِ، وَالْغَالِبُ فِيهِ أَنَّ نَفْيَهُ إِثْبَاتٌ وَإِثْبَاتُهُ نَفْيٌ. وَقَدْ جَاءَ عَلَى خِلَافِ ذٰلِكَ؛ وَمِنْهُ: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: 40]، وَهُوَ مَا رَآهَا وَلَا قَارَبَ الرُّؤْيَةَ. وَأَمَّا: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 71] فَعَلَى اللُّغَةِ الْكُثْرَى. وَأَحْكَامُ (**كَادَ**) فِي عَمَلِهَا مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ النُّحَاةِ.



132 ـ قَالَ:

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلاَ يَدْرُونَ عِدَّتَهَا ... مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ[1]

شرح: (**اللَّيْلُ**): اسْمُ جِنْسٍ، وَ(اللَّيْلَةُ): مُفْرَدَةٌ، وَجَمْعُهَا: لَيَالِي عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَجَاءَ جَمْعُهُ فِي الْقِلَّةِ (أَلْيُلٌ).

وَمَعْنَى (**لَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا**)، أَيْ: شُغِلُوا عَنْ مَعْرِفَةِ أَعْيَانِهَا حَتَّى لَا يَدْرُونَ فِي أَيِّ يَوْمٍ هُمْ وَلَا فِي أَيِّ شَهْرٍ مِنْ سَطْوَةِ حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الرُّعْبِ.

وَذَكَرَ (**اللَّيَالِي**) لأَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا حِسَابُهُمْ بِالشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ، وَلأَنَّ (**اللَّيَالِي**) مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الأَيَّامِ. وَهٰذَا الَّذِي ذَكَرَ النَّاظِمُ مُبَالَغَةٌ فِي غَفْلَتِهِمْ وَذَهَابِ عُقُولِهِمْ [269]// حَتَّى تَخْفَى عَنْهُمْ أَسْمَاءُ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الَّتِي تَعْرِفُهَا النِّسْوَةُ وَالصِّبْيَةُ.

وَقَوْلُهُ: (**مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ**): فَإِذَا كَانَتِ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ كَفَّ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمُ الْقِتَالَ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ لِكَفِّ الْقِتَالِ عَنْهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 217] الآيَةَ. فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَأْمَنُونَ شَرَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ، فَلَا تَمْضِي اللَّيَالِي فِي تِلْكَ الأَشْهُرِ الْحُرُمِ إِلَّا وَهُمْ يَدْرُونَ عَدَّتَهَا، إِذْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ ما يُشْغِلُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ أَعْيَانِهَا، بَلْ قَامَ لَهُمْ بَاعِثٌ عَلَى ذٰلِكَ فَيَعْرِفُونَ أَعْيَانَهَا خَشْيَةَ أَنْ تَنْصَرِفَ فَيَعُودَ إِلَيْهِمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْحَذَرِ وَالْخَوْفِ، فَلِذٰلِكَ ذَكَرَ النَّاظِمُ حَالَتَيْهِمْ: حَالَةَ غَفْلَتِهِمْ عَنْهَا، لاشْتِغَالِهِمْ بِمَا عَاقَهُمْ مِنْ قِتَالِ

(1) الديوان: 198.

الْمُسْلِمِينَ، وَحَالَتَهُمْ فِي أَيَّامِ كَفِّ الْمُسْلِمِينَ أَيْدِيَهُمْ عَنْ قِتَالِهِمْ. وَكَانَتِ الْعَرَبُ يَلْتَزِمُونَ مِنَ الأَشْهُرِ الْحُرُمِ الْبَعْضَ، وَأَمَّا مُحَرَّمُ فَكَانُوا يُرَاعُونَ حُرْمَتَهُ سَنَةً وَيُؤَخِّرُونَ حُرْمَتَهُ أُخْرَى، وَيَجْعَلُونَهَا فِي صَفَرٍ.

وَلِلْعُلَمَاءِ فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَوَّلُهَا يَوْمُ النَّحْرِ. وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ[1]، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَاهَدَ قُرَيْشاً زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَ بَقِيَ مِنْ مُدَّتِهِمْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، فَأَمَرَ أَنْ يُتِمَّ لَهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ، وَأَنْ يُؤَخِّرَ مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ إِلَى انْسِلَاخِ الْمُحَرَّمِ.

وَأَمَّا السُّدِّيُّ[2] فَقَالَ: هِيَ لِلْجَمِيعِ مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ إِلَى تَمَامِ الشُّهُورِ الأَرْبَعَةِ.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ[3]: أَوَّلُهَا شَوَّالُ، وَهِيَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ عَهْدٌ، وَلِمَنْ كَانَ عَهْدُهُ أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. فَهُوَ الَّذِي أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُتِمَّ لَهُ عَهْدَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَتِمُّوٓا [إِلَيْهِم] عَهْدَهُمْ﴾[4] [التوبة: 4]. وَهٰذَا الَّذِي قَالَهُ الْكَلْبِيُّ[5] اخْتَارَهُ الطَّبَرِيُّ[6]»[7].

(1) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري، صحابي بدري، من شجعان الرماة، شهد المشاهد. ترجمته في: (الصفوة: 1/ 183، الجرح والتعديل: 3/ 132، الأعلام: 5/ 189).

(2) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي تابعي، صاحب التفسير والمغازي والسير، ترجمته في: (النجوم الزاهرة: 1/ 308، تهذيب التهذيب: 1/ 313، ميزان الاعتدال: 1/ 236، سير النبلاء: 5/ 265، الأعلام: 1/ 317).

(3) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، أحد كبار الحفاظ والفقهاء من أهل المدينة. (ت نحو124هـ). ترجمته في: (الصفوة: 2/ 77، تهذيب التهذيب: 9/ 445، تذكرة الحفاظ: 1/ 102، الأعلام: 7/ 317).

(4) في الأصل: «فأتموا لهم».

(5) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، النسابة المفسر، متروك الحديث، (ت246هـ). ترجمته في: (ط ابن سعد: 6/ 249، تاريخ خليفة: 423، كتاب المجروحين: 2/ 253، الجرح والتعديل: 7/ 270، سير النبلاء: 6/ 248).

(6) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير والتاريخ. ترجمته في: (تاريخ بغداد: 2/ 162، طبقات السبكي: 2/ 135، تذكرة الحفاظ: 710، سير النبلاء: 3/ 498).

(7) جامع البيان: 3/ 107.

«وَرُوِيَ أَنَّ هٰذِهِ الآيَ نَزَلَتْ عَلَى النبِيِّ ﷺ بَعْدَ خُرُوجِ أَبِي بَكْرٍ لِيَحُجَّ بِالنَّاسِ سَنَةَ تِسْعٍ. وَلِذٰلِكَ بَعَثَ النبِيُّ ﷺ عَلِيّاً بِالآيِ الَّتِي أُنْزِلَتْ بَعْدَ خُرُوجِ أَبِي بَكْرٍ لِيَتْلُوهَا عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْفَرِيقَانِ وَهُوَ مِنًى[1]، فَنَادَى عَلِيٌّ ﷺ بِالْخِصَالِ الأَرْبَعَةِ[2] الَّذِي أَمَرَهُ النبِيُّ ﷺ أَنْ يُنَادِيَ بِهَا، وَأَعَانَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَغَيْرُهُ. وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ حِينَئِذٍ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ[3] اسْتَخْلَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ ثَمَانٍ، وَهُوَ عَامُ الْفَتْحِ، وَكَانَ حَجُّ عَتَّابٍ وَأَبِي بَكْرٍ عَامَ تِسْعٍ فِي ذِي الْقِعْدَةِ، وَكَانَ ذٰلِكَ عَادَةَ الْجَاهِلِيَّةِ فِي حَجِّهِمْ، ثُمَّ حَجَّ النبِيُّ ﷺ بَعْدَ تِلْكَ السَّنَةِ وَهِيَ حَجَّةُ الْوَدَاعِ سَنَةَ عَشْرٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَاسْتَقَرَّتْ مَعَالِمُ الْحَجِّ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الآنَ»[4].

«وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: 36]، فَلَا خِلَافَ أَنَّهَا: ذُو الْقِعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَمُحَرَّمٌ، وَرَجَبٌ؛ ثَلَاثَةٌ مُتَّصِلَةٌ وَوَاحِدٌ مُنْفَصِلٌ»[5].

وَقَوْلُ النَّاظِمِ يَعُمُّ الأَشْهُرَ الْحُرُمَ سَوَاءٌ كَانَتْ عَلَى التَّفْصِيلِ، أَوِ الإِجْمَالِ، أَوِ أُهْمِلَ الْمُحَرَّمُ أَوْ أُعْمِلَ.

وَالْفَاعِلُ فِي قَوْلِهِ: (وَلَا يَدْرُونَ) يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّ

---

(1) منى: جبل بمكة معروف. معجم ما استعجم: 4/ 1262.

(2) الخصال الأربعة هي: «ألا يطوف بالبيت عريان. ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر. ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة. ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم». ينظر نص الحديث في: البخاري: 4/ 1790، مسلم: 2/ 987، الأحاديث المختارة: 2/ 84، الترمذي: 5/ 276، النسائي: 5/ 234.

(3) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا عبد الرحمن، أسلم يوم الفتح. ترجمته في: (أسد الغابة: 3/ 452، الاستيعاب: 3/ 1023، الإصابة: 4/ 211).

(4) ينظر: القرطبي: 8/ 71، الطبري: 10/ 63 ـ 71، ابن كثير: 3/ 219.

(5) ينظر: القرطبي: 8/ 98، الطبري: 3/ 107.

الضَّمِيرَ لِلْمُسْلِمِينَ فَبَاطِلٌ، بَلِ الْمُسْلِمُونَ لَا يَغْفُلُونَ عَنْ أَيَّامِهِمْ وَلَيَالِيهِمْ وَمَوَاسِمِهِمْ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّهُمْ يُوقِعُونَ فِي الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي مَا يَلِيقُ وَيَجِبُ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَإِلَّا فَشَهْرُ رَمَضَانَ وَشَعْبَانَ كَانُوا مَعَ قِتَالِهِمْ قَائِمِينَ صَائِمِينَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



[270]// 133 ـ قال:

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ   بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرِمِ[1]

شرح: لَمَّا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ ذُعْرَ الْكَفَرَةِ، وَذَهَابَ عُقُولِهِمْ، حَتَّى بَلَغَ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى ذُهُولِهِمْ عَنِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، فَكَانَ أَمْرُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ حَتَّى إِنَّهُمْ فِي دَرَجَةِ مَنْ إِذَا حَلَّ بِسَاحَتِهِمْ ضَيْفٌ أَشْغَلَتْهُ عَنِ الْقِيَامِ بِقِرَاهُمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ، أَخَذَ النَّاظِمُ يَذْكُرُ أَنَّهُمْ عُوِّضَ لَهُمْ مِنَ الْعَافِينَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْقِرَى وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِقْرَاهُمْ نُزُولُ الْإِسْلَامِ بِسَاحَتِهِمْ.

وَ(**السَّاحَةُ**): حَوَالَيْ مَنْزِلِ الْمَنْزُولِ بِهِ.

وَ(**الْإِسْلَامُ**): هُوَ الِانْقِيَادُ لُغَةً، وَفِي الشَّرْعِ: انْقِيَادٌ مَخْصُوصٌ إِلَى اتِّبَاعِ أَشْيَاءَ مَخْصُوصَةٍ. وَنَزَّلَهُ النَّاظِمُ مَنْزِلَةَ الضَّيْفِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَطَالِبَ الْمُتَعَلِّمِينَ مُنْتَشِرَةٌ، مُتَعَلِّقَةٌ بِالْآفَاقِ، لَا يَتَوَانَوْنَ عَنْ مَطَالِبِهِمْ؛ فَشَبَّهَهُ النَّاظِمُ بِالضَّيْفِ الَّذِي تَبْلُغُ ضِيَافَتُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَالضَّيْفُ وَإِنْ كَانَ رَئِيساً فَطَعَامُ أَتْبَاعِهِ عَلَيْهِ، وَأَتْبَاعُ الْإِسْلَامِ حُمَاتُهُ. وَجَعَلَهُمْ [الدِّينُ][2] اشْتَهَوْا فِي ضِيَافَةِ مَتْبُوعِهِمْ مَا يَتَمَنَّوْنَهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَحْمُ الْعِدَا، لِأَنَّ لُحُومَ الْمَوَاشِي تَنَتَّنَتْ فِي أُنُوفِهِمْ فَأَرَادُوا عِوَضاً عَنْهَا لُحُومَ الْأَعَادِي.

وَ(**الْقَرْمُ**): السَّيِّدُ بِفَتْحِ الْقَافِ. وَ(**الْقَرِمُ**) بِكَسْرِ الْقَافِ: مَنِ اشْتَدَّ اشْتِيَاقُهُ وَشَهْوَتُهُ إِلَى أَكْلِ اللَّحْمِ. قَالَ ﷺ: «نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْأَيْمَةِ، وَالْعَيْمَةِ، وَالْغَيْمَةِ، وَالْكَرَمِ، وَالْقَرَمِ». **الْأَيْمَةُ**: الْجُلُوسُ لِلنِّسَاءِ. **وَالْعَيْمَةُ**: شَهْوَةُ اللَّبَنِ. **وَالْغَيْمَةُ**:

(1) الديوان: 198.

(2) عبارة مطموسة في الأصل، ولعلها: «الإسلام أو الدين».

الْعَطَشُ. **وَالْكَرَمُ**: قِصَرُ الْبَنَانِ خِلْقَةً. **وَالْقَرَمُ**: شَهْوَةُ اللَّحْمِ[1].

وَفِي الْبَيْتِ: تَشْبِيهٌ بِآلَةِ التَّشْبِيهِ.

وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ: كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ بِأَكَابِرِ الْخَلْقِ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَكْلِ لُحُومِ النَّعَمِ إِلَّا أَنَّ هَؤُلَاءِ مُشْتَاقُونَ إِلَى لُحُومِ الْعِدَا.

وَفِي الْبَيْتِ: وُجُوبُ إِجْلَالِ الضَّيْفِ وَإِكْرَامِ الْمُضَيِّفِ إِيَّاهُ.

وَنَوَّعَ النَّاظِمُ الْكَلَامَ فِي الدِّينِ فِي قَصِيدَتِهِ: فَعَبَّرَ عَنْهُ هُنَا أَنَّهُ رَئِيسُ قَوْمٍ[2] تَعَرَّضَ لِطَلَبِ ضِيَافَتِهِمْ، فَكَانَتِ التَّقْدِمَةُ لَهُ، وَالنَّظَرُ فِي مَصَالِحِ أَحْوَالِهِمْ. وَعَبَّرَ عَنْهُ مَرَّةً بِاسْمِ الْمِلَّةِ[3]، وَجَعَلَهَا مَكْفُولَةً مِنْهُمْ بِخَيْرِ بَعْلٍ وَبِخَيْرِ أَبٍ، فَجَعَلَهُمْ هُمْ كَافِلُوهَا وَحَافِظُوهَا. وَجَعَلَهُ عَقِبَ هَذَا الْبَيْتِ أَمِيرَ جَيْشٍ عَرَمْرَمٍ[4]. وَهَذَا كُلُّهُ تَفَنُّنٌ فِي جَلْبِ أَنْوَاعِ الْمَدْحِ.



(1) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة: 1/ 338، الفائق في غريب الحديث: 3/ 42، النهاية في غريب الحديث: 3/ 331، الزاهر: 1/ 484.

(2) الديوان: 198. «كأنما الدين ضيف...».

(3) الديوان: 198:

«حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم   من بعد غربتها موصولة الرحم
مكفولة أبدا منهم بخير أب   وخير بعل فلم تيتم ولم تئم»

(4) الديوان: 198:

«يجر بحر خميس فوق سابحة   ترمي بموج من الأبطال ملتطم»

134 ـ قَالَ:

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ   يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ[1]

شرح: الفَاعِلُ بـ (**يَجُرُّ**) (**الدِّينُ**)، بَعْدَ أَنْ وَصَفَهُ بِأَنْ نَزَلَ سَاحَتَهُمْ عَلَى صِفَةِ ضَيْفٍ قَاهِرٍ وَكَلَّفَهُمْ ضِيَافَةَ مَنْ مَعَهُ مِنَ السَّادَاتِ، وَأَنَّهُمْ مَا اشْتَهَوْا إِلَّا لَحْمَ العِدَا، أَخْبَرَ زِيَادَةً فِي إِفْحَامِ مَنْ طُلِبَتْ مِنْهُمُ الضِّيَافَةُ أَنَّ تَابِعِيهِ الَّذِينَ طَلَبَ ضِيَافَتَهُمْ بَحْرٌ مُحضرَمٌ، وَعَسْكَرٌ عَرَمْرَمٌ؛ فَأَخْبَرَ عَنْهُ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ: (**يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ**)؛ فَـ (**الْبَحْرُ**) هُنَا كِنَايَةٌ عَنِ الْخَمِيسِ الَّذِي هُوَ عَسْكَرُ الإِسْلَامِ. [وَسُمِّيَ . . . وَقَالَ . . . . لأَنَّهُ مُنْقَسِمٌ عَلَى خَمْسَةٍ: مُقَدِّمَةٌ، وَسَابِقَةٌ، وَمَيْمَنَةٌ، وَمَيْسَرَةٌ وَقَلْبٌ. وَقَالَ . . . الْمُسَمَّاةُ . . . الْعَرَبُ . . . تَخْصِيصاً لاسْمِ الْخَمِيسِ . . . ذَكَرَ ذَٰلِكَ الإِمَامُ[2] . . . فِي «**الْمُعْلِمُ**»[3] . . . عَلَى مُسْلِمٍ][4].

وَاسْتِعْمَالُهُ هُنَا (**الْبَحْرَ**) لِسَعَةِ أَقْطَارِهِ، وَتَرَادُفِ أَمْوَاجِهِ وَازْدِحَامِهَا وَتَرَادُفِهَا بَعْضاً إِثْرَ بَعْضٍ. وَالْبَحْرُ تُكَنِّي الْعَرَبُ بِهِ عَنْ كُلِّ مَا يَقْصِدُونَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِهِ بِالسَّعَةِ فِي خَاصَّةٍ مِنْ خَوَاصِّهِمْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي فَرَسِ أَبِي طَلْحَةَ: «وَجَدْتُهُ بَحْراً»[5]. وَمَا ذَٰلِكَ إِلَّا لِسَعَةِ جَرْيِهِ.

---

(1) الديوان: 198.

(2) هو الإمام أبو عبد الله بن علي بن عمر المازري، أبو عبد الله، من أشهر الفقهاء المالكية في عصره، صاحب المعلم بفوائد مسلم، توفي سنة (530هـ). ترجمته في: (وفيات الأعيان: 4/ 285، الديباج: 279، شجرة النور الزكية: 127 ـ 128، سير النبلاء: 20/ 504).

(3) اسم الكتاب: «المعلم بفوائد مسلم» مطبوع، حققه وقدم له محمد الشاذلي النيفر. ينظر المعلم: 3/ 47.

(4) لحق أسفل يسار الورقة: 270 طمست أغلب كلماته.

(5) سبق تخريجه: ص312.

وَ(**السَّابِحَةُ**): الْخَيْلُ. يُقَالُ: سَبَحَ الْجَوَادُ: إِذَا [. . .][1] بِهِ الْجَرْيُ. وَبِقَوْلِهِ: (**سَابِحَةٍ**) تَرَشَّحَتْ كِنَايَتُهُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ سِبَاحَةِ الحِيتَانِ.

وَ(**الْمَوْجُ**): صَعَدُ[2] الْمَاءِ الْمُتَرَاكِمَةُ. وَفِيهِ تَرْشِيحٌ آخَرُ.

وَ(**الأَبْطَالُ**): جَمْعُ بَطَلٍ، وَهُوَ الشُّجَاعُ.

وَ(**الْمُلْتَطِمُ**): الَّذِي يَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ مِنْ تَوَاتُرِ دَفَعَاتِ أَمْوَاجِهِ.

وَإِنَّمَا أَكْثَرَ النَّاظِمُ مِنَ الاسْتِعَارَاتِ لأَنَّ أَرْبَابَ عِلْمِ الْبَيَانِ قَالُوا: «إِنَّ الاسْتِعَارَةَ [271]// أَفْضَلُ الْمَجَازِ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ أَبْوَابِ الْبَدِيعِ، وَلَيْسَ فِي حِلْيِ الشِّعْرِ أَبْدَعُ مِنْهَا، وَهِيَ مِنْ مَحَاسِنِ الْكَلَامِ إِذَا وَقَعَتْ مَوْقِعَهَا وَوُضِعَتْ مَوْضِعَهَا»[3]. فَاسْتِعَارَةُ (**الْبَحْرِ لِلْخَمِيسِ**) مُلَائِمٌ. وَلَمَّا كَانَ الْبَحْرُ مُسْتَقِرّاً فِي مَكَانٍ، وَكَانَ الْعَسْكَرُ مُنْتَقِلاً، قَدَّمَ قَوْلَهُ: (**يَجُرُّ**) إِشْعَاراً بِمُخَالَفَتِهِ فِي بَعْضِ أَوْصَافِهِ. وَلَمَّا كَانَ لَفْظُ (**الْخَمِيسِ**) دَالّاً عَلَى مُجَرَّدِ الْكَثْرَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِكَوْنِهِمْ رُكْبَاناً أَوْ مُشَاةً، قَالَ: (**فَوْقَ سَابِحَةٍ**) لِيُشْعِرَ بِكَوْنِهِمْ رُكْبَاناً. مَعَ أَنَّ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا رُكْبَاناً وَمُشَاةً، لَكِنْ لَمَّا اتَّسَعَ حَالُهُمْ وَظَهَرَتْ سُيُوفُهُمْ انْعَقَدَتْ مَوَاكِبُ خُيُولِهِمْ بِعُقْبَانِ الْفُرْسَانِ. وَلَوْ تَأَتَّى لِلنَّاظِمِ كَيْفَ يَقُولُ: (بَحْرَ أُسُودٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ) لَقَالَ، لَكِنْ طَلَبَهُ تَأْسِيسُ الاسْتِعَارَةِ بِتَسْمِيَةِ [**الْعَسْكَرِ**][4]، وَتَمَّمَ ذِكْرَ (**الْبَحْرِ**) بِذِكْرِ لَازِمٍ مِنْ لَوَازِمِهِ، وَهُوَ مَوْجُهُ. وَجَاءَ بِاسْمِ (**الْجَيْشِ**) الشَّامِلِ لِكُلِّ أَفْرَادِهِ؛ فَإِنَّ (أَمْوَاجَ) جَمْعُ قِلَّةٍ وَكَنَّى بِـ (**الْمَوْجِ**) عَنِ (**الأَبْطَالِ**)، فَجَعَلَ الأَبْطَالَ مَوْجَ ذَٰلِكَ الْبَحْرِ. وَلَمَّا كَانَ مَوْجُ الْبَحْرِ حَالَةَ هُدُوئِهِ وَرُكُودِهِ تَرْكَبُهُ الضَّبَّةُ. وَإِنَّمَا يَقَعُ فِي هَٰذَا الْمَوْضِعِ تَمَامُ تَحْسِينِ الاسْتِعَارَةِ حَرَكَتُهُ فِي

---

(1) كلمة مطموسة في الأصل لم أتبين معناها، ولعلها «أريد به».

(2) كلمة لم أتبين معناها، ولعلها «صعد» وتعني: شِدَّةُ.

(3) ينظر الكلام عن الاستعارة في: العمدة: 1/ 460.

(4) في الأصل: «العكسكر».

نَفْسِهِ، لٰكِنْ مِنْ لَوَازِمِ هَوْلِهِ الْمُخِيفِ تَلَاطُمُ أَمْوَاجِهِ بِذِكْرِ أَنَّ مَوْجَ هٰذَا الْبَحْرِ تَلَاطَمَ. وَلَمَّا كَانَ التَّلَاطُمُ وَالازْدِحَامُ قَدْ يَكُونُ بِكَثْرَةِ الأَعْدَادِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي أَفْرَادِهَا نَجْدَةٌ وَصَفَ الْبَحْرَ بِكَوْنِ تَلَاطُمِ أَمْوَاجِهِ هُوَ تَلَاطُمُ الأَبْطَالِ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ مَا أَحْسَنَهَا اسْتِعَارَةً وَمَا أَجْمَعَهَا لِمَحَاسِنِ النُّكَتِ الْمُلَائِمَةِ.

وَفَاعِلُ **(يَجُرُّ)** تَقَدَّمَ أَنَّهُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الدِّينِ.

وَفَاعِلُ **(يَرْمِي)** يَعُودُ عَلَى لَفْظِ **(يَجُرُّ)**، وَيَصْلُحُ عَوْدُهُ عَلَى **(خَمِيسٍ)**، وَهٰذَا كُلُّهُ نَوْعٌ مِنَ الْمَجَازِ الإِسْنَادِيِّ. وَيَصْلُحُ أَنْ يَعْمَلَ فِي الظَّرْفِ الَّذِي هُوَ **(فَوْقَ)** قَوْلُهُ: **(يَجُرُّ)**. وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ نَعْتاً لِـ **(خَمِيسٍ)**. وَعَلَى الأَوَّلِ أَوِ الثَّانِي فِيهِ التَّجْرِيدُ، لأَنَّ **(الْخَمِيسَ)** اسْمُ الْعَسْكَرِ الشَّامِلِ لِلْخَيْلِ وَرُكَّابِهَا، وَلَمَّا قَالَ: **(فَوْقَ سَابِحَةٍ)** تَعَيَّنَ كَوْنُهُ لِلرَّاكِبِينَ، إِذْ هُمُ الْكَائِنُونَ فَوْقَ السَّابِحَةِ.

وَ**(يَرْمِي)** عَلَى كَوْنِ **(فَوْقَ)** نَعْتاً يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، لأَنَّ الْحَالَ قَدْ وُصِفَ وَإِذَا وُصِفَتِ النَّكِرَةُ صَحَّ وُقُوعُ الْحَالِ مِنْهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: وَكَيْفَ يَصِحُّ وُقُوعُ الْحَالِ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ؟

قُلْتُ: لأَنَّ الْمُضَافَ كَجُزْئِهِ، أَوْ جُزْؤُهُ حَقِيقَةً، أَوْ تَعَلَّقَ **(الْمَوْجُ)** بِـ **(يَرْمِي)**، وَ**(مِنَ الأَبْطَالِ)** فِي مَوْضِعِ النَّعْتِ لِـ **(مَوْجٍ)**، وَ**(مِنْ)** لِبَيَانِ الْجِنْسِ.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، وَالتَّجْرِيدُ، وَالإِرْصَادُ، فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ قَافِيَةَ الْقَصِيدَةِ مِيماً أَيْقَنَ أَنَّ بَعْدَ قَوْلِهِ: **(بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ)** أَنَّ التَّمَامَ **(مُلْتَطِمٍ)**، لأَنَّهَا الصِّفَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي وَصْفِ الْمَوْجِ وَإِلَّا فَلَفْظُ **(مُزْدَحِمٍ)** وَ**(مُلْتَئِمٍ)** يَدْخُلُ فِي الْوَزْنِ لٰكِنْ غَيْرُ مُلَائِمٍ، وَلِذَلِكَ حَكَمْنَا بِالإِرْصَادِ فِي **(مُلْتَطِمٍ)**.



135 ـ قَالَ:

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّٰهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ[1]

شرح: **(الْمُنْتَدِبُ)**: الْخَفِيفُ السَّرِيعُ الإِجَابَةِ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ حَرَكَتُهُ لِنَفْسِهِ، بَلْ قَصْدَ الْقُرْبَةِ. يُقَالُ: رَجُلٌ نَدِيبٌ، أَيْ: خَفِيفٌ. وَالْمُنْدِبُ أَيْضاً: الْمُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ. وَ**(مُنْتَدِبٌ)**: اسْمُ فَاعِلٍ مِنِ انْتَدَبَ. وَيَصِحُّ كَوْنُهُ مُطَاوِعاً لِنَدَبَ.

وَ**(الْمُحْتَسِبُ)**: مَنْ أَعَدَّ عَمَلاً وَقَدَّمَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ﷻ. وَهُمَا وَصْفَانِ فِي الأَصْلِ جَرَيَا مَجْرَى الأَسْمَاءِ الْمَتْبُوعَةِ حَتَّى عُومِلَا مُعَامَلَتَهُمَا، وَلَا سِيَّمَا وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَحْذُوفِ وَهُوَ قَوْلُهُ: **(مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ)**: مِنْ كُلِّ بَطَلٍ مُنْتَدِبٍ.

[272]// وَ**(يَسْطُو)**: يَقْهَرُ عَدُوَّهُ بِالْبَطْشِ وَالشِّدَّةِ.

وَ**(الْمُسْتَأْصِلُ)**: صِفَةٌ أَيْضاً، أَيْ: بِسَيْفٍ مُسْتَأْصِلٍ. وَ**(الْمُسْتَأْصِلُ)**: الشَّدِيدُ الْقَطْعِ، الآتِي عَلَى أَصْلِ مَا أُرِيدَتْ إِزَالَتُهُ، يَسْتَأْصِلُ مَا وُضِعَ عَلَيْهِ طَلَباً لِقَطْعِهِ، حَتَّى لَا يَفْتَقِرَ إِلَى إِعَادَةٍ ثَانِيَةٍ فِي قَطْعِهِ. وَفَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِالْقَلَّاعِ. يُقَالُ: اسْتَأْصَلَ الشَّيْءَ: إِذَا قَلَعَهُ مِنْ أَصْلِهِ. وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْلِ قَبْلَهُ. جَعَلَهُ ـ لَمَّا كَانَ يَقْطَعُ الرِّقَابَ ـ الْمُسْتَلْزِمَ إِخْرَاجَ الأَرْوَاحِ مِنْ أَشْبَاحِهَا كَقَالِعِ الشَّيْءِ مِنْ أَصْلِهِ، إِذْ لَا يُبْقِي خِلْفَةً وَلَا مَا يُلَقَّحُ بَعْدَ عَضْدٍ.

وَ**(الْمُصْطَلِمُ)**: يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَطْعِ أَيْضاً، إِلَّا أَنَّهُ كَالتَّتْمِيمِ لِلْمُسْتَأْصِلِ، لأَنَّ اسْتَأْصَلَ الشَّيْءَ أَيْ: أَزَالَهُ. وَاصْطَلَمَهُ، أَيْ: قَطَعَهُ بِسُرْعَةٍ. فَالاسْتِئْصَالُ بِقَطْعِ مَادَّتِهِ وَالاصْطِلَامُ لَحَدِّ آلَتِهِ. وَقَدْ يُقَالُ فِي الْمَقْطُوعِ الأُذُنَيْنِ مُصْطَلَمٌ بِفَتْحِ

---

(1) الديوان: 198.

الَّلامِ، فَهُوَ وَإِنْ كَانَ [كَالْمُتَرَادِفِ][1] مَعَ مَا قَبْلَهُ فِيهِ شَيْءٌ مَا مِنْ إِثْبَاتِ خُصُوصِيَّةٍ زَائِدَةٍ.

وَالتَّتْمِيمُ: وَمِنَ التَّتْمِيمِ نَوْعٌ يُسَمَّى بِالاحْتِرَاسِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ. وَيُقَالُ فِي بَعْضِ ضُرُوبِهِ: الاحْتِيَاطُ: وَهُوَ أَنْ يُحَاوِلَ الشَّاعِرُ شَيْئاً يُحَسِّنُ بِهِ مَقَالَهُ وَيُتَمِّمُ بِهِ حُسْنَهُ، وَقَدْ يَكُونُ بِالْمُتَرَادِفَيْنِ كَمَا هُنَا، قَالَ الشَّاعِرُ: (كامل)

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ... صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي[2]

فَقَوْلُهُ: (غَيْرَ مُفْسِدِهَا) تَتْمِيمٌ لِقَوْلِهِ: (فَسَقَى دِيَارَكِ)، لأَنَّ بَعْضَ السَّقْيِ قَدْ يَكُونُ فِيهِ إِفْسَادٌ لِمَا سُقِيَ فَقَالَ: (غَيْرَ مُفْسِدِهَا)، فَهُوَ تَتْمِيمٌ لِلْمَعْنَى وَاحْتِرَاسٌ لِلدِّيَارِ[3]. وَكَذَا قَوْلُهُ: (صَوْبُ الرَّبِيعِ). وَ(دِيمَةٌ): الْقَطْرُ.

وَلَمَّا قَالَ: (**مُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ**) فَتَمَّمَ الْمَعْنَى بِـ (**مُصْطَلِمٍ**)، إِذْ فِيهِ زِيَادَةُ سُرْعَةِ الاسْتِئْصَالِ.

وَفِي الْبَيْتِ: نَوْعٌ مِنَ التَّرْصِيعِ بِقَوْلِهِ: (**مُنْتَدِبٍ**) (**مُحْتَسِبٍ**).

وَفِيهِ: مُقَابَلَةٌ بَيْنَ الآلَةِ وَذِي الآلَةِ.

وَفِيهِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِجَمْعِهِ بَيْنَ (**الْمُحْتَسِبِ وَالْمُنْتَدِبِ وَالْمُسْتَأْصِلِ وَالْمُصْطَلِمِ**).

وَفِيهِ: الْمَذْهَبُ الْكَلامِيُّ، إِذْ جَعَلَ الاحْتِسَابَ تَقَرُّباً لِوَجْهِ اللهِ ﷻ.

وَفِي عَدِّهِ مِنَ الْجِنَاسِ لاجْتِمَاعِ (**مُحْتَسِبٍ**) وَ(**مُنْتَدِبٍ**) فِي الْبِنْيَةِ الْخُمَاسِيَّةِ وَفِي أَكْثَرِ الْحُرُوفِ. وَفِيهِ عِنْدَ الْبَيَانِيِّينَ كَلامٌ.

(1) في الأصل: «كالمتراف».
(2) البيت لطرفة في ديوانه: 146 «فسقى بلادك × صوب الغمام». شرح أشعار الهذليين: 1/ 178 «وبل الربيع». الديمة: المطر الدائم في لين. صوب الربيع: انصباب مطر الربيع. تهمي: تسيل وتسقط.
(3) الكلام في العمدة: 1/ 645 ـ 646.

وَيُسَمِّي الرُّمَّانِيُّ[1] هٰذَا النَّوْعَ مِنْ نَحْوِ (**مُحْتَسِبٍ**) وَ(**مُنْتَدِبٍ**) الْمُشَاكَلَةَ. وَالْمُشَاكَلَةُ عِنْدَهُ ضُرُوبٌ: مُشَاكَلَةٌ فِي اللَّفْظِ وَمُشَاكَلَةٌ فِي الْمَعْنَى. وَالْمُضَارَعَةُ عِنْدَهُ نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ: (وافر)

فَإِنْ حَلُّوا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ ... وَإِنْ رَحَلُوا فَلَيْسَ لَهُمْ مَفَرُّ[2]



(1) النكت في إعجاز القرآن: 98.
(2) البيت بدون نسبة في: العمدة: 1/ 556 «إن فروا». المنزع البديع: 54 «إن كروا». خزانة الأدب: 1/ 69.

136 ـ قَالَ:

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَهْيَ بِهِمْ   مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ[1]

شرح: (**غَدَا**): يَكُونُ بِمَعْنَى: صَارَ، وَبِمَعْنَى: أَصْبَحَ. يُقَالُ: غَدَا إِلَى كَذَا، أَيْ: أَصْبَحَ إِلَيْهِ. وَغَدَا يَفْعَلُ كَذَا غَدْواً وَغُدُوّاً. وَيَصِحُّ تَفْسِيرُ (**غَدَتْ**) هُنَا بِمَعْنَى: صَارَتْ، وَهُوَ أَقْعَدُ، وَيَكُونُ مَعْنَاهَا أَيْضاً مُتَمَكِّنُ الْمَعْنَى. وَأَمَّا (**غَذَا**) بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ غَذَاءً، أَيْ: أَطْعَمَ. وَأَلْفَاظٌ مِنْهُ بِمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ تَرَكْنَاهَا خَشْيَةَ التَّطْوِيلِ.

وَ(**مِلَّةُ الإِسْلَامِ**): دِينُ الإِسْلَامِ. وَ(**المِلَّةُ**): مَأْخُوذَةٌ مِنَ الإِمْلَالِ عَلَى الْكَاتِبِ، أَيْ: يَذْكُرُ لَهُ مَا يَكْتُبُ. فَإِنَّ الْمِلَّةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أُمُورٍ تُكْتَبُ. وَأَمَّا (**المُلَّةُ**) بِضَمِّ الْمِيمِ: فَهِيَ حَرَارَةٌ كَامِنَةٌ. وَمَلَلْتُ الْخُبْزَةَ مَلّاً: قَلَيْتُهَا عَلَى الْجَمْرِ. وَيَحْسُنُ اسْتِعَارَةُ مِلَّةِ الإِسْلَامِ مِنْهَا، لأَنَّ مِلَّةَ الإِسْلَامِ تَقْلِبُ أَهْلَ الأَهْوَاءِ وَالأَدْيَانِ السُّوءِ إِلَى دِينِ الإِسْلَامِ. وَمَلَّ الإِنْسَانُ مَلّاً: أَسْرَعَ. وَأَمَّا مَلِلَ بِكَسْرِ اللَّامِ الأُولَى مَلَلاً وَمَلَالاً فَمَعْنَاهُ: تَرَكْتُهُ. وَإِضَافَةُ الْمِلَّةِ إِلَى الإِسْلَامِ مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ، فَإِنَّ لَفْظَ الْمِلَّةِ يَصْدُقُ عَلَى كُلِّ دِينٍ، فَكَانَتْ كَالْجِنْسِ [إِذَا][2] أُضِيفَتْ إِلَى الإِسْلَامِ خَرَجَ مَا سِوَاهَا مِنَ الْمِلَلِ.

[273]// وَقَوْلُهُ: (**وَهْيَ**) رَاجِعٌ لِلْمِلَّةِ. (**بِهِمْ**): رَاجِعٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْبَيْتَانِ الْمُتَقَدِّمَانِ: إِمَّا (**الأَبْطَالُ**)، أَوْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ التَّفْصِيلُ بِـ(**الْمُحْتَسِبِ**) وَ(**الْمُنْتَدِبِ**).

وَ(**مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ**): خَبَرُ (**وَهْيَ**)، وَهِيَ جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ.

وَتَعَلَّقَ قَوْلُهُ: (**مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا**) بِـ(**مَوْصُولَةٌ**).

(1) الديوان: 198 «موصولة» خبر لغدت.

(2) لا توجد لفظة «إذا» في الأصل، ولعل الأنسب إثباتها.

وَ(**الغُرْبَةُ**): مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْبُعْدِ، يُقَالُ: غَرَبَ الرَّجُلُ غَرْباً وَغُرْبَةً: بَعُدَ. وَأَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَمَعْنَاهُ: غَابَتْ. وَيَصِحُّ أَخْذُ الْغُرْبَةِ مِنْهَا، لأَنَّ الْمِلَّةَ كَانَتْ قَبْلَ ظُهُورِ النَّبِيِّ ﷺ غَائِبَةً. وَأَمَّا غَرَابَةُ الْكَلِمَةِ فَغُمُوضُهَا. يُقَالُ: جَاءَ فُلَانٌ بِمَسْأَلَةٍ غَرِيبَةٍ، أَيْ: غَامِضَةٍ. وَهِيَ أَيْضاً قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ [الْمُتَقَدِّمَيْنِ][1] لِبُعْدِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الأَفْهَامِ، أَوْ [. . .][2] لِغُمُوضِهَا عَنْهَا، إِلَّا أَنَّ هٰذَا الْمَعْنَى لَا يَصْلُحُ لِلْمِلَّةِ، لأَنَّهَا سَهْلَةٌ سَمْحَاءُ، تَوَلَّى بَيَانَهَا لِلْخَلْقِ مُشَرِّعُهَا، فَلَا غُمُوضَ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ قَبْلُ بِقَوْلِهِ: (**لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَ الْعُقُولُ بِهِ**)[3]. وَأَمَّا غَرِبَتِ الْعَيْنُ غَرَباً بِفَتْحِ الرَّاءِ فِي الْمَصْدَرِ وَكَسْرِهَا فِي الْمَاضِي فَمَعْنَاهُ: وَرَمٌ مَا فِيهَا. وَلَهُ إِنْ كَانَ رُبَاعِيّاً مَعَانٍ. تَقُولُ: أَغْرَبَ صَاحِبُ شَعَرٍ مَا، أَيْ: ابْيَضَّتْ أَشْفَارُهُ. وَأَغْرَبَ: إِذَا أَتَى بِغَرِيبٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. وَأَغْرَبَ أَيْضاً: إِذَا اشْتَدَّ ضَحِكُهُ. وَأَغْرَبَ السِّقَاءُ: إِذَا مَلأَهُ. وَأَغْرَبَ الْحَوْضُ: إِذَا سَالَ مَاؤُهُ. وَأَغْرَبَ السَّاقِي: إِذَا أَكْثَرَ الْغَرَبَ بِفَتْحِ الْغَيْنِ وَالرَّاءِ، وَهُوَ الْمَاءُ بَيْنَ السَّدِّ وَالْحَوْضِ. وَأَغْرَبَ كُلُّ وَالِدٍ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ أَبْيَضُ. وَأَغْرَبَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ: إِذَا صَنَعَ بِهِ صَنِيعَةً. وَأَغْرَبَ الْقَوْمُ: إِذَا ارْتَحَلُوا.

وَفِي كَلَامِ النَّاظِمِ إِشَارَةٌ إِلَى عِظَمِ صِلَةِ الرَّحِمِ. وَ(**الصِّلَةُ**): الأُلْفَةُ وَالاجْتِمَاعُ. وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَا فِي صِلَةِ الأَرْحَامِ مِنَ الأَجْرِ، وَمَا جَاءَ فِيهِ مِنَ التَّحْضِيضِ، نَبَّهَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى ذٰلِكَ فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1]. وَالأَحَادِيثُ فِي ذٰلِكَ كَثِيرَةٌ، وَالْمَوْجُودَاتُ كُلُّهَا مُتَوَاصِلَةٌ يُعِينُ بَعْضُهَا بَعْضاً.

وَأَمَّا (**مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ**) فَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ

(1) في الأصل: «المتقدمة» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) كلمة لم أتبين معناها في الأصل.

(3) الديوان: 193.

خَبَرُ (**غدت**) [مَحْذُوفاً][1] دَلَّتْ عَلَيْهِ الْجُمْلَةُ. وَالتَّقْدِيرُ: حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَاصِلَةً لَهُمْ، وَهِيَ بِهِمْ مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ، أَوْ رَاكِنَةً إِلَيْهِمْ، أَوْ نَحْوِ ذٰلِكَ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ خَبَرُ (**غدت**) (**مكفولةً**) بِالنَّصْبِ وَ(**موصولةٌ**) بِالرَّفْعِ، فَتَكُونُ جُمْلَةً اعْتِرَاضِيَّةً دَخَلَتْ بَيْنَ الْخَبَرِ وَذِي الْخَبَرِ. وَيَصِحُّ إِقْحَامُ الْوَاوِ مِنْ قَوْلِهِ: (**وهي بهم**)، وَتَكُونُ الْجُمْلَةُ هِيَ الْخَبَرُ. وَيَصِحُّ مَعَ زِيَادَةِ الْوَاوِ كَوْنُ (**هيَ**) فَضْلاً وَ(**موصولةُ**) خَبَرٌ، وَ(**بهم**) مُقَدَّمٌ تَقْدِيرُهُ: حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ بِهِمْ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ (**هيَ**) مُبْتَدَأً، (**بهم**) خَبَرُهُ، فَيَكُونُ الْمَجْرُورُ تَامّاً، كَمَا تَقُولُ: أَنَا بِكَ، فَيَكُونُ (**موصولة**) خَبَرَ غَدَا، فَيَكُونُ لِلْمِلَّةِ حَالَانِ بَلْ ثَلَاثَةٌ: حَالَةٌ وُصِفَتْ بِالْغَيْبَةِ إِنْ حَمَلْنَا الْغُرْبَةَ عَلَى الْغَيْبَةِ أَوْ عَلَى الْبُعْدِ. وَحَالَةُ ضُعْفٍ: وَذٰلِكَ بَعْدَ وُجُودِهَا بَادِيَ الأَمْرِ لَا سِيَّمَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ. وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ [وَأَصْحَابُهُ][2] يُذِلُّونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَلَقَّتْهُ الأَنْصَارُ بِالْقَبُولِ، وَصَلُوا غُرْبَتَهَا. وَذِكْرُ الْغُرْبَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ مِنَ الطِّبَاقِ.



(1) في الأصل: «م... وف».

(2) لا توجد عبارة «وأصحابه» في الأصل، ولعلها سقطت.

137 ـ قَالَ:

مَكْفُولَةً أَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ ... وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ[1]

شرح: هٰذَا مِنْ جُمْلَةِ مَا وَصَفَهُمْ بِهِ النَّاظِمُ مِنَ التَّوَاصُلِ لِلْمِلَّةِ وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا. وَلَمَّا ذَكَرَ أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ وُجُودِهِمْ غَرِيبَةً، وَأَنَّهُمْ وَصَلُوهَا، حَسُنَ إِظْهَارُ كَيْفِيَّةِ الصِّلَةِ، فَقَالَ: (**مكفولة**) [274]// وَ(**الكافل**): هُوَ الْمُنْفِقُ عَلَى مَنْ يَلِي عَنْهُ، وَالْمُرَبِّيَةِ، وَالْقَائِمُ بِحُقُوقِهِ كَافَّةً. وَلَمَّا كَانَتْ هٰذِهِ الْخِصَالُ الْمَحْمُودَةُ فِي مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِ مَكْفُولِهِ اسْتَعَارَ النَّاظِمُ الْكَفَالَةَ فِي حَقِّ نَاصِرِي الْمِلَّةِ. وَلَمَّا كَانَ لِلزَّوْجِ عَلَى زَوْجِهِ غَيْرَةٌ تَحْمِلُهُ عَلَى حِمَايَتِهَا مِنْ أَعْدَائِهَا، وَبَذْلِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ فِي حَقِّهَا لِمَا يَخُصُّهَا فِي نَفْسِهَا، وَمَا يَمْنَعُهَا مِنْ عِدَاتِهَا، جَمَعَ مَعَ الْكَفَالَةِ حَارِساً[2] آخَرَ فَقَالَ: كَانَتْ غَرِيبَةً فَمَنَّ اللهُ عَلَيْهَا بِحَافِظَيْنِ: كَافِلٌ وَبَعْلٌ، وَكَانَ أَفْضَلُ الْكُفَلَاءِ الأَبُ، ذَكَرَ أَنَّ كَافِلَهَا أَبٌ، وَالآبَاءُ تَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُهُمْ فِي الْحَنَانَةِ وَالشَّفَقَةِ، فَجَعَلَهُ خَيْرَ أَبٍ. وَالأَزْوَاجُ كَذٰلِكَ تَتَفَاوَتُ أَحْوَالُهُمْ فِي الْعِشْرَةِ فَجَعَلَهُ خَيْرَ بَعْلٍ.

وَقَوْلُهُ: (**فلم تيتم**) إِشْعَاراً بِطُولِ مُدَّةِ بَقَاءِ الأَبِ. وَكَذَا فِي قَوْلِهِ: (**ولم تئم**)، لأَنَّ مَنْ فَقَدَ أَبَاهُ أَدْرَكَتْهُ كَآبَةٌ، وَذَاتُ الزَّوْجِ إِنْ تَأَيَّمَتْ أَدْرَكَهَا صَغَارٌ وَذِلَّةٌ وَنَقْصٌ مِمَّا تَعَوَّدَتْ، فَتَمَّتْ لَهُ رَحِمَهُ اللهُ الاسْتِعَارَةُ عَلَى أَكْمَلِ غَايَةٍ.

وَالْمَعْنَى فِي الْحَقِيقَةِ: فَخَيْرُ أَبٍ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَنَّهُ هُوَ مَظْهَرُ أَحْكَامِ هٰذِهِ الْمِلَّةِ، وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا شُرُوطَهَا، وَدَخَلُوا مُلْتَزِمِينَ حِفْظَهَا عَلَى مَا يُرْضِي أَبَاهَا كَنَى عَنْهُمْ بِخَيْرِ زَوْجٍ، أَيْ: هٰذَا الْجِنْسُ التَّابِعُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي

(1) الديوان: 198.

(2) في الأصل: «حارس».

أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ هُوَ خَيْرُ قَائِمٍ فِي حَقِّ مَنِ اسْتَنَدَ إِلَيْهِ، وَطُلِبَتْ مِنْهُ نُصْرَتُهُ.

وَلَيْسَ قَوْلُ النَّاظِمِ: **(أَبَداً)** بِحَشْوٍ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى الْبَيْتِ، لأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الآبَاءِ أَنْ يَنْقَرِضُوا وَيَتْرُكُوا الأَبْنَاءَ، فَتَنَالُهُمْ[1] **ذِلَّةُ** الْيُتْمِ، وَالْكَافِلُونَ قَدْ يُخْرِجُوا الْمَكْفُولَ مِنَ الْكَفَالَةِ إِذَا أُنِسَ مِنْهُ الرُّشْدُ. قَالَ النَّاظِمُ: **(أَبَداً)**، هٰذَانِ الْغَرَضَانِ اللَّذَانِ يَحْدُثَانِ غَالِباً فِي الْمَكْفُولِ مَعْدُومَانِ فِي هٰذِهِ الْكَفَالَةِ.

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: **(مِنْهُمْ)** رَاجِعٌ لِلصَّحَابَةِ وَمَصْحُوبِهِمْ وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَ**(مِنْ)** فِي قَوْلِهِ: **(مِنْهُمْ)** بِمَعْنَى الْبَاءِ، أَيْ: بِهِمْ، كَمَا أَنَّ **(الْبَاءَ)** تَأْتِي بِمَعْنَى (مِنْ)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الإنسان: 6، المطففين: 28]، أَيْ: مِنْهَا.

وَ**(الْيُتْمُ)** مِنْ قِبَلِ الأَبِ فِي الآدَمِيِّينَ لَا مِنْ قِبَلِ الأُمِّ. وَقَدْ قِيلَ أَيْضاً: إِنَّ مَنْ عَدِمَ أُمَّهُ يَتِيمٌ وَالأَوَّلُ أَكْثَرُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ.

وَ**(الأَيِّمُ)**: الَّتِي عَرِيَتْ عَنِ الزَّوْجِ وَبَقِيَتْ عَاطِلَةً عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ: إِنَّهَا الَّتِي فَقَدَتْ زَوْجَهَا، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ قَوْلُهُ ﷺ: «الأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا»[2]؛ إِذْ لَوْ كَانَ عَلَى كُلِّ مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ يَلْزَمُ ذٰلِكَ فِي الْبِكْرِ ذَاتِ الْمُجْبِرِ.

وَالْجَمْعُ بَيْنَ الأَبِ وَالْبَعْلِ مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

وَفِيهِ: مِنْ أَنْوَاعِ الْمُبَالَغَةِ (التَّجْرِيدُ): وَهُوَ أَنْ يُبَالِغَ فِي صِفَةٍ حَتَّى يَجْعَلَهَا كَأَنَّهَا مِنَ الْمَوْصُوفِ وَإِنْ كَانَتْ لِعَيْنِ الْمَوْصُوفِ عَلَى اسْتِنَادِ تِلْكَ الصِّفَةِ إِلَيْهِ وَهُوَ مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ

---

(1) في الأصل: «فينالهم».

(2) مسلم: 2/ 1028. «الثيب أحق بنفسها». الترمذي: 2/ 287، النسائي: 6/ 85 «أولى بأمرها»، أبو داود: 2/ 232، ابن ماجه: 1/ 601 «الأيم أولى بنفسها»، كشف الخفاء: 1/ 327.

يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]، ظَاهِرُ الآيَةِ أَنَّ الْيُسْرَ مِنْ أَمْرِهِ، فَكَأَنَّ الأَمْرَ جَعَلَ لَهُ الْيُسْرَ.

وَفِي الْبَيْتِ أَيْضاً: الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ: فَلأَنَّ فِي قَوْلِهِ: **(فَلَمْ تَيْتَمْ)** وَ**(لَمْ تَئِمْ)** هُوَ الْمُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، لأَنَّ مِنْ لَوَازِمِ وُجُودِ الأَبِ الْحِفْظُ، وَمِنْ لَوَازِمِ وُجُودِ الزَّوْجِ الْعِصْمَةُ الْمَمْلُوكَةُ بِيَدِ الْبَعْلِ. وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاظِمُ الزَّوْجَ بِغَيْرِ تَاءٍ أَوْ بِتَاءٍ لِلاشْتِرَاكِ الَّذِي فِيهِ، إِذْ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى، فَجَاءَ بِلَفْظِ **(الْبَعْلِ)** ولأَنَّهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ فِي الأَزْوَاجِ الذُّكُورِ، قَالَ اللهُ الْعَظِيمُ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: 228].

وَفِي الْبَيْتِ: الانْتِهَاءُ، وَذٰلِكَ أَنَّ مَا وَرَاءَ الأَبِ فِي الْحِفْظِ غَايَةٌ، وَلَا وَرَاءَ الزَّوْجِ فِي الْغَيْرَةِ وَالْحِمَايَةِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ[1]

أَيْ: اسْتَظْهَرْتُ [275]// عَلَى صِدْقِي بِيَمِينِي لَكَ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَى، لأَنِّي لَوْ لَمْ أَحْلِفْ لاتَّهَمْتَنِي بِالْكَذِبِ، وَلَمَّا حَلَفْتُ لَكَ بِاسْمِ اللهِ ﷻ وَلَا وَرَاءَ ذٰلِكَ فِي مَا يُسْتَبْرَأُ بِهِ أَمْرُ الْمُخْبِرِ مَطْلَبٌ وَلَا مَذْهَبٌ.

وَ**(أَبَداً)**: ظَرْفُ زَمَانٍ تَقْتَضِي اسْتِمْرَارَ بَقَاءِ مَا هُوَ لَهُ ظَرْفٌ، وَالْعَامِلُ فِيهِ مَا فِي **(مَكْفُولَةٌ)** مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ.



---

(1) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه: 55، تحرير التحبير: 121 «النفسي»، الإيضاح: 517، الخزانة: 9/ 466 «مطلب»، تفسير القرطبي: 4/ 17.

رواية: «وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع»، التنبيهات 139 قال: وليس الوراء من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة، وإنما الوراء ما توارى عنك واستتر. قال النابغة: (البيت) أي ليس بعد مذهب الله للمرء مذهب. وقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: من بعد ذلك».

138 ـ قَالَ:

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ   مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ[1]

شرح: الْعَرَبُ تَسْتَعِيرُ لَفْظَ (**الْجَبَلِ**) لِلشُّجَاعِ وَالرَّئِيسِ الْمَنَّاعِ. فَأَمَّا الشُّجَاعُ فَإِنَّهُ شُبِّهَ بِالْجَبَلِ، لأَنَّهُ لَا يُوَلِّي الدُّبُرَ، وَلَا [يُزَحْزِحُهُ][2] الدَّافِعُونَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّهُ حِصْنٌ مَنْ آوَى إِلَيْهِ وَمَنَعَةٌ لِمَنِ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا جِبَالاً بِالْوَصْفَيْنِ مَعاً.

وَظَاهِرُ كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّهُ إِنَّمَا مَثَّلَهُمْ بِذٰلِكَ لِثَبَاتِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: (**فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ**) مَعْنَاهُ: سَلْ عَنْ هٰذَا الَّذِي وَصَفْتُهُمْ بِهِ، أَوْ سَلْ عَنْهُمْ مَنْ قَاتَلُوهُ يُخْبِرْكُمْ عَمَّا وَصَفْتُهُمْ بِهِ.

وَ(**الْمُصَادِمُ**): الْمُقَاتِلُ. وَكَانَ لَفْظُ (**الْمُصَادِمِ**) أَقْعَدَ فِي هٰذَا الْمَوْضِعِ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَصَدَّى لِقِتَالِهِمْ إِلَّا مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ قَوْمُهُ الشِّدَّةَ وَالنَّجْدَةَ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَعِبَتْ أَقْدَامُهُمْ مَعَ الصَّحَابَةِ فِي حَرْبِهِمْ، لِثَبَاتِهِمْ، وَقُوَّةِ بَطْشِهِمْ بِأَعْدَائِهِمْ. وَ(**الْمُصَادِمُ**): اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ صَادَمَ. وَفِي ذِكْرِ الْمُصَادَمَةِ الْمُقَاتَلَةُ بِضَرْبٍ مِنْ قُوَّةِ الزَّحْفِ وَالْمُلَاحَقَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ اسْمُ جِنْسٍ، وَلِذٰلِكَ أَفْرَدَهُ.

وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ: (**مَصَادِمَهُمْ**) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالصَّادِ، فَهُوَ مَوْضِعُ الصِّدَامِ. وَ(**الْمَصَادِمُ**): جَمْعُ مَصْدَمٍ، مَفْعَلٍ مِنَ الْمُصَادَمَةِ، فَعَلَى رِوَايَةِ ضَمِّ الْمِيمِ: مَاذَا رَأَى؟ بِإِفْرَادِ فَاعِلِ رَأَى. وَعَلَى رِوَايَةِ فَتْحِ الْمِيمِ: مَاذَا رَأَوْا؟ يَعْنِي الْكَفَرَةَ [الَّذِينَ][3] صَادَمَتْهُمُ الصَّحَابَةُ. وَالضَّمِيرُ عَلَى الرِّوَايَةِ الأُولَى مِنْ (**مُصَادِمَهُمْ**)

(1) الديوان: 198.

(2) في الأصل: «تزحزحزه» ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) في الأصل: «الذي» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

عَائِدٌ عَلَى الصَّحَابَةِ، وَمِنَ الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى الْكُلِّ، أَوْ عَلَى مَنْ عَنَى مِنَ الْفَرِيقَيْنِ.

لَا يُقَالُ: وَكَيْفَ تُسْأَلُ أَمَاكِنُ الْحَرْبِ عَنْ حَرْبِ الْمُقَاتِلِينَ؟

قُلْتُ: هٰذِهِ مُبَالَغَةٌ ارْتَكَبَتْهَا الْعَرَبُ وَكَنَتْ بِهَا، حَتَّى إِنَّهُمْ مِنِ اسْتِعْظَامِ مَا وَقَعَ بِالْكَفَرَةِ فِي تِلْكَ الأَمَاكِنِ حَتَّى اسْتَشْهَدَ بِهَا مُبَالَغَةً، أَيْ: لَوْ نَطَقَتْ لأَجَابَتْ بِشِدَّةِ مَا لَاقَوْا مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَفِي (**مَاذَا**) وَجْهَانِ: يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ (**ذَا**) مَعَ (**مَا**) الاسْتِفْهَامِيَّةِ خَبَراً عَنْهَا، وَ(**ذَا**) مَوْصُولٌ صِلَتُهُ مَا بَعْدَهُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ (**مَاذَا**) بِكُلِّيَتِهِ اسْماً وَاحِداً وَ(**ذَا**) الإِشَارِيَّةُ.

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: سَلْ عَنْهُمْ مُؤَرِّخَ مَصَادِمِهِمْ، فَعَلَى إِفْرَادِ الْمَصَادِمِ يَكُونُ فِيهِ الضُّعْفُ مِنْ وَجْهَيْنِ: فَإِنَّ الْمُؤَرِّخَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِ الْحَاضِرِينَ وَلَا عِيَانَ عِنْدَهُ، أَوْ مِنَ الْحَاضِرِينَ وَهِيَ شَهَادَةٌ لِنَفْسِهِ. وَأَيْضاً فَإِنَّ الْبَلَاغَةَ بِسُؤَالِ الأَمَاكِنِ أَوْقَعُ فِي النَّفْسِ وَأَبْلَغُ. وَقَدِ اسْتَنْطَقَتِ الْعَرَبُ الدِّيَارَ وَالْجِبَالَ وَالْجِمَالَ، وَعَمِلَ ذٰلِكَ الْمُوَلصدُونَ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ: (طويل)

سَلُوا النُّوقَ عَنْ وَادِي الْعَقِيقِ وَعَنْ نَجْدِ   لِتُخْبِرَ عَمَّا لَاحَ مِنْ ذٰلِكَ الْمَجْدِ[1]

وَعَنْ بَارِقٍ بِالأَجْرِ عَيْنٌ وَحَاجِرٌ   سَرَى فَشَرَى فِي ذٰلِكَ الطَّلْحِ وَالرَّنْدِ

سَلُوهَا عَنِ الدَّرْبِ الْحِجَازِيِّ أَنَّهَا   لَهُ كُلَّ عَامٍ تَطْلُبُ الْجِدَّ بِالْجِدِّ

وَيَدُلُّكَ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ إِضْمَارَ سَابِقٍ وَلَا حَادٍ أَنَّهُ يَقُولُ بَعْدُ: (طويل)

لَا سَقَيْتُهَا حِفْظاً لَهَا مَاءَ مُهْجَتِي   وَأَبْسُطُ إِجْلَالاً لأَخْفَافِهَا خُودِي[2]

(1) وادي العقيق: العقيق: مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه. وفي بلاد العرب أربعة أعقة. معجم البلدان: 4/ 138 ـ 140.

(2) المهجة: دم القلب، والمهج: النفوس، مهجة كل شيء: خالصه. ل/ مهج. الأخفاف: الحذاء.

وَ(مَا) عَلَى أَنَّهَا مَعَ (ذَا) اسْماً وَاحِداً فَهِيَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ. وَإِلَّا فَـ (مَا) مُبْتَدَأٌ، (ذَا) خَبَرُهُ، وَمَا بَعْدَهُ صِلَةٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَعَائِدُهُ مَحْذُوفٌ [276]// لِأَنَّهُ ضَمِيرٌ مَنْصُوبٌ مُتَّصِلٌ.

وَ(سَلْ) أَمْرٌ مِنْ سَالَ بِمَعْنَى: سَأَلَ، وَهُمَا لُغَتَانِ، وَقُرِأَ بِهِمَا: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [المعارج: 1].

وَفِي الْبَيْتِ: التَّذْبِيجُ: وَهُوَ أَنْ تُحَضِّضَ عَلَى السُّؤَالِ لِتَحْقِيقِ مَا أَخْبَرْتَ بِهِ. وَمَعْنَاهُ: فَاخْتَبِرْ بُرْهَانَ مَا قَرَّرْتُ لَكَ.



139 ـ قَالَ:

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً ... فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الْوَخَمِ(1)

شرح: أَمَّا عَلَى رِوَايَةِ ضَمِّ الْمِيمِ فِي: (**مُصَادِمَهُمْ**) فَلَا تَكْرَارَ. وَإِنْ كَانَ عَلَى رِوَايَةِ فَتْحِ الْمِيمِ يَكُونُ هٰذَا مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ؛ لِأَنَّ حُنَيْناً وَبَدْراً وَأُحُداً بَعْضُ الْمَصَادِمِ، لٰكِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِهَا.

أَمَّا غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى: كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَقْبَلَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَنَفَرَ النَّاسُ طَالِبِيهِ فِي قَوْمٍ قِلَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَبَلَغَ الْخَبَرُ أَبَا سُفْيَانَ، فَبَعَثَ إِلَى قُرَيْشٍ بِالْعَزْمِ أَنْ يُبَادِرُوهُ، فَجَاؤُوا مُسْرِعِينَ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ عُظَمَائِهِمْ. وَكَانَ حَامِلَ لِوَائِهِ الْمُكَرَّمِ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ(2)، وَهُوَ اللِّوَاءُ الأَبْيَضُ. وَالرَّايَةُ الْعُقَابُ السَّوْدَاءُ كَانَتْ بِيَدِ عَلِيٍّ ؓ. وَمَعَ الأَنْصَارِ رَايَةٌ أُخْرَى. وَبَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ وَعَدَهُ إِحْدَى الْجَمَاعَتَيْنِ: إِمَّا الْعِيرَ أَوِ النَّفِيرَ. فَلَمَّا وَصَلَ ﷺ بَدْراً وَجَدَ قُرَيْشاً بِمَقْرُبَةٍ مِنْهُ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى(3) وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا. وَحَازَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمِيَاهِ. وَكَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ ثُلُثَ عَدَدِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَنَيِّفاً قَلِيلاً، وَهُمْ أَلْفٌ غَيْرَ شَيْءٍ قَلِيلٍ. وَكَانَ فِي جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ خَمْسُونَ فَرَساً، وَلَيْسَ فِي جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا فَرَسَانِ. أَيَّدَ اللهُ نَبِيَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ الْمُسَوَّمِينَ، فَقُتِلَ

(1) الديوان: 198.

(2) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي من بني عبد الدار، صحابي شجاع، أول من جمع الجمعة بالمدينة. ترجمته في: الحلية: 1/ 106، الصفوة: 1/ 152، أسد الغابة: 48368، الإصابة: 4/ 800، الأعلام: 1/ 248.

(3) في اللسان: العدوة: المكان المتباعد، والعدوة والعدوة: شاطئ الوادي. والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة.

أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ بَعْدَ أَنْ حُذِفَتْ رِجْلُهُ وَجَاءَ يَزْحَفُ، حَذَفَهَا مُعَاذٌ[1] وَتَمَّمَ عَلَيْهِ مُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ[2]، فَكَانَ يَوْمُهُمْ ذَاكَ يَوْماً عَسِيراً عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَتَلَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ.

وَوَقَعَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِبَنِي سُلَيْمٍ[3] وَغَزْوَةِ السَّوِيقِ[4]. وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ، ثُمَّ غَزَا ﷺ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ نَجْداً[5] يُرِيدُ غَطَفَانَ[6] فِي شَهْرِ صَفَرٍ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى نَجْرَانَ[7]، وَفِي هٰذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ[8].

وَبَعْدَ هٰذَا كَانَتْ غَزَاةُ أُحُدٍ، وَفِيهَا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ فِي شَوَّالٍ مِنْ تِلْكَ

---

(1) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمان، صحابي، أعلم الأمة بالحلال والحرام. ترجمته في: (الحلية: 1/ 228، الصفوة: 1/ 195، أسد الغابة: 4/ 376).

(2) هو معوذ بن الحارث بن رفاعة بن عفراء، شهد العقبة. ترجمته في: (الاستيعاب: 4/ 1442، أسد الغابة: 5/ 240، الإصابة: 4/ 265، سير النبلاء: 2/ 359).

(3) بنو سليم: قبيلة عظيمة من قيس بن غيلان تنسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة، منازلهم من غالبية نجد بالقرب من خيبر. ينظر: جمهرة الأنساب: 261 ـ 264، الاشتقاق: 187، معجم ما استعجم: 1/ 100، معجم قبائل العرب: 2/ 543 ـ 546.

(4) غزوة السويق: كانت بعد غزوة بدر لكبرى كانت لخمس خلون من ذي الحجة. غاب فيها رسول الله ﷺ خمسة أيام. وكان أكثر أزوادهم السويق وهو ما يتخذ من الحنطة والشعير المطحون المقلي. ابن هشام: 2/ 136.

(5) نجد: بفتح أوله وسكون ثانيه، موضع باليمن، وهو ضد تهامة. معجم ما استعجم: 4/ 1298.

(6) غطفان: حي من قيس بن غيلان، وغطفان هو غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان. معجم القبائل: 3/ 142.

(7) نجران: موضع باليمن من ناحية مكة، وسمي بذلك نسبة إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يجشب بن يعرب. معجم القبائل: 3/ 264.

(8) هو كعب بن الأشرف الطائي. دان باليهودية، وكان سيدا في أخواله، أدرك الإسلام ولم يسلم، أكثر من هجو النبي ﷺ، فأمر بقتله فقتله خمسة من الأنصار. ترجمته في: (تاريخ الطبري: 3/ 2، إمتاع الأسماع: 1/ 107، المحبر: 117، الأعلام: 5/ 225).

السَّنَةِ. خَرَجَ ﷺ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَهَمَّ بِمُلَاقَاةِ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي تِسْعِ مِائَةٍ. ثُمَّ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ غَدَرُوا وَرَجَعُوا بِثَلَاثِمِائَةٍ، وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسِتِّمِائَةٍ، وَأَجْلَسَ الرُّمَاةَ فِي تَرْعَةِ الْجَبَلِ يَسُدُّونَهَا، وَأَمَرَهُمْ ﷺ أَنْ لَا يَتَزَحْزَحُوا عَنْهَا. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَ الْقَوْمَ وَزَحْزَحَهُمْ، وَظَهَرَ فِيهِمُ الْفَشَلُ وَالْهَزِيمَةُ، فَهَمَّ الرُّمَاةُ بِالنُّزُولِ إِلَى الْغَنِيمَةِ، فَقَالَ الَّذِي كَانَ أَمِيراً عَلَيْهِمْ: أَتَعْصُونَ رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالُوا: الْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ. فَتَرَكُوا الثَّغْرَ خَالِياً، فَدَارَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِمِائَتَيْ فَارِسٍ، فَنَزَلَ مِنْ خَلْفِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانُوا مُتَنَاشِبِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَدَخَلَ الْخَلَلُ جَمْعَ الْمُسْلِمِينَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ أُنَاسٌ قَلَائِلُ حَمَلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَ[زَحْزَحُوهُمْ][1] عَنِ الْجَبَلِ وَقَتَلُوا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ نَفْساً.

وَأَمَّا غَزْوَةُ حُنَيْنٍ فَكَانَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، خَرَجَ ﷺ بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفٍ. وَكَانَتْ ثَقِيفُ وَهَوَازِنُ قَدْ كَمَنُوا لَهُ، فَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ مُتَأَمِّنِينَ، فَانْصَرَفُوا فِي نِيَّةِ أَحْوَالِهِمْ، فَخَرَجَتِ الْكَمَائِنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَحَمَلَ فِيهِمْ بِسَبْعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَظْهَرَ اللهُ لِلْخَلْقِ صَبْرَ نَبِيِّهِ ﷺ وَشِدَّتَهُ. ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا لِنَبِيِّهِمْ ﷺ حِينَ عَلِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ حَيّاً، فَأَخَذَ ﷺ كَفّاً مِنَ الْحَصَى وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَانْكَسَرُوا، فَقُتِلَ مَنْ [277]// قُتِلَ وَأُسِرَ مَنْ أُسِرَ.

وَلَمَّا كَانَتْ هٰذِهِ الْغَزَوَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ أَعْظَمِ مَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ، ذَكَرَهَا النَّاظِمُ، اثْنَانِ ظَهَرَ اللهُ فِيهَا لِلْقَوْمِ نَصْرُهُ، وَالأُخْرَى أَظْهَرَ اللهُ فِيهَا لَهُمْ نَصْرَ نَبِيِّهِ وَصَبْرَهُ.

وَقَوْلُهُ: **(وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً)**: زَعَمَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ هُنَا

---

(1) في الأصل: «زحزحهم».

عَلَى الْبَيْتِ أَنَّ مَعْنَاهُ: وَسَلْ مُؤَرِّخِي حُنَيْنٍ وَبَدْرٍ وَأُحُدٍ. وَلَيْسَ كَذٰلِكَ، بَلْ مَا قَصَدَ إِلَّا الْمَوَاقِعَ نَفْسَهَا، كَأَنَّهُ يَقُولُ عَلَى جِهَةِ الْمُبَالَغَةِ: سَلْ هٰذِهِ الأَمَاكِنَ، فَلَوْ كَانَتْ تَنْطِقُ لأَنْبَأَتْكَ بِالْعَجَبِ الْعُجَابِ، عَلَى حَسَبِ مَا أَسْلَفْنَاهُ مِنِ اسْتِنْطَاقِ الْجَمَادَاتِ.

وَقَوْلُهُ: (**فُصُولَ حَتْفٍ**) يَعْنِي: كَانَتْ وَقَائِعُ هٰذِهِ الأَمَاكِنِ الثَّلَاثِ لِلْمُشْرِكِينَ فُصُولَ مَوْتٍ.

وَقَوْلُهُ: (**أَدْهَى مِنَ الْوَخَمِ**) يَعْنِي: إِنَّ السَّيْفَ وَقَعَ فِيهِمْ، وَجَعَلَ اللهُ فِيهِمْ بِهِ أَعْظَمَ مَا يَقَعُ بِالْخَلْقِ مِنَ الْوَخَمِ.

وَ(**الْوَخَمُ**): هُوَ فَسَادُ الأَهْوِيَةِ حَتَّى يَخْلُقَ اللهُ فِي الْفَصْلِ بِسَبَبِ ذٰلِكَ مَوْتاً فِي الْخَلْقِ وَيَكُونُ الْوَبَاءُ بِكَثْرَةِ الدِّمَاءِ الْفَاسِدَةِ وَانْبِعَاثِهَا فِي الأَجْسَامِ، فَتَخْرُجُ لَهُمْ غُدَدٌ يَمُوتُونَ بَعْدَ خُرُوجِهَا. وَيَكُونُ أَيْضاً مِنْ تَعْفِينِ الدِّمَاءِ. هٰذَا كُلُّهُ عَلَى مَا يَزْعُمُ الأَطِبَّاءُ، وَالْكُلُّ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَى.

وَ(**الْحَتْفُ**): الْمَوْتُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي (**بَدْرٍ**)، فَقِيلَ: إِنَّهُ اسْمُ رَجُلٍ. قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ بَدْرُ بْنُ قُرَيْشِ بْنِ خَالِدِ بْنِ النَّضْرِ، الَّذِي سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ بِهِ. وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ بِئْرٍ حَفَرَهَا رَجُلٌ مِنْ غِفَارَ[1]، ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّارِ مِنْهُمْ اسْمُهُ بَدْرٌ[2].

وَ(**فُصُولَ**): بَدَلٌ مُجْمَلٌ مِنْ مُفَصَّلٍ، وَكَأَنَّهُ قَالَ: وَسَلْ أَمَاكِنَ صِدَامِهِمْ فُصُولَ. وَيَدُلُّكَ عَلَى صِحَّةِ الْبَدَلِيَّةِ أَنْ تُسْقِطَ الْمُبْدَلَ مِنْهُ، وَتَأْتِيَ بِالْبَدَلِ، فَيَصِحَّ الْكَلَامُ.

---

(1) غفار: بطن من كنانة من العدنانية، كانوا حول المدينة ومنازلهم بدر. ينظر: صبح الأعشى: 1/ 350، معجم القبائل: 3/ 890، نهاية الأرب: 2/ 351.

(2) ينظر الاختلاف في «بدر» في: معجم البلدان: 1/ 357.

«وَكَانَ مِمَّا وَقَعَ قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ أَنْ [مَرَّ][1] سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ[2] إِلَى مَكَّةَ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ يَنْزِلُ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ[3]، كَمَا أَنَّ أُمَيَّةَ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ يَنْزِلُ عَلَى سَعْدٍ. فَنَزَلَ سَعْدٌ مَرَّةً بَعْدَ الْهِجْرَةِ عَلَى أُمَيَّةَ، وَكَانَ دَخَلَ مُعْتَمِراً، فَقَالَ سَعْدٌ لِأُمَيَّةَ: أُرِيدُ وَقْتاً يَكُونُ فِيهِ الْحَرَمُ خَالِياً، أُرِيدُ أَنْ أَطُوفَ. فَاخْتَارَ لَهُ وَقْتاً بَعْدَ تَهْجِيرِ الشَّمْسِ عِنْدَ انْتِصَافِ النَّهَارِ. فَمَرَّ سَعْدٌ وَأُمَيَّةُ ـ وَكَانَ يُكْنَى أُمَيَّةُ بِأَبِي صَفْوَانَ ـ فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنِ الَّذِي مَعَكَ؟ قَالَ: سَعْدٌ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا سَعْدُ، أَرَاكَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ غَيْرَ مَخِيفٍ، وَقَدْ آوَيْتُمْ جَمْعَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابَهُ، وَعَزَمْتُمْ عَلَى نُصْرَتِهِ وَمَعُونَتِهِ، وَاللهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا عُدْتَ إِلَى أَهْلِكَ. فَأَجَابَهُ سَعْدٌ رَافِعاً صَوْتَهُ قَائِلاً لَهُ: وَاللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِيهَا لأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهَا: مُرُورَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ. فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ سَيِّدِ الْوَادِي. فَغَضِبَ سَعْدٌ لِكَلَامِ أُمَيَّةَ وَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ أَنَّهُمْ قَاتِلُوكَ. فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: أَبِمَكَّةَ أَمْ بِغَيْرِهَا؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي. فَرَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّ صَفْوَانَ أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ لِي: إِنَّهُمْ أَخْبَرَهُمْ مُحَمَّدٌ أَنَّهُمْ قَاتِلِي. قَالَتْ: وَاللهِ لَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ. فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللهِ لَا أَخْرُجُ مَكَّةَ. فَلَمَّا كَانَ أَمْرُ بَدْرٍ وَاسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، تَقَاعَسَ أُمَيَّةُ وَتَأَخَّرَ عَنِ الْخُرُوجِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: جَعَلْتَ بِتَأَخُّرِكَ لِلنَّاسِ سَبَباً فِي تَقَاعُسِهِمْ عَنِ

---

(1) لا توجد لفظة: «مر» في الأصل، ولعل الأنسب للمعنى إثباتها لدلالة السياق، وكذا في جميع الروايات.

(2) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسي الأنصاري، صحابي بطل، مات يوم الخندق. ترجمته في: (الصفوة: 1/ 180، الإصابة: 3197، الأعلام: 3/ 88).

(3) هو أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي، أحد جبابرة قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي عذب بلالاً. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فحرض الناس على قتله فقتلوه. ترجمته في: (ابن هشام: 2/ 52، عيون الأثر: 1/ 259، الأعلام: 2/ 22).

الْخُرُوجِ، فَإِنْ رَأَوْكَ جَلَسْتَ مَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ لأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي، فَهُمْ لَكَ تَبَعٌ فِي مَا تَفْعَلُ. فَقَالَ: جَبَّرُونِي أُمَّ صَفْوَانَ. فَقَالَتْ: أَنَسِيتَ مَقَالَةَ أَخِيكَ الْيَثْرِبِيِّ؟ [278]// فَقَالَ: مَا أَمْرُ مَعَهُمْ إِلَّا قَلِيلاً وَأَرْجِعُ. وَخَرَجَ مَعَ قُرَيْشٍ عَازِماً عَلَى الرُّجُوعِ، فَكَانَ كُلَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَنْبَتِرَ عَنْهُمْ أَمْسَكَهُ أَبُو جَهْلٍ وَشَنَّعَ عَلَيْهِ قُبْحَ الرُّجُوعِ. فَمَا زَالَ يَجُرُّهُ حَتَّى أَوْصَلَهُ مَوْضِعَ مَصْرَعِهِمَا»[1].

وَكَانَ لَمَّا بَلَغَ الْمُسْلِمُونَ بَدْراً وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ أَوَائِلُ الْمُشْرِكِينَ. وَكَانَ غُلَامُ [بَنِي الْحَجَّاجِ][2] مِمَّنْ وَرَدَ مَعَ السَّابِقِينَ إِلَيْهِمْ، فَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ وَفَدَ عَلَيْهِمْ أَوَائِلُ التُّجَّارِ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ فَسَأَلُوا الْغُلَامَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، قَالُوا: أَيْنَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ؟ قَالَ الْغُلَامُ: لَا عِلْمَ لِي بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلٰكِنْ هٰذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ. فَضَرَبُوهُ فَقَالَ: نَعَمْ هٰذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَأَمْسَكُوا عَنْ ضَرْبِهِ، فَإِذَا تَرَكُوا ضَرْبَهُ خَشِيَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ الْكَذِبُ، فَيَرْجِعُ إِلَى مَقَالَتِهِ الأُولَى، فَيَضْرِبُوهُ فَيَعُودُ إِلَى قَوْلِهِ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ لَهُمْ: «مَا لَكُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِذَا صَدَقَ ضَرَبْتُمُوهُ وَإِذَا كَذَبَ تَرَكْتُمُوهُ»[3].

ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَيِّنُ لَهُمْ أَمَاكِنَ، يَقُولُ لَهُمْ: «هٰذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ وَهٰذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ. قَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ»[4]. وَكَانَ ﷺ يَدْعُو، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْنِي مَا

(1) البخاري: 3/ 1328 و4/ 1453، مجمع الزوائد: 6/ 73، مسند الشاشي: 2/ 128، مسند البزار: 5/ 245، أحمد: 1/ 400، دلائل أبي نعيم: 1/ 117، فتح الباري: 7/ 441، و10/ 284، الخصائص: 1/ 197.

(2) في الأصل «غلام أبي الحجحاج» وفي سيرة ابن هشام: 1/ 616. «غلام بني الحجاج».

(3) ابن حبان: 11/ 25، مسند أبي عوانة: 4/ 283، مسند ابن أبي شيبة: 7/ 362.

(4) مسلم: 4/ 2202، النسائي: 4/ 109، ابن حبان: 14/ 423، أبو داود: 3/ 58، أحمد: 3/ 219، مغازي الواقدي: 47، كنز العمال: 10/ 392.

وَعَدْتَنِي»[1]، فَمَا قَالَ كَذٰلِكَ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ. وَكَانَ يَقُولُ وَهُوَ سَاجِدٌ دَعْوَةً أُخْرَى، يَقُولُ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[2]، مَا زَادَ عَلَى هٰذَيْنِ الدُّعَاءَيْنِ شَيْئاً حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ.

وَحُنَيْنٌ كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً عَنْ هَاتَيْنِ الْغَزْوَتَيْنِ. وَ[بَدْرٌ][3] هِيَ الأُولَى، وَأُحُدٌ بَعْدَ بَدْرٍ وَقَبْلَ حُنَيْنٍ. وَفِي أُحُدٍ كُسِرَتْ رُبَاعِيَتُهُ ﷺ، وَهُشِّمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَدَخَلَ بَعْضُ حِلَقِ الدِّرْعِ فِي خَدِّهِ ﷺ، قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ[4]: «وَرَأَيْتُ رَجُلَيْنِ يُقَاتِلَانِ عَلَيْهِ ﷺ، لَبِسَا ثِيَاباً بِيضاً، مَا عَرَفْتُهُمَا وَلَا رَأَيْتُهُمَا قَطُّ»[5].

وَكَانَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ صَرَخَ - إِبْلِيسُ - يَقُولُ: «مَاتَ مُحَمَّدٌ. وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: أَيْ عِبَادَ اللهِ، أُخْرَاكُمْ أُخْرَاكُمْ. وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ حَتَّى شُلَّتْ يَدُهُ»[6].

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأَى رُؤْيَا بِالْمَدِينَةِ وَهَمَّ أَنْ لَا يَخْرُجَ حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ فَاتَتْهُمْ غَزْوَةُ بَدْرٍ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَفُوتُنَا غَزْوَةُ أُحُدٍ. فَلَبِسَ لأْمَةَ حَرْبِهِ، فَنَدِمَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا: حَمَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخُرُوجَ، فَرَاجَعُوهُ، فَقَالَ: «لَا يَجُوزُ لِي بَعْدَ أَنْ لَبِسْتُ لأْمَةَ حَرْبِي أَنْ أَجْلِسَ حَتَّى أُقَاتِلَ أَوْ يَرْجِعُوا إِلَى دِينِ اللهِ»[7].

(1) مسلم: 3/ 1384، الترمذي: 4/ 333، الدلائل: 2/ 474، الخصائص: 1/ 489، كنز العمال: 10/ 392، البغوي: 3/ 379.

(2) الترمذي: 5/ 201، المستدرك: 1/ 509، أبو داود: 1525، أحمد: 6/ 365، البغوي: 5/ 125.

(3) في الأصل: «بدرا».

(4) سبقت ترجمته: ص480.

(5) البخاري: 15/ 227، مسلم: 3/ 1802، شرح السنة: 13/ 312.

(6) البخاري: 15/ 227، ابن حبان: 9/ 156، كنز العمال: 10/ 430، البغوي: 10/ 401.

(7) البخاري: 13/ 284، المستدرك: 2/ 129، 128، الدارمي: 2/ 148، أحمد: 3/ 351، ابن هشام: 2/ 63 ـ 66، زاد المعاد: 3/ 193.

وَظَهَرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَمْ يَظْهَرْ لأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ مِنَ الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ. وَقَدْ كَانَ النَّاسُ فِي حُنَيْنٍ رَأَوْا بَعْدَ قُرْبِهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ سَحَائِبَ مِنَ النَّشَابِ فَتَأَخَّرُوا وَلَمْ يَتَأَخَّرْ ﷺ. وَكَانَ يَقُولُ: (رجز)

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

وَكَانَ يَزِيدُ إِلَى الْكُفَّارِ وَالعَبَّاسُ يَأْخُذُ بِلِجَامِهِ يَكُفُّهُ عَنِ الزِّيَادَةِ حَتَّى رَمَاهُمْ ﷺ بِالْحَصَاةِ بَعْدَ رُجُوعِ الْجَفَلَى[1]، فَانْهَزَمُوا بِقُدْرَةِ اللهِ. قَالَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ[2]: «مَا خَلَقَ اللهُ فِيهِمْ إِنْسَاناً إِلَّا وَقَدْ مَلأَ اللهُ عَيْنَيْهِ تُرَاباً»[3].

وَ[لَمَّا][4] هَزَمَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ وَأَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ أَمْوَالَهُمْ، فَرَّقَ الأَمْوَالَ حَتَّى خُطِفَ رِدَاؤُهُ عَنْ عُنُقِهِ فَقَالَ: «رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، فَلَوْ أَفَاءَ اللهُ عَلَيَّ مِثْلَ هٰذِهِ العِضَاةِ[5] لأَعْطَيْتُكُمُوهَا ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلَا كَذَّاباً وَلَا جَبَاناً»[6].

«وَأَعْطَى ذٰلِكَ الْيَوْمَ رَسُولُ اللهِ [279]// ﷺ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ[7] وَالأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ[8] وَعَلْقَمَةَ كُلَّ وَاحِدٍ

(1) الجفلى: الجماعة. قال الشاعر: «تدعوا في المشتاة الجفلى». ل/ جفلا.

(2) هو سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمي، صحابي من أهل الشجرة، شهد المشاهد وغزا إفريقيا أيام سيدنا عثمان ﷺ. (ت74هـ). ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 4/ 38، الأعلام: 3/ 113).

(3) مسلم: 3/ 1402، ابن حبان: 8/ 156، الحدائق: 1/ 216.

(4) في الأصل: «لم».

(5) العِضاة: واحده عضهة، وهي كل شجر عظيم الشوك، صلب العود، وأجود الصمغ. ل/ عضه.

(6) البخاري: 15/ 64، ابن حبان: 11/ 149، البيهقي: 7/ 17، الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 105، أحمد: 4/ 82 ـ 84، أخبار مكة للفاكهي: 5/ 95.

(7) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن حمل، كان رسول الله ﷺ يسميه الأحمق المطاع. ينظر: جمهرة أنساب العرب: 256.

(8) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن مجاشع التميمي، أحد المؤلفة قلوبهم، شهد فتح مكة وحنينا والطائف. ينظر: (الاستيعاب: 1/ 103، أسد الغابة: 1/ 128).

مِائَةً مِنَ الإِبِلِ. وَأَعْطَى عَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسَ[1] دُونَ ذٰلِكَ، فَقَالَ عَبَّاسُ: (متقارب)

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْـ ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ[2]

وَمَا كَانَ قَيْسٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَمْ يُرْفَعِ

فَقَالَ لَهُ: أَتَقُولُ فِيَّ الشِّعْرَ يَا عَبَّاسُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَجِدُ لَهُ عَلَى لِسَانِي دَبِيباً كَدَبِيبِ النَّحْلِ. فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَإِنَّ العَرَبَ لَا تَتْرُكُ الشِّعْرَ حَتَّى تَتْرُكَ الإِبِلُ التَّحْنَانَ؛ وَكَمَّلَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمِائَةَ»[3].

وَفِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ ظَهَرَ فَخْرُ أَبِي سُفْيَانَ حِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ حِينَ قِيلَ لَهُ: مَرَّتِ النَّاسُ ـ أَبَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا»[4]. وَثُمَّ قَالَ بَعْضُ التِّسْعَةِ[5] الَّذِينَ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «نَصَرْنَا رَسُولَ اللهِ كَالْبَدْرِ تِسْعَةٌ»[6].

(1) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي من مضر، شاعر فارس من سادات قومه، أسلم قبل الفتح ومات في خلافة عمر ﷺ. ينظر: (طبقات ابن سعد: 4/ 15، تهذيب التهذيب: 5/ 130، الإصابة: 4502، الأعلام: 3/ 267).

(2) الأبيات في: الأغاني: 7/ 308، القرطبي: 8/ 178، ابن هشام: 2/ 493، زهر الآداب: 4/ 1009، تحرير التحبير: 250 «وما أنا حصن ولا حابس». الحماسة المغربية: 9/ 528 «تضع اليوم»، تغيير الأسعار: 94، اقتطاف زهرات الأفنان: 2/ 182.

(3) الواقعة في: مسلم: 2/ 737، سنن البيهقي: 7/ 17، مسند الحميدي: 1/ 200، شرح سنن ابن ماجه: 1/ 200، الفائق: 2/ 93، فيض القدير: 4/ 528، وفيها جملة: «اقطعوا عني لسانه». وما بعد الأبيات من الحديث لم أعثر عليه، ولم أجده في أي رواية.

(4) غريب ابن سلام: 2/ 226، شرح معاني الآثار: 4/ 189، أمثال الحديث: 1/ 119، الفردوس: 5/ 367، كشف الخفاء: 2/ 159 ـ 160، الفرا: حمار الوحش. والمثل يقال في الشيء الجامع لأشياء كثيرة.

(5) القائل ذلك هو العباس بن عبد المطلب ﷺ.

(6) في تفسير القرطبي: 8/ 98، وفتح الباري: 8/ 30 لفظ: «نصرنا رسول الله في الحرب تسعة». وفي نصب الراية: 3/ 357 لفظ: «نصرنا رسول الله في الدار سبعة».

وَفِي الْبَيْتِ: الْجَمْعُ، لِكَوْنِهِ جَمَعَ بَيْنَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَحُنَيْنٍ.

وَفِيهِ: التَّأْزِيرُ[1]، فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَشْهَدَ بِحُنَيْنٍ زَادَ فِي الشَّهَادَةِ بَدْراً، ثُمَّ أُحُداً، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ؛ فَكَانَ يَسْتَشْهِدُ عَلَى شَجَاعَةِ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَدْحِ الْمَوَاطِنِ الْوَاقِعَةِ بِكَوْنِهَا فُصُولَ حَتْفٍ.

وَفِيهِ: نَوْعٌ مِنَ التَّوْزِيعِ، كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

وَعَانَقَهَا مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ لِحُسْنِهَا ... فَمَدَّ يَمِيناً نَحْوَهَا وَشِمَالاً[2]

فَجَمَعَهُمَا مُفَصَّلَيْنِ فِي تَضَادِّ النِّسْبَةِ، مُجْتَمِعَيْنِ فِي الْحُكْمِ الْوَاحِدِ. وَلَيْسَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

فَبَاتَتْ يَمِينِي وَهْيَ هِمْيَانُ خِصْرِهَا ... وَبَاتَتْ شِمَالِي وَهْيَ وَاسِطَةُ الْعِقْدِ[3]

لأَنَّهُ لَوْ فَرَّقَهَا فِي النِّسْبَةِ فَرَّقَهَا فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ مِنْ بَابِ الْجَمْعِ وَالتَّفْرِيقِ. وَ(الْهِمْيَانُ): الْحِزَامُ.

وَلَفْظُ **(أَدْهَى)** أَبْلَغُ فِي هٰذَا الْمَحَلِّ مِنْ كُلِّ مَا يُجْلَبُ لَهُ مِنْ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ، فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ: **(أَعْدَى مِنَ الْوَخَمِ)** وَلَوْ كَانَ يُعْطِي مَا يُعْطِي لٰكِنْ **(أَدْهَى)** أَبْلَغُ، لأَنَّ الْعَرَبَ تُنْفِقُ الدَّاهِيَةَ فِي أُمُورٍ [فَظِيعَةٍ][4]؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: (طويل)

دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأَنَامِلُ[5]

وَفِي الْبَيْتِ: الإِرْصَادُ، فَإِنَّ مَنْ يَسْمَعُ **(فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى)** لا يَقُولُ إِلَّا: **(مِنَ الْوَخَمِ)**.

(1) التأزير: من المآزرة وهي التعضيد والمساعدة والتقوية. شد أزره: أي ساعده وقواه. ل/ أزر.
(2) البيت بدون نسبة في: رفع الحجب المستورة: 1/ 76. المواعظ والاعتبار، فعل الروضة.
(3) البيت للقاضي أبي محمد عبد الوهاب سبق تخريجه: ص133.
(4) في الأصل: «فضيعة» والصواب ما أثبتناه.
(5) البيت للبيد بن عامر في رثاء النعمان. وصدره: «وكل أناس سوف تدخل بينهم»، وهو في ديوانه: 256، جمهرة اللغة: 2/ 232، شرح أشعار الهذليين: 1/ 62 «خويجية».

140 ـ قَالَ:

الْمُصْدِرِي الْبِيضَ حُمْراً بَعْدَ مَا وَرَدَتْ ... مِنَ الْعِدَى كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ[1]

شرح: مَادَّةُ **(أَصْدَرَ)** مُشْتَرَكَةٌ، يُقَالُ: أَصْدَرْتُ الشَّيْءَ، أَيْ: صَرَفْتُهُ أَوْ أَخْرَجْتُهُ. وَيَصِحُّ الْمَعْنَيَانِ هُنَا. وَ(صَدَرَ) الثُّلاثِيُّ يُقَالُ فِيهِ: صَدَرَ عَنِ الشَّيْءِ صَدَراً بِفَتْحِ الصَّادِ وَالرَّاءِ، أَيْ: رَجَعَ عَنْهُ. وَصَدَرَ فُلاناً: ضَرَبَ صَدْرَهُ. وَصَدَرَ الْبَعِيرَ: كَوَاهُ بِصِدَارٍ، وَهِيَ سِمَةُ صَدْرِهِ. وَصَدَرَ: خَرَجَ. قَالَ اللهُ الْعَظِيمُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: 6][2]، أَيْ: يَخْرُجُونَ.

وَ**(الْبِيض)**: صَفَائِحُ السُّيُوفِ الصَّقِيلَةِ. يُقَالُ فِيهَا: الْبِيضُ، كَمَا يُقَالُ فِي الرِّمَاحِ: السُّمْرُ.

وَ**(حُمْراً)**: حَالٌ مِنَ **(الْبِيضَ)**.

وَقَوْلُهُ: **(بَعْدَ مَا وَرَدَتْ)** أَيْ: اقْتَحَمَ. يُقَالُ: وَرَدَ الْمَاءَ وُرُوداً. وَوَرَدْتُ الْحِمَى وِرْداً. وَوَرَّدَتِ الرَّاتِمُ[3] وَرْدَةً حَمْرَةً تَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ.

وَإِسْنَادُ **(الْوُرُود)** إِلَى **(الْبِيض)** مِنَ الْمَجَازِ الإِسْنَادِيِّ، وَهٰذِهِ الاسْتِعَارَةُ قَدِ اسْتَعْمَلَهَا كَثِيرٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ فِي أَشْعَارِهِمْ؛ قَالَ الشَّاعِرُ **[280]**// يَصِفُ خَيْلاً: (خفيف)

إِنْ تُحَمْحِمْنَ لِلْعَرِيكَةِ بِيضاً ... وَدَخَلْنَ الْوَغَى فَيَخْرُجْنَ حُمْرا[4]

وَقَالَ آخَرُ يَصِفُ سُيُوفاً: (خفيف)

(1) الديوان: 198.
(2) في الأصل: «يوم».
(3) الراتم: نوع من النبات. ل/ رتم.
(4) الحمحمة: صوت الفرس إذا طلب العلف. ل/ حمحم.

مُرْهَفَاتٌ يَلِجْنَ لِلْحَرْبِ زَحْفاً   حُيَّلاً ثُمَّ عُدْنَ وَهْيَ طَوَامِثُ(1)

وَكَأَنَّ النَّاظِمَ يَقُولُ: إِنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ يَرِدُونَ الْحُرُوبَ وَسُيُوفُهُمْ بِيضٌ فَيَخْرُجُونَ وَسُيُوفُهُمْ بِدِمَاءِ الْعِدَا حُمْراً.

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**بَعْدَ مَا وَرَدَتْ**) يُشِيرُ أَنَّهَا تَصْدُرُ حُمْراً مُكْتَسِبَةً الْحُمْرَةَ مِنْ مَحَلِّ الْوُرُودِ.

وَقَوْلُهُ: (**كُلَّ مُسْوَدٍ مِنَ اللِّمَمِ**)، أَيْ: إِنَّمَا احْمَرَّتْ مِنْ مَا أَحْدَثَتْ، لأَنَّ الْمَوْرِدَ كَانَ أَسْوَدَ، فَخَرَجَتْ مِنْهُ حُمْراً، لَا مِنْ لَوْنِهِ، بَلْ بِمَا أُصْبِغْنَ مِنْهُ مِنَ الدِّمَاءِ. وَهِيَ نَزْعَةٌ [تَسْتَعْمِلُهَا](2) الشُّعَرَاءُ عَلَى وُجُوهٍ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ وَهُوَ السَّلَامِيُّ(3): (كامل)

وَالنَّقْعُ ثَوْبٌ بِالنُّسُورِ مُطَوَّقٌ   وَالأَرْضُ فَرْشٌ بِالْجِيَادِ مُحَمَّلُ(4)

وَسُطُورُ خَيْلِكَ إِنَّمَا أَلِفَاتُهَا   سُمْرٌ تُنَقَّطُ بِالدِّمَاءِ وَتُشْكَلُ

فَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ عَبَّرَ عَنْ شِدَّةِ مُعْتَرَكِ الْمَمْدُوحِ بِانْتِشَاحِ النَّقْعِ حَتَّى كَسَا الْجُنْدَ وَصَارَ لَهُمْ ثَوْباً، وَلَمَّا كَثُرَتِ الْفَرَائِسُ مِنَ الْقَتْلَى جَلَبَ النُّسُورَ تَحُومُ عَلَيْهَا، وَأَحْدَقَتْ بِالنَّقْعِ، وَصَارَتْ لَهُ طَوْقاً، وَأَنَّ الأَرْضَ مُلِئَتْ بِالْجِيَادِ حَتَّى كَأَنَّهُنَّ رُقُودٌ عَلَى فِرَاشٍ، وَكَانَتِ الْخَيْلُ الْخَائِلَةُ سُطُوراً لِكَوْنِهَا سَاقَاتٍ، وَكَانَتْ أَلِفَاتُهَا الرِّمَاحَ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ الْخُرُوجَ عَنِ الْكِنَايَةِ إِلَى وَصْفٍ لَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَكْنَى بِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا جَعَلَ الرِّمَاحَ أَلِفَاتٍ عَدَلَ عَنْهَا إِلَى وَصْفٍ يَلِيقُ

(1) طوامث: ملطخة بالدماء. والطمث: الفساد. ل/ طمث.
(2) في الأصل: «تستعمله» ولعل الأنسب ما أثبتناه.
(3) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى، كان من أشعر أهل العراق، نشأ ببغداد واتصل بالصاحب بن عباد. ترجمته في: (الوافي: 3/ 317، المنتظم: 7/ 225، وفيات الأعيان: 4/ 403).
(4) البيتان في: اليتيمة: 2/ 323، معاهد التنصيص: 2/ 166 «مطرز»، ابن حجة: 1/ 294، طراز الحلة: 391، أنوار الربيع: 3/ 123.

بِالأَقْلَامِ فَفِيهِ مَعْنَى الانْتِقَالِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا احْتَاجَ إِلَى حُرُوفِ السُّطُورِ جَلَبَ الأَلِفَاتِ، فَاسْتَشْعَرَ أَنَّ الأَلِفَاتِ الثَّانِيَةَ تُشْعِرُ فِي الاسْتِعَارَةِ بِجُبْنِ أَرْبَابِ الرِّمَاحِ؛ إِذْ لَمْ تَزَلْ رِمَاحُهَا عَاطِلَاتٍ، لِكَوْنِهَا أَلِفَاتٍ لِسُطُورِ الْخَيْلِ، فَاسْتَعَارَ صِفَةَ أَقْلَامٍ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي قُوَّةِ مَنْ قَالَ: (كامل)

. . . . أَلِفَاتُ   أَقْلَامٍ تُنَقَّطُ بِالدِّمَاءِ وَتُشْكَلُ

وَنَزْعَةُ النَّاظِمِ فِي مَا يَأْتِي أَتَمُّ مِنْ هَذِهِ النَّزْعَةِ حَيْثُ يَقُولُ:

وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ   أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ(1)

حَيْثُ جَعَلَهَا أَقْلَاماً، وَالإِعْجَامُ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الأَقْلَامِ، وَأَمَّا مَا فِي بَيْتِ السَّلَامِيِّ فَإِنَّ الشَّكْلَ وَالنَّقْطَ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الأَلِفَاتِ، بَلْ مِنْ صِفَاتِ الأَقْلَامِ، وَهُوَ قَدْ كَنَّى عَنِ الرِّمَاحِ بِالأَلِفَاتِ، فَتَدَبَّرْ نَزَعَاتِ الشُّعَرَاءِ فَإِنَّهَا بَدِيعَةٌ.

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**كُلَّ مُسْوَدٍّ**) لَمْ يَكْتَفِ بِذِكْرِ (**اللِّمَمِ**) لأَنَّهَا تَصْدُقُ عَلَى وَفَرَاتِ الشُّيُوخِ وَالصِّغَارِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّفَاخُرَ إِنَّمَا هُوَ بِقَهْرِ كُهُولِ الرِّجَالِ الَّذِينَ لِمَمُهُمْ سُودٌ، وَأَمَّا الشُّيُوخُ فَغَالِبُهُمْ لَيْسَ بِغَلَّابٍ، فَالشِّدَّةُ وَالنَّجْدَةُ إِنَّمَا تُعْزَى لِمَنْ لَيْسَ بِشَيْخٍ.

وَ(**اللِّمَمُ**): جَمْعُ لِمَّةٍ، وَهِيَ الْجُمْعَةُ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى شَحْمَةِ الأُذُنِ، فَإِذَا وَصَلَتِ الْمَنْكِبَ فَهِيَ جُمَّةٌ. وَبَعْضُ النَّاسِ يَغْلَطُ فَيَقُولُ: هِيَ اللِّحَى، وَهُوَ قَوْلُ الْعَامَّةِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَجُلٌ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ حَتَّى قَالَ: (متقارب)

فَسَالَتْ دُمُوعِي عَلَى لِمَّتِي(2)

فَقَالَ الْمَلِكُ: أَكَانَ مَصْلُوباً مُنَكَّسَ الرَّأْسِ؟

(1) الديوان: 199.
(2) أنوار التجلي: 2/ 481.

وَ(**الْمُصْدِرِي**): يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوباً عَلَى الْمَدْحِ. وَأَمَّا نَصْبُهُ عَلَى الاخْتِصَاصِ فَبَعِيدٌ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوباً بِإِضْمَارِ أَعْنِي، وَلَوْ جَاءَ مَرْفُوعاً لَكَانَ خَبَرَ مُبْتَدَإٍ مُضْمَرٍ، أَيْ: هُمُ الْمُصْدِرُوا، كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: (سريع)

لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ ... سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ[1]

[النَّازِلُونَ][2] بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ

أَيْ: وَهُمُ الطَّيِّبُونَ. وَلَمَّا كَانَ (**الْمُصْدِرُوا**) مُحَلًّى بِالأَلِفِ وَاللَّامِ سَاغَ فِي مَا بَعْدَهُ الْخَفْضُ عَلَى الإِضَافَةِ، أَوِ النَّصْبُ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ: فَيَكُونُ النُّونُ عَلَى الْخَفْضِ سَقَطَ لِلإِضَافَةِ. [281]// وَالنَّصْبُ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ بِـ (**الْمُصْدِرِي**)، وَأَصْلُهُ بِالنُّونِ لَكِنْ حُذِفَ عَلَى جِهَةِ التَّخْفِيفِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيَجْتَمِعُ عَلَى الْمُعَرَّفِ مُعَرِّفَانِ، فَإِنَّ الأَلِفَ وَاللَّامَ دَلِيلُ التَّعْرِيفِ، وَالإِضَافَةُ أَيْضاً دَلِيلُهُ؟

قُلْتُ: جَوَّزُوا ذَلِكَ فِي الصِّفَاتِ، وَقَدْ جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَوٰةِ﴾ [الحج: 35] بِالْوَجْهَيْنِ.

وَفِي الْبَيْتِ: الطِّبَاقُ، لِجَمْعِهِ بَيْنَ مُتَضَادَّاتٍ: لِجَمْعِهِ بَيْنَ (**الْبِيضِ وَالسُّودِ**) وَالْحُمْرِ إِنْ جُعِلَ هُوَ أَيْضاً ضِدّاً.

فَإِنْ قُلْتَ: لَمَّا خَصَّ مُسْوَدِّي اللِّمَمِ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ، فَالشُّيُوخُ مِنْهُ، أَوْ مَنْ خَامَرَهُمُ الشَّيْبُ تَرَكَهُمْ، مَا وَجْهُهُ؟

قُلْتُ: مَعَ قَصْدِ قَهْرِ زُعَمَائِهِمْ أَصْحَابِ الشَّرَهِ وَالشِّدَّةِ يَكُونُ مَا سِوَاهُمْ مِنْ بَابِ أَحْرَى فَيَكُونُ فِيهِ تَنْبِيهٌ بِالأَعْلَى عَلَى الأَدْنَى.

---

(1) البيتان للخرنق بنت هفان من بني قيس بن ثعلبة، وهما في الديوان: 43، القرطبي: 2/ 239، السمط: 1/ 548، شرح لامية العجم: 1/ 271، المنتخب في كنايات العرب: 16، المحلى في وجوه النصب: 34، الخزانة: 2/ 306.

(2) في الأصل: «النازلين» والتصويب من الديوان: 43.

وَفِي الْبَيْتِ: «الْغُلُوُّ، وَيُسَمَّى، الإِغْرَاقَ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: إِنَّمَا فَضِيلَةُ الشَّاعِرِ بِمَعْرِفَةِ وُجُوهِ الْغُلُوِّ وَالإِغْرَاقِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مُخَالَفَةُ الْحَقِيقَةِ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُذَّاقِ: خَيْرُ الْكَلَامِ مَا ارْتُكِبَتْ فِيهِ الْحَقَائِقُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَمَا قَارَبَهَا وَنَاسَبَهَا»[1]؛ وَهٰذَا هُنَا، وَلَوْ كَانَ فِيهِ بَعْضُ الإِغْرَاقِ، لأَنَّ الْغَالِبَ فِي السُّيُوفِ إِذَا بَلَغَتْ مُسْوَدِّي اللِّمَمِ مِنْهَا مَا يَخْرُجُ حُمْراً، وَمِنْهَا مَا يَصِلُ وَيُخْرُجُ عَلَى مَا دَخَلَ لِعَدَمِ التَّمْكِينِ مِنَ الْمَجْمُوعِ؛ لٰكِنْ هٰذَا هُنَا مِمَّا لَا يُخَيِّلُهُ الْعَقْلُ وَلَا يَبْعُدُ كُلَّ الْبُعْدِ، وَإِنَّمَا الإِغْرَاقُ الَّذِي يَخْرُجُ عَنِ الْحَقِيقَةِ رَأْساً وَلَا يُقَارِبُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْنَ مِنِّي مُعَلَّقٌ ... بِعُودِ ثُمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودُهَا[2]

وَهٰذَا مُتَجَاوَزٌ بِهِ؛ وَكَذَا قَوْلُ الآخَرِ: (سريع)

أَنْحَلَنِي الْحُبُّ فَلَوْ زُجَّ بِي ... فِي مُقَلِ النَّائِمِ لَمْ يَنْتَبِهِ[3]

فَلَا يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ التَّجَاوُزُ فِي الْغُلُوِّ حَتَّى لَا يُقَارِبَ الْحَقِيقَةَ. لٰكِنَّ الشُّعَرَاءَ فِي النَّسِيبِ يَتَغَالَوْنَ تَغَالِياً كُلِّياً، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: (كامل)

لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ ... لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسا[4]

وَكَمَا وَصَفَ شَاعِرٌ قَفْراً فَقَالَ: (طويل)

---

(1) الكلام عن الإغراق في: كفاية الطالب: 200، العمدة: 1/ 661.

(2) البيت في ديوان الأعشى: 240، وفي ديوان المجنون: 107، ومنسوب لأعرابي في الأمالي: 1/ 43، وفي التذكرة السعدية: 335 مع آخر منسوب للحسين بن مُطير ولا يوجد في شعره. وفي السمط: 1/ 181 منسوب لابن الدمينة ولا يوجد في ديوانه. وهو غير منسوب في: الكامل: 1/ 294، محاضرات الأدباء: 3/ 91، العمدة: 1/ 661 «أبقيت». المنزع البديع: 275.

(3) سبق تخريجه: ص17.

(4) البيت للمتنبي في ديوانه: 2/ 366، اليتيمة: 1/ 185، العمدة: 1/ 665، المعاهد: 3/ 33، وذو القرنين: الإسكندر بن فيليب الثاني ملك مقدونية. انظر: دائرة المعارف: 2/ 126، الموسوعة الميسرة: 151 ـ 152.

تَصُدُّ الرِّيَاحُ الْهُوجُ عَنْهَا مَخَافَةً ... وَتَفْزَعُ فِيهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّا(1)

لَكِنَّ تَغَالِيَهُ فِي الصَّدْرِ أَكْثَرُ مِنْ تَغَالِيهِ فِي الْعَجُزِ.

وَفِي بَيْتِ النَّاظِمِ: التَّصْمِيمُ: وَهُوَ الاقْتِصَارُ عَلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ حُكْمِهَا مَعَ الْحُكْمِ الْمُقْتَصِرِ عَلَيْهِ وَاحِدُهُ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ سُيُوفَ الصَّحَابَةِ لَا تَصْدُرُ حُمْراً إِلَّا إِذَا وَرَدَتِ الرُّؤُوسَ، وَأَمَّا الأَكْتَافُ وَالْمَفَاصِلُ وَغَيْرُهَا لَا تَصْدُرُ عَنْهَا حُمْراً. وَقَدْ يُجَابُ بِأَنْ يُقَالَ: ذَكَرَ أَعَزَّ أَعْضَاءِ الأَعْدَاءِ وَهِيَ رُؤُوسُهَا، وَتَعْطِيلُ الرُّؤُوسِ تَعْطِيلٌ لِجَمِيعِ الْجَسَدِ، فَفِيهِ نَوْعٌ أَيْضاً مِنَ التَّغَالِي، لَكِنْ بَدِيعٌ.

وَمِنَ الْغُلُوِّ الْمَحْمُودِ مَا يَقَعُ فِي الْكَرَمِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (طويل)

[يَبِيتُونَ] فِي الْمَشْتَى جِيَاعاً وَعِنْدَهُمْ ... مِنَ الزَّادِ أَقْوَاتٌ تُعَدُّ لِمَنْ يُقْرَا(2)

إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ ضَيْفُهُمْ رَفَعُوا لَهُ ... مِنَ النَّارِ فِي الظَّلْمَاءِ أَلْوِيَةً حُمْرا

وَكَقَوْلِ الآخَرِ: (كامل)

ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الطَّرِيقِ قِبَابَهُمْ ... يَتَقَارَعُونَ بِهَا عَلَى الضِّيفَانِ(3)

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ تَضَمَّنَا مَدْحاً بِكَرَمٍ زَائِدٍ عَلَى الْعَادَةِ.



---

(1) البيت للمتنبي في ديوانه: 1/ 74، كفاية الطالب: 202. الضمير في «عليها» يعود على قلعة بناها سيف الدولة. الهوج: الثائرة. تصد: تعرض.

(2) في الأصل: «يباتون» والبيتان لإبراهيم بن هرمة سبق تخريجهما: ص537.

(3) البيت لمهيار الديلمي في ديوانه: 4/ 51، «ضربوا بمدرجة السبيل». الذخيرة: 8/ 558، المعاهد: 2/ 159، «يتقارعون على قرى الضيفان»، رفع الحجب: 1/ 243.

141 ـ قَالَ:

وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ ... أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ(1)

شرح: هَذَا أَيْضاً مِنَ الاسْتِعَارَاتِ الْبَدِيعَةِ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى ذَلِكَ قَبْلُ، وَهُوَ مِنَ الْمَجَازِ الْعَجِيبِ، وَالتَّجَوُّزُ فِيهِ مِنْ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: نِسْبَةُ [282]// الْكِتَابَةِ إِلَى أَهْلِ الرِّمَاحِ، وَنِسْبَةُ كَتْبِهِمْ وَفِعْلِهِمْ إِيَّاهُ بِالرِّمَاحِ، وَجَعْلُ الرِّمَاحِ أَقْلَاماً، وَتَسْمِيَةُ الأَجْسَامِ حُرُوفاً، وَطَعْنُ الرِّمَاحِ إِيَّاهَا إِعْجَاماً. وَقَدِ ارْتَكَبَتْ هَذِهِ الاسْتِعَارَاتِ شُعَرَاءُ الْمُوَلَّدِينَ ارْتِكَاباً كَثِيراً، قَالَ الشَّاعِرُ: (بسيط)

فَهُنَّ أَقْلَامُكَ اللَّاتِي إِذَا كَتَبَتْ ... يَوْماً أَتَتْ بِمِدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدِرِ(2)

وَالضَّمِيرُ فِي (فَهُنَّ) لِلرِّمَاحِ، فَسَمَّاهَا أَقْلَاماً، وَنَسَبَ لَهَا الْكِتَابَةَ، وَزَادَ أَنَّ الْكِتَابَةَ مُسْتَنِدَةٌ لَهَا، وَجَعَلَ الدِّمَاءَ مِدَاداً، وَهُوَ بَيْتُ أَبِي [الْعَلَاءِ](3) الْمَعَرِّي.

وَقَوْلُهُ: (**بِسُمْرِ الْخَطِّ**)، (**السُّمْرِ**): جَمْعُ أَسْمَرَ وَهِيَ الرِّمَاحُ. وَ(**الْخَطُّ**)(4): مَوْضِعٌ تُجْلَبُ إِلَيْهِ الرِّمَاحُ مِنَ الْهِنْدِ فَتُقَوَّمُ فِيهِ. وَجَعَلَ أَسِنَّةَ رِمَاحِهِمْ أَقْلَاماً.

وَ(**حَرْفُ الْجِسْمِ**): جَانِبٌ مِنْ جَوَانِبِهِ؛ وَمِنْهُ سُمِّيَ جَانِبُ الشَّيْءِ حَرْفاً. فَإِنْ جَعَلْتَ الْحَرْفَ هُنَا جَانِبَ الْجِسْمِ، وَالْجِسْمُ لَا تَعُمُّهُ الطَّعْنَةُ، فَيَكُونُ الْحَرْفُ حَقِيقَةً، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ التَّوْجِيهِ: وَهُوَ إِيرَادُ كَلَامٍ مُحْتَمِلٍ لِوَجْهَيْنِ

---

(1) الديوان: 199.

(2) البيت لأبي العلاء المعري في: سقط الزند: 60، المعاهد: 2/ 233، التبيان: 352 «مجدا»، أنوار الربيع: 3/ 127.

(3) في الأصل: «أبي علي المعري».

(4) ينظر: معجم البلدان: 2/ 378، الروض المعطار: 220.

مُخْتَلِفَيْنِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْيَهُودِ: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [النساء: 46]، فَإِنَّهُ لَفْظٌ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ. وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿رَٰعِنَا﴾ [النساء: 46]؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الصِّدِّيقِ ؓ حِينَ الْمُهَاجَرَةِ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ رَدِيفُهُ: «هٰذَا رَجُلٌ يَهْدِينِي السَّبِيلَ»[1]. وَمِنْهُ جَوَابُ ابْنِ جُبَيْرٍ[2] لِلْحَجَّاجِ حِينَ سَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ قَاسِطٌ عَادِلٌ. فَقَالَ جُلَسَاءُ الْحَجَّاجِ: أَحْسَنَ وَاللهِ. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: يَا جَهَلَةُ، إِنَّمَا سَمَّانِي ظَالِماً مُشْرِكاً، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ⑮﴾ [الجن: 15]»[3]، لأَنَّ الْقَاسِطَ هُوَ الْجَائِرُ الظَّالِمُ، وَأَمَّا الْمُقْسِطُ فَهُوَ الْعَادِلُ الْفَاضِلُ، فَالْعَادِلُ يَصْلُحُ لِلذَّمِّ وَلِلْمَدْحِ.

وَمِنْ طَرِيفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ التَّوْجِيهِ أَنَّ غُلَامَيْنِ رُفِعَا إِلَى وَالٍ مِنَ الْوُلَاةِ فَاسْتَحْسَنَ سَمْتَهُمَا، فَسَأَلَ أَحَدَهُمَا، مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: (طويل)

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتِ الرِّقَابُ لَهُ   مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا[4]
تَأْتِي إِلَيْهِ الرِّقَابُ خَاضِعَةً   يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا

وَسَأَلَ الآخَرَ فَقَالَ: وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ؟ فَقَالَ: (طويل)

أَنَا الَّذِي لَا تَنْزِلُ الأَرْضُ قِدْرَهُ   وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُودُ[5]
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجاً إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ   فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ

(1) البخاري: 15/ 125، ابن أبي شيبة: 7/ 346، أحمد: 3/ 287، معرفة أسامي أرداف النبي: 1/ 14، الرياض النضرة: 1/ 476 ـ 477.
(2) هو سعيد بن جبير الأسدي الكوفي أبو عبد الله، أعلم التابعين. (ت95هـ). ترجمته في: (طبقات ابن سعد: 6/ 178، الحلية: 4/ 272، الأعلام: 3/ 93، تهذيب التهذيب: 4/ 11).
(3) ينظر: تاريخ الطبري: 8/ 93، ابن الأثير: 4/ 220، البدء والتاريخ: 6/ 96.
(4) البيتان في: ش/ لامية العجم: 1/ 101، نهاية الأرب: 3/ 159 «تأتيه بالذل وهي صاغرة». المنتخب في كنايات العرب: 85، نفحات الأزهار: 67.
(5) البيتان في: عيون الأخبار: 2/ 201 «لا ينزل الدهر»، نهاية الأرب: 3/ 159، العقد: 1/ 290 «الأرض» و«أفواجاً إلى باب ناره».

فَسَأَلَ عَنْهُمَا بَعْدَ ذَهَابِهِمَا، فَقِيلَ لَهُ: الأَوَّلُ ابْنُ حَجَّامٍ، وَالآخَرُ ابْنُ طَبَّاخٍ، فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمَا.

وَكَذَا **(الانْعِجَامُ)** أَيْضاً مَجَازٌ فِي الْبَيْتِ، وَللهِ دَرُّ النَّاظِمِ، تَكَلَّمَ أَوَّلاً فِي الْبَيْتِ قَبْلَ هٰذَا عَلَى نَتَائِجِ مُقَدِّمَاتِ مُلَاقَاةِ الْمُسْلِمِينَ الْعِدَا بِالسُّيُوفِ، وَكَانَ مَعْنَاهُ مُسْتَفَاداً مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ كَلْثُومٍ: (وافر)

أَلَا يَا هِنْدُ لَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا   وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا[1]
فَإِنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضاً   وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا

وَذَكَرَ فِي الثَّانِي وَهُوَ مَا نَحْنُ فِيهِ، وَهُوَ الثَّانِي مِنْ نَوْعَيْ حَرْبِهِمْ، وَهُوَ طَعْنُهُمْ بِالرِّمَاحِ الطَّعْنَ الَّذِي لَا يُنْسَبُ إِلَّا لِلْهَاجِمِينَ عَلَى الْعِدَا وَهُوَ تَعْمِيمُ الأَجْسَامِ بِطَعْنِ الرِّمَاحِ. وَإِلَى نَحْوِ ذٰلِكَ أَشَارَ أَبُو الْعَشَائِرِ الْحَمْدَانِيُّ[2] فِي قَوْلِهِ: (كامل)

أَخَا الْفَوَارِسِ قِفْ قَلِيلاً مُقْبِلاً   وَالْخَيْلُ مِنْ تَحْتِ الأَسِنَّةِ تَنْحُطُ[3]
أَقْرَأْتَ مِنْهَا مَا تَخُطُّ يَدُ الْوَغَى   وَالْبِيضُ تَشْكُلُ وَالأَسِنَّةُ تَنْقُطُ

وَفِي بَيْتِ أَبِي الْعَشَائِرِ جَعَلَ السُّيُوفَ تَشْكُلُ، لأَنَّ ضَرْبَهَا مَبْسُوطاً مُسْتَقِيماً فَتْحَةٌ فِي الأَعَالِي وَكَسْرَةٌ فِي الأَسَافِلِ، وَمَا انْحَرَفَ فِي الأَعَالِي كَانَ ضَمَّةً وَمَا طُعِنَ بِالسَّيْفِ كَانَ سُكُوناً وَجَعَلَ لِلرِّمَاحِ النُّقَطَ.

(1) شرح المعلقات: 244، كفاية الطالب: 135، العمدة: 1/ 584، الجمهرة: 1/ 395، الحماسة المغربية: 1/ 576.
(2) هو الحسين بن علي بن حمدان التغلبي، أمير فارس شاعر مشهور. ينظر: (الكامل: 7/ 537، اليتيمة: 1/ 79، الذخيرة: 4/ 2، بغية الطلب في تاريخ حلب: 6/ 257).
(3) اليتيمة: 1/ 104، التذكرة السعدية: 169، المعاهد: 3/ 152:
«أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي   والخيل من تحت الفوارس تنحط»
ونسب البيت الثاني لأبي زهير مهلهل بن نصر بن حمدان. نهاية الأرب: 7/ 106 رويا لأبي الفوارس الحمداني.

فَإِنْ قُلْتَ: وَأَيُّ فَرْقٍ جَعَلْتَ لِلرِّمَاحِ النَّقْطَ وَلِلسُّيُوفِ الشَّكْلَ؟

قُلْتُ: أَمَّا فِي الْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ فَالْفَرْقُ وَاضِحٌ. وَأَمَّا فِي السُّكُونِ [فَلِأَنَّ فِعْلَ السَّيْفِ][1] [283]// فِي الْجِسْمِ أَوْسَعُ، كَمَا أَنَّ السُّكُونَ أَكْبَرُ جُرْماً مِنَ النَّقْطِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا أَغْفَلَ النَّاظِمَ عَنْ إِضَافَةِ الشَّكْلِ إِلَى الْبِيضِ؟

قُلْتُ: اسْتِغْنَاءً بِلَازِمِ الشَّكْلِ، لِأَنَّ احْمِرَارَهَا لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ انْهِمَارِ الدِّمَاءِ وَسَكْبِهَا، وَلِأَنَّ التَّصْرِيحَ بِنِسْبَتِهَا إِلَى سَكْبِ الدِّمَاءِ أَبْلَغُ مِنْ نِسْبَتِهَا إِلَى الشَّكْلِ، إِذْ قَدْ تَكُونُ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ تَأْثِيرٍ وَاللهُ أَعْلَمُ.

(**وَالْكَاتِبِينَ**): عَطْفٌ عَلَى (**الْمُصْدِرِي**). وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ وَاوَ قَسَمٍ، أَقْسَمَ بِهِمْ عَلَى أَنَّهُمْ مَا تَرَكَتْ أَجْسَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمٍ، وَيَكُونُ مَخْفُوضاً بِالْيَاءِ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: (**وَالْكَاتِبِينَ**) نَعْتُ مَدْحٍ عُطِفَ بِالْوَاوِ مِنْ عَطْفِ النُّعُوتِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنْ جَعَلْتَ (**وَالْكَاتِبِينَ**) قَسَماً لَمْ يَكُنْ وَصْفاً لِلْمَمْدُوحِينَ.

قُلْتُ: يَحْصُلُ الْوَصْفُ بِالْمُقْسَمِ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: (**مَا تَرَكَتْ حَرْفَ جِسْمٍ**)، إِلَّا أَنَّ التَّوْرِيَةَ تَكُونُ فِي غَيْرِهِمْ، وَيَكُونُ فِيهِ عُمُومٌ، فَتَدْخُلُ الصَّحَابَةُ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَطْعَنُ بِالرُّمْحِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُطْلَقاً فَيَكُونُ تَكَلَّمَ إِمَّا: عَلَى فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٍ ضَارِبَةٍ بِالسَّيْفِ، وَفِرْقَةٍ طَاعِنَةٍ بِالرُّمْحِ، أَوْ فِرْقَةٍ وَاحِدَةٍ تَفْعَلُ الْأَمْرَيْنِ.

وَلِمَ تَرَكَ الَّذِينَ يَرْمُونَ بِالسِّهَامِ؟

قُلْتُ: يَحْصُلُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ ذِكْرِ الانْعِجَامِ، فَإِنَّهُمْ يَعْجِمُونَ أَيْضاً

(1) العبارة رقاص مكرر في الأصل هكذا: «فلأن أمر السيف في الجسم، فلأن فعل السيف في الجسم».

الْأَجْسَامَ وَلَوْ كَانَتْ أَرْبَابُ السِّهَامِ ذَوِي خَصْلَاتٍ عَظِيمَةٍ، لَكِنَّ الْعَرَبَ لَا تَعُدُّ أَرْبَابَ السِّهَامِ بِالشَّجَاعَةِ الْمَنْسُوبَةِ لِأَصْحَابِ الرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ لِبُعْدِ مَسَافَةِ الْمُلَاقِي مِنَ الْمُلَاقَى.

فَإِنْ قُلْتَ: وَلِمَ سَكَتَ عَنْ مَفْعُولِ (**الْكَاتِبِينَ**)؟

يُقَالُ: حَسَّنَ حَذْفَهُ دِلَالَةُ (**مَا تَرَكَتْ أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ**)، وَمَا كَتَبَ الْكَاتِبُونَ إِلَّا أَجْسَامَهُمْ.

وَ(**حَرْفَ جِسْمٍ**): مَفْعُولُ (**تَرَكَتْ**).

وَ(**غَيْرَ**): حَالٌ مِنْ (**حَرْفَ**).



(143 ـ 142) ـ قال:

شَاكِي السِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ   وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا عَنِ السَّلَمِ[1]

شرح: هٰذَا الْبَيْتُ هُوَ الَّذِي يَلِي الْبَيْتَ الَّذِي فَرَغْنَا مِنْهُ فِي أَصْلِ الْقَصِيدَةِ عِنْدَ أَكْثَرِ رُوَاتِهَا. وَبَعْضُ رُوَاتِهَا يُثْبِتُ قَبْلَ هٰذَا: (بسيط)

إِنْ قَامَ فِي جَامِعِ الْهَيْجَى خَطِيبُهُم   تَصَامَمَتْ عَنْهُ أُذْنَا صِمَّةِ الصَّمَمِ[2]

وَهَا هُنَا أَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ شَرْحِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مُثْبَتاً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ رُوَاتِهَا، فَأَقُولُ: وَعَلَى كَوْنِهِ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الْبَعْضِ فَفِيهِ عِنْدَهُمْ رِوَايَتَانِ: رِوَايَةٌ بِقَصْرِ (**الْهَيْجَا**)، وَ(**خَطِيبُهُمْ**). وَرِوَايَةٌ بِالْمَدِّ (**الْهَيْجَا**) (**خَاطِبُهُمْ**).

وَ(**خَطِيبُهُمْ**) أَوْ (**خَاطِبُهُمْ**) هُوَ الْفَاعِلُ بِـ (**قَامَ**).

وَ(**الْجَامِعُ**): حَقِيقَةٌ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِيهِ. وَيُطْلَقُ أَيْضاً بِالْحَقِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى جَامِعِ الْجُمُعَةِ، فَيَكُونُ عَلَى الثَّانِي اسْتِعَارَةً. وَيَصِحُّ كَوْنُهَا مِنْ بَابِ التَّوْجِيهِ، وَتَقَدَّمَتْ حَقِيقَةُ التَّوْجِيهِ. وَيَصِحُّ عَلَى جِهَةِ التَّوْرِيَةِ. وَأَمَّا عَلَى الْقَصْرِ فِي (**الْهَيْجَا**) فَيَكُونُ (**خَطِيبُهُمْ**) [تَرْشِيحاً][3]. وَأَمَّا عَلَى الْمَدِّ وَ(**خَاطِبُهُمْ**) فَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ مَجَالَ النِّزَالِ جَامِعٌ لِلْفُرْسَانِ.

وَ(**الْخَاطِبُ**): يَصِحُّ كَوْنُهُ بِمَعْنَى طَالِبِ بِرَازٍ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الاسْتِعَارَةِ. وَيَصِحُّ أَيْضاً فِيهِ التَّوْجِيهُ. فَـ (**خَطِيبُهُمْ**) مِنَ الْخُطْبَةِ بِضَمِّ الْخَاءِ، وَ(**خَاطِبُهُمْ**) مَعْنًى مِنَ الْخِطْبَةِ بِكَسْرِ الْخَاءِ. وَقَوْلُهُ: (**تَصَامَمَتْ**)، أَيْ: أَوْقَفَ نَفْسَهُ مَوْقِفَ الأَصَمِّ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ أَصَمَّ، كَتَجَاهُلِ مَنْ لَيْسَ بِجَاهِلٍ. تَقُولُ:

(1) الديوان: 199.

(2) ينظر شرح الجادري: 173 «في طمع الهيجا».

(3) في الأصل: «ترشيح».

خَطَبْتُ الرَّجُلَ خِطْبَةً، أَيْ: دَعَوْتُهُ لِشَيْءٍ. وَخَطَبْتُ عَلَيْهِمْ خُطْبَةً بِضَمِّ الْخَاءِ، أَيْ: قَرَأْتُهَا عَلَيْهِمْ. وَخَطُبَ اللَّوْنُ بِضَمِّ الطَّاءِ، أَيْ: احْمَرَّ حُمْرَةً فِي كُدْرَةٍ، كَأَلْوَانِ الْقُمَارِي وَحُمُرِ الْوَحْشِ. وَأَمَّا أَخْطَبَ الْحَنْظَلُ فَمَعْنَاهُ: تَخَطَّطَ. وَمَعْنَى (**تَصَامَمَتْ**)، أَيْ: سَكَتَتْ.

[284]// وَ(**الْهَيْجَا**): اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْحَرْبِ، وَمَعْنَاهُ: إِذَا نَادَى إِلَى الْبِرَازِ فَارِسٌ مِنْ فُرْسَانِ الْمُسْلِمِينَ عَامَلُوهُ مُعَامَلَةَ مَنْ لَمْ يُسْمَعْ نِدَاؤُهُ، حَتَّى كَأَنَّ آذَانَ الْكَفَرَةِ فِيهَا وَقْرٌ فَصَمَّتْ.

وَ(**الصِّمَّةُ**) بِكَسْرِ الصَّادِ: الْفَارِسُ الشُّجَاعُ. وَيُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى الأَسَدِ، وَعَلَى الذَّكَرِ مِنَ الْحَيَّاتِ. وَبِالْجُمْلَةِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ عَلَى مَنْ لَهُ شَوْكَةٌ مَاضِيَةٌ، وَهُوَ الْجَامِعُ بَيْنَ الْفَارِسِ الشُّجَاعِ وَالأَسَدِ وَذَكَرِ الْحَيَّاتِ. وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ الأَنْصَارَ بِوَصْفٍ يُؤْخَذُ مِنْهُ هٰذَا الْمَعْنَى، فَإِنَّهُ قَالَ لَهُمْ ﷺ بِخِطَابِ الْمُشَافَهَةِ: «إِنَّكُمْ لَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ»[1]؛ وَصَفَهُمْ بِالزُّهْدِ وَعَدَمِ الظُّهُورِ لأَخْذِ مَا تَتَعَلَّقُ بِهِ النُّفُوسُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَعِظَمِ النُّفُوسِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْمَكَارِهِ.

وَمَا حَمَلَنَا عَلَى شَرْحِ هٰذَا الْبَيْتِ إِلَّا أَنَّا رَأَيْنَا مَعْنَاهُ [مُسْتَحْسَناً][2]، وَإِلَّا فَرِوَايَةُ الأَكْثَرِينَ لَا يُوجَدُ فِيهَا.

وَفِيهِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِجَمْعِهِ بَيْنَ مُتَنَاسِبَاتٍ. وَالتَّوْجِيهُ. وَالتَّجْنِيسُ. فَإِنَّ (**الصِّمَّةَ**) وَ(**الصَّمَمِ**) مِنَ التَّجْنِيسِ مَعَ (**تَصَامَمَتْ**). وَالإِرْصَادُ فِيهِ ضَعِيفٌ.

وَجَاءَ هُنَا بِـ (**إِنْ**) فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ وَهُوَ مَوْضِعُ (إِذَا)، لأَنَّ (إِنْ) إِنَّمَا يُقَالُ فِي الأُمُورِ الْمَشْكُوكَةِ، وَ(إِذَا) أَيْضاً إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى تَقْدِيرِ (إِذْ)، إِذْ هُوَ أَمْرٌ

(1) في تفسير الطبري: 14/ 395 «ومنه الخبر...». وفي تحفة الأحوذي: 10/ 277 «ومنه الحديث...».

(2) في الأصل: «مستحسن».

مَذْكُورٌ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ وَقَعَ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ إِضْمَارٌ تَقْدِيرُهُ: كَانُوا إِذَا قَامَ.

وَالضَّمِيرُ فِي (**عَنْهُ**) عَائِدٌ عَلَى (**الْخَطِيبِ**) أَوِ (**الْخَاطِبِ**).

وَ(**أُذْنَا**): فَاعِلٌ سَقَطَتْ نُونُهُ لِلإِضَافَةِ.

وَنَرْجِعُ لِقَوْلِهِ: (**شَاكِي السِّلَاحِ**) الْبَيْتُ.

(**شَاكِي**): مِنَ الشَّوْكَةِ، وَهِيَ الْحِدَّةُ. وَشَاكٍ: مَقْلُوبٌ، وَأَصْلُهُ شَايِكٌ، وَهُوَ مِنْ شَاوِكٍ، لأَنَّهُ مِنَ الشَّوْكَةِ، ثُمَّ فُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ بِقَائِمٍ، إِذْ أَصْلُهُ قَاوِمٌ، فَأُبْدِلَتْ وَاوُهُ يَاءً، ثُمَّ أُبْدِلَتِ الْيَاءُ هَمْزَةً كَمَا فُعِلَ فِي قَائِمٍ وَنَائِمٍ، إِذْ [أُبْدِل][1] الْجَمِيعُ الْوَاوَ، ثُمَّ قُلِبَ فَجُعِلَ عَيْنُهُ فِي مَوْضِعِ لَامِهِ، وَلَامُهُ فِي مَوْضِعِ عَيْنِهِ، فَقِيلَ: (شَاكِي)، ثُمَّ فُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ بِقَاضٍ وَغَازٍ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: صَارَ بَعْدَ الْقَلْبِ (شَاكِوْ)، فَوَقَعَتِ الْوَاوُ مُتَطَرِّفَةً فِي الاسْمِ وَقَبْلَهَا مَكْسُورٌ، فَقُلِبَتْ يَاءً، وَفُعِلَ بِهَا مَا فُعِلَ بِقَاضٍ وَأَدْلٍ وَأَجْرٍ فِي جَمْعِ دَلْوٍ وَجَرْوٍ؛ فَالشَّاكِي هُنَا الْمُرَادُ بِهِ الْحَادُّ مِنَ السِّلَاحِ. وَتُسَمَّى السِّلَاحُ كُلُّهَا شَكَّةً وَإِنْ كَانَ فِيهَا مَا لَيْسَ بِحَادٍّ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ لُغَةُ الْعَرَبِ مِنْ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ بَعْضِهِ، كَمَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُسَمَّيَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

وَمِنْ أَبْيَاتِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فِي قَصِيدَتِهِ الْبَائِيَّةِ الَّتِي أَجَابَ بِهَا بَعْدَ جَوَابِ حَسَّانَ ﵄: (كامل)

يَغْدُونَ بِالزَّغْفِ الْمُضَاعَفِ شَكَّةً   وَبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثِّقَافِ صِيَابِ[2]

---

(1) في الأصل: «أدل» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) البيتان في الديوان: 170، ابن هشام: 3/ 260، البداية والنهاية: 4/ 134، الزعف: الدروع اللينة. المترصات: الرماح الشديدة. صياب: صائبة. الصوارم: السيوف القاطعة. الصياقل: جمع صقيل وهو شحاد السيوف. الغلب: الخشونة، وما يعلو الشيء من الصدأ، ومن رواه بالعين: فهو الخدش. الأروع: الذي يروع بجماله وكماله.

وَصَوَارِمٌ نَزَعَ الصَّيَاقِلُ غُلْبَهَا   وَبِكُلِّ أَرْوَعَ مَاجِدِ الأَنْسَابِ

وَمِنْ شَرْحِ أَبْيَاتٍ ادَّعَاهَا لابْنِ الْقَزَّازِ[1]: (طويل)

وَاقُو كَفِيطَاطِ الْعَزِيزِ جَعَلْتُهُمْ   تَجِيءُ هُمُومِي وَهْوَ لَا يَتَغَمَّمُ

[وَ . . . كَظِلِّ النَّسْرِ، مَلَّكْتُ شِكَّتِي   جَوَانِبَهُ، وَ . . . بِالْمَاءِ يَهْجُمُ

وَفَسَّرَ ابْنُ الْقَزَّازِ . . . قَوْلَه . . .][2] مَلَكْتُ شِكَّتِي جَوَانِبَهُ بِالرُّمْحِ وَالْقَوْسِ وَالسَّيْفِ وَالدِّرْعِ، فَهَذِهِ هِيَ السِّلَاحُ الْكَامِلُ.

وَ(**السِّلَاحُ**): يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، وَالأَحْسَنُ التَّذْكِيرُ. وَلَمَّا ذَكَرَ النَّاظِمُ مِنْ صِفَاتِ الصَّحَابَةِ ﵃ مَا ذَكَرَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالنَّجْدَةِ تَشَوَّفَتِ النُّفُوسُ إِلَى صِفَةٍ تُمَيِّزُهُمْ عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ، لأَنَّ لِلْعُيُونِ شَهْوَةً فِي رُؤْيَتِهِمْ تَقْضِيهَا كَمَا قَضَتِ الآذَانُ شَهْوَتَهَا بِسَمَاعِ مَآثِرِهِمْ، فَقَالَ: صِفَتُهُمْ كَوْنُهُمْ لَا هِمَّةَ لَهُمْ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ إِلَّا حَدُّ أَسْلِحَتِهِمْ، فَمَهْمَا رَأَيْتَ بَطَلاً مِقْدَاماً مُحَلًّى بِسِلَاحٍ حَادَّةٍ مُعَدَّةٍ لِلْحَرْبِ عَلِمْتَ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتِلْكَ لَهُمْ سِمَةٌ تُمَيِّزُهُمْ.

وَ(**السِّيمَا**): تُقَالُ مَقْصُورَةً وَمَمْدُودَةً. وَهِيَ مِنَ الْوَسْمِ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ. وَلَمَّا كَانَ الْكَفَرَةُ مِمَّا مَسَّهُمْ مِنَ الذُّعْرِ، وَخَامَرَهُمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْخَوْفِ، اسْتَعْمَلُوا السِّلَاحَ، وَصَارُوا مُتَسَرْبِلِينَ بِهَا فَاسْتَشْعَرَ النَّاظِمُ سُؤَالاً، كَأَنَّ الْقَائِلَ يَقُولُ: إِنْ كَانَتِ السِّلَاحُ سِيمَا فَاللَّازِمُ مُشْتَرَكٌ، فَإِنَّ لِلْكَفَرَةِ [سِلَاحاً][3] [285]//. فَأَجَابَ النَّاظِمُ بِأَنْ قَالَ: [شَتَّانَ][4] مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ

---

(1) هو أبو عثمان سعيد بن عثمان البربري المعروف بابن القزاز. كان من أجل أصحاب أبي علي البغدادي، ومن طريقه صحت اللغة بالأندلس بعد أبي علي. (ت395هـ). ترجمته في: (فهرسة ابن خير: 310، فهرسة التجيبي: 54. إنباه الرواة: 2/ 44، بغية الوعاة: 256، الصلة: 1/ 204، الجذوة: 215).

(2) طمس لبعض ألفاظ لحق يسار وأسفل الورقة: 284.

(3) في الأصل: «سلاح».

(4) في الأصل: «سيان» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

ـ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ـ إِذَا رَأَيْتَهُمْ[1] تَجِدُهُمْ أَهْلَ رَائِحَةٍ حَسَنَةٍ، وَعَلَى وُجُوهِهِمْ أَنْوَارُ الإِيمَانِ وَغَزَارَتُهُ، وَالْكَفَرَةُ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تَجِدُهُمْ [وَعَلَيْهِمْ][2] ذِلَّةٌ وَمَسْكَنَةٌ، وَعَلَتْهُمْ غَبَرَةٌ رَهَقَتْهُمْ حَتَّى انْكَسَفَتْ أَلْوَانُهُمْ، فَتَعْرِفُ كُلًّا مِنْهُمْ بِسِيمَتِهِ. وَضَرَبَ مِثَالاً لِلصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ كَالْوَرْدِ، مَلِيحِ الرَّائِحَةِ، حَسَنِ الْمَنْظَرِ، وَالْكَفَرَةَ غُبْرُ الْوُجُوهِ، فَجَعَلَ لَهُمْ مَثَلاً السَّلَمَ، وَهُوَ شَجَرٌ مَشَوَّكٌ، يَعْمَلُ نَوَّاراً أَصْفَرَ، تَصْحَبُهُ زُهُومَةٌ؛ فَكَأَنَّ النَّاظِمَ يَقُولُ لَكَ: هٰؤُلَاءِ كَالْوَرْدِ وَهٰؤُلَاءِ كَالسَّلَمِ، وَالْوَرْدُ مَشَوَّكٌ وَالسَّلَمُ مُشَوَّكٌ، وَالإِنْسَانُ يُمَيِّزُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّجَرَيْنِ، كَمَا أَنَّ هٰؤُلَاءِ لَهُمْ أَسْلِحَةُ الطَّلَبِ وَلِلآخَرِينَ أَسْلِحَةُ الْهَرَبِ وَالرَّهَبِ، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا. (طويل)

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا مُسْتَعَارٌ لِزِينَةٍ   إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهْ[3]

فَتُمَيِّزُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ بِالإِقْدَامِ وَالطَّلَبِ فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَوَرِ وَالْهَرَبِ فِي الْكَافِرِينَ؛ ثُمَّ إِنَّ النَّاظِمَ مَثَّلَ كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يُوَافِقُ صِفَاتِهِ؛ فَالْوَرْدُ يُقَرَّبُ، وَتُشَمُّ رَائِحَتُهُ، وَتُسْتَعْذَبُ، وَيُدَّخَرُ لِلشَّمِّ ولإِصْلَاحِ الْقُلُوبِ بِمَا يُرَكَّبُ مِنْهُ مِنَ الأَنْبِذَةِ وَغَيْرِهَا؛ وَالسَّلَمُ: شَجَرٌ لَا يُرْغَبُ فِيهِ، فَيُوقَدُ وَلَا يُشَمُّ لِزُهُومَتِهِ وَنِعْمَ مَا عَمِلَ، وَإِنْ يَبِسَ السَّلَمُ جَرَفَتْهُ أَهْلُ الْبَادِيَةِ، وَرَعَتِ الْجِمَالُ أَخْضَرَهُ، فَهُوَ مُعَدٌّ لِلْفَسَادِ.

فَإِذَا فَهِمْتَ مَا قَرَّرْنَاهُ فَقَدْ يُطْلَقُ الشَّاكِي أَيْضاً عَلَى لَابِسِ السِّلَاحِ التَّامِّ، فَيُقَالُ: فُلَانٌ شَاكِي السِّلَاحِ، أَيْ: لَابِسُ السِّلَاحَ التَّامَّ. وَيُقَالُ لِلَابِسِهَا: شَكَّ فُلَانٌ: إِذَا تَسَرْبَلَ بِهَا وَأَعَدَّ مِنْهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا. وَإِنَّمَا سُمِّيَ السِّلَاحُ شِكَّةً مِنْ قَوْلِهِمْ: شَاكَ الشَّوْكُ شِيَاكَةً: إِذَا دَخَلَ فِي الْجَسَدِ. وَلَمَّا كَانَ مُعْظَمُ السِّلَاحِ كَالرُّمْحِ وَالسَّيْفِ وَالنَّبْلِ وَالْمُدْيِ مُعَدَّةٌ لِلأَجْسَادِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الْحَرْبِ بِهَا سُمِّيَتْ

---

(1) العبارة مكررة في الأصل.

(2) في الأصل: «[illegible]»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) سبق تخريجه: ص446.

بِذٰلِكَ، وَسُمِّيَ لَابِسُهَا أَيْضاً شَاكِياً، لأَنَّهُ هُوَ مُدْخِلُهَا فِي أَجْسَادِ مُحَارِبِيهِ، مِنْ قَوْلِكَ: شُكْتَ الشَّكَّةَ: إِذَا أَدْخَلْتَهَا فِي شَيْءٍ مِمَّا قَصَدْتَ إِذَايَتَهُ بِهَا.

وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّهُ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ لِلنَّقْلِ الْمَحْفُوظِ عَنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ، وَلأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ نَطَقَتْ بِفِعْلِهِ بِالْوَاوِ وَقَالُوا: أَشْوَكَتِ الأَرْضُ: إِذَا ظَهَرَ شَوْكُهَا. وَأَشْوَكَتِ النَّخْلُ: إِذَا ظَهَرَ شَوْكُهُ. وَقَدْ نَصَّ الأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّ (شَاكَ) وَ(هَارَ) أَصْلُهُمَا: (شَاوِكٌ) وَ(هَاوِرٌ). وَلِلْكَلِمَةِ اسْتِعْمَالَانِ: فَإِنْ نُطِقَ بِهَا مُجَرَّدَةً حُذِفَتِ الْيَاءُ كَقَاضٍ وَغَازٍ رَفْعاً وَجَرّاً، وَإِذَا أُضِيفَتْ ثَبَتَتِ الْيَاءُ كَقَاضِي الْجَمَاعَةِ وَغَازِي الْعَسْكَرِ.

وَ(**السِّلَاحُ**): وَاحِدٌ، وَالْجَمْعُ أَسْلِحَةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: 102].

وَ(**مَازَ**) الشَّيْءَ يَمِيزُهُ: إِذَا عَزَلَهُ عَنْ غَيْرِهِ بِصِفَةٍ يَمْتَازُ بِهَا.

وَوَاحِدُ (**السَّلَمِ**): سَلَمَةٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَوَصْفُهُمْ بِالسَّلَمِ اعْتِرَافٌ بِشِدَّتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَهُمْ شَوْكَةٌ مُؤْذِيَةٌ.

قُلْتُ: وَبِذٰلِكَ تَظْهَرُ لَكَ شِدَّةُ الصَّحَابَةِ وَنَجْدَتُهُمْ مِنْ أَنَّهُمْ إِذَا لَقِيَهُمْ مَنْ كَانَتْ لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ شِدَّةٌ وَنَجْدَةٌ وَشَجَاعَةٌ ذُلَّ وَهَانَ، وَأَدْرَكَهُ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ. وَمَا فَخْرُ الشُّجْعَانِ إِلَّا بِقَهْرِ الطُّغْيَانِ؛ لأَنَّ أَبْطَالَ الْعَرَبِ الطُّغَاةَ الثُّيَّارَ الَّذِينَ اشْتَهَرُوا فِي الْحُرُوبِ كَانُوا فِي شِرْكِهِمْ إِذَا لَقِيَ الْجَمْعُ الْكَبِيرُ مِنْهُمْ بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُوَلُّوا الأَدْبَارَ وَيَطْلُبُوا الْفِرَارَ. وَلَا يُبَالِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ [286]// مِنْ كَثْرَةِ أَعْدَادِهِمْ، وَلَا مِنْ [شُهْرَةِ][1] قُوَاهُمْ فِي الْحَرْبِ وَإِجْهَادِهِمْ [...][2] مَعَهُمْ حَيْثُمَا أَقْبَلُوا؛ وَالأَنْعَامُ وَإِنْ كَثُرَتْ لَا يَهَابُهَا

---

(1) في الأصل: «شهر».

(2) العبارات في الأصل مطموسة الورقة: 286.

الْقَصَّابُونَ؛ فَتَجِدُهُمْ ﷺ فِي الْحَرْبِ [فُرْسَاناً][1]، وَفِي الاجْتِمَاعِ عَلَى الْعِبَادَةِ إِخْوَاناً وَأَعْوَاناً، وَعِنْدَ مُلَاقَاةِ الْمُشْرِكِينَ أُسُوداً وَعُقْبَاناً. وَكَيْفَ لَا وَمَعَهُمُ النُّصْرَةُ التَّامَّةُ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا النَّاظِمُ بَعْدُ فِي قَوْلِهِ: (**وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ**)[2] الْبَيْتَ.

وَأَمَّا إِعْرَابُ (**شَاكِي**)، فَعَلاً أَنَّهُ نَفْسُ السِّلَاحِ: فَهُوَ مُبْتَدَأٌ، (**سِيمَا**) خَبَرُهُ، أَيْ: السِّلَاحُ التَّامُّ مُلَازَمَتُهُ سِيمَا لَهُمْ يُمَيِّزُهُمْ، وَيَكُونُ الْمَجْرُورُ (**لَهُمْ**) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ، لِأَنَّ نَعْتَ النَّكِرَةِ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَيْهَا نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، وَكَأَنَّ الأَصْلَ أَنْ يَقُولَ: شَاكِي السِّلَاحِ سِيمَاهُمْ.

وَيَصِحُّ كَوْنُهُ خَبَراً مُقَدَّماً، وَتَقْدِيرُهُ: سِيمَاهُمْ، أَيْ: عَلَامَتُهُمْ شَاكِي السِّلَاحِ، كَمَا تَقُولُ: الْعِلْمُ لَهُ صَاحِبٌ، وَالْوَقَارُ لَهُ مُصَاحِبٌ، أَيْ: الْعِلْمُ صَاحِبُهُ، وَالْوَقَارُ مُصَاحِبُهُ؛ فَيَكُونُ الْمَجْرُورُ عِوَضاً مِنَ الإِضَافَةِ، وَ(**تُمَيِّزُهُمْ**) فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الصِّفَةِ.

وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّ (**شَاكِي**) هُوَ لَابِسُ السِّلَاحِ، فَيَكُونُ جَمْعاً مُضَافاً حُذِفَ نُونُهُ لِلإِضَافَةِ، وَيَكُونُ مَنْصُوباً عَلَى التَّبَعِيَّةِ (**لِلْمُصْدِرِي الْبِيضَ، الْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ، الشَّاكِينَ السِّلَاحَ**). أَوْ حَالاً وَهُوَ الأَحْسَنُ، لَا يُقَالُ مَعْرِفَةٌ، لِأَنَّ الإِضَافَةَ فِيهِ إِضَافَةُ تَحْقِيقٍ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ. وَيَكُونُ (**سِيمَا**) عَلَى هَذَا مُبْتَدَأً، وَ(**لَهُمْ**) خَبَرَهُ، وَ(**تُمَيِّزُهُمْ**) فِي مَوْضِعِ النَّعْتِ لِـ(**سِيمَا**)، وَتَكُونُ (**السِّيمَا**) غَيْرَ السِّلَاحِ بَلْ تَكُونُ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: 29]؛ وَلِذَلِكَ عَبَّرَ بِالْوَرْدِ عَنْ أَنْوَارِ السِّيمَا الَّتِي تُدْرَكُ فِي وُجُوهِهِمْ كَمَا يُدْرَكُ لَوْنُ الْوَرْدِ وَرَائِحَتُهُ، وَبِتِلْكَ السِّيمَا تُمَيِّزُهُمْ ﷺ، فَتُفَرِّقُهُمْ

(1) في الأصل: «رهباناً»، والأنسب ما أثبتناه.
(2) الديوان: 199 وعجزه: «إن تلقه الأسد في آجامها تجم».

بِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالسَّلَمِ بِالسِّيمَا، إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَا يَلْتَبِسُ بِصَاحِبِهِ.

وَالصَّحِيحُ نَصْبُ (**شَاكِي**) عَلَى الْحَالِ، وَكَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: (**الْمُصْدِرِي الْبِيضِ**)، وَقَالَ: (**الْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ**)، تَوَهَّمَ أَنَّ عُدَّتَهُمُ السُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ، قَالَ: يَفْعَلُونَ ذَلِكَ حَالَةَ كَوْنِهِمْ مُسْتَعِدِّينَ بِالسِّلَاحِ الْكَامِلِ، وَيُقَالُ رَجُلٌ شَاكُ السِّلَاحِ بِضَمِّ الْكَافِ، وَشَائِكٌ وَشَاكٍ فِي السِّلَاحِ ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الأَوْسِيُّ[1] فِي «**الْمُنَظَّمِ**»: مُخْتَصَرُ كُرَاعٍ.

وَالْجَمْعُ بَيْنَ (**الْوَرْدِ**) وَ(**السِّيمَا**) مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

وَفِيهِ: جِنَاسٌ مِنْ (**تُمَيِّزُهُمْ**) وَ(**تَمْتَازُ**).

وَضَبْطُ [...][2] شَاكِوَا، وَالأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَصْوَبُ.



(1) سبقت ترجمته: ص40.
(2) طمس بالأصل.

144 ـ قَالَ:

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ   فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِ[1]

شرح: لِهٰذَا الْبَيْتِ كَانَ ذِكْرُ (**الْوَرْدِ**) تَوْطِئَةً، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَلْمَحُ مِنْهُ مَا تَلْمَحُ مِنَ الْفَرْقِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، لٰكِنْ لَمَّا قَصَدَ أَنْ يَذْكُرَ رَوَائِحَهُمُ الْعَطِرَةَ ـ تَتْمِيماً لِمَا نَشَرَ مِنْ صِفَاتِهِمِ الْفَائِقَةِ شِدَّةً وَنَجْدَةً ـ عَرَّضَ بِذِكْرِ (**الْوَرْدِ**) الَّذِي إِذَا خَطَرَ أَحَدٌ عَلَى مَنَابِتِهِ لَا سِيَّمَا مع كَثْرَتِهَا يَجِدُ الرَّوَائِحَ الْعَطِرَةَ أَحْدَقَتْ بِهِ يَمِيناً وَشِمَالاً. وَمِنْ هُنَا تَعْرِفُ أَنَّ مَنْ قَدَّمَ هُنَا فِي الأَبْيَاتِ وَأَخَّرَ غَشَمَهَا غَشْماً، إِمَّا لِكَوْنِهِ أَخَذَهَا عَلَى مَا وَجَدَهَا فِي كُرَّاسٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ إِلَيْهِ فِيهَا رِوَايَةٌ، لٰكِنَّ الْمَقْصُودَ نَشْرُ الْمَآثِرِ وَالْمَفَاخِرِ، وَقَدْ حَصَلَ وَالْحَمْدُ للهِ مِمَّنْ قَدَّمَ أَوْ أَخَّرَ. وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّشْرَ الَّذِي يَجِدُهُ الْمُسْتَنْشِقُ مِنَ الْوَرْدِ حِسِّيٌّ، وَالَّذِي يَجِدُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ حِسِّيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ:

أَمَّا حِسّاً: فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ طَهَّرَ أَجْسَامَهُمْ بِالأَوْضِيَةِ وَالاغْتِسَالَاتِ، مَعَ مَا حُبِّبَ إِلَيْهِمْ مِمَّا حُبِّبَ إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ مِنِ اسْتِعْمَالِ الطِّيبِ.

وَمَعْنًى: إِنَّ مَهْمَا خَطَرَ بَطَلٌ مِنْ أَبْطَالِ الشَّرِيعَةِ تَجِدُ الْقُلُوبَ تَسْتَنْشِقُ مِنْ رُؤْيَتِهِ أَعْظَمَ مِمَّا تَسْتَنْشِقُ مِنْ رَوَائِحِ الْوَرْدِ وَغَيْرِهِ مِنَ الطُّيُوبِ الْعَطِرَةِ؛ وَمَعَ غَيْبَتِهِمْ عَنِ الْعِيَانِ إِذَا تَذَكَّرَ الإِنْسَانُ مَا مَنَحَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ النَّصْرِ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَإِعْزَازِ الْمِلَّةِ، يَجِدْ مِنْ حَيَاةِ النُّفُوسِ وَقُوَّةِ الْقُلُوبِ أَعْظَمَ مِمَّا تَكْسِبُهُ الْقُلُوبُ مِنْ رَوَائِحِ الْعِطْرِيَاتِ.

وَ(**رِيَاحُ النَّصْرِ**) هُنَا إِمَّا: مَعْنًى، حَتَّى إِنَّهُ جَعَلَ لِلنَّصْرِ رِيَاحاً، وَهُوَ مَا

(1) الديوان: 199.

يَهُبُّ عَلَى الْقُلُوبِ عِنْدَ تَذْكَارِ أَحْوَالِهِمْ وَمَا مُنِحُوا مِنَ النَّصْرِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ (الصَّبَا)، وَقَدْ قَالَ ﷺ: **[287]**// «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ»[1]؛ فَتَكُونُ الرِّيَاحُ حَقِيقَةً، وَعَلَى الأَوَّلِ تَجَوُّزاً.

وَقَالَ: (**رِيَاحُ**) وَلَمْ يُفْرِدِ الرِّيحَ، لأَنَّ الاسْتِعْمَالَ غَلَبَ عَلَى أَنَّ الرِّيَاحَ مَا وَرَدَتْ إِلَّا فِي إِصْلَاحِ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْمُفْرَدَةُ فَمَا جَاءَتْ إِلَّا فِي مَا يُتَّقَى مِنْهُ، مِثْلَ: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: 41]. وَ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: 117]، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ جَاءَتْ فِي مَا هُوَ مُصْلِحٌ: ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22].

قُلْتُ: صِفَتُهَا أَذْهَبَتْ عَنْهَا مَا فِي إِطْلَاقِهَا.

وَإِنْ حُمِلَ الْبَيْتُ عَلَى الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ حَسُنَ. وَإِنْ أَرَدْنَا أَيْضاً حَمْلَ مَا يُوجَدُ مِنْهُمْ عِنْدَ خُطُورِهِمْ لَكَانَ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيرٌ، أَيْ: لَوْ كُنْتَ مِمَّنْ خَطَرُوا عَلَيْكَ لَكَانَ ذٰلِكَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: إِنْ ذُكِرُوا عَلَيْكَ، وَحُكِيَ لَكَ مِنْ سِيَرِهِمْ وَمَوَاقِعِهِمْ مَعَ الْكَفَرَةِ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ بِقَلْبِكَ، وَمِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ فِي أَنْفِكَ عِنْدَ السَّمَاعِ رَائِحَةً ذَكِيَّةً حَتَّى أَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ خَاطِراً عَلَيْكَ خَطَرَ بِطِيبٍ.

وَعَلَى الأَوَّلِ تَحْسُنُ رِوَايَةُ: (**فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ فِي أَكْمَامِ كُلِّ كَمِ**)[2]، أَيْ: تَحْسِبُ أَنَّ الرَّوَائِحَ الَّتِي تَجِدُ عِنْدَ خُطُورِهِمْ خَرَجَتْ مِنْ أَكْمَامِ ثِيَابِهِمْ.

وَعَلَى الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: (**فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِ**)[3]، يَعْنِي: إِنَّكَ إِذَا تَذَكَّرْتَ مَنَاقِبَهُمْ وَمَآثِرَهُمْ تَقُولُ: مَا خَصَّ اللهُ ﷻ الأَزْهَارَ الْحَسَنَةَ الَّتِي تَكُونُ فِي عُنْفُوَانِ حُسْنِهَا فِي أَكْمَامِهَا الشَّجَرِيَّةِ إِلَّا مِنْ رَوَائِحِهِمُ الَّتِي هَبَّتْ بِهَا

(1) البخاري: 6/ 32 و122، مسلم: 2/ 617، ابن حبان: 14/ 331، النسائي: 6/ 451، مجمع الزوائد: 6/ 65، الفردوس: 4/ 279، كشف الخفاء: 2/ 420.
(2) الديوان: 199.
(3) الديوان: 199.

الرِّيَاحُ عَلَى تِلْكَ الأَشْجَارِ، وَيَكُونُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: فَتَحْسِبُ رَوَائِحَ الزَّهْرِ فِي الأَكْمَامِ رَوَائِحَ كُلِّ كَمٍ مِنْهُمْ.

وَ(**الأكمام**) أَوْعِيَةُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الثَّمَرَاتِ قَبْلَ أَنْ تَنْشَقَّ عَنْهَا، وَهِيَ الْكُفُرَّا، وَاحِدُهَا كَمٌّ، فَإِذَا انْفَطَرَتْ وَانْشَقَّتْ خَرَجَ مِنْهَا مَا سَتَرَتْهُ، فَيَخْرُجُ الزَّهْرُ وَتَحْتَهُ الثَّمَرَاتُ كَالطَّلْحِ عَلَى الثَّمْرِ فَهُوَ نُوَارُهُ.

وَ(**الكَمُ**) مُخَفَّفٌ مِنَ الْكَمِيِّ، وَالْكَمِيُّ: قَالَ ابْنُ هِشَامٍ[1]: «هُوَ الْفَارِسُ الشُّجَاعُ» مِنْ غَيْرِ أَنْ يُضِيفَ إِلَيْهِ إِضَافَةً. وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِ الشَّاعِرِ، وَهُوَ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفَا: (طويل)

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ   بَنِي ضَوْطَرَا لَوْلَا الْكَمِيَّ الْمُقَنَّعَا[2]

فِي شِعْرٍ يَهْجُو بِهِ الْفَرَزْدَقَ، فَإِنَّهُ قَالَ: (الْمُقَنَّعَا)، فَجَعَلَ لَفْظَ الْمُقَنَّعِ لَيْسَ مِمَّا بِهِ يَتِمُّ الْكَمِيُّ. وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ فِي «**فِقْهُ اللُّغَةِ**» لَهُ: «إِنَّ الْكَمِيَّ هُوَ الْفَارِسُ الْكَامِلُ السِّلَاحِ، فَلَا يُقَالُ فِيهِ كَمِيٌّ حَتَّى يَكُونَ لَابِساً سِلَاحَهُ»[3].

وَفِي ذِكْرِ (**الأكمام**) عَلَى الرِّوَايَتَيْنِ مَعَ لَفْظِ (**كم**) تَجْنِيسٌ.

وَفِيهِ التَّفْسِيرُ: فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الصَّدْرَ الأَوَّلَ حَصَلَ مَقْصُودُ الْمَدْحِ، وَزَادَ بِتَفْسِيرِ مَا يَحْصُلُ وَهُوَ عِنْدَ قَوْمٍ مِنَ الاسْتِتْبَاعِ.

---

(1) شرح الفصيح: ص56.

(2) البيت لجرير في: ديوان 338 «سعيكم»، التبصرة: 334، الفوائد المحصورة: 158، المرصع: 288، تذكرة النحاة: 79، الصاحبي: 253، جواهر الأدب: 194، الخصائص: 2/ 42، التنبيه: 2/ 153، ونسب للفرزدق في: اللسان والتاج (ضطر)، القرطبي: 6/ 418، الأزهية: 177، ونسب للأشهب بن رميلة في: مجاز القرآن: 25 ـ 191، تفسير الطبري: 1/ 407، أمالي الشجري: 2/ 210، المخصص: 3/ 199، الخزانة: 3/ 60.

(3) فقه اللغة: 51، وفيه: «لا يقال للشجاع كمي إلا إذا كان شاكي السلاح وإلا فهو بطل».

وَ(**النَّصْرُ**) وَ(**النَّشْرُ**) أَيْضاً مِنْ تَجْنِيسِ حَرْفٍ، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 104]. وَ([**النَّشْرُ**])[1]: الرَّائِحَةُ. وَ(**النَّصْرُ**): مُوجِبُ الظَّفَرِ بِالْعِدَا.

بَحْثٌ حَسَنٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى نَقْضِ دَعْوَى: وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: قَدْ حَاوَلْتَ فِي كَوْنِ الرِّيحِ لَا تَأْتِي مُفْرَدَةً إِلَّا دَالَّةً عَلَى أَمْرٍ مَكْرُوهٍ، وَأَخْرَجْتَ مَا جَاءَ فِي الآيَةِ بِالصِّفَةِ، فَمَا تَصْنَعُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ النَّاظِمِ حَيْثُ قَالَ: (**أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ**)؟

فَجَوَابُهُ: إِنَّ السَّائِلَ يَسْتَفْهِمُهُ، مَا كَانَ سَبَبُ حُزْنِهِ وَبُكَائِهِ وَذَهَابِ عَقْلِهِ بِهُيَامِ قَلْبِهِ، هَلْ فَعَلَتْ هٰذَا الرِّيحُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَكُونَ كَذٰلِكَ أَمْ غَيْرُهَا؟ وَلِهٰذَا أَكْثَرُ مَا يَرِدُ مِنْ سُؤَالِ الرِّيَاحِ أَنْ يَجْمَعُوا، أَوْ يُعَبِّرُوا بِالنَّسِيمِ؛ وَمَهْمَا ذَكَرُوا الرِّيحَ مُفْرَدَةً لَا بُدَّ أَنْ يَدُلَّ كَلَامُهُمْ عَلَى شَيْءٍ مَا مِمَّا يُوقِعُ فِي قُلُوبِهِمْ كَآبَةً إِلَّا إِنْ قُيِّدَتْ بِصِفَةٍ، أَوْ أُضِيفَتْ إِلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّيَاحِ كَرِيحِ الصَّبَا.

وَ«انْشِقَاقُ الْكَمِيِّ مِنْ قَوْلِهِمْ: كَمَى، أَوْ تَكَمَّى: إِذَا قَصَدَ إِلَى الْمَثَلِ، قَالَهُ ثَعْلَبُ وَأَنْشَدَ: (رجز)

بَلْ لَوْ شَهِدْتَ النَّاسَ إِذْ تُكُمُّوا   لِغُمَّةٍ لَوْ لَمْ تُفَرَّجْ غُمُّوا[2]»[3]

فَـ (كَمِيٌّ) إِمَّا فَعِيلٌ أَوْ فَعُولٌ. وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ[4] فِي «**إِيضَاحِهِ**»[5] فِي تَكْسِيرِ الصِّفَاتِ [288]// حَيْثُ قَالَ: «وَزَعَمَ أَبُو زَيْدٍ[6] أَنَّهُمْ

---

(1) في الأصل: «النصر» ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(2) البيت للعجاج في ديوانه: 422، مجالس ثعلب: 2/ 463 «لو رأيت الناس»، القرطبي: 8/ 364 و17/ 156، الصحاح واللسان/كمى.

(3) مجالس ثعلب: 2/ 463.

(4) سبقت ترجمته: ص36.

(5) اسم الكتاب كاملاً: «الإيضاح العضدي» واسم الجزء الثاني «تكملة الإيضاح» مطبوع حققه حسن شاذلي فرهود، 1969 القاهرة.

(6) هو أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس، عالم بالنحو واللغة، (ت215هـ). ترجمته في: (نزهة الألباء: 125، إنباه الرواة: 2/ 30، بغية الوعاة: 1/ 582).

قَالُوا: كَمِيٌّ، وَأَكْمَاءُ. وَنَقَلَ عَنْ أَبِي الْخَطَّابِ[1] أَنَّ مِثْلَهُ: عَدُوٌّ وَأَعْدَاءُ»[2].
وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «هُوَ مِنْ كَمَى الشَّيْءَ إِذَا سَتَرَهُ». وَجَعَلَ فَعِيلاً بِمَعْنَى مَفْعُولاً كَأَنَّهُ مُكْمًى. أَيْ: مَسْتُوراً، وَكَأَنَّ اللهَ سَتَرَهُ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ، وَبِمَا جَعَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَيْبَةِ الَّتِي قَامَتْ لَهُ مَقَامَ الدُّرُوعِ الْحَصِينَةِ. وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: الشُّجَاعُ مُوقًى. وَيَحْسُنُ هٰذَا أَيْضاً عَلَى مَذْهَبِ أَبِي مَنْصُورٍ فِي نَقْلِهِ عَنِ الْعَرَبِ، «فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ كَمِيّاً حَتَّى يَكُونَ مَسْتُوراً بِلأْمَةِ حَرْبِهِ»[3].

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ الرِّوَايَتَيْنِ أَحْسَنُ (**فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ فِي أَكْمَامِ كُلِّ كَمٍ**) أَوْ (**فِي الأَكْمَامِ**)؟

قُلْتُ: الأُولَى، لأَنَّ النَّشْرَ [ذَاتِيٌّ][4]، وَفِي الثَّانِيَةِ بِضَرْبٍ مِنَ الْمُحَاوَلَةِ، فَالأُولَى أَبْلَغُ فِي الْمَدْحِ. وَالإِعْرَابُ وَاضِحٌ.



(1) هو عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب الأخفش الأكبر، مولى قيس بن ثعلبة، إمام في العربية. ترجمته في: (بغية الوعاة: 2/ 74، إنباه الرواة: 2/ 157).
(2) تكملة الإيضاح: 185، النوادر: 245 ـ 246.
(3) فقه اللغة: 51.
(4) في الأصل: «ذاتيا» ولعل الصواب ما أثبتناه.

145 ـ قَالَ:

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبًى ... مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزُمِ[1]

لَمَّا وَصَفَهُمْ بِرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَفْسِيرِهَا، أَخَذَ يَذْكُرُ قُوَّتَهُمْ وَجَلَدَهُمْ عَلَى مُكَابَدَةِ الْحُرُوبِ، وَإِنْ كَانَ قَدِ اسْتُفِيدَ ذٰلِكَ كُلُّهُ بِالتَّصْرِيحِ وَالتَّلْوِيحِ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنْ جَرِّ الدِّينِ عَسْكَرَهُ طَالِباً ضِيَافَتَهُ وَمَا بَعْدَهُ، لٰكِنَّهُ رَأَى رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ وَصْفَهُ إِيَّاهُمْ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ لَا يَسْتَلْزِمُ لُزُومَهُمْ ظُهُورَ الْخَيْلِ مَعَ مَا تَضَمَّنَ ذٰلِكَ اللُّزُومُ مِنْ أَنَّهُمْ تَنَزَّلُوا فِي سُرُوجِهِمْ مَنْزِلَةَ مَا نَبَتَ بِهَا مِنْ فَرْسَنَتِهِمْ وَامْتِزَاجِهِمْ بِخُيُولِهِمْ امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ، مَعَ أَنَّ الْمَدْحَ مُرَكَّبٌ مِمَّا تَقَدَّمَ وَمِنْ هٰذَا، لأَنَّ اجْتِمَاعَ الأَمْرَيْنِ هُوَ تَمَامُ مَاهِيَةِ الْمِدْحَةِ. فَهُوَ أَتَمُّ لِصِفَاتِهِمْ، وَأَشَدُّ وَبَالاً عَلَى عِدَاتِهِمْ: شَجَاعَةُ النُّفُوسِ، وَعَزَمَاتُ التَّمَادِي عَلَى طَلَبِ اسْتِئْصَالِ الأَعْدَاءِ؛ فَلَا غَرَضَ لَهُمْ فِي رَاحَةٍ، وَلَا فُتُورَ عَنْ مُجَاهَدَةِ الأَعْدَاءِ وَالنُّفُوسِ، وَطَلَبَ بَذْلِهَا لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا.

وَفِي التَّشْبِيهِ بِـ (**نَبْتُ رُبًى**)، فِيهِ مَعْنَيَانِ عَظِيمَانِ:

أَحَدُهَا: [إِنَّهُمْ][2] فِي غَايَةِ الْمُلَازَمَةِ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ خُلِقُوا عَلَى السُّرُوجِ.

وَالثَّانِي: إِنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِنَبْتِ الأَرْضِ، لأَنَّ مِنْ نَبْتِ الأَرْضِ مَا تُهِينُهُ أَقْدَامُ الْبَهَائِمِ بِعَفْسِهَا بِخِلَافِ نَبْتِ الرُّبَى فَإِنَّهُ مَصُونٌ مَحُوطٌ، لَا تَعْفِسُهُ الأَقْدَامُ، وَلَا تَطَأُهُ الْبَهَائِمُ.

وَقَوْلُهُ: (**مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ**)، الْحَزْمُ: ضَبْطُ الأَمْرِ مِنْ كُلِّ وُجُوهِهِ.

وَ(**الْحُزُمُ**): جَمْعُ حِزَامٍ. وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ شَأْنُهُمْ فِي مُلَازَمَةِ ظُهُورِ

(1) الديوان: 199.
(2) في الأصل: «إنها».

خَيْلِهِمْ إِلَّا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ الَّذِي رَكَّبَهُ اللهُ فِي جِبِلَّاتِهِمْ، وَالصَّبْرِ الَّذِي أَفْرَغَهُ عَلَيْهِمْ، وَالسَّكِينَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي قُلُوبِهِمْ [. . . .][1].

وَلَفْظُ (الْحَزْمِ) وَ(الْحُزْمِ) جِنَاسٌ.

وَ(مِنْ شِدَّةِ) مَعَ (لَا مِنْ شِدَّةِ) طِبَاقٌ.

وَفِي الْبَيْتِ: حُسْنُ التَّعْلِيلِ، وَالتَّشْبِيهُ بِآلَةِ التَّشْبِيهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا فِيهِ قَبْلُ.



---

(1) طمس في الأصل بمقدار ثلاثة أسطر في الورقة: 288.

146 ـ قَالَ:

طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَاسِهِمْ فَرَقاً   فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبُهُمِ[1]

شرح: لَمَّا فَرَغَ مِنَ الثَّنَاءِ الْمُفْصِحِ عَنْ شَجَاعَتِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَزْمِ أَخَذَ يَتَكَلَّمُ عَلَى مَا نَشَأَ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي جَبَلَهُمُ اللهُ عَلَيْهَا، وَمَا أَنْتَجَتْ مُقَدِّمَاتُ عَزْمِهِمْ، وَضُرُوبُ أَشْكَالِ حَزْمِهِمْ مِنَ الرَّوْعِ وَالْخَوْفِ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ طَارَتْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ فَاسْتِعَارَةُ الطَّيَرَانِ لِلْقُلُوبِ مُبَالَغَةٌ فِي [289]// [. . .][2] بِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ. وَعَبَّرَ عَنِ الْعُقُولِ السَّاكِنَةِ فِي الْقُلُوبِ بِالْقُلُوبِ مِنْ بَابِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْحَالِّ بِالْمَحَلِّ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي اللُّغَةِ وَالشَّرْعِ؛ وَمِنْهُ: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: 43، المائدة: 6]، فَإِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَكَانِ الْمُطْمَئِنِّ.

وَ(**الْفَرَقُ**) بِفَتْحِ الرَّاءِ: الْخَوْفُ الشَّدِيدُ، يُقَالُ: فَرِقَ بِكَسْرِ الرَّاءِ يَفْرَقُ بِفَتْحِهَا فَرَقاً بِفَتْحِهَا أَيْضاً، وَالْمَادَّةُ فِيهَا اشْتِرَاكٌ، يُقَالُ: فَرَقَتِ الدَّابَّةُ: إِذَا ارْتَفَعَتْ إِحْدَى وَرِكَيْهَا عَلَى الْأُخْرَى. وَفَرَقْتُ الشَّعْرَ فَرْقاً: إِذَا فَصَلْتُ بَعْضَهُ مِنْ بَعْضٍ. وَفَرَقَ الْكَاتِبُ الْقُرْآنَ: أَحْكَمَهُ فَرْقاً وَفُرْقَاناً.

وَ(**الْبَاسُ**) مَهْمُوزٌ وَغَيْرُ مَهْمُوزٍ: شِدَّةُ الْأَلَمِ الْوَاصِلِ مِنْ قَهْرِ الْحَرْبِ هُنَا، وَيُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ وَغَلَبَ عَلَى شِدَّةِ الْحَرْبِ.

وَ(**الْبُؤْسُ**) مِثْلُهُ، وَبَأُسَ الرَّجُلُ فَهُوَ بَائِسٌ، أَيْ: فَقِيرٌ عَائِلٌ.

وَ(**الْبَهْمُ**): صِغَارُ الْغَنَمِ بِفَتْحِ الْبَاءِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

---

(1) الديوان: 199.

(2) طمس في الأصل في الورقة: 289.

صَغِيرَيْنِ كُنَّا نَرْتَعِي الْبَهْمَ بَيْنَنَا   فَيَا لَيْتَ لَمْ نَكْبَرْ وَلَمْ يَكْبَرِ الْبَهْمُ[1]

وَ(**الْبُهُمُ**) بِضَمِّ الْبَاءِ وَالْهَاءِ: الْفُرْسَانُ الشُّجْعَانُ، وَمُفْرَدُهُ: **بُهْمَةٌ**. قَالَ بَعْضُهُمْ: «وَالْبُهْمَةُ أَشَدُّ فِي الْمَدْحِ مِنَ الْكَمِيِّ وَالْبَطَلِ». وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «هُوَ اسْمٌ لِلْفَارِسِ الشُّجَاعِ الَّذِي لَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى فِي الْحَرْبِ لِشِدَّةِ حَزْمِهِ، وَزَعَمَ أَنَّ (**بُهْمَا**) بِضَمِّ الْهَاءِ وَالْبَاءِ مُفْرَدٌ، وَجَمْعُهُ (**بَهَمٌ**) بِفَتْحِهِمَا».

وَمَعْنَى (**لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبُهُمِ**): تَفْرِقَةَ رُؤْيَةٍ، لِأَجْلِ مَا سُلِبَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ، حَتَّى إِذَا تَخَيَّلُوا سَخْلَةً مِنَ الْغَنَمِ أَوْ عِنَاقاً ظَنُّوهُ فَارِساً مِنَ الشُّجْعَانِ.

وَلَعِبَ لَفْظُ [فَرَقَ][2] عَلَى بَعْضِ الْأَصْحَابِ حَتَّى زَعَمَ أَنَّ الرِّوَايَةَ (كَمَا تُفَرِّقُ)، وَقَالَ: «الْعَامِلُ فِي كَافِ التَّشْبِيهِ (**طَارَتْ**)». وَالْحَقُّ أَنَّ الْفَاءَ مَكَانُ الْكَافِ، وَأَنَّ (**مَا**) نَافِيَةٌ. وَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّاظِمِ أَنَّ قُلُوبَ الْعِدَا فَارَقَتْهُمْ كَمَا فَارَقَتِ الْبَهْمُ أُمَّهَاتِهَا، أَوْ كَمَا يُفَرِّقُ الْكَاسِبُ صِغَارَ بَهَائِمِهِ عَنْ أُمَّهَاتِهَا خَوْفاً عَلَيْهَا مِنَ السِّبَاعِ. وَمَا قَرَأْنَا نَحْنُ الْقَصِيدَةَ إِلَّا عَلَى مَا شَرَحْنَاهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِي الْبَيْتِ: التَّجْنِيسُ بِـ (**فَرَقاً**) وَ(**تُفَرِّقُ**)، وَبِـ (**الْبَهْمِ**) وَ(**الْبُهُمِ**).

وَمُرَاعَاةُ النَّظِيرِ.

وَ(**فَرَقاً**): مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ.

وَ(**الْفَاءُ**): سَبَبِيَّةٌ.



(1) سبق تخريجه: ص180.
(2) لا توجد اللفظة في الأصل، ولعلها سقطت.

147 ـ قَالَ:

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ   إِنْ تَلْقَهُ الْأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ[1]

شرح: الْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ هٰذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي بَعْدَهُ وَاضِحَةٌ. وَذٰلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى صِفَاتِ الصَّحَابَةِ الْمُفْصِحَةِ عَنْ بَسَالَتِهِمْ وَكَمَالِ جَلَالَتِهِمْ، وَمَا خُصُّوا بِهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ[2] الْأَعْرَاقِ، وَتَكَلَّمَ عَلَى مَثَالِبِ الْكُفَّارِ، وَمَا نَالَهُمْ مِنَ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ، اسْتَشْعَرَ سُؤَالاً، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: أَلَيْسَ أَنَّ الْأَعَادِيَ أَكْثَرُ عَدَداً وَعُدَداً؟ وَكَانَتْ لِلْعَرَبِ النَّجْدَةُ الْعَظِيمَةُ فِي الْحَرْبِ، هُمْ فُرْسَانُ الدُّنْيَا وَأَبْطَالُهَا، فَمَا بَالُهُمْ، فَمَا لَقَوْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى ذُلُّوا؟ فَأَجَابَ بِأَنْ [قَالَ][3]: وَإِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ وَإِنْ كَانَتِ الْأَنْسَابُ وَاحِدَةً، وَالنَّجْدَةُ الشُّجَاعِيَّةُ حَالَةَ الْجَاهِلِيَّةِ كَذٰلِكَ، لٰكِنْ [شَتَّانَ][4] بَيْنَ مَنْ يَسْتَنِدُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُؤْمِناً بِهِ، مُصَدِّقاً لِمَا جَاءَ بِهِ، وَبَيْنَ مَنْ يُخَالِفُهُ وَيَكْفُرُ بِهِ، فَالْمُنْتَصِرُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَا تُقَاوِمُهُ[5] شَجَاعَةُ شُجَاعٍ، حَتَّى إِنَّهُ لَوْ لَقِيَ الْأُسْدَ فِي أَمَاكِنِ سُكْنَاهَا حَيْثُ تَكُونُ لَهَا الشِّدَّةُ لَذَلَّتْ بَيْنَ [يَدَيْهِ][6].

وَفِي الرِّوَايَةِ: (**وَمَنْ يَكُنْ**) بِالْيَاءِ الْمَنْقُوطَةِ مِنْ أَسْفَلَ، وَبِتَاءٍ مَنْقُوطَةٍ نُقْطَتَيْنِ مِنْ فَوْقِهَا؛ فَعَلَى رِوَايَةِ الْيَاءِ آخِرِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ: يَكُونُ اسْمُ (**يَكُنْ**) عَائِداً[7] عَلَى (**مَنْ**)، وَ(**نُصْرَتُهُ**) مُبْتَدَأً، خَبَرُهُ (**رَسُولُ اللهِ**). وَعَلَى

(1) الديوان: 199.
(2) في الأصل: «محاند».
(3) في الأصل: «يقول».
(4) في الأصل: «سيان».
(5) في الأصل: «يقاومه».
(6) في الأصل: «أيديهم».
(7) في الأصل: «عائد».

رِوَايَةِ التَّاءِ ثَالِثِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ: يَكُونُ (**نُصْرَتُهُ**) اسْمَ (**تَكُنْ**).

وَ(**الأُسْدُ**): جَمْعُ [290]// أَسَدٍ.

وَ(**الآجَامُ**): جَمْعُ أَجَمٍ، وَهُوَ مَحَلُّ سُكْنَاهُ، أَوْ جَمْعُ وَجَمَةٍ، وَ**الْوَجَمَةُ**: الْغَيْضَةُ.

وَ(**تَجِمِ**): بِمَعْنَى سَكَتَ مُهْتَمًّا بِالْخَوْفِ الَّذِي خَامَرَهُ. وَيُقَالُ لِلأَجَمِ: الْعَرِيسُ وَالْخِيسَةُ قَالَ الشَّاعِرُ: (بسيط)

لَيْثٌ هِزَبْرٌ مُدِلٌّ عَيْنُ خِيسَتِهِ   بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٍ وَأَعْرَاسُ[1]

مِنْ أَبْيَاتِ «**الإِيضَاحِ**»[2]. وَالْعَرِينُ أَيْضاً.

وَ(**تَجِمِ**): جَوَابُ إِنْ الشَّرْطِيَّةِ.

وَصَارَ فِي مَعْنَى الْبَيْتِ الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ، إِذْ جَاءَ بِالْبَيْتِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاهُ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَاهُ اسْتِنَادُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاسْتِنْصَارُهُمْ بِهِ، وَمَنِ انْتَصَرَ بِهِ نُصِرَ.

وَفِيهِ: مَعْنَى الاسْتِطْرَادِ: وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ مَعْنًى قَاصِداً بِهِ التَّوَصُّلَ إِلَى مَعْنًى آخَرَ. وَذٰلِكَ أَنَّهُ تَعَرَّضَ فِي الْبَيْتِ لِمَدْحِهِمْ لٰكِنْ بَانِياً عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَدْحِ مَنْ بِهِ نُصْرَتُهُمْ، فَكَأَنَّ مَعْنَى الْبَيْتِ تَعْلِيلٌ لِسَبَبِ انْتِصَارِهِمْ وَانْتِشَارِ صِيتِهِمْ وَمَهَابَتِهِمْ.

وَيَصِحُّ تَعَلُّقُ (**فِي آجَامِهَا**) بِـ(**تَلْقَهُ**) الْمَجْزُومِ بِالشَّرْطِ. وَيَصِحُّ كَوْنُهُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.



(1) سبق تخريجه: ص651.

(2) الإيضاح العضدي: 80 برواية: «عند خيسته». إتحاف ذوي الأرب: 117.

148 ـ قَالَ:

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ   بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ[1]

شرح: الرِّوَايَةُ بِـ(الْوَاوِ)، وَلَوْ وَقَعَتْ بِـ(الْفَاءِ) لَكَانَ الأَمْرُ أَتَمَّ وَأَظْهَرَ، لأَنَّهُ يَكُونُ التَّقْدِيرُ: فَبِسَبَبِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ مَا حَصَلَ مِنَ النُّصْرَةِ لَنْ يُفْلِحَ مَنْ عَادَاهُمْ، وَلَا يُخْذَلُ مَنْ وَالَاهُمْ لٰكِنْ قَصَدَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهٰذَا الْبَيْتِ تَرْتِيبَ حُكْمٍ عَلَى الْوَصْفِ الْمُتَقَدِّمِ، لأَنَّ تَرْتِيبَ الْحُكْمِ عَلَى الْوَصْفِ الْمُنَاسِبِ مُشْعِرٌ بِعِلِّيَّةِ ذٰلِكَ الْوَصْفِ لِذٰلِكَ الْحُكْمِ، وَلَمَّا كَانَ الْوَصْفُ الْمُتَقَدِّمُ الاسْتِنْصَارَ بِنُصْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَسُنَ تَعْلِيقُ انْتِصَارِ كُلِّ وَلِيٍّ، وَهُوَ الْحُكْمُ الْمُرَتَّبُ عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي هُوَ الاسْتِمْسَاكُ بِطَاعَةِ رَسُولِ اللهِ الْمُسْتَفَادِ مِنْهَا النُّصْرَةُ، وَذٰلِكَ يَتَضَمَّنُ انْتِصَارَ كُلِّ وَلِيٍّ فَقِيَاسٌ لَا فَوْقَ، لأَنَّ مُوجِبَ انْتِصَارِ مَنْ ظَهَرَتْ نُصْرَتُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ إِنَّمَا هُوَ اسْتِنَادُهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُلُّ وَلِيٍّ مُسْتَنِدٌ لَهُ، فَكُلُّ وَلِيٍّ مُنْتَصِرٌ بِنُصْرَتِهِ ﷺ، فَإِنَّ نَصْرَ أَوْلِيَائِهِ نَصْرٌ لَهُ، فَلَا يُرَى وَلِيٌّ إِلَّا وَهُوَ مُنْتَصِرٌ، وَلَا يُرَى عَدُوٌّ إِلَّا وَهُوَ هَالِكٌ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِـ(**مُنْقَصِمِ**) بِالْقَافِ. وَبَعْضُهُمْ حَمَلَهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ (الانْفِصَامُ) بِالْفَاءِ: وَهُوَ الْكَسْرُ مِنْ غَيْرِ بَيْنُونَةٍ. وَمَا أَدْرِي مَا الَّذِي اخْتَارَ؟ بَلْ هُوَ الْهَلَاكُ التَّامُّ كَوْنُهُ يَكُونُ مُخَلَّداً فِي النَّارِ، مَدْحُوضاً مَنْبُوذاً.

وَ(**غَيْرِ**): يُقْرَأُ بِخَفْضِ رَائِهِ عَلَى أَنَّهُ نَعْتٌ لِمَتْبُوعِهِ، وَمَعَ كَوْنِهِ نَعْتاً يَجُوزُ نَصْبُهُ، لأَنَّ (**مِنْ**) قَبْلَ (**وَلِيٍّ**)، وَ(**عَدُوٍّ**) زَائِدَةٌ بَعْدَ النَّفْيِ، فَلِلْكَلِمَةِ لَفْظٌ وَمَحَلٌّ. وَمَضْمُونُ كَلَامِهِ أَنْ لَا وَلِيَّ إِلَّا وَهُوَ مُنْتَصِرٌ، وَأَنْ لَا عَدُوَّ إِلَّا وَهُوَ هَالِكٌ، أَوْ أَنَّهُ لَا يُرَى، أَوْ قَدْ يَكُونُ مَخْفِياً عَنِ الرُّؤْيَةِ.

(1) الديوان: 199.

وَقَدْ يَكُونُ نَصْبُ (**غَيْرَ**) عَلَى الاسْتِثْنَاءِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ بَعْدَ التَّحْوِيلِ إِلَى الاسْتِثْنَاءِ بِـ (**إِلَّا**) لَنْ تَرَى وَلِيّاً إِلَّا وَلِيّاً مُنْتَصِراً، وَلَا عَدُوّاً إِلَّا مُنْقَصِماً، أَوْ مُنْفَصِماً.

وَعَلَى رِوَايَةِ الْفَاءِ خَرَجَ لِمُطَابَقَةِ مَا فِي الْخَارِجِ، وَأَمَّا بِالْقَافِ: فَإِنْ قَصَدَ بِالْهَلَاكِ مَا يَقَعُ بِهِ فِي الآخِرَةِ فَوَاضِحٌ، وَذَلِكَ مَا يَرَاهُ الْكَافِرُ فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِينَ هَلْ يُعَدُّ بِذَلِكَ مُنْعَماً عَلَيْهِ أَوْ لَا؟ سَبَبُ الْخِلَافِ النَّظَرُ لِلْحَالِ أَوِ لِلْمَآلِ.

وَفِي الْبَيْتِ الْمُقَابَلَةُ وَالْمُطَابَقَةُ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْجَمْعُ، لأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ (**عَدُوٍّ**) وَ(**مُنْقَصِمٍ**) فِي مَعْنًى وَاحِدٍ، وَبَيْنَ (**وَلِيٍّ**) وَ(**مُنْتَصِرٍ**) فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ. وَالظَّاهِرُ أَيْضاً أن فِيهِ الْجَمْعَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى: وَهُوَ جَمْعُهُ بَيْنَ (**عَدُوٌّ مُنْقَصِمٍ**) وَ(**وَلِيٌّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ**).



149 ـ قَالَ:

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ ... فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْقُرْآنُ مِنْ خَصِمِ[1]

شرح: [291]// بَعْضُهُمْ يَجْعَلُ الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ (**أَحَلَّ أُمَّتَهُ**) هُنَا، وَقَدْ قَدَّمْنَا شَرْحَهُ قَبْلُ، وَوَضْعُهُ هُنَاكَ أَنْسَبُ مِنْ وَضْعِهِ هُنَا؛ فَإِنَّ (**كَمْ جَدَّلَتْ**) مُنَاسِبٌ لِلْبَيْتِ قَبْلَهُ، وَكَذَلِكَ أَيْضاً (**أَحَلَّ أُمَّتَهُ**) بَعْدَ ذِكْرِ نُصْرَةِ الْوَلِيِّ وَقَصْمِ الْعَدُوِّ إِنَّمَا هُوَ سَبَبُهُ، لَكِنْ قَدْ دَرَجْنَا عَلَى إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ فَقَدَّمْنَا شَرْحَهُ قَبْلُ.

وَقَوْلُهُ: (**كَمْ جَدَّلَتْ**) (**كَمْ**) هُنَا تُفِيدُ التَّكْثِيرَ، لأَنَّهَا إِنَّمَا جَاءَ بِهَا لِلتَّفَاخُرِ، وَهِيَ (**كَمْ**) الْخَبَرِيَّةُ، وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ إِمَّا لِوَضْعِهَا وَضْعَ الْحُرُوفِ، أَوْ لِتَضَمُّنِ مَعْنَاهَا مَعْنَى (رُبَّ) إِنْ أُرِيدَ بِهَا التَّبَاهِي وَالتَّكْثِيرُ. أَوِ بِالْحَمْلِ عَلَيْهَا إِنْ أُرِيدَ بِهَا التَّقْلِيلُ، فَإِنَّ الشَّيْءَ يُحْمَلُ عَلَى نَقِيضِهِ كَمَا يُحْمَلُ عَلَى نَظِيرِهِ. وَلَيْسَتْ هُنَا (**كَمْ**) الاسْتِفْهَامِيَّةُ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ مَوْضِعُ الإِخْبَارِ بِكَثْرَةِ مَا قَهَرَتِ الآيُ مِنْ أَهْلِ جَدَلٍ، كَأَهْلِ نَجْرَانَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

وَ(**جَدَّلَتْ**) بِمَعْنَى: قَتَلَتْ، وَغَلَبَتْ، وَصَرَعَتْ. وَ(الْجَدَلُ) بِفَتْحِ الدَّالِ: الْمُجَادَلَةُ. وَبِكَسْرِ الدَّالِ: هُوَ الَّذِي يُجَادِلُ. وَيَكُونُ فِي الْمُجَادَلَةِ قُوَى الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ.

وَالضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ: (**فِيهِ**) عَائِدٌ عَلَى الْقُرْآنِ. وَيَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَكُونُ الْقُرْآنُ جَدَّلَ كُلَّ جَدِلٍ جَادَلَ النَّبِيَّ ﷺ.

وَ(**الْجِدَالُ**): هُوَ الْعُلُوُّ عَلَى الْخَصْمِ بِالْبَاطِلِ رَجَاءَ الظُّهُورِ وَإِخْمَادِ حُجَّةِ الْغَيْرِ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي

(1) الديوان: 199.

أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46]. [. . . . .][1] وَيُقَالُ: جَدَلَ فُلَاناً بِتَخْفِيفِ الدَّالِ: صَرَعَهُ. وَالتَّشْدِيدُ أَعَمُّ. وَجَدَلَ الشَّيْءَ أَوْ جَدَّلَهُ: فَتَلَهُ. وَجَدَلَتِ الْجَارِيَةُ جَدْلاً: رَقَّ خَصْرُهَا[2] وَفُتِلَ خَلْقُهَا. وَجَدِلَ بِكَسْرِ الدَّالِ جَدَلاً: أَحْكَمَ الْخُصُومَةَ. وَأَمَّا جَذَلَ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ فَمَعْنَاهُ: قَامَ. وَمَصْدَرُهُ: الْجُذُولُ. وَجَذِلَ أَيْضاً جَذَلاً: فَرِحَ. وَأَجْذَلَتِ الظَّبْيَةُ: مَشَى مَعَهَا وَلَدُهَا.

وَقَوْلُهُ: (**فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْقُرْآنُ مِنْ خَصِمِ**)، وَيُرْوَى: (**الْبُرْهَانُ**)، (**خَصَمَ**) بِمَعْنَى: غَلَبَهُ فِي الْخِصَامِ، وَالْمَصْدَرُ خَصْماً. وَ(**الْخَصِمُ**) بِكَسْرِ الصَّادِ: هُوَ الْمُبَالِغُ فِي الْخِصَامِ. وَ(الْخَصِمُ) هُوَ أَيْضاً مَنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ خِصَامٌ. تَقُولُ: خَاصَمْتُ خَصْمِي وَتَخَصَّمْتُهُ، أَيْ: غَلَبْتُهُ. وَ(فَعِلَ) مَكْسُورُ الْعَيْنِ يَكُونُ لِلْمُبَالَغَةِ. فَـ(جَدِلَ)؛ كَثِيرُ الْمُجَادَلَةِ، وَ(خَصِمٌ): شَدِيدُ الْمُخَاصَمَةِ؛ فَكَمْ خَاصَمَ أَهْلُ نَجْرَانَ فِي عِيسَى فَقَهَرَهُمُ النبيُّ ﷺ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ لَمَّا ادَّعَوْا أَنَّ عِيسَى - تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوّاً كَبِيراً - «ابْنُ اللهِ»، فَأَخْبَرَهُمْ ﷺ «أَنَّهُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ»[3]. وَقَدْ قَالُوا لَهُ: يا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَهْجُو عِيسَى، فَقَالَ لَهُمُ النبيُّ ﷺ: عِيسَى عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ اللهِ. وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا خَصَمَهُمُ الْقُرْآنُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن**﴾ [آل عمران: 59] لأَنَّهُمْ أَرَادُوا احْتِجَاجاً بِعُقُولِهِم الْفَاسِدَةِ، لِكَوْنِهِ لَا أَبَ لَهُ، أُجِيبُوا بِأَنَّهُ خَلَقَهُ اللهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَلَا أُمٍّ حِينَ قَالُوا: «**إِلَهٌ**»، وَحِينَ قَالُوا: ابْنٌ، أَنْزَلَ اللهُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ [آياً][4] كَثِيرَةً مِنْ أَوَائِلِ آلَ عِمْرَانَ [. . .][5] آيَة.

---

(1) بياض في الأصل: الورقة: 291.

(2) الخَصْرُ: وسط الإنسان. ل/خصر.

(3) ينظر: سورة آل عمران: الآية 45.

(4) في الأصل: «آي»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(5) بياض في الأصل: ينظر: آل عمران: من 33 إلى 61.

وَقَوْلُهُ: (**فِيهِ**): فِي نُبُوَّتِهِ ﷺ، أَوْ فِي النبيِّ نَفْسِهِ. وَيَصِحُّ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى الْقُرْآنِ، فِي الْقُرْآنِ نَزَلَ مَا جَدَّلَهُمْ وَصَرَعَهُمْ، وَفِيهِ نَزَلَ مَا خَصَمَ مِنْ خَصِمٍ.

وَفِي قَوْلِهِ: (**مِنْ جَدِلٍ**) وَ(**مِنْ خَصِمِ**) مِنَ الإِرْصَادِ.

وَفِيهِ: الْمُقَابَلَةُ، وَمُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِجَمْعِهِ بَيْنَ أُمُورٍ مُتَنَاسِبَةٍ.



150 ـ قَالَ:

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالْخِدَمِ[1]

شرح: هٰذِهِ الرِّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ. وَيُرْوَى: **(عُثَارَ)**، [292]// وَهِيَ أَمْكَنُ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى. وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي الشَّرْحِ الْكَبِيرِ تَأْخِيرُ بَعْضِ مَا قَدَّمْنَاهُ هُنَا، وَكُلٌّ سَائِغٌ. وَالرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ: **(أَسْتَقِيلُ بِهِ × ذُنُوبَ عُمْرٍ)**، وَهُوَ أَقْعَدُ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى؛ وَذٰلِكَ أَنَّ لَفْظَ الاسْتِقَالِ وَإِنْ كَانَ مُلَائِماً لِرِوَايَةِ **(عُثَارَ)**، لٰكِنَّ إِضَافَةَ الْعُثَارِ لِلْعُمْرِ غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ، وَالْمُسْتَعْمَلُ إِضَافَةُ الذُّنُوبِ لِلْعُمْرِ.

وَهُنَا انْتَهَى كَلَامُ النَّاظِمِ عَلَى أَغْرَاضِهِ مِنَ الْقَصِيدَةِ، وَأَرَادَ تَخْلِيصاً آخَرَ كَمَا اسْتَخْلَصَ أَوَّلاً مِنَ النَّسِيبِ، أَخَذَ الآنَ يَتَخَلَّصُ مِنَ الْمَدْحِ، فَأَخَذَ يَتَحَدَّثُ فِي الاعْتِرَافِ بِافْتِقَارِهِ إِلَى عِنَايَةِ الْمَمْدُوحِ لٰكِنْ بِوَجْهٍ حَسَنٍ فِيهِ تَلْوِيحٌ بِالْمَسْأَلَةِ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: (وافر)

أَأَطْلُبُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ[2]

كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ[3]

وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّالِبَ النَّاوِي السُّؤَالَ مِنَ الْمَقْصُودِ إِذَا قَدَّمَ الْوَسَائِلَ وَبَالَغَ فِي مَدْحِ الْمَقْصُودِ حَسُنَ لَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَطْلُبَ مَقْصَدَهُ تَصْرِيحاً أَوْ تَلْوِيحاً،

---

(1) الديوان: 199.

(2) البيتان لأمية بن أبي الصلت في ديوانه: 333 ـ 334. وفيه رواية: (أأذكر حاجتي). ينظر: نزهة الأبصار: 58، شرح الحماسة للمرزوقي: 4/ 1781، بهجة المجالس: 592، الممتع: 173، غريب الحديث للخطابي: 1/ 750، اللباب: 285، نهاية الأرب: 3/ 185.

(3) الديوان: 334 (عن الخلق)، العمدة: 824 (خليل)، ديوان المعاني: 1/ 26، محاضرات الأدباء: 1/ 243، الأغاني: 8/ 328، شعراء النصرانية: 1/ 220.

وَهٰذَا هُوَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي الأُمُورِ الْعَادِيَةِ وَالشَّرْعِيَةِ. أَمَّا الْعَادِيَةُ: فَإِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا دَخَلَ بِسَاطَ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ يَأْخُذُ فِي السَّلَامِ وَالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ بَعْدَ السَّلَامِ وَالاعْتِرَافِ بِالْعُبُودِيَّةِ لِلْمَلِكِ، وَأَنَّهُ مِنْ حِزْبِهِ، وَبَعْدَ تَوَاضُعِهِ وَالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ عَلَى الْمَلِكِ لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَدْرِجَ فِي جُمْلَةِ مَا أَثْنَى مُتَّصِلاً سُؤَالُهُ بِمَا قَصَدَ. وَكَذَا فِي الشَّرْعِيَاتِ: شَرَعَ اللهُ لِعِبَادِهِ الصَّلَاةَ، وَأَمَرَ فِيهَا بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ مَا يَقُولُونَ فِي أَرْكَانِهَا، فَقَالَ: «أَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ بِالدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[1] فَجَعَلَ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَهُوَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مُقَدَّماً فِي الرُّكُوعِ، وَجَعَلَ السُّؤَالَ فِي السُّجُودِ مُؤَخَّراً عَنْ مَحَلِّ الثَّنَاءِ. وَالنَّاظِمُ أَخَّرَ مَسْأَلَتَهُ وَاعْتِرَافَهُ بِافْتِقَارِهِ وَالأَخْذَ فِي اسْتِعْذَارِهِ إِلَى أَنْ فَرَغَ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَمْدُوحِ، وَبَذَلَ الْجُهْدَ، وَأَتَى بِالْبَعْضِ مِمَّا يَجِبُ لِلْمَمْدُوحِ. وَهٰذَا الْمَسْلَكُ الَّذِي سَلَكَهُ النَّاظِمُ فِي التَّخْلِيصِ [مَسْلَكٌ حَسَنٌ][2]، فَقَدَّمَ هٰذَا الْبَيْتَ تَوْطِئَةً لإِظْهَارِ مَا قَصَدَ مِنْ فَاقَتِهِ، وَتَسَلِّي نَفْسِهِ وَالطَّمَعِ فِي مَا يَحْصُلُ لَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ عَلَى خِدْمَتِهِ بِامْتِدَاحِ النَّبِيِّ ﷺ. وَبَدَأَ بِإِظْهَارِ مَا أَسْلَفَ مِنْ مَذْمُومِ فِعْلِهِ الْمُوجِبِ لِلنَّدَمِ عَلَيْهَا، وَالإِقْلَاعِ عَنْهَا، وَالإِشْفَاقِ مِنْهَا: وَهٰذَا حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ؛ إِذْ حَقِيقَتُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ، وَالتَّهَيُّؤُ لِمَا هُوَ آتٍ.

وَ**(الْخِدْمَةُ)**: التَّصَرُّفُ فِي مَرْضَاةِ الأَكَابِرِ.

وَ**(الْمَدِيحُ)**: الثَّنَاءُ عَلَى الْمَمْدُوحِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: **(مَدَحْتُهُ)** كَأَنَّهُ إِظْهَارٌ لِفِعْلِ نَفْسِهِ؛ وَحَقِيقَةُ الْعَمَلِ الْمَرْجُوِّ فَضْلُهُ مَا لَا يَرَى الْعَامِلُ لِنَفْسِهِ فِيهِ [حَظّاً][3]، وَلَا يَكْبُرُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ.

---

(1) مسلم: 1/ 348، النسائي: 2/ 189، أبو داود: 876، الدارمي: 1/ 304، فتح الباري: 2/ 385، البغوي: 3/ 107.

(2) في الأصل: «مسلكاً حسناً».

(3) في الأصل: «حظ».

فَالْجَوَابُ: إِنَّهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالأَعْمَالِ الْقَاصِرَةِ عَلَى نَفْسِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ حِينَ قَالَ: (**وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ**)[1]. وَأَمَّا هُنَا فَلَوْ قَصَّرَ فِي الإِخْبَارِ وَقَالَ: عَمِلْتُ أَقَلَّ الْمَدْحِ، لَقِيلَ: فَأَنْتَ إِذَنْ بَخِيلٌ، بَلْ يَنْبَغِي لَكَ وَلِغَيْرِكَ أَنْ تَبْذُلَ الْجُهْدَ وَالْمَجْهُودَ فِي الثَّنَاءِ، فَحَسُنَ أَنْ يَقُولَ: مَدَحْتُهُ قَدْرَ وُسْعِي، وَلَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقُولَ أَعْظَمَ مِمَّا قُلْتُهُ لَفَعَلْتُ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: (**بِمَدِيحِ**) «فَعِيلِ» الْمُقْتَضِيُّ الْمُبَالَغَةَ، وَلَمْ يَقُلْ: (**بِمَدْحٍ**)، لأَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّهُ مَا أَبْقَى لِنَفْسِهِ غَايَةً مِمَّا يَسْتَطِيعُهُ. وَلَقَدْ مَدَحَ ﷺ بِمَدِيحٍ، أَيِّ مَدِيحٍ! وَإِنْ كَانَ لَمْ يَصِلْ غَايَةً إِلَى حَصْرِ فَضَائِلِ الْمَمْدُوحِ.

وَقَوْلُهُ: (**أَسْتَقِيلُ**): [293]// السِّينُ لِلطَّلَبِ، أَيْ: أَطْلُبُ بِمَدِيحِي الإِقَالَةَ مِمَّا أَسْلَفْتُ مِنْ ذُنُوبِي.

وَ(**الذُّنُوبُ**): جَمْعُ ذَنْبٍ. وَالذُّنُوبُ: الآثَامُ وَالْخَطَايَا والزَّلَلُ. وَالذُّنُوبُ: مَأْخُوذَةٌ مِنْ أَرْذَلِ الأَشْيَاءِ وَأَقْبَحِهَا؛ وَمِنْهُ سُمِّيَ ذَنَبُ الْبَهِيمَةِ، وَهُوَ أَقْبَحُ أَعْضَائِهَا. وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ مَنْ تَمْدَحُهُ فَتُكَنِّي عَنْهُ بِالأَنْفِ، وَتُكَنِّي عَمَّنْ تَذُمُّهُ بِالذَّنَبِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (بسيط)

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ وَالأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ ... وَمَنْ يُسَوِّي لأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا[2]

وَ(**الْخِدَمِ**) بِكَسْرِ الْخَاءِ: جَمْعُ خِدْمَةٍ. وَفَائِدَةُ التَّعْرِيفِ بِخِدْمَتِهِ بِالْمَدِيحِ التَّوْطِئَةُ إِلَى الاعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ.

وَقَوْلُهُ: (**خَدَمْتُهُ**): الضَّمِيرُ عَائِدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ. وَوَجْهُ إِعْلَامِ الْخَلْقِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ مُوَاجِهاً بِالضَّمِيرِ لِلْمَمْدُوحِ فَيَقُولُ: خَدَمْتُكُمْ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ، لأَنَّ فِيهِ عَدَمَ حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ، لأَنَّ مَنْ يَعْمَلُ فِي جَنْبِ رَئِيسٍ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ يَقْبُحُ فِي

(1) الديوان: 192.

(2) البيت للحطيئة في ديوانه: 15 «بأنف»، العمدة: 1/ 125 (من يساوي). أنف الناقة: هم بغيض وأهله. الأذناب: هم الزبرقان وأهله.

حَقِّهِ أَنْ يَقُولَ: عَمِلْتُ لَكَ كَذَا لِكَيْ تَعْمَلَ لِي كَذَا. وَيَحْسُنُ أَنْ يُخْبِرَ بِهِ فَيَقُولُ: عَمِلْتُ لِفُلَانٍ كَذَا رَجَاءَ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتِي فِي كَذَا، فَيَحْسُنُ سَمَاعُهُ مِنَ الْمُخْبِرِ بِذَلِكَ، وَيَقُولُ لَهُ: نِعْمَ مَا عَمِلْتَ، فَإِنَّكَ سَأَلْتَ مَنْ غَمَرَ الْقُصَّادَ خَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ: (**عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالْخِدَمِ**)، أَيْ: فِي الشِّعْرِ الَّذِي كُنْتُ أَمْدَحُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالْخِدَمِ الَّتِي خَدَمْتُ بِهَا غَيْرَهُ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْعَكْسُ وَالتَّبْدِيلُ: وَهُوَ خَتْمُ الآخِرِ بِمَا افْتُتِحَ بِهِ الْمَبْدَأُ وَإِنْ كَانَ لَا عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلِ الْمَبْدَأُ بِالْفِعْلِ وَالْخَتْمُ بِالاسْمِ الْمَجْمُوعِ.

وَأَمَّا الْجِنَاسُ فَلَيْسَ بِذَاكَ، فَإِنَّ مَدْلُولَ الأَوَّلِ هُوَ الثَّانِي.

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْحَرِيرِيِّ فِي الْعَكْسِ وَالتَّبْدِيلِ مَعَ مَا تَضَمَّنَهُ مِنَ التَّجْنِيسِ الْمُلَفَّقِ [..................................][1].

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ: (كامل)

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ ... وَطِوَالُهُنَّ مَعَ السُّرُورِ قِصَارُ[2]

فَهُوَ مِنَ الْعَكْسِ وَالتَّبْدِيلِ الْمُتَّحِدِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى.



(1) بياض في الأصل بمقدار سطر: الورقة: 293.

(2) البيت في الكشكول: 2/ 381 بدون نسبة. أضواء البيان: 50، التمثيل والمحاضرة: 175. وهو منسوب في الإيضاح لعتّاب بن وَرْقاء: باب البديع. النجوم الزاهرة: خلافة الحافظ لدين الله على مصر.

151 ـ قَالَ:

إِذْ قَلَّدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ   كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ[1]

شرح: جَاءَ بِهَذَا الْبَيْتِ تَعْلِيلاً لِمُوجِبِ طَلَبِ الاسْتِقَامَةِ مِنْ ذُنُوبِ عُمْرِهِ الَّذِي أَتْلَفَهُ فِي خِدْمَةِ مَنْ لَا يَنْفَعُ بِمَا لَا يَنْفَعُ، فَاللَّذَانِ قَلَّدَاهُ مَا قَلَّدَاهُ: الشِّعْرُ وَالْخِدَمُ. قَدْ قَدَّمْنَا حَقِيقَةَ الشِّعْرِ أَوَّلَ الْكِتَابِ، وَمَا يُحْمَدُ مِنْهُ وَمَا يُذَمُّ. وَلَمَّا كَانَ الشِّعْرُ مُنْقَسِماً إِلَى هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ، مِنْهُ مَا يُورِّثُ ثَوَابَ اللهِ ﷻ، وَمِنْهُ مَا يُورِّثُ مَقْتَ اللهِ وَغَضَبَهُ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي عُنُقِهِ عِقْدُ دُرٍّ مَوْفُوراً، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي عُنُقِهِ مَا يَكُونُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَذْمُوماً مَدْحُوراً. جَعَلَ ذُنُوبَهُ الَّتِي أَحْدَثَ بِالشِّعْرِ وَالْخِدَمِ قِلَادَةً وَلَمَّا كَانَتْ مَذْمُومَةً شَبَّهَهَا بِتَقْلِيدِ الْهَدْيِ الَّذِي هُوَ عَلَامَةٌ عَلَى نَحْرِ [مَنْ][2] جُعِلَتْ فِي عُنُقِهِ.

وَ(**الْهَدْيُ**) فِي عُرْفِ الاسْتِعْمَالِ يُقَالُ حَقِيقَةً فِي الإِبِلِ، وَيُقَالُ فِي الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِذَا خُلِطَا مَعَ الإِبِلِ، وَأَمَّا إِنْ أُفْرِدَا بِالذِّكْرِ فَلَا يُقَالُ لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا هَدْياً عَلَى أَكْثَرِ اللُّغَةِ وَالاسْتِعْمَالِ. وَإِنَّمَا يُقَالُ: قَرَّبْتُ بَقَرَةً أَوْ كَبْشاً. وَلَا يُقَالُ: أَهْدَيْتُهُ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ. وَيُقَالُ: فِي الإِبِلِ أَهْدَيْتُ وَقَرَّبْتُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً»[3] إِلَى آخِرِهِ.

وَ(**الْهَدْيُ**) بِسُكُونِ الدَّالِ وَتَخْفِيفِ الْيَاءِ. وَيُقَالُ بِكَسْرِ الدَّالِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ، وَالتَّقْلِيدُ وَالإِشْعَارُ مِنْ سُنَّةِ الْهَدْيِ فِي الْحَجِيجِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى أَنَّ

(1) الديوان: 199.

(2) في الأصل: (ما)، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) البخاري: 6/ 6 ـ 7، مسلم: 2/ 582، الترمذي: 2/ 5، النسائي: 3/ 97، أبو داود: 297، أحمد: 2/ 457، الموطأ: 209، البغوي: 4/ 234.

الْبَدَنَةَ [294]// مُعَدَّةٌ لِلنَّحْرِ لِلضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ؛ فَلِلَّهِ دَرُّهُ مَا أَحْسَنَهَا مِنْ نَزْعَةٍ؛ إِذْ شَبَّهَ نَفْسَهُ لِحُصُولِ التَّقْلِيدِ بِمَا قُلِّدَ بِالْهَدْيِ وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا كَوْنُ كُلٍّ مِنْهُمَا فِي عُنُقِهِ قِلَادَةٌ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا مُعَدٌّ لِمَا يُؤْلِمُهُ. وَذَكَرَ الْقِلَادَةَ لأَنَّ كُلَّ مَا يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مِمَّا يَضْمَنُهُ وَيُطَالَبُ بِهِ يُضَافُ إِلَى الْعُنُقِ فَيُقَالُ: هَذَا فِي عُنُقِكَ. وَكَذَا جَاءَ فِي الْفَصِيحِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: 13].

وَ(**الْعَوَاقِبُ**): جَمْعُ عَاقِبَةٍ، وَهِيَ خَوَاتِمُ الأُمُورِ. وَعَقِبُ كُلِّ شَيْءٍ: آخِرُهُ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ النَّبِيُّ ﷺ (**الْعَاقِبُ**)، لأَنَّهُ جَاءَ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ. وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَنَا الْعَاقِبُ فَلَا نَبِيَّ بَعْدِي»[1].

وَفِي الْبَيْتِ: الإِرْصَادُ، لأَنَّ [مَنْ سَمِعَ][2] قَوْلَ النَّاظِمِ: (**كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ**) عَلِمَ أَنَّهُ يَقُولُ: (**مِنَ النَّعَمِ**).

فَإِنْ قُلْتَ: وَكَيْفَ، مع احْتِمَاله أَنْ يَقُولَ مِنَ الْغَنَمِ؟

قُلْتُ: لَوْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَسُوغُ قَوْلَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ أَنَّ الْهَدْيَ لَا يُطْلَقُ عَلَى الْغَنَمِ إِلَّا إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى الإِبِلِ. الْوَجْهُ الثَّانِي: عَلَى تَقْدِيرِ إِطْلَاقِ الْهَدْيِ عَلَى الْغَنَمِ، لَكِنَّ الْغَالِبَ غَيْرُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: (**مِنَ النَّعَمِ**) حَشْوٌ.

قُلْتُ: لَا شَكَّ أَنَّهُ لَوْ قَالَ: (**كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ**) لَفُهِمَ أَنَّ الْهَدْيَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ النَّعَمِ وَلَكِنْ قَدْ يُطْلَقُ الْهَدْيُ فِي غَيْرِ النَّعَمِ فِي مَنْ يَقُولُ: مَالِي هَدْيُ الْكَعْبَةِ. فَحَرَّرَ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ بِالَّذِي يَقَعُ بِهِ التَّشْبِيهُ فِي مَا قَصَدَ فَقَالَ: (**مِنَ النَّعَمِ**). وَالنَّعَمُ لَا تُقَالُ إِلَّا عَلَى بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ إِنْ خُلِطَتْ أَوْ عَلَى مَا فَسَّرْنَاهُ إِنْ أُفْرِدَتْ بِالذِّكْرِ.

(1) البخاري: 14/ 133، مسلم: 5/ 1828، أحمد: 4/ 80، أبو نعيم: 1/ 61، فتح الباري: 7/ 366، الشفا: 1/ 200.

(2) لا توجد، العبارة في الأصل، ويستقيم المعنى بإثباتها.

وَ(مَا) مِنْ قَوْلِهِ: (**مَا تُخْشَى**): كِنَايَةٌ عَنِ الذُّنُوبِ، وَهُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي، لأَنَّ (قَلَّدَ) يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، الأَوَّلُ: الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ بِنُونِ الْوِقَايَةِ. وَأَمَّا الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ فِي (**بِهِمَا**) فَعَلَى الشَّعْرِ وَالْخِدَمِ. وَ(**الْبَاءُ**): سَبَبِيَّةٌ. وَكُلٌّ مِنَ الشَّعْرِ وَالْخِدَمِ سَبَبٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ. فَقَلَّدَهُ الشَّعْرُ ذُنُوباً، وَقَلَّدَتْهُ خِدْمَةُ الْمَخْلُوقِ ذُنُوباً.

وَفِي الْبَيْتِ: نَوْعٌ مِنَ الاسْتِخْدَامِ، وَتَقَدَّمَتْ حَقِيقَتُهُ.

وَفِيهِ: التَّشْبِيهُ بِالْحَرْفِ.

وَفِيهِ: الإِسْنَادُ لِلْمَعَانِي، فَيَكُونُ نَوْعاً مِنَ الْمَجَازِ الإِسْنَادِيِّ، إِذِ الشَّعْرُ وَالْخِدَمِ مَعْنَيَانِ.

وَفِي قَوْلِهِ: (**مَا تُخْشَى**) عَلَى أَصْلِ الاعْتِقَادِ مِنْ عَدَمِ الْقَطْعِ بِالْمُؤَاخَذَةِ، بَلْ يَخَافُ وَيَرْجُو.



152 ـ قَالَ:

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا ... حَصَّلْتُ إِلَّا عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ[1]

شرح: قَصَدَ النَّاظِمُ فِي هٰذَا الْبَيْتِ أَنْ يَعْتَذِرَ بِأَنَّ الْحَامِلَ لَهُ عَلَى مَا ارْتَكَبَ عَهْدُ الصِّبَا إِذِ الصِّبَا شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ؛ فَفِيهِ تَلْوِيحٌ أَوْ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ قَدْ أَقْلَعَ عَنْ ذٰلِكَ، وَنَدِمَ عَلَى مَا أَسْلَفَ، وَأَخَذَ فِي مَا يُكَفِّرُ بِهِ ذُنُوبَهُ، وَهٰذِهِ هِيَ التَّوْبَةُ بِعَيْنِهَا. وَفِيهِ جَوَازُ الاعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ، لٰكِنْ مَعَ إِظْهَارِ احْتِقَارِ النَّفْسِ، وَعَتْبِهَا عَلَى مَا جَنَحَتْ إِلَيْهِ وَمَالَتْ لِفِعْلِهِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الأَفْعَالَ الْمَذْمُومَةَ وَإِنْ كَانَتْ قَبِيحَةً مِنْ كُلِّ مَنِ ارْتَكَبَهَا مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، لٰكِنَّهَا مِنَ الشُّيُوخِ أَقْبَحُ، وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا ـ مَعَ ارْتِكَابِهَا ـ مُتَّصِفٌ بِالْعِصْيَانِ. وَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ تَعْتَقِدُ هٰذَا وَتُصَرِّحُ بِقُبْحِهِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (كامل)

أَعَلَاقَةً أُمَّ الْحُوَيْرِثِ بَعْدَمَا ... [295]// أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ[2]

وَ(الْعَلَاقَةُ) مِنْ أَسْمَاءِ الْحُبِّ الْمُبَرِّحِ. فَاسْتَقْبَحَ الْعَرَبِيُّ لَهَا ذٰلِكَ بَعْدَ كِبَرِهَا وَبَيَاضِ شَعْرِهَا، فَإِنَّ (**الثُّغَامَ**) هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَهُ الأَطِبَّاءُ: (الإِسْفِنْتِين)، وَتَقُولُ لَهُ الْعَامَّةُ: شَيْبَةُ الْعَجُوزِ.

وَ(**الإِطَاعَةُ**): الانْقِيَادُ، وَامْتِثَالُ أَمْرِ الآمِرِ.

وَ(**الْغَيُّ**): ضِدُّ الرُّشْدِ. قَالَ اللهُ الْعَظِيمُ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]. تَقُولُ: غَوَى يَغْوِي غَيّاً أَيْ: ضَلَّ يَضِلُّ ضَلَالاً؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

---

(1) الديوان: 199.

(2) سبق تخريجه: ص52.

وَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لَا يَعْدِمْ عَلَى الغَيِّ لَائِماً[1]

وَيَكُونُ (غوى) بِمَعْنَى: فَسَدَتْ مَعِيشَتُهُ. وَبِهِ فَسَّرَ ابْنُ خَالَوَيْهِ[2]: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[3] [طه: 121] أَيْ: فَسَدَتْ مَعِيشَتُهُ، قَالَهُ فِي «**شَرْحُ فَصِيحِ ثَعْلَب**»[4].

وَ(**الصِّبَى**) بِكَسْرِ الصَّادِ مَقْصُورٌ: حَدَاثَةُ السِّنِّ؛ وَمِنْهُ الصَّبْوَةُ: وَهِيَ أَغْلَبُ عَلَى الْحَدَثِ السِّنِّ. وَ(**الصَّبَا**) بِفَتْحِ الصَّادِ: رِيحٌ مَعْرُوفَةٌ.

وَ(**الآثَام**): جَمْعُ إِثْمٍ، وَهُوَ الذَّنْبُ، وَ[يُسَمَّى][5]: الزَّلَّةَ، وَالْخَطِيئَةَ، وَالْجُرْمَ، وَالْمَعْصِيَةَ. وَ(**الآثَام**) عَلَى وَزْنِ (قَتَام): هُوَ الْجَزَاءُ عَلَى الذَّنْبِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: 68]. أَوْ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْعِقَابِ. وَلِذَٰلِكَ يُقَالُ فِي بَعْضِ الصَّالِحِينَ: خَوْفُهُمْ مِنَ الآثَامِ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ الأَنَامِ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْعَامَّةِ: «الْعَارُ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ».

وَ(**النَّدَمُ**): بُرُوزُ خَيَالِ مَا أَسْلَفَهُ الْمُقْتَرِفُ مِنَ السُّوءِ. وَمَضْمُونُ قَوْلِهِ: (**وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ**) اعْتِرَافٌ بِأَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ لَهُ وَجْهُ الْمَفَاسِدِ الَّتِي ارْتَكَبَ بِسَبَبِ غَيِّ الصِّبَا. وَعَبَّرَ فِي قَوْلِهِ: (**غَيِّ الصِّبَا**) بِالْمُسَبَّبِ عَنِ السَّبَبِ، أَوْ عَنْ سَبَبِ السَّبَبِ. وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَطَعْتُ الشَّيْطَانَ الَّذِي أَغْوَى حَتَّى وَقَعْتُ فِي الغَيِّ.

(1) البيت للمرقش الأصغر، وهو في: المفضليات: 56، المرزباني: 5، الأغاني: 6/ 139، العقد: 1/ 235، التمثيل والمحاضرة: 100، جمهرة الأمثال: 1/ 200، الحماسة البصرية: 2/ 316، الحماسة المغربية: 2/ 1225، وفي أمالي المرتضى: 1/ 316 منسوب لكعب الفزري. وهو في ديوان شعر الملتمس الضبعي: 195، وفي اللسان/ غوى للمرقش. وغير منسوب في الفائق: 3/ 43.

(2) هو الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، لغوي من كبار النحاة، كان له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة. (ت370هـ) ترجمته في: (إنباه الرواة: 1/ 324، وفيات الأعيان: 1/ 157، بغية الوعاة: 1/ 231، الأعلام: 2/ 231).

(3) في الأصل: (فعصى)، والصواب ما أثبتناه.

(4) شرح فصيح ثعلب: 142.

(5) في الأصل: «يسمَّ».

وَالشَّيْطَانُ شَيْطَانُ الصِّبَا، وَهُوَ أَحَدُ الْخَوَاطِرِ، لأَنَّ الْخَوَاطِرَ كَمَا أَسْلَفْنَا مُتَعَدِّدَةٌ، وَالْخَاطِرُ الشَّيْطَانِيُّ يَتَعَرَّفُ لِلنَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ، فَإِنْ بَارَزَهُ الْخَاطِرُ الْمَلَكِيُّ وَهَزَمَهُ ثَبَتَتِ النَّفْسُ وَعَصَتْ شَيْطَانَهَا، وَإِنْ أَعَانَتْ بِمَيْلِهَا إِلَى الشَّهْوَةِ الَّتِي زَيَّنَهَا شَيْطَانُ الصِّبَا نَكَصَ خَاطِرُ الْبِرِّ وَالرُّشْدِ، وَغَلَبَ عَلَيْهَا خَاطِرُ الْغَيِّ وَالْفَسَادِ، وَبَعْدَ ذَهَابِ شَرَهِ النَّفْسِ وَرُجُوعِهَا لِلتَّفَكُّرِ فِي الْعَوَاقِبِ يَحْدُثُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَتْ فِيهِ مِنْ تَرْكِ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ أَوْ فِعْلِ مَا يَجِبُ تَرْكُهُ.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، وَالْجَمْعُ. أَمَّا مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ: فَلِكَوْنِهِ جَمَعَ بَيْنَ مُتَنَاسِبَيْنِ (**الآثَام**) وَ(**النَّدَم**). وَأَمَّا الْجَمْعُ: فَلأَنَّهُ حَكَمَ بِحُصُولِهِ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ، فَقَدْ جَمَعَهُمَا وَحَكَمَ عَلَيْهِمَا بِحُكْمٍ وَاحِدٍ.

وَفِيهِ: حَصْرُ الْمُوجَبِ: لأَنَّهُ يَقُولُ: لَا ثَالِثَ حَصَلْتُ عَلَيْهِ.

وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السَّنِيَّ الْهِمَّةِ يَسْتَعْظِمُ الذَّنْبَ وَإِنْ قَلَّ، وَيَسْتَكْثِرُهُ، وَيَسْتَقِلُّ مَا عَمِلَ مِنَ الْبِرِّ. فَهَا النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَمَا شَاعَ مِنْ دِينِهِ اسْتَعْظَمَ مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنْ خِدْمَةِ الْغَيْرِ، وَمَا نَظَمَ مِنَ الشِّعْرِ، مَعَ انَّ النَّظْمَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فُحْشٌ وَلَا هَجْوٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ، لَٰكِنَّ تَرْكَ الاشْتِغَالِ بِهِ أَحْسَنُ: «وَحَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ»[1].



(1) قال القرطبي: 1/ 309 و11/ 258: «ولقد أحسن الجنيد حيث قال: ...» ينظر: المقصد الأسنى: 26، عون المعبود: 1/ 66، كشف الخفاء: 1/ 428. قال: هو من كلام أبي سعيد الخزاز. كما رواه ابن عساكر في ترجمته. وهو من كبار الصوفية (ت280هـ). وعده بعضهم حديثاً وليس كذلك. وعزاه الزركشي للجنيد.

153 ـ قَالَ:

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا ... لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ[1]

أَظْهَرَ فِي هٰذَا الْبَيْتِ تَلَهُّفاً وَتَأَسُّفاً عَامّاً فِي حَقِّ كُلِّ نَفْسٍ عَدِمَتِ التَّدْبِيرَ، وَعَنْ ذٰلِكَ عَبَّرَ بِالتِّجَارَةِ وَالْخَسَارَةِ [296]// وَهُوَ نَمَطٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16].

وَمَعْنَى (خَسِرَ): فَسَدَ تَجْرُهُ خُسْراناً، وَضَاعَ بَعْضُ مَالِهِ، أَوْ كُلُّهُ. وَشِرَاءُ الدِّينِ بِتَرْكِ شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَالإِعْرَاضِ عَنْ طَلَبِ لَذَّاتِهَا الدُّنْيَاوِيَةِ الَّتِي يَجِبُ تَرْكُهَا أَوْ يُسْتَحَبُّ، يَقْصِدُ بِذٰلِكَ عِوَضاً أُخْرَوِيّاً. وَالنَّاظِمُ أَضَافَ الْخَسَارَةَ لِمَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا مَثْمُوناً وَالدِّينَ ثَمَناً. وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُ: (وَلَمْ تَسُمِ) حَشْواً مَجْلُوباً لِلْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ، لأَنَّهُ دُسْتُورٌ لاثْنَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ مَعَهُ مَا يَشْتَرِي بِهِ الدِّينَ وَالدُّنْيَا وَاشْتَرَى الدُّنْيَا، وَكَانَ يَهْتَمُّ بِاشْتِرَاءِ الدِّينِ فَهٰذَا مَعَهُ مِنَ التَّفْرِيطِ مَا مَعَهُ، وَهُوَ فِي مَا اشْتَرَى وَمَا غَفَلَ عَنْهُ وَإِنْ هَمَّ بِهِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

إِنْ كَانَ شِرَاؤُهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَكُونُ مُبَاحاً وَتَرْكُهُ مِنَ الدِّينِ مَا كَانَ مَنْدُوباً لِفِعْلِهِ، فَغَفْلَتُهُ ظَاهِرَةٌ، وَتَرْكُهُ مَا يُسْتَحَبُّ فِعْلُهُ قُصُورٌ فِي هِمَّتِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مُؤَاخَذاً بِمَا اشْتَرَى وَلَا بِمَا تَرَكَ وَتَنَالُهُ الْخَسَارَةُ فِي فَوَاتِ الأَرْبَاحِ لِلتُّجَّارِ الَّذِينَ بَاعُوا وَاشْتَرَوْا وَرَبِحُوا.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اشْتَرَى مِنَ الدُّنْيَا مَا وَجَبَ عَلَيْهِ تَرْكُهُ، وَبَاعَ مِنَ الدِّينِ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ، فَخَسَارَةُ النَّفْسِ هُنَا ظَاهِرَةٌ عَظِيمَةٌ.

(1) الديوان: 199.

فَالأَوَّلُ وَإِنْ هَمَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، أَعْنِي: هَمَّ بِفِعْلِ مَا يُنْدَبُ إِلَى فِعْلِهِ، فَإِمَّا أَنْ يَمْنَعَهُ مَانِعٌ عَنْ فِعْلِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ عَلَى الْفِعْلِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، فَهٰذَا يَحْصُلُ لَهُ الثَّوَابُ، لٰكِنْ لَا كَثَوَابِ فَاعِلِهِ؛ إِذْ ثَوَابُ مَنْ هَمَّ حَسَنَةٌ، وَثَوَابُ مَنْ فَعَلَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِشَرْطِ عَدَمِ التَّمْكِينِ لِمَنْ هَمَّ. وَلَا يَقَعُ أَيْضاً مَعَ الْعَامِلِ رِيَاءٌ وَلَا سُمْعَةٌ. وَأَمَّا الثَّانِي: فَلَا يَنْفَعُهُ مَا يَهُمُّ بِهِ مِنْ تَرْكِ مَا يَرْتَكِبُ، وَلَا مَا يَهُمُّ بِهِ مِمَّا يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ.

فَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ هٰذَا عَلِمْتَ أَنَّ قَوْلَ النَّاظِمِ: (**وَلَمْ تَسُمِ**) لَيْسَ بِحَشْوٍ، لأَنَّهُ فِي قُوَّةِ مَنْ قَالَ: لَمْ يَفْعَلْ، وَلَمْ يَهُمَّ أَنْ يَفْعَلَ. ثُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا مَعَ حُصُولِ الإِيمَانِ فَكَمَا تَقَدَّمَ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مَعَ عُرُوِّهِ عَنِ الإِيمَانِ فَهٰذَا هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، وَلَا يَتَنَاوَلُهُ التَّقْسِيمُ، كَأَنَّمَا هُوَ عَارٍ عَنِ الإِيمَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: ظَاهِرُ كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّ الْخَسَارَةَ تَنَالُ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ إِنْ لَمْ يَسُمِ، وَأَمَّا لَوْ سَامَ وَلَوْ لَمْ يَعْمَلْ فَلَيْسَ بِذَاكَ.

وَالْجَوَابُ: إِنَّ الْخَسَارَةَ إِنْ نَظَرْنَا إِلَى حُصُولِ الْمُعَاوَضَةِ عَنْ مَجْمُوعِ الصَّفْقَةِ بِالثَّمَنِ الْمُعْتَادِ فَالْعَامِلُ حَصَّلَهُ وَفَاتَ غَيْرَ الْعَامِلِ سَامَ أَوْ لَمْ يَسِمْ. وَإِنْ نَظَرْنَا إِلَى مَا قَالَ الشَّاعِرُ: (طويل)

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا ... حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ[1]

فَالسَّائِمُ: هُوَ الَّذِي يَهُمُّ وَلَمْ يَمْنَعْهُ مَانِعٌ، أَوْ مَنَعَهُ عَلَى رَأْيٍ. أَوِ السَّائِمُ: الَّذِي يَهِمُ لٰكِنْ مَنَعَهُ عَنْ تَمَامِ الْعَمَلِ عَارِضٌ إِكْرَاهِيٌّ، فَهٰذَا لَا بُدَّ أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ مَا حَصَلَ بِمُجَرَّدِ السَّوْمِ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَهُمَّ الْبَتَّةَ، فَمَا حَصَلَ لَهُ شَيْءٌ لَا بِالاهْتِمَامِ وَلَا بِالْفِعْلِ. وَيَكُونُ فِي كَلَامِ النَّاظِمِ مَعْنًى مِنَ الإِضْرَابِ عَنِ الأَعْلَى إِلَى أَقَلِّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ بَعْضَ مَا يَحْصُلُ فِي الأَعْلَى وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّرَقِّي، لٰكِنْ

(1) البيت لطرفة بت العبد في ديوانه: 48، مجاز القرآن: 2/ 3، العمدة: 1/ 358، الأشباه والنظائر: 1/ 176.

يَكُونُ الْوَاوُ بِمَعْنَى (أَوْ) وَكَأَنَّهُ: يَا خَسَارَةَ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ - وَهِيَ دَرَجَةُ نَظَرِ الأَكَابِرِ - وَيَا خَسَارَةَ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ شَيْءٌ وَلَوْ [بِالاهْتِمَامِ][1].

فَإِنْ قِيلَ: ظَاهِرُ كَلَامِ النَّاظِمِ أَنَّ الْخَسَارَةَ دَائِرَةٌ مَعَ مَنْ بَاعَ وَاشْتَرَى، **وَلَوْ** عَرِيَ عَنِ الاثْنَيْنِ هَلْ تَنَالُهُ هَٰذِهِ الْخَسَارَةُ أَوْ لَا؟

قُلْتُ: الْعَاطِلُ خَاسِرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَنَالُهُ التُّجَّارُ، فَإِنَّهُ اشْتَرَى رَاحَتَهُ، وَشِرَاءُ رَاحَتِهِ شِرَاءٌ لِبَعْضِ الدُّنْيَا. وَالرِّوَايَةُ: **(فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ)**، وَلَيْسَتِ **(النَّفْسُ)** بِمُضَافَةٍ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ. وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ: **(فَيَا خَسَارَةَ نَفْسِي)** فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَكَلَامُ النَّاظِمِ بَعْدُ يَدْفَعُهُ. أَمَّا أَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فَإِنَّهُ قَدِ اشْتَرَى الأُخْرَى بِمَا أَظْهَرَ مِنْ مَدْحِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ وَالنَّدَمَ، وَرَجَّى النَّفْسَ فِي [مَا][2] يَأْتِي وَسَلَّاهَا.

وَقَوْلُهُ: **(لَمْ تَشْتَرِ)**: يَصِحُّ عَلَى وَجْهَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّا فُصِلَ فِيهِ بَيْنَ النَّعْتِ وَالْمَنْعُوتِ [297]// بِالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، وَقَدْ وَرَدَ. وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عَلَى حَذْفِ **(إِذَا)**، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا أَوْ لَمْ تَسُمْ.

وَالْخَسَارَةُ وَالتَّجْرُ وَالرِّبْحُ وَالسَّوْمُ مُتَنَاسِبَةٌ، فَفِيهِ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ.

وَجَمْعُ عَدَمِ الشِّرَاءِ وَعَدَمِ السَّوْمِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمْعِ، وَكَذَا **الْجَمْعُ** بَيْنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَفِيهِ: الطِّبَاقُ، لِتَضَادِّ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ.

وَوُجُودُ الْجِنَاسِ فِي الْبَيْتِ ضَعِيفٌ إِلَّا بِقَلْبِ حُرُوفِ الدِّينِ، وَإِنْ رُوعِيَتْ أَكْثَرُ الْحُرُوفِ فَقَدْ وَقَعَ الاشْتِرَاكُ فِي أَكْثَرِ الْحُرُوفِ.

وَ**(يَا)** فِي قَوْلِهِ: **(يَا خَسَارَةَ نَفْسٍ)** فِيهِ كَلَامٌ مَحْذُوفٌ، أَيْ: يَا عَجَباً كُلَّ

(1) في الأصل: «الاهتمام».
(2) لا يوجد لفظ «ما» في الأصل.

الْعَجَبِ مِنْ خَسَارَةِ نَفْسٍ. وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ **(يَا)** لِلتَّنْبِيهِ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ حَرْفَ نِدَاءٍ، أَيْ: يَا خَسَارَةَ النَّفْسِ الَّتِي تَجَرَتْ وَغَفَلَتْ عَمَّا[1] يَجْلُبُ رِبْحَهَا.

وَفِيهِ: التَّعْلِيلُ، لأَنَّهُ لَمَّا قَالَ الشَّطْرَ الأَوَّلَ كَأَنَّ قَائِلاً قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: **(إِذْ لَمْ تَشْتَرِ)** إِنْ جَعَلْنَا الْمُضْمَرَ **(إِذْ)** وَهُوَ حَرْفُ التَّعْلِيلِ.

وَيُتَوَهَّمُ فِيهِ الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ، إِذْ جَاءَ بِالْعَجْزِ كَالْمُسْتَدِلِّ عَلَى حُصُولِ مَا أَثْبَتَ فِي الصَّدْرِ.



(1) في الأصل: «عن ما».

154 ـ قَال:

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ   يَبِنْ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ[1]

شرح: جَاءَ بِهٰذَا الْبَيْتِ عَلَى جِهَةِ تَقْرِيرِ الْمَوْعِظَةِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ.

وَفِيهِ: مَعْنَى التَّكْمِيلِ، إِذْ رَأَى أَنَّ مَا قَرَّرَ مِنَ الْكَلَامِ مِنْ خَسَارَةِ مَنْ لَمْ يَشْتَرِ الدِّينَ وَلَمْ يَسُمْهُ، فَأَخَذَ مِنْهُ أَنَّهُ مَا اشْتَرَى وَلَا بَاعَ، فَأَعْقَبَ كَلَامَهُ بِمَا يُشْعِرُ أَنَّهُ مَهْمَا عَاوَضَ بِمَا لَا يَنْبَغِي أَوْ تَرَكَ الأَخْذَ فِي مُعَاوَضَةٍ مَحْمُودَةٍ أَوْ مَذْمُومَةٍ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِي مَنْ بَاعَ آجِلاً بِعَاجِلٍ، لأَنَّ اسْتِغْنَامَهُ الرَّاحَةَ ثَمَنٌ عَنْ مَا يَحْصُلُ لَهُ إِنْ لَوْ أَتْعَبَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةٍ، وَبِالْبَيْتِ كَمَّلَ هٰذَا الْمَعْنَى، مَعَ تَعْرِيفِهِ بِأَنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَنْهُ مَا فَاتَهُ.

وَقَدْ يُؤْخَذُ مِنْهُ الإِيغَالُ: وَهُوَ خَتْمُ الْكَلَامِ بِنُكْتَةٍ زَائِدَةٍ عَمَّا تَضَمَّنَهُ الْكَلَامُ الْمُتَقَدِّمُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]؛ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا بِأُولَئِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُخْبِرُ عَنْهُمْ بِهٰذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: 16 و175]؛ لأَنَّ مَطْلُوبَ التِّجَارَةِ سَلَامَةُ رَأْسِ الْمَالِ وَالرِّبْحُ، وَرُبَّمَا تَضِيعُ الطَّلَابَتَانِ، وَتَبْقَى مَعْرِفَةُ التَّصَرُّفِ فِي طُرُقِ الْمَتْجَرِ، فَيَتَحَيَّلُ بِهَا فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ، وَهٰؤُلَاءِ قَدْ أَضَاعُوا الطَّلَابَتَيْنِ، وَضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ، فَمَا رَبِحُوا فِي الْمَتْجَرِ، وَلَا امْتَازُوا بِمَعْرِفَةِ التَّصَرُّفِ؛ فَأَفَادَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ أَنَّهُمْ مَعَ خَسَارَتِهِمْ فِي تِجَارَتِهِمْ مَا اسْتَيْقَظُوا لِمَا وَقَعَ بِهِمْ، بَلْ بَقُوا عَلَى ضَلَالِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْهِدَايَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ يُنْسَبُ لِمَنْ لَمْ يَرْبَحْ فِي تَجْرِهِ الْجَهْلُ وَقَدْ يُعْذَرُ.

---

(1) الديوان: 200.

قُلْتُ: قَدْ وَقَعَتِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ هٰؤُلَاءِ مِمَّنْ رُكِّبَ فِي طَبْعِهِ مِنَ الإِبَانَةِ لِمَا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ مَا لَا يَسْتَيْقِظُ مَعَهُ مِنْ غَفْلَتِهِ، وَكَلَامُ النَّاظِمِ تَكَلَّمَ عَلَى مَنْ بَقِيَ عِنْدَهُ مَا يَتَبَيَّنُ لَهُ بِهِ الْغَبْنُ وَإِنْ أَيْقَنَ بِالْخَسَارَةِ فِي مَا بَاعَ وَاشْتَرَى.

وَقَوْلُهُ: (**فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمٍ**)، خَصَّ النَّاظِمُ اسْمَ (**الْبَيْعِ**) بِالتَّاجِرِ، وَاسْمَ (**السَّلَمِ**) بِالأَجَلِ وَهُوَ الاصْطِلَاحُ، وَإِلَّا فَكُلُّ بَائِعٍ مُبْتَاعٌ.

وَ(**الْغَبْنُ**): بِسُكُونِ الْبَاءِ فِي الرَّأْيِ. وَالْغَبَنُ: بِفَتْحِ الْبَاءِ فِي الْبِيَاعَاتِ الْمَحْسُوسَةِ. وَاسْتَعْمَلَ النَّاظِمُ هُنَا عَطْفَ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، إِذِ الْبَيْعُ أَعَمُّ، أَوِ الْجُنُوحَ عَنِ الْحَقِيقَةِ اللُّغَوِيَّةِ إِلَى الْحَقِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ أَوِ الْعُرْفِيَّةِ، مَعَ أَنَّ (**السَّلَمَ**) أَعَمُّ مِنَ الْبَيْعِ فِي وَجْهٍ آخَرَ؛ إِذْ يَقَعُ عَلَى السَّلَفِ وَعَلَى الصُّلْحِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا قَدَّمْنَاهُ قَبْلُ، وَهَلْ يُتَوَهَّمُ فِيهِ ذِكْرُ الْفَاضِلِ عَلَى الْمَفْضُولِ؟ إِذْ قَصْدُ النَّاظِمِ أَظْهَرُ ذٰلِكَ، [298]// فَيَكُونُ مِنْ بَابِ: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: 68]، وَمَا فِي الآيَةِ الأُخْرَى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: 98].

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا وَجْهُ تَخْصِيصِ (**السَّلَمِ**) مِنْ بُيُوعَاتِ الآجَالِ؟

قُلْتُ: لأَنَّ كَلَامَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنِ اسْتَعْمَلَ عَاجِلاً فَيَصِيرُ أَخْذُ السِّلْعَةِ فِي بُيُوعِ الآجَالِ هُوَ الَّذِي بَاعَ آجِلاً بِعَاجِلٍ، وَهُوَ عَكْسُ الاصْطِلَاحِ، إِذِ الَّذِي يَأْخُذُ السِّلْعَةَ الْعَاجِلَةَ هُوَ الْمُبْتَاعُ وَدَافِعُهَا هُوَ بِالاصْطِلَاحِ الْبَائِعُ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْوَصْفِ الْمَحْمُودِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَصَّ (**السَّلَمَ**) تَتْمِيماً لِلْوَزْنِ وَجَلْباً لِلْقَافِيَةِ، إِذْ آخِرُهُ الْمِيمُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (**مِنْهُ**)، (**مِنْ**): هُنَا لِلْبَيَانِ، لِيَكُونَ الْبَيْعُ فِي سِلْعَةِ نَفْسِهِ حَذَراً مِنْ أَنْ يَبِيعَ سِلْعَةَ غَيْرِهِ، إِمَّا بِإِذْنِهِ فَيَكُونُ أَجِيراً، أَوْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَيَكُونُ بَيْعَ الْفُضُولِيِّ. وَأَمَّا كَوْنُهُ زَائِداً فَهُوَ عَلَى خِلَافِ طَبْعِ فُحُولِ الشِّرْذِمَةِ الشِّعْرِيَّةِ.

وَجَمْعُهُ لِهٰذِهِ الْمُتَنَاسِبَاتِ مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.

155 ـ قَالَ:

إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ مِنَ النبيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ[1]

شرح: لَمَّا وَعَظَ النَّاظِمُ وَاسْتَعْبَرَ رَجَعَ بِالتَّسْلِيَةِ لِلنَّفْسِ مُعْتَمِداً عَلَى عَقِيدَةِ الإِيمَانِ وَالْبَقَاءِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَوْلُهُ: (**فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ مِنَ النبيِّ**)، أَيْ: الْعَهْدُ الَّذِي أَخَذَ اللهُ عَلَيْنَا فِي الزَّمَنِ الْمُتَقَدِّمِ حِينَ قَالَ: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**﴾ [الأعراف: 172]، إِذِ الْوُصُولُ إِلَى ذٰلِكَ الْعَهْدِ إِنَّمَا تَوَصَّلْنَا إِلَيْهِ مِنَ النبيِّ ﷺ إِذْ عَلَيْهِ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ، وَمِنْهُ عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى بَنِي آدَمَ، وَكَذٰلِكَ أَعْلَمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ لِلْمُصَلِّي الَّذِي لَا يُضَيِّعُ الصَّلَاةَ اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهَا عَهْداً عِنْدَ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، حَيْثُ قَالَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ»[2] الْحَدِيثُ.

وَ(**الْعَهْدُ**) أَيْضاً يَقَعُ عَلَى الأَمَانِ، وَقَدِ اسْتَفَدْنَا عَهْداً مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَادِقاً بِهَا لِسَانُهُ، مُخْلِصاً بِهَا قَلْبُهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»[3]، وَقَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[4]، فَقَدْ حَصَلَ الأَمَانُ لِقَائِلِهَا بِالشَّرْطَيْنِ.

وَمِنَ (**الْعَهْدِ**) أَيْضاً مَا قَالَهُ الْفُقَهَاءُ فِي قَوْلِهِمْ: «وَلَا يَخْفِرُ لَهُمْ

---

(1) الديوان: 200.

(2) البخاري: 9/ 76 ـ 77، مسلم: 1/ 40 ـ 41، أبو داود: 1/ 106، النسائي: 2/ 230، ابن حبان: 3/ 116 بلفظ: «خمس افترضهن»، الدارمي: 1531، السنن الصغرى: 1/ 194، مسند الربيع: 1/ 83، مسند الحميدي: 1/ 191، عون المعبود: 3/ 31 بلفظ «كتبهن».

(3) مسلم: 1/ 59، الترمذي: 4/ 133، أحمد: 4/ 16، شعب الإيمان: 1/ 40.

(4) أحمد: 5/ 229، الزهد لابن المبارك: 1/ 322، فيض القدير: 6/ 156.

بِعَهْدٍ»[1]، أَيْ: بِأَمَانٍ.

وَيَقَعُ (**الْعَهْدُ**) عَلَى: الْيَمِينِ، وَالْمَوْثِقِ، وَالذِّمَّةِ، وَالْوَصِيَّةِ.

وَ(**الْحَبْلُ**): عِبَارَةٌ عَمَّا تَكُونُ بِهِ الصِّلَةُ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُعَبِّرُ بِهِ عَنْ كُلِّ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ مَا.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِذِكْرِ (**مُنْتَقِضٍ**) و(**مُنْصَرِمٍ**)، وَالتَّنَاسُبُ بَيْنَهُمَا وَاضِحٌ، وَإِنْ كَانَ (**الانْتِقَاضُ**) يُقَابِلُ الْبَرْمَ، وَ(**الانْصِرَامُ**) يُقَابِلُ بحة الْمَنْفِيِّ عَنْهُ الانْصِرَامُ، إِذِ الانْصِرَامُ هُوَ الْقَطْعُ وَالانْتِقَاضُ تَفْكِيكُ الْمُرَكَّبِ.

وَ(**آتِ**): فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ بِالشَّرْطِ، كَانَ الأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: إِذْ أَتَيْتُ ذَنْباً، لِيُخْبِرَ أَنَّ التَّسْلِيَةَ بِعَدَمِ الْقُنُوطِ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (**إِنْ آتِ**) هُوَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وَظَاهِرُهُ التَّخْلِيصُ بِحَرْفِ الشَّرْطِ لِلاسْتِقْبَالِ.

وَفِيهِ: تَسْهِيلُ طَرِيقِ الْمُخَالَفَةِ لِلنَّفْسِ وَتَجْسِيرُهَا عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّ كَلَامَهُ فِي قُوَّةِ كَلَامِ مَنْ يَقُولُ: أَنَا وَاقِعٌ ذَنْباً فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَلَا يُحْدِثُ عِنْدِي خَوْفاً وَلَا خَوْفاً، وَهُوَ انْبِرَامُ عَهْدِي، وَثُبُوتٌ عَلَى انْبِرَامِهِ، وَهٰذَا يَفْتَحُ بَابَ الأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَيُفْضِي إِلَى مَذْهَبِ الْمُرْجِئَةِ[2].

وَالْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ لَا يَلِيقُ بِهِ هٰذَا الاعْتِقَادُ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَعْدِلَ عَنِ الْمَعْنَى الْمُفْضِي إِلَى ذٰلِكَ وَنَقُولُ: مَعْنَى الْفِعلِ الْمَاضِي وَمَعْنَى (**إِنْ**) (**لَوْ**)، تَكُونُ غَائِيَّةً، وَالْغَائِيَّةُ لَا تُخَلِّصُ الْفِعْلَ لِلاسْتِقْبَالِ كَقَوْلِكَ: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ فَلَا تَخَفْ، فَإِنَّ (**إِنْ**) هُنَا غَائِيَّةٌ بِمَعْنَى (لَوْ)، لٰكِنَّ الْفِعْلَ هُنَا [. . .][3] [299]//

---

(1) يخفر: من خفر يخفر خفرا: أجاره ومنعه وأمنه، والخفارة: الذمة. ل/ خفر.

(2) المرجئة: اسم أطلق على جماعة يؤخرون العمل عن النية والقصد. وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى القيامة. ينظر: الملل والنحل: 1/ 186.

(3) طمس في الأصل الورقة: 298 لم أتبينه.

لم عَلَيْهِ صَارَ مَاضِيَ الْمَعْنَى، بِخِلَافِ **(إِنْ آتِ)** فَإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ: لَوْ آتِ ذَنْباً فَلَا يَصِحُّ مَعْنًى مَا قَصَدْتَ حَتَّى تَقُولَ: **(آتِ)** بِمَعْنَى أَتَيْتُ، وَتَكُونُ **(إِنْ)** الْغَائِيَّةُ تَتَمَشَّى، لٰكِنَّ وُجُودَهُ بِمَعْنَى الْمَاضِي عَسِيرُ الْوُجُودِ، اللَّهُمَّ إِنْ قُلْنَا: إِنَّ مَا مَضَى مِنْ عُمْرِهِ فَقَدْ تَابَ مِنْهُ وَأَقْلَعَ عَنْهُ وَصَمَّمَ عَلَى التَّوْبَةِ بِالنَّدَمِ وَالإِقْلَاعِ، «وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»[1]. وَبِنَاءً عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ مَاحِيَةٌ لِمَا سَلَفَ، لٰكِنَّ الْعَاقِبَةَ مَجْهُولَةٌ، وَالْعِصْمَةَ لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ لِغَيْرِ مَنْ أَوْجَبَهَا اللهُ لَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُكَرَّمِينَ.

وَبِحُسْنِ يَقِينِ النَّاظِمِ قَطَعَ وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ إِلَّا عَلَى الإِيمَانِ، وَتَرَدَّدَ نَظَرُهُ فِي وُقُوعِ شَيْءٍ مَا مِنَ الذُّنُوبِ فِي مَا يَأْتِي مِنْ بَقَايَا عُمْرِهِ فَسَلَّى النُّفُوسَ بِأَنْ قَالَ: يَا نَفْسُ مَا مَضَى فَقَدْ غُفِرَ بِكَرَمِ اللهِ، عَمَلاً بِالْوَعْدِ الصَّادِقِ وَالتَّوْبَةِ بِمَا عَمِلْتُ مِنَ النَّدَمِ وَالإِقْلَاعِ وَالتَّهَيُّؤِ لِلْعَمَلِ. وَبَقِيَ النَّظَرُ فِي مَا يَقَعُ فِي بَاقِي الْعُمْرِ، وَيَقِينِي لَا يَتَبَدَّلُ فِي جَنْبِ الإِيمَانِ، وَأَمَّا مَا يَقَعُ مِنَ الزَّلَلِ فَالأَمْرُ مُحْتَمَلٌ، فَإِنْ عَصَمَنِي اللهُ مِنْهَا فَقَدْ وَافَيْنَا عَلَى أَتَمِّ الْمَرْغُوبِ وَأَحْسَنِ الْمَطْلُوبِ، وَإِنْ وَقَعَ مِنِّي شَيْءٌ مِنَ الذُّنُوبِ فِي بَقِيَّةِ الْعُمْرِ فَاعْتِمَادِي عَلَى عَهْدِي الَّذِي لَيْسَ بِمُنْقَطِعٍ، وَحَبْلِي الْمُتَّصِلِ الَّذِي لَيْسَ بِمُنْصَرِمٍ وَشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي اخْتَبَأَهَا لِلْعُصَاةِ مِنْ أُمَّتِهِ، عَلَى حَسَبِ مَا صَرَّحَتْ بِهِ الأَحَادِيثُ[2].

وَأَمَّا مُحَاوَلَةُ الْغَيْرِ فِي **(إِنْ)** هٰذِهِ بِأَنْ يَجْعَلَهَا الْغَائِيَّةَ فَبَعِيدٌ، لِتَكَلُّفِ **(إِنْ)** بِمَعْنَى **(لَوْ)** بَعْدَ عَمَلِهَا عَمَلَ الشَّرْطِيَّةِ الطَّالِبَةِ لِمَا يَقَعُ فِي الزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ، اللَّهُمَّ لَوْ جَاءَتْ قَبْلَ فِعْلٍ مَاضٍ لَكَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ، فَإِنَّ قَوْلَكَ: لأَصْفَحَنَّ عَنْكَ وَإِنْ شَتَمْتَنِي، يَتَّضِحُ كَوْنُهَا غَائِيَّةً، وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنْ تَشْتُمْنِي، وَلَوْ جَعَلْتَهَا بِمَعْنَى

(1) ابن ماجه: 2/ 1419، مسند أبي الجعد: 1/ 266، مجمع الزوائد: 10/ 200، السنن الكبرى: 10/ 154، الجامع الصغير: 1/ 519.

(2) البخاري: 22/ 122 ـ 123، مسلم: 1/ 189، ابن حبان: 11/ 424، ابن ماجه: 2/ 1440، أحمد: 1/ 281، السنة للخلال: 3/ 595.

(لَوْ) فَإِنَّهَا عَامِلَةٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، اللَّهُمَّ إِنْ أُضْمِرَ (كَانَ) صَحَّ، لأَنَّهُ يَكُونُ إِخْبَاراً عَمَّا وَقَعَ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: إِنْ كُنْتُ آتِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِمَعْنَى الْمَاضِي حَقِيقَةً، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: (كامل)

لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا   خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعاً وَسُجُودا[1]

أَيْ: لَوْ كَانُوا حِينَ تَتَكَلَّمُ يَسْمَعُونَ، أَيْ: لَوْ سَمِعُوا كَلَامَهَا حَالَةَ تَكَلُّمِهَا بِهِ. وَكَقَوْلِ الآخَرِ: (كامل)

إِنْ تَضْرِمِ النِّيرَانَ فِي كَبِدِي فَقَدْ   أَطْفَأْتُهَا بِتَجَلُّدِي وَتَصَبُّرِي[2]

فـ (تَضْرِمُ) هَا هُنَا بِمَعْنَى: أَضْرَمْتَ. وَ(إِنْ) غَائِيَّةٌ؛ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَلَوْ أَضْرَمْتَ مَا أَضْرَمْتَ فَتَجَلُّدِي وَتَصَبُّرِي صَيَّرَهَا كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ.

وَ**(مَا)** مِنْ قَوْلِهِ: **(فَمَا عَهْدِي)** نَافِيَةٌ مَجَازِيَّةٌ. وَ**(عَهْدِي)**: اسْمُهَا. وَالْبَاءُ فِي **(بِمُنْتَقِضٍ)** زَائِدَةٌ. وَ**(مُنْتَقِضٌ)**: هُوَ الْخَبَرُ، مَجْرُورٌ فِي اللَّفْظِ مَنْصُوبٌ فِي الْمَعْنَى، فَلَهُ لَفْظٌ وَمَحَلٌّ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: **(إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ)** فَيُوهِمُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ كَانَ مُنْتَقِضاً، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: إِنْ يَأْتِكَ زَيْدٌ فَأَعْطِهِ دِرْهَماً، وَدَلِيلُهُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَأْتِ لَا تُعْطِيهِ شَيْئاً.

وَالْجَوَابُ: إِنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ إِنْ جَعَلْنَاهَا لِلشَّرْطِ، وَتَقْدِيرُهُ: إِنْ آتِ ذَنْباً فَإِنِّي أَرْجُو مَحْوَهُ، أَوْ سَتْرَهُ وَالتَّجَاوُزَ عَنْهُ بِسَبَبِ الْعَهْدِ الَّذِي لِي، فَهُوَ مِنْ إِقَامَةِ السَّبَبِ مَقَامَ الْمُسَبَّبِ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (طويل)

وَنُبِّئْتُ قَوْمِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فِيهِمِ   وَعَهْدُهُمُ بِالنَّائِبَاتِ قَرِيبُ[3]

(1) البيت لكثير عزة في ديوانه: 442، الأمالي: 2/ 75 «خروا لعزة خاشعين سجودا». وفي المستطرف: 1/ 63، والكشكول: 261 «حديثها».

(2) التجلد: تكلف الجلادة. التصبر: تكلف الصبر. ل/ جلد، صبر.

(3) البيتان لجزء بن ضرار سبق تخريجهما: ص97.

فَإِنْ يَكُ مَا قَالُوهُ حَقّاً فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَنُوبُ

فَأَقَامَ الْكَرَمَ مَقَامَ الصَّبْرِ لأَنَّهُ سَبَبُهُ.

وَتَعَلَّقَ قَوْلُهُ: **(مِنَ النبيِّ)** إِمَّا بِـ **(عَهْدِي)** أَوْ بِـ **(مُنْتَقِض)**. وَكَذَا [300]// **(بِمُنْصَرِمِ)** مِثْلُهُ: أَيْ: بِمُنْصَرِمٍ مِنْهُ، فَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ بِهِ الظَّاهِرُ.



156 ـ قَالَ:

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي مُحَمَّداً وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ[1]

شرح: (الذِّمَّةُ): هُوَ الْعَهْدُ بِعَيْنِهِ، وَإِنَّمَا غَيَّرَ لَفْظَ الْعَهْدِ بِالذِّمَّةِ. وَ**(الْفَاءُ)** أَيضاً سَبَبِيَّةٌ وَدَخَلَتْ عَلَى **(إِنَّ)** فَتَمَّ السَّبَبُ بِتَوْكِيدٍ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَكَيْفَ يُنْتَقَضُ عَهْدِي، أَوْ يُصْرَمُ حَبْلِي، وَلِي حُرْمَةٌ وَأَمَانٌ مِنْهُ ﷺ، اكْتَسَبْتُهُمَا مَعاً بِتَسْمِيَتِي عَلَى اسْمِهِ ﷺ. وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَقْطَعَ بِعَدَمِ نَقْضِ الْعَهْدِ وَبِعَدَمِ صَرْمِ حَبْلِ الصِّلَةِ لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ قَدْ أَنْقَذَهُ مِنْ أَلَمِ الدُّنْيَا، إِذْ أَبْرَأَهُ اللهُ بِتَوَسُّلِهِ إِلَيْهِ بِحُرْمَتِهِ، وَبِسَبَبِ الْوَسِيلَةِ الَّتِي امْتَدَحَ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ أَلْهَمَهُ الاعْتِذَارَ وَ[التَّأَسُّفَ][2] عَلَى مَا أَسْلَفَ مِنْ خِدْمَةِ الْغَيْرِ، وَتَحَقُّقِهِ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَقَدْ وَعَدَ التَّائِبِينَ بِالصَّفْحِ وَالتَّجَاوُزِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ، وَصَرَّحَ نَبِيُّهُ ﷺ بِأَنَّ «التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»[3]، وَلأَنَّ اسْمَهُ عَلَى اسْمِهِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الآثَارِ: «إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ يَا مُحَمَّدُ، فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ كُلُّ مَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا مَلَائِكَتِي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ»[4].

وَذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضٌ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ عِبَادَتُهُمْ عِيَادَةُ كُلِّ دَارٍ فِيهَا مَنِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ إِكْرَاماً لِمُحَمَّدٍ ﷺ»[5]. خَرَّجَهُ عَنْ طَرِيقِ شُرَيْحِ بْنِ يُونُسَ.

---

(1) الديوان: 200.

(2) في الأصل: «التلهف».

(3) سبق تخريجه: 750.

(4) الشفا: 1/ 154، الدر المنظم: 123

(5) الشفا: 1/ 154، الدر المنظم: 123.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللهُ ﷻ لِمُنَادٍ يُنَادِي: أَلَا لِيَقُمْ مَنِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ لِكَرَامَةِ اسْمِهِ ﷺ»[1].

وَفِي حَدِيثٍ: «مَا مِنْ [...][2] فِيهَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ مُحَمَّدٍ إِلَّا رُزِقُوا». رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ فِي «**جَامِعِهِ**»[3]. عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَهْلَ مَكَّةَ يَقُولُونَ ذٰلِكَ، وَلِذٰلِكَ اسْتَحَبَّ مَالِكٌ رضي الله عنه أَنْ يُسَمِّيَ الرَّجُلُ مِنْ أَوْلَادِهِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَةً بِاسْمِهِ مُحَمَّدٍ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ: «مَا ضَرَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدَانِ وَثَلَاثَةٌ»[4].

وَقَوْلُهُ: (**وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ**) يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا حَصَلَ لِأَحَدٍ مِنْهُ أَمَانٌ، فَإِنَّهُ لَا يَتَخَلَّفُ وَلَا يَنْكَسِرُ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا الَّذِي قَصَدَ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ: (**فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي مُحَمَّدًا**)؟

(**التَّسْمِيَةُ**): فِعْلُ الْمُسَمَّى، وَالاسْمُ: الْمَوْضُوعُ عَلَى الْمُسَمَّى، وَالْمُسَمَّى: هُوَ الْمَوْضُوعُ عَلَيْهِ الاسْمُ. وَقَدْ أَذِنَ ﷺ فِي التَّسْمِيَةِ بِاسْمِهِ وَقَالَ: «سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تُكَنُّوا بِكُنْيَتِي»[5].

وَاخْتُلِفَ هَلْ هُوَ أَمْرٌ بَاقٍ إِلَى هَلُمَّ جَرًّا، أَوْ إِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ فِي حَيَاتِهِ لِأَجَلٍ، إِذْ كَانَ ﷺ يَوْماً سَائِراً وَإِذَا بِرَجُلٍ نَادَى يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَالْتَفَتَ ﷺ،

---

(1) الشفا: 1/ 154، سبل السلام: 4/ 100 قال: «فقد أخرج في كتاب الخصائص لابن سبع عن ابن عباس أنه إذا كان يوم...».

(2) كلمة لم أتبين معناها، ولعلها «من بيت» أو «من دار».

(3) الجامع في الحديث: 2/ 287.

(4) الشفا: 1/ 154، مناهل الصفا: 31، كنز العمال: 16/ 419.

(5) البخاري: 2/ 116، و22/ 45، مسلم: 3/ 1682، أبو داود: 4/ 291، ابن ماجه: 2/ 1230، ابن حبان: 7/ 227، الدارمي: 2/ 213، كشف الخفاء: 1/ 362.

فَقَالَ الْمُنَادِي: لَسْتُ أَعْنِي، فَأَمَرَ ﷺ بِذٰلِكَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ ﷺ ارْتَفَعَ مَانِعُ التَّكْنِيَةِ.

وَالاسْمُ الشَّرِيفُ مَنْصُوبُ اللَّفْظِ بِـ (**تَسْمِيَتِي**) عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ، وَالْمَفْعُولُ الأَوَّلُ أُضِيفَ إِلَيْهِ الْمَصْدَرُ، وَهُوَ هُنَا فِي حُكْمِ الْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، أَيْ: بِأَنْ سُمِّيتُ مُحَمَّداً.

وَفِي الْبَيْتِ: الْعَكْسُ وَالتَّحْوِيلُ فِي (**ذِمَّةٍ**) وَ(**بِالذِّمَمِ**).



157 ـ قَالَ:

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي   فَضْلاً وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ[1]

شرح: لمّا عَلَّلَ النَّاظِمُ نَفْسَهُ وَسَلَّاهَا تَسْلِيَةَ مُعْتَمِدٍ عَلَى مَن اعْتَمَدَ عَلَيْهِ لَا عَلَى عَمَلِ نَفْسِهِ [301]// غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ الْمَرْءَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي دَرَجَةِ الإِشْفَاقِ، وَهُوَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، فَلَا يَغْلِبُ الرَّجَاءُ فَيَكُونُ مُفْضِياً بِهِ إِلَى الأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَلَا الْخَوْفُ فَيُفْضِي بِهِ إِلَى الإِيَاسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، فَجَاءَ كَمُخْبِرِ النَّفْسِ بِمَا يُبْقِي عِنْدَهَا لَذَاذَةَ التَّسْلِيَةِ، وَيُحَذِّرُهَا مِنَ الاطْمِئْنَانِ، لَا لِقِصَرِ جَنَابِ الْمُعْتَمَدِ عَلَيْهِ، بَلْ خَشْيَةَ أَنْ يَقَعَ مِنْهَا مَا يَقْطَعُ حَبْلَ الصِّلَةِ مِنِ ارْتِكَابِهَا مَا لَا يَنْبَغِي؛ فَكَانَ كَلَامُهُ فِي قُوَّةِ مَنْ يَقُولُ: وَهَذَا كُلُّهُ يَا نَفْسُ إِنْ كُنْتِ آتِيَةً عَلَى صِفَةِ الْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ يَمْتَثِلُونَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مَنْ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ، وَيَسْلُكُونَ مَسَالِكَ الاقْتِدَاءِ، وَإِنْ هَفَا هَفْوَةً يَغْلُبُ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ مَنِ اسْتَنَدَ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ يَأْخُذُ بِيَدِهِ عِنْدَ عِثَارِهِ، فَهُوَ بِمَثَابَةِ مَنْ تَمَّتْ عَلَيْهِ عِنَايَةُ ذِي جَاهٍ، فَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: احْفَظْ جَانِبَكَ، وَلَا يَقَعُ مِنْكَ إِلَّا مَا يَلِيقُ بِمَنْ يَسْتَنِدُ إِلَى الأَكَابِرِ، وَإِلَّا إِنْ كُنْتَ مُنْهَمِكاً فِي مَا يَرْضَوْنَهُ رَفَضُوكَ؛ فَكَانَتْ نَتِيجَةُ هَذِهِ التَّوْصِيَةِ **قَوْلُهُ:** **(إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي)** الْبَيْتَ. رَأَى أَنْ لَا أَوْثَقَ فِي يَوْمِ النُّشُورِ مِنْ جَاهِ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَهُمُ الْمَرْجُوُّونَ لِأَتْبَاعِهِمْ، وَرَأَى أَنَّ كُلَّ تَابِعٍ إِنَّمَا يَسْتَظِلُّ تَحْتَ ظِلِّ مَتْبُوعِهِ، وَرَأَى أَنَّ غَايَةَ مَا يَقَعُ مِنْ نَفْعِ الْمَتْبُوعِ الشَّفَاعَةُ فِي تَابِعِهِ، وَعَلِمَ قَطْعاً أَنَّ مُنْتَهَى الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى إِنَّمَا هِيَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ. وَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ الشَّفَاعَةُ عَامَّةً فِي أَتْبَاعِهِ وَغَيْرِهِمْ ثَلِجَ صَدْرُهُ وَقَوِيَ رَجَاهُ، إِذْ مَا سِوَاهَا مِنَ الشَّفَاعَاتِ الَّتِي هِيَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ الشَّافِعِينَ إِنَّمَا صَالِحَةٌ لَهُ

(1) الديوان: 200.

وَلِمَنْ سِوَاهُ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنْ فَاتَتْنِي [هَلَكْتُ][1] فَفِيهِ الإِقْلَاعُ عَمَّا قَرَّرَ أَوَّلاً مِنَ الاعْتِمَادِ عَلَى مَا عَلِمَ مِنْ خَصَائِصَ خُصَّ بِهَا، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ لَمْ يَحْفَظْهَا تَمَامُ إِقْلَاعِي وَثُبُوتُ تَوْبَتِي حَتَّى أَكُونَ مِمَّنْ يَغْلُبُ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ فِي أَخْذِهِ ﷺ بِيَدِي وَإِلَّا هَلَكْتُ.

وَفِي الْبَيْتِ رِوَايَتَانِ: الأُولَى: **(فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي)**، وَهِيَ اللَّائِقَةُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ بِسَاطِ التَّسْلِيَةِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: هَذَا الَّذِي عِنْدِي مِنَ الْعَهْدِ [غَيْرِ الْمُنْتَقِضِ][2]، وَالْحَبْلِ الَّذِي تَمَسَّكْتُ بِهِ [غَيْرِ الْمُنْصَرِمِ][3] بِتَسْمِيَتِي بِاسْمِهِ هُوَ مُعْتَمَدِي فِي أَنَّهُ يَأْخُذُ بِيَدِي.

وَقَوْلُهُ: **(وَإِلَّا فَقُلْ)** فِي قُوَّةِ مَنْ يَقُولُ: وَلَوْلَا ذَلِكَ، وَلَمْ يَبْقَ مَا أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ إِلَّا مُجَرَّدُ عَمَلِي زَلَّتْ قَدَمِي، وَيَكُونُ فِي الْبَيْتِ إِضْمَارٌ تَقْدِيرُهُ: فَإِنْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً [بِيَدِي][4] نَجَوْتُ، فَجَوَابُ الشَّرْطِ هُوَ الْمَحْذُوفُ.

وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الأُخْرَى فَهِيَ: **(إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي فَضْلاً)**، أَيْ: تَفَضُّلاً مِنْهُ.

(وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ)، فَأَمَّا النَّظَرُ أَوَّلاً مِنْ جِهَةِ مَعْنَى قَصْدِ الْبَيْتِ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: هَذَا الَّذِي سَلَّيْتُ بِهِ النَّفْسَ يُوجِبُ لِي مِنِ اعْتِنَاءِ نَبِيِّي بِي إِنْقَاذاً مِنَ الأَهْوَالِ بِإِيجَابِ تَكَرُّمٍ لَا بِإِيجَابِ وُجُوبٍ عَلَى الْمُتَفَضِّلِ، فَهُوَ مَعْنَى **(إِنْ لَمْ يَكُنْ آخِذاً بِيَدِي فَضْلاً)** وَإِلَّا مَا عِنْدِي مَا يُوجِبُ إِنْقَاذِي مِنْ تِلْكَ الأَهْوَالِ، هَذَا مَدْلُولُ الأَلْفَاظِ.

وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ: فَفِيهَا إِشْكَالٌ، وَبَيَانُهُ: إِنَّ الْجُمْلَةَ الْمُصَدَّرَةَ بِحَرْفِ

(1) في الأصل: «هديت» ولعل الأنسب لسياق الكلام ما أثبتناه.
(2) في الأصل: «الغير منتقض».
(3) في الأصل: «الغير منصرم».
(4) في الأصل: «بيد».

الشَّرْطِ الدَّاخِلِ عَلَى حَرْفِ النَّفْيِ لَا يَصْلُحُ فِي جَوَابِ شَرْطِهَا جُمْلَةٌ مُصَدَّرَةٌ بِـ (إِلَّا)، وَكَانَ اللَّائِقُ أَنْ يَقُولَ الْمُتَكَلِّمُ: إِنْ أَخَذْتَ بِيَدِي وَإِلَّا هَلَكْتُ. أَوْ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تَأْخُذْ بِيَدِي هَلَكْتُ. وَلَا يَقُولُ: **(وَإِلَّا)** وَهُوَ الَّذِي قَالَ الْمُؤَلِّفُ، خَارِجاً عَنِ التَّقْرِيرِ الَّذِي قَرَّرْنَاهُ. وَالْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِنَّ قَوْلَهُ: **(وَإِلَّا)** جُمْلَةٌ أُخْرَى مُؤَكِّدَةٌ لِلْأُولَى، وَالتَّقْدِيرُ: إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي هَلَكْتُ، وَإِنْ لَمْ [تَكُنْ][1] آخِذاً بِيَدِي هَلَكْتُ، فَهُوَ مِنَ التَّكْرَارِ الْمُفِيدِ التَّوْكِيدَ اللَّفْظِيَّ. **[302]**// وَ**(لَا)** بِمَعْنَى (لَمْ)، وَقَدْ جَاءَ فِي الْفَصِيحِ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾[التوبة: 40] الْمَوْضُوعَةِ لِنَفْيِ الْمَاضِي، وَالتَّكْرِيرُ سَائِغٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَالَ الشَّاعِرُ: (طويل)

أَلَا يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّتَ اسْلَمِي ... ثَلَاثُ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلَّمِ[2]

وَالْجَوَابُ الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ الرِّوَايَةُ: **(إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي فَضْلاً)** وَ**(إِلّاً)** بِتَنْوِينِ **(لَا)**، فَهُوَ حِينَئِذٍ مِنَ الإِلِّ، قَالَ: ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 8].

وَ**(الإِلُّ)**: فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى خَمْسَةِ مَعَانٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ اسْمَ اللهِ ﷻ. وَالثَّانِي: يَكُونُ بِمَعْنَى **الْعَهْدِ**. وَالثَّالِثُ: بِمَعْنَى **الْقَرَابَةِ**. وَالرَّابِعُ: بِمَعْنَى **الْحِلْفِ**. وَالْخَامِسُ: بِمَعْنَى **الْجِوَارِ**.

وَاللَّائِقُ فِي الْبَيْتِ: الْعَهْدُ، وَهُوَ رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: **(وَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ)**، أَيْ: إِنْ لَمْ يَكُنْ آخِذاً بِيَدِي لِأَجْلِ فَضْلِهِ، وَلِلْعَهْدِ الَّذِي حَفِظْتُ لَهُ، وَهُوَ مُتَمَكِّنٌ هُنَا، وَهِيَ رِوَايَةٌ عَالِيَةٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَجْهَلُونَهَا، إِذْ لَمْ يَكُونُوا

(1) لم أتبين الكلمة في الأصل ولعلها «تكن».

(2) ديوان حميد بن ثور: 41، المذكر والمؤنث: 1/ 176، كتاب كنايات الثعالبي: 3 «نعم».

أَخَذُوا الْقَصِيدَةَ عَنْ نَاظِمِهَا، فَإِنَّ مَنْ رَوَى رِوَايَةً مُعَنْعَنَةً حَتَّى يَصِلَ بِهَا إِلَى النَّاظِمِ ضَبْطاً وَفِقْهاً [لَا][1] يَشُقُّ عَلَيْهِ فَهْمُ كَثِيرٍ مِنْ ضَبْطِهِ أَلْفَاظِهَا، وَمِنْ فَهْمِ مَعَانِيهَا.

وَ**(زَلَّةُ الْقَدَمِ)**: كِنَايَةٌ عَنِ الْهَلَاكِ، لِأَنَّ الْقَدَمَ مَعْهُودٌ التَّحَفُّظُ عَلَيْهِ مِنْ زَلَّتِهِ فِي الأَجْرَامِ الْحِسِّيَّةِ كَالْقَنَاطِيرِ الضَّيِّقَةِ، وَمِنْ لَوَازِمِ زَلَلِهَا الْهَلَاكُ، فَاسْتَعْمَلَهَا كِنَايَةً عَنْ هَلَاكِ مَنْ عُوقِبَ.

وَ**(الْقَدَمُ)**: مُؤَنَّثَةٌ.

وَفِي الْبَيْتِ: التَّقْسِيمُ، لِأَنَّ الأَمْرَ دَائِرٌ بَيْنَ الأَخْذِ بِالْيَدِ، أَوْ زَلَّةِ الْقَدَمِ.

وَفِيهِ: التَّحْصِيفُ: «وَهُوَ تَعْدَادُ مُوجِبَاتِ النَّجَاةِ»، وَهُوَ تَكْرَارُ **(الْفَضْلِ وَالإِلِّ)**.

وَفِيهِ: الْجَمْعُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ فِي الْحُكْمِ الْوَاحِدِ.

وَفِيهِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، لِذِكْرِ هَذِهِ الْمُتَنَاسِبَاتِ.

وَفِيهِ: الطِّبَاقُ، فَإِنَّ الأَخْذَ بِالْيَدِ وَزَلَّةَ الْقَدَمِ مُتَضَادَّانِ.



(1) لا توجد «لا» في الأصل، والأنسب للمعنى إثباتها.

158 ـ قَالَ:

حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الْجَانِي عِنَايَتَهُ ... أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ(1)

شرح: فِيهِ رِوَايَةُ: **(أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي)**، وَرِوَايَةُ: **(الْجَانِي)** أَعَمُّ، لأَنَّ مِنَ الْجُنَاةِ مَنْ يَعُمُّهُمُ الْفَضْلُ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا رَاجِينَهُ لِمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ عَظَائِمِ زَلَلِهِمْ.

وَيُرْوَى: **(كَرَامَتَهُ)** وَ**(عِنَايَتَهُ)**، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى.

[قَالَ شَيْخُنَا أَبُو... أَوْ يَرْجِعُ... مُحْتَرَمٌ مِنْهُ. وَقَالَ بَعْضُ الأَصْحَابِ: أَوْ يَرْجِعُ الْمُسْتَجِيرُ بِهِ... مِنَ اللهِ ﷺ. وَوَجْهُ الأَوَّلِ أَنَّ الشَّفَاعَةَ جَعَلَهَا اللهُ لَهُ... أَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَحْتَرِمُ مَنِ اسْتَجَارَ بِهِ. وَوَجْهُ الآخَرِ أَنَّ مَعْنَاهُ: اسْتَجَرْتُ بِمَحْبُوبِ اللهِ...](2).

وَالنَّاظِمُ بَعْدَ أَنْ زَعْزَعَ النَّفْسَ سَكَّنَهَا بِإِظْهَارِ مَكَارِمِ أَخْلاَقِ الْمَمْدُوحِ وَكَثْرَةِ مَآثِرِهِ. وَذٰلِكَ أَنَّ مَسْلَكَهُ رَحِمَهُ اللهُ فِي هٰذَا الْمَسَاقِ مَسْلَكٌ صُوفِيٌّ حَسَنٌ، لأَنَّهُ لَمَّا كَبُرَ عَلَيْهِ ذِكْرُ الْمَدْحِ إِذْ كَانَ قَالَ: **(خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ)** رَجَعَ كَالْمُتَبَرِّئِ مِنْ إِظْهَارِ حَظِّ النَّفْسِ حَتَّى قَالَ بَيْتَ الإِشْفَاقِ قَبْلَ هٰذَا وَجَاءَ بِهِ عَلَى قَطْعِ مَا سِوَى الْفَضْلِ وَالإِلِّ مِنَ الْوَسَائِلِ، أَرْدَفَهُ بِمَا يُقَوِّي الأَمَلَ وَيَزِيدُ فِي تَحْقِيقِ الرَّجَاءِ، فَقَالَ: أُحَاشِيهِ عَنْ عَدَمِ الأَخْذِ بِيَدِي لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الذِّمَّةِ الَّتِي ثَبَتَتْ مِنَ التَّسْمِيَةِ، وَسَكَتَ عَنْ ذِكْرِهَا، لأَنَّهَا قَدْ تَقَدَّمَتْ. وَزَادَ هُنَا تَعَلُّقاً آخَرَ، وَهُوَ كَوْنُهُ مُجَاوِراً، وَلِلْجَارِ عِنْدَ الْفُضَلاَءِ حُرْمَةٌ، وَهُوَ ﷺ رَأْسُ الْفُضَلاَءِ، وَالْمَبْعُوثُ لِتَتْمِيمِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ؛ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: مُحَالٌ أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ تَوَسَّلَ بِهِ وَتَسَمَّى بِاسْمِهِ، وَقَطع عَلاَئِقَهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَانْقَطَعَ

(1) الديوان: 200 «الراجي مكارمه».

(2) لحق يمين الورقة: 302 طمس أغلبه.

لأَمْدَاحِهِ، وَجَاوَرَهُ، وَهَجَرَ أَوْطَانَهُ لأَجْلِ مُجَاوَرَتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَسَلَّمَنِي يَوْمَ احْتِيَاجِي إِلَيْهِ، أُحَاشِيهِ عَنْ هٰذَا.

وَ**(حَاشَا)** هٰذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَراً لاَ فِعْلاً، بَلْ جَاءَ بِهِ فِي مَعْنَى الْمُحَاشَاةِ، وَهُوَ مَعْمُولُ الْفِعْلِ، مُضْمَرٌ مِنْ جِنْسِهِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: أُحَاشِيهِ مُحَاشَاتَهُ اللاَّئِقَةَ بِجَلاَلِهِ، فَيَكُونُ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ بِـ **(حَاشَا)** ضَمِيرَ خَفْضٍ فِي مَعْرِضِ التَّضَايُفِ [303]// وَإِنْ كَانَ **(حَاشَا)** كَـ (ذَا) أَشْبَهَ صُورَةً بِالْفِعْلِ.

وَأَفْعَالُ هٰذِهِ الْمَادَّةِ: (حَاشَ، وَحَاشَا، وَحَشَا)، وَأَمَّا الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي الاسْتِثْنَاءِ فَفِيهَا خِلاَفٌ: فَقِيلَ: هِيَ فِعْلٌ. وَقِيلَ: حَرْفُ جَرٍّ. وَصَوَّبَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالَ: هُوَ الْكَثِيرُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ. وَتَكُونُ فِي الْفِعْلِيَّةِ مُتَعَدِّيَةً. وَقِيلَ فِي(1) قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: 31]، أَيْ: حَاشَا يُوسُفُ الْفِعْلَ لأَجْلِ اللهِ.

وَ**(الْحِرْمَةُ)**: الْمَنْعُ. يُقَالُ: حَرَمْتُهُ أَحْرِمُهُ: إِذَا مَنَعْتُهُ. وَالرِّوَايَةُ: **(يَحْرِمَ)** بِفَتْحِ يَاءِ الْمُضَارَعَةِ عَلَى بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْفَاعِلِ، فَيَكُونُ فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى مَنْ عَادَ عَلَيْهِ اسْمُ كَانَ مِنْ قَوْلِهِ: **(إِنْ لَمْ يَكُنْ)**، وَيَكُونُ **(الْجَانِي)** أَوِ **(الرَّاجِي)** مَفْعُولٌ أُطْرِحَتْ حَرَكَتُهُ لأَجْلِ إِقَامَةِ الْوَزْنِ كَحَرَكَةِ **(دَاعِينَا)** قَبْلُ. وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ: **(أَنْ يُحْرَمَ)** عَلَى الْبِنَاءِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فَيَكُونُ **(الْجَانِي)** أَوِ **(الرَّاجِي)** مَفْعُولاً لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

وَ**(شَفَاعَتَهُ)**: إِمَّا مَفْعُولاً ثَانِياً بَعْدَ إِقَامَةِ أَحَدِ الْمَفْعُولَيْنِ مَقَامَ الْفَاعِلِ، أَوْ ثَانِياً لِمَنْصُوبٍ. وَهُوَ مِنْ بَابِ (أَعْطَى) لاَ مِنْ بَابِ (ظَنَّ).

وَالضَّمِيرُ مِنْ **(شَفَاعَتِهِ)** لِلنَّبِيِّ ﷺ. وَيَجُوزُ عَوْدُهُ عَلَى **(الرَّاجِي)** فَيُضَافُ الْمَصْدَرُ إِلَى الْمَفْعُولِ.

(1) حرف «في» مكرر في الأصل.

وَ(**الرَّجَاءُ**): تَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِمَطْمُوعٍ يَحْصُلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَعَ الأَخْذِ فِي عَمَلٍ مُحَصِّلٍ. وَتَقَدَّمَتْ مَعَانِي (**الْجَارِ**) فِي شَرْحِ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ: (**جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ**)، وَهُوَ هُنَا الْمُجَاوِرُ فِي الْمَدِينَةِ شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى.

وَقَدْ ظَهَرَ فَضْلُ الْجِوَارِ عَلَى قَوْمٍ فِي الْحَيَاةِ، رُوِيَ عَنِ الشَّيْخِ أَيْمَنَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ جَاوَرَ وَكَانَ يُنْشِئُ فِي مَدْحِهِ ﷺ قَصَائِدَ، فَلَمَّا هَمَّ بِالرُّجُوعِ إِلَى وَطَنِهِ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي نَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ: أَتُوحِشُنَا يَا أَيْمَنُ؟ فَاسْتَيْقَظَ فَرِحاً مَسْرُوراً، وَنَوَى أَنْ لَا يَنْتَقِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَعَمِلَ: (طويل)

أَنَا الْيَوْمَ فِي حَالِي سَعِيدٌ بِتَرْحَالِي ... لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّي عَلَى أَسْعَدِ الْحَالِ

قَصِيدَةً حَسَنَةً يَذْكُرُ فِيهَا فَضْلَ الْجِوَارِ وَالصَّلَاةِ الْمُضَاعَفَةِ فِي مَسْجِدِهِ ﷺ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى تَوَفَّى بِهَا.

وَتَقَدَّمَ أَنَّ (**حَاشَا**) مِنْ قَبِيلِ الأَسْمَاءِ هُنَا.

وَ(**أَنْ يَحْرِمَ**): عَلَى حَذْفِ حَرْفِ الْجَرِ، وَالتَّقْدِيرُ: مِنْ أَنْ يَحْرِمَ، وَ(**يَحْرِمَ**) هُنَا مِنَ الْحِرْمَانِ لَا مِنَ الْحِرْمَةِ.

وَ(**أَوْ**) هُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ.

وَ(**مِنْ**) مِنْ قَوْلِهِ: (**مِنْهُ**) لابْتِدَاءِ الْغَايَةِ.

وَ(**عِنَايَتَهُ**) أَوْ (**شَفَاعَتَهُ**) أَوْ (**كَرَامَتَهُ**) مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَعْنَى. وَ(**مَكَارِمَهُ**) إِنْ أَعْمَلْنَا فِيهِ (**يَحْرِمَ**) فَيَكُونُ (**الرَّاجِي**) لِمُجَرَّدِ ثُبُوتِ صُورَةِ الْفِعْلِ، وَإِعْمَالُ الأَوَّلِ هُنَا أَنْسَبُ مِنْ إِعْمَالِ الثَّانِي.

وَالْحِرْمَانُ مَعَ الْمَكَارِمِ أَوِ الشَّفَاعَةِ أَوِ الْعِنَايَةِ مِنَ الطِّبَاقِ.

وَمُشَارَكَةُ (**الْجَارِ**) (**الرَّاجِي**) فِي أَكْثَرِ حُرُوفِهِ جِنَاسٌ مَقْلُوبٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (**كامل**)

وَيَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً مِنْ ضِلَّةٍ ... لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ[1]

فَهُوَ كَمَا هُنَا لِلْقَلْبِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي أَكْثَرِ الْحُرُوفِ.



(1) البيت لابن حمديس في: ديوانه: 329، المصباح في المعاني: 227، الإشارات: 280، الإيضاح: 515، المعاهد: 1/ 351، خزانة الحموي: 1/ 229، أنوار التجلي: 2/ 415، مطالع البدور: 2181.

159 ـ قَالَ:

وَمُنْذُ أَنْ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ   وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزَمِ[1]

شرح: جَاءَ بِهٰذَا الْبَيْتِ إِظْهَاراً لِصِحَّةِ الْمُحَاشَاةِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا شَكَّ فِي احْتِرَامِ الْجَارِ وَذٰلِكَ عِنْدِي بُرْهَانٌ قَاطِعٌ، فَإِنِّي قَدْ حَصَلَ لِي مِنْ عِنَايَتِهِ فِي الْعَاجِلِ مَا قَطَعْتُ بِحُصُولِ احْتِرَامِي بِهَا فِي الآجِلِ. يُشِيرُ إِلَى مَا كَانَ وَقَعَ بِهِ مِنَ الْفَالِجِ، فَإِنَّهُ عُوفِيَ بِسَبَبِ مَدَائِحِهِ الَّتِي أَخَذَ فِيهَا عَلَى حَسَبِ مَا أَسْلَفْنَاهُ قَبْلُ قَبْلَ الأَخْذِ فِي شَرْحِنَا أَلْفَاظَهَا. وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ النَّاظِمَ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ التَّمَادِي فِي أَمْدَاحِهِ، فَإِنَّ **(أَلْزَمْتُ)** وَ**(أَوْجَبْتُ)** مُتَرَادِفَانِ. وَجَاءَ بِـ **(مَدَائِحَ)** لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْكَثْرَةِ وَلَمْ يَقُلْ: **(أَمْدَاحَ)** [304]// لأَنَّهُ جَمْعُ قِلَّةٍ.

وَ**(الأَفْكَارُ)**: جَمْعُ فِكْرٍ، وَهُوَ مَا يُطْلَبُ بِهِ أَمْرٌ مَعْقُولٌ، وَلِذٰلِكَ حُدَّ النَّظَرُ بِالْفِكْرِ الَّذِي يُطْلَبُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ ظَنٌّ. وَقَالَ النَّاظِمُ: **(أَفْكَارِي)** [جَمْعاً][2] بِحَسَبِ مَطْلُوبَاتِ الْفِكْرِ، وَتَكْثِيراً، إِذْ جَوَلَانُ فِكْرِهِ فِي جِهَاتِ الْمَطَالِبِ يَقْتَضِي ذٰلِكَ.

وَ**(الْمَدَائِحُ)**: جَمْعُ مَدِيحٍ، جَمْعُ كَثْرَةٍ أَيْضاً، فَجَمَعَ الْفِكْرَ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ النَّظَرِ الْمُتَكَرِّرِ وَجَمَعَ الْمَدَائِحَ تَفْخِيماً وَإِلْزَاماً لِنَفْسِهِ مَا يَقْتَضِي اسْتِغْرَاقَ الْعُمْرِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا هٰذِهِ الْقَصِيدَةَ فَإِنَّ كُلَّ بَيْتٍ مِنْهَا مَدْحٌ، لٰكِنَّ الْمَذْكُورَ عَنْهُ أَنَّ لَهُ قَصَائِدَ شَتَّى، وَالإِلْزَامُ يَقْتَضِي التَّكْرَارَ.

وَقَوْلُهُ: **(وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِي)** يَعْنِي: مِنْ مُوبِقَاتِ ذُنُوبِهِ.

وَقَوْلُهُ: **(خَيْرَ مُلْتَزَمٍ)**، يَعْنِي: بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي **(وَجَدْتُهُ)**: مَدْحَهُ ﷺ، أَوْ لَهُ ﷺ، أَوْ عَائِدٌ عَلَى الالْتِزَامِ الْمَفْهُومِ

(1) الديوان: 200.

(2) في الأصل: «جمع».

مِنْ قَوْلِهِ: **(أَلْزَمْتُ)**، أَيْ: وَجَدْتُ ذٰلِكَ الالْتِزَامَ خَيْرَ مُلْتَزَمٍ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى مَا عَانَى بِهِ نَفْسَهُ، وَالْتَزَمَ الْمُدَاوَاةَ بِهِ، فَلَمَّا أَخَذَ فِي الْمَدْحِ وَجَدَهُ[1] أَفْضَلَ مَا تَدَاوَى بِهِ، إِذْ بِبَرَكَةِ الْقَصِيدَةِ عُوفِيَ. وَيُعَضِّدُ هٰذِهِ النَّزْعَةَ أَنَّ هٰذَا هُوَ الَّذِي يُدْرَكُ بِعَقْلِهِ، أَيْ: جَرَّبَ مَا عَانَى بِهِ نَفْسَهُ فَمَا وَجَدَ مَا خَلَصَتْ بِهِ ذَاتُهُ مِنْ آلَامِ أَسْقَامِهِ أَجَلَّ مِنْ مَدْحِهِ الَّذِي مَدَحَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، وَيَكُونُ هٰذَا الْبَيْتُ مُؤَكِّداً لِمَا فِي الَّذِي قَبْلَهُ، فَكَأَنَّهُ يُقَرِّرُ لِلنَّفْسِ تَسْلِيَتَهُ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَالَّذِي يَدُلُّكِ أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَنَّ رَجَائِي مُحَقَّقٌ، وَأَمَلِي رَاجِحٌ، أَنَّ أَلَمِي أَلَمَانِ: دُنْيَاوِيٌّ وَأُخْرَاوِيٌّ؛ أَمَّا الدُّنْيَاوِيُّ: فَقَدْ عُوفِيتُ بِبَرَكَةِ مَدْحِي النَّبِيَّ ﷺ، وَتَوَسُّلِي للهِ ﷻ بِبَرَكَةِ الْمَمْدُوحِ، فَأَجَابَ دُعَائِي وَأَذْهَبَ أَلَمِي، وَهٰذِهِ الْمُقَدِّمَةُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْقِيقِ حُصُولِ نَتِيجَتِهَا فَكَمَا مَنَّ بِالإِحْسَانِ أَوَّلاً يَمُنُّ بِهِ آخِراً.

وَفِي الْبَيْتِ: الإِرْصَادُ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ: **(أَلْزَمْتُ)** **(فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ)** عُلِمَ قَطْعاً أَنَّهُ يُرِيدُ **(مُلْتَزَم)**.

وَفِيهِ: الْعَكْسُ وَالتَّبْدِيلُ.

وَ**(قَدْ)** وَ**(مُنْذُ)**: يَكُونَانِ حَرْفَيْنِ، وَيَكُونَانِ اسْمَيْنِ، وَالأَكْثَرُ ضَمُّ مِيمِ **(مُنْذُ)**، وَقَدْ تُكْسَرُ وَتُضَافُ إِلَى الْجُمْلَةِ مُصَرَّحاً بِجُزْئَيْهَا، أَوْ مَحْذُوفٌ فِعْلُهَا بِشُرُوطٍ مَذْكُورَةٍ فِي كُتُبِهِمْ، فَإِذَا جَرَّتْ وَقْتاً أَوْ مَا يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ الْوَقْتِ كَانَتْ حَرْفاً، وَيَتَعَاقَبَانِ فِي الْغَلَبَةِ، فَالاسْمِيَّةُ غَالِبَةٌ عَلَى **(مُذْ)** وَالْحَرْفِيَّةُ عَلَى **(مُنْذُ)**.

وَوُجِدَ فِي كَلَامِ النَّاظِمِ **(قَلْبِي)**، يَطْلُبُ اسْمَيْنِ مَنْصُوبَيْنِ بَعْدَ فَاعِلِهِ، وَهُوَ الْعَامِلُ هُنَا فِي **(مُنْذُ)**. وَ**(الْهَاءُ)** وَ**(خَيْرَ)** مَفْعُولَاهُ. وَ**(بِهِ)** تَعَلَّقَ بِـ **(خَلَاصِي)**.

وَفِي الْبَيْتِ: حُسْنُ التَّعْلِيلِ، إِذْ جَعَلَ عِلَّةَ تَخَلُّصِهِ الْمَدْحَ، إِنْ أَعَدْنَا الضَّمِيرَ عَلَيْهِ، وَكَذَا إِنْ أَعَدْنَاهُ لِلالْتِزَامِ الْمَفْهُومِ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ.

(1) في الأصل: «وجد»، ولعل الأنسب «وجده».

وَنِسْبَةُ الْخَلَاصِ لِلْمَدْحِ فِيهِ مَعْنًى مِنَ الإِسْنَادِ الْعَقْلِيِّ.

وَقَوْلُهُ: (**خَيْرَ مُلْتَزَمِي**) هُوَ بِفَتْحِ الزَّايِ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُجَرَّداً عَنِ الإِضَافَةِ، وَهُوَ الْمُبَادِرُ لِلذِّهْنِ بَادِيَ الأَمْرِ، وَيَلُوحُ أَنْ لَوْ جُعِلَ مُضَافاً إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ أَسْعَدُ بِقَصْدِ النَّاظِمِ، إِذْ كَانَتْ مُلْتَزَمَاتُهُ الرُّقَى وَالأَدْوِيَةُ، وَمَا تَدَاوَى بِهِ مِنَ الامْتِدَاحِ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ مَا كَانَ الْتَزَمَ. وَأَمَّا إِنْ جَعَلْنَاهُ مُجَرَّداً فَإِنَّا إِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى عُمُومِهِ لَا يَصِحُّ، فَنَفْتَقِرُ إِلَى إِضْمَارٍ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: خَيْرَ مُلْتَزَمٍ الْتَزَمْتُهُ.



160 ـ قَالَ:

وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدٌ تَرِبَتْ ... إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ(1)

شرح: أَخَذَ النَّاظِمُ فِي الْبَيْتِ يُمَهِّدُ لِلنَّفْسِ مَا يُوَطِّنُهَا عَلَى تَسْلِيَتِهِ إِيَّاهَا، وَيُزِيلُ عَنْهَا مَا رَاعَهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ بَيْنَ أَنْ يُؤْخَذَ بِيَدِهِ أَوْ لَا، فَقَالَ: لَا يَفُوتُ الْغِنَى يَداً افْتَقَرَتْ إِنْ تَوَجَّهَتْ سَائِلَةً مِنْهُ ﷺ غِنَاهَا، لأَنَّ قُلُوبَ الْعَالَمِ أَرْضٌ، وَجَاهُهُ ﷺ غَيْثٌ، وَحَيْثُ مَا حَلَّ الْغَيْثُ نَفَعَ الأَرْضَ وَأَنْبَتَ فِيهَا الأَزْهَارَ، فَلَا تَسْتَعْظِمِي مَا اقْتَرَفْتِ [305]// مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ [جَنَابَ](2) مَنِ اسْتَجَرْتِ بِهِ عَظِيمٌ، تَنْهَضِمُ بِالاسْتِجَارَةِ بِهِ عَظَائِمُ الذُّنُوبِ.

وَعَبَّرَ بِـ (**يَدٌ تَرِبَتْ**) عَنْ ذَاتٍ افْتَقَرَتْ مِنَ الْحَسَنَاتِ. وَ(**تَرِبَ**): يَأْتِي بِمَعْنَى: افْتَقَرَ حَتَّى الْتَصَقَ بِالتُّرَابِ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: 16]. وَيَأْتِي بِمَعْنَى: خَسِرَ، وَالْمَعْنَيَانِ يَصْلُحَانِ هُنَا، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: مَنِ افْتَقَرَ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَنَاتِ، وَثَقُلَ ظَهْرُهُ بِعَظَائِمِ الْخَطِيئَاتِ، لَا يَحْزَنُ وَلَا يَخَافُ إِذَا تَوَسَّلَ بِسَيِّدِ الْخَلْقِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْغَيْثَ إِذَا انْهَمَلَ كَسَا الْبِطَاحَ وَالآكَامَ حَتَّى يُنْبِتَ الأَزْهَارَ، وَفِي الرُّبَا الَّتِي لَا يَسْتَقِرُّ فِيهَا مَاءٌ، وَكَذَا عِنَايَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَصِلُ أَهْلَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ [الَّذِين](3) مَثَلُهُمْ فِي الأَرْضِ الْوِهَادُ وَالْبِطَاحُ، وَ[أَهْلَ](4) الذُّنُوبِ الثِّقَالِ [الَّذِينَ](5) مَثَلُهُمْ فِي الأَرْضِ الرُّبَا وَالآكَامُ، وَالْغَيْثُ يَعُمُّ الْجَمِيعَ.

---

(1) الديوان: 200 «يداً».

(2) في الأصل: «جنات»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(3) في الأصل: «التي»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(4) في الأصل: «أعمل»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

(5) في الأصل: «الذي»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ وَجَدْتَ الْعَالَمَ الْمَبْعُوثَ إِلَيْهِ سَيِّدُ الْخَلْقِ مُحَمَّدٌ ﷺ بِمَثَابَةِ الأَرْضِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْمَعَادِنِ، وَأَمَاكِنِ الْعُيُونِ الْعَذْبَةِ، وَالْمِلْحِ الأُجَاجِ، وَالْمُرِّ، وَالأَرْضِ الْمُنْبِتَةِ، وَالأَرْضِ [غَيْرِ الْمُنْبِتَةِ][1] مِنَ السِّبَاخِ وَالصُّخُورِ، وَإِذَا نَزَلَ الْغَيْثُ عَمَّهَا أَجْمَعَهَا.

ثُمَّ إِنَّهَا مَا سَبَقَتْ فِيهِ الأَصَالَةُ الْمُرَكَّبَةُ مِنْ قِبَلِ اللهِ ﷻ مِنَ الأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الْمُنْبِتَةِ عَمَّهَا الْغَيْثُ، وَأَطَابَ تُرْبَهَا، فَاهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَتَتْ بِكُلِّ نَبْتٍ طَيِّبٍ بَعْدَ زَمَنٍ مِنْ نُزُولِ الْغَيْثِ.

وَمَا كَانَ مِنَ الْجِبَالِ وَالرُّبَا النَّاشِزَةِ عَمَّهَا الْغَيْثُ، فَمَا كَانَ صَلْداً لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْغَيْثِ، وَمَا كَانَ لَيْسَ بِصَلْدٍ انْتَفَعَ مَعَ بُعْدِهِ عَنْ وَهَدَاتِ الأَرْضِ بِمَا أَصَابَهُ مِنَ الْغَيْثِ.

وَمَا كَانَ مِنَ الْعُيُونِ الْعَذْبَةِ تَزَيَّدَتْ بِنُزُولِ الْغَيْثِ قُوَّةً فِي مَادَّتِهَا، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمِيَاهِ الْمُتَدَفِّقَةِ شُرْباً وَسَقْياً لأَرْضِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ.

وَمَا كَانَ مِنَ السِّبَاخِ كَثُرَ فِيهَا الْمَاءُ مِنَ الْغَيْثِ، لَكِنْ لأَصَالَتِهِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي رَكَّبَ اللهُ فِيهَا تَطَيَّنَتْ وَزَادَتْ بِخَبَاثَتِهَا ضُرّاً بِالْخُطَّارِ وَمَشَقَّةً لأَصْحَابِ الأَسْفَارِ.

وَمَا كَانَ مِنَ الْعُيُونِ الْمِلْحِ وَالْمُرَّةِ جَرَتْ وَتَقَوَّتْ بِمَا أَصَابَهَا مِنَ الْغَيْثِ، وَوَقَعَ بَعْضُ الانْتِفَاعِ بِمَائِهَا لِغَسْلِ الأَدْرَانِ وَالنَّجَاسَاتِ.

وَإِذَا فَهِمْتَ هٰذَا فَقَدْ جَاءَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَامَّةً لِلأَسْوَدِ وَالأَحْمَرِ، فَانْتَفَعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ بِوُجُودِهِ، فَارْتَفَعَ عَنْهُمُ الْمَسْخُ وَتَعْجِيلُ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُنَفَّذُ عَاجِلاً فِي الْحَيَاةِ، وَانْتَفَعَ بِوُجُودِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمُشَبَّهُونَ بِالأَرْضِ الْكَرِيمَةِ التُّرْبَةِ، فَأَنْبَتَتِ الأَشْجَارَ الْمُطْعِمَةَ فِي الْحَالِ وَبَعْدَ حِينٍ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْغَيْثِ جَاءَتْ بِمَا كَانَ الْغَيْثُ سَبَباً فِي ظُهُورِهِ مِنَ الزِّرَاعِ الَّتِي بِهَا قِوَامُ الْعَالَمِ وَالأَزْهَارِ الْعَجِيبَةِ.

(1) في الأصل: «الغير منبتة».

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبِعْثَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَشَزَتْ نُفُوسُهُمْ عَنْ بَعْضِ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ أَوْ عَنْ كُلِّهَا مَعَ سَلَامَةِ الإِيمَانِ كَانُوا كَالرُّبَا الَّتِي لَا تَأْتِي بِمِثْلِ مَا تَأْتِي الْوَهَدَاتُ وَالأَرْضُ الْكَرِيمَةُ، لَكِنْ لَا تَخِيبُ مِنْ نَفْعٍ، فَأَصَابَهُمُ الْغَيْثُ فِي الْعَاجِلِ، وَحَصَلَ لَهُمْ بِهَا مِنَ النَّفْعِ فِي الآجِلِ بَعْضُ مَا حَصَلَ لِلْوَهَدَاتِ لَا كُلُّ مَا حَصَلَ لَهَا.

وَأَمَّا مَجَارِي الْمِيَاهِ مِنَ الأَنْهَارِ وَالْعُيُونِ فَزَادَتْ بِالْمِيَاهِ الَّتِي أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهَا قُوَّةً، وَغَزُرَتْ مِيَاهُهَا، [306]// وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهَا وَبِمَائِهَا بَعْدَ كَفِّ السَّحَابِ مُزْنَهُ، كَالْعُلُومِ الَّتِي جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ يَنْتَفِعُ الْخَلْقُ بِهَا بَعْدَ غَيْبَةِ الَّذِي مِنْهُ اسْتُفِيدَتْ.

وَبِقَاعُ الأَرْضِ السَّالِمَةِ مِنَ الْمِلْحِ إِلَّا أَنَّهَا رَقِيقَةُ الأَرْضِ، حَرْشَةُ التُّرْبَةِ، كَكَثِيرٍ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَجَبُنَتْ أَجْسَامُهُمْ عَنْ أَدَاءِ كَثِيرٍ مِمَّا كُلِّفُوا بِهِ، أَشْرَقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْوَارُ الإِيمَانِ وَانْتَفَعُوا بِهَا لِمَا رَسَخَ مِنْ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، كَمَا انْتَفَعَتِ الأَرْضُ الْمَذْكُورَةُ بِالْغَيْثِ.

وَأَمَّا الْعُيُونُ الْمَلِحَةُ فَإِنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ عَمَّهُمُ الْغَيْثُ أَوَّلاً، وَانْتَفَعَ بِهِمْ لإِزَالَةِ الأَوْسَاخِ وَالأَدْرَانِ كَمَا انْتُفِعَ بِالْكَفَرَةِ فِي أَخْذِ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الأَمْوَالِ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ أُخِذَ وَانْتَفَعُوا هُمْ أَيْضاً بِكَسْبِهَا فِي الدُّنْيَا لِغَسْلِ أَدْرَانِهِمُ الظَّاهِرَةِ، فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَشْرَبُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ أَزَالُوا دَرَناً ظَاهِراً وَقُلُوبُهُمْ مَعْمُورَةٌ بِمَا لَا يَنْفَعُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنَ الْغَيْثِ.

وَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَالنَّاظِمُ عَلَّلَ النَّفْسَ بِأَنْ قَالَ لَهَا: هَبْكِ أَنْ يَكُونَ مِثَالُكِ كَالرُّبَا الَّتِي لَا يَسْتَقِرُّ فِيهَا مَجْمُوعُ الْغَيْثِ، فَقَدْ حَصَلَ فِيكِ بُقَعُ مَا نَزَلَ، وَأَنْبَتَ ذٰلِكَ الْغَيْثُ فِيكِ مِنَ الرِّزْقِ مَا أَنْبَتَ، فَلَا تَقْنَطِي فَإِنَّ بَرَكَةَ الإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَمَّ أَرْضَ قَلْبِكِ مَعَ مَا انْضَمَّ إِلَى مَا حَصَلَ فِيكِ مِنَ الْغَيْثِ مِنَ الْخِدْمَةِ الَّتِي تُحَسِّنُ أُصُولَ تِلْكَ الرُّبَا، وَتُصْلِحُ بِهَا الأَشْجَارُ كُلُّهَا وَإِنْ كَانَتْ

نَاشِزَةً فَكَمَا أَنَّ الْغَيْثَ انتفَعَ بِهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ فَكَذَا فَضْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ انتفع بِهِ الْعَامِلُ الْمُطِيعُ وَالْعَاصِي الْمُذْنِبُ، مَعَ سَلَامَةِ الأَرْضِ مِنَ الصَّلَدِ وَالْمِلْحِ. وَمَا كَانَ مِنَ الْخِدْمَةِ لِتِلْكَ الأَرْضِ وَإِنْ قَلَّتْ فَهِيَ مَعَ مَا حَصَلَ مِنَ الْغَيْثِ نَافِعَةٌ، وَالْحَمْدُ لله.

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: (**مِنْهُ**) عَائِدٌ عَلَى النبيِّ ﷺ، أَوْ عَلَى فَضْلِهِ. وَظَاهِرُهُ أَنَّهُ حَشْوٌ، إِذْ لَوِ اقْتَصَرَ عَنْهُ لأَفَادَ، لٰكِنْ قَدْ أَفَادَ إِقَامَةَ الْوَزْنِ، وَتَعَلَّقَ بِـ (**الْغِنَى**).

وَأَمَّا (**فِي الأكَمِ**): فَتَعَلَّقَ بِـ (**يُنْبِتُ**).

وَإِسْنَادُ (**الْعِنَايَاتِ**) إِلَى (**الْغِنَى**) أَوْ (**الْحَيَا**) الْمُعَبَّرِ بِهِ عَنِ (الْغِنَى) إِسْنَادُ مُسَبَّبٍ إِلَى سَبَبِهِ فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَجَازِ التَّرْكِيبِيِّ.

وَفِي الْبَيْتِ: نَوْعٌ مِنَ الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ، فَإِنَّ مَا فِي الْعَجُزِ كَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ مَا فِي الصَّدْرِ، وَهُوَ اسْتِدْلَالٌ تَعْلِيلِيٌّ.

وَفِيهِ: إِيقَاعُ الظَّاهِرِ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ بَعْدَ تَأَمُّلٍ، لأَنَّ (**الْحَيَا**) هُوَ الْمُعَبَّرُ بِهِ عَنِ (**الْغِنَى**). وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ الْمُمَثَّلَ بِهِ غَيْرُ الْمُمَثَّلِ عَنْهُ، فَلَيْسَ إِيَّاهُ حَقِيقَةً.

وَبِالْجُمْلَةِ فَالْبَيْتُ فِيهِ حُسْنُ التَّمْثِيلِ وَكَمَالُ التَّعْلِيلِ، فَـ (**الْغِنَى**) كِنَايَةٌ عَمَّا يُتَرَجَّى مِنْ عِنَايَتِهِ ﷺ. وَ(**الْيَدُ**) يَدُ الْمُؤْمِنِ، لأَنَّ ذِكْرَ (**الآكَامِ**) تَضَمَّنَ وُجُودَ الإِيمَانِ، لِكَوْنِهَا تُرْبَةً، وَالْكَافِرُ حَجَرٌ صَلْدٌ لَيْسَ مِمَّا يَنْتَفِعُ مِنَ الْغَيْثِ بِشَيْءٍ إِلَّا فِي غَسْلٍ فِي الْحِينِ فِي دُنْيَاهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.



161 ـ قَالَ:

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي قَطَفَتْ ... يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ[1]

شرح: هٰذَا تَنْزِيهٌ لِطِلَابَتِهِ، لأَنَّهُ لَمَّا مَدَحَ، وَتَرَجَّى ثَوَاباً عَلَى امْتِدَاحِهِ، وَحَصَلَ لَهُ مَا حَصَلَ مُعَجَّلاً مِنْ بَدَنِهِ، وَسَلَّى النَّفْسَ بِمَا يَحْصُلُ لَهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْئَسَ مِنَ الطَّمَعِ فِي حُطَامِ الدُّنْيَا مَثُوبَةً عَلَى امْتِدَاحِهِ فَقَالَ: لُجْنِي لِمَكَارِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِطَلَبِ التَّحَصُّنِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ شَدَائِدِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ هُوَ مَطْلَبِي لَا مَا طَلَبَهُ طُلَّابُ الدُّنْيَا عَلَى امْتِدَاحِهِمْ أَهْلَهَا مِنْ إِنَالَتِهِمْ إِيَّاهُمْ حُطَامَهَا، فَوَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الزُّهْدِ فِي حُطَامِ الدُّنْيَا.

وَ(**زُهَيْرٌ**) الَّذِي ذَكَرَ هُوَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى بِضَمِّ السِّينِ. وَأَبُو سُلْمَى: هُوَ رَبِيعَةُ بْنُ رَبَاحٍ مِنْ بَنِي مَازِنَ. وَبَنُو مَازِنَ مِنْ كِبَارِ الْعَرَبِ، أَهْلُ مَنَعَةٍ لِلْمُتَحَصِّنِ بِهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ الشَّاعِرُ: (بسيط) [307]//

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي ... بَنُوا اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا[2]

إِذَنْ لَقَامَ بِنَصرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَانَا

وَ(**هَرِمُ**) هٰذَا هُوَ هَرِمُ بْنُ سِنَانَ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ، مَازِنِيٌّ أَيْضاً. وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ مُزَيْنَةَ[3]. وَقَدْ مَدَحَهُ زُهَيْرٌ بِقَصَائِدَ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ يُثِيبُهُ بِالأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ حَتَّى

---

(1) الديوان: 200.

(2) البيتان لقريظ بن أنيف العنبري في: عيون الأخبار: 1/ 188، المقاييس: 3/ 219، المثل السائر: 1/ 104، شرح المفصل: 6/ 102 «بنو الشقيقة»، مجالس ثعلب: 2/ 405 «إذن لقام مقامي معشر خشن × عند الحقيقة». قال أبو العباس: أنشد أبو سعيد الغنوي. . . والرواية الصحيحة «الشقيقة» وهي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان. ورواه أبو تمام: «بنو اللقيطة»: وهي أم حصن بن حذيفة من بني فزارة ولا صلة لها بذهل بن شيبان.

(3) مزينة: قبيلة من مضر، نسبة إلى مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. ينظر: معجم قبائل العرب: 3/ 235.

بَلَغَ عِنْدَهُ مِنَ الْجَوَائِزِ وَالْعَطَاءِ مَا لَا يُكَيَّفُ وَلَا يُقَاسُ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِيهِ فِي أَثْنَاءِ قَصَائِدِهِ الَّتِي امْتَدَحَهُ بِهَا: (بسيط)

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَـ ... كِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمُ[1]

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ ... عَفْواً وَيُظْلَمُ أَحْيَاناً فَيَظَّلِمُ

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ ... يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمُ

وَأَوَّلُ هٰذِهِ الْقَصِيدَةِ: (بسيط)

قِفْ بِالدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ ... بَلَى وَغَيَّرَهَا الأَرْوَاحُ وَالدِّيَمُ[2]

وَلَهُ فِيهِ قَصَائِدُ كَثِيرَةٌ. وَلَقَدْ مَدَحَهُ فِي قَصِيدَةٍ دَالِيَّةٍ مَدْحاً عَظِيماً قَالَ فِي أَثْنَائِهَا: (طويل)

أَلَيْسَ بِضَرَّابِ الْكُمَاةِ بِسَيْفِهِ ... وَفَكَّاكِ أَغْلَالَ الأَسِيرِ الْمُقَيَّدِ[3]

كَلَيْثٍ أَبِي شِبْلَيْنِ يَحْمِي عَرِينَهُ ... إِذَا هُوَ لَاقَى نَجْدَةً لَمْ يُفَنَّدِ

وَمِدْرَهُ حَرْبٍ حَمْيُهَا يُتَّقَى بِهِ ... شَدِيدُ الرِّجَامِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ[4]

وَثِقْلٌ عَلَى الأَعْدَاءِ لَا يَضْعُونَهُ ... وَحَمَّالُ أَثْقَالٍ وَمَأْوَى الْمُطَرَّدِ

وَهٰذِهِ خِصَالٌ تَصْلُحُ لِلدُّنْيَا عَلَى الإِطْلَاقِ، وَتَصْلُحُ لِلآخِرَةِ مَعَ الإِيمَانِ.

وَأَمَّا مَا مَدَحَ بِهِ الْبُوصَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ مَمْدُوحَهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ فِكْرُ نَاظِمٍ بَعْدَهُ لِمَنْ تَأَمَّلَ مَا احْتَوَى عَلَيْهِ نَظْمُهُ، وَقَدْ أَنَالَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَادَّخَرَ لَهُ ثَوَابَ الآخِرَةِ نَفَعَنَا اللهُ بِهِ.

وَفِي الْبَيْتِ: التَّجْنِيسُ بِـ (زَهْرَةٍ) وَ(زُهَيْرٍ).

---

(1) الديوان: 100، العمدة: 1/ 640 «لم يبلها».

(2) الديوان: 96.

(3) الديوان: 168.

(4) مدره: مدفع، من درأت، وهو فارس القوم الذي يدفع عنهم. حميها: شدتها. الرجام: المراجمه.

وَفِيهِ: لاشْتِهَارِ تَعَلُّقِ زُهَيْرٍ بِهَرِمِ الإِرْصَادُ، لأَنَّ مَنْ سَمِعَ أَنَّ الْكَلَامَ فِي زُهَيْرٍ، وَالْقَافِيَةَ مِيمٌ، عَلِمَ أَنَّ التَّمَامَ هَرِمٌ.

وَفِيهِ: الإِسْنَادُ التَّرْكِيبِيُّ فِي إِسْنَادِ قَطْفَةِ زَهْرَةٍ لِلدُّنْيَا.

وَالْبَاءُ فِي **(بِمَا أُثْنَى)** سَبَبِيَّةٌ. وَ**(أُثْنَى)** رُبَاعِيٌّ، وَأَمَّا ثَنَى يَثْنِي، أَيْ: عَطَفَ، ثُلَاثِيٌّ. وَمَقْلُوبُ الثَّنَاءِ: النَّثَا. وَالثَّنَاءُ فِي الْمَدْحِ وَالنَّثَا فِي الذَّمِّ. وَقَدْ يُعْمَلُ الثَّنَاءُ فِي الذَّمِّ إِنْ كَانَ فِي مَوْضِعِ تَفْصِيلٍ أَوْ مُقَاتَلَةٍ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: (بسيط)

أُثْنِي عَلَيَّ بِمَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّنِي ... أُثْنِي عَلَيْكَ بِمِثْلِ رِيحِ الْجَوْرَبِ[1]

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هٰذَا مِنَ التَّهَكُّمِ.



---

(1) البيت في شرح ديوان المتنبي: 1/ 60 «بما علمت»، و3/ 100 «قل ما بدا لك أن تقولي فإني»، جمهرة الأمثال: 2/ 317. «بما علمت... مثن»، ثمار القلوب: 487. أساس البلاغة: حرب.

162 ـ قَالَ: [308]//

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ[1]

شرح: هٰذِهِ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ. وَفِيهِ رِوَايَةٌ: (**عِنْدَ حُدُوثِ**). وَلِلنَّاظِمِ فِي الإِتْيَانِ بِهٰذَا الْبَيْتِ مُنَاسَبَةٌ عَظِيمَةٌ، لأَنَّهُ لَمَّا بَيَّنَ مَا كَانَ مِنْ مَقَاصِدِ النَّاظِمِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ مَقْصِدَهُ هُوَ إِنَّمَا هُوَ التَّحَصُّنُ بِجَنَابِهِ ﷺ، وَعَرَّضَ بِذِكْرِ زُهَيْرٍ لِيُشْعِرَ أَنَّ لِكُلِّ مَادِحٍ ثَوَاباً، وَأَنَّ مِنَ الثَّوَابِ الْمُعَجَّلَ الْفَانِيَ، وَمِنْهُ الْمُؤَجَّلُ الْبَاقِي، وَهُوَ مَنْ كَانَ مَدْحُهُ فِي نَبِيءٍ أَوْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ ﷺ، أَوْ فِي بَارِئِهِ بِمَا يَقْتَضِي الثَّوَابَ الْجَزِيلَ كَالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ، وَالنَّاظِمُ عَيَّنَ نَفْسَهُ أَنَّهُ قَدْ تَوَسَّلَ بِجَنَابِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَامْتَدَحَهُ بِمَا اسْتَطَاعَ، وَإِنْ كَانَ مَدْحُهُ وَمَدْحُ سِوَاهُ فِي جَنَابِ النَّبِيِّ ﷺ نُقْطَةً مِنْ بَحْرٍ لُجِّي، وَمَا عَسَى أَنْ يُثْنِيَ الإِنْسَانُ عَلَيْهِ ﷺ مِمَّا أَثْنَى اللهُ بِهِ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَقَدْ أَدْرَكَتِ النَّاظِمَ عِنَايَتُهُ فِي الدُّنْيَا بِبُرْئِهِ مِمَّا عَجَزَ الأَطِبَّاءُ فِي مُعَانَاتِهِ، وَلَهُ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ الْمُدَّخَرِ عِنْدَ اللهِ مَا لَا يُكَيَّفُ بِشَوَاهِدِ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَإِكْرَامِهِ عَلَى رَبِّهِ. وَلِهٰذَا جَاءَ الْبُوصِيرِيُّ بِقَوْلِهِ: (**يَا أَكْرَمَ [الْخَلْقِ عَلَى]**[2] **اللّٰهِ**)، أَيْ: يَا أَكْرَمَهُمْ عَلَى رَبِّهِ. إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى نَجْحِ قَصْدِهِ وَعُنْوَانُ قَضَاءِ حَاجَتِهِ؛ لأَنَّ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَى أَكْرَمِ الأَكْرَمِينَ بِحُرْمَةِ الأَكْرَمِ عَلَيْهِ حَقِيقٌ أَنْ تُقْضَى مَآرِبُهُ، وَتُتَمَّ فِي كُلِّ مَا أَمَّلَ مَطَالِبُهُ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: يَا أَعْلَى الْخَلْقِ عِنْدَ رَبِّهِ مَنْزِلَةً، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ لُذْتُ بِكَ، وَحَطَطْتُ رِكَابِي بِبَابِكَ، وَتَوَسَّلْتُ إِلَى رَبِّكَ بِكَ، وَحَاجَتِي الَّتِي جَعَلْتُكَ سَبَبَ قَضَائِهَا عِنْدَ رَبِّي سَهْلَةٌ بِاسْتِنَادِي إِلَيْكَ.

(1) الديوان: 200.

(2) العبارة لا توجد في الأصل، ولعلها ساقطة.

وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ قَصَدَ يَا مَنْ شَاعَ بِالْكَرَمِ الَّذِي لَا يَتَّصِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ بِهِ، إِذْ قَدْ تَكَرَّمْتَ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ، تَكَرَّمْتَ عَلَى مَنِ اتَّبَعَكَ بِأَنْ كُنْتَ لَهُ سَبَباً فِي الْهِدَايَةِ، وَعَلَى مَنْ خَالَفَ بِكَفِّ تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ، لَبِّ بِعَظِيمِ قَضَاءِ حَاجَتِي، وَتَكَرُّمُكَ عَلَيَّ بِذَهَابِ فَاقَتِي.

وَيَصِحُّ أَنْ يَقْصِدَ الْمَعْنَيَيْنِ مَعاً، وَالْجُمْهُورُ عَلَى إِجَازَتِهِ وَإِنْ أَبَاهُ آخَرُونَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَذْهَبَ الْجُمْهُورِ مَنْعُهُ إِلَّا الْيَسِيرَ، كَالشَّافِعِيِّ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ؛ وَلِذٰلِكَ قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ: (طويل)

وَأَحْوَرَ فَتَّانِ الْجُفُونِ سَقِيمِهَا	مُهَفْهَفِ أَعْطَافِ الْوِشَاحِ مَنِيمِهَا
خَضَعْتُ لَهُ فِي الْوِصَالِ يَوْماً فَرَدَّنِي	مَرَدَّ خَبِيرٍ بِالْحِجَاجِ عَلِيمِهَا
وَقَالَ وِصَالاً رُمْتَ وَالنَّهْيُ عَنْهُ فِي	شَرِيعَتِنَا حُكْمٌ أَتَى عَنْ حَكِيمِهَا
فَقُلْتُ اشْتِرَاكُ اللَّفْظِ غَرَّكَ إِنَّمَا	نَهَى فِي اللَّيَالِي عَنْ وِصَالِ صُومِهَا
فَقَالَ إِمَامِي الشَّافِعِيُّ وَقَدْ رَأَى	لِمُشْتَرَكِ الأَلْفَاظِ حُكْمَ عُمُومِهَا

شرح: وَالْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ الَّذِي هُوَ (**عِنْدَ**) (**أَلُوذُ**). وَقَدِ اسْتَثْنَى النَّاظِمُ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الْمَوْصُولُ تَمَامَ مَعْمُولِ صِلَتِهِ، لأَنَّ (**أَلُوذُ**) مِنْ صِلَةِ (مَنْ)، وَ(**عِنْدَ**) مِنْ عَمَلِ (**أَلُوذُ**) [309]// لَكِنْ جَاءَ الاتِّسَاعُ فِي ذٰلِكَ وَالْمُسَامَحَةُ فِي الْفَصْلِ بِالظَّرْفِ وَالْمَجْرُورِ وَلَا سِيَّمَا فِي الشِّعْرِ.

وَ(**حُلُولِ**) وَ(**حُدُوثِ**) مُتَقَارِبَانِ. وَ(**الْحَادِثُ**): الطَّارِئُ.

وَ(**الْعَمَمِ**) بِفَتْحِ الْمِيمِ الْمُتَقَدِّمَةِ: هُوَ الطَّوِيلُ. وَبَعْضُ الطَّلَبَةِ يَضْبِطُونَهُ بِكَسْرِ الْمِيمِ يَظُنُّونَ أَنَّهُ فِعْلُ الْمَقْصُودُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ كَ (حَذِرَ)، وَلَيْسَ كَذٰلِكَ. وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ فِي «**فِقْهُ اللُّغَةِ وَسِرُّ الْعَرَبِيَّةِ**».

وَ(**مَا**) مِنْ قَوْلِهِ: (**مَا لِي**) نَافِيَةٌ. وَ(**مَنْ**) مُبْتَدَأٌ. وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى مَا وَقَعَ مِنَ الْفَصْلِ. وَالَّذِي يُقَوِّي عِنْدِي أَنَّ (**مَنْ**) هُنَا مَوْصُوفَةٌ كَأَنَّهُ يَقُولُ: مَا لِي أَحَدٌ أَلُوذُ

بِهِ سِوَاكَ، وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ كَوْنِهَا مَوْصُولَةً، فَيَكُونُ الْفَصْلُ إِنَّمَا وَقَعَ بَيْنَ الصِّفَةِ وَمَعْمُولِهَا لَا بَيْنَ الصِّلَةِ وَمَعْمُولِهَا.

وَ(**الْعَمَم**): نَعْتٌ لِلْحَادِثِ. وَأَنْشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ[1] **فِي «شَرْحُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ»**: (رجز)

يَا لَيْتَ شِعْرِي فِيكَ وَالأَمْرُ عَمَمْ ... مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أُوَيْسٌ فِي الْغَنَمْ[2]

---

(1) هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله الحربي، المروزي الأصل، البغدادي المسكن والوفاة، (ت285هـ)، صنف دلائل النبوة، وغريب الحديث، والمغازي. ترجمته في: (طبقات الحنابلة: 861، ط الفقهاء: 171، طبقات الحفاظ: 295، طبقات المفسرين: 1/ 5، سير النبلاء: 13/ 356).

(2) عجزه بدون نسبة في: العين: 7/ 330 «بالغنم». وهو منسوب لعمرو ذي الكلب في: اللسان/مرخ و [illegible]ك وعمم «عنكَ». ينظر: اللسان. التاج. الصحاح. الجمهرة. المخصص المقاييس: أويس.

163 ـ قَالَ:

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي ... إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ[1]

شرح: لَمْ يَزَلِ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ يَحُومُ عَلَى مَجَاذِبِ التَّحَنُّنِ بِإِظْهَارِ الضَّرَاعَةِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: يَا أَكْرَمَ مَنْ يُلَاذُ بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، إِنِّي حَطَطْتُ رَحْلِي بِبَابِكَ، وَقَصَدْتُ فِي دَفْعِ شِدَّتِي وَقَضَاءِ حَاجَتِي عَظِيمَ جَنَابِكَ، وَأَيْقَنْتُ مَعَ قُصُورِ عَمَلِي بِبُلُوغِي أَمَلِي، لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هَدَانِي إِلَى التَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِكَ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَسْؤُولَ فِي قَضَاءِ الْحَاجَةِ لَا يُخَيِّبُ السَّائِلَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُعْطِيَ أَحَداً شَيْئاً هَدَاهُ إِلَى سَبَبِ قَضَاءِ مَا قَصَدَ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَقْصُودَ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى رَدِّ السَّائِلِ إِلَّا عَدَمُ الْوُجُودِ، أَوْ قِلَّةُ الْجَاهِ عِنْدَ الْمُتَوَسَّلِ بِهِ الْمَفْقُودِ. وَأَنْتَ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ أَكْبَرُ ذَوِي الْعِنَايَاتِ عِنَايَةً فَإِنَّ الَّذِي لَكَ مِنَ الْعِنَايَاتِ مَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرَضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ، إِذْ وَهِيَ بَحْرٌ لَا تُنْزِفُهَا الدِّلَاءُ، فَكَيْفَ يَضِيقُ جَاهُكَ بِي؟ وَلَمَّا ذَكَرَ عِظَمَ جَاهِ الْمَمْدُوحِ وَعِنَايَتَهُ ذَكَرَ عِظَمَ الشِّدَّةِ الَّتِي خَوَّفَتْهُ، وَطَلَبَ التَّحَصُّنَ بِالْمَمْدُوحِ مِنْهَا، وَهُوَ الْمَوْقِفُ الْعَظِيمُ وَالْخَطْبُ الْجَسِيمُ.

وَلَمْ يَرَ مَا يُعَبِّرُ بِهِ عَنْ عِظَمِهِ إِلَّا بِذِكْرِ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ، حَيْثُ لَا يَتَّصِفُ أَحَدٌ بِمُلْكٍ لَا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَلَا عَلَى الْمَجَازِ، إِذْ كَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْهُمُ الْمُلُوكُ وَالأُمَرَاءُ؛ فَإِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ حِينَ يَظْهَرُ سِرُّ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]، وَذَكَرَ صِفَتَهُ الَّتِي يَظْهَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُعْظَمُ أَثَرِهَا، إِذْ هُوَ مَحَلُّ وُقُوعِ الِانْتِقَامِ مِنَ الْكَفَرَةِ، وَذَكَرَهَا بَعْدَ ذِكْرِ الصِّفَةِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا، وَهُوَ الْكَرَمُ الَّذِي شَمِلَ فِي دَارِ الدُّنْيَا الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، فَقَالَ: (**إِذَا**

---

(1) الديوان: 200.

الْكَرِيمُ) الْمَعْهُودُ كَرَمُهُ (**تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمٍ**)، أَيْ: بِمَا ظَهَرَ مِنْ آثَارِ صِفَتِهِ.

وَ(**الاسْمُ**): هُوَ الْمُسَمَّى عِنْدَنَا مَعَاشِرَ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ مَا أَيْ: إِذَا الْكَرِيمُ اتَّصَفَ بِصِفَةِ (**مُنْتَقِمٍ**) بِإِنْفَاذِ انْتِقَامِهِ مِمَّنْ شَاءَ انْتِقَامَهُ. وَأَمَّا مَا فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى (**تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمٍ**) بِالْجِيمِ، أَيْ: ظَهَرَ لِلْخَلْقِ مِنْهُ أَثَرُ الانْتِقَامِ.

وَهَلْ يَلْزَمُ [310]// مِنْ كَلَامِ النَّاظِمِ هَذَا أَنْ يُعْزَى لَهُ؟

إِنَّهُ جَعَلَهُ اسْماً مِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ، لأَنَّهُ قَابِلٌ لِلتَّأْوِيلِ. وَأَمَّا إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، وَجَاءَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى السَّمَاعِ. أَمَّا مَا جَاءَ مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: 95]. وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ كَلَامِ الصَّحَابَةِ فِي إِسْنَادِهِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَقَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ حِينَ قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: «مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟: مَنْ يَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ». وَجَاءَ مِنْهُ الْمَصْدَرُ أَيْضاً مُضَافاً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: 95].

وَلَيْسَ فِي مَا يَظْهَرُ أَنَّهُ كَمَا سَمَّى فِيهِ الْعُقُوبَةَ بِاسْمِ الذَّنْبِ، أَوْ مَا جَاءَ فِي مَعْرِضِ الْمُقَابَلَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 54]. ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142] وَمَا فِي مَعْنَاهُ، لأَنَّهُ لَا يُنْطَقُ بِهِ فِي غَيْرِ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْكَلِمِ، وَقَدْ نَطَقَ عَبْدُ اللهِ بِهِ فَدَلَّ عَلَى جَوَازِ إِطْلَاقِهِ، وَمَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ الْوُقُوفُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا وَرَدَ.

وَأَمَّا أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ وَصْفٌ بِغَيْرِ مَا وَرَدَ بِهِ سَمَاعٌ [فَفِيهِ](1) خِلَافٌ وَتَفْصِيلٌ بَيْنَ مَا يُوهِمُ نَقْصاً أَوِ اشْتِرَاكاً أَوِ اشْتِقَاقاً لَا يَلِيقُ إِسْنَادُهُ لَهُ سُبْحَانَهُ، فَهَذَا لَا يَجُوزُ بِوَجْهٍ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مَنَعَهُ الْمُحَقِّقُونَ، وَأَجَازَ بَعْضُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ أَيْضاً

(1) في الأصل: «ففيها».

كَابْنِ الْعَرَبِيِّ وَابْنِ الْكَمَّادِ(1) إِلَى أَنْ وَصَّلُوا ذَلِكَ إِلَى آلَافٍ مِنَ الأَسْمَاءِ.

وَيُتَوَهَّمُ فِي كَلَامِ النَّاظِمِ تَعَقُّبٌ مِنَ الْمَفْهُومِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: (**وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى**)، وَمَعْلُومٌ أَنَّ جَاهَهُ ﷺ لَا يَضِيقُ إِذْ ذَاكَ وَلَا قَبْلَهُ.

نَقُولُ: هُوَ مِنْ بَابِ الْمَفْهُومِ الْمُسْتَدَلِّ بِهِ عَلَى إِلْحَاقِ الأَدْوَنِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الصَّرِيحُ، وَيُسَمَّى مَفْهُومَ الْمُوَافَقَةِ؛ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا كَانَ جَاهُكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الأَهْوَلِ وَالْمَقَامِ الأَشْمَلِ لَا يَضِيقُ أَحْرَى أَنْ لَا يَكُونَ مَوْصُوفاً بِضِيقٍ فِي مَا هُوَ أَدْوَنُ مِنْهُ مِنَ الأَمْكِنَةِ.

وَ(**رَسُولَ**): نُصِبَ بِأَنَّهُ مُنَادَى مُضَافٌ. وَ(**جَاهُكَ**): فَاعِلُهُ.

وَ(**إِذَا**): ظَرْفِيَّةٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الشَّرْطِيَّةِ، بِمَعْنَى (حِينَ).

وَالْبَاءُ فِي (**بِي**) سَبَبِيَّةٌ. وَفِي (**بِمُنْتَقِمٍ**) لِلتَّعَدِّي.

وَفِي الْبَيْتِ: الطِّبَاقُ، لِمَا بَيْنَ ذِكْرِ (**الْكَرَمِ**) وَ(**الانْتِقَامِ**) مِنَ التَّبَايُنِ. وَكَذَلِكَ ذِكْرُ (**الضِّيقِ**) وَمَا يُفْهَمُ مِنْ سَعَةِ الْجَاهِ.



(1) هو محمد بن أحمد بن داود المعروف بابن الكماد، أبو عبد الله اللخمي، من أهل بلش مالقة، مختصر كتاب المقنع في القراءات، (ت712هـ). ترجمته في: وفيات الونشريسي: 225، كفاية المحتاج: 2/ 187، موسوعة أعلام المغرب: 6/ 180).

164 ـ قَالَ:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا   وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ[1]

شرح: بَيْنَ هٰذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ مُنَاسَبَةٌ قَوِيَّةٌ، لأَنَّهُ تَعْلِيلٌ لاسْتِحَالَةِ ضِيقِ جَاهِهِ بِالنَّاظِمِ وَغَيْرِهِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَكَيْفَ يَضِيقُ جَاهُكَ بِي وَالدُّنْيَا مِمَّا جَادَ بِهَا رَبُّكَ عَلَيْكَ؟ فَإِنَّ الإِضَافَةَ فِي قَوْلِهِ: (**مِنْ جُودِكَ**)، أَيْ: مِمَّا جِيدَ بِهِ عَلَيْكَ. أَمَّا الدُّنْيَا فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَادَ عَلَيْهِ بِهَا، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ شَرَحَ لَهُ فِيهَا صَدْرَهُ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ، وَنَصَرَهُ بِالرُّعْبِ، وَأَحَلَّ لَهُ الْغَنَائِمَ، وَبَعَثَهُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، وَأَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ، وَخَصَّهُ بِالإِسْرَاءِ كَمَا يَخُصُّهُ فِي الآخِرَةِ بِاللِّوَاءِ الْمَحْمُودِ وَالشَّفَاعَةِ الْعَامَّةِ وَاللِّوَاءِ الْمَعْقُودِ وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وَجَعَلَ أُمَّتَهُ يَرِدْنَ الْمَوْقِفَ ذَوِي أَنْوَارٍ تَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ، وَيَكُونُونَ شُهُوداً فِي الْمَوْقِفِ عَلَى الأُمَمِ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (**مِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ**) فَيَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ ذَاتَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَكَيْفِيَّةَ الْكَتْبِ لَمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الآدَمِيِّينَ وَخُصَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذٰلِكَ. وَأَمَّا ذَاتُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ فَقَدْ عَلِمَهُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ. وَأَمَّا الْكَتْبُ وَكَيْفِيَّتُهُ فَقَدْ خَرَجَ ﷺ يَوْماً وَفِي يَدِهِ الْيُمْنَى كِتَابٌ وَفِي الْيُسْرَى كَذٰلِكَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ: «فِي هٰذَا أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَفِي هٰذَا أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ»[2]، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْكَتْبَ الْمَعْهُودَ لَوْ كُتِبَ أَسْمَاءُ أَهْلِ بَلَدٍ فِي طِرْسٍ لَنَفِدَ الطِّرْسُ قَبْلَ أَسْمَاءِ أَهْلِ الْبَلَدِ، فَكَيْفَ [311]// بِأَسْمَاءِ أَهْلِ

(1) الديوان: 200.
(2) سبق تخريجه: ص630.

الدَّارَيْنِ؟ فَهُوَ مِمَّا خُصَّ بِهِ ﷺ. انْظُرْ «**الْعَوَاصِمَ**»[1] لابْنِ الْعَرَبِيِّ.

وَيَحْتَمِلُ أَيْضاً وَجْهاً آخَرَ: وَهُوَ أَنَّ مَعْنَاهُ: وَمِنْ عُلُومِكَ الْعُلُومُ الَّتِي لَا يُحَصِّلُهَا الْعُلَمَاءُ إِلَّا بِالْكَتْبِ بِالأَقْلَامِ فِي الأَلْوَاحِ، وَيَدْرُسُونَهَا الدَّرْسَ الْبَلِيغَ، وَحِينَئِذٍ يُحَصِّلُونَ بَعْضَ مَا دَرَسُوهُ، وَيَضِلُّ عَنْهُمُ الْبَعْضُ، وَأَنْتَ تُخْبِرُ بِالْعُلُومِ الدَّقِيقَةِ الْغَائِبَةِ وَالْحَاضِرَةِ مِنْ غَيْرِ كَتْبٍ وَلَا دَرْسٍ وَلَا مُدَارَسَةِ آدَمِيٍّ، فَيَكُونُ اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ فِي الأَوَّلِ الْقَلَمَ الأَعْلَى وَاللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ، وَفِي الثَّانِي قَلَمَ الْكِتَابِ وَأَلْوَاحَ الدَّارِسِينَ.

وَاللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَالْقَلَمُ الأَعْلَى هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ قَبْلَ خَلْقِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ. وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ اللَّوْحَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، عَبَّرَ عَنْهُ فِي آيَةٍ بِاللَّوْحِ وَفِي آيَةٍ بِالدِّينِ الْمَنْشُورِ. وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي «**عَوَاصِمِهِ**»: «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَا لَفْظَيْنِ لِمَعْنَيَيْنِ أَوْ لِمَعْنًى وَاحِدٍ، قَالَ: وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمَا لِمَعْنًى وَاحِدٍ». وَقَالَ أَبُو يَحْيَى: «إِنَّ طَائِفَةً قَالَتْ: هٰذَا عِبَارَةٌ عَنِ انْتِقَاشِ الْمَعْلُومَاتِ فِي قُلُوبِ الْعَالِمِينَ». قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَحْيَى: «وَإِنْ كَانَ هٰذَا جَائِزاً فِي ذَاتِهِ فَلَا نَقِفُ بِالْقَوْلِ فِيهِ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بِجِسْمٍ فِي جِسْمٍ». وَلَفْظُ الْقَوْلِ فِيهِ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ. قَالَ أَبُو يَحْيَى: «وَزَادَ قَوْمٌ أَنَّ هُنَاكَ دَوَاةً، وَجَعَلَهَا مَذْكُورَةً فِي قَوْلِهِ: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: 1]»[2].

وَقَوْلُ النَّاظِمِ: (**فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا**) لَمَّا تَحَقَّقَ مَا بَيْنَ ضَرَّتَيِ الزَّوْجِ، وَأَنَّ مَنْ أَرَادَ إِصْلَاحَ إِحْدَاهُمَا أَضَرَّ بِالأُخْرَى، عَبَّرَ عَنِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِالضَّرَّتَيْنِ.

وَ(**الْبَاءُ**): لِلتَّعْلِيلِ فِي أَوَّلِ الصَّدْرِ. وَأَرَادَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَجْعَلَ الْجُودَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِلْفَاعِلِ وَإِنْ كَانَ جُودُهُ ﷺ فَائِقاً وَإِنْ كَانَ يُعْطِي الْعَطَايَا الَّتِي لَا

(1) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم: 233 ـ 234.
(2) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم: 233 ـ 234 باختلاف تسير.

يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى بَذْلِهَا، لَكِنْ مَا قَرَّرْنَاهُ أَوْلَى، وَأَنَّ الْمُرَادَ: مَا جَادَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ، وَمَعَ أَنَّ الأَمْرَ يَتَّجِهُ بِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ أَنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ فِعْلِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ وُجُودُهَا لإِظْهَارِ وُجُودِهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: لَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُ سَمَاءً وَلَا أَرْضاً وَلَا جَنَّةً وَلَا نَاراً»، إِلَى آخِرِ مَا سَرَدْنَاهُ فِي أَوَّلِ شَرْحِ هٰذِهِ الْقَصِيدَةِ[1].

وَ(مِنْ) الْمُكَرَّرَةِ الذِّكْرِ فِي الْبَيْتِ لِلتَّبْعِيضِ.

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ لِلْجَمْعِ بَيْنَ: الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ.

وَفِيهِ: الْجَمْعُ.

وَفِيهِ: الإِرْصَادُ، إِذْ لَا يُذْكَرُ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّوْحِ إِلَّا الْقَلَمُ.

وَفِيهِ: الْمُقَابَلَةُ.

وَفِيهِ: الطِّبَاقُ.



(1) ينظر: ص207.

165 ـ قَالَ:

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ   إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ[1]

شرح: لَمَّا فَرَغَ ﵀ مِنْ ذِكْرِ وَسَائِلِهِ، وَمِنْ تَذَلُّلِهِ وَتَضَرُّعِهِ وَإِظْهَارِ افْتِقَارِهِ إِلَى التَّحَصُّنِ بِذِي [الْجَنَابِ][2] الْعَلِيِّ رَجَعَ إِلَى تَسْلِيَةِ نَفْسِهِ وَتَسْكِينِهَا، وَأَنْزَلَهَا مَنْزِلَةَ الْمُخَاطَبِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهَا: أَمَا سَمِعْتِ مَا بَرْهَنْتُ لَكِ مِمَّا يُذْهِبُ عَنْكِ الرَّوْعَ، وَيُزِيلُ عَنْكِ الْخَوْفَ وَالْجَزَعَ؟ لأَنَّ مَنْ وَقَفَ بِبَابِ الْغَنِيِّ الأَمِينِ، وَاسْتَجَارَ بِالْحِصْنِ الْمَانِعِ الْحَصِينِ، كَيْفَ يَقْنَطُ؟ فَلَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ، أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَأَتَى بِقَوْمٍ آخَرِينَ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ»[3]، وَأَنْتِ وَلَوْ عَظُمَتْ زَلَّتُكِ فَقَدْ وَقَفْنَا بِبَابِ الاسْتِغْفَارِ، وَرَجَعْنَا تَائِبِينَ لِمَنْ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَقَالَ ﷺ: «لَا كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ»[4].

[312]// فَالْكَبَائِرُ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَوْحِ اللهِ مَذْمُومٌ، إِذْ ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87]. يُقَالُ: **(قَنَطَ)** يَقْنِطُ بِفَتْحِ النُّونِ فِي الْمَاضِي وَكَسْرِهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالْمَصْدَرُ: قُنُوطٌ، نَحْوُ قُعُودٌ. وَأَمَّا **(قَنِطَ)**: بِكَسْرِ النُّونِ فِي الْمَاضِي، يَقْنَطُ بِفَتْحِهَا فِي الْمُضَارِعِ قَنَطاً، فَلُغَةٌ قَلِيلَةٌ. وَالْقُنُوطُ: هُوَ الْيَأْسُ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ.

(1) الديوان: 200.

(2) في الأصل: «الجنات».

(3) مسلم: 4/ 2106 بلفظ: ابن ماجه: 2/ 1419 بلفظ: مجمع الزوائد: 10/ 215، شرح السنة: 5/ 77، كشف الخفاء: 2/ 213.

(4) كشف الخفاء: 2/ 494، الفردوس: 5/ 199، فيض القدير: 9920، الشهاب للقضاعي: 853.

وَلَمَّا كَانَ الْقُنُوطُ لَا يُوجِبُهُ إِلَّا الأَمْرُ الْعَظِيمُ ذَكَرَ الزَّلَلَ الْعَظِيمَةَ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ رَأَى أَنَّ النَّفْسَ كَادَتْ تَنْفُرُ، فَتَحَ لَهَا بَابَ أَسْبَابِ إِخْمَادِ نَارِ الْقَنَطِ، وَأَنَّ دَوَاءَهَا وَصَابُونَهَا الَّذِي يُذْهِبُهَا وَيُزِيلُ أَثَرَهَا الاسْتِغْفَارُ.

وَجَاءَ النَّاظِمُ بِالْغُفْرَانِ وَهُوَ مَصْدَرُ غَفَرَ لَا بِالاسْتِغْفَارِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ اسْتَغْفَرَ، وَمَا ذٰلِكَ إِلَّا أَنَّ الاسْتِغْفَارَ طَلَبُ مَا هُوَ فِي مَادَّةِ الاسْتِقْبَالِ، وَالْغُفْرَانُ هُوَ وُقُوعُ الْمَحْوِ وَسَتْرِ السَّيِّئَاتِ، وَلِذٰلِكَ جَلَبَهُ النَّاظِمُ دُونَ الآخَرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَجِيءُ النَّاظِمِ بِالْغُفْرَانِ فِيهِ بَحْثٌ: هُوَ أَنْ يُقَالَ: سَلَّمْنَا أَنَّ الْغُفْرَانَ مَحْوٌ وَتَمَنٍّ فِي حُصُولِهِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ لَفْظَ الْحَدِيثِ إِنَّمَا فِيهِ الاسْتِغْفَارُ.

وَالْجَوَابُ: إِنَّ النَّاظِمَ لَمَّا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ الإِقْلَاعَ وَالتَّوْبَةَ النَّصُوحَ قَطَعَ بِحُصُولِ الْمَغْفِرَةِ وَإِنْ كَانَ فِي تَوْبَةِ الْمُؤْمِنِ خِلَافٌ، هَلْ هِيَ عَلَى غَلَبَةِ الظَّنِّ أَوِ الْقَطْعِ؟ لٰكِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ غُفِرَ لَهُ وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[1]. وَلَمَّا حَصَلَ لَهُ هٰذَا الظَّنُّ الْقَوِيُّ مَعَ مَا أَعَدَّ مِنَ الإِقْلَاعِ، وَمَا تَحَصَّنَ بِهِ مِنَ التَّوَسُّلِ، وَمَا لَهُ مِنَ الذِّمَّةِ وَحِفْظِ الْعَهْدِ، قَوِيَ عِنْدَهُ الْقَبُولُ وَالْغُفْرَانُ. وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الْغُفْرَانِ إِذَا حَصَلَ هَلْ تُمْتَحَى بِهِ الْخَطِيئَةُ أَوْ تُسْتَرُ مَعَ بَقَائِهَا؟ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

وَ(**اللَّمَمِ**): صَغَائِرُ الذُّنُوبِ هُنَا. وَأَمَّا الَّتِي فِي الْحَدِيثِ وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ»[2] فَالْمُرَادُ بِهِ: رِيَاحُ الْجِنِّ وَصِغَارُ الشَّيَاطِينِ. وَقَدْ جَاءَ (**اللَّمَمُ**) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: حُبُّ

(1) البخاري: 25/ 118، مسلم: 4/ 2062، الترمذي: 4/ 23، ابن ماجه: 3812، ابن حبان: 2/ 15 ـ 16، الجامع الصغير: 2/ 243.

(2) الأحاديث المختارة: 1/ 252، معجم الزوائد: 5/ 24، مصنف عبد الرزاق: 5/ 3، الفردوس: 2/ 68، شرح الزرقاني: 1/ 126، تنوير الحوالك: 1/ 49، كشف الخفاء: 2/ 448.

الْجِمَاعِ، قَالَهُ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ فِي «**شَرْحِ**»: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾[1] [المجادلة: 1].

وَيَحْتَمِلُ كَلَامُهُ مَعْنًى لَطِيفاً، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الْكَبَائِرَ بِالْغُفْرَانِ كَالصَّغَائِرِ فَكَيْفَ تَخَافِينَ مِنَ الزَّلَلِ مَعَ أَنَّكِ لَمْ تَرْتَكِبِي كَبِيرَةً؟ وَيَكُونُ مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِالأَعْلَى عَلَى الأَدْنَى. وَالْكَبَائِرُ ذَكَرَ النَّاسُ حَصْرَهَا، وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْخِلَافِ، وَهُوَ أَمْرٌ مَعْرُوفٌ.

وَقَوْلُهُ: (**إِنَّ الْكَبَائِرَ**) تَعْلِيلٌ لِتَمَامِ التَّسْلِيَةِ.

وَفِي الْبَيْتِ: الطِّبَاقُ، لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْكَبِيرَةِ وَاللَّمَمِ مِنَ الطِّبَاقِ.

وَفِيهِ: التَّشْبِيهُ بِالآلَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ كَثِيرٌ.



(1) قال الرازي في التفسير الكبير: 9/ 249. «معنى اللمم: الإلمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان إليهن».

166 ـ قَالَ:

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا   تَأتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ[1]

شرح: أَصْلَحَ فِي هَٰذَا الْبَيْتِ مَا وَقَعَ لَهُ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ، إِذْ كَانَ ظَهَرَ فِيهِ الْجُنُوحُ إِلَى الأَمْنِ فَلَمَّا قَالَ: (**لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا**) رَجَعَتِ النَّفْسُ إِلَى دَرَجَةِ الإِشْفَاقِ: وَهِيَ دَرَجَةٌ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، لأَنَّ الأَخْذَ بِالرَّجَاءِ الصِّرْفِ يُوقِعُ فِي الأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْخَوْفُ الْمُفْرِطُ يُوقِعُ فِي الإِيَاسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، بَلْ يَكُونُ الْمُكَلَّفُ بَيْنَ زَمَانَي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَهِيَ أَعْدَلُ الدَّرَجَاتِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَغْلِبُ فِي حَالِ الصِّحَّةِ الْخَوْفُ، وَفِي حَالِ الْمَرَضِ الرَّجَاءُ، وَهُوَ قَوْلٌ مُسْتَحْسَنٌ.

وَ(**الرَّحْمَةُ**) هُنَا: عِبَارَةٌ عَنِ الإِنْعَامِ عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، فَهِيَ هُنَا صِفَةُ فِعْلٍ، إِذْ صِفَةُ الذَّاتِ لَا تُقْسَمُ.

[313]// وَقَوْلُهُ: (**عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ**): أَيْ: عَلَى قَدْرِهِ. وَ(**الْعِصْيَانُ**): مَصْدَرُ عَصَى.

وَ(**الْقِسَم**) بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ السِّينِ: جَمْعُ قِسْمَةٍ. وَلَا شَكَّ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَاسِعَةٌ. وَمَا الرَّحْمَةُ الَّتِي أَرَادَ؟ «فَإِنَّ للهِ سُبْحَانَهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ، وَضَعَ مِنْهَا وَاحِدَةً لِعِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا يَتَرَاحَمُونَ بِهَا وَيَتَوَاصَلُونَ وَيَتَعَاطَفُونَ، وَأَعْطَى مِنْهَا كُلَّ جِنْسٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ جُزْءاً، فَالْحَيَوَانَاتُ [غَيْرُ الْعَاقِلَةِ][2] قَذَفَ فِي نُفُوسِهَا مِنَ الرَّحْمَةِ جُزْءاً، فَتَجِدُ الْبَهِيمَةَ تَنْعَطِفُ لِوَلَدِهَا، وَتُفَرِّجُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا لِيَتَوَصَّلَ وَلَدُهَا إِلَى ثَدْيِهَا وَتَلْعَقُ وَلَدَهَا مِنَ الْحَنَانَةِ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِ، وَإِذَا حُبِسَ تَبِعَتْهُ وَتَصِيحُ عَلَيْهِ

---

(1) الديوان: 200.

(2) في الأصل: «الغير عاقلة».

وَيَصِيحُ عَلَيْهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ انْضَافَتْ هَٰذِهِ الرَّحْمَةُ إِلَى تِسْعٍ وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، فَيَرْحَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ بِمِائَةِ رَحْمَةٍ»[1].

وَلَمَّا شَرَدَ عَنْ بَعْضِ الأَصْحَابِ مَعْنَى الْبَيْتِ رَأَى أَنَّ ظَاهِرَهُ مُسْتَحِيلٌ، وَحَمَلَهُ عَلَى التَّمَنِّي قَالَ: «لأَنَّ التَّمَنِّيَ يَصْدُقُ عَلَى الْجَائِزِ وَالْمُسْتَحِيلِ».

وَلَيْسَ كَذَٰلِكَ، بَلِ النَّاظِمُ لَيْسَ بِوَاهِمٍ فِي مَا قَالَ، وَإِنَّمَا مُرَادُهُ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الْعَامِلِينَ يُجْزَوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْجَزَاءِ، فَيَنَالُهُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ مَا يُثِيبُهُمْ بِهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَإِذَا حَصَلَ لِلْعَامِلِينَ الْجَزَاءُ، وَبَقِيَ الْمُتَرَقِّبُونَ رَحْمَةَ التَّفَضُّلِ ـ وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ فَضْلاً مِنَ اللهِ ـ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ لَهُمْ عَلَى جِهَةِ الإِحْسَانِ رَحْمَةً تُقْسَمُ عَلَيْهِمْ، لِمَحْوِ آثَارِ ذُنُوبِهِمْ. فَقَالَ النَّاظِمُ: لَعَلَّ هَٰذَا الإِحْسَانَ الَّذِي يُخْرِجُ لِلْعَاصِينَ يَكُونُ بِمَثَابَةِ مَلِكٍ فَرَّقَ عَلَى أَهْلِ الأَوْسَاخِ صَابُوناً يُطَهِّرُونَ بِهِ ثِيَابَهُمْ، فَمَنْ كَانَ وَسَخُ ثَوْبِهِ يَسِيراً كَفَاهُ لِنَظَافَتِهِ الْيَسِيرُ مِنَ الصَّابُونِ، وَمَنْ كَانَ فِي ثَوْبِهِ أَوْسَاخٌ كَثِيرَةٌ كَثَّرَ لَهُ مِنْهُ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ هَٰذِهِ الْقِسْمَةَ تَكُونُ مَعَ أَهْلِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِنَّ الْمُحْسِنِينَ لَا تُدْرَكُ جَوَائِزُهُمْ وَلَا تُحْصَى عَطَايَاهُمْ.

وَبَعْدُ الْقِسْمَةِ الَّتِي تَرَجَّى الْبُوصِيرِيُّ لإِزَالَةِ الأَدْرَانِ بِالْمَنَازِلِ وَالرُّتَبِ عَلَى قَدْرِ بُعْدِ الْمُذْنِبِينَ مِنْ عِظَمِ الْمَعَاصِي؛ كَمَا لَوْ فَرَضْنَا أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي ضَرَبْنَا بِهِ الْمَثَلَ فِي قِسْمَةِ الصَّابُونِ فَرَّقَ عَلَى النِّسْبَةِ الْمَذْكُورَةِ حَتَّى غَسَلَ الْجَمِيعُ أَثْوَابَهُمْ، نَزَّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، فَمَنْ كَانَ دَرَنُهُ يَسِيراً كَانَتْ دَرَجَتُهُ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ مَنْ كَانَ ثَوْبُهُ أَكْثَرَ وَسَخاً. فَالرَّحْمَةُ الَّتِي تُقْسَمُ عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ هِيَ الَّتِي يَخْلُصُ بِهَا الْعَاصُونَ مِنْ عِصْيَانِهِمْ. وَقَدْ جَاءَ أَنَّ الْعُصَاةَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

---

(1) تنظر الأحاديث خلق الرحمة في: البخاري: 5/ 2375، مسلم: 4/ 2108، ابن حبان: 14/ 14، الحاكم: 1/ 123، الترمذي: 5/ 549، الدارمي: 2/ 413، ابن ماجه: 2/ 1435، مسند الروياني: 2/ 140، أمالي المحاملي: 1/ 114، أسباب ورود الحديث: 1/ 188 ـ 189.

حَتَّى يَغْتَسِلُوا مِنْ عَيْنٍ فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُونَ فِي عَيْنٍ أُخْرَى فَتَخْلُصُ صُدُورُهُمْ مِنْ كُلِّ غَائِلَةٍ مِنَ الْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ عَوَائِقِ الْقُلُوبِ(1). وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمُحْسِنِينَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ دَرَنٌ، فَلَا يَفْتَقِرُونَ إِلَى مَا يُغْسَلُ بِهِ الدَّرَنُ، وَإِذَا دَخَلَ الْعُصَاةُ الْجَنَّةَ أَعْطَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ إِحْسَانِهِ مَا شَاءَ، فَالْقِسْمَةُ تَكُونُ عَلَى هٰذِهِ النِّسْبَةِ الَّتِي قَرَّرْتُ لَكَ.

وَقَدْ ذَكَرَ النَّقَّاشُ غَسْلَ الْمُذْنِبِينَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ، فَلَا تَعَقُّبَ عَلَى النَّاظِمِ وَاللهُ أَعْلَمُ، [314]// وَإِلَّا لَوْ كَانَتِ الْقِسْمَةُ عَلَى مَا تَوَهَّمَهُ الْمُورِدُ لَزِمَ أَنْ يَحْصُلَ لِلْعُصَاةِ أَكْثَرُ مِمَّا حَصَلَ لِلْمُطِيعِينَ، وَهُوَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ، وَلَا تَقْتَضِيهِ النُّصُوصُ وَلَا الْعُقُولُ.

وَفِي (**لَعَلَّ**) سَبْعُ لُغَاتٍ، ذَكَرَهَا ابْنُ عَبْدِ النُّورِ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِـ«**رَصْفُ الْمَبَانِي فِي شَرْحِ حُرُوفِ الْمَعَانِي**»(2).

وَالْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ الَّذِي هُوَ (**حِينَ**) (**تَأْتِي**)، وَهُوَ الْعَامِلُ فِي الْمَجْرُورِ بِـ(**عَلَى**) وَالْمَجْرُورِ بِـ(**فِي**).

وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى الْبَيْتِ تَحَامِيًا مِنْ هٰذَا الْإِشْكَالِ الْمُتَقَدِّمِ: «لَعَلَّ أَنْ يَكُونَ النَّاظِمُ جَعَلَ (**لَعَلَّ**) بِمَعْنَى لَيْسَ»، وَذَكَرَ أَنَّهُ «مَجَازٌ مُسْتَقِيمٌ»؛ وَلَمْ تَظْهَرْ لِي اسْتِقَامَةٌ فِي ارْتِكَابِ هٰذَا الْمَجَازِ لِانْحِصَارِ مَعْنَيَيْ (**لَعَلَّ**) فِي التَّرَجِّي وَالْإِشْفَاقِ فِي الْمُتَوَقَّعَاتِ، وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (**لَيْسَ**) فَلَا، اللَّهُمَّ أَنَّهَا وَرَدَتْ خَافِضَةً كَحَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ، فَقَدْ جَاءَ مِنْ كَلَامِهِمْ مَا يَشْهَدُ لَهُ، وَأَمَّا النَّفْيُ بِهَا فَلَمْ يُسْمَعْ، وَلَقَدْ صَحِبَهَا التَّرَجِّي مَعَ خَفْضِهَا عَلَى لُغَةِ مَنْ خَفَضَ بِهَا.

---

(1) تنظر أحاديث اغتسال الخارجين من النار في: البخاري: 5/ 2400، مسلم: 1/ 170، الدارمي: 1/ 41، التخويف من النار: 1/ 187، الترغيب والترهيب: 4/ 223، الفردوس: 5/ 510.

(2) رصف المباني: 145.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُفَّاظِ: إِنَّهَا قَدْ تَأْتِي بِمَعْنَى الاسْتِفْهَامِ الْمُمْتَزِجِ بِالْإِنْكَارِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ فَعَلَ فِعْلًا لَا يَلِيقُ: لَعَلَّكَ فَعَلْتَ كَذَا، لَكِنْ مَنْ حَفِظَ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْفَظْ، لَعَلَّ قَائِلَ هٰذَا حَفِظَهُ، وَالنَّاسُ عَبِيدُ النَّقْلِ. ثُمَّ إِنَّ اللَّازِمَ مِنَ الْبَيْتِ عَلَى ظَاهِرِ مَا اسْتَشْكَلَهُ الْبَاحِثُ يَلْزَمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: 70]، فَيَلْزَمُ أَيْضًا مِنْهُ أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ سَيِّئَاتٌ يَسِيرَةٌ، ثُمَّ إِنَّهُ أَقْلَعَ، وَتَابَ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، تُبَدَّلُ سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ سَيِّئَاتٌ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ تَابَ، وَأَصْلَحَ، وَعَمِلَ صَالِحًا، وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ، تَفْضُلُ حَسَنَاتُهُ حَسَنَاتِ مَنْ كَانَتْ سَيِّئَاتُهُ قَلِيلَةً، فَلَا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِ أَنْ تَكُونَ الْحَسَنَاتُ نَسَبًا وَإِضَافَةً؛ وَذَٰلِكَ مَثَلًا: كَإِعْطَاءِ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ لِمَنْ أُطْلِقَ مِنَ السِّجْنِ أُعْطِيَاتٍ، فَيُعْطِي بَعْضَهُمْ قَرَاطِيسَ مِنَ الذَّهَبِ، وَبَعْضَهُمْ قَرَاطِيسَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ قَرَاطِيسُ الْفِضَّةِ تَفْضُلُهَا قَرَاطِيسُ الذَّهَبِ وَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ عَدَدًا مِنْ قَرَاطِيسِ الْفِضَّةِ، فَلَعَلَّ الْحَسَنَاتِ لَيْسَتْ دَرَجَاتُهَا مُتَسَاوِيَةً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِي الْبَيْتِ: ضَرْبٌ مِنَ التَّجْنِيسِ فِي (**يُقْسِمُهَا**) وَ(**الْقِسَمِ**).



167 ـ قَالَ:

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسِ لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ[1]

شرح: الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ جَنَاحَانِ يَطِيرُ بِهِمَا الْمُقَرَّبُونَ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ مَحْمُودٍ، وَمَطِيَّتَانِ بِهِمَا تُقْطَعُ مِنْ طُرُقِ الآخِرَةِ كُلُّ عَقَبَةٍ كَؤُودٍ؛ فَهُمَا مِنْ جُمْلَةِ مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ وَأَحْوَالِ الطَّالِبِينَ، وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: حَالٍ، وَغَيْرِ حَالٍ:

فَإِذَا كَانَ عَارِضاً قَرِيبَ الزَّوَالِ سُمِّيَ حَالاً بِتَخْفِيفِ اللَّامِ، وَإِلَّا كَانَ حَالًّا بِتَشْدِيدِهَا؛ وَذٰلِكَ أَنَّ صِفَاتِ الْقَلْبِ مِنْهَا مَا هُوَ سَرِيعُ الزَّوَالِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ ثَابِتُ الرُّسُوخِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا، وَلَا يَتِمُّ الرَّجَاءُ إِلَّا بِعِلْمٍ وَحَالٍ وَعَمَلٍ؛ فَالْعِلْمُ سَبَبٌ يُثْمِرُ الْحَالَ وَالْحَالُ يَقْتَضِي الْعَمَلَ، وَقَدْ حَدَّدْنَاهُ قَبْلُ بِأَنَّهُ تَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِمَطْمُوعٍ يَحْصُلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَعَ الأَخْذِ فِي زَمَنٍ مُحَصِّلٍ، لأَنَّهُ إِنَّمَا تَصْدُقُ عَلَى انْتِظَارِ مَحْبُوبٍ ظَهَرَتْ جَمِيعُ أَسْبَابِهِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ اخْتِيَارِهِ، وَهُوَ رَجَاءُ الصَّادِقِينَ.

[315]// فَإِذَا ثَبَتَ بَذْرُ الإِيمَانِ مَسْقِياً بِمَاءِ الطَّاعَاتِ، وَطَهُرَ الْقَلْبُ عَنْ شُبَهِ الْمُخَالَفَاتِ انْتَظَرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ تَثْبِيتَهُ عَلَيْهِ إِلَى الْخَاتِمَةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى الآخِرَةِ، كَانَ انْتِظَارُهُ رَجَاءً حَقِيقِيًّا مَحْمُوداً فِي نَفْسِهِ، بَاعِثاً لَهُ عَلَى الْمُوَاظَبَةِ وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَى الإِيمَانِ فِي أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ إِلَى الْمَوْتِ.

وَإِنِ انْقَطَعَ عَنْ بَذْرِ الإِيمَانِ سَقْيُهُ بِمَاءِ الطَّاعَةِ صَارَ الْقَلْبُ مَشْحُوناً بِرَذَائِلِ الأَخْلَاقِ وَانْهَمَكَ فِي طَلَبِ لَذَّاتِ الدُّنْيَا، ثُمَّ انْتَظَرَ الْمَغْفِرَةَ، وَظَنَّ أَنَّهُ رَاجٍ، هَيْهَاتَ، هٰذَا رَجَاءُ الْكَذَّابِينَ وَبَابُ الرَّجَاءِ بَابٌ يَتَّسِعُ فِيهِ الْمَقَالُ وَتَكْثُرُ فِيهِ الأَنْقَالُ.

(1) الديوان: 200.

قَوْلُهُ: **(وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسِ)**، الْعَكْسُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَنْطِقِ: تَبْدِيلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ طَرَفَيِ الْقَضِيَّةِ بِعَيْنِ الآخَرِ فِي الْمُسْتَوْفِي، وَبِنَقِيضِ الآخَرِ فِي عَكْسِ النَّقِيضِ. وَمِنْ هٰذَا الْقِسْمِ تَحَرَّزَ النَّاظِمُ، فَإِذَا سَلِمَ الرَّجَاءُ مِنَ الانْعِكَاسِ كَانَ مُسْتَقِيماً.

وَقَوْلُهُ: **(لَدَيْكَ)**، أَيْ: عِنْدَكَ، وَالْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ رُتْبَةٍ وَإِكْرَامٍ لَا عِنْدِيَّةُ مَكَانٍ.

وَقَوْلُهُ: **(وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ)** يُوهِمُ ابْتِدَاءَ التَّكْرِيرِ، وَكَأَنَّ الأَوَّلَ عَيْنُ الثَّانِي، وَلَيْسَ كَذٰلِكَ، بَلِ الْخَرْمُ: هُوَ الْقَطْعُ. يُقَالُ: خَرَمَ السَّيْلُ الْجَبَلَ، أَيْ: قَطَعَهُ؛ وَمِنْهُ خَرْمُ الزِّحَافِ، وَخَرْمُ الأُذُنَيْنِ. وَالْخَرْمُ هُنَا مَجَازٌ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ انْكِسَارِ شَيْءٍ مِنْ مَالِ الْمُحَاسَبِ بِفَتْحِ السِّينِ. وَمِنْهُ انْخِرَامُ مُحَاسَبَةِ عُمَّالِ الْمُلُوكِ فِي مَحَاسِبِهِمْ؛ فَسَأَلَ النَّاظِمُ رُجْحَانَ عَمَلِهِ وَثِقَلَ مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ حَتَّى لَا يَنْقُصَ عِنْدَ الْمُحَاسَبَةِ.

وَالْحِسَابُ مِمَّا يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: 27]. وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ مُتَفَاوِتُونَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، فَيُسْأَلُ الرُّسُلُ عَنِ التَّبْلِيغِ يَوْمَ يَسْأَلُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: 109]. وَيُسْأَلُ [الْمُؤْمِنُ][1] عَنِ التَّوْحِيدِ، وَعَنِ الأَعْمَالِ، وَعَنِ الْعُمُرِ فِي مَا أَفْنَاهُ، وَالشَّبَابِ فِي مَا أَبْلَاهُ، وَالأَمْوَالِ مِنْ أَيْنَ كَسَبَهَا وَفِي مَا أَنْفَقَهَا، وَعَنِ الْعِلْمِ مَا عَمِلَ بِهِ، وَعَمَّا دَقَّ وَجَلَّ. وَيُسْأَلُ الْكَافِرُ عَنِ الأُصُولِ وَهِيَ: الإِيمَانُ وَالتَّوْحِيدُ وَإِجَابَةُ الرُّسُلِ، فَلَا يُوجَدُ لَهُمْ شَيْءٌ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَهُوَ غَايَةُ انْخِرَامِ الْحِسَابِ.

(1) في الأصل: «المؤمنون»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.

وَهٰذِهِ آخِرُ طَبَقَةٍ مِنْ تَقَاسِيطِ الْقَصِيدَةِ، فَإِنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ بَدَأَ بِالنَّسِيبِ وَالتَّغَزُّلِ رَبَاطَةً لِفَرَسِ الْفِكْرِ، يُؤْنِسُهُ بِالْجَوَلَانِ فِي مَيْدَانِ الْمَعَانِي، ثُمَّ تَخَلَّصَ مِنْهُ أَتَمَّ تَخْلِيصٍ إِلَى ذِكْرِ مَحَاسِنِ الْمَمْدُوحِ، وَكَانَ فِيهَا مُتَفَنِّناً مُنْتَقِلاً مِنْ نَمَطٍ إِلَى نَمَطٍ حَسْبَمَا أَوْضَحْنَاهُ قَبْلُ، ثُمَّ نَشَأَ لَهُ فِي النَّفْسِ خَوَرٌ فَأَخَذَ يُسَكِّنُ النَّفْسَ وَيُقَوِّي مُعْتَقَدَهَا فِي سُهُولَةِ الطَّرِيقِ عَمَلاً عَلَى غَلَبَةِ ظَنِّهِ، إِذْ فِي الْحَدِيثِ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[1]. ثُمَّ أَخَذَ فِي إِظْهَارِ الإِقْلَاعِ وَالنَّدَمِ وَالأَخْذِ فِي اسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ، وَهِيَ التَّوْبَةُ الطَّبَقَةُ الأَخِيرَةُ، سِرُّ قَبُولِ دُعَاءِ الدَّاعِينَ، وَهِيَ الصَّلَاةُ عَلَى الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

[316]// وَفِي الْبَيْتِ: التَّقْسِيمُ، وَمُرَاعَاةُ النَّظِيرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ بَيَانِ حَقِيقَتِهِمَا مَا يُدْرَكَانِ بِهِ حَيْثُ وَقَعَا. وَالتَّقْسِيمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَهُ طَلَاوَةٌ، وَقَدِ ارْتَكَبَهُ الْمُوَلَّدُونَ حَتَّى صَارُوا يُكْثِرُونَ مِنْهُ؛ قَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَصْرِ[2]: (طويل)

أَيَا رَبَّةَ الْخَالِ الَّتِي مَلَكَتْ نُسْكِي ... عَلَى أَيِّ حَالٍ كُنْتِ لَا بُدَّ لِي مِنْكِ

فَإِمَّا بِذُلٍّ وَهْوَ أَلْيَقُ بِالْهَوَى ... وَإِمَّا بِعِزٍّ وَهْوَ أَلْيَقُ بِالْمُلْكِ

وَجَاءَ فِي الْفَصِيحِ كَثِيرٌ بِـ (إِمَّا) وَبِغَيْرِ (إِمَّا):

قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: 4].

وَبِغَيْرِ (إِمَّا): ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 74].

---

(1) سبق تخريجه: ص784.

(2) هو السلطان ابن الأحمر، ملك الأندلس، السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله، أبو الحجاج يوسف الثاني. ينظر: (الإحاطة: 4/ 274، نثير الجمان: 98، تاريخ الجزائر العام: 2/ 94). والبيتان في: روضة المحبين: 187، ديوان الصبابة: 70، تزيين الأسواق: (على كل حال). الإحاطة: 4/ 274، تاريخ الجزائر: 2/ 94 (أفاتك اللحظ)، نفحات الأزهار: 301، المسلك السهل: 120.

168 ـ قَالَ:

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ ... صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ[1]

شرح: (اللُّطْفُ) فِي اللُّغَةِ: الدِّقَّةُ. وَلِذٰلِكَ يُقَالُ: مَعْنَى لَطِيفٍ، أَيْ: دَقِيقٌ. وَاللُّطْفُ أَيْضاً: إِيصَالُ الْخَيْرِ إِلَى مَحَلٍّ لَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا مَنْ أَوْصَلَهُ، كَإِيصَالِ الأَغْذِيَةِ إِلَى أَعْضَاءِ الْمُتَغَذِّي.

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا الْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ هٰذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: أَمَّا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ فَالْمُنَاسَبَةُ وَاضِحَةٌ، لِأَنَّهَا مِنْ عَطْفِ الْجُمَلِ الإِنْشَائِيَّةِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَلِأَنَّهُ لَمَّا سَأَلَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ اسْتِقَامَةَ حِسَابِهِ، وَعَدَمَ انْعِكَاسِ رَجَائِهِ اسْتَشْعَرَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ عَلَى وَجَلٍ، لِعِلْمِهِ بِصِفَاتِ نَفْسِهِ، فَأَخَذَ يَطْلُبُ أَنْ تَكُونَ إِجَابَتُهُ بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الإِلْطَافِ، لَا بِالاسْتِحْقَاقِ، وَلَا بِغَلَبَةِ الظَّنِّ فِي الْمُجَازَاتِ عَلَى الأَعْمَالِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَمِنِ ادِّعَاءِ الاسْتِحْقَاقِ عَلَى الأَعْمَالِ، بَلْ يَكُونُ بِلُطْفٍ مِنَ اللهِ تَفَضُّلاً، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «وَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ»[2]، أَيْ: مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ أَرْجُو حُصُولَ الْمَغْفِرَةِ عَلَيْهِ بَلْ بِمَحْضِ التَّفَضُّلِ وَالإِحْسَانِ.

وَقَوْلُهُ: **(بِعَبْدِكَ)**، لِلْعُبُودِيَّةِ مَقَامٌ مَعْرُوفٌ، وَالتَّخَلُّقُ بِهَا مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ آثَارَ الْعُبُودِيَّةِ فَيَكُونَ مُهَيَّأً لِمَا طَلَبَ مِنْهُ مَوْلَاهُ، لَا يَرَاهُ حَيْثُ نَهَاهُ وَلَا يَفْقِدُهُ حَيْثُ أَمَرَهُ.

وَ**(الصَّبْرُ)** شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ، وَنِسْبَتُهُ مِنَ الإِيمَانِ نِسْبَةُ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَكَفَى فِي فَضْلِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

---

(1) الديوان: 200.

(2) الترمذي: 5/ 201.

وَ(الأَهْوَالُ) الَّتِي ذَكَرَ النَّاظِمُ أَهْوَالُ الدُّنْيَا وَأَهْوَالُ الآخِرَةِ، فَمَتَى فَكَّرَ فِي كُفْرِ مَنْ كَفَرَ وَإِلْحَادِ مَنْ أَلْحَدَ وَعِصْيَانِ مَنْ عَصَى بِغَيْرِ كُفْرٍ وَلَا إِلْحَادٍ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ الطَّوَارِئَ السُّوءَ، فَتَجِدُهُ يَنْهَزِمُ صَبْرُهُ لِعَدَمِ الاطِّلَاعِ عَلَى عَاقِبَتِهِ، وَكَذَا إِنْ تَذَكَّرَ أَهْوَالَ الآخِرَةِ مِنْ صِرَاطٍ وَمِيزَانٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَوَاقِفِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ.

وَ(الانْهِزَامُ): التَّوَلِّي قَبْلَ إِدْرَاكِ الْمَطْلُوبِ حِسّاً أَوْ مَعْنًى، فَالْحِسِّيُّ: كَانْقِلَابِ الْجُيُوشِ مُدْبِرَةً. وَالْمَعْنَوِيُّ: كَتَوَلِّ الْقُلُوبِ مُنْكَسِرَةً لِعَدَمِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَرْغُوبِ.

وَ(الدُّعَاءُ) هُنَا: النِّدَاءُ؛ وَإِضَافَتُهُ لِلأَهْوَالِ مَجَازٌ كَإِضَافَةِ الانْهِزَامِ إِلَى الصَّبْرِ، كِلَاهُمَا مِنَ الْمَجَازِ الإِسْنَادِيِّ، وَلَا يَنْبَغِي لِإِنْسَانٍ إِذَا عُوفِيَ مِنَ الْبَلَايَا أَنْ يَسْأَلَ الصَّبْرَ، وَقَدْ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَبْ لِي صَبْراً، فَقَالَ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتَ مِنَ اللهِ الْبَلَاءَ وَإِنَّمَا سَلْ مِنْهُ الْعَافِيَةَ». وَقَالَ ﷺ: «أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللهِ [317]// أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُ الْعَفْوُ وَالْعَافِيَةُ»(1).

وَالْجَمْعُ بَيْنَ الدَّارَيْنِ طِبَاقٌ.

وَبَيْنَ (الأَهْوَالِ) وَ(الانْهِزَامِ) مِنْ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ.



(1) الترمذي: 5/ 202.

169 ـ قَالَ:

وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ ... عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ(1)

(أَذِنَ) يَأْذَنُ إِذْناً: إِذَا أَبَاحَ شَيْئاً. وَيَكُونُ الإِذْنُ بِمَعْنَى: الأَمْرِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: 255]. وَيَكُونُ بِمَعْنَى: التَّمْكِينِ، تَقُولُ: أَذِنْتُ لِفُلَانٍ فِي كَذَا، أَيْ: مَكَّنْتُهُ مِنْ فِعْلِهِ. وَيَكُونُ بِمَعْنَى: الاسْتِمَاعِ.

فَإِنْ قُلْنَا: إِنَّ كَلَامَ النَّاظِمِ بِمَعْنَى أَبِحْ، فَإِنَّهُ لَا يُجْزِي، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَمَرَ الْخَلْقَ بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَالأَمْرُ أَخَصُّ مِنَ الإِذْنِ بِمَعْنَى الإِبَاحَةِ، وَالأَخَصُّ يَسْتَلْزِمُ الأَعَمَّ، فَالأَمْرُ بِفِعْلِ الشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ الإِبَاحَةَ، فَكَيْفَ يَتَأَتَّى أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: أَبِحْ؟

وَإِنْ قُلْنَا بِمَعْنَى: الأَمْرِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَمُرْ، فَقَدْ أَمَرَ سُبْحَانَهُ، وَطَلَبُ مَا وَقَعَ تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ، فَيَكُونُ بِمَعْنَى: التَّمْكِينِ؛ وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى: التَّمْكِينِ، فَكَأَنَّ النَّاظِمَ قَالَ: سَهِّلْ طُرُقَ الصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّكَ، لأَنَّ مَنْ سَهُلَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهَا فَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْهَا، وَسُؤَالُ تَسْهِيلِ سَبِيلِ الطَّاعَةِ الَّتِي أُمِرَ بِهَا سَائِغٌ حَسَنٌ.

[وَقَدْ يَكُونُ (الإِذْنُ) بِمَعْنَى: الثَّوَابِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِرَجُلٍ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»(2)، فَهُوَ تَعْبِيرٌ عَنْ تَقْرِيبِهِ لِلْقَارِئِ وَإِجْزَالِ ثَوَابِهِ. وَالتَّغَنِّي فِي الْحَدِيثِ بِمَعْنَى.... وَرَفْعِ الصَّوْتِ، لَا اسْتِعْمَالَ الأَلْحَانِ فِي الْقِرَاءَةِ... وَإِنْ قَالَ بِهِ بَعْضُهُمْ...](3).

(1) الديوان: 200.
(2) البخاري: 19/ 30، مسلم: 1/ 545، الترمذي: 4/ 249، أبو داود: 2/ 75، النسائي: 2/ 180، أحمد: 3/ 271، الموطأ: 368.
(3) لحق يمين الورقة: 317.

وَاسْتِعْمَالُ (**السُّحُبِ**) هُنَا مَجَازٌ بَلِيغٌ لِمَا تَضَمَّنَ مِنْ طَلَبِ الْكَثْرَةِ فِي إِيقَاعِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ وَ(**سُحُبٍ**): جَمْعُ كَثْرَةٍ لِسَحَابَةٍ. وَمِنْ لَازِمِ كَثْرَةِ السَّحَابِ تَرَاكُمُهُ وَتَكَاثُفُهُ. وَمِنْ لَازِمِ هَذَا اللَّازِمِ كَثْرَةُ الْمَاءِ. وَلَمَّا كَانَ لَفْظُ السُّحُبِ إِذَا أُطْلِقَ حُمِلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ مَجَازاً إِلَّا بِقَرِينَةٍ أَضَافَهَا لِلصَّلَاةِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ يَسْأَلُ الإِذْنَ فِي صَلَوَاتٍ كَثِيرَةٍ كَكَثْرَةِ مِيَاهِ السُّحُبِ الْمُتَرَاكِمَةِ، وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يُعَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا ذَاتُ الْمَاءِ الْغَزِيرِ، إِذْ لَا يُطْلَبُ كَثْرَةُ السُّحُبِ فِي مَجَازِ التَّكْثِيرِ إِلَّا لِمَا تَرْخِيهِ مِنَ الْمَاءِ.

وَقَوْلُهُ: (**دَائِمَةٍ**): تَتْمِيمٌ لِمَا سَأَلَ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَعْرِفُ مِنْ شَأْنِ السُّحُبِ وَإِنْ تَرَاكَمَتْ وَكَثُرَتْ مِيَاهُهَا أَنَّهَا قَدْ تَفْتُرُ عَادَةً وَإِنْ دَامَتْ بَعْضَ الأَيَّامِ، فَطَلَبَ أَنْ تَكُونَ كَثْرَتُهَا كَكَثْرَةِ الْمُزْنِ مِنَ السُّحُبِ الْمُتَرَاكِمَةِ، لَكِنْ تُخَالِفُ سُحُبَ الْمَاءِ فِي كَوْنِ سُحُبِ الصَّلَاةِ لَا تَنْقَطِعُ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِـ (**دَائِمَةٍ**) اسْتِعْمَالَ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ: الْمَعْنَى الأَوَّلُ مِنَ الدَّوَامِ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي مِنَ الانْسِكَابِ، نِسْبَةً لِلدِّيمَةِ، وَهِيَ الْمَطَرُ الْمُتَوَاتِرُ. وَالدَّوَامُ إِنَّمَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِالأَوْقَاتِ الَّتِي لَا تَغْمُرُهَا عِبَادَةٌ تَشْغَلُهُ: كَالْقِيَامِ لِأُمِّ الْقُرْآنِ، وَلِلسُّورَةِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ لَا بُدَّ فِيهَا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ الْبَرْقِيُّ[1]: «كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُصَلَّى فِيهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ نَاقِصَةٌ»[2].

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ صَلَاةً لَا يَفْتُرُ عَنْهَا الْبَتَّةَ، لِأَنَّ الْخَلْقَ إِذَا فَتَرَ أَحَدُهُمْ لِأَجْلِ عِبَادَةٍ فَزِعَ آخَرُونَ مِنْ عِبَادَةٍ، فَلَا تَزَالُ الصَّلَاةُ دَائِمَةَ الذِّكْرِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ سَأَلَ أَنْ يَأْمُرَ جَمْعاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَفْتُرُونَ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَمَا جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَلَائِكَةً لَا يَفْتُرُونَ عَنِ التَّسْبِيحِ، وَآخَرُونَ لَا يَفْتُرُونَ عَنِ التَّهْلِيلِ.

(1) سبقت ترجمته: ص339.

(2) تفسير الطبري: 12/ 43، ينظر الشفا: 1/ 140.

[318]// فَإِنْ قُلْتَ: يَلْزَمُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَلَائِكَةٌ لَمْ يُشْرَعْ لَهُمْ عِبَادَةٌ حَتَّى يُؤْمَرُوا بِهَذِهِ الصَّلَاةِ.

قُلْنَا: هَذَا لَا يَلْزَمُ، فَإِنَّهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ، عَظِيمَ النَّشْأَةِ، لَهُ وَفْرَةٌ عَظِيمَةٌ، يَنْغَمِسُ فِي نَهْرٍ، ثُمَّ يَبْرُزُ مِنْهُ، وَيَنْفُضُ شَعْرَهُ، فَيَخْلُقُ اللهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ نَقْطِ شَعْرِهِ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31].

وَالْمَجْرُورُ الأَوَّلُ تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ: (**وَاذَنْ**). وَ(**مِنْكَ**): فِي مَوْضِعِ نَعْتٍ لِـ (**الصَّلَاةِ**). وَ(**دَائِمَةٍ**): نَعْتٌ بَعْدَ نَعْتٍ.

وَقَوْلُهُ: (**عَلَى النبيّ**): الأَلِفُ وَاللَّامُ لِلْعَهْدِ.

وَجَاءَ بِـ (**الْمُنْهَلِّ**) وَ(**الْمُنْسَجِمِ**) لِأَنَّهُمَا أَكْثَرُ صِفَاتِ الْمُزْنِ إِدْرَاراً، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ: (**عَلَى الرُّبَا وَالْبِطَاحِ انْهَلَّ وَانْسَجِمِ**).

وَفِي الْبَيْتِ: مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ بِذِكْرِ (**الْمُنْهَلِّ**) وَ(**الْمُنْسَجِمِ**). وَالْجَمْعُ، لِأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ أَشْيَاءَ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ. وَتَقَدَّمَ لَنَا مِنْ هَذَا شَيْءٌ كَثِيرٌ.



170 ـ قَالَ:

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَباً وَأَطْرَبَ الْعِيسَ حَادِي الْعِيسِ بِالنَّغَمِ[1]

شرح: جَعَلَ مُدَّةَ الصَّلَاةِ الَّتِي طَلَبَ مِنَ اللهِ ﷻ إِيقَاعَهَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ [مُمْتَدَّةً][2] بِامْتِدَادِ تَرْنِيحِ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ الصَّبَا، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ زَمَنٌ مُمْتَدٌّ إِلَى انْقِرَاضِ الدُّنْيَا، لَكِنْ ظَاهِرُ الطَّلَبِ بِالسُّحُبِ الدَّائِمَةِ أَعَمُّ مِنْ هَذَا الظَّرْفِ، لأَنَّ الدَّوَامَ قَدْ يَكُونُ أَوْسَعُ مِنْ زَمَنِ تَرْنِيحِ رِيحِ الصَّبَا عَذَبَاتِ الْبَانِ، إِذْ يَصْلُحُ صِدْقُهُ عَلَى الدَّوَامِ الأَبَدِيِّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ: وَعَذَبَاتُ الْبَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَتَكُونُ (**رِيحُ صَباً**) مِنْ جِنْسِ مَا [. . .][3] بِهِ فِي عَرَسَاتِهَا، فَلَا تَنْقَطِعُ عَنْهُ الصَّلَاةُ أَبَداً.

وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ مَطْلُوبَ النَّاظِمِ مِنْ سُحُبِ الصَّلَاةِ الدَّائِمَةِ صَلَاةُ الثَّقَلَيْنِ إِلَى انْقِرَاضِ الدُّنْيَا وَهِيَ تَتَجَدَّدُ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ حَتَّى يَنْفَذَ زَمَنُ التَّكْلِيفِ.

وَ(**الْعَذَبَاتُ**): الأَغْصَانُ.

وَ(**رَنَّحَتْ**): مَيَّلَتْ وَهَزَّتْ.

وَ(**الْبَانُ**): شَجَرٌ مَعْلُومٌ، لَهُ ثَمَرَةٌ يُعْصَرُ مِنْهَا دُهْنٌ فَوَّاحٌ، يُقَالُ لَهُ: الْغَالِيَةُ. وَالنَّاسُ غَلَطُوا فِي تَسْمِيَةِ الزُّبْدَةِ غَالِيَةً، وَإِنَّمَا الزُّبْدَةُ عَرَقُ دُهْنٍ مَعْرُوفٌ أَيْضاً، وَلَوْنُ هَذَا الدُّهْنِ أَدْكَنُ إِلَّا أَنَّ لَهُ رَائِحَةً حَسَنَةً، وَإِذَا طُلِيَ بِهِ عُضْوٌ فِيهِ وَجَعٌ نَفَعَ مِنْهُ.

وَ(**الصَّبَا**): رِيحٌ لَيِّنَةٌ شَرْقِيَّةٌ. وَسُمِّيَتْ صَبَا لِمُقَابَلَتِهَا بَابَ الْكَعْبَةِ بِهُبُوبِهَا، فَكَأَنَّهَا تَصْبُو إِلَيْهَا، وَهِيَ رِيحٌ كَانَ رَسُولُ اللهِ يُحِبُّهَا. وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

(1) الديوان: 201.
(2) في الأصل: «ممتدا»، ولعل الأنسب ما أثبتناه.
(3) عبارة مطموسة في الأصل، لم أتبينها.

«نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ»[1].

وَقَوْلُهُ: (**أَطْرَبَ الْعِيسَ**)، هُوَ تَأْنِيسُهَا [. . .][2] مِنْ أَصْوَاتِ الْحُدَاةِ، وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ مَا يُحْدِثُهُ فِي نَفْسِ سَامِعٍ مِمَّا يَسُرُّهُ وَيُنَشِّطُهُ. يُقَالُ: أَطْرَبَهُ، أَيْ: أَنْشَطَهُ وَأَسَرَّهُ. وَلَا يَحْدُثُ غَالِباً إِلَّا فِي النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ الذَّكِيَّةِ كَمَا تُحْدِثُ فِي أُذُنِ الْغَازِي وَنَفْسِهِ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَوْ إِنْشَادُ شِعْرٍ أَوْ مَوْعِظَةٌ. وَيُقَالُ: أَطْرَبْتُهُ فَأَطْرَبَ، لِكَوْنِهَا تُحَرِّكُ سَوَاكِنَ سَامِعِيهَا.

وَ(**الْعِيسُ**): الْجِمَالُ الشُّقْرُ. وَاحِدُهَا أَعْيَسُ. وَالأَعْيَسُ: الْجَمَلُ الأَبْيَضُ الْمَنْسُوبُ لِشَعْرِهِ. وَالأُنْثَى مِنَ النُّوقِ: عَيْسَاءُ، إِنْ كَانَتْ بِصِفَتِهِ. وَالْعِيسُ: الْجَمْعُ، وَأَصْلُهُ بِضَمِّ الْعَيْنِ، وَذَلِكَ أَصْلُ كُلِّ جَمْعٍ مَضْمُومِ الْفَاءِ مُعْتَلِّ الْعَيْنِ جَمْعُ أَفْعَلٍ كَبِيضٍ جَمْعُ أَبْيَضٍ، فَأَصْلُ عِيسٍ عُوسٌ [319]// فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً وَالضَّمَّةُ كَسْرَةً.

وَ(**الْحَادِي**): سَائِقُ النُّوقِ بِالْغِنَاءِ، فَهَذَا أَصْلُهُ، وَهُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي كُلِّ مَنْ شَوَّقَ أَهْلَ رُفْقَةٍ سَائِرَةٍ إِلَى مَطْلَبٍ فِي وَطَنٍ نَاءٍ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى مَنْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ خَلْفَ الإِبِلِ. وَقَدْ نَقَلَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ أَنَّهُ قَيَّدَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ فَلَمَّا اسْتَضَافَهُ رَجُلٌ سَأَلَ مِنْهُ الْعَبْدُ أَنْ يَسْأَلَ مِنْ سَيِّدِهِ سَرَاحَهُ، فَفَعَلَ، فَقَالَ لَهُ الْعَرَبِيُّ الْمُضَيِّفُ: لَوْلَا أَنَّ الضَّيْفَ لَهُ حُرْمَةٌ لأَتْرُكَنَّهُ مُقَيَّداً. قَالَ الضَّيْفُ: وَمَا ذَنْبُهُ؟ قَالَ: رَزَقَهُ اللهُ صَوْتاً حَسَناً، فَإِذَا رَفَعَهُ وَسَمِعَتْهُ النُّوقُ ذَمِلَتْ وَفَاضَتْ فِي سَيْرِهَا، وَمَرَّتْ مَرَّ السَّحَابِ، فَتَهْزَلُ مِمَّا تُحَمِّلُ نَفْسَهَا مِنَ الذَّمِيلِ لِمَا تَسْمَعُ مِنْ صَوْتِهِ وَرِقَّةِ نَغْمَتِهِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَيَوَانَ [اليتمى][3] يَنْفَعِلُ لِبَعْضِ الأَصْوَاتِ، أَلَا تَرَى أَنَّ أَسْمَاءَ الأَصْوَاتِ تَزْدَجِرُ بِهَا إِنْ أُمِرَتْ بِمَا يَدُلُّ عَلَى طَلَبٍ، فَإِنْ

(1) سبق تخريجه: ص717.
(2) طمس في الأصل الورقة: 318.
(3) كلمة لم أتبين معناها.

كَانَتْ دِلَالَتُهُ عَلَى الْوُقُوفِ وَقَفَتْ أَوْ عَلَى الْمَشْيِ مَشَتْ.

وَ**(مَا)** فِي قَوْلِهِ: **(مَا رَنَّحَتْ)** ظَرْفُ زَمَانٍ، وَالْعَامِلُ فِيهِ **(دَائِمَةٍ)**. وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ لَفْظُ **(صَلَاةٍ)**، وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ صَالِحاً لِلنَّعْتِيَةِ يُحَرِّكُ فِي الْعَقْلِ ذَلِكَ، لأَنَّهُ مَصْدَرٌ فَلَا يَعْمَلُ إِلَّا مَعَ مُبَاشَرَتِهِ مَعْمُولَهُ. وَقَدْ فُرِّقَ بَيْنَهُمَا بِالنَّعْتِ وَهُوَ **(دَائِمَةٍ)**، إِلَّا عَلَى رَأْيِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ النَّعْتَ وَالْمَنْعُوتَ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ؛ فَالْفَصْلُ بِهِ كَالْفَصْلِ، لَكِنَّ التَّحْقِيقَ مَعَ الْمَانِعِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ أَقْوَى فِي الْعَمَلِ مِنَ الْمَصْدَرِ، وَقَدْ بَاشَرَ اسْمَ الْفَاعِلِ، فَتَعَيَّنَ لَهُ الْعَمَلُ لِمُبَاشَرَتِهِ وَلِقُوَّتِهِ.

وَكَوْنُ **(دَائِمَةٍ)** لِ **(الصَّلَاةِ)** نَعْتاً جَائِزاً، وَلِ **(سُحُبٍ)** أَبْلَغُ، وَإِنْ كَانَ دَوَامُ الصَّلَاةِ الْمُتَوَلِّدَةِ عَنِ السُّحُبِ يَسْتَلْزِمُ دَوَامَ السُّحُبِ وَلَا يَنْعَكِسُ.

وَقَوْلُهُ: **(أَطْرَبَ الْعِيسَ حَادِي)**، قَدَّمَ الْمَفْعُولَ لِلاعْتِنَاءِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: **(الْعِيسِ)** الثَّانِي: مِنْ وُقُوعِ الظَّاهِرِ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ لإِقَامَةِ الْوَزْنِ.

وَلَيْسَ تَكْرَارُ لَفْظِ **(الْعِيسِ)** بِتَجْنِيسٍ عِنْدَ الأَكْثَرِ.

وَعَدَّدَ النَّاظِمُ الْمُدَّةَ بِاخْتِلَافِ لَفْظَيْنِ، وَمُدَّةُ تَرْنِيحِ عَذَبَاتِ الْبَانِ أَطْوَلُ مِنْ إِطْرَابِ حَادِي الْعِيسِ الْعِيسَ، فَيَكُونُ هٰذَا مِنْ ضِدِّ مَا يُطْلَبُ مِنَ التَّرَقِّي، لأَنَّهُ هُنَا تَدَلَّى، وَالتَّدَلِّي فِي مِثْلِ هٰذَا غَيْرُ مَحْمُودٍ.

وَفِي الْبَيْتِ: الْجَمْعُ، وَمُرَاعَاةُ النَّظِيرِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَهَا نَحْنُ [...][1] عَلَى كَمَالِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَلْفَاظِ الْقَصِيدَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ غَيْرِ تَطْوِيلٍ مُمِلٍّ وَلَا [اخْتِصَارٍ مُخِلٍّ][2]، فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَجْعَلَ لَنَا عَلَى شَرْحِ هٰذَا الْمَدْحِ النَّبَوِيِّ [...][3] مَشْكُوراً، وَحَظّاً مِنَ

(1) طمس في الأصل ولعله: «أتينا».
(2) طمس في الأصل ولعلها: «اختصار مخل».
(3) طمس في الأصل ولعله: «جهدا».

الثَّوَابِ مَوْفُوراً، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ [...][1] وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

فَهٰذِهِ الْمُبَيَّضَةُ بِخَطِّ مُ[ؤَلِّفِهَا وَشَا][2] ارِحِهَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ مُحَمَّدٍ [...][3] عُرِفَ بِابْنِ [مَقْلَاش][4] غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلأَبَوَيْهِ وَلِمَنْ دَ[...][5] وَالْمَغْفِرَةَ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ
وَرَضِيَ اللهُ عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ [...][6] بَيْتِهِ أَجْمَعِينَ
وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ



(1) طمس في الأصل ولعله: «حسبنا».
(2) بياض وهو خرم في الأصل.
(3) بياض وهو خرم في الأصل.
(4) في الأصل: ابن مقللش.
(5) بياض وهو خرم في الأصل.
(6) بياض وهو خرم في الأصل.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾	28 - 30	133
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾	31	158، 221
﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾	34	20
﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾	54	778
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾	59	256، 730
﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾	61	256
﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾	78	501
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾	81	301
﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾	81	301
﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾	86	64، 292
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	106	588
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾	106	588
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	110	209، 647، 649، 214
﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾	112	226
﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾	117	717
﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾	154	72
﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾	154	443
﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾	154	72، 443
﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾	154	461
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾	173	497

سورة النساء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾	1	679
﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾	31	589
﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾	43	723
﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾	46	311، 704
﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾	46	501
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	65	555

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	80	158، 648
﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾	83	593
﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾	102	713
﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾	102	133
﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾	115	470، 556
﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾	115	593
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾	136	160
﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾	142	778

سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾	3	442
﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾	3	442
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	3	315
﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾	6	723
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	54	541
﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾	72	262
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾	73	262
﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾	95	778
﴿عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾	95	778
﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾	109	791
﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ﴾	116	647

سورة الأنعام

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾	7	454
﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	23	61
﴿طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾	38	21
﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾	59	388
﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ﴾	81	96
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾	122	32

سورة الأعراف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾	26	503

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث — الصفحة

الحديث — الصفحة

الحديث | الصفحة

فهرس الأثر

الأثر | الصفحة

فهرس الأمثال

فهرس القبائل والجماعات

فهرس المواضع والبلدان

فهرس الأبيات الشعرية

أول البيت	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
ليطلب	أحوالا	البسيط	أمية بن أبي الصلت	350
فاشرب	محلالا			350
لو أن	المطالا	الوافر	كثير بن عبد الرحمٰن	91، 526
دعوت	لالا	الوافر	-	75
أبعد	شمولا	الوافر	-	27
فلا برق	رسولا			27
واعلم	خبالا	الكامل	-	567
دنيا	حالها	مجزوء الكامل	الإمام علي	194
مدت	شمالها			194
عرضت	حلالها			194
يا زمان	هزلا	الخفيف	-	100
عدن	سهلا			100
كذب	انتقلا	المديد	-	84
وادعى	فعلا			84
كيف	بدلا			84
تراه	سائلُه	الطويل	عبد الله بن الزبير	310، 602
فلو لم	سائلُه			310، 602
أللربع	المفصلُ	الطويل	ذو الرمة	53
لعرفان	مسلسلُ			54
تشابه	أفضلُ	الطويل	مروان بن أبي حفصة	151، 259
أيوم	محجلُ			151، 259
وما زلت	أشكلُ	الطويل	جرير	197
وما السيف	حاملُه	الطويل	البحتري	446، 712
ونحن	سلولُ	الطويل	السموأل	386، 424
يقرب	فتطولُ			386، 424
وذي	لقليلُ	الطويل	عروة بن الورد	174
ومالي	صقيلُ			174
واسمر	طويلُ			174
أليس	قليلُ	الطويل	يزيد بن الطثرية	99
وجدنا	كاهلُه	الطويل	ابن ميادة	195

أول البيت	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وما ضرنا	ذليلُ	الطويل	السموأل	236
تألف	مشغولُ	البسيط	-	27
يكفيك	مصقول			28
حلو	وصالُ	الكامل	عنان جارية الناطقي	90
لم يهو	التعذالُ			90
والنقع	محملُ	الكامل	السلامي	698
وسطور	وتشكلُ			698
إن الذي	وأطولُ	الكامل	الفرزدق	213
كأن	البالي	الطويل	امرؤ القيس	47
أيقتلني	أغوالِ	الطويل	امرؤ القيس	121، 554
يغط	بقتال			554
فيا لك	بيذبلِ	الطويل	امرؤ القيس	58
كأن	جندلِ			58
ما ذرفت	مقتلِ	الطويل	امرؤ القيس	146، 598
ألا رب	جلجلِ	الطويل	امرؤ القيس	98، 151
ويوماً	مرجلِ	الطويل	امرؤ القيس	514
أنا اليوم	الحالِ	الطويل	الشيخ أيمن	762
وتيماء	جندلِ	الطويل	امرؤ القيس	445
ديار	هطال	الطويل	امرؤ القيس	56، 435
وتحسب	أوعالِ			56، 435
وتحسب	محلالِ			56، 435
ليلي	بمعطالِ			56، 435
له أيطلا	تتفلِ	الطويل	امرؤ القيس	87
ترى	فلفلِ	الطويل	امرؤ القيس	438
مكر	من علِ	الطويل	امرؤ القيس	18
وكشح	المذللِ	الطويل	امرؤ القيس	189
فلا تلتفت	بمضللِ	الطويل	الصفي الحلي	111، 383
ففي	منزلِ			111، 384
وقوفا	تجملِ	الطويل	امرؤ القيس	109
ففاضت	محملي	الطويل	امرؤ القيس	14

- و -

- ي -

فهرس الأرجاز

فهرس أنصاف الأبيات الشعرية

أنصاف الأبيات	الشاعر	الصفحة
لدى سمرات الحي ناقف حنظل	امرؤ القيس	362
لمن طلل برامة لا يريم	زهير	124
له أيطلا ظبي وساقا نعامة	امرؤ القيس	252
نبي من الغربان ليس على شرع	المعري	211
هل بالحمى نزلوا أم باللوا عدلوا	-	12
هل يغضب الحسن إن ناديت واحربا	ابن سهل	560
والشيب يغمزها بأن لا تفعلي	ابن المعتز	114
وهند أتى من دونها النأي والبعد	الحطيئة	632
يا دار مية فالعلياء والسند	النابغة الذبياني	13
يا عجباً لهذه الفليقة	ابن قنان	8، 345

فهرس المصطلحات البلاغية

فهرس الألفاظ المشروحة

- أ -

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ن -

- هـ -

فهرس الأعلام

- الشين -

- الصاد -

- الطاء -

- العين -

- الغين -

- الفاء -

- القاف -

- الكاف -

- اللام -

- الميم -

- النون -

- الهاء -

- الواو -

- الياء -

فهرس المصادر الواردة في المتن

الكتاب	المؤلف	الصفحة
المنظم في غريب اللغة	كراع النمل	40، 486، 524، 445، 715
منهاج العابدين	أبو حامد الغزالي	157، 548
الموطأ	مالك بن أنس	115
النصائح	إسحاق التجيبي	443
النوادر	أبو زيد	719
كتاب سيبويه	سيبويه	601
مقصورة حازم	حازم القرطاجني	283
الشقراطيسية	الشقراطيسي	52
مقامات الحريري	الحريري	60
كتاب المجتبى	الحريري	342
مقصورة ابن دريد	ابن دريد	449
شرح مقصورة حازم	الشريف الغرناطي	282، 283

فهرس أبيات البردة

فهرس المصادر والمراجع

المخطوطات:

1 - أجوبة في الفقه المالكي: لبعض علماء غرناطة، مجموع بالخزانة العامة، بالرباط، رقم (د1447).

2 - الدلائل على معاني الحديث بالمثل والشاهد: لأبي محمد القاسم بن ثابت السرقسطي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم (ق197).

3 - شرح البردة: لابن مقلاش، ضمن مجموع بالخزانة الوطنية بالجزائر، رقم (160).

4 - شرح البردة: لابن مقلاش، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم (ق345. و444 مكروفيلم).

5 - شرح البردة: لأبي عبد الله الأليري مخطوط بالخزانة القرويين، فاس.

6 - شرح عمدة الأحكام: للفاكهاني، مخطوط بخزانة القرويين، قيد التحقيق بكلية الآداب، ظهر المهراز.

7 - الكشف والبيان: للثعلبي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم (ك2061).

المرقونات:

1 - أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي: لأبي محمد عبد الله الثعالبي، تحقيق أحمد بن حربيط رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، فاس، 1987م.

2 - تغيير الأسعار على من عاب الأشعار لعبد الرحمن بن زيدان العلوي، تحقيق نعيمة الصقلي، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، فاس، ظهر المهراز، 1992م.

3 - الدر المنظم في مولد النبي المعظم لأبي القاسم العزفي، تحقيق فاطمة اليازيدي، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط.

4 - شرح البردة: للجادري، تحقيق عزيزة أبو عثمان، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، فاس، ظهر المهراز، 1997م.

5 - شرح البردة: لابن مرزوق، تحقيق محمد لمرابط، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط.

6 - شرح الشقراطيسية: أبو شامة، رسالة دبلوم الدراسات العليا، دار الحديث الحسنية.

7 - شعر الغيث في الأدب العربي، محمد وراوي، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، فاس، ظهر المهراز، 1988م.

8 - الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة: لشرف الدين المقري الشافعي، تحقيق محمد ناجي، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط.

المطبوعات:

1 - القرآن الكريم بالرسم العثماني على رواية الإمام ورش: دار المصحف، شركة ومكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، مصر.

2 - ابن الجياب الغرناطي حياته وشعره: علي محمد النقراط، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ط. 1424هـ.

3 - الآحاد والمثاني: لأحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى، 1991م.

4 - الأحاديث المختارة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي الدمشقي، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1410هـ.

5 - أحسن ما سمعت: لأبي منصور الثعالبي، شرح وتعليق أحمد عبد الفتاح تمام، سيد عاصم، مؤسسة الكتب الثقافية، طبعة 1989م.

6 - الأحكام: لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ.

7 - الأحكام في أصول الأحكام: تصنيف أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، .تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، تقديم إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م.

8 - أحكام القرآن: لابن العربي المالكي الإشبيلي، تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة جديدة فيها زيادة وشرح وتحقيق، بيروت، دار المعرفة.

9 - أخبار أبي تمام: لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، حققه وعلق عليه محمد عبده عزام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1400هـ - 1990م.

10 ـ أخبار مكة: لمحمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1414هـ.

11 ـ أدب الكتاب: لابن قتيبة، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، 1355هـ، القاهرة.

12 ـ أساس البلاغة: للزمخشري، كتاب الشعب، دار ومطابع الشعب، 1960م.

13 ـ أسباب ورود الحديث: لجلال الدين السيوطي، تحقيق يحيى إسماعيل أحمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1984م.

14 ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين بن الأثير الجزري، دار الفكر للطباعة والنشر.

15 ـ الأشباه والنظائر في النحو: للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العالي سالم مكرم مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1985م.

16 ـ أشعار الخليع: الحسين بن الضحاك، جمغ وتحقيق: عبد الستار فرج، دار الثقافة بيروت، 1960م.

17 ـ أشعار الشعراء الستة الجاهليين: اختيار العلامة يوسف بن سيمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري، منشورات، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

18 ـ أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم: لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، طبعة مصر، 1936م.

19 ـ الأصمعيات: اختيار الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الخامسة.

20 ـ أعمال الأعلام: للسان الدين ابن الخطيب، نشر حسني عبد الوهاب، طبعة رباط الفتح، 1934م.

21 ـ الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، 1986م.

22 ـ أعلام المغرب العربي: لمحمد حجي، دار الكتب، 1990م.

23 ـ الأغاني: لأبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

24 ـ أليس الصبح بقريب: لمحمد الطاهر ابن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس.

25 ـ أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي تحقيق ودراسة محمود محمد الصناجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992م.

26 ـ أمالي الزجاجي: لأبي القاسم عبد الرحمٰن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.

27 ـ أمالي المحاملي: لأبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي، تحقيق إبراهيم القبسي، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1412هـ.

28 ـ أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي: الطبعة الثانية، 1387هـ ـ 1968م.

29 ـ أمالي القالي: طبعة مصطفى إسماعيل ويوسف دياب، المكتبة التجارية، 1953م القاهرة.

30 ـ أمثال الحديث لأبي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، تحقيق أحمد عبد الفتاح تمام مؤسسة دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ.

31 ـ الأنساب: لأبي سعيد السمعاني، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، 1988م.

32 ـ أنساب الأشراف: تأليف أحمد بن يحيى بن جبار البلاذري، حققه وعلق عليه محمود باقر المحمودي الطبعة الأولى، 1977م، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

33 ـ أنس الفقير وعز الحقير: لابن قنفد القسنطيني، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي، أدولف فور منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط، مطبعة أكدال، 1965م.

34 ـ أنموذج الزمان في شعراء القيروان: لابن رشيق القيرواني، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي، البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1411هـ ـ 1991م.

35 ـ أنوار الربيع في أنواع البديع: لابن معصوم، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان في النجف الأشرف، 1968م.

36 ـ الأنوار في محاسن الأشعار، لأبي الحسن بن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، تحقيق السيد محمد يوسف، شرحه عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1978م.

37 ـ الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية: يوسف بن إسماعيل النبهاني، المطبعة الميمنية بمصر.

38 ـ أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء: جمع وضبط وتصحيح لويس شيخو، بيروت، طبعة 1895م.

39 ـ أوصاف الناس في التواريخ والصلات: لابن الخطيب، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة.

40 ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لجمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل الخامسة، 1399هـ ـ 1979م.

41 ـ إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان: لأحمد ابن أبي الضياف، تحقيق لجنة من كتابة الدولة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، 1976م.

42 ـ إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب: لأبي جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي المراكشي، تحقيق وتقديم الدكتور محمد أمين المؤدب، مكتبة الراشد، الطبعة الأولى، 1417هـ ـ 1997م.

43 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين: لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عدنان مكتبة الخارجي القاهرة، الطبعة الأولى، 1397هـ ـ 1977م.

44 ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي المتوفى 739هـ، قدم له وضبط نصه: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ ـ 1987م.

45 ـ إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار الكتب مصر.

46 ـ الاستبصار في أنساب الأنصار: دار الكتب المصرية.

47 ـ الاستيعاب في معرفة الصحاب: لابن عبد البر، تحقيق علي محمد البيجاوي، مكتبة نهضة مصر.

48 ـ الاشتقاق: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (223 ـ 321هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ ـ 1991م.

49 ـ الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة 1328هـ مصر.

50 ـ إصلاح المنطق: لابن السكيت، شرح وتحقيق، أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، 1375هـ ـ 1956م.

51 ـ اعتقاد أهل السنة: لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار ضبة الرياض، طبعة 1402هـ.

52 ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب: لابن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1983م.

53 ـ اقتطاف زهرات الأفنان من دوحة قافية ابن الونان: لأبي حامد المكي البطاوري، مصر.

54 ـ إمتاع الأسماع للمقريزي، طبعة القاهرة، 1941م.

55 ـ الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين: ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، مصر، 1982م.

56 ـ الإيضاح العضدي: لأبي علي الفارسي، حققه وقدم له حسن شاذلي فرهود، مطبعة دار التأليف الطبعة الأولى، 1969م.

57 ـ الإيضاح في علوم البلاغة: للخطيب القزويني، 666 ـ 739هـ، شرح وتعليق وتنقيح: عبد المنعم خفاجة، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الرابعة، 1395هـ ـ 1975م.

58 ـ الإيمان: لابن منده محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ.

59 ـ البارع في اللغة: لأبي علي إسماعيل القالي تحقيق هاشم الطعان مكتبة النهضة بغداد، دار الحضارة بيروت الطبعة الأولى، 1975م.

60 ـ البحر المحيط: لأبي حيان التوحيدي، طبعة مصر.

61 ـ البخلاء: للجاحظ، تحقيق طه الحاجري، الطبعة السادسة، دار المعارف.

62 ـ بدائع البدائع: لعلي بن ظافر الأزدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو مصرية الطبعة الأولى، 1970م.

63 ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد: تأليف أبي الوليد بن رشد القرطبي تحقيق وتصحيح محمد سالم محسن وشعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الزهرية، القاهرة، 1974م.

64 ـ البداية والنهاية في التاريخ: لابن كثير، طبعة مصر، 1358هـ.

65 ـ البديع: لأسامة بن منقذ، تحقيق الدكتور أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد الجمهورية العربية المتحدة، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

66 ـ البديع: لعبد الله بن المعتز، أغناطيوس غراتشقوفسكي، دمشق.

67 ـ البديعيات في الأدب العربي: لعلي أبو زيد، عالم الكتب بيروت، 1983م.

68 ـ بردة البوصيري بالمغرب والأندلس (خلال ق8 و9هـ) آثارها العلمية وشروحها الأدبية: للدكتور سعيد بن الأحرش، مطبعة فضالة المحمدية، 1998م.

69 ـ برنامج التجيبي: القاسم بن يوسف تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب تونس، 1981م.

70 ـ برنامج الرعيني: الدار العربية للكتاب.

71 ـ برنامج المجاري: لأبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي، تحقيق محمد أبو الأجفان: دار الغرب، 1982م.

72 ـ البرهان في أصول الفقه: لأبي المعالي عبد الملك بن يوسف الجويني، تحقيق عبد العظيم محمود الديب دار الوفاء، الطبعة الثانية، 1412هـ ـ 1992م.

73 ـ البرهان في وجوه البيان: لابن وهب الكاتب، تحقيق أحمد مطلوب، بغداد، 1968م.

74 ـ البرهان المؤيد: للشيخ أحمد الرفاعي، تحقيق الدكتور عبد العزيز عز الدين السيروان، مؤسسة السيروان، للطباعة والنشر، 2000م.

75 ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: لابن مريم، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله محمد بن أبي شيت، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ ـ 1908م.

76 ـ البسيط في شرح جمل الزجاجي: لابن أبي الربيع عبد الله بن أحمد بن عبد الله القرشي الإشبيلي السبتي، تحقيق ودراسة عياد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1407هـ ـ 1986م.

77 ـ البصائر والذخائر: لأبي حيان التوحيدي، تحقيق الدكتور لإبراهيم الكيلاني، مطبعة الإنشاء، دمشق.

78 ـ بغية الرواد في ذكر الملوك: من بني عبد الواد لأبي زكرياء يحيى بن خلدون، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1900م.

79 ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: للضبي، تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م.

80 ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

81 ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة: للفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972م.

82 ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: لمحمود شكري الألوسي، الطبعة الثامية مصر، 1924م.

83 ـ البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، 1960م.

84 ـ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة: وضمنه المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعتبية، لابن رشد القرطبي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م.

85 ـ البيان والتعريف: لإبراهيم بن محمد الحسني، تحقيق سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1401هـ.

86 ـ البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذارى المراكشي، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دون تاريخ.

87 ـ تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الهداية للطباعة والنشر، 1965م.

88 ـ تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت ـ لبنان، 1960م.

89 ـ تاريخ الأدب الأندلسي: إحسان عباس، بيروت، 1962م ـ 1966م.

90 ـ تاريخ الأدب العربي: لبروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر.

91 ـ تاريخ الأدب العربي في العصر المملوكي: الدكتور عمر موسى باشا، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، 1989م.

92 ـ تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي: حسن السندوبي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1984م.

93 ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

94 ـ تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرق بني زيان): لمحمد بن عبد الله التنيسي، حققه وعلق عليه محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ ـ 1985م.

95 ـ تاريخ الجزائر العام: لعبد الرحمن الجيلاني، طبعة الجزائر، 1954م.

96 ـ تاريخ خليفة: تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، 1977م.

97 ـ تاريخ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر.

98 ـ تاريخ علماء الأندلس: لابن الفرضي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م.

99 ـ تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا) لأبي الحسن بن عبد الله النباهي المالكي الأندلسي، نشر ليفي بروفانسال، المكتب التجاري، بيروت، 1984م.

100 ـ تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن إسحاق بن واضح اليعقوبي، طبعة النجف، 1358هـ.

101 ـ تأويل مختلف الحديث: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد زهيري النجار، دار الجيل بيروت، طبعة 1972م.

102 ـ التبيان في البيان: لشرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، تحقيق ودراسة عبد الستار حسين زموط، دار الجيل، بيروت، 1986م.

103 ـ التبيان في علم المعاني والبيان والبديع: لشرف الدين حسين بن محمد الطيبي، تحقيق وتقديم الدكتور هاني عطية، مطر الهلالي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1987م.

104 ـ تحرير ألفاظ التنبيه: ليحيى بن شرف بن مري النووي، تحقيق عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1908م.

105 ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: لأبي الأصبع المصري، تحقيق الدكتور حنفي محمد شرف، القاهرة، 1963م.

106 ـ تحفة الطالب: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق عبد الغني الكبيسي، دار حراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1406هـ.

107 ـ التحقيق في أحاديث الخلاف: لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدي، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

108 ـ التخويف من النار: لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مكتبة دار البان، دمشق، الطبعة الثانية، 1399هـ.

109 ـ التذكرة الحمدونية: لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، تحقيق الدكتور إحسان عباس معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، 1983م.

110 ـ التذكرة السعدية في الأشعار: العربية لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي، تحقيق عبد الله الجبوري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.

111 ـ التذكرة الفخرية: للصاحب بهاء الدين المنشئ الإربلي، تحقيق نوري حمودي القيسي، حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، 1407هـ ـ 1987م.

112 ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: للقرطبي، تحقيق فؤاد أحمد رمزي، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العربي، بيروت 1417هـ.

113 ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة كلام مذهب مالك: تأليف القاضي عياض تحقيق سعيد أحمد أعراب، 1982م المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

114 ـ الترغيب والترهيب لعبد العظيم بن عبد القوسي المنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1471هـ.

115 ـ تزيين الأسواق في أخبار العشاق للعلامة الطبيب الضرير داود الأنطاكي، دار ومكتبة الهلال.

116 ـ التشبيهات: لأبي العون، عني بتصحيحه محمد عبد المعين خان، مطبعة جامعة كامبريدج، 1950م.

117 ـ تصحيح الفصيح: لعبد الله بن جعفر بن درستويه، تحقيق عبد الله الجبوري، إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، 1975م، مطبعة الإرشاد، بغداد.

118 ـ تصحيح الفصيح وشرحه: لابن درستويه، تحقيق بدوي المختون رمضان عبد التواب القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1419هـ ـ 1998م.

119 ـ تعريف الخلف برجال السلف: محمد الحنفاوي، طبعة الجزائر، 1980م.

120 ـ تفسير ابن جرير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، 1408هـ ـ 1988م.

121 ـ تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة: للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي.
122 ـ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز): للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي، فاس، 1397هـ ـ 1977م.
123 ـ تفسير ابن كثير: دار الفكر، بيروت، طبعة 1401هـ.
124 ـ تفسير الطبرسي: دار الفكر، بيروت، طبعة 1410هـ.
125 ـ تفسير القرطبي: تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب القاهرة، الطبعة الثانية، 1372هـ.
126 ـ التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي: تحقيق شاذلي فرهود الناشر، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الطبعة الأولى، 1401هـ ـ 1981م.
127 ـ التكملة لكتاب الصلة: لابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي، نشر العطار الحسيني، طبعة مصر، 1956م.
128 ـ تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني، المدينة المنورة، طبعة 1964م.
129 ـ التلخيص في علوم البلاغة: للخطيب للقزويني، شرح عبد الرحمن البرقوقي، طبعة القاهرة، 1963م.
130 ـ التمثيل والمحاضرة: للثعالبي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، طبعة 1381هـ ـ 1961م، القاهرة.
131 ـ التمهيد: لابن عبد البر، دار الفكر.
132 ـ التنبيهات: لعلي بن حمزة البصري (ضمن كتاب المنقوص والممدود للفراء)، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف.
133 ـ تنوير الحوالك: لعبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، المكتبة التجارية مصر، طبعة 1989م.
134 ـ تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكرياء النووي، طبعة مصر.
135 ـ تهذيب إصلاح المنطق: للخطيب التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الأولى، 1983م.
136 ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران، طبعة دمشق، 1329هـ.
137 ـ تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، مطبغة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد، طبعة أولى، 1325هـ.

138 ـ توشيح الديباج: لبدر الدين القرافي، تحقيق أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، 1983م.
139 ـ التوقيف على مهمات التعريف: لخلوف بن محمد، بدون تاريخ.
140 ـ ثبت الوادي آشي: أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، دراسة وتحقيق عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1403هـ ـ 1983م.
141 ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لأبي منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، طبعة 1985م.
142 ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله: لابن عبد البر، طبعة دار الفكر.
143 ـ الجامع الصغير: للسيوطي، دار الفكر، بيروت 1985م.
144 ـ الجامع في الحديث: لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري، ضبط وتخريج وتحقيق، الدكتور مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، دار ابن الجوزي، الرياض، 1996م.
145 ـ الجامع: لمعمر بن راشد الأزدي، تحقيق حبيب الأعظمي (منشور ملحق لكتاب المصنف) للصغاني، المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ.
146 ـ جذوة الاقتباس: لأبي العباس أحمد بن القاضي، دار المنصور، الرباط، 1973م.
147 ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث: لأبي عبد الله الحميدي تحقيق محمد بن تاويت الطنجي القاهرة، 1953م.
148 ـ الجمل في النحو: لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمان، الطبعة الرابعة، 1988م.
149 ـ الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن محمد الرازي، طبعة حيدرآباد، 1953م.
150 ـ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: لأبي زيد القرشي حققه وعلق عليه الدكتور محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1406هـ ـ 1986م.
151 ـ جمهرة الأمثال: الشيخ الأديب ابن هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم عبد المجيد قطامي، الطبعة الثانية، 1988م، دار الجيل، دار الفكر.

152 ـ جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الأندلسي راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت.
153 ـ جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، دار صادر، الطبعة الأولى، 1345هـ.
154 ـ الجنى الداني في حروف المعاني: للحسن بن القاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد فاضل المكتبة العربية بحلب، الطبعة الأولى، 1973م.
155 ـ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء ولغة العرب: للمرحوم السيد أحمد هاشمي بك، مطبعة حجازي القاهرة، طبعة، 1367هـ.
156 ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تحقيق عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية، للكتاب الجزائر، 1985م.
157 ـ جوهر الكنز (تلخيص لكتاب البراعة في أدوات ذوي اليراعة): لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، نشر منشأة المعارف، الإسكندرية.
158 ـ الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية: لعبد القادر بن محمد القرشي، طبعة حيدرآباد 1332هـ.
159 ـ الحارثي حياته وشعره: جمع وتحقيق ودراسة زكي ذاكر العاني، العراق 1980م.
160 ـ حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين: لمحمد السنوسي، المكتبة التجارية بمصر، مطبعة الحلبي.
161 ـ حاشية السندي على سنن النسائي: لنور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، 1988م.
162 ـ الحدائق في علم الحديث والزهديات: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي حققه وعلق عليه مصطفى السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1988م.
163 ـ حلية الكميت في الأدب والنوادر والفكاهات: لشمس الدين محمد بن الحسن النواجي، مصر 1938م.
164 ـ الحلل في شرح أبيات الجمل: لابن السيد البطليوسي، دراسة وتحقيق الدكتور مصطفى إمام، مطبعة الدار المصرية، القاهرة 1979م.

165 ـ حلية المحضرة في صناعة الشعر: لأبي علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي تحقيق الدكتور جعفر الكتاني الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والإعلام دار الرشيد للنشر، 1979م.
166 ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
167 ـ الحماسة: لأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري رواية أبي العباس الأحول ضبط الأب لويس شيخو اليسوعي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان الطبعة الثانية 1387هـ ـ 1967م.
168 ـ الحماسة البصرية: لصدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، تحقيق عادل سليمان جمال لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مطابع الأوشت 1187هـ.
169 ـ الحماسة الشجرية: لهبة الله بن حمزة العلوي بن الشجري تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحميصي منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1970م.
170 ـ الحماسة المغربية مختار كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب: لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي، تحقيق رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، 1991م.
171 ـ الحيوان: لأبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية.
172 ـ خاص الخاص: للثعالبي، دار مكتبة الحياة بيروت.
173 ـ الخاطريات: لابن جني، حققه علي ذو الفقار شاكر، دار الغربي الإسلامي، الطبعة الأولى، 1988م.
174 ـ خريدة القصر وجريدة العصر: لعماد الدين الأصبهاني، تحقيق آدرتاش آدرنوش، تنقيح محمد العروسي المطوعي والكيلاني بن الحاج ومحمد المرزوقي، دار التونسية للنشر، الطبعة الثانية 1986م.
175 ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر بن عمر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، طبعة 1989م.
176 ـ الخصائص صنعة: أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، مطبعة دار الكتب المصرية، طبعة 1957م.
177 ـ خلاصة البدر المنير: لعمر بن علي بن الملقن الأنصاري، تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى 1410هـ.

178 ـ الخلاصة النقية في أمراء إفريقية: لأبي عبد الله محمد الباجي المسعودي، طبعة تونس، 1283هـ.
179 ـ دائرة المعارف الإسلامية: يصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد دار الفكر.
180 ـ درة الحجال في أسماء الرجال: لابن القاضي، طبعة الرباط.
181 ـ درة الغواص في أوهام الخواص: للقاسم بن علي الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة القاهرة.
182 ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلاني، طبعة حيدرآباد 1950م.
183 ـ الدر المنثور: لزينب فواز، طبعة مصر 1312هـ.
184 ـ دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت: للدكتور عبد الكريم الأشتر، دمشق 1967م.
185 ـ دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات: للشيخ عبد الله بن محمد الأنصاري المعروف بابن القاضي، تحقيق عماد الدين حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الطبعة الأولى 1408هـ ـ 1988م.
186 ـ دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية، مكتبة سعد الدين دمشق، الطبعة الثانية 1987م.
187 ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأبي بكر البيهقي، ضبط أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
188 ـ دلائل النبوة: لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق الدكتور محمد رواس وعبد البر عباس، دار النفائس، الطبعة الثانية 1986م.
189 ـ ديوان ابن حمديس: صححه وقدم له الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت.
190 ـ ديوان ابن حيوس الغنوي الدمشقي: اعتنى بنشره وتحقيقه خليل مردم بك، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ ـ 1984م.
191 ـ ديوان ابن الخطيب (الصيب الجهام)، دراسة وتحقيق الدكتور محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الأولى 1973م.
192 ـ ديوان ابن دريد، تحقيق عمر بن سالم، الدار التونسية للنشر، 1983م تونس.

193 ـ ديوان ابن الدمينة: صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق أحمد راتب النفاخ، مكتب دار العروبة، مطبعة المدني.
194 ـ ديوان ابن رشيق القيرواني: جمع وتحقيق عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة بيروت.
195 ـ ديوان ابن الرومي، تحقيق الدكتور حسين نصار 1978م القاهرة.
196 ـ ديوان ابن الزقاق البلنسي: أبو الحسين علي بن عطية، تحقيق محمود ديراني، دار الثقافة بيروت 1989م.
197 ـ ديوان ابن سهل الإشبيلي: تحقيق وشرح بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، 1953م.
198 ـ ديوان ابن المعتز: دراسة وتحقيق محمد بديع الشريف، دار المعارف القاهرة، 1978م.
199 ـ ديوان ابن هانئ: دار بيروت، طبعة 1400هـ ـ 1980م.
200 ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي: تحقيق عبد الكريم الدجيلي، شركة النشر والطباعة العراقية بغداد، الطبعة الأولى 1953م.
201 ـ ديوان أبي بكر محمد بن عباس الخوارزمي: صنعة وتقديم وتحقيق الدكتور حامد صدقي، مطبعة صادر، الطبعة الأولى، 1997م.
202 ـ ديان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر 1964م.
203 ـ ديوان أبي الطيب المتنبي شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العربية، بيروت ـ لبنان، 1407هـ ـ 1986م.
204 ـ ديوان أبي النجم العجلي: صنعة وشرح علاء الدين آغا، النادي الأدبي الرياض 1401هـ ـ 1981م.
205 ـ ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، طبعة بيروت، 1953م.
206 ـ ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسي، دراسة وجمع وتحقيق الدكتور حسين محمد باجودة، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، 1399هـ ـ 1979م.
207 ـ ديوان الأعشى الكبير: شرح وتعليق محمد محمد حسين، دار النهضة العربية بيروت، ط196م.
208 ـ ديوان الأفوه الأودي ضمن الطرائق الأدبية صنعة عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية بيروت.

209 ـ ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق ودراسة: عبد الحميد السليطي، المطبعة التعاونية، بدمشق 1974م.

210 ـ ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1964م.

211 ـ ديوان أوس بن حجر: تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، طبعة 1990م.

212 ـ ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة طبعة، 1978م.

213 ـ ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، طبعة د197م.

214 ـ ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: تحقيق عزة حسن، نشر وزارة الإرشاد القومي، دمشق، 1960م.

215 ـ ديوان البهاء زهير: شرح وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد طاهر الجيلاني، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1982م.

216 ـ ديوان البوصيري: تحقيق محمد سيد الكيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي مصر، الطبعة الثانية، 1973م.

217 ـ ديوان جرير شرح يوسف عبيد: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ ـ 1992م.

218 ـ ديوان جرير شرح يوسف عبيد: دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ ـ 1992م.

219 ـ ديوان جميل (شعر الحب العذري): جمع وتجقيق وشرح الدكتور حسين نصار، دار مصر للطباعة.

220 ـ ديوان حازم القرطاجني: تحقيق عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت، طبعة 1989م.

221 ـ ديوان حسان بن أبي ثابت: تحقيق هارتويغ هيرشفلو، جيب ميموريال، ليون طبعة، 1910م.

222 ـ ديوان الحطيئة رواية وشرح ابن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي القاهرة.

223 ـ ديوان الحماسة: لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام 1980م.

224 ـ ديوان حميد بن ثور الهلالي: صنعة عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، سنة 1371هـ ـ 1951م.

225 ـ ديوان الخالديين: أبي بكر وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي جمعه وحققه الدكتور سامي الدهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، 1969م.

226 ـ ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان: رواية أبي عمرو بن العلاء، شرحه وحققه وعلق عليه يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، 1990م.

227 ـ ديوان الخريمي: تحقيق علي جواد الطاهر، ومحمد جبار المعيد 1971م بيروت.

228 ـ ديوان الخنساء: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة السابعة 1978م.

229 ـ ديوان دريد بن الصمة: جمع وتحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة، طبعة 1981م.

230 ـ ديوان ديك الجن: تحقيق أنطوان محسن القول، دار الكتاب العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م.

231 ـ ديوان ذي الرمة: شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، رواية الإمام أبي العباس ثعلب، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى 1402هـ ـ 1982م.

232 ـ ديوان شعر بشار بن برد: جمع وتحقيق السيد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

233 ـ ديوان شعر بني عقيل في الجاهلية والإسلام: شركة العبيكان، للطباعة والنشر، 1987م.

234 ـ ديوان شعر المتلمس الضبعي: رواية الأثرم وأبي عبيدة والأصمعي تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، طبعة 1970م.

235 ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر.

236 ـ ديوان الصبابة: لابن أبي حجلة التلمساني، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية.

237 ـ ديوان صفي الدين الحلي: دار صادر بيروت.

238 ـ ديوان الصنوبري: تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت، طبعة 1970م.

239 ـ ديوان الطرائف الأدبية: للميمني، طبعة القاهرة 1983م.

240 ـ ديوان طرفة بن العبد: المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان.

241 ـ ديوان الطرماح بن الحكيم: تحقيق الدكتور عزة حسن الطبعة الثانية دار الشرق العربي بيروت.

242 ـ ديوان الطغرائي: تحقيق الدكتور علي جواد الطاهر، والدكتور يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت الطبعة الثانية 1403هـ ـ 1983م.

243 ـ ديوان طفيل الغنوي: تحقيق محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى 1968م.

244 ـ ديوان عامر بن الطفيل: رواية أبي بكر بن القاسم الأنباري عن أبي العباس ثعلب، دار صادر بيروت، 1379هـ ـ 1959م.

245 ـ ديوان العباس بن الأحنف: تقديم كرم البستاني، دار صادر بيروت، 1385هـ ـ 1965م.

246 ـ ديوان العباس بن مرداس السلمي: تحقيق يحيى الجبوري، بغداد، 1968م.

247 ـ ديوان عبد الله بن رواحة: تحقيق محمد حسن باجودة، القاهرة، 1972م.

248 ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم، الجامعة الأمريكية، بيروت، دار بيروت، ودار صادر، بيروت، 1378هـ ـ 1958م.

249 ـ ديوان عبيد بن الأبرص: شرح أشرف أحمد عروة، دار الكتاب العربي، بيروت 1994م.

250 ـ ديوان العجاج: رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، وشرح تحقيق عزة حسن، مكتبة دار الشرق شارع سوريا، بيروت.

251 ـ ديوان عروة بن الورد: شرح ابن السكيت، حققه وأشرف على طبعه ووضع فهارسه عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم.

252 ـ ديوان علقمة الفحل: شرح أبي الحجاج يوسف بن سليمان عيسى المعروف بالعلم الشنتمري ويليه جملة ما لم يذكر من شعره في هذا الشرح، تحقيق لطفي الصقال، درية الخطيب راجعه الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي، بحلب، الطبعة الأولى 1389هـ ـ 1969م.

253 ـ ديوان علي بن أبي طالب: الشركة الحديثة للطباعة، بيروت.

254 ـ ديوان علي بن الجهم: تحقيق خليل مردم بك، لجنة التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

255 ـ ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق وشرح خليل إبراهيم العطية، سلسلة كتب التراث، دار الحرية للطباعة بغداد 1392هـ ـ 1972م.

256 ـ ديوان عنترة بن شداد: تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، 1964م.

257 ـ ديوان القطامي: تحقيق إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى 1960م.

258 ـ ديوان قيس بن الخطيم: تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني بغداد، الطبعة الأولى 1389هـ ـ 1969م.

259 ـ ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى): رواية أبي بكر الوالي، دراسة وتعليق يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.

260 ـ ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، 1391هـ ـ 1971م.

261 ـ ديوان كشاجم محمود بن الحسين: دراسة وتحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، 1997م.

262 ـ ديوان كعب بن مالك الأنصاري: تحقيق ونشر مجيد طراد، دار صادر بيروت، 1997م.

263 ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري: شرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حنا نصر الحبشي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1993مم.

264 ـ ديوان ليلى الأخيلية: جمع وتحقيق جلال إبراهيم العطية وجليل العطية، سلسلة كتب التراث، دار الجمهورية، بغداد، 1967م.

265 ـ ديوان المثقب العبدي: معهد المخطوطات العربية، تحقيق حسن كامل الصيرفي، طبعة، 1971م.

266 ـ ديوان مروان بن أبي حفصة: شرح أشرف أحمد عروة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1993م.

267 ـ ديوان المعاني: لأبي هلال العسكري، دار الجيل، بيروت.

268 ـ ديوان مهيار الديلمي: دار صادر، بيروت.

269 ـ ديوان النابغة الذبياني: صنعة ابن السكيت، تحقيق الدكتور شكري فيصل.

270 ـ ديوان النابغة الذبياني: جمع وتحقيق الطاهر بن عاشور، نشر الشركة التونسية، للتوزيع، الجزائر 1976م.

271 ـ ديوان الهذليين: نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ ـ 1965م، المكتبة العربية.

272 ـ ديوان الوأواء الدمشقي: تحقيق سامي الدهان، المطبعة الهاشمية، طبعة ليون، دمشق، 1950م.

273 ـ ديوان يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري: جمع وتحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، 1395هـ ـ 1975م.

274 ـ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: دار المنصورة للطباعة، الرباط 1972م.

275 ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام الشنتريني، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، طبعة، 1975م.

276 ـ الذرية الطاهرة: لأبي البشر معمر بن أحمد بن حماد الدولابي، تحقيق سعد المبارك الحسني، الدار السلفية، الكويت الطبعة الأولى، 1407هـ.

277 ـ ذيل الأمالي والنوادر: لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتاب العربي.

278 ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: لمحمد بن محمد الأنصاري الأوسي، تحقيق محمد بن شريفة، بيروت، دار الثقافة، دون تاريخ.

279 ـ رحلة القلصادي: تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية، للتوزيع، تونس، 1979م.

280 ـ رسالة الغفران: لأبي العلاء المعري ومعها نص محقق من رسالة ابن القارح، تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن، دار المعارف مصر، الطبعة السابعة.

281 ـ الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره: للحاتمي، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1965م.

282 ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني: للإمام أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق.

283 ـ رغبة الآمل في تلخيص كتاب الكامل: للسيد علي المرصفي، طبعة مصر 1346هـ.

284 ـ رفع الحجب المستورة على محاسن المقصورة: للشريف، تحقيق محمد الحجوي، طبعة الأوقاف، 1997م.

285 ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: السيد محمود الألوسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1987م.

286 ـ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية: لابن هشام للفقيه المحدث أبي القاسم السهيلي، تحقيق وتعليق طه عبد الرؤوف سعيد، مطبعة الحاج عبد السلام بن شقرون.

287 ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: لمحمد باقر الموسوي، الطبعة الثانية، 1307هـ.

288 ـ روضة التعريف بالحب الشريف: لابن الخطيب، عارضه بأصوله وعلق على حواشيه وقدم له: محمد الكتاني، دار الثقافة.

289 ـ روضة الفصاحة: لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، دراسة وتحقيق وتعليق أحمد شعلة، دار الطباعة المحمدية القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م.

290 ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين: لأبي بكر بن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية.

291 ـ الروض المريع في صناعة البديع: لابن البناء المراكشي، تحقيق رضوان بن شقرون، طبعة، 1985م.

292 ـ الروضة المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة: تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1984م.

293 ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة: لأحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، تحقيق عيسى مانع الحميدي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.

294 ـ زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم الجوزية، حقق نصوصه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية، 1982م.

295 ـ الزهد: لعبد الله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب، بيروت.

296 ـ الزهد: لنهاد بن السري الكوفي، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار القربواني، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، 1406هـ.

297 ـ الزاهر في معاني كلمات الناس: لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق حاتم صالح الضامن، اعتنى به عز الدين البدوي النجار، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، 1992م.

298 ـ زهر الآداب وثمر الألباب: لأبي إسحاق بن إبراهيم الحصري، تحقيق زكي مبارك، محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل الطبعة الرابعة.

299 ـ الزهرة: لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور نوري حمودي القيسي، دار الحرية، بغداد، 1974م.

300 ـ زياد الأعجم شاعر العربية في خراسان: تحقيق ابتسام مرهون الصفار، بغداد 1978م.

301 ـ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: لمحمد أمين البغدادي، طبعة بغداد، 1280هـ.

302 ـ سبل السلام في شرح بلوغ المرام في أدلة الأحكام: للإمام محمد إسماعيل الكحلاني، دار الفكر.

303 ـ سر الفصاحة: لابن سنان الخفاجي، تحقيق علي فودة، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، مصر، 1932م.

304 ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: لجمال الدين بن نباتة المصري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، طبعة، 1986م.

305 ـ سمط اللآلئ: لأبي عبيد البكري، تحقيق الدكتور عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، 1354هـ ـ 1936م.

306 ـ السنة: لابن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ.

307 ـ السنة: للخلال أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، 1410هـ.

308 ـ سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

309 ـ سنن ابن ماجه: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق وتعليق محمود فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

310 ـ سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح: للإمام الحافظ أبي عيسى بن سورة الترمذي، حققه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ ـ 1983م.

311 ـ سنن الدارمي: للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

312 ـ سنن الدارمي: للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، خالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ.

313 ـ السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي، تحقيق عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994م.

314 ـ سنن النسائي: أحمد بن شعييب أبو عبد الرحمن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الجيل بيروت، طبعة 1987م.

315 ـ سنن النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية، 1986م.

316 ـ سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن الحسن الذهبي الأصبهاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1990م.

317 ـ سيرة ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق وتعليق محمد حميد الله، طبعة 1396هـ ـ 1976م.

318 ـ سيرة ابن كثير: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.

319 ـ السيرة الحلبية: لعلي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت.

320 ـ السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الكتب العلمية.

321 ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن عماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

322 ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لابن مخلوف، دار الفكر.

323 ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بيروت، 1974م.

324 ـ شرح ابن غازي على ألفية ابن مالك، دار الفكر.

325 ـ شرح أبيات مغني اللبيب: لعبد القادر بن عمر البغدادي، حققه عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، 1978م.

326 ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1955م.

327 ـ شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصل: لشهاب الدين أبو العباس أحمد القرافي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، الطبعة الأولى.

328 ـ شرح حماسة أبي تمام: للأعلم الشنتمري، تحقيق علي المفضل حمودان، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1992م.

329 ـ شرح ديوان الأخطل: لإليا سليم الحاوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1979م.

330 ـ شرح ديوان جرير: شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة لأولى، 1406هـ ـ 1987م.

331 ـ شرح ديون الحطيئة برواية ابن السكيت: تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1407هـ ـ 1987م.

332 ـ شرح ديوان الحماسة: لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره أحمد أمين عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1991م.

333 ـ شرح ديوان زهير: صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، مطبعة دار الكتب المصرية، 1944م.

334 ـ شرح ديوان صريع الغواني: مسلم بن الوليد، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1970م.

335 ـ شرح ديوان طرفة بن العبد: للأعلم الشنتمري، تحقيق نصر عكاوي، دار الفكر العربي، حلب، 1969م.

336 ـ شرح ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، 1964م.

337 ـ شرح ديوان علقمة بن عبيدة التميمي: اعتنى بتصحيحه الشيخ ابن أبي شنب، الجزائر.

338 ـ شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي: تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1384هـ ـ 1965م.

339 ـ شرح ديوان لبيد: تحقيق وتقديم إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد، الكويت، 1962م.

340 ـ شرح الزرقاني على موطأ مالك: لمحمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ.

341 ـ شرح السنّة: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق زهير الشاويش، شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق، طبعة 1349هـ.

342 ـ شرح شافية ابن الحاجب الشيخ رضي الدين الأستراباذي مع شرح شواهده: للبغدادي، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاق محمد، محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

343 ـ شرح شذور الذهب: لابن هشام الأنصاري، تحقيق عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، الطبعة الأولى، 1984م.

344 ـ شرح شعر زهير بن أبي سلمى: صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، 1402هـ ـ 1982م.

345 ـ شرح الفصيح: للزمخشري، تحقيق ودراسة الدكتور إبراهيم بن عبد الله العامري، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1417هـ ـ 1996م.

346 ـ شرح القصائد العشر: لأبي زكرياء الشيباني لمعروف بالخطيب التبريزي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد صبيح الزهر بمصر، الطبعة الثانية، 1964م.

347 ـ شرح قصيدة بانت سعاد: لأبي زكرياء يحيى بن علي الخطيب التبريزي، حققها فكرنكو، قدّم لها صلاح الدين المنجد، دار الكتاب، بيروت، 1981م.

348 ـ شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: لصفي الدين الحلبي، تحقيق الدكتور نسيب نشاوي، دمشق، 1982م.

349 ـ شرح اللمحة البدرية في علم العربية: لابن حيان الأندلسي، تأليف محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح وتعليق وتبويب صلاح راوي، دار مرجان، القاهرة، 1984م.

350 ـ شرح المضنون به على غير أهله: لعبد الوهاب بن إبراهيم الخزرجي، شرح عبيد الله بن الكافي العبيدي، مكتبة دار البيان، بغداد، دار صعب، بيروت.

351 ـ شرح المفصل: لابن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت.

352 ـ شرح المفضليات: لأبي زكرياء يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، تحقيق علي محمد اليحياوي، دار النهضة، مصر.

353 ـ شرح المقاصد: لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، تحقيق عبد الرحمٰن عميرة، عالم الكتاب، الطبعة الأول، 1409هـ ـ 1989م.

354 ـ شرح مقامات الحريري البصري: لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، أشرف على نشره وطبعه محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الشعبية، الطبعة الثانية، 1979م.

355 ـ شرح مقصورة ابن دريد الأزدي: لعبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الخانجي، مصر.

356 ـ شرح مقصورة المكودي: لعبد الله كنون الحسيني، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، 1356هـ ـ 1937م.

357 ـ شرح ميارة على تحفة الأحكام، طبعة دار الفكر.

358 ـ شروح التلخيص: التفتازاني المغربي السبكي، مطبعة عيسى الحلبي.

359 ـ شروح سقط الزند، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب، سنة 1364هـ ـ 1945م، الدار القومية للطباعة، تحقيق مصطفى السقا عبد السلام هارون إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد.

360 ـ شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ.

361 ـ شعب الإيمان: لأبي محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري، تحقيق أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل، دار الحديث، القاهرة، طبعة 1996م.

362 ـ شعر أبي دؤاد الأيادي في كتاب (دراسات في الأدب العربي): غرونباوم، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، 1959م.

363 ـ شعر الأحوص الأنصاري: جمعه وحققه عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ ـ 1990م.

364 ـ شعر بني عبس في الجاهلية والإسلام في آخر العصر الأموي: تحقيق ودراسة عبد العزيز بن محمد الفيصل، الطبعة الأولى، 1411هـ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

365 ـ شعر بني عقيل: جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبد العزيز محمد الفيصل، شركة العبيكان للطباعة، الرياض، طبعة 1408هـ ـ 1987م.

366 ـ شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي: جمع حاتم الضامن وضياء الدين الحديري، مطبعة المعارف، 1973م.

367 ـ شعر الراعي النميري وأخباره: جمع ناصر الحاني، دمشق، 1963م.

368 ـ شعر ربيعة الرقي: جمع وتحقيق يوسف حسين بكار، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1950م.

369 ـ شعر زياد الأعجم: جمع ودراسة يوسف حسين بكار، نشر وزارة الإرشاد القومي، دمشق، 1983م.

370 ـ شعر السلامي: جمع وتحقيق صبيح رديف، مطبعة الإيمان، بغداد، 1971م.

371 ـ شعر سلم الخاسر: تحقيق محمود يوسف نجم، بيروت، 1959م.

372 ـ شعر عبد الصمد بن المعذل، تحقيق زهير غاني زاهد، بغداد، 1974م.

373 ـ شعر عروة بن الورد: تحقيق يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، 1983م.

374 ـ شعر عمرو بن شأس الأسدي: تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، طبعة النجف الأشرف، 1976م.

375 ـ شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي: تحقيق مطاع الطرابيشي، دمشق، 1974م.

376 ـ الشعر والشعراء: لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث العربي للطباعة.

377 ـ شعر الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق داود سلوم، بغداد، 1970م.

378 ـ شعر المتوكل الليثي: تحقيق يحيى الجبوري.

379 ـ شعر مروان بن أبي حفصة: تحقيق الدكتور حسن عطوان، دار المعارف، مصر، 1973م.

380 ـ شعر منصور النَّمَري: جمع وتحقيق الطيب العشعاش، دار المعارف، دمشق، 1981م.

381 ـ شعر النابغة الجعدي، دمشق، 1963م.

382 ـ شعر نصيب بن رباح: تحقيق داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1978م.

383 ـ شعر النعمان بن بشير الأنصاري: تحقيق وتقديم يحيى الجبوري، دار القلم، الطبعة الثانية، 1985م.

384 ـ شعر النمر بن تولب: صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة العارف، بغداد، 1969م.

385 ـ شعر يزيد بن الطثرية: صنعة حاتم الضامن، مطبعة أسعد، بغداد: 1973م.

386 ـ شعراء عباسيون: لغوستاف غرينباوم، ترجمة وتحقيق محمد يوسف نجم، راجعها إحسان عباس، مكتبة الحياة، 1959م.

387 ـ شعراء النصرانية: جمع وتنسيق لويس شيخو، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982م.

388 ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، تحقيق ثلة من العلماء، مكتبة الفارابي، مكتبة علوم القرآن.

389 ـ الصاحبي: لأحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، طبعة 1977م.

390 ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا: تأليف أبي العباس القلقشندي، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف.

391 ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1984م.

392 ـ صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1993م.

393 ـ صحيح ابن خزيمة: تحقيق مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1975م.

394 ـ صحيح البخاري: تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، الطبعة الثالثة.

395 ـ صحيح البخاري بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1401هـ ـ 1981م.

396 ـ صحيح مسلم: للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تعليق وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

397 ـ صفة الصفوة: لجلال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.

398 ـ الصلة: لأبي القاسم بن بشكوال، نشره عزت العطار الحسيني، مصر، 1955م.

399 ـ صلة الصلة: لأبي جعفر أحمد بن الزبير، الناشر ليفي بروفنسال، الرباط، 1938م.

400 ـ الصناعتين: لأبي هلال العسكري، حققه وضبط نصه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1401هـ ـ 1981م.

401 ـ الصنوبري شاعر الطبيعة: لعبد الرحمٰن عطية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1981م.

402 ـ ضرائر الشعر: لابن عصفور، تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، الطبعة الثانية، 1982م.

403 ـ الضعفاء والمتروكين: لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ.

404 ـ طبقات الشافعية الكبرى: لتقي الدين السبكي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

405 ـ طبقات الشعراء: لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.

406 ـ طبقات فحول الشعراء: لابن سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني.

407 ـ الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت، بيروت، 1985م.

408 ـ طبقات المفسرين علي بن أحمد الداودي: تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1983م.

409 ـ طبقات النحويين واللغويين: محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبرهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية.

410 ـ الطراز: لأبي حمزة العلوي، دار الكتاب العربي.

411 ـ طراز الحلة وشفاء الغلة (شرح الحلة السيرافي في مدح خير الورى): تأليف شهاب الدين أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي، تحقيق رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية، السعودية.

412 ـ طيف الخيال: للشريف المرتضى، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مطبعة عيسى الحلبي.

413 ـ العظمة: لعبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ.

414 ـ العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد الحميد الترحيني، دار الفكر، 1404هـ ـ 1983م.

415 ـ عقود الجمان في المعاني والبيان: لجلال الدين السيوطي، مطبعة الحلبي، طبعة 1955م.

416 ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه: لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988م.

417 ـ عوارف المعارف: لأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي، ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.

418 ـ عون المعبود: لمحمد شمس الحق آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ.

419 ـ عيار الشعر: لابن طباطبا العلوي، تحقيق وتعليق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، طبعة 1965م.

420 ـ عيون الأخبار: لابن قتيبة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، 1343هـ ـ 1925م.

421 ـ غاية النهاية في طبقات القراء: لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره برجستراس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982م.

422 ـ غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات: لعلي بن ظافر الأزدي، تحقيق زغلول سلام، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، مصر.

423 ـ غريب الحديث: لإبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق ودراسة سليمان بن إبراهيم العايد، دار المدني للطباعة والنشر، جدة، الطبعة الأولى، 1985م.

424 ـ غريب الحديث: للخطابي، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، خرّج أحاديثه عبد القيوم عبد ربّ النبي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

425 ـ غريب الحديث: لابن سلام، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1967م.

426 ـ غريب القرآن: لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، دراسة وتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية، دار طلاس، دمشق.

427 ـ الغيث المسجم في شرح لامية العجم: لصلاح الدين الصفدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1975م.

428 ـ الفائق في غريب الحديث: لجار الله الزمخشري، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1979م.

429 ـ الفاضل في صنعة الأدب الكامل: لأبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1411هـ ـ 1991م.

430 ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، طبعة 1379هـ.

431 ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخري، قرأ أصله عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر.

432 ـ الفتح المبين في مدح الأمين، بهامش خزانة الحموي، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، 1304هـ.

433 ـ الفتن لنعيم بن حماد المروزي: تحقيق سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ.

434 ـ الفردوس بمأثور الخطاب: لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني، تحقيق بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.

435 ـ الفصول والغايات: لأبي العلاء المعري، دار الآفاق الجديدة، نشر غريبة محمود حسن زناتي، بيروت.

436 ـ الفهرست: لابن النديم، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

437 ـ فهرست ابن خير، طبعة جديدة ومنقّحة، المكتب التجاري، بيروت، مكتبة اليمني، بغداد، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1382هـ ـ 1963م.

438 ـ فهرست التجيبي، القاهرة.

439 ـ فهرست الفهارس: لعبد الحي الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

440 ـ فوات الوفيات: لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

441 ـ فيض القدير بشرح الجامع الصغير: للعلامة عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1972م.

442 ـ قصائد ومقطعات: لحازم القرطاجني، تحقيق وتقديم محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، 1972م.

443 ـ قصيدة البردة ومعارضاتها، منشورات محمد بوذينة، دار سرس للنشر، المطبعة الموحدة، تونس، 1994م.

444 ـ الكامل: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، عارضه بأصوله وعلّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة.

445 ـ الكامل في التاريخ: لابن الأثير الجزري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السادسة.

446 ـ كتاب أبو علي الفارسي وآثاره: لعبد الفتاح إسماعيل شلبي، طبعة مصر.
447 ـ كتاب الأربعين في أصول الدين: لفخر الدين الرازي، طبعة حيدرآباد، الهند، 1353هـ.
448 ـ كتاب الأزمنة والأمكنة: لأبي علي المرزوقي الأصفهاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
449 ـ كتاب الأزهية في علم الحروف: لعلي بن محمد النحوي الهروي، القاهرة.
450 ـ كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: للخالدين أبو بكر وأبي عثمان، حقّقه وعلّق عليه الدكتور محمد يوسف، مطبعة التأليف والنشر، القاهرة، 1958م.
451 ـ كتاب الأفعال الثلاثية والرباعية باتفاق معانيها وحركاتها واختلافها: لابن القوطية، طبع بمدينة ليدن، مطبعة بريل، 1894م.
452 ـ كتاب الأفعال: لابن القوطية، تحقيق علي فودة، مطبعة مصر، الطبعة الأولى، 1952م.
453 ـ كتاب الأفعال: لأبي القاسم علي بن جعفر المعروف بابن القطاع، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1983م.
454 ـ كتاب الأفعال: لأبي سعيد المعافري السرقسطي، إعداد حسين محمد شرف، مراجعة محمد مهدي علام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، 1980م.
455 ـ كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح: لابن بري المصري، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، 1981م.
456 ـ كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل: لابن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفى أماح، مطبعة الدار المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1979م.
457 ـ كتاب خلق الإنسان: لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، طبعة 1985م.
458 ـ كتاب الديباج: لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق عبد الله بن سليمان الجربوع، عبد الرحمٰن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، 1991م.
459 ـ كتاب الزهد: لابن أبي عاصم الشيباني، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1408هـ.

460 ـ كتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر: تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1403هـ ـ 1983م.
461 ـ كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب: لأبي علي الفارسي، تحقيق وشرح محمود محمد الطناجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1988م.
462 ـ كتب الشوق والفراق: لمحمد بن سهل المرزباني البغدادي، تحقيق الدكتور خليل العطية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1408هـ ـ 1988م.
463 ـ كتاب الطراز: ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
464 ـ كتاب الفصيح: لأبي العباس ثعلب، تحقيق ودراسة عاطف مذكور، دار المعارف، القاهرة، 1983م.
465 ـ كتاب الكافي في فقه أهل المدينة: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، نشر مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الثانية، 1400هـ ـ 1980م.
466 ـ كتاب الكناية والتعريض: للثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م.
467 ـ كتاب اللامات في كلام العرب: لأبي القاسم عبد الرحمٰن بن إسحاق، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1985م.
468 ـ كتاب المجروحين: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زاد، دار الوعي، حلب.
469 ـ كتاب المحبر: لأبي جعفر محمد بن حبيب، رواية السكري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
470 ـ كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: للفتح بن خاقان، مطبعة الجوائب، الطبعة لأولى، قسطنطينة، 1302هـ.
471 ـ كتاب المغازي: للواقدي، تحقيق محمد فارس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ.
472 ـ كتاب المغني: لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ.
473 ـ كتاب اللمع: صنعة أبي عبد الحسين بن علي النميري، تحقيق وجيهة أحمد الطل، مطبعة زيد بن ثابت، 1976م.

474 ـ كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر: ألفريد البستاني، مطبعة الفنون، العرائش.

475 ـ كتاب نسب قريش: لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن الزبير، عني بنشره ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر.

476 ـ كتاب النوادر في اللغة: لأبي زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة الدكتور عبد القادر محمد أحمد، وزارة الأوقاف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1401هـ.

477 ـ كتاب الوحشيات الحماسة الصغرى: لأبي تمام حبيب بن أوس، علّق عليه وحقّقه عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد حواشيه محمد محمد شاكر، دار المعارف.

478 ـ كتاب الإيضاح: لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق ودراسة كاظم المرجان، عالم الكتب، بيروت، 1996م.

479 ـ الكتيبة الكامنة: للسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت.

480 ـ كرامات الأولياء: لهبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق أحمد سعد الجمان، دار طه، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ.

481 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لمحمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1983م.

482 ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: لإسماعيل بن محمد العجلوني، تصحيح وتعليق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1983م.

483 ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة، نشر مكتبة المثنى ببغداد، بدون تاريخ.

484 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، 1987م.

485 ـ الكشكول: لبهاء الدين العاملي، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، طبعة مصر.

486 ـ كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: لأبي الفتح نصر الله بن محمد بن الأثير الجزري، دراسة وشرح وتحقيق عبد الواحد شعلان، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1994م.

487 ـ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج: لأحمد بابا التنبكتي، دراسة وتحقيق محمد مطيع، طبعة الأوقاف، 2000م.

488 ـ كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شباقة، نشر وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للنشر، القاهرة.

489 ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، ضبطه وحسن غريبه بكري حياني، وصححه ووضع فهارسه صفوة البقا، مؤسسة الرسالة، 1979م.

490 ـ الكنز اللغوي في اللسان العربي: نشره الدكتور أوفست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1903م، يضم ثلاث كتب: القلب والإبدال لابن السكيت، الإبل وخلق الإنسان للأصمعي.

491 ـ اللآلئ المصنوعة في الأحديث الموضوعة: لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت.

492 ـ لباب اللباب: لأبي منصور الثعالبي، تحقيق الدكتور قحطان رشيد صالح، سلسلة خزائن التراث، بغداد، 1988م.

493 ـ اللباب في تهذيب الأنساب: لابن الأثير، طبعة مصر، 1356هـ.

494 ـ اللزوميات: لأبي العلاء المعري، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م.

495 ـ لسان العرب: لجمال الدين بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

496 ـ لسان الميزان: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر.

497 ـ لطائف اللطف: للثعالبي، تحقيق الدكتور عمر الأسعد، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ ـ 1980م.

498 ـ اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية: لابن الخطيب، طبعة مصر، 1324هـ.

499 ـ اللمع في أسباب ورود الحديث: لجلال الدين السيوطي، تحقيق يحيى إسماعيل أحمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1984م.

500 ـ اللمع في العربية: لابن جني، تحقيق حسين محمد شرف، عالم الكتب، طبعة 1979م.

501 ـ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم: لأبي القاسم بن بشر الآمدي، دار الجيل، بيروت، 1411هـ ـ 1991م.

502 ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين الأثير، قدّمه وحقّقه وعلّق عليه الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة.

503 ـ مجاز القرآن: صنعة أبي عبيد معمر بن المثنى، عارضه بأصوله وعلّق عليه فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

504 ـ مجالس ثعلب: لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1980م.

505 ـ المجرد في غريب كلام العرب ولغاتها: لأبي الحسن الهنائي كراع النمل، تحقيق محمد بن أحمد العمري، دار المعارف، القاهرة، 1992م.

506 ـ مجمع الأمثال: أحمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1987م.

507 ـ مجمع الزوائد: لعلي بن أبي بكر الهيتمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، طبعة 1407هـ.

508 ـ مجموعة أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه وليم الورد البروسي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، 1400هـ ـ 1992م.

509 ـ مجموعة المعاني: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م.

510 ـ المجموعة النبهانية: ليوسف النبهاني، دار الغرب الإسلامي.

511 ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: لأبي القاسم حسن بن محمد الراغب الأصبهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

512 ـ محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي: لعمر الجيدي، منشورات عكاظ، 1987م.

513 ـ المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: للسري بن أحمد الرفاء، تحقيق ماجد حسن الذهبي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1407هـ ـ 1986م.

514 ـ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: لابن سيده، تحقيق مصطفى السقا، حسن نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1958م.

515 ـ المحلى في وجوه النصب: صنعة أبي بكر أحمد بن الحسن شقير النحوي البغدادي، تحقيق الدكتور فائز فارس، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، الطبعة الأولى، 1987م.

516 ـ المحمدون من الشعراء وأشعارهم: لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق وتقديم حسن معمري، دار اليمامة الرياض، طبعة 1970م.

517 ـ مختارات شعراء العرب: لابن الشجري، تحقيق علي محمد البيجاوي، دار النهضة، مصر، القاهرة.

518 ـ المختار من قطب السرور: لعلي نور الدين المسعودي، حققه وعارضه بأصوله عبد الحفيظ منصور، نشر المطبعة الرسمية، تونس، 1976م.

519 ـ المختصر في أخبار البشر: لأبي الفداء، دار الكتب العلمية، بيروت.

520 ـ المخصص: لابن سيده، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

521 ـ مدارج السالكين: لابن القيم الجوزية، دار الكتب، بيروت.

522 ـ المدائح النبوية: لزكي مبارك، دار الكتب، 1967م.

523 ـ المذكر والمؤنث: لأبي حاتم السجستاني، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار الفكر سوريا، دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الأولى، 1997م.

524 ـ مراتب النحويين: لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل، دار النهضة، مصر، طبعة 1974م.

525 ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: لعبد الله بن سعد اليافعي اليمني المكي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1970م.

526 ـ المرتجل: لابن الخشاب، تحقيق علي حيدر، منشورات دار الحكمة بدمشق، 1972م.

527 ـ المرقصات والمطربات: لنور الدين علي ابن الوزير بن عمران، بيروت، 1917م.

528 ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار الأندلس، بيروت.

529 ـ المسائل الحلبيات: لأبي علي الفارسي، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1987م.

530 ـ المستدرك على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1990م.

531 ـ المستطرف في كل علم مستظرف: للأبشيهي، طبعة مصر، 1282هـ.

532 ـ مستفاد الرحلة والاغتراب القاسم بن يوسف التجيبي السبتي: تحقيق وإعداد عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1395هـ ـ 1975م.

533 ـ المستقصى في أمثال العرب: محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1977م.
534 ـ المسلك السهل في توشيح ابن سهل: لمحمد الصغير الأفراني المراكشي، خزانة القرويين.
535 ـ مسلم بن الوليد صريع الغواني: للدكتور جميل سلطان، دار الأنوار، بيروت، طبعة 1967م.
536 ـ مسند أبي الجعد: لعلي بن الجعد الجوهري البغدادي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.
537 ـ مسند أبي عوانة: يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1998م.
538 ـ مسند أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.
539 ـ مسند إسحاق بن راهويه الحنظلي المروزي: تحقيق عبد الغفور عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1995م.
540 ـ مسند البزار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق محفوظ الرحمٰن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ.
541 ـ مسند الحارث: لأبي أمامة الهيثمي، تحقيق أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1992م.
542 ـ مسند الحميدي: تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
543 ـ مسند الربيع بن عمر الأزدي البصري: تحقيق إدريس عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
544 ـ مسند الروياني: محمد بن هارون الروياني، تحقيق أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ.
545 ـ مسند الشاشي: الهيثم بن كليب الشاشي، تحقيق محفوظ الرحمٰن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1410هـ.
546 ـ مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
547 ـ مسند الشهاب: محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م.
548 ـ مصارع العشاق: لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسن السراج القارئ، دار بيروت، دار صادر، بيروت، 1387هـ ـ 1958م.

549 ـ مصباح الزجاجة: لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، تحقيق محمد الكنشاوي، دار العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ.
550 ـ المصباح في المعاني والبيان والبديع: لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، حقّقه وشرحه ووضع فهارسه حسني عبد الجليل يوسف، مكتب الآداب، القاهرة، 1989م.
551 ـ المصباح المضيء في خلافة المستضيء: لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي، تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم، المكتبة الوطنية، بغداد، 1976 ـ 1977م.
552 ـ مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، 1409هـ.
553 ـ مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ.
554 ـ المصنوع: لعلي بن سلطان محمد الهروي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة الرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة، 1404هـ.
555 ـ المطرب من أشعار أهل المغرب: أبي الخطاب عمر بن دحية، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت.
556 ـ المطلع على أبواب المقنع: لمحمد بن أبي الفتح البعلي، تحقيق محمد بشير، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981م.
557 ـ معاني القرآن: للأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1405هـ ـ 1985م.
558 ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: تأليف الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، 1947م.
559 ـ معتصر المختصر: ليوسف بن موسى الحنفي، عالم الكتب، القاهرة.
560 ـ معجم أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، الطبعة الأولى، 1407هـ.
561 ـ معجم الأدباء: لشهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1980م.
562 ـ معجم أعلام الجزائر: عادل نهويض، بيروت، 1971م.
563 ـ معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار الرشاد الحديثة، دار صادر، بيروت.

564 ـ معجم الشعراء: للمرزباني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1960م.

565 ـ معجم شواهد النحو الشعرية: الدكتور حنا جميل حداد، دار القلم للطباعة والنشر، 1404هـ ـ 1984م.

566 ـ معجم قبائل العرب: لرضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1985م.

567 ـ معجم كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1985م.

568 ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تحقيق مصطفى السقاط، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة.

569 ـ معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية: رضا كحالة، دمشق، 1957م.

570 ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1942م.

571 ـ معرفة أسامي أرداف النبي: لابن مندة يحيى بن عبد الوهاب، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار المدينة للتوزيع، الطبعة الأولى، 1410هـ.

572 ـ المعلم بفوائد مسلم: لأبي عبد الله بن علي بن عمر المازري، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية، الطبعة الثانية، 1991م.

573 ـ المعمرون والوصايا: لأبي حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1961م.

574 ـ المعيار المغرب في فتاوى أهل المغرب: لأحمد الونشريسي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

575 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لكمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق وتعليق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، الطبعة الخامسة، بيروت، 1979م.

576 ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1989م.

577 ـ مفتاح العلوم: لأبي يعقوب السكاكي، ضبط وشرح الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.

578 ـ المفضليات للمفضل الضبي: تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، مطبعة دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م.

579 ـ المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى: للعيني بهامش خزانة الأدب، للبغدادي، دار صادر بيروت.

580 ـ مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ ـ 1979م.

581 ـ المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب.

582 ـ المقرب: لابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1971م.

583 ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت.

584 ـ المقصور والممدود: لنفطويه، تحقيق حسن شاذلي، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، دار التراث، 1980م.

585 ـ الملل والنحل (بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل للشهرستاني) للإمام أبي محمد بن حزم الظاهري، دار الفكر، القاهرة، 1986م.

586 ـ الممتع في علم الشعر ونقده: لعبد الكريم النهشلي، تقديم وتحقيق الدكتور منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب.

587 ـ المنازل والديار: لأسامة بن منقذ، تحقيق مصطفى حجازي، الطبعة الثانية، القاهرة.

588 ـ المنتحل: للثعالبي، الطبعة التجارية، 1901م.

589 ـ المنتخب من غريب كلام العرب: لكراع النمل، تحقيق محمد العمري، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1997م.

590 ـ المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء: للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م.

591 ـ المنتخب في محاسن أشعار العرب: لابن قدامة، تحقيق وشرح الدكتور عادل سلمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة.

592 ـ المنح المكية بشرح الهمزية: لابن حجر الهيتمي، دار المعارف، البيضاء.

593 ـ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: لأبي محمد القاسم السجلماسي، تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف البيضاء، الطبعة الأولى، 1401هـ ـ 1980م.

594 ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، 1358هـ.

595 ـ المنقوص والممدود: للفراء، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف.

596 ـ المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي: لابن وكيع التنيسي، تحقيق رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، 1402هـ ـ 1982م.

597 ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء: لأبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1986م.

598 ـ منهاج العابدين: لأبي حامد الغزالي، طبعة المصير الحسنية المصرية.

599 ـ المنهاج في شعب الإيمان: للحليمي، تحقيق حلمي محمد فودة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ ـ 1979م.

600 ـ موارد الظمآن: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت.

601 ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: لابن حجر العسقلاني، شرحه وعلّق عليه مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1416هـ.

602 ـ الموازنة: لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي،، تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

603 ـ الموشح مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر: للمرزباني، تحقيق محمد علي البجوي، دار الفكر العربي، القاهرة.

604 ـ الموشى أو (الظرف والظرفاء) لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء، دار بيروت، 1980م.

605 ـ الموطأ: الإمام مالك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الثالثة، 1975م.

606 ـ الموطأ: الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث.

607 ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البيجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

608 ـ النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف: لعبد العزيز الميمني، القاهرة، 1343هـ.

609 ـ نثر النظم وحل العقد: لأبي منصور الثعالبي، عني بنشره أحمد عبد الفتاح، مؤسسة الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ ـ 1990م.

610 ـ نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان: لابن الأحمر، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، طبعة 1967م.

611 ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين بردي الأتابكي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

612 ـ نزهة الأبصار في محاسن الشعار: لأحمد بن محمد بن محمد العتابي، تحقيق مصطفى السنوسي، عبد اللطيف أحمد لطف الله، دار الكتب، الكويت، الطبعة الأولى، 1407هـ ـ 1986م.

613 ـ نزهة الجليس ومنة الأنيس: للعباس بن علي بن نور الدين المكي الحسني.

614 ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لابن الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد، 1959م.

615 ـ النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم: لابن العربي المعافري، تحقيق عمار الطالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م.

616 ـ نصب الراية: لعبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي، تحقيق محمد يوسف التنوري، دار الحديث، مصر، طبعة 1357هـ.

617 ـ نضرة الإغريض في نصرة القريض: للمظفر بن الفضل العلوي، تحقيق نهى عارف، دمشق، 1976م.

618 ـ نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار: لعبد الغني النابلسي، الطبعة الثالثة، 1404هـ ـ 1984م.

619 ـ نفح الطيب: لأحمد المقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

620 ـ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1397هـ ـ 1968م.

621 ـ النقد الأدبي في ق8هـ: لمحمد علي سلطاني، منشورات دار الحكمة، دمشق، 1974م.

622 ـ نقد الشعر: لقدامة بن جعفر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

623 ـ نقد النثر: لأبي الفرج قدامة بن جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 1982م.

624 ـ نكت الهميان في نكت العميان: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار المدينة، وقف على طبعه أحمد زكي بك بالمطبعة الجمالية بمصر، 1911م.

625 ـ نهاية الأرب في فنون الأدب: لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة.

626 ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: لأبي العباس أحمد بن عبد الله القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

627 ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: لفخر الدين الرازي، تحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.

628 ـ نهاية الأندلس: لمحمد عبد الله عنان، الطبعة الثالثة، القاهرة.

629 ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، دار الفكر.

630 ـ نوادر الأصول في أحاديث الرسول: لمحمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1912م.

631 ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج: لأحمد بابا التنبكتي، طبعة طرابلس، 1989م.

632 ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، طبعة مصورة بالأوفست ببغداد عن طبعة إسطنبول، 1951م.

633 ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع: للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1998م.

634 ـ الوفيات: لابن قنفذ، تحقيق وجمع وتصحيح هنري بيبرس، المطبعة الثعالبية، مصر.

635 ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

636 ـ ورقات عن حضارة المرينيين: لمحمد المنوني، نشر كلية الآداب، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء، 1996م.

637 ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: لأبي منصور الثعالبي، حققه وفصّله محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1956م.

الدوريات:

1 ـ مجلة مجمع الشام، ج39 ـ 83، مبحث (عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي).

2 ـ مجلة المورد، ع3، 1972م، مبحث (شعر أبي علي البصير).

3 ـ مجلة المورد، ج2، 1984م، مبحث (شعر المرار الفقعسي).

4 ـ ملجة المورد، ج2 ـ 3، 1985م، مبحث (شعر العتابي).

5 ـ مجلة دعوة الحق.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

فهرس الفهارس